

المجلة

مجلة السبوعية للقصص والنبأ

نصدر مؤقنا في أول كل شهر وفي نصفه

1938

Volume 2

PUBLICATION PROTEGEE

PAR LA

LEGISLATION SUR LA PROPRIETE

LITTERAIRE ET ARTISTIQUE

LOI N **57.298** DU **11** MARS **1957**)

**PROVENANCE DE LA
COLLECTION**

**INSTITUT DU MONDE
ARABE**

Cote: 833 (051) RIW

MICROFILM ÉTABLI

PAR

**L'ASSOCIATION POUR LA CONSERVATION
ET LA REPRODUCTION PHOTOGRAPHIQUE
DE LA PRESSE**

PARIS

*L'Exploitation commerciale de ce film est interdite.
La Reproduction totale ou partielle est soumise à
l'autorisation préalable des ayants droit et à
celle de l'A.C.R.P.P. qui conserve un exemplaire
du microfilm négatif.*

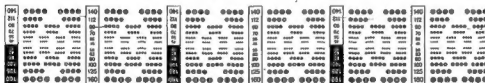
© 1998 A.C.R.P.P.

ECHELLE DE PRISE DE VUE



Rx9

A.C.R.P.P



MIRE ISO N° 1

INF 43-007

AFNOR

Cedex 7 - 92080 PARIS-14-DÉFENSE



السيد



صاحب المجلة ومديرها
وردئيس تحريرها المشلول
احمد حسن الزيات

برل انشراكه من سنة
٣٠ في مصر والسودان
٥٠ في الممالك الأخرى
١ من العدد الواحد

الوزارة
شارع عبد العزيز رقم ٣٦
التيه الخضره — القاهرة
تليفون ٤٢٣٩٠ ، ٥٣٤٥٥

المجلة

مجلة الأسبوعية للقصص والروايات

نصدر مؤقثاً في أول كل شهر وفي نصف

السنة الثانية

١٧ جمادى الأولى سنة ١٣٥٧ — ١٥ يولييه سنة ١٩٣٨

العدد ٣٦



فهرس العدد

٦٢٦	الفصل الأخير من للأساة ...	على أبواب المدينة ...	بلم الأستاذ على الطنطاوي ...
٦٢٩	كان لساً ...	عن الإنجليزية ...	بلم الأستاذ عبد الطيف النشار ...
٦٣١	عجوز الصور المتحركة ...	للكاتب الأسباني بلاسكو إيانيز ...	بلم الأديب محمد محمود دوار ...
٦٤٩	جارسون ... واحد شوب!	للكاتب كارديك لاهوتسكي ...	بلم الأستاذ محمد لطفي جمعة ...
٦٦٠	عواد كريمون ...	للشاعر الفرنسي فرنسوا كوزيه ...	بلم الأستاذ محمد كامل حجاج ...
٦٦٥	حاجي بابا في انكلترا ...	تأليف جيمز مور ...	بلم الأستاذ عبد الطيف النشار ...



علينا؟ آه، يارب!

زينب — استعيني بالله

فاطمة — لقد رأيت ابن أخي، وهو ابن خمس سنين، يخرج من الخيمة فيتلفت مذعوراً لا يدري ماذا يرى فلحقته لأدخله، فوجدت... آه، يارب، وجدت... ألم... لقد قتلوا الطفل!

زينب — إسبري يا فاطمة إن الله مع الصابرين
فاطمة — لقد رموا أخاه فات في حجر أبيه فقتل الحسين دمه بيده... أنظري يا زينب! ألا ترين إلى الدم قد خضب حواشي الأفق؟
زينب — هذا هو الشفق يا فاطمة!
فاطمة — وهذا السواد الذي غطي على الكون؟
زينب — هذا هو الليل، مالك يا فاطمة؟ هذا الليل...

فاطمة — إننا سنعيش في فجر دائم لا يلمح في جوانبه فجر. سنعيش بعد الحسين في ليل الأحزان السرمدي

زينب — لقد عدت إلى البكاء! فاطمة إلى متى تبكين؟

فاطمة — إلى أن يرجع حسين، حسين خير الفتيان، وسيد شباب الجنة

زينب — لا حول ولا قوة إلا بالله

فاطمة — حسين يا أخى يا حبيبي، يا قرّة عين رسول الله

زينب — ...

فاطمة — لقد رذك النبي، وغذتك فاطمة بنت محمد، ليقنك سنان بن أنس التخي؟ لكنك ملموناً يا سنان على كل لسان

زينب — تعال كلها يا علي، تعال كلم محنتك

من التاريخ الأسلامي

الفصل الأخير من المأساة على أبواب المدينة للأستاذ علي الطنطاوي

زينب — كفى يا فاطمة. كفى يا حبيتي، لقد بلغنا مشارف المدينة

فاطمة — وماذا أصنع في هذه المدينة؟ أأتى فيها أخى؟ أأتى الفتية الكرام من آل النبي؟ لقد ذهبوا يا زينب، لقد ذهبوا إلى الأبد...

سمية أمسى نسلها عدد الحصى
وليس لآل الصطفى اليوم من نسل^(١)

زينب — وإنا لله وإنا إليه راجعون!

فاطمة — ماذا أجد في المدينة؟ يا مدينة الرسول! هؤلاء بنات الرسول يتأى فاكلات أسيرات ذيلات كاهن سبايا الروم... يا مدينة الرسول...

زينب — فاطمة، أشفق على الصغار، لقد نفذت دموعهن...

فاطمة — ولن يدخرن الدموع بعد حسين؟
إيكين إيكين... لقد قتل الحسين!

زينب — فاطمة، أهكنا تدخين المدينة يا فاطمة! كفى يا اختاه كفى

فاطمة — لقد كانت مدينتي يا زينب يوم كان

فيها أهل، فالى اليوم فيها من أهل. إن مدينتي هناك، في القفرة التي غصت أحشاؤها بأجساد الهاشمين، آه... هل دخل على أهل بيت ما دخل

(١) أنشده عبي بن الحكم أخو مروان بن الحكم بن يزيد (الطبري: ٦ - ٢٦٥)

هذا ابن بنت النبي ، وفقى بنى هاشم ، لومات
على فراشه لمزّ موته أهل الاسلام ، فكيف وقد
قتل مظلوماً ، وقد قتل معه هؤلاء الغنيان البراء .
وهكت أستار أكرم بيت رفع على ظهر هذه
الأرض ؟ آه . أياكل دمك يا حسين ؟

على — إطمئني يا عمّة ! إن دم الحسين لن يطل .
لقد وقع الزلزال فأفاق الناس فزعين ، ولكنّ المرة
لم تدع لهم سبيلا إلى التفكير . إن العالم اليوم حائر
مشدوه لأنّه لم يكن يصدق أنّ هذه هي النتيجة ،
كلا ، ولا هؤلاء الذين تألبوا على أبي يحاربونه .
كانوا يظنون أنّه سيستسلم لهم . كانوا يتحامون
قتله ، ويتأون عنه ، لا يريد أحد منهم أن يلقى الله
بدمه وأن ييؤ بهذه العنة ، فلما رأوه مقتولا
ذعروا ، وتغفلوا كأنّما أفاقوا من حلم هائل

فاطمة — ولكنهم أفاقوا بعد مافات الأوان .
يا هؤلاء الوحوش ! يا للذئاب ... لقد دعوه وألحوا
عليه ، حتى إذا جاء نهضوا إليه بالسيف ، وضنوا
عليه حتى بالاء . لقد شهدته يقاتل عطشان قد جف
حلقه من الظم ، غصبتهم يسبقونه ، ولكنهم
سدّوا إلى فمه سهماً ملاقه بالدم . هذا هو الذي
منوا به عليه !

على — إنهم سيندمون يا عمّة . سيمضون
أصابعهم حصرة . إنهم سيلطمون على وجوههم
لوعة . إن هؤلاء الذين قتلوا الحسين وقتلوا أباه ،
هم الذين سيكونون عليه وعلى أبيه . إن الكوفة التي
أفاقنا النصص ستكون مثابة شيعتنا ، ومثوى
أحيائنا ... سيفنى الأعداء ، ويبقى الأحياء ، سيأتي
يوم يقال فيه ، أن من قتلوا حسيناً ، أن أناسهم ؟
أن من يفضّل آل بيت النبي ؟ قد خلا وجه الأرض
مهم ، ليس في الدنيا من بنى أمية أحد
الدليل — وما ذنب بنى أمية ؟

فاطمة — أن هو على ؟

على — هأنذا يا عمّي !

فاطمة — أودن مني يا عمّي ، أنت بقية آل محمد .
أنت اليوم رجلنا وحاميتنا ، لم يبق إلا أنت ... آه
كل أسرة فيها رجلها ، ورجال بيت النبي مصرعون
في كربلاء ! لقد وسع المسلمون بمسلم الديني
والكافر ، ولكلّ عدلم ضاق من آل النبي ، لقد
قدموا الحياة السعيدة للتصراي واليهودي ولكنهم
لم يجدوا لابن بنت النبي إلا الموت الأليم
أفكان لهم نار عندك يا محمد ؟

على — كفى يا عمّة ، لست وحدك المصابة ،
إن المجد والشرف والاسلام ، كل أولئك أصيب يوم
أصيب الحسين . كفى يا عمّة لست وحدك الباكية .

ستبكي ممك عيون طاهرة لن يجف فيها الدمع إلى
يوم القيامة . لقد مات الحسين ، لقد قتل أبي ...
ولكنه سيميش خالداً بروحه في جنان الخلد ، وخالداً
باسمه في القلوب . ألم يختر هو الموت اختياراً ؟ ألم
يقدم عليه ؟ ألم يعرض عن نصيحة عمي محمد بن
الحنفية ؟ ألم يستحلفه علماً الأمة بن عمرو بن عباس
أن يقيم في الحجاز ، وألا يبق بما يقول الكوفيون ،
وألا يشق عصا المسلمين ، فأبى ألا السير ؟ ألم يأنه انظر
بمقتل مسلم بن عقيل واقلاب أهل الكوفة عليه ؟

فاطمة — بلى بلى ، ولكنه رأى الجور فاشياً ،
والنكر ممروراً ، وأموال الله نهياً مقبلاً وحجى
مستباحاً ، فنهض ينصر الحق ، ويحمي العدل ، ولم
يقم حتى دعوه وألحوا عليه ... ما كان يظن أن
المسلمين يقتلون ابن بنت نبّهم ، ويذبحون أطفاله ،
ويسوقون نسائه كما تساق أسرى الروم . فكيف
كان هذا أبى على ولم تطبق السماء على الأرض ؟
أقتل بنو النبي وتسى نساؤه ولا يفضب أحد ؟ ألم
يبق على وجه الأرض مسلم ؟

على - لقد باما بلنة المصور وكانا سبة
التاريخ. لقد فقدوا الدين والمروءة، وخسروا الشرف.
لم يسترحبتهما، ولم يهيج إنسانيتهما، هؤلاء الأبطال
الذين وقفوا يداخون عن الحق، ويدودون عن
أسرة النبي، يقاتلون وهم عطاش والموت عن أيمانهم
والموت من شمالكهم، والموت من أمامهم، وهم
ماضون في سبيلهم لا يريدون مالا ولا ينون جاهاً
ولا يحرصون على عرض من أعراض الدنيا،
ولكنهم يريدون الله حتى إذا أحسوا بالياس طفقوا
يسارعون إلى الموت واحداً بعد واحد، وكلما ذهب
منهم بطل ودع الحسين وسلم عليه وأسله إلى من
خلفه ليدافع عنه، حتى قاتروه جميعاً ليلقوه في الجنة.
هؤلاء هم الأبطال الأشراف الذين سبقي أساؤهم
درة في تاج التاريخ تلعب أبداً قضى للسايرين طريقهم
إلى النبيل والشرف والمجد: حبيب بن مظاهر، وزهير
بن المتيق، والحرب بن زيد الذي كفر عن خطيبته،
وتلب من ذنبه، ورحمة الله على الجميع

زينب - أنظري يا فاطمة لقد وصلنا إلى المدينة
فاطمة - خرجنا منها منذ شهرين فسحنا
في الأرض وروينا العراق والشام ولكننا كنا كالسبايا.
لقد خسروا كل شيء، آه، أين أنت يا أخي تستقبلنا، أين
فتيان بني هاشم يحفون بنا، أين رجالك وأسرّة النبي..

زينب - يا فاطمة، إنهم ذهبوا ولكن الله باقر
فاطمة - هذه داركم يا آل النبي، فتجعروا
فيها الأكلام. هذه النار فاذكروا ما كتبها الدين
احتوام جوف الأرض من كربلاء، هنا كانوا
يقيمون، وهنا كانوا...

على - قد بلنسا المسجد، فارتلى فسلى على
الرسول. إرتلى يا عمّة

فاطمة - السلام عليك يا رسول الله... يا جدي..
لقد قتله انتك الحرد..

على - لقد نسيت أنك هنا، ما كان لي أن
أتكلم عن بني أمية بمجمع منك

الدليل - ولم يا سيدي؟ إني من جنود أمية
ولكنني محب لكم ولذلك محبتكم. وهل يتم إسلام
امرئ ينفذ آل بيت نبيه؟ إني والله ما أوتر عليكم
بني أمية، ولكننا كلمة الحق

على - وما هي كلمة الحق؟

الدليل - هي أن أمير المؤمنين يزيد لم يرد قتل
أبي عبد الله ولم يأمر به، ولقد كتب إلى ابن زياد
ألا يقاتل من لم يقاتله

على - لقد عرف ذلك الحسين، فسأل القوم
أن يدعوه حتى يضع يده في يد يزيد، أو يعصى إلى
تتضمن ثغور المسلمين فيقاتل فيه للشركين، أو يعود
من حيث جاء

الدليل - أنصنعهم والله! ولو قدم على يزيد
لوجده مبيحاً له، غارقاً بقدره، إني لم يمنه دينه
من قتله، منعتهم مروءة، وهو ابن عمه، أن يرمي
نسائه، ويهتك أستاره

على - صدقت والله، ما رأينا من يزيد إلا
خيبراً. أحسن إلينا ولن ابن سمية وترحم على الحسين،
وكان قصره من البكاء على أبي عبد الله كأنه في
مناعة^(١). ولكن المجرم شمر بن ذى الجوشن
فاطمة - هذا الذي أوقد النار وضرأها.
لتنزل عليه المنة الحمراء. ليكن ملموناً على كل لسان
إلى قيام الساعة

على - وعبيد الله بن زياد

فاطمة - هذا الذي أمر بها، هذا الذي
ضرب بقضيبه فاقبله رسول الله. لتنزل عليه المنة
الحمراء. ليكن ملموناً على كل لسان إلى قيام الساعة

(١) تاريخ الطبري. والكتاب الذي لنقص منه هذا
النص. مأخوذة من نسخة الطبري.

كان لصاً

عن الإنجليزية

بقلم الأستاذ عبد اللطيف النشار

قالت صوفيا بصوت خفيض المنصب
« كلا يا ابن أخى قلن أتركك تذهب
بمدغيا بك صنة كاملة، ولا يهمني عيبتك
متأخراً كان رؤيتك عندى خير من نوم
ساعة أو ساعتين . إذهب إلى الباب
وسأكون عندك قبل أن تصل إليه »

ثم أسرع إلى الباب والشعلة في يدها ويدها
الأخرى تمتد إليه لترحيب به

وفي بضع دقائق أوقدت النار في المطبخ . ولما
عادت بالطعام قالت : « يظهر أنك جائع وأنت محس
بشبع شديد، فكل ثم أخبرني أين كنت وماذا كنت
تفعل في هذه الليلة ؟ »

اكتته لم يظهر اهتماماً بالطعام وقال : « لم أكن
في حالة مرضية في تلك الليلة لأنه ليس من السهل
على الإنسان أن يهرب من شهرته »

وكانت اللجة التي يتكلم بها دالة على الامتناع
الشديد فقالت : « لكن ذهابك كان حادثة شديدة
منك لأنه حمل الناس على كثرة الكلام ، فاهم
صدقوا الآن كل ما يقال عنك ونسبوك إلى الاجرام »
قان : « وأى شيء ينافي الحق في قولهم ؟
أليست السرقة إجراماً ؟ »

فاظهرت صوفيا دهشة شديدة ودنت يدها
على المنضدة وقالت : « سرقة ! إنك لم تكن تفسارفاً
ولن تكون كذلك . إن السرقة في نظري أكبر
من أن تتناول شيئاً ثم تنسى أن تضمه مكانه كما فعلت
في صندوق « البسكوت وعلبة المربي » من عند
البدا ... إن السرقة هي رغبة الحصول على الثروة
وابتلاء الثبر بالفقر في هذا السيل . وهؤلاء
يستحقون الشنق »

قال : إنك لتدهشينني بتفكيرك على هذا النحو

كانت الليلة هادئة حارة من الليالي التي يصادف
أن تكون كذلك في خلال شهر أكتوبر فتذكر
بليالي الصيف وتحمل الناس على فتح النوافذ والأبواب
لاستنشاق النسيم الشبع برائحة الأزهار ، ودقت
أجراس الكنيسة مؤذنة بالساعة العاشرة فكانت
دقات تلك الأجراس هي الأصوات الوحيدة التي
شقت سكون الليل . واستيقظت عند سماعها الأنسة
صوفيا وكانت نائمة في حجرة أبيها بالكوخ الصغير
القريب من الكنيسة وقد تحلل الفرفة ضياء القمر
من النافذة المفتوحة .

وكانت صوفيا خفيفة النوم يوقظها أضعف
الأسوات وقد سمعت بعد استيقاظها بقليل حركة
خفيفة ولكنها غير عادية بالكوخ فقامت من السرير
وأطلت من النافذة فرأت رجلاً في الحديقة التي
أمامها رافقاً بصره نحو النافذة وقالت بصوت
ضئيف : « من هذا ؟ » ثم تبيتته فقالت : « أنت
توم كلانثلي ؟ »

أجابها الرجل بمثل صوتها خفوتاً : « نعم يا خالتي
صوفيا »

قالت : « إذن فامشي نحو الباب ، وفي دقيقة
سأفتح لك »

لكن الرجل ظل واقفاً في مكانه وقال : « لا تفتحني
فقد نسيت أنك أتبركون في النوم ؛ وإنا الآن في
ساعة متأخرة ، وسأنام الليلة في القرية مع بعض أصحابي
وآتي إليكم في الصباح لأتناول معكم طعام الأضياف »

وانى لأتقن تمام الثقة بأنك ستكون مستقياً
لأجل رسائى »

فقال توم : « كلا كلا ياغالى فانك أحسنت إلى
كثيراً فى الماضى وأظهرت بى ثقة عظيمة
فالت : « إذا لم تأخذ هذه الأوائى فالى سأميما
فى الصباح وأضع فمها تحت تصرفك »

فتغيرت حاله توم فجاءه عند ما رأى تشبهاً باظهار
المطف عليه وقال : « إننى على كل حال سأرد ما آخذ
سواء منك أو من غيرك بعد حصولى على العمل .
وأقسم انى سأؤم الاستقامة لسبب واحد هو أن
يكون ظن الناس بى وتقهم مثل ظنك وتقتك »
فالت : « أشكر لك هذا الشعور والآن قد آن
وقت النوم »

ودلته على الغرفة التى سينام فيها ، فقال إنه سينام
فى أقل من ربع ساعة . وتركته قائلة إنها ستنام أيضاً
ولكنها لأول مرة فى حياتها لم تف بما قالته
فذهبت إلى غرفتها لتقاوم النوم ولتراقب الحديقة .
فلما اقتضت نصف ساعة رأت شيئاً يخرج من الدور
الأرضى فى الكوخ ، فتنهت وأظهرت ارتياحها
وقالت : « الآن أحمد الله على خروج اللص وعلى
أنى بإهدائى إلى ابن اختى ما أهديت لم أحسن شيئاً ،
بل أهديت إليه ما تركه اللص هنا حين سمع صوتى .

وكانت الحقيقة أن لصاً دخل فى المنزل قبل مجئ
توم ، فلما سمع صوت صوفيا اختبأ وترك الأوائى الفضية ؛
ثم سمع ما دار من الحديث ، فانتظر حتى هدأت
الأسوات وخرج قائماً حين رأى اللص الآخر قد
تاب ، وحين رأى غير اللصة تسرق اللصين معاً
عبر المطف النشار

لأنه لم يدمنى ما يبرر ثقتك بى فقد فردت دون
أن أحاول تبرئة نفسى »

فالت : « نعم وقد كنت أدرك أنك غير
مستريح » فقال : « ولكن لو كان كل الناس يظنون
بى كما تظنين وبما لومنى مثل معاملتك لكان حظى
حظاً آخر »

فأطالت صوفيا النظر إلى وجهه وقالت :
« ولكنى أفاضى هنا عادل ، ولم يمكن تحت ما يدعو
إلى الظن بضياع الحقيقة لو أردت إظهارها »
فقال : « هي أن الحقيقة كانت ضدي فكان
فى إظهارها إساءة لسمعتك وتنتيص لك »

رفعت صوفيا رأسها بشكل يدل على الزهوء قالت :
« إنك لا تفعل ما يسبب لى ذلك ، فانك كنت باراً
بأمك وكنت تحبها وتحشى عليها وأنا أحبك مثل
حبك وأتقن بأنك لن تفعل ما يفتن حياتى »
فقال : « ولكنى وأنا أدري بنفسى أنصح لك
بالأتمال إلى بقائى عندك . وقد زرتك الليلة لأعرف
كيف حالتك المالية لأنى بحاجة إلى ثوب جديد
وحذاء وقيمة حتى أظهر بمظهر محترم لأنى قد
وجدت عملاً »

فالت صوفيا وقد تلاشت الابهامة التى كانت
مرتبعة على وجهها : « وهل تريد مالاً يا توم ؟ إنه
ليس لى مال فقد صرفت مصاريف كثيرة فى هذه
الأيام . ودفعت أجرة المنزل . و ... »

فقال : « إننى لأريد أن أخذ المال منك ياغالى »
فالت : « ولكنى أنا أيضاً لا أتركك بنير مال
ما دام الأمر يؤدى إلى وجود عمل لك »
ثم حدثت النظر إليه وقالت : « أصغ إلى يا توم
خذ هذه الأوائى الفضية وبها واشتر لنفسك ما تريد .

عَجُوزُ الصُّورِ الْمُتَحَكِّمَةِ

للكاتب الأستباني بلاسيكو إيبانيز
بقلم الأديب محمد محمود دزارة

— سيدى الضابط ! ليست المرأة
التي أمامك سوى بائنة من البائعات
التجولات . أبيع أنواع الخضر على
عربة يد صغيرة وقد اخترت لنفسى
شارع « ترين » فجعلته منطقة تجارى
مندأربين عاماً ياسيدى أقوم بهذه

المهمة وأحيا تلك الحياة ...

حاول الرئيس أن يقاطعها ولكنها استمرت
في حديثها غير عابئة بمقاطعتها بل بدأ في صوتها
لون من ألوان الاحتجاج
— ليدعى سيدى الضابط أحدثت كاشاء .
إن كل امرئ يميز عن نفسه بقدر طاقته ، وكل
إنسان يتحدث على قدر عقله

فاعتدل الرئيس في جلسته وأثنى رأسه إلى الوراء
ثم تناول فتاحة الرسائل بين أصابعه وأخذ في
تحريكها بمنة وبسرة . لقد عودته الصبر مرتبة ودرسته
ثرثرة التهمين أن يكون أكثر صبراً من أيوب .
وما هو ذا قد أعد نفسه للموقف الخطير !

— في عام ١٨٧٠ ، أيام الحرب السابقة لهذه
الحرب الضروس القاعة الآن ، كنت في العشرين
من عمري ، وكان زوجي العزيز جندياً من جنود
الحرس الوطنى في الوقت الذى حوصرت فيه
باريس . وحدث أن جرح هذا المسكين في أثناء
موقعة من الواقع التي قامت بين الفرنسيين وأعدائهم
الألمان فبذلت ما تستطيع امرأة أن تبذل في سبيل
إنقاذ حياته ، ولكنى اضطررت بذلك أن أعمل
وأن أعمل بكل ما أوتيت من قوة كي أعيش وكى
يعيش معي زوج عاجز عن العمل وابنة لم يهبنا الله
غيرها . ومات زوجي كما مات ابني — وأأسنى —

رفع رئيس الشرطة ناظره متأملاً للمرأة السنّة
ذات الشعر الذى وشمه الشيب فأصبح ذا لون
رمادى عجيب . كانت واقفة في مخاضل أمام مكتبه منذ
هنية ، ولكن سرعان ما انحذت لنفسها مجلساً على
مقدم قريب منه غير مأمور قولا منتظرة إذناً أو إشارة
وعاد الرئيس فألقى عليها نظرة فاحصة أخرى
ثم أخذ يفحص ورقة موضوعة أمامه ، هى تقرير
الاهام التقدم إليه من رجل الشرطة الواقف إلى جانبه
وقفة عسكرية نظامية وما لبث أن صاح موجهاً
حديثه إلى المجوز :

إحداث شغب في دار بين دور السيما . التفوه
بأنفاذ معينة في حق السلطات الحاكمة . التمدى
بالسب والاهانة باللفظ والاشارة على أحد رجال
الحفظ . تلك هى التهم الموجهة إليك فما هو دفاعك ؟
أما هى فكانت في تلك اللحظة تجيل الطرف
بين مكان الرئيس ومكان صريره وقد بدت عليها
علامات الدهول حتى كأنها لا ترى شيئاً أمامها

وانتهى الرئيس من توجيه التهم إليها فتقلعت
عضلات وجهها وبانت فيه علامات الدهش والاستغراب
ثم أغضت جفניה ثم عادت ففتحتهما كأنها تسقيظ
فجأة على أثر حلم عجيب ومهست قائلة :

والواقع أنني كنت أحب مهنتي . وعلى قدر
لحافك مد رجليك . وإلى وإن كان هذا مبلغ فقري
وحاجتي أصرح بأنني لا أميل ولا أطمح إلى تلك
الحياة التي يحياها هؤلاء الفنانون . ألسنت ترى
على حق يا سيدي ؟

وهنا أمسك الضابط عن الصغير وأجبه إلى
المرأة وجعل يتفرس وجهها منها . لعله كان يعرف
الحفيدة، تلك الزائفة النابذة الكركر . ولعل هذا هو
سر ذلك التطور في موقفه
واستطردت المجوز قائلة :

— أما مبدودي ؛ أما أحب الناس إلى وأقربهم
إلي قلبي وعاطفتي فقد كان حفيدي أليبر . كان
في ذلك الوقت الذي أحدثك عنه عاملاً في أحد
المصانع الكبرى . كان عاملاً من أنشط العمال
وأهمهم وكان يميل إلى المدرس ومطالمة الكتب .
وكثيراً ما كنت أزوره على الرغم من كرمي الاختلاط
بالناس وإشاري المزمة والانفراد بعيداً عن العالم .
وكنت كلما زرتُه جعلت هي الأول مساعدة زوجته
في أعمالها المنزلية وملاعبة طفله الوحيد الذي هو
حفيد ابنتي يا سيدي ! تصور مقدار مافي ذلك من
سعادة وهناء ! ليس كل إنسان يستطيع أن يحظى
بنعمة الحياة حتى يرى ببني رأسه أولاداً أحفاده

وصممت لحظة قصيرة ، سبحت في أثنائها في
عالم من الذكريات السعيدة ثم تنمت قائلة :

— ما كان أسعد تلك الأيام يا سيدي ! تلك
الأيام التي سبقت الحرب . قصدنا في يوم من أيام
الأحد إلى خارج المدينة ، وسط الريف الجميل كي
نحتفل بتعيين أليبر رئيساً لعمال مصنعهم ؛ وجلسنا هناك

بمد قليل تاركاً لي من يدها حفيدين
وتوقفت المجوز لحظة عن الحديث حتى ترى
أثر حديتها في الرجلين . غير أنها لم تستطع أن
تقطع في الأمر بحكم أو قرار . فقد كان رئيس النقطة
يصغر صغيراً خائفاً وهو يقلب الفتاحة بين أصابعه
في عصبية ودهل بينما عيناها تتطلعان إلى سقف
الحجرة . وأما الشرطي الذي جاء بها إلى هذا المكان
فقد كان واقفاً في مكانه إلى جانب رئيسه تلك الوقفة
النظامية كما حسن ما يقف الجندي النظامي الذي
لا يختلف في سكونه وجوده من تمثال صخري

هل تسكت عن الكلام ؟ هل تحتاج ؟ كلا
إنها لا تستطيع . . . ما من الحديث مقر ، وإذن
فلتحدث ولتحدث غير آبهة بموقف السامعين منها
— أما حفيدي جوليت فهي راقصة من راقصات
السارح ، وهي شخصية معروفة جداً ، ولا أحسب
إلا أن سيدي الضابط قد رأى صورتها منشورة
في إحدى الصحف أو ملصقة على جدار من جدران
المدينة . نعم إنني لا أراها ولا ألتقي بها كثيراً إلا
في فترات متباعدة جداً ، ولكنني أحبها الحب كله .
وقد حدث مرة بينما كنت أدفع عربة خضري
وأسير بها في أحد الشوارع أن كادت سيارتها
القفعة تصدمني وتروق مني ، ولكنني سكت راضية
بينما ضاحكت بي هي :

— إنها فطنتك يا جدي . لماذا تصرين على
احتراف مهنة البيع والشراء ؟

ولماذا أفضل إذن يا بنيتي ؟ لقد كان حباً على أن
أشبهن هذه الهمزة عندما كانت هي وشقيقها طفلين
صغيرين لأقوم بواجب الإنفاق عليهم وسد حاجتهما .

وكأنها حدثت فذكرت وعندها بأن تختصر الكلام إذا ما تحدثت عن الحرب فبذلت جهد الجسارة في التئبل على عاطفتها وتركزت الكلام عن الحرب فضلاً :

— وتسل أرملة ألبير الآن في أحد مصانع المواد المفرقة الواقعة في الناحية الأخرى من باريس. ولست أرى ابن حفيدي إلا صرعات قليلة متباعدة إذ على كل إنسان أن يهتم لأمره ميسسته

ولمّا أخجل من ذكر الحقيقة : إنني مذمات ألبير وأنا أكثر من التردد على إحدى الحانات . وكلّ يحاول إغراق موموه والتئبل عليها بالطريقة التي يعرفها . لقد تجاوزت السبعين ، وفي هذه السن وخاصة إذا كان الإنسان مثلي مضطراً إلى الاستيقاظ مع الفجر وإلى الذهاب إلى الأسواق الرئيسية لشراء بضاعته التي يبيع منها ، أرى أن كوبة صغيرة من التئبل هي خير دواء . أليس كذلك ياسيدي ؟

صمت الضابط ولم يجب على سؤالها الأخير ، وكان معنى هذا : بطبيعة الحال أنه رأى سؤالاً غير لائق

ولكنها استمرت في الحديث وبدأت بأسلوبها وفي طريقة إلقاءها شيء من الحدة والحرارة مما دل على أنها كانت تقترب من النقطة الحساسة في موضوعها .

— وفي هذه الليلة الباردة ، بعد الثروب بقليل ذهبت إلى الحانة بحجة السم كراتكفيل . وقد اعتدت أن ألتقي بهذا الرجل هناك في كل مساء ، وتركنا المكان مساءً حوالي الساعة التاسعة ، ولست أدري لم وقفت أمام باب إحدى دور الصور المتحركة ؟ ولماذا رغبت في الدخول ؟ لفنت نظري صورة مكبرة تمثل

على شاطئ السين حيث تناولنا الطعام والدماغ ، هنيئاً هربياً ...

. وبعد أسبوعين اثنين حدث ما كنا نخشى ، إذ أعلنت الحرب ...

وفي هذه اللحظة أبدى الرئيس حركة من حركات الضيق نسبها المرأة إلى كرهه الاستماع إلى شيء يمت إلى الحرب بصفة قتالت :

— نعم ياسيدي ، بيدك الحق ، فأنا أعلم أنه قد صرحت علينا أربع سنوات عجاف من جراء هذه الحرب ، وأن سيرة تلك النكبة تذهب بحلم أشد الناس رزاة وثباتاً . وقد أخبروني أن للمارح والجرائد السيارة ملت هي الأخرى تزد يد سيرة تلك الحرب ووقائعها الهامة . أعرف هذا حق المعرفة كما أعرف أن حكايتي تشبه حكايات الكثيرين والكثيرات غيري

انضم ألبير إلى إحدى الفرق الحارّة إثر إعلان الحرب فلم أره إلا بعد مضي عام عند ما عاد من الليتان صردياً حلتته العسكرية ، ثم عاد مرة ثانية ، وأخيراً اعتلت احتمال أمر غيابه عن المنزل . وكان لا يحظر بيال قط أن ألبير كغيره من الناس يستطيع الموت أن يبدو عليه

غير أنه حدث في ذات يوم أن تسعت وريقة صغيرة لم أستطع بعد أن تلوت ما حوت من كلمات إلا أن أصرخ بأكية مولولة كما صاحت مي زوجته وبعد أيام قليلة أقبل واحد من زملائه في الفرقة حاملاً منه بعض متاع حفيدي العزيز ...

وهنا أجهشت المجوز بالبكاء وخفت صوتها خفوتاً ظاهراً وهي تقول :

— لم أره بعد ذلك ياسيدي ، فقد قتله

ليس من شأنه ولكنه أراد تمثيل دور البطل الذي
يجيء لإقناده الفتاة النبيلة في اللحظة الأخيرة ،
فألقيت عليه هو الآخر درساً لا أنسه بنساء ...

وفي داخل النار لازمني سوء الحظ أيضاً
وقاد خطواتي الشيطان فبدأ جيراني يتذمرون
ويتهمونني بأنني كنت أدوس أقدامهم ، حتى أن
بعضهم لقيني بلقب غريب هو « الحيزبون القطة »
والحقيقة يا سيدي أنني لم أدس أقدامهم وإنما
هي نواياهم السيئة التي أوحت إليهم هذا الادعاء ، وأنا
شخصياً لا أبض شيئاً في الحياة قدر ينضى لضايقة
الآخرين .

وقد تيرعت امرأة سمينة كانت تجلس إلى جانبي
بتشييعي يرميل الخمر من حيث الراحة ...

يرميل الخمر يا سيدي؟ هذا كثير . هذا لا يجتمل .
عند ذلك اضطرت أنا الأخرى إلى إسماعها رأيي
الخاص فيها ؛ فضج الجمهور واحتج ، ولكن
احتجاجهم لم يكن منصباً إلا على وحدي دون
غيري بدعوى أنني أفسد المرض وأنني أشغلهم
عن الشاهدة ، ولكن ذلك لم يسكنني قط . وإن
كنت قد سكنت أخيراً فأنا ما كان ذلك لأن قصة
الفتاة الأتراسية كانت قد بدأت ...

هي قصة مسلية جداً يا سيدي ، كنت أحب
أن أقصها على مسامك ، لولا غفلة الاطالة
والاملال ... وعلى كل حال لا داعي لذلك فلست
أعرف كيف انتهت ولا كيف كانت خاتمتها . لم
يركزني أستكمل الشاهدة يا سيدي

وماد الضابط مرة ثانية إلى التأمل في سقف
الحجرة وإلى الصفير محاولاً الترفيه عن نفسه

— وكان هناك سيد يجلس خلى تبدو عليه

فتاة أتراسية جميلة ، أمسك بها جندي ألماني ضخم
اللفة كأنه الحيوان المفترس بينما أخذت المنكينة
تبذل أقصى مجهود بدني للدفاع عن نفسها وانخلاص
من قبضته . وأنا أحب القصص التي من هذا النوع ؛
ولل ذلك يرجع إلى أنني من أشد الناس تمسكاً
للوطن . وصرخ ذلك إلى أنني شهدت حروبين
مختلفتين ؛ ولكن دعنا من هذا ولترك الحديث
عن الحرب ...

ورفض ألم كراكتفيل أن يصحبني في الدخول
إلى النار مع أنني عرضت عليه عن تذكرته . والواقع
أنني لا أعرف أى الأشياء يجب هذا الرجل وأى
شيء يكره ؛ فقد تعود أن يقابل كل ما يلقى بإبتسامة
واحدة لا تتغير ولا تتبدل

وإن قد دخلت النار وحدي وكان هذا لسوء
حظي . ألم يلاحظ سيدي ظاهرة عجيبة في حياة
الإنسان ؟ ألم يلفت نظره مرة كيف تصادي
الظروف أحد الناس باستمرار ؟ وكيف أنه كلما حاول
مقصداً انقلب إلى تقصيه ، وكلما جهد في سبيل جلب
النسود إلى قلوب الناس آذاهم وأذى شعورهم
وعواطفهم حتى كأنما الشيطان بنفسه يقوده ويوجهه
خطاه وحرركاته ؟ ولم يتنازل الضابط بالإجابة على هذا
التساؤل أيضاً

— تساجرت مع بائنة التناكر من أجل قطعة
من قطع العملة أدعت هي أنها مزيفة
ولم تقبلها بحال من الأحوال ، وأصررت أنا على
أنها عملة جيدة لا حيب فيها ؛ ولكنها لم تستمع
لكلامي فأغضبني هذا غضباً شديداً وقلت لها إنها
لا تعرف التميز بين أمتها وبين ...

وعندئذ تدخل حارس الباب يبتئنا ، مع أن هذا

ذلك أننى ذهبت بمضى أقدام الناس في خشونه ،
أو دفعتهم أمامى في شدة ، ولكن عذرى في ذلك أننى
لم أكن قط في كامل شمورى . وهاج التفرجون
وماجوا ، وتدخل عمال البار في الأرض فاعتزوا
طريقى نحو حفيدى وأحاطوا بى إحاطة السوار
بالمصم ، ولم يقبل أحد أن يستمع إلى كلاى ، إذ كان
الجميع يعتقدون اعتقاداً جازماً أن ما حدث
إنما كان من فعل الحجر في رأسى ، وبدأوا في دفنى
نحو باب الخروج في قسوة وشدة حتى اضطربت
إلى استعمال قبضة يدى في الدفاع عن نفسى . وجاء
الشرطى الواقف الآن إلى جانب سيدى ، والذى
يقولون إننى سييته وأهنته ومعضته في إحدى
يديه مما لا أدرى كيف أمكن أن يصدر عنى . يحيل
إلى أننى كنت في حال هى إلى الجنون أقرب منها
إلى العقل . وجذبى الشرطى إلى الخارج وجاء بى
إلى هذا المكان دون أن يسمح لى بالكلام أو شرح
الوقف ، وبذلك لم يتح لى فرصة البقاء لشاهدة أليبر
وتلا ذلك فترة سكون طويلة كانت المجوز في
أثناءها تسكب البمع من عينها مدراراً إلى أن قالت :
— وهكذا التقيت بحفيدى أليبر أخيراً —
وانحنى أمام الضابط انحناء الخضوع والامتثال
وقالت :

— استمع للسيد عذراً وعفواً
ثم انحنت مرة أخرى أمام الشرطى الذى
ساقها إلى ذلك المكان وقالت :
— كما أطلب عفو سيدى

ثم وقفت وقفة الدل مطاطئة الرأس مشبوة
اليدى على الصدر ، عرضية المينين نحو الأرض ، وظلت
صامتة وهى تشرع في قرارة نفسها أن دفاعها عن

دلائل المعرفة والعلم بما يتعلق بالصورة المتحركة . سمعت
هذا السيد يمدى رأيه في العلم المروض لبعض
جيرانه في صوت خفيض . وعلى حين غرة تقدم
الفتاة اللازاسية إلى مقدمة الستار محاولة الفرار من
مطاردها . ثم يبدأون بعد ذلك مباشرة في عرض
مناظر الخنادق المزدهجة بالجند ومطابخ المسكرات
والدفاع

قال السيد العالم بشئون الصور المتحركة الجالس
خلفي : إن هذه المناظر في الواقع قطعة من التاريخ ،
ولإنها ... ماذا أقول ؟ هى مقتطفات واقعية أضيفت
إلى صور العلم . هل استطعت التعبير : يا سيدى ؟
هذه الإضافات أشبه شئ بقطع من التماس
الجديدة التى ترفع بها الأبواب البالية لتبدو أحسن
منظراً . ولكنى لا أعرف شيئاً أثبتة عن الصور
المتحركة ، وغاية ما كنت أشعر به هو أن ما أرى
ظريف ظريف ، بل بالغ الغاية من النظرف والطرافة
وبعد ذلك ظهر على الستار منظر يمثل خندقاً
من الداخل ، ورأينا جنداً كثيرين في وقت راحتهم ،
وكان أحدهم أخذاً في تحرير خطاب وهو مسند
الورقة على إحدى ركبتيه بينما كان ظهره متيحاً نحو
النظارة ، ثم أخذ في تحريك رأسه قليلاً قليلاً حتى
ظهر وجهه ثم ابسم للتفرجين

حينئذ فصحت هين جيداً وجعلت أدق النظر .
إننى لست عمية ... ولا شك أننى أستطيع تمييز
ما أمامى من مرئيات ... كدث أصبح بكل ما فى
حنجرتى من قوة ... إنه حفيدى

ونهضت من مكاني واقفة كي أمكن من رؤيته
جيداً . وحاولت أن أسرع إليه مهولة فاحتضنه
وأشبهه غنا وتقبلاً . وقد يكون حدث فى أثناء

أذى ، ولكنها كانت تشمر بالخجل ولا تميل إلى رؤية أحد من مزارعها في ذلك الوقت حتى لا يلتبس عليه الأمر ويظن بها الظنون . وعند ما وصلت إلى الشارع العام تفتت بمنة وبسرة وأمامها وخلفها ، فلما لم تر أحداً جمت أطراف ثوبها في كلتا يديها وأسرت المدو بقوة الشباب بينما أخذت عضلات وجهها في التمدد والتقلص تبعاً لتردد أنفاسها وقد خرجت بعض خصلات من شعرها الأبيض من تحت التفتاح المزركش الذي يغطي رأسها .

وصلت إلى دار السينا فرأت الجموع الأخيرة من التفرجين يخرجون والعمال يقومون بإطفاء الأنوار ورفض الضور الموضوع في الخارج فوقفت على مقربة من الباب ترتب حركاتهم وهي ساكنة لا تتحرك ، مستندة بذراعها على الحائط وأسندت رأسها بيدها الأخرى وأخذت تبكي بشموخ المرأة التي فقدت طفلاً عزيزاً وتتمت أخيراً عددة نفسها :

— يا إلهي! ... أملئ الآن أن أنتظر حتى النداء؛
أنتظر حتى النداء لأرى صنيدي الم محبوب ...

وفي الليلة التالية دخلت المرأة دار السينا في أدب جم . وعند ما اقتربت من نافذة بيع التذاكر أدارت وجهها إلى الناحية الأخرى حتى تتعاضى رؤية العامة لها وإياها ولكن حارس الباب رآها واستطاع أن يميزها فاقرب منها وقال :

— لا . لا . هل أنتت الليلة لتكرري فضيحة الأمس ؟ لا تذكره لك يا سيدي

ثم حاول إخراجها ... ولكنها نظرت إليه ضارعة وقالت :

نفسها لا يبد بالغ إلى قلب الضابط بينما كانت الدموع تنهمر من عينيها قهبط جارية على وجنتيها المجدنتين

ومكث الضابط في صمته لحظة ثم نظر إلى الشرطي الواقف إلى جانبه وهو رجل ضخم الجثة يحمل على صدره صليب الحرب وقد نعلت ذراعه بشرائط تدل على طول المدة التي قضاها في الخدمة ، فبادل الشرطي النظر وقد كان يستمع إلى حديث المرأة في حياء تام طول هذه المدة ولم يد منه ما يدل على التأثر كالم تبد منه حركة إلا قيامه بقتل شمرات شاربه مرآت . وكأنما كانت هاتان النظرتان كافتين لتنام التفتاح بين الرجلين ، إذ أمسك الضابط بمد ذلك بالترقير الذي قدمه الشرطي إليه فتناوله بإياه فلم يكذب يتناولوه حتى أخذ يمزقه دون أن ينسب ميتة شفة

وقال الضابط :

— في استطاعتك الانصراف يا سيدي المحترمة وكأنما استيقظت المرأة من حلم آخر . أحقيقة أنهم يغفلون سبيلها ؟ أم تستطيع الآن أن تذهب حينما تشاء ؟ ما أشد رجيمهم ! ... ولكنها قبل أن تهم بالخروج انجذبت نحو الضابط وقالت :

— وهل أستطيع أن أعود إلى دار السينا ؟ هل يسمحون لي برؤية حفيدي مرة واحدة في كل ليلة ؟

فلم يسع الرجلين إلا أن يضحكا من سذاجتها ، وإلا أن يقولوا لها إنها تستطيع أن تفعل ذلك كلما أرادت

وخرجت أخيراً من مركز الشرطة دون

تلك اللحظة ما حدث لها بالأمس تارتعت فرقا .
 إنها لو صاحت الآن أو تكلمت لرى بها الناس إلى
 الخارج مرة ثانية ولحرموها نهائيا من ارتياد النار
 وبذلك يتم حرمانها إلى الأبد من رؤية جنديها الباسل
 دفعا الخوف إلى الورااء وأسكن حركاتها وغلض
 عواطفها المتبانية ووجدانها الشقي في بضع قطرات
 من الدموع سالت على خديها ، ولكن ترفه عن
 نفسها بمض الشيء أخذت تتمم في صوت
 خافت إلا أنه عميق لأنه خارج من صميم قلبها ،
 وكانت عينها ترقبان القصة من فوق الستار
 — أليبر يا سيدي ... هانا أمامك ... ألا
 تترقبى ؟ سأحضر لمشاهدتك كل مساء ... في كل
 مساء يا أليبر

وفي الليلة التالية قل بكأوها عن ذي قبل فقد
 بدأت تمتد مشاهدة هذه القصة
 وعند دخولها النار تحدثت إلى حارس الباب
 كما لو كان صديقاً قديماً . قالت وهي تحاوله :
 — أشهدت كيف أجاد حفيدي اللعب ؟
 فلم يسع الرجل الذي لم يكن يبرح حديثها كثيراً
 من الاهتمام إلا أن تبادل نظرة مع طاملة « شبك
 التناكر » وكأنه كان يسألها عن رأيها في مبلغ حق
 هذه المعجوز

وعادت المعجوز إلى مسكنها ولكنها لم تستطع
 النوم إلا بعد جهد جهيد ... كان ضميرها يذنبها
 ويؤنبها ... إنها أمانة ... نعم أمانة محبة لها .
 ألم تستأثر بكل هذه اللذة التي اكتشفت مصدرها
 لنفسها بينما كان لأليبر في عالم الأحياء أناس آخرون

— دعني أدخل يا سيدي الفاضل ... لقد
 أنيت لأرى حفيدي وأعدك وعداً صادقاً أنني لن
 أنبكم الليلة . فكان لحديثها الساذج هذا أثره
 في الرجل جرده من كل سلاح ، فضحك كما ضحكت
 طاملة التناكر وسبحا لها بالدخول ، فاحتضت أمامها
 شاكرة كما أنت أمام الشرطي الواقف أمام الباب
 وعند ما صارت داخل المكان أبدت من
 الأدب الجلم ما لفت لها الأنظار ... صارت تحيي
 كل من تلقى به وتنحني أمام الدين تعرفهم ومن
 لا معرفة لها بهم حتى تضايق الجميع وصاروا ينظرون
 إليها شذراً وكان نظراتهم تنطق بمعنى واحد هو
 الاستعزاز

وانكشفت في مجلسها محاولة شغل أقل فراغ
 ممكن حتى لا تضايق جيرانها ، ثم جعلت تنظر
 حوالها نظرات مختلصة ترى تأثير ذلك السلوك في
 التفرجين هل حاز قبولهم أم لم يحزه ؟

— وبدأ المرض ففسيت المالم بأجمه وبكل
 حفاقة ؛ وظهر الجندي الألمانى وبدأ في مطاردته
 للفناء الأثراسية وأخذ موضوع القصة يتمدد ؛
 وسرمان ما ظهرت الخنادق وظهر الجندي
 بظله المتجه نحو النظارة وهو منهمك في كتابة
 خطاب وقد استند على إحدى ركبتيه ثم أجمه بوجهه
 ناحية النظارة ، فلم تتكلم المسكينة أن همست :

— أليبر ... أليبر

كانت عليها أن تبذل جهداً هائلاً لكي
 تتمكن من كبس طامتها . فتشجرت تلك
 الصرخة في حنجرتها ، وكادت تصل إلى حالة من
 اليأس من التنب على شعورها لولا أن ذكرت في

كان وجه الأرملة شديد الشحوب ، وكانت عينها أكثر انساعاً مما عهدتها المرأة ، قد أحاط بهما وتحيط هاتان سوداوان . وما كادت تسمع خبر ظهور زوجها ألبير في دار الصور المتحركة بمد مقفله حتى استخرطت في البكاء وقالت في صوت غتقت :

— كيف يمكن هذا يا جدي ؟

وتكلمت المجوز بمحاولة الشرح والايضاح ، ولكن الأرملة حاولت عبثاً أن تفهم ما تقول : وأخذت المجوز تردد كلمات الرجل الذي جلس خلفها في دار اللعينة وتكرر شرحه الذي لم تكن هي نفسها تفهم منه حرفاً واحداً ، وأخيراً ختمت حديثها قائلة :

— دعينا من هذا كله ... الواقع أن البير يظهر الآن على ستار السينما؟ فاعليك إلا أن تحضري أنت ووليك لرؤيته؛ وسوف أتعطركا هذا المساء قالت هذا القول في لهجة بخيل لسامعها أنها سادة من فم ملكة من اللكات تدعو بعض أتباعها ورعاياها للشول بين يديها في القصر الملكي !

— وسوف تجدانني في انتظاركما عند باب البار الواقعة في الناحية الأخرى من باريس واقترا بعد ذلك الحديث القصير على أن يلتقيا في المساء .

وفي الموعد المحدد وصلت الأرملة وولدها فكان لذلك وقع حسن على المجوز طربت له كل الطرب ؛ وكانت الأرملة تردى في ذلك الوقت ثوباً أسود جديداً كما ارتدى الطفل أحدث أثوابه وعند محاولت الأرملة أن تبتاع تذاكر الدخول

غيرها بهمهم أسرء ويسمدم أن يروه بمد أن فقدوا الأمل في رؤيته مرة أخرى ...

وما كادت شمس اليوم التالي تبرغ حتى أضرعت المجوز إلى السوق فباعت خضرها دون أن تهتم كثيراً بمبلغ ما تصيب من ربح ، ووضعت العربة في مكانها في وقت مبكر بالنسبة للوقت الذي اعتادت وضعا فيه في الأيام العادية ، ثم سارت ميممة ضواحي باريس إلى أن انتهت إلى المكان الذي تقصد . وهو مكان يكاد يكون مطلقاً لكثرة ما حوى من مصانع ضخمة ذات مداخن هائلة وأبنية كأنها المسجون هي التي يأوى إليها عمال تلك المصانع م وأسرم

واقتربت من أحد اللساكن سائلة عن زوج حفيدها وابنها ، فأخبرت بأن الطفل بالدرسة وأن أمه تعمل في المصنع ، فقصدت توجاً إلى ذلك المصنع ، غير أنها ما كادت تصل إلى هناك حتى منها الحارس — وهو جندي سابق — من الدخول قائلاً إنه من المستحيل عليها أن تدخل ، لأنهم يقومون الآن بصناعة الآلات الحربية وأطلت المجوز برأسها لترى ما ذا في داخل المصنع قبل أن تترك الحارس فوقع نظرها على جملة نساء منهكات في العمل وهن راغبات غايات وقد ارتدين ملابس طويلة من لون وأحذ ذات سراويل شيقة قد انتصفت بسوقهن وأغاذهن فجعلن أشبه بالتساقين من راكي الدراجات !

ودوى في المكان صوت جرس ضخم مؤذناً بحلول وقت النداء لمعاملات المصنع وعماله فخرجوا جميعاً واستطاعت المجوز أخيراً أن تلتقي بأرملة حفيدها وأن تتحدث إليها .

السن التي نسمع فيها عن الموت دون أن نعرف
كأنه أوحقبة

ولقد استطاع أن يعرف الجندي الذي ظهر
على الستار متجهاً بوجهه اليشم نحو النظارة ...
نعم لقد عرفه فقد رآه أخيراً في منزلهم في نفس
الراء الذي يرتديه الآن، ولكنه لم يد مرأة أخرى إلى
الترنل فلماذا لم يد ؟

وقف في مكانه ثم مد ذراعيه الصغيرتين نحو
الصور المتحركة أمامه وتتم في صوت منخفض قائلاً
— يا ... يا ...

ولكن أمه وجدته سرطان ما أجلسناه في مكانه
وأمراته بالصمت وقلباها يكادان يتفطران من
النم والأسى

وعند ما خرجوا من الدار قالت المعجوز :

— غداً نلقى في هذا المكان مرة أخرى
— ولكنني أقسم في أقصى حدود باريس بإحدى
ومن واجبي أن أستيقظ مبكرة للذهاب إلى المصنع
ولكنني أعد الطفل للذهاب للدرسة . إن الحضور
مرة أخرى إلى هذا المكان يكلفني ما لا طاقة لي
به ... ثم ما قائدة الحضور مرة ثانية ؟ لن يعود
أبداً إلى الحياة ... وهذه الصور تقتلني قتلاً بطيئاً
فرمقتها المعجوز شذراً ... لقد طالما شكت في
أن هذه المرأة الصغيرة لا قلب لها ... وما هو
ظنها يتحقق

— أجل ... يملك الحق يا بنية . إن الانسان
الوحيد الذي يذكر ألبير هو جدته المعجوز البائسة

وفي اليوم التالي كان الحزن مستولياً على المعجوز

اعترضت المعجوز واحتجت في قوة وحزم قائلة
— ماذا نعتين بصرفك هذا ؟ سأدفع أنا ثمن

التذاكر ، إن أصحاب الدار يعرفونني حق المعرفة
ويسامونني كفرد من أفراد أسرهم

ولكني تبرهن على صدق قولها تبادل بعض
كلمات المزاح مع عاملة التذاكر ثم صاغت حارس
الباب — عندها القديم — وقدمت إليه سيجاراً
رخيصاً اشتريته منذ دقائق لهذا الغرض وهي
تقول :

— الهدايا الصغيرة تحكم أوامر الصدقة .
أرجو يا صديقي العزيز قبول هذه الهدية النافذة
وفي داخل الدار حيث أحد الممال تحية الصديق
لصديقه الحميم ، ثم قالت وهي تنفحه يمين القطع
النحاسية :

— هذه هي زوج حفيدي الذي يعمل عندهم
في الروايات وهذا هو طفله

وأخذ الجميع مجلسهم في المقاعد التي أرشدتهم
إليها المابل ، وبدأ عرض القصة على المتفرجين ؛
وبدأت سلسلة غاؤها وأوامها . كانت تخشى وقوع
حادث يصدر عن الأرملة الجالسة إلى جانبها إذا
ما ظهر ألبير على الستار . غير أن الأرملة كانت في
الواقع من الذين يحتفلون بآلامهم في صمت وفي
شجاعة . جلست ترقب المناظر التي تتوالى أمامها
بينين ذاهلتين ثبتت حدتاهما فصاراً أشبه بينين
مدمني الودفين ، وجلست تصنط شفتيها بأسنانها
محاولة كبث عواطفها الثائرة وقد جرت مدامها على
وجنتها في أطراد

أما الطفل فكان يشاهد الرواية في برادة تلك

الآن، ولقد علمته الحياة ألا بهم شيء في الوجود وأن ينظر إلى الخطير من الأمور نظره إلى التافه منها

ضغطت المجوز الرز الكهربائي ووقفت خلف الباب الضخم ترتب ثوبها الحريري الأسود متأملة إياه لتستوثق للكرة الأخيرة من ملاعته لها ثم تحتمت قائلة :

— لا بأس . إنه بلاغنى تماماً كما لو كان قد صنع لي خصيصاً لا لا ينقى ، ثم إن القماش الجيد سرعان ما يني عن نفسه

وكان رأسها عارياً ولكنها لم تكن ترى في ذلك من ضرر لأنها كانت دأمة المفاخرة بشعرها الأبيض الناعم ...

وصرت لحظة قصيرة أعقبها صوت خطى مقبلة نحو الباب . فلما فتحت ظهرت خلفه فتاة في مقبل الشباب ما كانت المجوز تراها حتى شعرت بالاشتزاز من حركاتها الصبيانية الطائشة ومن تلك النظرات الحادة التي كانت تلقيها عليها من أخمص القدم إلى شعر الرأس

— أينها المجوز الطينة القلب ! إن كنت قد أتيت تستجدين أو تطلين الساعدة من سيدة المنزل فاني آسفة أن أقول لك إن السيدة ليست هنا وأن عليك أن تكلفي نفسك عناء زيارتنا في يوم آخر

لا شك أن هذا الحديث أثار المجوز وأغضبها فجعلت ترمق الفتاة بنظرات حادة كما بدأت تتمم مرعدة بعض الشتائم الشديدة، ولكنها توقفت عن ذلك عند ما شمرت يدها بحسب كفيها والتفتت إلى الوراء لترى الشخص الذي اجترأ على الإمساك بها فوقع نظرها على سيارة نغمة قد وقفت عند

استيلاء تاماً ، فما كاد الليل يسدل ستاره على الكون حتى أخذت تطوف في الطرقات باحثة عن الممر كرافيل الذي اشتهر بين معارفه ولداً باسم « فيلسوف السوق » وبأنه لا بهم يشئون الآخرين فقد كانت تعلم أن الرجل على الرغم من اشتهاره بهذه الصفة يطفئ عليها وبهم بأمرها ...

وفي الحانة المهودة جلس الاثنان وأخذت المجوز تروي قصتها الأخيرة وأقصته أنها قد تغيرت تغيراً كلياً بعد ذلك الحادث الفذ الذي جد في حياتها ، حتى صارت امرأة أخرى غير التي كان يعرفها من قبل ، فهي تبسط يدها كل البسط وتلقي بالنقود هنا وهناك بين حساب . وهي تذهب إلى السوق متأخرة تشتري بضاعتها بأعلى الأثمان لتبيعها بعد ذلك بأجسها غير حاسبة حساباً للخسارة التي تلحق بها ، قال الفيلسوف :

— إنك تحلمين نفسك بنفسك . إنك تتحيرين . إن تصرفك هذا معناه ضياع رأس مالك قال هذا القول ولكنه لم يتمتع عن قبول أكواب الخمر التي كانت المجوز تطلبها له

وظلت المجوز جالبة إلى جانب الممر كرافيل إلى الساعة الثامنة مساء ثم نهضت فجأة وقالت :

— إلى اللقاء يا كرافيل . فاني ضاجة الآن لأخذ حقيقتي متى كنت تشاهد أخاها وهو يمثل في السينما

— ولكن حبيدك قتل — أعرف أنه قتل ... ولكنه مع ذلك يمثل في السينما

فبرز الرجل كتنفيه استخفافاً ولم يشكلم إذ كان يستعد أن الكلام في هذا الموضوع لا فائدة منه

مفترتات... ترهات... إنها أطيب ثقبات العالم قلباً وأطهر من سريرة ! ... غير أن هذا الحناض الزائد في النفاخ عن جوليت سرعان ما اعتراه بعض القنود عندما لاحظت المجوز برود الراقصة وقنودها لدى سماعها قصة الاكتشاف العظيم الذي اكتشفته في دار العود المتحركة

كان جوابها على خبر هذه المفاجأة الرائعة أن قالت — عجيب... هذا عجيب في الواقع !

ثم ثقبأت على أُر ذلك بتأريده المجوز منها فقالت: وأنت الآن قد أتيت يا جدي تريد أن أحبك لرؤيتي ليس كذلك ؟ حسن ! سأذهب معك الليلة، ولكن على شرط أن تبقي معي هنا لتتناول طعام المشاء معاً ... ولعل سيرة ألبير قد ذكرت الفتاة الراقصة بأمور أخرى فقد استأنفت الحديث قائلة : — نعم يا جدي لم يكن ألبير هو الوحيد الذي ذهب للحرب . هناك آخرون لا يزالون على قيد الحياة، وأمر هؤلاء يمض على القلب ويثير روح النكرة لهذه الحرب أكثر من أمر الذين استشهدوا واتبعي أمرهم

وكانت الراقصة تفكر في هذه اللحظة في صديقتها أوعشيقها وهو شاب غني جبيل لم تره مجوزاً الأسواق ولم تعرفه، وكانت الاشاعات ترشحه للزواج من جوليت وأزف موعد تناول الشاي فلم تستطع أن تتحدثاً بأكثر من ذلك إذ بدأ صديقات جوليت وزميلاتها يحدن على المنزل زراعات ووحداً وكانهن قد ارتدين أنغر اللثياب وأنمغن قيمة وأكثرها أناة؛ وأمام ألوانها الباهرة ودقة متاعها بهرت المجوز بل أخلفت عقيدتها في حفيدتها وسلوكها فتزعزع (٣)

الباب الخارجي للمنزل وهذه التي أمسكت بها هي السيدة الأنيقة صاحبة السيارة والتي هبطت منها لتضم المجوز إليها وهي تقول : — جدي... جدي...

وكانت أولى الملاحظات التي لاحظتها المجوز أن حفيدتها الراقصة الكبيرة كانت تلبس ثوب الحداد... نعم إنه ثوب فاخر غالي الثمن، ولكنه ثوب الحداد على كل حال... ولا شك أن اراقصة لم ترند هذا الثوب إلا حداداً على وفاة أخيها ألبير.. وعند ما أصبحت المجوز داخل المنزل صارت تتأمل أمانه وتجفه بين الاستغراب حتى ألوان الجدران الربة كانت تستلقت نظرها وتستدعي تأملها.

وما كانت تذكر اسم ألبير بمد ذلك ألام الراقصة حتى تحركت عاطفتها وبدأ عليها التأثير الشديد وترقرت الدموع في عينيها وهي تقول :

— كم كانت خسارتى فادحة بفقده . نعم إننا لم نكن على صلة عائلية دائمة ولم نكن على اتفاق لأنه لم يستطع أن يفهم كيف أحيا ولكنني كنت أحبه حباً عميقاً مكبوتاً...

وهنا تناولت صورة شمسية كانت موضوعة على منضدة صغيرة قريبة منها وأدنتها من فمها ثم طبت عليها قبلة حارة... ولم تكن سوى صورة ألبير.. كم أثر هذا الوفاء وهذا الاخلاص في قلب الجدة حتى أنها قالت عدة نفسها :

ومع هذا يتقولون الأكاذيب وزعمون المزاعم الخاطئة عن جوليت من أجل اللبنة التي اختارتها لنفسها والأسلوب الذي رسمته لحياتها... أكاذيب...

أى طفلة صغيرة تخشى المجتمعات إذا أرادت الفرار من مجتمع ما ... إلى أن وصلت أخيراً إلى غرفة الطعام ... وهناك استطاعت أن تستجمع شجاعته المفقودة فهضت من مكانها ملقية عنها الخوف جانباً وسارت في الغرفة التالية حيث التقت بالخدام الذى لم تحسن لقاءها فرمقتها شزراً وهى تقول :
— طفلة الأدب !

وشمرت بالارتياح عندما انتقمت من الخدام بهذه الكلمات وسارت في طريقها إلى أن ميعت بضع درجات أدت بها إلى المطبخ. وهناك استطاعت أن تقدر ثروة حقيقتها أكثر من ذى قبل عندما شاهدت الأواني الكثيرة اللامعة التى كانت كل آنية منها تتوهج في ضوء الصباح كالب
وهناك رجبت الطاهية زائرتهما أجل ترجيب فوضت على اللادة زجاجة من النبيذ وكوييف وأخذتا في الاحتشاء وكل منهما تسرد أحزانها ومتاعبها في الحياة على الأخرى . وفى أثناء ذلك أخرجت الطاهية صورة شمسية من أحد جيوب ثوبها قبلتها ثم قدمتها لزائرتهما وهى تقول :

— صورة ولدى الذى يعمل في الصيد في جبال الالب . فألقت عليها المرأة المعجوز نظرة عابرة ثم أخرجت هي الأخرى صورة من بين ثنائيا ثوبها وقدمتها للطاهية وهى تقول :

— حفيدي الذى قتل في الحرب والذى يظهر الآن كل مساء في دار الصور المتحركة

فلم تكذب الطاهية تسمع هذا الكلام حتى تحركت في مقعدها حركة عصبية وقد اتسمت حدقتها عينها إذ أيقنت أن المرأة المعجوز الجالسة أمامها ليست سوي نضجة من نضاج الجنون، ولكنها لم تبد

وأبدى الجمع إعجابهم بثوب الحداد الذى ترتديه جوليت حتى أن إحداها ذهبت في إعجابها شوطاً بعيداً إذ قالت مازحة :

— ألا يبد من حسن الحظ أن يموت للإنسان أخ أو أخت فيستطيع أن يلبس حداداً عليه ثوباً جيلاً كهذا ؟ إن اللون الأسود لون رائع وهو يبدى ع الحسن المرأة بشكل أدور مما يبدىها أى لون آخر وبدان جميعاً يدخن ثم ارتعجن بأجسادهن على الأرض متكئات على وسائد بعضها من الحرير المخالص وبعضها من فراء الدبة الثمينة ، ومد البعض منهن أطرافهن كالحيوان البليد غير عابثات بما يعرضن للأنظار من أجزاء في أجسامهن يجب أن تكون مستورة دائماً وقد شبك البعض الآخر أيديهن على ركبن الرفوعة وأسندن ذقونهن عليها كان الشاى ومعداه موضوعاً في آنية فنية من الفضة على الأرض بين الأجسام البشرية الطرية، وكان الصباح الخافت يرسل شمعاً خفياً من النور الأزرق البسديع . وقدمت جوليت جديتها إلى المحاضرات في شجاعة قاتلة :

— هذه هي جدتي التى تتبع الخضر كل صباح في شارع تربى ... إني أنغر بأسلافي كما يغفر أى معاصر من نسل الصليبيين بأجداده

وقابل الجميع حديثها هذا بالفهمية ومرت فترة قصيرة نسى الجميع بعدها أمر المعجوز

أما هي فلم تكن راضية عن هذه الأفعال، ولم تكن مطمئنة إلى هذه التصرقات ، ولكنها في الوقت نفسه كانت تخشى الاساءة إلى شعور حقيقتها فكانت تنتقل في جذر من مقعد إلى مقعد كما تفعل

باريس في مهمة خاصة وليس لدي من الوقت سوى أربع وعشرون ساعة ...

ولم يستطع ان يتم حديثه إذ كانت جوليت قد طوقت جيبه وارتعت على جسده وأخذت يبادلان القبلات

ورأت المجوز هذا النظر فانسحبت وحث بالخروج من الغرفة، ولكن جوليت لمحتها فتخلصت من يدي عشيقها وأسرت نحوها وهي تقول :

— ها أنت ترين يا جدي .. ليس لدي من الوقت سوى ليلة واحدة ونهار واحد . لن أستطيع الذهاب معك الليلة .. هنا مستحيل . الأيام آتية يا جدي .. يجب أن نفضل الحى على الميت

ألفت المجوز نفسها وحيدة في شارع حالك الظلمة وكان البرد قارساً والأزواج مغطاة تحذراً للقوم من حملة جوية مقبلة ، وكانت تتمم في أثناء سيرها قائلة :

— الحياة تتطلب الحياة ؛ والأحياء في حاجة إلى الأحياء ؛ ويولدتا على من مات من الناس ... الشكل ينسون الأموات

حتى رواد دار الصور المتحركة أظهر واجهودهم بشكل واضح، ففي تلك الليلة لم يكن المتفرجون سوى عدد يمد على الأسابيع ... لقد بدل الرواد قصة الفتاة الأتراسية ومطاردها

وجلس المجوز في مقدمها بين القاعد الفارغة، وكأنها ملك من الملوك أسر بمرض رواية من الروايات لمتنه الخاصة . وعند ما ظهر حفيدها على

ما يعبر عن هذا الاعتقاد لا شيء إلا لأن تلك المجوز هي جدة سيدتها وصاحبة نعمتها

وحان وقت تناول المشاء فدعيت المجوز إليه ، ولكنها عند ما وجدت نفسها في قاعة الطعام جالسة أمام مائدة عظيمة إلى جانب حفيدتها وصديقاتها الفتيات شعرت بانقباض شديد وأنها بعيدة عن الجو الطبيعى الذى ألفته بمراداً شديداً

كانت تتناول الطعام بشبهة حسنة ، ولكنها في الوقت نفسه كانت تتحرق شوقاً لساعة انتهاء الجميع من تلك المهمة . وكانت لا تفك بين آونة وأخرى تنظر إلى الساعة المعلقة بالحائط كأنها تمجمل سيرها وحوالى الساعة الثامنة أتجهت جوليت نحو جدتها وقالت :

— لا داعى للمجلة يا جدي فما زال لدينا متسع من الوقت

وما كانت تنطق بهذه الكلمات حتى ارتفع في المنزل صوت صنجيج عال وأجراس كثيرة ، ثم سمع من قرب صوت رجال مقبلين ، وأقبلت الخادم تلهت وقالت :

— سيدتى ... لقد حضر السيد ... !

ولم ترد على ذلك حرفاً واحداً، ولكن النجوم فعمت الباقي فبهتت من مكانها كسيرة النفس محروقة الفؤاد وقد اغبر وجهها وتقلصت عضلاته . وحينئذ أقبل شاب جميل الصورة يرتدي لباس ضباط الطيران فا كاد يتقدم خطوة واحدة في الغرفة حتى أسرعت جوليت إليه وكأنها تلير ولا تميز ...

— لا شك أنها زيارة غير منتظرة، ولكنى جئت

فوق أكتافهم وساروا بها يطوفون الشوارع
وسط الجوع الزاخرة

كان شعرها الرمادي الجبل قد انتشرت خصلاته
وتشمت وجعل يتحرك تبساً لحركات الريح، ورفعت
كلتا ذراعيها في حماس شديد ثم جعلت تنشد في
صوت قاصف نشيد المارسييز ، فلما انتهت من
إنشادها حياها الجمهور بالهتاف والتصفيق

ولم يكن بطبيعة الحال بين هذه الجوع المائلة
من الناس من يعرف من تكون هذه المعجوز
الشمطاء . غير أن مجرد وجودها بينهم أثار فيهم
ذلك الاحترام الفريزي الذي توحى به الشيخوخة
دائماً ، وكان بعضهم يرى فيها رمزاً حياً لمنظمة
الثورة الكبرى وأثرأ من آثارها ظهر فجأة بعد
فترة من الزمان تريد على القرن ...

ولم يمض وقت طويل حتى انفض الجمع ووجدت
المعجوز نفسها منتصبة على قدميها وسط الشارع
وحيدة ...

أين الجوع الماشدة ؟ أين البنادق التي كانوا
يلوحون بها في النضاء...؟ أين الشباب المتحمسون
الذين رفعوها فوق الأعتاق...؟ لقد اختفى الشكل
وليس تدرى أين ولا كيف اختفوا .

إنها الآن تسير في الشارع الملكي إلى جانب
تلك المطاعم النموذجية الكثيرة ... وهما هي حانة
مكسيم الشهيرة أمامها وقد خرج مما لها إلى الشارع
وزعوا أقبلح الخمر على المارة تبرعاً من أغنياء القوم
واحتفالاً بذلك اليوم السعيد

وتقدمت في السير قليلا فوجدت نفسها بين
جماعة من الجنود الأمريكيين تتبادل وإلام الحديث

المتار جعلت تخاطبه في صوت هامس قائلة :
— أسعد الله مساك يا صنيرى ! لقد هجرك
الجميع ونسوك . هكذا الحياة يا صنيرى فلا تحزن .
واعلم أن جدتك المعجوز لن تتركك ولو تركك أهل
الدنيا بأسرها ... ستجدني هنا كل ليلة ... كل ليلة
يا صنيرى المحبوب

أخذت الأخبار والأشاعات تنتشر في الساعات
الأولى من مساء اليوم بإنهاء الحرب وحلول السلام.
بدأت ضيافة خافتة غير مؤكدة، واستمرت المعجوز
إليها دون أن تميزها أى التفات لأنها تعودت أن
تسمع أمثالها من قبل ، ثم انفضح لها كنفها
بعد ذلك

ولكن لم يكديجمل وقت الثروب حتى تأكد
الناس من صحة تلك الأخبار إذ أعلنت الحكومة
خبر عقد الهدنة

ويشير أن تعرف المرأة كيف حدث هذا ولا في
أى وقت حدثت ووجدت نفسها وسط جمهور كبير
يدفها تيار اندفاعه وتراجع نحو قلب المدينة دون
أن تستطيع لذلك وقتاً ودون أن تستطيع منه خلاصاً .
وسرعان ما سيطرت عليها روح الجماعة فمرتها رجة
الحماسة وانتقلت إليها عبوى الفرح فتهتت مع
الجماعات المانفة التي كانت تملأ الشوارع

ووصلت إلى ميدان الكونكوردد . وكانت
الجمهور يردد بأسوات كهزيم الرعد بعض الأناشيد
الوطنية وقد أخذ بعض أفرادها يلوحون بينادق
مأخوذة من الألان كانت مروضة في الميدان
وأقبل نحو المعجوز جمع من الشبان فرسوها

وأخيراً دخلوا جميعاً أخذ القاهني وظلوا نحو نصف ساعة في سرور ومرح يحسون أكوام البيرة التي قدسها المعجوز إليهم ثم انصرفوا أما هي فتصنعت إلى الحانة التي تودعت أن تلتق فيها بالعم «كرانفيل» فيلسوف السوق فوجده جالساً جلسته الخالصة التي لا يغيرها غيظه وجلست إلى جانبه وظلّت لها وله زباجة من زجاجات النبيذ، ولكنها ما كانت تفرغ من نصيبها من الخمر حتى شمعت بمحاجتها إلى مسرة أكبر وأروع مما وجدت من أنواع السرورات في تلك الليلة. ذكرت دار الصور بظلالها الذي يمت الاطمئنان والسكينة في أشد النفوس اضطراباً خلافاً لكل ظلام عرفه الإنسان، ومنظرها الجميلة التي كانت في نظرها لا تقل جمالاً عن أجل ما عرفت الإنسان من مناظر

ياله من شعور سار! وإلهمن سرور جارف ذلك الذي كان يستولى على حواس تلك المرأة أثناء هاتين الساعتين اللتين كانت تقضيهما جالسة على مقعد مريح تتناجى، كأروع ما تكون المناجاة الروحية، مع خفيدها المحبوب ألبير لا شك أنه لم يسمع بعد بذلك النبأ السعيد الذي هز مشاعر الباريسيين عن بكرة أبيهم بل مشاعر الناس جميعاً في جميع أنحاء الأرض، ولكنها ذاهبة الآن إليه وسوف تسر إليه بذلك النبأ ليأخذ نصيبه من السعادة مع الآخرين

التفتت إلى كرانفيل ثم قالت وهي تنهض من مكانها:

— طاب مساؤك يا كرانفيل. سأتركك الآن لأن حفيدي ألبير في انتظارى. مسكين هذا

كانت تحب الأمريكيين وقد عرفت أن هؤلاء الشبان منهم عندما رأيت قيماتهم، وقد أعجبها منهم حسن منظرتهم ودلائل الصحة البادية في وجوههم وفي حركاتهم، وروح الراح المتجلية من أحاديثهم وإغاراتهم، وذكرها أكثر من واحد منهم بحفيدها ألبير ففتفت بأعلى صوتها:

— لتحي الولايات المتحدة !!

أمام فكانوا يفهمون حركاتها وإشاراتها أكثر من فهمهم لكلماتها؛ غير أن هذا لم يكن يعينها في كثير ولا قليل، بل كانت تستقدن كل ما يحتاج إليه اللز لتتفاه مع الأجانب الذين لا يفهمون لغته ولا يفهم لغتهم هو أن يتبادل الود معهم وأن يكون حسن النية. وكان طرب المعجوز ومرحاً قد أرا في الأمريكيين فصاروا يضحكون ويقهقهون كأنهم أطفال كبار

وتلست المرأة موضعاً معيناً في ثوبها حيث وضعت كيس تقودها الذي حمل فيه كل رأس مالها؛ فلما اطأته إلى وجوده في مكانه جعلت تشير بكلمات يديها معبرة عن رغبتها في دعوتهم للشراب على حسابها

غير أن الأمريكيين اعترضوا في أدب كثير واعتذروا من عدم قبول دعوتها إذ أن فكرة السماح لأمراء أيا كانت بالاتفاق عليهم لم تكن لتروقهم ولكن المعجوز صاحت في صوت قوى قائلة:

لا.. لا.. إنكم الآن في وطني، في بيتي، وأما أمر على دعوتكم؟ فإن رفضتم تلك الدعوة للتواضعة كان ذلك الرفض طعنة مؤلمة موجهة إلى. وما أظن أن إيلام امرأة عجوز مثلي يرضيك ..

نمرض اليلة برنايما جديراً بالاعتبار
— ماذا ؟

نظقت بهذه الكلمة سياحاً يكاد يكون باكباً؛
ثم أسندت جسمها الضئى إلى الجدار المجاور وبدا
على وجهها النغض شحوب كشحوب وجوه الموتى
وقد اتسعت حدقتا عينيها

وتلوح الحارس بتفصيل ما أجل فقال محاولاً
تخفيف وقع المصاب على المرأة

— لقد اتسعى الأسبوع بإحدى ونحن كنا نعرفين
نقير براعنا كل سبعة أيام . إن الجمهور قد مل قصة
الاراسية الحسنة ومطاردها الألائى؛ ثم إن الله قد أنعم
علينا أخيراً بنعمة السلام فى الواجب أن نمرض
شيئاً يتناسب مع هذا المعنى الجديد فى حياتنا . الناس
جميعاً يريدون من صميم أنفسهم أن ينسوا الحرب
وشقاءها وأن يسعدوا أنفسهم؛ ونحن نمرض اليلة
لجمهورنا الباحث عن السرة والسادة والروح رواية
جديدة من روايات شارلى شابلى؛ وأصدقك القول
يا جدنى أنه شريط سار فافاً شهده فسوف تستغرقين
فى الضحك

فأجابت فى صوت يشبه الأنين :

— لن أراه بعد الآن ... لن أراه بعد الآن
ثم أخرجت من صدرها زفرة حارة عميقة وقالت:
— لقد قتلوه قتلة أخرى ...

كان منظر المرأة المتخافة داعياً لتجمهر الناس
حولها ، فرأى الحارس منفاً لتفانم الأمر أن يحاول
الترفيه عنها فأخذ يحاطبها قائلاً :

— ردى عن نفسك يا جدنى . أنتقلين نفسك
فى ليلة كهذه اليلة لا لشيء إلا أننا غيرنا برنامج

للصبي ، إنه لا يستمتع بأجازة أو راحة بل يعمل
فى كل الليالى

فشمر الفيلسوف فى هذه اللحظة بقوة تدفعه
إلى توجيه نصيحة لصديقه فقال :

— إنك تقتلين نفسك . إنك تنتعرين دون
شك . تاكلين قليلاً وتشربين كثيراً . ترمين تقودك
بتير حساب . ولا شك عندى إذا استمرت الحال على
هذا المنوال أنك ستفقدين رأس مالك كله . ما هنا
يا امرأة ؟ لقد رأيتك بالأمس تتابعين نصف بضاعتك
اقتراضاً ، ويغيب إلى أنكى فى الأسبوع الأخير عشت
أعواماً وأعواماً

ولكنه عاد بعد تلك المحاضرة فأبسم ابتسامته
الساهرة التى قلما فارت ثمره وأردف قائلاً :

— على أنه إذا كان هذا يروقك وتجدين
فيه سعادتك ... فلا بأس

ثم همز كنفه كما تعود أن يفعل دائماً
وأسرعت المرأة قاصدة دار الصور . أسرع
على الرغم من شعورها بالتعب الضئى وعلى الرغم من
أن قدسيا كانت لا تطاوعها على السير؛ وكانت تضى
نفسها فى أثناء سيرها بجلسة مريحة فى تلك القاعة
الظلمة المادية الجميلة ، وكان الظلام سائداً على المدينة كما
كان يسودها قبل إعلان الهدنة وقد انشرفت فى أبحاثها
جماعات من الماتنين والراقصين وفرق الموسيقى

واقترعت أخيراً من تدخل البارخياها الحارس
وهو يضحك ، ولم يضحك ؟ أليس سيدياً ؟ أليس
الجميع سمداء فى هذه اليلة ؟

ولكنه كف عن الضحك فجأة كأنه تذكر
شيئاً لم يكن يذكره وقال :

— لقد ترك حفيذك العمل هنا وذهب ونحن

إحساناً ؟ إنه يوم عيد وسوف يرى الناس شيخوختها
المحطمة وعلامات الأسى والتعب بادية عليها فلا
يتأخرون عن مساعدتها

ولكنها سرعان ما استماعت كبريائها المنقودة
فقات غلظة نفسها :

— إننى لم أسأل الناس إحساناً قبل الآن ؛
وأظن أن هذا وقت متأخر غير مناسب للبداية فى
هذه الليلة ومع ذلك يجب أن أراه ... يجب أن أراه
مهما كلفنى الأمر

وتقدمت قليلا غير أنها توقفت بعد لحظة
قصيرة واستندت إلى جذع شجرة من الأشجار
المنشرة على طول الطريق ؛ وكانت أبواب الحانات
والراقص المقابلة تلمع فى ناطقها كأنها أبواب
الأفراس المستعرة ؛ وكانت الأصوات المنبعثة
من الفرق الموسيقية المنشرة فى كل مكان تسبغ
على الجو روحاً من المرح والسعادة
وتنهت المجوز قائلة :

— يا لبعده المكان ... يا لبعده !

ولحظة قصيرة رأت من خلال العمود النى
ملأت عينها شيئاً غريباً ... رأت أمامها شبح
جندي يتشم ... جندي يرتدى ثوباً أبيض ناصع
البياض يغطيه من مفرق رأسه إلى أخمص قدمه
يا للفرابة ... إنه جسم شفاف لا يحجب ما
خلفه من مراثيات ؛ وهامى تستطيع أن ترى أشجار
الأفرز المقابل واضحة كل الوضوح على الرغم من
اعتراض جسمه للمسافة القائمة بينها وبين تلك
الأشجار ... كأنه جسم من الزجاج أو من البخار

البار : هذا كثير يا سيدتى وعلى كل حال سوف أرى
ثم اتجه نحو بائنة التذاكر وسألها عن شيء ما
فسرعان ما قدمت إليه كراسية صغيرة أخذ يفحصها
على ضوء المصباح القريب وهو يتمم قائلاً :

— فلنر هذه القصة اللأى للبناء قصة الأرواسية
أين هى الآن ! يجب أن تكون معروضة فى مكان
آخر ... شريط غفن هو مجموعة من السخافات ..
أين هو الآن ؟ آه ها هو
ثم اقترب من المرأة وأفصى إليها باسم دار من
النور المحيرة وسمى لها الشارع الذى تقع به

— دار بيضة قليلا يا سيدتى ولكنك هناك
سترين حفيدك. ثم ابتعد عنها ولم يد يميها أى
التفات إذ أن الجمهور بدأ يقبل نحو البار لمشاهدة
البرنامج الجديد

وعادت المرأة مرة أخرى إلى الطريق وأخذت
تسير وقد استولت عليها فكرة واحدة فجملت
تتمم قائلة

— لقد قتله مرة ثانية .. قتله فى هذا اليوم

الذى يشمر فيه الجميع بالسعادة

ومحسنت كريس تقودها المرة الثانية فى هذا
المساء فلم تجد فيه إلا القليل من القطع النحاسية
مما يكاد يكنى لشراء تذكرة واحدة فى دار «السنا»
التي تمرض الرواية . ولكنها كانت متعبة ، كانت فى
أشد الحاجة إلى الراحة والمكان بعيد فإذا تصنع ؟
لا شيء ... ليس فى وسعها إلا أن تسير ، وكيف تسير
وقواها خاترة ... فليكن ... يجب أن تسير ...
قدماها لا تظاوعاها ...

وصرت يدها فى تلك اللحظة فكرة غريبة
بإذا يحدث لو أنها مدت يدها وسألت الناس

ها هو ذا الجندي يشير إليها إشارة معناها أن تبسمه ،
 ها هو ذا يتقدمها في السير ، وها هي تحاول بكل قواها
 أن تنفذ مشيئة فلا
 تستطيع
 — إنني متعبة
 يا ولدي ... جسي
 مضى ... أطراف
 تنضح بالألم ... لا
 أستطيع أن أتبعك ...
 إن المسافة طويلة ...
 طويلة
 ثم ارتعت على
 جذع الشجرة في غير
 توازن ، فاجه إليها
 الجندي وقد بدت على
 وجهه الجليل علامات
 الحزن العميق ، فرفعت
 ناظرها إليه وقالت
 في صوت هامس وفي
 لهجة تم عن الاعتذار
 الشديد :

— لا تحزن ...
 لا تحزن يا بني ولا
 تفضب ... آه لو تعلم
 مقدار ما أمانى ومقدار
 همزي عن الحركة ، إذن
 لمنوتنى ... ولكن
 ثق ... نحن أجدتك
 لن نتركك أبداً . أثير

الى راسي اللغة الفرنسية في جميع سنى الدراسة ، الى رافعي الاوتار برطائف
 البتوك والشرفات الاجنبية ، الى المحجبة الذية برغبونه في تفهم أساليب الفرنسية
 وأمرارها عن طريق المحادثة مع انقائه النظم : كتاباته هديرانه :



جَارِسُون... وَأَحْدَشُون!

فانتازية بيكولوجية
للكاتبة كارديك لاهوفسكى
بقلم الأستاذ محمد لطفي جمعة

ما كان قط يجيد الغرام ولا يتقنه . بل
كان مشغولاً بالسياسة والجماعات
السرية ... في أوقات فراغه ينشئ
عجائب الروس والطلبان — جمعية الدائرة
الجراء والكف السوداء وإخاء جوزيبي
مازيني — وكان شغفه بحياة الخفاء في

السياسة — بعد أن اقتنع
بضروره — يملك عليه لبه .
فهاهو ذا وطنه بولونيا قد اقتسمه
الأغيار مثالثة بعد أن تنازعه
حقاً طويلاً . وكلما اغتال بولوني
حر حياة ما كرم ظالم أو قاض غير
منصف أو بمصاص خثون ، عدو ،
مجرماً ذاخطورة لاستحقاق عقوبة
أقل من الاعدام . ولكن الأحرار
قد باعوا الأعمار ببيع السباح ، فلم
تكن لديهم وسيلة أخرى غير
هذه . فلما نزل لودفيج مدينة
لوزان اختار لنفسه مقراً في
بنسيون فيليانكا . — الذي
يملكه دى فاو ويدره فيليانكا
أحد منازل اثنيو ديزال التي كان
يقطعها موسيو بروشييه وزوجته ،
وقد تزحاً إلى فيلا ميسيدور في
طرف المدينة الغربي بعد أن باع
بيتهما الفخيم لهذا الايطالي المهجن
في الفكر ، فقد كان أديباً شاعراً ،

تعريف بالقصة

كان في الاصلان محور عنوان
القصة . ولكننا احترمنا إرادة
المؤلف ونصه فقد أراد أن يجعل
من تلك اللأسة التي سببتها حياة
المرأة مهزلة ساخرة ليلج الضعفاء
من الرجال بما يقههم شر الأفعال
الحلتي حيال غير الجنس اللطيف .
ولنا احتفظنا أيضاً بوصفها التي
« فانتازية نهائية » وهي كلمة اغريقية
معناها خيال أو أمر عجيب فادر
أو ابتكار رجل يتفرد به في الحياة
أو الفن أو التأليف ، كل يعيش
على هواه ، فهي بهجة شاذة أو بدعة
فذة وقد تؤدي معنى السخ أو التحوير
أو السخرة . وكارديك لاهوفسكى
مؤلف بولوني من أتباع هنري سكويز
مؤلف كرفاديس الشهيرة وقصة
موتكارلوفود وصفها بأنها فانتازية .
وللمؤلف هنا يجمع في هبة المرأة
والوالدة والاشقة للهجورة والمستهرة
والثالثة والتي تفسر بالجنبة في
الأدب والسياسة والزواج فتأخذ
أول رجل تلقاه ثم تعبت قلب الرجل
الذي يجلس لها وتضع لتلذذ الذي
يشبع رغبتها وهي وسط بين الطفل
والجنون واللفة والعار . إنها لقصة
مدمجة حقاً

كان قد مضى على اجتماعهما
أربع سنين ، سنين أربع . من
الصيف إلى الصيف . هنا
الاجتماع الأول من أربعة أعوام
في مدينة لوزان ، عاصمة مقاطعة
فو بسويسرا ... لوزان أوشي ،
بحيرة ليمن — ما أجل هذه
الأماكن ... الجبل الأبيض يرى
لاماً بالبياض تحت أشعة القمر ،
كما يرى أحمر ساطعاً تحت وهج
الشمس ، وتلك الألوان البنفسجية
واللازوردية والوردية التي تبدو
في سفحه ، إنها لمجبة ، ولكن
الأعجب منها لون الجليد التاسع
الذي تنم به قمة الجبل في كل
شهور العام ، على مدى الأسابيع
والأيام ... وكيف كان ذلك اللقاء
الأول ؟ إن لودفيج دى جيميه
لا يذكره ، ولا يستطيع أن يقف
عقله عند تفاصيله . كان طالب
هندسة ورياضيات عليا في كلية

ونافراً سياسياً ، وداعية اشتراكياً ، نافعاً على النظام
الرأسمالي . وفي نفس الوقت كان مديراً للفندق ،

بوليتيكنيك ، يجيد حساب الثلاثات والهندسة
الفراغية والوغارتمات والتحليل الرياضي ... ولكنه

في غرفته ريثما تضع اللامعة وتمتد الطعام فتأداها
« أنايلا ، أنايلا ! » وكانت هذه الندادة تجر
في أحشاء زوجته الميمية التي كانت تمل أنهادى
لنيرة على الخادمة المحظية المفضلة عليها في كل ليلة ..
وفي أحد الأيام دما دى نانا إلى النداء يضع نساء
وبضعة رجال من الروس الثائرين والشردين عن
أوطانهم بأمر الحكومة القيصرية . وكان لودفيج
يجلس بطيعة الحال إلى تلك اللامعة ، يحكم أنه نزيل
بأجر . وكان دى نانا رقيقا رقيقا لبقا إذ استأذنه في
الجمع بينه وبين أنيافه قائلا في لغة إيطالية نقية (وكان
لفيج قد أقنعا مذ ساح في لومبارديا وتوسكانيا
وأقام روحا من الزمن في تورينو وفيرزه) :

— انظر هنا صاحبي ! أنتم في الهوى سواء .

هم مظلومون ثائرون قانون على حكومتهم وإن كانت
منهم لحا وعظما دما ، ولكنها تخالفهم في الرأي
وطرائق الحكم ، وتحمل الظلم محل النصفة ، وتؤثر
طبقات الأغنياء والشرقاء المزعومين على غيرها من
طبقات الأذكياء والتعلمين والصناع والزراع
والأنتليجنترية^(١) النافذة على تقسيم الأرزاق وتوزيع
النائب ، وأنتم أيضا مظلومون وثائرون لأن
الحاكمين في أوطانكم غرباء عنكم ، فإذا نعمتم عليهم
وطمنتموهم بمدة أو أطلقتم رصاصا اعتقلوكم
وحاكموكم محاكمة جائرة ، ثم شقوكم أو ألقوكم في
غيابات سيرا أو حصون بطرس وبولس ! أليس
كذلك ؟ غير أنني أظن إلى عاطفة أخرى ، قد
لا تحبون الجنس الذي خرج منه المستبدون
فيكم ، وإن كان أفرادهم في وطنهم مظلومين ...

يتقن القيام على خدمة أضيافه، ويظهر شيم الشاعر،
وترفع الصلح عن عبادة المال ، وقد يتخلل أحيانا
عن المساومة في الأثمان والأجور لزوجته كريونا .
وكانت سويسرية على جانب من السامة ، ولا ريب
أن دى نانا قد باع إليها نفسه في مقتبل عمره لقاء
دنانير مدودة كانت ورفها ، فزقت منه ولدا ...
ثم هجرها في مضجعها ، فافترا على أنهما يمشان
تحت سقف واحد . ولكنه عكف على حب
« أنايلا » ، وهي خادم ألمانية ذات جمال ورشاقة
وسحر ، ولكنها مفرطة في البلاهة . وكان دى نانا
بماترها جهارا ليلا ونهارا ويفار عليها من كل قادم
وبرقها عن كسب لوثوقه من عدم الوثوق بها ، فهي
بهيمة الأنعام في الشهوات . أما الزوجة الشرعية
فكانت تقطن في أسفل الدار فانا جاء الليل ودقت
الساعة العاشرة صمد نانا إلى غدعه وترك للشرعية
السيمية تتحرق فتودعه في أسفل الدرج قائلة :

« بونا نوتي كاروا »^(٢) وكان من مظاهر سلطان
الرجل عليها أنها تخاطبه بلينته وقد تخطت
عن لسانها وهي في وطنها . أما دى نانا وكان عملاقا
ملتحيا ، لا يصلح إلا أن يكون نموذجا حيا ينقل
عنه المصورون أشباحهم الملونة أو تهاويلهم المثلة
بالطين المشوي^(٣) فلما حل لودفيج تلك القبلا أحسن
دي نانا وقادة ، وأرسل إليه عشائه في غرفته ذات
الشرقة والنوافذ اللطلة على البحيرة وجبال الالب
تحمله تلك « البنية » الشرقاء التي هي أشبه النساء
بجراثين عروس للنساء الجوثية^(٤) ولم يكن لودفيج
زير نساء ، ولكن دى نانا لم يصبر على بقاء البنت

(١) كلمة إيطالية intelligentzia سارت دولية ومعناها
الذين تنفروا في المجتمع الحديث وآثروا المعرفة على جم المال

(٢) عم مساء أيما العزيز بالإيطالية terra cotta

(٣) هي رواية فلوست تأليف جوت .

فأنت يا سيدى حر، إن شئت قبلت دعوتى وتنديت مع أضيائك على اللائدة العامة، وإلا فإناك تتفدى فى غرفتك فهذا حقك الذى لا يتنازعه فيه أحد . فضحك لدفيع لإسهاب الايطالى فى شرح موقفه وتبريره وقبل دعوته شاكراً . وبعد الظهر ربيع ساعة دخلت امرأة رشيقة فى مقتبل العمر فأجلت عينيها فى الجالسين حول اللائدة . ثم جلست قبالة لدفيع الذى أحس منذ الوهلة الأولى التى رآها فيها بإعجاب بها لاحدله، وود كباود المرء أحياناً لو تسمح الشرائع أن يطوقها بذراعيه ويضمها إلى صدره وإن لم يكن له بها معرفة . لم تكن أنفاظ الجاذبية الجنسية قد سكّنت أو صمّنت^(١) ولم يعرف لدفيع عبارة « سيكس إيل » التى ملأت الأنواء والأسماع بعد ذلك يضع سنين ؛ ولكن للمعنى كان فى النفوس والعقول ويستحوذ أحياناً على الشهور . وقد أحس لدفيع أن هذه الفتاة فتاة أحلامه التى أعدت لها الطبيعة فى قلبه أسهى عواطف الحب وأعمقها ولُبث ينتظرها طويلاً ، وإن فيها المثل الأعلى للمرأة التى هام به خياله الشاب ، واستهوته فراح يتأملها على الرغم منه ، فلم تضنايق من نظراته ولم يحمر خجلها . ولكن غيرها من النساء لاحظن ما حدث ، فحاول أن يصرف بصره عن الفتاة فلم يستطع ، وظل محمداً فيها . ولم يكلمها فى أول الأمر ولكن نفسيهما قد أطلتا من أعينهما فالفتاة تمارفتا منذ التقت نظرتهما وأخيراً وبعد الجهد والمقاومة قالت له بالروسية :

— إنك يلا ريب تحب السمك ؟ سؤال عجيب مذهش دك . على ارتباكها المصحوب بالرغبة فى

(١) افتتاح الحديث briser la glace أى وضع حد للصمت، يشبه الصمت بالثلج

(١) تعبير لطيف بالغة الأصلية ، إشارة إلى أن الأنفاظ تلك وتضرب كما تلك التود

عليه بصره بطاقة بصورة دانتى وبياتريس ، وقد خطلت عليها بضعة أسطر :

« صديقي العزيز: ها أناذي في لوزان مرة أخرى ، وأبث إليك تلك الرسالة على أجنحة المصادفات ، هل تصلك أم تخطئك . إني هنا زبلة « فاميلي هاوس » إلى بضعة أشهر . كل شيء تغشّر إلا صداقتي بمحوك »

أوجستا على بضعة خطوات ، لقد قطع الشوق شهية الطعام ، وتنب الوجد لرؤيتها على تيبه . فود لو يذهب من ساعته لرؤيتها قبل أن يذهب إلى النزل الذى تمود وهو نزل لوسرن اللطل على البحيرة ، ثم عاوده التمثل والأناة ، فخير له أن ينزل في نفس الفندق الذى اتخذته مقراً ، ليكون على مقربة منها ، وإن تكن تلك الطريقة في توريث النساء مكشوفة ...

فهبس و « حبز » غرفة بالتليفون في « فاميلي هاوس » ، ثم أمر بنقل متاعه إليه كمادته قبل أن يصل لتكون غرفته على أتم استعداد للقائه . وقبل الغروب بلحظة وصل إلى الفندق وهو يتقلب على أشواك الانتظار ويولك حنظل الصبر . وعلى مائدة المشاء قلب أجفانه في الطامحين والزلا — لأنه لم يشأ أن يسأل أحداً عن صاحبه التى لم يرها منذ أربع سنين ، خشية أن يثير الظنون — فلم يجدها

فهم بمفادرة الخوان دون أن يأكل . وإنه لكذلك وإنها بها تقبل في حياء ، وقد ليست السواد وعلى ثوبها زينة من الدتلا السوداء والطرز الأسود جملة فتنة الناظرين ... ولكنها كانت مصفرة اللون ، كالمج ، وفي منيها شبه دعول فلم تلق نظرة على أحد ولم يأخذ بصرها بلديفج للترقب القالب . فلما إفضاءها بدهشة القادم . وسره أنه لم يهف

كان خالفا لرأى الداعى فقد نجحت المادية النجاح كله ونال منها أكثر مما أمل ، ففاز بهذه الفتاة التى لو أنفق ما في جيوبه جميعاً لم يكن ليظفر بلقائها . فلما انسحبا بعد الفراغ من الفأكة اختارا مجلساً في الهوى واختلسا ساعة للحديث ، وكان حديثاً لداً كأنه قطع الروض . ثم اقترعا على مصاغة اليد ، لا يفتأ يحس إلى النساء بأثرها في يده وكأنها استها الكهزباء . وكان إذ يستند كردهوسه أو يقرأ كتيبه أو يقبل صحف المجلات ، يفكر فيها أبداً ويستعيد ذكراها في نفسه ويرى طيفها ماثلاً أمامه يؤنس في وحدته . ثم اقترعا بشدر الزمان فسافرت أوجستا إلى وطنها دون أن تودع صديقها وهو لا يعلم سبب هذه الرحلة المفاجئة . وتذكر له المدينة وضائق في عينيها على رحبها ، وتنقل بين فنادقها وزلها ، وعاد إلى غلف مدام روسيه ولحبة زوجها .. وحاول فتيات من كل جنس ولون أن يتصلن به ليخضن كبرياه لسلطان الحب فلم يفلحن لشدة عناده وصلابته ولأنه كان منشغلاً حقاً بحب أوجستا ... وبعد شهر أو شهرين زح هو الآخر محاولاً أن ينسى تلك التى « رحلت ولم تترك عنوانها » فلم يفلح في محاولته .

وفي يوم من أيام شهر يوليو القاطنة الشديدة المجهير في لوزان ترجل لدفج على إفرز الحطة من القطار القادم من إيطاليا ، وقصد إلى دار البريد في ساحة فيدرال ، فتناول حزمة من الكايتب والبطاقات المصورة كانت تنتظره بذلك الصندوق المبارك ، صندوق الثراء ، ومستودع الجوالين والستفصين « پوست رستانت » ، ثم إلى مطعم « غليوم تيل » وبدأ فض الرسائل فكان أول ما وقع

وقد استمعى داؤه . تنظر إليه . وقد غشيت عيابه
الوديع صفرة كثية وأحاطت بأجفائه زرقة قاتمة .
وأثم لدفيج النظر في صدره فاذا به يهبط ببطيئاً ويرتفع
بمشقة وعناء . وكان لدفيج يتلوى بجمرات من الشاي
ويرسل إلى الأرض بنظرات ساعمة . ثم تشجع قليلاً
وسأل الجدة : أمرض من زمن طويل هذا الصغير؟
قالت : منذ ثلاث سنين لا تعرف ابنتي سجو
النمام ولا طعم الهناء .

قال: كيف؟ ألا تعرف اللمة؟ أو ليس في روسيا
حيث كنتم أطباء . فقالت الجدة :
— لقد استمعى الباء ، ونمض الدواء ، وعجز
نطس الأطباء

فضعك لدفيج نخعة طويلة وهو يشعر أنها
في غير موضعها في تلك الثقرة الملائمة بالخوف
والسكر . وتبادلت الأركان نظرة مذهولة . وساد
الصمت قليلاً ثم قالت أوجستا :
وأنت متى وصلت وأن زلت وهل بليتك رسالتى
التي بشت بها وأنا متأكدة من ضياعها ؟ فقال :
— حافى وبياتريس ؟

فلمت عيناها وقالت : نعم . وهل هي السر
في اعتدالك إلى ؟ لم أكن وربي أحب أن ترائى
على هذه الحال . ولكن الأمراض تستأذن على
أحسن الأسر ^(١) وابتسمت لتنتكته

فهض لدفيج وقال : ومن طبيبه في هذه البلدة ؟
أجابت : دكتور كالينيك ، طريد القصر ، وهو
شيخ كبير كان مدير مستشفى الأمراض في موسكو

(١) أصل التكة أن يسارك أصابه دمل ضخم في عنقه
فراه الأمير بطور غليوم فقال : له دمل بهذا الحجم أهلاً بالاستشارة ؟
فأجاب : هنا يحدث لأفضل المائلات بامولاي

بالتسرع في السؤال أو الانصراف . ولكنه لم يأكل
إلا قليلاً من كل لون ، ليتسكن من الحاق بها لدى
نهوضها . وكانت عند ظنه بها فنهضت وحيت
وانصرفت وانفلت في أثرها ، فرأها تنحدر في الدرج
دون أن تلوى على أحد ، فتبعها ولم يشأ أن يقاها
على السلام ، وصبر حتى خطت بكعب الفزال واخصيه
هادئة ، وصارت في هو فسيح مفروش بالطنافس
ثم دخلت من باب إلى مخدعها وغلقتها وراءها .
فوقف لدفيج يمد أنفاسه قبل أن ينقر على الباب
نقرة خفيفة . ففتحت له السيدة في العقد الرابع غمزة
اللون ذات وقار وعاسن سائلة ، غياها وسأل
عن مدام أوجستا ، فأبست وقالت لأعرف مدام
أوجستا ولكنى أعرف مدام داسكي

وفي تلك اللحظة تكلمت من الداخل بصوتها
اللائكى وقالت بالروسية : هنا تفضل . وأسرت لقلقه
فراى في ضوء الثقرة حمرة في خديها وبريقاً في عينيها
لم يكنوا لدى المشاء . وكانت الثقرة واسعة ولها
شرفة نخمة مطلة على البحيرة والجبال . فدعته إلى
الجلوس فيها ثم عرفته إلى السيدة التي فتحت الباب
وقالت إنها والدتها وقد سمعتها لتقضى بضعة أيام في
لوزان . ثم رجتها أن تصنع للضيف قدحاً من الشاي
وصرد لدفيج في طريقه بسرير صغير فيه طفل
نائم ... فنظر إليه ثم انحنى عليه فاذا به مريض ...
فنظر لدفيج إلى وجهها فأيقن أن الطفل خلفها ،
فلم يطق بكلمة . وأخذ مكانه في الشرفة في صمت
وأحس بأنه في جو قائم ، وأن أوجستا تحاول
أن تظهر السرور بلقائه وتبطن ما تمنى من ضحك
والم . فانها لم تلبث أن قدمت له الشاي حتى جلست
بقرب ولها واجفة القلب يذهلها الخوف عليه

وأسى، ولكن الجدة كانت تتبع حركات الطبيب
بارتولسكي بناية وقد غفمت في نفسها وحدقت فيه
وهو يفضح بناية، وصرايحاطرها مائلا فيه بنهما من
ملح وأسى لا يشفق. وجلس الطبيب الشاب وأخرج
قلما وورقا فساته الجدة :

— هل يشفى الولد ويقي لها ؟

فابتسم وقال : نعم ! بقليل من العناية . ودون
الدواء ووصف ألوان الغذاء وأوقاتها بدقة رائدة ،
بعد أن روى أطوار الماء السابقة كأنه كان يرى
ويسمع . وحس في أذن لدفيع أنها حبال حالة
خبيثة من مرض « تريكاميا فولينجوس » الذي
يصيب طفلا من كل مليون، ويشفى منه واحد من
عشرة مرضى، وأن علاجه الأوحدة تحت الجلد
من « فلورا بيكتورياليس » ولما كان الماء نتيجة
لعدة من ذبابة سامة « موشاتوكسينوس » فلا يهزم
السم إلا تلك الحنق والهواء اللقي والحمام الفاتر
وشراب البابونج بزهر البرتقال . وفتح الطبيب
حقنيته الصغيرة وكانت تحوى عشرات الأدوية ،
وحقن الطفل، ووعده ببيادته في الغداء والعشى . وحييا
وانصرفا تاركين الرأتين في ذهول . وفي الصباح جاء
الطبيب وصاحبه ؟ وكان وجه الأم مهلا ، فقد نام
الطفل هادئا للمرة الأولى . ونحك لدفيع ضمكته
الأولى ؛ وكان الحمام الأول بلقاء الفاتر وماء كولونيا
ثم الحقنة وشراب البابونج وعصير البرتقال .
وانصرف الطبيب وبقى لدفيع براشها وقرع الطفل
تارة في الشرفة وطورا بجوار نافذة تأتي بنسات من
هواء الشمال المشبع برائحة أزهار الألب والجبل
الأبيض ... وكان مقامه بطول أحيانا ، وبطلب أن
يتنقى مع الأسرة في إحدى غرفها ، فقلبي إدارة
الفندق طلبه . وقد أخفى عن صديقه مجاورة أمدأ

ولكنه منذ نفيه قد تغيرت أحواله وصار يبدو
كالشبح ؛ ولا أعلن فيه من القوة ما يبينه على الشخص
والعلاج ولكننا لانعرف في هذه المدينة أجدا غيره .
ففضحك لدفيع مرة ثانية وقال : لا عليكما
يا سيدتي ! لا عليكما . ونهض وخرج .

فظفرت الرأتان في إثره ثم عادتا تظلمان كما على كف
وقالت الجدة : لهذا الذي كنت تذكرين مناقبه ؟
فأجابت : لا بد أنه طرأ عليه طاريء ذهب بمعظم له
كان لدفيع يعرف من عهد الجامعة طالب طب
صغير هو جوردان بارتولسكي ، بولوني مثله ، وكان
لا يزال بكابه وقد ذاع صيته منذ تخصص للملاج
الأطفال . وقد أخذ لوزان مقرأ لعله . فقصده إليه
وكان يقطن بيتا فخما في شارع « بنك فدرال »
فالتقيا وتعاخا . ودعا لدفيع لقيادة الصغير . وكان
بارتولسكي شابا قصير القامة مستدير الوجه أزرق
العينين وضاه الجبين هادئ الصوت ، يتكلم كالعلماء
ويهيئ على المرض كاللائكة وما يجال كالهمين . ولم يكن
في ثيابه متأنقا . فلما طرقا باب السيدتين في الفندق
ترددت الكلمة في الأذن لها . ولكنها فتحت كارهة
خشية إغضاب ابنتها .

فدخل الطبيب وأتجه قداما إلى سرير الطفل ،
وأطال النظر إليه ثم جسده وقلب ظهره وحسن أحشاءه ؛
وكان ينظر إلى الولد بينتين هادتين قويتين ، كأنهما
تمزقان حجب التيب وتنفسان إلى سرائر الحنايا . وقد
بكى الطفل وهو يقبله ، ولم تكن أمه سمعت صوته أمدأ
طويلا ، ولم تر دمعه تنحدر على خديه . فلما فصل
أسرعت المسكنة إليه تنهت دمه وتهجد آلامه .
وقد حاولت أن ترسل له نشيدا تغانها صوتهها ،
وطاغات رأسها تدرق السمع زفرات تفيض حسرات

— إنني لن أنسي جيبك ما حيت . لا تحسب
يا صديق إنني غافلة عن فضاءك . فإن ولدي يهود
إلى الحياة يحض يهودك ويعهود صديقك الطبيب
الآلهي بارتولوسكي . ونهض ليفيج يودعها حتى
موعد العشاء فصحبته إلى الردهة وضغطت على يده
وهي تصاغف . وفي تلك الليلة استقبلته بهمة الساعة
التاسعة وهي موعد انصرافه في كل ليلة . فقال لها :
إن البيت الذي يؤدي تقبل أبوابه في الساعة العاشرة
فلا يمكنني أن أتاخر . فضحكت وقالت له : إنني أعلم
مفرك ومبكنك فلا حاجة بك إلى الاخفاء
وللمرة الأولى خلعت ثوبها الأسود ولبست ثوبا
أزرق وجلست في الشرفة على مقعد طويل وقالت له :
آن الأوان لأقضي إليك بصرى . لقد عرفت
رجلا في وطني فأغواني وتخل عني ؛ وكانت الضربة
تاسية فلم أبحث عنه بل عدت إلى أبي التي كانت
تعيش في عزلة في مدينة كيف تزرع أرضها وتدير
مطبخها وتتقاضى أجور منازلها التي تركها والذي
نوقفت على قلمها ، وشرحت لها حالها وسألها
الرحمة والحنان فنفرت لي وبكت . وبمدشهور مدودة
وضعت غلاما ؛ وإذ بلغ طاماً بدأ ينطق ويعيش .
وكنت يوما في حديقة كارتنا حيث يجلس الأمهات
والمرضات ويدعن الأطفال يسرحون على الخيال .
ولم تكذب تمضي ساعة حتى اعترتني رعدة فقد لحت
رجلا يعيش وقد تابط ذراع امرأة ، وكان هو
بمينه الذي أغواني وتخل عني بعد أن أحسنت
بالجنين يتحرك في أحشائي
فازداد اضطرابي وارتعيت على مقعد قريب مني
وانتهت في نفسي ذكريات الماضي . فإذا أصنع ؟
لبثت جامعة في مكاني حتى غابا عن نظري . لم أعود

حتى لا نسي تفسير إقامته أو تخطئ الرأي في تليلها
وكانت أوجستا تترك الفندق أحيانا تضي
وأخرى عصر أومي لآسة السواد الذي ألغى ليفيج
فلا يسألها ولا تلتطوع بالآلة على غارجا ومداخلها .
وتحوت الملاقة من عاطفة الحب إلى عاطفة الحنان .
ونشأت صداقة جديدة بين الأم وليفيج من طول
ما انفردا ، وكانت المرأة قصاصة حاذقة ومحدثة ماهرة
تطوى الأخبار وتنشرها وتعيد سرد الوقائع
وتلخص الكتب . فانهز ليفيج غيبة أوجستا
يوما وسألها : لم أكن أعلم أن كريتك متزوجة
فقلت : ظنك في موضعه وهي لا تزال غير ذات
بل وإن تكن ذات ولد ... أما كيف صارت أما
فهذا سرها . وأظنه سبب اغترابنا . فوجم ليفيج
قليلا ولحت الكلمة اللبقة وجومه فتنهجت وقالت
« أظنك كنت تحبها وتمجب بها أما الآن فلا ! »
قال : إنها زادت حسنا في نظري ، وزادها
الأم جمالا وفتنة ، ولكني مذكرت الطفل عولت
على أن تبقى زيارة مفردة لا تتكرر احتراما للزوج
الحاضر أو الغائب
فقلت للمرأة : لو كان الزوج غائبا أو حاضرا
ما بعثت إليك بذلك الرسالة . فقال : ولكنني عند
ما رأيت الطفل المريض ولم أجد رجلا يحيطها ببنائته
صممت على أن أخدمها دون أن أكرث لشواطيني .
وشمر ليفيج بلسمة في قلبه ولكنه لم يظهر آله .
وعادت أوجستا من « مشوارها » مبتهجة فرحة ،
فاستقبلتها الأم بوابل من الأسئلة . وألقت الأم
المائدة نظرة عجي على سرير ولدها وهي تخلع قفازها
ثم أخذت بصرها بلديفج فتنبهت ثم عضت على شفتها
كن يتذكر شيئا بعد أوانه ثم قالت له :

الحرم ؟ ولم يستطع أن يرم في أمرها أو ينقض ، فتظاهر بالطف واللفظ وشجها على الضى في سجيها كأنه قد شاقه أن يستمتع بمحبتها وبمعتها بمحدثه فأبى بالبديع المستطرف من الملح والسائق المستحب من النوادر . ورتت ضحكات أوجستاً بريئة ناعمة تنبئه بما تشملها من سرور واستحوذ عليها من صرح . وظلا كذلك ردها من الزمن غير يسير يتطارحان روائع الطرف . وأحسن لودفيج بصد نصف الليل بقليل عما يضطرب في نفسها من ميول وأهواء . فقد أخذت تنظر في الغرفة وتنصت كأنها تسمع وقع أقدام أو دقات قلب . ثم تنفض عينها كالرأة التي تريد أن تستعلم لما شق يدل عليها ويقاوم رغبتها الجامحة ، وسألتها ليفيج فجأة :

— ألا تزال صبة مفرمة وهامة كلفة بالرجل التي أحبا وقلمها من الموى الندى إلى الترام الأتوي ثم أودعها سر الخليفة فأولدها طفلاً لا تزال تمنى جبهه وعلاجه ويخفق قلبها بخفقان قلبه ؟ فقالت : — إننى لا أحبه ولم أكن سوى ضحية الزمان والكان والوجد السريع النادر ، ولا أحب الآن سواك لأنك أقرب إلى مرضاى وطبى وأدنى إلى تفهم نفسي ومقولي من ذلك الرجل . وكان ليفيج يخالسها النظر من حين إلى حين فتبادله « نظرة المريض إلى عيون السود » وتحاول وهي تناوله الشاى أو الفطير أو قندح الماء التراح أن يحتك كتفها بكتفه عرياناً أو بتائها بأفامله مصادفة فيشمر بشمرة اللذات وفيض الهناء ، كأن مفتاح العالم ومباح الحياة قد استحالت جميعاً امرأة فانتة خمرية اللون سوداء الشعرى هذه التي يسد بالجلوس حيلها يتمل من روعة حسنها الضحيان . وما كان

أن أمثل دور المهجورة ، وإن مثلته قلن أنقته مهما حاولت . وعدت إلى عزلى عظمة حزينة تحز في نفسى الآلام وتحرقها شتى العواطف . ولم أعد أطيع على البقاء صبراً فتوصلت إلى أى أن تصحبى . وإذا كنا نستعد للسفر مرض الطفل ، فأخذنا ننقل به من مكان إلى مكان ، فسحنا في بولوتيا وفلندا والنسا وإيطاليا حتى استقر بنا المقام في لوزان كما ترى . وها أنت ذا قد أسفرت من شهم كرم ومك حارس ولا أملاك أن أكاكتك على إخلاصك لى ولهذا الطفل البرىء وهو عمرة غرورى وغراى — إلا بالإخلاص والوفاء . وها أناذى بين يديك أبداً لك حبا بحب ووفاء بوفاء ، وأعهذك على الصدق والصراحة وتستحذنى إن شئت صديقة لا تم ولا تخون ...

فدمش ليفيج وكاد يذمر من هذا السيل من الكلام اللصنب قابلم . ونظر إلى الكواكب الحائلة والبحيرة الهامسة بصوت أمواجها ، ثم إلى أضواء المدينة — بحيرة ليمان . وجبال الألب وأتوار لوزان — ما أجملها ! ثم نظر في عيني أوجمستا فلما الإخلاص يشع منهما فأيقن أن الأقدار قادمة على جزائه خيراً بأهداء هذه المحبوبة إليه . وهي التي اشتهاها منذ أربع سنين وفارقتة على غير صورة ، وقد عادت إليه عنراء مفتوة ، وأماً منكوبة ، وعشيقة مهجورة . فاعليه إلا أن يطأ رأسه ويعد يده ليقطف تلك الثمرة البائنة الحزينة . ولكن نادى يقول بمد هذا الاعتراف الذي أفرغته في أذنه حلوأ وصرأ ؟ أياحت يسرها لتستطفنه أم لتقصيه ؟ فأطرفة مى بخلفه إن كان يرضى بها أم يسخط عليها أم وثقت بإنسانيته ورجولته فلم تخف عنه سر حياتها ولنز وجودها ووصفت له ما قاست في سبيل عمرة غرامها

وجلس وأقبلت عليه وهي ترتجف ونظرت إليه مبتين
نصف مطبعتين وبخيا وادع كسته العاطفة من سحرها
وروعها وتحتت : « لفيج ! خنا عليها وسوئها الرقيم
يرن في مسمه ، وحبا الكظيم ينور في أضله
وحس بحب : « أوجستا » وم بتقبلها فما أن
كاد يصل ثمره إلى ثمرها حتى سحب رأسه وتراجع
عنها أعظم ما يكون إلى رفشة من بين ثناياها وحبس
القبلة في فمه ، فردت رأسها المحبوب وأطلقت من
صدرها المجهود زفرة لاهية ولم تنبس . فقال لها :
— عندى . لا أستطيع أن أجبك في هذه
الثرة ، إن عيني الصغير « اليوشكا » وشبح
والدتك يوقظان الحياء والخوف في نفسى
فقلت له : أو تظن أن نفسى مجردة منهما حتى
يموتاك ولا يموتانى . أنا لك أنى شئت . فانتقبا على
أن تستأذن أمها في غيبة قصيرة — يوما وليلة —
تقبضهما في بيت صديقة قديمة في ديون على شاطئ
البحيرة ، ولكنهما يلجآن إلى بوفريه
فقال لها : لا بد أن والدتك تدرك شيئا من
سرنا عند ما لا تجدي أزورها في غيبتك . وعندئذ
انفجرت أوجستا وقالت له : ألم تكفك الأيام التي
قضيتها معك وتصرفت منها الساعات وقد ذهبت
علينا هدرًا فما لا طائل تحت ولا غنية فيه ، وإن
الذى حال بين حبا وبينه من إباء وشرف وكرامة
لم يكن إلا هراءا ولنوا ، وقد أخطأ خطأ فادحا في
عدم انصياعهما إلى عاطفتها وهواه

فقال لها : أننقل كل ما نوطأ الناس عليه من
قواعد وشرائط للحب ؟ فقلت وقد لمت عيناها :
— على المرء عند ما يجب أن يرتفع فوق المرف
والشرايع وأن يسمو فوق الترهات والأباطيل وأن
(٥)

أسهل لديه أن يعد ذراعاه ليجنبها إليه وقبلها
ويمتلكها في منظر ذلك الجمال الأسفى المتجل في
السواء والجبال وهدهد الليل ، ولكنه كان جبارا
على نفسه قابضا على زمام طبيسته يد من حديد ،
فكبت وصمت وعاتت أوجستا للحدث فقالت :
لا أدري لماذا أشتغى الخمر في هذه الليلة أنا التى
أبفضها من صميم قلبى . ولكن كان بودى أن
أشربها ممل . فاهتز كيان لفيج هزة عنيفة ثم
قال : أعترف لك الآن أنك استمتعتي بجميعك
وحسن صنيك فقد شارف ولدى على الشفاء بفضل
صنيك واجتهاد صديقك النظامى بارتولوسكى ، كما
ملكنت مواطنى بروعة أحديك . ولا أدري لماذا
تذكرتك كثيرا في الصيف الماضى في روسيا ولا
لماذا كان طيفك يمثل أغلب الأحيان أمام عيني .
وطالما تخميت ... فقال لها : ماذا تخميت ؟ قالت : أن
يكون هذا الطفل لى منك لامن سواك ، فاني أحب
أن تصيد الطبيعة خلقك في صنيح تحنو عليه منلوى
وتحتويه أحشائي وأرضمه لباني . وكانت نفسى في
أشد أوقات الضيق تحمئى بلفائك . فقال لها :
أكنت تنتظرين لقائى إذن يا أوجستا ؟ وكانت تلك
هى المرة الأولى التى لفظ فيها اسمها من غير لقب ،
فرفعت إليه عيناها الساجيتين ببلال ، ولما التتى
النظران أطرفت حياه وضرج الخفر خديها الناضرين
الناعمين بحمرة الورد . ولم يلبثا أن افترا على أمل
اللقاء في الند

وما انتصف النهار حتى كانت قدماه تقودانه إلى
غرفها كأن قوة خفية تدفع به إليها وما توشك أن
تسمع دقته حتى تهزع إليه لتستقبله . وكانت أمها
غائبة عن المار في أحد شؤونها المالية . فدخل لفيج

عروفه. المرأة هي أوجستا والرجل هودي نافارا تودى
 نانا ذلك الأفاق دعى الأدب وصاحب الخان الذى
 اجتمع له فيج ياوجستا على مائدة لأول مرة . وبعد
 النهضة الأولى كذب أنه لشدة استغرابه واستباده
 واستحجانه ، وود لو يستطيع أن ينظر إليهما بعينه
 ليرى وجه المرأة التى كانت بين يديه منذ ساعات
 معدودة تستطفه وتقره وتراوده وتحسه وتصرفه
 عن الفضيلة والثريمة والعرف وتهون في نظره
 مراقبة الناس ومراعاة الحق والواجب . وما زال
 يتحرك ويمتدل ويعيل حتى صاز منها بحيث يرى
 ويسمع ، وعندما وقع نظره على ثوبها وشعرها وجدها
 (وكانت له فيه علامة لا تخطئ) كاد يجن ويفقد
 مشاعره وتحل قيود العقل في نفسه ، ولكنه ضحك
 واستطاع أن يجوّل أله سرورا وطيشه حلّا
 وغضبه صبرا وسخطه اتناكاً فسمعها تقول :
 سأغيب عنك يومين لأكثر ! إن لي سديقة قديمة
 في ديفون تحب أن تانى ، وقد حاولت أن أدعوها
 لزيارتى في لوزان فلم أقبل فسمع الرجل يقول :
 وكيف تركين ذلك ووالدتك ؟

أجابت : إن الصغير دخل دائرة النقاها ولا
 خطر عليه ، أما أي فتى في تلك الرحلة بعض
 راحتي وهنائى . ولشد ما وددت أن أكون معك
 في سياحتي القصيرة

فقال : إن موسم العمل لا يسمح لي بالتنقل ،
 ثم إن زوجتي تبين إذا علمت بسررى لأنها تهتمنى
 دائماً بمرافقتك . فما هذه الساعات التى تحتبسها
 إلا فرص نادرة . ولولا شوق إليك ما استطعت أن
 أخطر بمفلي أو بمجاتي

فقال : لا نقنأ نمنع على بقربك وتشرنى برمان

يتخلل عن التفكير في غده ومستقبله وألا يبحث في
 أمور السعادة والشقاء والرزقة والفضيلة والشرف
 والتهتك أو يضيع أوقاته سدى ، وليندفع وراء حبه
 إن شاء منته نفسه وراحة قلبه . فنهض له فيج
 وقبلها قبلات حارة أودعها كل ما في فؤاده
 من حنين وحب وصالحها مودعاً إلى الندد وقد
 تواعدا على أن يلتقيا في الصباح في غرفة الانتظار
 في محطة السكة الحديدية ، فيسكون قد اتخذ أهنته
 للسفر . وخرج وهو أسمد رجل في انتظار ذلك
 اللقاء المرتقب . وذهب له فيج إلى غرفته ولكن
 فبين كان يتكرو هو يصمد الدرج ليقضى ليلته وخيال
 من كان ملازمه ؟ وطيف أية حورية كان ذلك الذى
 راود أجنانه حتى الساعة الماشرة ؟ الجواب على هذه
 الأسئلة كلها هو « أوجستا » . فلما أيقن أنه لن
 تنمض له عين ولن يأخذ الكرى بما قد أجنانه
 نهض وليس ثيابه وأحمدر في سكون الليل ليقضى
 هزيماً منه في أحد المقامى الساحرة حتى يهون عليه
 انتظار أنفاس الصباح . فسار قدما في شارع غليوم تيل
 ثم يرون سودرون قافنيون بونون بولفار رسوفيدان
 فيدراو ، وهناك ولج باب تلك الحانة الشهيرة « جراند
 براسيرى فودواز » التى يؤمها الطلاب والطالبات
 لينشروا ويظهروا ويرقصوا إلى ما بعد نصف الليل وجلس
 منفرداً في إحدى تلك المقاصير المظلمة بالتحائل المنزلة
 عن أخواتها يشياك خضراء من الأغصان والأفنان
 كأنها خلوات المايدى في بطون الوديان أو رؤوس
 الجبال . ولم يوشك أن يرتشف من قدسه رشقة حتى
 سمع وراء ظهره وقع أقدام وسوتين يتحدث صاحبهما
 في صرح مصحوب بالخنفر . صوت امرأة وصوت
 رجل . فاهتز له فيج وارتجفت يده ثم كاد همه يجمد في

أن يسقط على الأرض وهو ذلك الثارب السخي .
وبعد فترة حكم فيها السكوت على ذي نانا
وصاحبه قال لها :

— ليس هذا الصوت غريباً على أذني .
— وليس كلامه غريباً على سمعي .
— أي ضم رحلة قصيرة إلى ديفون وصديق قديم .
— لعله التقى من أفراسنا وحسنه السكر أن
يسيدها .

— إن لم تخفي فاكرتي فهو ذلك البولوني . .
أذكرين منذ أربع سنين أنك قلت لي إنه لا يبدو
أحد جليين : إمابري ، وإما أبه . قتل لك : لا هذا
ولا ذاك : إنه مخلوق عادي كالمرم الذي يتقن في الاسواق
لا زائف فيرد ، ولا حديث العهد بالسك فيدخر .
فضحكت أوجستا وقالت : صدقت لا يرد
ولا يذخر . . جارسون : واحد شوب !

محمد الطفي محمد

وكلاء في الشرق العربي

لجئتي (الجامعة) و (ال ٢٠ قصة)

إدارة مجئتي (الجامعة) و (ال ٢٠ قصة)
في حاجة إلى وكلاء ومراسلين في البلاد العربية .
وخصوصاً المراق وسوريا ولبنان وفلسطين

والخارجة بالبريد مع الإدارة
شارع نويل رقم ١ بالقاهرة

الجيل الذي لك في عني ، بيد أن الأمر بين الرجال
والنساء غير ما تفعل . وكانت أشعة مثيلة تقع على
وجه أوجستا فبراهها لمفيع كأنها في غيبوبة عما
حولها ، وكانت حركاتها وسكناتها كلها ثم من
استرخاء تستسلم فيه لرقيقها الإيطالي الناعم استسلام
التابع الضعيف يستمد حياته من متبوعه وقد أصبح
خيالاً له وصدي لصوته . وكان لمفيع إذا نظر إليه
متأملاً خله نارة أسعد الناس وتارة أشق من في
الحياة ، فهو سميد باكتشاف هذه الحياة النائرة
في أعماق نفس المرأة التي استسلم لها وسى بخيبة
أمله في حبه حتى بفضت له الحياة . كان عليه أن
يقتل أحدهما أو يقتلها ويقتصر ، وكان عليه — إن
أراد الحياة — أن ينتقم دون أن يضحي بكرامته ؛
وهل تستحق هذه الماعز العادرة الفتوة أن يذلل
حياته في سبيلها ؟ فبهض وسار خطي معدودة حتى
وقف يباب خلوتها المجاورة لمقصورة وصرخ بأعلى
صوته : جارسون . تفضل بمحاسنتي فاني مسافر في
الصباح الباكر ، إن لي صديقاً قديماً في ديفون يجب
أن براني وحاولت استدراجه إلى لوزان فلم أفلح
وسأقرب من حاستكم بومين لا أكثر

وساد في المكان صمت عميق

وجاء التادل مهرولاً ولم يسمع سوى آخر ما قاله
به لودفيج . فدفع للخدام عن الحجرة المنقذة ونفذه
حولانه بسخاء ولم يجد الجرسون ما يقوله سوى قوله
« إن هذه الجمعة جيدة جداً يا سيدي ، لقد
أدخلت السرور على نفسك بسرعة مذهشة » وقد
ظنه سكران بفعل الخمر . وخرج لمفيع يترع فكان
من براه لا يشك في أنه فريسة منقوع الشمير
وحشيشة البتار . وشبهه الخادم إلى المخرج خشية

تردد ... وهو الذي كان ينزى
في الأمل في نجاحه ، ولكني بعد
ما سمعته لا أري أن يؤمل في هذه
الجائزة . وما أفسى أن يفقد الإنسان
الامل ! ولكن حزني ليس مؤلماً
لأن رفيق طفولتي وأخي الذي
يجب أن ينال هذه الجائزة باستحقاق

وجدارة وكان ذلك فوق طاقتي ... فغفواً

(ثم تبكى وتقول)

فيليو - إنني في الحقيقة أتألم أكثر منك
فارجو منك ...

جائيتنا - أواه ! إن هذا سيؤذي نظائلي ...
وقد نسيت يؤسك ولم أفكر في شؤناك . ليس لك
في علنا أيها الهدف النجيب والصادق المسكين غير
فناك الذي يمزيك ، فقد اتعنى حزني لأنني كنت محمداً ،
ومن العدل إذن أن يكون نصيبه الحب ونصيبك
الفخر ؛ وسيكون ساندرو والمزورجي على كل حال ،
ولناك فنان عظيم تثير إعجاب ، وإنني أحبك وأريد
أن أقسم لك (ثم تأخذ يده)

ولن أبكي عوض ... أنظر فاني أبسم ..

(ثم تصعد الزفرات)

ولكن هذا فوق طاقتي (ثم تخرج)

المنظر الثامن

فيليو (وحده بعد تأمل مؤلم) - قطعت جبهة
قول كل خطيب ! اعترفت بكل شيء وإنها يجب
رجلا آخر ، وهكذا حلت مشكلة سادتي بكلمة
واحدة ، فمرجل آخر ... هذا الشاب العامل ..
لم تدهش وتعجب بعد كل هذا ؟ وتتهمها بالنظم
والسفس ؟ ... إن الأمور تجري بطبيعتها أيها
الشمس . وفي سنها هذه تحمل الفتيات بحبيب مماثل

عَوْدَ كَرِيمُونَ
للمسرح الفرنسي فرانسوا كوبيه
بقلم الأستاذ محمد كامل الحاج

جائيتنا - قف التوقيع فاني لا أستطيع أن
أخضعك أكثر من هذا فاني أعرف كبرياء الفنان
وأنا سمك إياه كما شاطرناك آلامك فيما مضى ولكن
ليس ذلك الذي يسيل عبراني
فيليو - وماذا إذن ؟

جائيتنا - سأسبب لك آلاماً ثقلاً ولكنك
ستشفق على بلارب . وحينما قلت لك أيها الصديق
التقديم إن الحب تغفل في فؤادي وإنني كنت أعني
النتجاح لأحد المتنافسين وإن سادتك همت سادتي
فيليو - أواه !

جائيتنا - يحسن ألا يملكك الغضب ،
إنني كنت أجهل كل شيء لأنك لم تظهر لي شيئاً ،
وكنت أظنك كامل مبتدئ ، وهذا أمر طبيعي ،
ثم غميت أحسن الأمان للرجل الذي أحبه ، وإن
كنت أعرف هذه الأمور لما ترددت في قراري
نحوكما وكنت أقنع بهذه الفكرة من أنك أذكى
منه وأهمه وما كنت أبكي كالسيوم

فيليو - (مشيراً إلى الباب الذي خرج منه ساندرو)
هل تحبين ؟ ...

جائيتنا - (بصوت منخفض) نعم ...

فيليو - ساندرو !

جائيتنا - أنظر ، فاني أودعك سرى دون

ومع ذلك فإن هذه تضحية قاسية فظيمة لم تخطر على ألبانها القلوب الانسانية الضعيفة - إنني سرفت أياها طويلا أشغل فيها يدي ، إن روح الفنان المشتعل قد أودع في هذه الآلة الخنوق الأبدى المؤثر . إنني أحبك كثيرا أيتها الآلة المزينة التي صنعتها ، وداعا إلى الأبد . إنني أضحك في هذا الظرف الضيق الأسود ، وأغنى في حداد وأنا أضحك هذا الوضع كأنني الحدايق في رسمها
(ثم يغلق الظرف بسرعة ويقول بصوت غشقي)
قد تم الأمر !

المنظر التاسع

فيليو — المعلم فيراري — صاندرو
المعلم فيراري (وهو داخل)
هيا يا صاندرو ... وفيليو ... قد اقتربت الساعة ولم تنهيا بعد للذهاب

صاندرو (يدخل من البين) — قد تم كل شيء يا معلم !
فيليو (مشيا إلى الطرينين) — هاهما جاهزين المعلم فيراري — أعني لكما النجاح يا ولدي ، إنني أستاذ في فني وهؤلاء اللدعون يفرطون في الاكتثار من وضع القفلون على كانهم الرديئة ! وستكون الجائزة لنا — لأنني جلت جولة في المدينة فرأيت الناس جميعهم في استمداد لهذا اليوم مرتدين ملابس الأحد يسرون زراقات ليشاهدوا اجتماع اللجنة ، ويرى من بعيد رئيس الكنيسة وهو مرتب في كرسيه الكبير ، ينظر من بعيد وهو مبين من البودره كأنه شجرة قنقاع في أربيل . نجول في الهواء نفحة شجيرة ، وفي الطريق لا يستنشق الناس ويشمون غير الموسيقى النشيطة من مزار « أوترب » ومزهر « أبولون » ، وفي جميع مفارق الطرق تسمع أصوات الكبان صادرة من نوافذ غرف الأسطحة .

لهذا الشاب ، وأنت أيتها السقط النكود الذي تضحك السوق في طريقه ، أما نظرت وجهك قط في المرأة ؟ ولكنني لم أنظر شيئا ؟ يا لئيمي والحماقة !
هيا أيتها الأحدايق واخبي في حجر ! إنها تعجب صاندرو ! وليكون سعيدين هاتين ! وأنت ، اذهب لشانك ، تألم ومت ! أواه ! أية حسرة نهش فؤادي ! إنني أشمر بشيء انطلق مني إلى الأبد . وماذا يفيدني الآن أن أدخل في هذه السابقة والطمع في الانتصار الرومي ؟ ماذا تعمل أيتها الفارق في أحلامه والذي لا يريد الجدل الا يظفر منها بالقبول والاعجاب والذي لم ينتج إلا في إسلالة دمعا ؟ ولا حاجة لي في المنافسة وإن صاندرو لم يد ببدى أمر الصناعات ، فليأخذ الجائزة ليكتف ببرائتها (ثم يأخذ كانه)

وأنت يا من بذلت كل ما في وسعي لنجاحها أصبحت عديمة الفائدة حتى إنني أحترق الآن أنت وآمالى ويجب أن أحطك (ثم يترقب)
رباه ! أية فكرة نهش فؤادي ! وإنا نجمع طمل آخر حاز الجائزة فهل يتزوجها ؟ ان حبا لا يلبق في ابل هو مضحك ! ... كلا ! فان الاخلاص هو الذي يتقدم بينا أنا اتفهم ! لأن الكائين متشابهتان في الشكل ، وإنني أستطيع أن أنازل عن حملي بأن أغير الظرف لأن صاندرو ليس له روح موسيقية ليسني لها أن يفرق بين سنمه وسني . وحينما يأخذون الآلات لتجربتها هناك سأقول له حفرا من فتح ظروفها وسترسل إلى المحكين الآن ... إنني لا أريد أن تبكي هذه المسكينة ، وأنت يا كافي يبنى أن تحطمي لأنك تستطيعين أن تمنحني من التالم ؟ فلتنسج وتقدم لها هذه الخدمة المنظمة

(ثم يفتح الطرينين ويضع كان صاندرو في الظرف الآخر ثم يقول وهو يضع كانه في الظرف الأسود)

ناضر ولو أنه كان مقبولا ولكن فازقته قليلا تلك
النفرة، وكانت زوجي في ريمها المشرين ذات دل ،
وهذا بلا شك فيه خطره فافتن بها كثير من الشبان
الأعيان فكانوا يقصرون زهمهم على هذا المكان .
وفي المساء يأتون زراقات ويوقسون شجي الألحان
على آلاهم الورتية . ألا تعجب الآن حينما تعلم لشي
حد تنفذ المصادقات شرف رجال فننا وكيف يمت
في النهار لجميع هؤلاء القيثارات ، وكنت أستدل من صوت
آلاهم وأنا نائم على ضراب هذه الألحان ، وراقت
زوجتي وحافظت عليها بكل دعة واطمئنان وجمت
ثروتي هذه بلا مشقة ولا عناء

ويل لك ! لقد نسيتنا السابعة وتأخرت عن
الغهاب فتناولني عصاي لأذهب على عجل
(ثم يخرج من البين)

النظر الحادى عشر

فيليو - جانيئا

فيليو - إننى لمتشوق لتحقيق كل ذلك (ثم
يلج جانيئا داخلة ويديعا كتاب صلوات) ، إنها هي !
جانيئا - إننى آتية يا فيليو من الكنيسة ،
ولقد ذهبت وقلبي مثقل بالمهموم ... ! ودعوت الله
أن يكمله بالنجاح رغمًا من جميع الاعتبارات ، وحينما
ركبت أمام القديسة سيسيل شعرت بأن الله لا يتقبل
طلبًا غير طول . ومهما حصل فقد شاهدت الله ياصديق
أن أستمر معك كما كنت دون أن أغير شيئًا من
طبايحى ، قالى اللتى القريب ... !
(ثم يتحقق للسرخ وتخرج من البين)

النظر الثانى عشر

فيليو (وحده) - بأ أشد حبهاله فوا أسفاه !
ولو كنت قويًا جميلًا مثله لأحببتى حبًا جًّا ... !

وجميع الأبراج وتثبت من مدينة كرميون أسوات
مختلطة متتابعة في الصمود كأنها الأور كستر قبل
رفع الستار !

ساندرو - هل ستبقى يا فيليو ؟
فيليو - كلا يا زميلى ... فاني أينا ذهبت
بضحك منى ويهزأ بى ويضطرنى لحمل سنى مع
صنمك ، فقصرت كفافس غلص لأنك فى بعض
الأحيان تكبرن ببدأ عن الاخلاص ، وفضلا عن
ذلك فان دار المحافظة قريبة جداً
(ثم يتناول يد فيليو التى مدعا إليه)

ساندرو - نعم
فيليو - شكراً لك !
(ثم يخرج ساندرو حاملا الكماين فى ظرفيهما)

النظر العاشر

فيليو - للملم فيرارى

فيليو (على حدة) - أواه ! قد تمت الضحية
فلنتشجع ! ... (يصوت عال إلى فيرارى) ألا تذهب
لتشاهد صنمه مكللا بالنجاح ؟

الملم فيرارى - نعم سأذهب ، ولكن ساندرو
لم يأخذ الجائزة وبدولتك لتستطيع أن تنال السلملة
الدعبيه ، وهل أنت أقل منه ذكاء ومهارة ؟
فيليو - كلا فانك تعرف جيداً أنى سبي الحظ
فيرارى - إنك تشك كثيرًا فى نفسك وإنك
لا تقل عن مهرة صناع الآلات الموسيقية ، وإن كنت
الجائزة فاني أبر بقسمى معك وأشاركك لى صهر أو خلفاً
فيليو - أيتها الأستاذ !

فيرارى - دعنى أتم حديثي فاني أعلم بدقائق
الأمور ، وستكون رب بيت عظيم ، وأعلم أننى
حينما بنيت على عقينى كانت سنى ضعف سنك الآن
ففتحت هذا المل ولم أكن فى ذاك الوقت ذا جمال

إلى صفوة أعملى هذه قد تنازلت عنه لك ولكنك
زدته إلى

ساندرو - وكيف ذلك ؟
فيليو - هاتان الكائنان اللتان بدلتها قد
كنت بدلتها أنا يدي

ساندرو - ماذا أسمع ! كان توبسج ضميري
بحول دون فعمى ؟ وما الذى اضطررك لهذا العمل ؟
فيليو - لأنى أعبدتها وأت الذى فضلت وإن
كان فؤادى يفيض حسرة مؤلة . ولو كنت أبحت
عن الشجار من فمك فأنها قد عت كل ما عملته
لأجلها ...

ساندرو (ينهض) - لقد اقتصرت إنما وأود
أن أنال قصاصه ، فحقوه بكلمة لأذهب حيث
لا أعود . وإن نسيته جانيئا فأسلم فـ ...
وستجملها بحبك لأنك الوحيد الجدير بها ... إننى
أرحل ... يجب ألا أتردد (يمسح صنب فى الخارج)
فيليو - لا تبرح مكانك وأطوى !

المنظر الرابع عشر

الجميع (يدخل فيزاري ثم يرفع ذراعيه صوب السماء
حين يشاهد فيليو وقد سار وراء جماعة الموائد وساجبان
يعمل أحدها السلسلة الذهبية على وسادة والثاني كان فيليو
وقد زينت بالأزهار والأفرشة الحمراء - وتظهر جانيئا
على عتبة الباب الأيمن) - ليحيى الفنان الماهر !

المعلم فيراري (غاملاً فيليو) - تعال يان ذراعى
فانى أنأدى بك ملكاً لقن وإنى أبر بوعدي أمام
الاخوان الزملاء فأنت إذن شريكى وصهرى وقلبي !
وقبل كل شيء أمنحك هذه السلسلة الذهبية ...
(ثم يناوله إياها)

فيليو (ياخذها ويذهب إلى جانيئا ويضعها فى عنقه) -
إننى أمنعها جانيئا المحسناء لتجملها أحب الحلى إليها
حيناً يبنى عليها صديقى ساندرو

المنظر الثالث عشر

فيليو - ساندرو

ساندرو (يأتي من الداخل مهزولاً ينفث واضطراب)

- فيليو ! فيليو ... !

فيليو - ماذا دهالك ! فانى أرى عينيك
مفرورتين بدمهما ووجهك شاحباً ماذا عراك ؟

ساندرو - لقد اقتصرت إنما فأنها ، إننى لجرم
عفواً ... عفواً ... ! عفواً ... !

فيليو - من ؟ أنا ؟ أنا الذى أساعك أيها
الصديق ؟ وماذا جرى ؟

ساندرو - إننى - كاترى - قد فقتت بها
وسيطرت على نفسى ، وقد أقتصرت على مناحم أمام
عينها ، وإنى لتمس نذل حسود . وحينما حلت مكانك
- وهى صفوة صنك - سولت لى نفسى ولألمار
والفضيحة ، وقد فارتقى سواى من التنيظ والألم ،
فوقفت وأنا أرتعد كالصخر ، فى ظل رتاج رفاق ضيق
وبدلت الكائنين

فيليو - أنت ؟

ساندرو - لقد قممتها للمحكين ، وحينما
فتح الخبير الظرفين لم أستطع رؤية ذلك وركنت
إلى الفرار . إنتم منى إذن أمام الاثهاد وافضع
عملى ! ولكن كن بى رحماً ولا تظلمها على فقلقى
الشتماء . وسأكتب لك اعترافاً بالجرمة ثم أذهب
لأموث بعيداً لأن الخجل قتال . ولكنى أنوسل
إليك ألا تدع وجهى يحمر خجلاً أمامها
(ثم يركع أمامه)

فيليو - كلا يا ساندرو فلا حاجة لى إلى
الاتقاف فلقد انتقمت أنت من نفسك
ساندرو - ماذا تقول ؟
فيليو - هذا الفخر الذى يرجع الفضل فيه

أصابك فاذكر أمّا أنى أشعر فى هذا الوجاج الأليم
المائل أن قلى يتمزق مثل هذه الأوتار الشاكية !
إنى أعزف أنك لا تستطيعان أن تملا شيتا فى
هذا الأمر . ولا تنسبأ أنى كنت ولا أزال أحبك
حبا خالصا صادقا !

العلم فيرارى — أيها الناكر الجليل ! أتريد
أن تخرب بيتى ؟

فيليو — إنى أترك لك صاندرو
فيرارى — ما هذا الليل القريب ! أتدع هنا
الصداقة والثروة وما إليهما ... وما الذى حفظته
لنفسك ؟

فيليو (ومر مسك بكاته) — احفظ هذه
(على حدة)

وستمزيى وتكون سلوانى فى هموى وأشجائى !
(تحت) محمد لامل مهباج

جانينا — لافض فوك يا فيليو أبار الطيب
صاندرو (بصوت منخفض) — صديق النبيل !
وأخى العزيز !

العلم فيرارى — هلا ! أما تخيت قط أمانى
فرسان مالمه وأنتك تستطيع أن تزوج منها ...

فيليو — كلا ! يا أستاذى الطيب وإنى أود
أن أذهب بعيداً لأحمل من شهرتك ، ومن اللند
سأسيح فى إيطاليا . أنظر قاتى حلت حلكا ، والذى
يتأتى حدوثه لم يحدث ، ثم سأذهب وأنا سعيد
جداً إذا كان ذهابى يحدث بعض الأسف وهذا
كل ما أتمناه (ثم يجنب نحوه صاندرو وجانينا)

وحينا يود الحل إلى العمل ويستتب لك الحظ
بجانب حيثيتك وتعمل عمالك الذى تعودته وإن كان
بعض الأوتار ذات الصوت الشاكي ، ينقطع بين

الجودة الفائقة و الذوق الجميل
والثمن المعتدل

تلك هى العوامل الثلاثة التى تسيّر عليها

شركة مصر لنسج الحرير

عند ما تنتج أغفر أنواع الاقشعة الحريرية

ألحوا فى طلب منتجات

شركة مصر لنسج الحرير

إحدى مؤسسات بنك مصر

في أمر الزواج

وقبل الدعوة يوم واحد
جاءت زوجة المستر هوج وبنتها
ييسى إلى دار السفارة لتقابلنى،
وخاطبتنى كالمادة كأنه لم يحدث
شيء . وكانت تخاطبني بلقب
الأمير وعائشنى على عدم الزيارة،

ثم تبين أن المطلوب هو إرسال الدعوة إلى حفلة
ولى العهد ، ولكي تضمن الخبيثة ييسى إجابة هذا
الطلب مضطت على أعبى الخنصر وهى تودعنى عند
الانصراف . فمادونى الأمل فى مهرها وفيها، ووعدها
بأن أحصل على دعوة من السفير وإن كنت أثق
بأن السفير سيسخر بى عند ما أطلب هذه الدعوة

يبد أنه لم يفعل ذلك ، بل وقع الدعوة إليها بنير
تردد فأرسلتها إليها . لكنه فى تلك اللحظة جاء
عشرات من الناس يطلبون إلى التوسط فى إرسال
دعوة إليهم ، فاعتذرت بأن التناكر وزعت كلها
وأخيراً جاء يوم الزيارة ، فدهشت من البساطة

التي يسامل بها ولى العهد فى هذه البلاد ، لأن ولى
العهد عندنا إن زار منزلاً من المنازل فرشت له
الطريق بالأبسطه ، وممرات المنزل بالسائد الحريرية
للنظافة بالورود ، ويسعى عند دخوله من الباب مائة
جنيه وتوقد له الشموع ويستمد الطباخون قبل يوم
الرغبة بأسبوع على الأقل فى تهئية الحلوى وغيرها .

أما هنا فلا يكاد يعمل أى شيء قبل ساعة الزيارة
ولما تشاورنا فيما بيننا فيها تكرم به الأمير فى
أثناء الزيارة قال لى تقى الدين : إن خدم السفارة
وموظفيها يجب أن يصطفوا عند الباب ويسجدوا
أمام الأمير

حاجى بابا فى انكلترا

تأليف جيمز موير
بترجمة الأستاذ عبد اللطيف النشار

الفصل الرابع والأربعون

ولى العهد يزور السفير

تقرر أن يزورنا ولى العهد، ويحدد ذلك موعد
بميد يدل على أن اليوم إنما اختير ليمنه . ذلك بالرغم
من تأكيد للترجم أن الأيام كلها سواء عند
الانكليز . ولكن أكاذيب الانكليز كانت تظهر
لنا شيئاً فشيئاً بشكل واضح . وقبل موعد الزيارة
كتبت عنها جميع الصحف ، وقد اهتم أهل المدينة
بهذا الخبر كأنهم لم يسموا قبل الآن أى شيء عن
الفارسيين . وأرسل السفير الدعوة إلى عدد كبير
من الناس كلهم

والغريب فى أمر الانكليز أن أحدهم ينضب
إذا لم تعله دعوة كان ينتظرها ، وأنه يبنى حقه فى
طلب الدعوة على أنه الأسباب ، كأن يكون له ابن
عم فى فارس ، أو أن يكون قد رأى السفير فى إحدى
الحفلات الخاصة . واحتجت إحدى السيدات بأنه
مادام الفارسيون يسمعون بشدة الزوجات فالواجب
أن يكون عدد الدعوات فى الحفلات أكبر من
عدد المدعوين

وكانت قد اتفقت مدة لم أسمع فيها شيئاً عن
أسرة هوج سوى ما يأتى به السفير بين حين وحين
من السخرية بى والاستهزاء بتمدد ذكروهم وبمصادقنى

إليه تشفع عن دهشة من كبر المأمم، وبمد دخولهم إلى القاعة الكبرى بدقائق دخلت فوجدتهم يقدمون التذكرة إلى الكتيرين والكتيرات ، وكل من اطلع عليها ضحك

وفي وسط هذا الموقف علت الصيحات مؤذنة بقدوم ولي العهد ، فذهب السفير والترجم لاستقباله وعند ما دخل سمو الأمير اجتمع الانكليز الذين في القاعة حوله على شكل دائرة وأحنوا رؤوسهم وكانت هذه هي كل التحية التي حيوا بها ولي العهد. وقد تذكرت عند رؤيته عظم الفارق بين ولي العهد عندنا وولي العهد عندهم ، فالأول ينظر النظرة الخيفة فترمد الفرائص ولا يجرؤ أحد على النهوض منه ووراء كلته المقبوة. ووراء إشارته الجلاد . أما الثاني فنظره فائتة وإشاراته رقيقة، وإن اهتمت في النفس شعوراً فهو الحب دون الخوف . وقد كان يمشي ببطء وهوادة ويتسم لكل من يمر به ويصافحه

ولما نظر إلى لابسات المأمم الكبيرة ابتسم وسأل السفير عنهم فقدمت له الأم تلك التذكرة المكتوبة بخطي فسلمها إلى المترجم وقرأها هذا بصوت عال : « الأم هوج ورأسان من البنات » فابتسم جميع من سمعوا إلا الأمير فان تربيته السامية منته عن تشجيع التسمين في هذا الموقف

وقد احتملت النسبة كأحسن ما يكون في وسع إنسان أن يحتملها . ولاحتلت أن الأم هوج مقتبضة مسرورة بهامتها وكأنها تقول بيمينها : « من لم ينظرني إلى الآن فلينظرني »

أما كرمتهما فقد لاحظت خجلهما وكأن إحداهما تريد أن تخفف بها الأرض

واتفقتا نحن أعضاء السفارة على أن الحفلات

فماض عمد بك أشد المارضة في هذا الاقتراح وأكد أنه ما ينبغي للسلم أن يسجد لنصراني واقتراح سعيد وعجوب أن تنفي الشركية وترقص على الطنبور كما تفعل الجوارى عندنا أمام الشاه ...

فاعترض السفير على ذلك خوفاً من بلوغ الخبر إلى سمع زوجته، واقتراح أن يقوم حسن طباطبقة السفارة أمام ولي العهد يعض الألباب الفارسية مثل أكل النار ويبلغ قطع الرجاج واللبامير ، وأن ينشد محمد بك نحو ألني بيت من الشاهنامة ، ويقوم تقى الدين يعض الألباب البهلوانية . ولكن المترجم قال : إن ولي العهد لا يفهم اللغة الفارسية فلامني لإنشاده ألني البيت ، وأنه بدلاً من باقي الألباب يحسن أن تأتي بفرقة موسيقية من الانكليز رجالاً ونساء ليكون الأمر ملائماً

وقبل الحفلة وضع حول صورة الشاه إطار من الورد وحول اللزل كل إطار من الأنوار

وبدأ الدعويون يصلون واحداً بعد واحد ونحن في استقبالهم على الجانبين ، وقد أدهشنا وفرة المجال في الصنوبرات من الانكليز وكثرة العجاثر منهن .

ورأينا بين اللقبان في عربة ثلاث نساء على رؤوسهن حجاب كبير كالتي يلبسها عندنا شيخ الاسلام

ولما دنت العربة عرفنهن ، وهن زوجة المستر هوج وبناتها ، وقمن تذكرة الدعوة وعليها بخطي باللغة الانكليزية عنوان كتيبه على قدر معرفتي بتلك اللغة وهو (الأم هوج ورأسان من البنات) وقد رأيتهم يتسمن وهن يقدمنها فأدركت أن كتابته بهذا الشكل غير مألوفة . وقد صاغتني ودخلن ، وما كنت نفسي فلم أذهب معهن ورأيت نظرات الناس

قال السفير : « صدقت يا حامي بابا : هل سمعتي وأنا أمازح الأمير ؟ لقد أضحكته أكثر مما ضحك في أي يوم آخر » قلنا جميعاً : « بارك الله فيكم »

قال السفير : « لقد كان في حاشيته ملك مخلوع وهذا الملك سمين جداً قُلت له : ما شاء الله ، إن السالكين يسمنون في ضيافتكم . فضحك ونحك الملك المخلوع نفسه واستحسن الجميع هذه النكتة وكنا نضحك فقال الأمير إن انجيلول الانكليزية جيدة ، وإن النساء الانكليزيات جيدات . واستمر يتكلم على هذا النوال ، قُلت له : إن كل شيء في انكلترا جيد إلا الرجال ، فاتهم يسألون أسئلة كثيرة . فضحك الأمير وأعجبته هذه النكتة أيضاً واعترف بأن الانكليز يكثرون من الأسئلة »

فقال محمد بك : « نعم وهم يسألون أسئلة غريبة جداً ، فمن ذلك أن شاباً انكليزياً سألتني هل يحسن الفارسيون ركوب الخيل ؟ قُلت له : إنه ليس في العالم من يسامهم في ذلك . وسألني هل يحسن المغالطة ؟ قُلت له : سل عنا التركان والأكراد ، فإن أحداً إذا ركب جواده وأمسك سيفه أمكنه اخطف الأسد من عربته . فسألني هل اعتاد الفارسيون أن يتكلموا بالصدق ؟ قُلت له : إن كان هذا التعبير هو بعض أساليبه في وصفنا بالكذب فإن ذلك ليس من شأنه . ولما رأى أنني غضبت أكد لي أنه لم يقصد شيئاً ، ولكنه قرأ في كتاب قديم أن الفرس لا يحسنون فنون الحرب ولا ركوب الخيل ولا يستطيعون التكلم بالصدق »

وقال تقي الدين القراش : « لقد قابلت رجلاً آخر يعرف قليلاً من الفارسية ، وسألني عن نوع رؤوسنا فقلت في بادئ الأمر أن هذا نوع من

في بلادنا أروع وأعظم من هذه الحفلات التي لا معنى لها ، فقد سادست عجبني بالرغم من كثرة الوجودين فكاد كل إنسان يشعر بأن النرفة خالية مع أنه لو كان نصف هذا العدد من الفارسيين مجتمعاً في مكان واحد لسمعت عن بدم منه نحية تمام الأذان ثم أكلنا وانصرف كل المدعوين

وفي الصباح التالي دعانا السفير ليتحدث معنا عن اجتماع الأمس لكي يصف آراءنا فيه . وقال : « لقد رأيتم ليلة الأمس هؤلاء الانكليز ولست أعرف هل شعوركم بخوم مثل شعوري ؟ ولكني أقول لكم إنه كلما مر بي يوم بينهم زاد ميلي إلى اعتياد عاداتهم ، فإن أخص ما فيهم من الصفات عدم الزهو وعدم الليل للوضوء . هل رأيتم ولي العهد ؟ إنه « عباس ميرزا » هذه البلاد ، وإنني أقسم أنه لم تسلط إنسان على قلب إنسان كما تسلط هذا الأمير على قلبي ، فقد جعلني عبداً رقيقاً له » فقال محمد بك : « نعم إنه متواضع إلى درجة لا يصدقها أي فارسي »

قال السفير : « هل سمعتم حديثه ؟ لقد قال كلاماً جعل قلبي ينفق من الضحك . وملكته الفكاهية غريبة لا تتنب . ولقد أحسن الشاه باختياره تمثله في هذه البلاد ، ولولا ذلك لضحك الانكليز من الفارسيين جميعاً . هبوا أنه اختار ذلك التركي الأشعث عسكر خان ، أو ذلك الحيوان فرج الله خان ، أو ذلك المجنون عبدالقاسم خان ، فإن الانكليز كانوا يحتقرون المجلس الفارسي أشد احتقار

قلت : « نعم نعم ما شاء الله ، هل في الدنيا ذكاء كذكائك ؟ هل في الدنيا عقل مثل عقلك ؟ الحمد لله الذي يبيض بك وجوهنا في هذه البلاد فإنه لولاك لكانت وجوهنا سوداء »

الفصل الخامس والأربعون

مضى علينا ثمانية شهور في انكلترا وبدأنا نفكر على سورة جديدة في العودة إلى إيران ، وأخذ السفير يشكو من أن المهمة التي جئنا من أجلها لم تتم لأننا لم نقد معاهدات ولا اتفاقيات على طول ما أفتنا بهذه البلاد ، ووفق من خداع الترجم الذي كان قد أفهمه من قبل أنه سيتوسط في عقد أية اتفاقية ليكون الشاه راضياً عنا . ولما اشتد غيظ السفير عليه استدعاه يوماً وقال له محدداً : « يجب أن تفهم وتبلغ وزراء دولتك أن شاهنا عظيم ودولتنا عظيمة . إننا رجال ولنا أموال وعندنا خيول ولكنكم ما تلتفتون هنا في المعاهدات والاتفاقيات فبهزمتهم على أنكم لا تعرفون الفارسيين . إن إيران تستطيع إذا شئت أن تحتل البلاد الأخرى . إنني أريد أن أعود ، ولكنني لا أعود قبل أن أعقد معاهدة وإلا فإن زملائي الوزراء هناك يولون أنوفهم حين يصرونني وتعمل عمامتهم نحو جانب واحد . فأخبرني يا أخي بكلمة واحدة : هل تريدون عقد معاهدة أم لا ؟ »

فأجاب الترجم بيروده المادي قائلاً : « إن التعامل بين دولتين ليس مثل التعامل بين اثنين من أفراد الناس ، وإن وزير الخارجية الانكليزية ليس متفرغاً للسفارة الفارسية ، بل بينه وبين السفراء والفتاوى من جميع بلدان العالم مفاوضات ، وأن السفير الفارسي إذا انتظر قليلاً فإنه سيحصل بشئ شك على المعاهدة التي يطلبها لأنها ستكون في مصلحة الدولتين »

فأعاد السفير ما قاله ألف مرتبة من قبل وهو أن الشاه مستبد وأنه يقطع رؤوس الناس إن قضت الضرورة

التحية الانكليزية كما تسأل الانسان عن صحته ، ولكنه أفهمني أنه يسأل حقيقة عن دماغي . ولما أذنت له أخذ يحسه يده ويرى استدارته وتكوره وقد دهشنا من ذلك ، ولكنه أكد لنا أنه قرأ كتاباً من أدمغة الفارسيين »

وقال أمين الركبات : إن أحد الانكليز سأله لماذا نحس ذبول الخيل وأقدامها ؟ فضحكت منه وقالت : « ولماذا تصون أنتم ذبول الخيل ؟ »

وقال محبوب : « إن أحد الانكليز طلب إلى أن أريه الشركية وقال : إن قوانين هذه البلاد لا تسمح بسجن السيدات . فقلت له : إذهب وقل للسفير ذلك ، فمضى أسببه وذهب »

وقال محد بك : « وقد سألتني انكليزي آخر : هل تعرف اللغة العبرية ؟ فقلت : إننا لسنا يهوداً وإننا نحقر اليهود ، وإن الكثيرين منا يعرفون اللغة العربية ، ولكن لا يوجد في بلادنا من يعرف العبرية . على أن هذا المين أمر على تعلمنا تلك اللغة وأوصاني بألقائها لقرها من اللغات الشرقية . ثم تحدثنا بعد ذلك عن الموازنة بين اللغة الفارسية وبين اللغة الانكليزية ، فقلت : إن قاموس لتتنا يعمل على ثلاثين جاك ، فسكت ولم يجر جواباً »

ثم قطع السفير الحديث فجأة وسألتني : من هن السيدات اللواتي كن يلبسن عمامم مثل قباب المساجد ؟ فقلت في استحياء : هن من أسرة هوج . فضحك السفير وقال : إذا كان لديهن مال فلا بأس من إتمام الزواج ولكن لا تنس مشروع الشركة التي بيننا

فأردت أن أجد مخرجاً من الجواب على ألا أتورط بالقبول ، ووجدت ذلك في إعلان استياني من المترجم

السفير ولكنه قال إنه سئم من زورهم وزورونه .
ثم أمر محمد بك بأن يستمد لرافقته

ويقع القصر الذى زاوره على بعد ثلاثة فراسخ
من المدينة، وله حديقة غناء لا يشك من يراها في
أن هذا القصر كان مملوكاً لأمير فارسى زار انكلترا
في وقت من الأوقات لأنه أشبه ببنائى الفارسيين

وقد استقبل السفير عند باب رجل سمين من
الطراز الذى يسمونه في انكلترا رجال الأعمال

وأدرك محمد بك بقلته وذكاه من مجرد النظر
إلى هذا الرجل أنه يهودى . ولكنى قلت :

« يستحيل أن يكون ذلك يا محمد بك لأن الترجم
لا يجرؤ على أن يدنس شرف الشاه بأن يقوده مثله
إلى منزل رجل يهودى

لكن الرجل اعترف لنا سألناه بأنه من هذا
الجنس الذين . وقال محمد بك : « إذن ففى هذه
البلاد يهود كما فى الحال فى فارس . ولكن اليهود
هنا أغنياء . أنظروا إلى ثغمة هذا القصر ! أقم
بذوق الامام على لو كان عندنا يهود بهذه الدرجة
من الثروة لكنت أول من يصق على وجوههم
وينهب من أموالهم ما تصل اليد إليه

وقال محمد بك عتداً : « لقد أهاننا الترجم
إذ جاء بنا إلى هنا وسأحرق قبراويه » فسرت جداً
من سنوح الفرصة للانتقام من الترجم . وقلت :

« لا بد من ذلك ! لا بد من ذلك ! »

ولما عدنا إلى دار السفارة جلسنا فى حلقة وأخذنا
تقرأ ورد : « أستغفر الله ! أستغفر الله ! » حتى
يتوب الله علينا من مقابلة اليهود

لما دخلنا هذا القصر قال لى محمد بك : « يجب
أن نامل هذا اليهودى يمثل مانامل به اليهود عندنا »

وقال : « أرجو أن تذهب إلى وزير الخارجية
وتقسم له أنى ساموت من الحزن ، وأن دخلن هذه
المدينة يضابق أنفاسى ويسم دى ، فليجمل بمقد
الماهدات حتى أعود . فأكد الترجم أنه سيقول
لوزير الخارجية ذلك وسيخبرنا بأشياء كان أهلها
من قبل . وهذا هو عنده القديم الذى طالما رده
قال السفير : « ما هى هذه الأشياء ولماذا لم تقلها
من قبل . إنكم تقتلون بطول الانتظار وأنا فارسى
أعرف الدنيا وما فيها وليس فى وسعك أن تتخمدنى
بالكلام المسول »

فقال الترجم : « لقد عرض مشروح الماهدة
على البرلمان الانكليزى وتلقاه بالترحيب ولم يخالفه
إلا عضو واحد من أعضاء المارضة

قلت : « المارضة ! إن أصحاب المارضة توار
على ما أظن ! إنهم كانوا راجع عندنا . أليس
كذلك ؟ »

فقال الترجم : « توار ! لماذا ؟ قد يختلف رأى
الانسان عن رأى غيره ولا يكون ثأراً »

قلت : « إننا لانفهم ذلك فى فارس فان الشاه
يرفض أن يكون لى إنسان رأى غير رأى جلالتة ؛
وإننى أوصح لك أن تشير على ملك الانكليز أن
يامل قبيلة المارضة كما كان الشاه عباس يامل
الأرمن فيقتل البعض ويشرد البعض إلى أفاسى البلاد
قال السفير : « لقد تكلمت يا حاجى بابا كلاماً
حسناً ووافق رأيك رأى »

وسكت الترجم ولكن كان بادياً عليه أن له به
كلاماً كثيراً ولكنه عن عمد لا يريد أن يتكلم .
ثم دعا الترجم السفير إلى زيارة مصرف انكليزى
ايرى فريقاً آخر من رعايا شاه الفرجستان . فوافق

مع يهودتك موجود في انكلترا . لأنك لو كنت في فارس لجعل الشاه مالك ملكا للجميع . وقد كان الشاه عباس يلزم كل يهودى ببناء فندق أو مسجد أو تكية »

قال اليهودى : « نحن هنا ندفع الضرائب فهل تريد أن تقترح فرض ضريبة جديدة علينا ؟ »

وفي هذا الحين كان الغداء قد أعد وحضره خلق كثير ، فأكلنا على كرم من طعام اليهود ، والحق أن طعامهم شعى لا يبغى مثله أسهر الطهارة في تركيا . وكان السفير جالسا بين يهودى ويهودى . وكنت أنا ومحمد بك لا نملك نفسينا من الغضب لهذا السبب وتساءلنا ماذا عسى أن يقوله الشاه لو علم أن سفيره أصيب بهذه الوتة ونسى أنه سفير ونسى أنه مسلم من أجل أكلة في بيت رجل يهودى ؟

وقد نسي محمد بك ديبته فصار يضاقل السفير ويتناول القطعة بعد القطعة من لحم الخنزير حتى لم يبق على هذا الإمام المجتهد ليعير انكليزيا غير أن يخلق لحيته وشاربيه

ولما عذنا من الوليمة أمر بنا للسفير وأمر به السفير لنا عن استيائه واستيائنا من تلك الوليمة . ولم تفتني الفرصة فأوغرت صدره على المترجم ، فوعد بأن يهرق أباه ، وأخذ يمدح القصر وحديقته وإتقان الطعام وحسن الضيافة ، كل ذلك مع الحرص على لمة اليهود

الفصل السادس والأربعون

فيس يزور السفير

قضى محمد بك طول الليل في الاستنفار عن الأوزار التي لحقت به من مؤاكلة اليهود . وفي

قلت : « انتظر حتى نسمع كلامه أولا »
ولما استقر بنا الجلوس كان أول ما قاله اليهودى :
« هل أتيت من فارس بجواهر وأحجار كريمة ؟ »
قلت باللغة الانكليزية : « لا . لم تأت بشيء من ذلك . أظنك تريد أن تسرقنا » فضحك كل شديقه واعتبر قولى مزاحا .

ثم سألتنا هل لدينا عملة أجنبية تريد استبدالها بعملة انكليزية ؟ فغشيت أن يصغره محمد بك . وقلت لأمنه عن ذلك : « إسمع يا أخى ! إننا لا نملك فانت يهودى ونحن مسلمون »

وفي هذه اللحظة دخل رجل آخر لا يد وعليه أنه يهودى . وبدأ حديثه كمادة الانكليز بالكلام عن الجلو . وسألنا عما إذا كان عندنا مثل هذه البيوت والحدائق ؟ قلت : إن كان عندنا مثل هذه البيوت فانها لا تكون مملوكة اليهود كما هي الحال في انكلترا » قال : « ربما كنتم تكرهون اليهود ؟ » قلت : « نحن نكره النصارى ونكره الأتراك . ولكن اليهود أقبح من كل هؤلاء » فضحك الرجل : وقال « أنا لست يهوديا ولكنى تاجر »

قلت : « تاجر ! هل التجارة إحدى الأديان في هذه البلاد ؟ فقال : « كلا ولكنها سكر وبخ وغلغل وغرول »

قلت : لحمد بك : « هذا بدال ! ما شاء الله ! إن المترجم يجمعا بهذه الأوساط ويدعى أنه عرفنا بأصحاب المصارف » ثم سألته : هل أنت عفى ؟ فقال إن الانكليز يضربون الأمثال بنفى اليهود فيقولون فلان أغنى من يهودى ، ولكن بما أنكم تكرهون اليهود فاننا بدالون »

قلت له : « يجب أن تمد نفسك سبيدا لأنك

خاطبت السفير في هذا الشأن فجاءها بما يحيا في اليوم التالي وقال لنا : « من منكم الذي يهمني أيها الأوغاد بأنني غيرت ديني ؟ هل أنت يا محمد بك أيها الرجل المنافق ؟ أم أنت يا حامي بابا أيها الرجل الفاسق ؟ أيكم الذي تهمني هذه التهمة ؟ تكلموا أيها الناس ! » قال محمد بك : « انني أقل الناس في نظرك وفي نظركم أيضاً . لكن ماذا أقول أيها السيد ؟ انك قبلت الكتاب المقدس عند المسيحيين ، وحملت باحترام أمام القسيس كأنت أمام شيخ الاسلام ففهمت أنك غيرت دينك »

قال السفير : « أهذا جوابك يا طويل الحية ؟ إن الشاه أرسلك مني لتقول لي ولبن يزوروني كانت من التهمة لا زوم لها في هذه البلاد ، ولم يرسلك لتراقب سلوكي . إن الانكليز لا يعرفون التشريعات الفارسية . وليس لوجودك ضرورة بيننا الآن . فإما أنت تسلك معنا مسلماً حسناً وإما أن تمود إلى فارس »

فقال محمد بك : « نعم أعود إن أردت أنا أعود فاني مسلم ولا أطيق أن أراك وأنت مسلم تنبر دينك دون أن أتكلم . أسأل مني حاجي بابا فهو يعرف ما نفي أهل كل شيء في سبيل الاسلام »

قال السفير : « أسأل عنك حاجي بابا ؟ انني أسأل حاجي بابا أولاً عن نفسه »

ثم التفت إلى وقال : « أخبرني كيف أصبحت تنار فجاء على الاسلام ومن أين جاءت هذه التهمة ؟ أمن الترك أم من الأكراد ؟ لقد عشت خاطئاً ثم تأتي الآن وترغم أنك شيخ من شيوخ الاسلام ؟ » فقلت : « يا سعادة السفير إن محمد بك صدق فيما يقول ، وإن أي مسلم لينزع حين يرى مسلماً

صباح اليوم التالي دخل الحمام ليظهر من أكل لحم الخنزير . وضاعف عدد الصلوات المفروضة ، ولم أجد حذوه في ذلك بل استوليت على سمع السفير فلم أزل أستثير غضبه على الترجمة لترتيبنا باليهود . وتذاكرنا حوادث هذا الجنس في بلادنا وبيننا نحن في هذا الحديث إذ استأذن للزيارة قسيس انكليزي في كل يد من يده كتاب . أما أحدهما فهو الانجيل ، وأما الآخر فشيء يقال له كتاب الصلوات

قدمه للترجم الذي لم يزل يقدم لنا أقباح المخلوقات . وقد وجدنا ذلك القسيس أكثر أدباً ووقاراً ممن تعرفنا إليهم إلى الآن . وأحس رأسه للسفير عدة صرات . وكان للترجم قد طلب إلى السفير أن يستقبله واقفاً قبل . وبعد بحية قصيرة قدم القسيس الكتابين هدية لسفيرنا قبلهما . ثم أخذ يتحدث عن الأخلاق بكلام طيب يظهر أنه عندهم مقدمة عادية للتحدث في الدين ، وتكلم عن الله سبحانه كلاماً حسناً جداً ككلام المسلمين . وقد عامله السفير بمتمتع الاحترام والتأدب ، حتى عسى محمد بك في أذني بأن السفير سيصبح مسيحياً وأنه لا شيء في العالم أوضح من ذلك . لأن للترجم استحوذ على عقل السفير ولبه . ولم يدع له شيئاً من حرية الاختيار حتى لقد بلغ من سلطانه عليه أن يجهمه باليهود وبالقسم وبالبدايين

وعلمت الشر كسبة من سعيد ومحبوب بأن سيدها سيفير دينه ، فانزعجت أيما انزعاج لأنها تملكت في أثناء اللذة التي قضتها معنا تماثيل الدين الاسلامي . وثبت هذا الدين في نفسها وصارت تعفي طوال أيامها في الصلاة والتسبيح . ويبلغ من شدة انزعاجها أنها

له لثمة دميعة ، فانهزت هذه الفرصة ولم أزل أضربه
عليهما حتى كسرتهما
وكان محمد بك يصرخ صرخات الغضب ويتوعد
بالانتقام فيضطرنا بذلك إلى الزيادة . ثم أمر السفير
بالكف عنه فتركناه . وعاطبني بمد ذلك فاعتذرت
إليه بأنى لم أكن أريد إلا إراحته من هاتين السنين ،
وبأن النتيجة كانت حسنة على كل حال لانتهاء
النزاع بينه وبين السفير . فقال محمد بك إنه يحمده الله
على كسر سنه لأن ذلك فسر منامه الذى كان
يتوحيس منه على صورة مرضية . وذلك لأنه كان
رأى فى الحلم أن سنين له وقتا . وظن أن تفسير
النم هو موت اثنين من أقاربه . أما وقد جاء تفسيره
على كسر سنين حقيقتين فإنه أصبح الآن مطمئنا
على أقاربه

آخر يستقبل قيساً بمثل الحفاوة التى استقبلته بها .
فضلا عن قبولك ضيافة اليهود . ولقد تناولت الإيجيل
كما يتناول أحدنا القرآن »
قال محمد بك وقد تملكك الخاس الدينى عند
ما سمع جوابي : « الحق يقال يا سعادة السفير ؛
فلا تغضب علينا إذا قلنا إنك نصراني »
فغضب السفير وقال : « أبهذه الوقاحة تخاطبني ؟
إنني بمثل الشاه ؛ ولو كان الشاه حاضرا لقطع الآن
رأسك جزاء هذه الوقاحة . إضربوه ! أضربه
يا حاجي بابا !

فلم يمد في وسعنا نحن أعضاء السفارة إلا أن
نوسمه ضرباً . وبالرغم من أني صديقه وشريكه في
تهمة فقد كان من واجبي أن أخذ أمر الرئيس
وأشترك في الضرب . وقد كان في قم محمد بك ستان
بارزان شكاهما قبيح كاستان الحمار ، وكانتا تسيبان

مؤلفات الأستاذ محمد كامل حجاج

- ٤٠ بلاغة العرب جزءان (مختارات من صفوة
الأدب الفرنسى والانكليزى والألماني
والاطلال مع تراجم الشعراء والكتاب)
٢٠ خواطر الخيال وإملاء الوجدان (متفرقات
في الأدب والنقد والفلسفة والموسيقى
والحيوان وهـ روايتان تمثيلتان)
١٨ نباتات الزينة الشبيهة (على إحدى وتسعين
صورة فنية)

١٥ Les Plantes Herbacées (على بنفس
الصور السابقة)

الكتاب الأول والثاني في جميع المكاتب المهمة
وكتب الزراعة تطلب من
شركة البذور المصرية بميدان إبراهيم باشا

أطروحات مؤلفات

محمود تيمور

وهي : الحاج شلبي . الاطلاع
أبو على عامل أرتست . الشيخ عفا الله
الوثبة الأولى . قلب غانية . نشوء
القصة وتطورها .

من جميع مكاتب القطر الشهيرة

كتاب « فرعون الصغير وقصص أخرى »

يظهر في نهاية العام

فقال : « لم يحدث شيء في فارس وإنما أحدثت
الفارسيون نجة في شوارع لوندرا »
قال السفير : « الحمد لله لقد كنت أظن نكبة
حدثت من شر النكبات »

فقال المترجم : « نعم لقد حدث شيء وهو
يشلق بكم » فتعلم السفير وألقى عليه ألف سؤال
في آن واحد

قال المترجم : « إن الذي حدث كاد يؤدي
إلى أمور شديدة الخطر ولكنه الآن قد وقف عند
حد ، وليس من المنتظر أن ترتب عليه نتيجة . أما
الأمر فإن بعض موظفي السفارة ذهبوا إلى حديقة
عامة في بيكاديلي ، وهذه الحديقة يؤمها خلق كثير
للتنزه في كل يوم ، وفي وسط هذه الحديقة بركة
صناعية ، فإك كان من أصحابنا الفارسيين إلا أن دخلوا
ثيابهم ، ونزلوا للاستحمام في هذه البركة . فآزدهم
الناس حولهم ، ووجههم البنض بالأحجار . فغضب
أحد الفارسيين الواقفين على الشاطئ ، واستل
خنجره يريد أن يطعن به أحد الانكليز فأخذوا
منه الخنجر ، وتوسط بعض المقلاد فأنتهت المسألة
بسلام ، ولكن الأمر ما كان يقف عند هذا الحد
لو قتل موظفو السفارة أحد الانكليز

اقتاط السفير عند مسمع هذه القصة وسألنا
عن فعل ذلك ، فصرق أن الذين نزلوا في الماء هم
سعيد وتقي الدين الفراهي . وقد اعترفا بذلك غير
متذنبين لاعتقادهما أنهما لم يفعلوا ما يلامان عليه
قال تقي الدين : « لقد كنا نسير وكان الجو
جياكاً ولم نستحم منذ سافرنا من أزمير والماء ماء الله
فنزلنا للاستحمام فيه وليس من حق أحد أن يمتننا
عن ذلك . وإذا كان للانكليز عادات تخالف عاداتنا
(٧)

ثم تكلمنا عن السبب فيما تقدم فاتفق رأيانا على
أن الميثة في هذه البلاد أصل المصائب كلها . وعلى
أنه لا يستطيع مسلم في بلاد النصارى أن يتجنب
مؤاكلة اليهود ومقابلة القسس

ثم صالحه السفير . ولما عدنا إلى الحديث عن
بلادنا وحينئنا إلى العودة إليها قال السفير : « إن
زواجي أصبحت الآن مجوراً لطول غيبيتي عنها ،
وإن شاء الله متى عدت إلى فارس استبدلت بها
غيرها من منبرات السن »

قلت : « في اعتقادي بإسادة السفير أن مباشرة
السيدات للتقدميات في العمر خير من مباشرة
الطائشات . ويظهر أن لكل عمر حالات خاصة وأن
الإنسان لا يستريح إلى من لم تكن مقاربة له في
العمر . ويظهر لذلك أن الانكليز يحقون في آرائهم
في الزواج »

قال السفير : « ما هذه الفلسفة يا حاجي بابا ؟
إن الماديات التي تصلح في بلادنا لا تصلح في بلادهم ؛
فهم قوم يخالفوننا في كل شيء حتى في مظهر الشمس »
فوافقت على ذلك وأمنت بأن زواج الكمل من
الفئة الصغيرة غير جائز هنا ولكنه جائز في فارس

الفصل السابع والأربعون

الاستحمام في البركة

كنا جالسين مع السفير في يوم من الأيام بدار
السفارة فجاء المترجم ساخطاً متبرماً بيننا بمحدث
مصاعب جديدة بين الانكليز وبين الفارسيين .
ففرع السفير وقال للمترجم : « بحق علي عليه
السلام إلا أخبرتني بالذي حدث . هل وصل إليك
خبر من إيران . هل مات الشاه ؟ »

الترجم الحجة : « ولكنكم تباهون بالحرية فهل تستطيع أن تخبرني كيف تفهمون تلك الحرية ؟ إن الرجلين من الفقراء ولا يستطيعان دفع الأجور التالية في جامانكم . ورأي ما من ماء الله فإذا بمنهم من الاستحمام ؟ الحق أن الحرية مكفولة في الشرق وليس عندكم شيء من الحرية »

ويظهر أن الكلام أفتح للترجم فلم يرد عليه بحرف ولا خرج للترجم رفع السفير يديه إلى السماء وقال « إن وجودي في هذه البلاديستيقي بلا شك . لقد كانت الساعة التي غادرت فيها بلادى ساعة مشثومة » ثم التفت إلى موظفي السفارة وقال : « إن وجودكم معي يزيد من تنفيس حياتي فإنه لو لم يكن من الفارسيين أحد غيبي في بلاد الفريجستان لما وجد الانكيز ما يشقوننا عليه . ولكن أحدكم يعني في الطرقات وكل همه أن يتزوج من بنات الناس والآخر يستحم في الحدائق العامة . متى يمن الله علينا بالعودة إلى إيران ؟ إن بلادنا هي البلاد التي نستطيع الحياة فيها، فهناك يطعم الرجل على أهل بيته، وهناك يتمتع بحمارة الشمس وبوجه الشاه » فقلنا جميعاً : « نعم نعم يا سعادة السفير أطال الله بقاء الشاه وبقاءكم »

قال السفير : « لو أن هؤلاء الوزراء الانكيز — وأسأل الله أن يحرق قبور آبائهم — ردوا على خطابات الشاه ووزرائه فأعطونا الماهدات والاتفاقيات التي نطلبها لمدنا جميعاً في الحال . وإذا كنت يا حبيبي بابا تأخذ كل هؤلاء الأوغاد وتمود بهم إلى فارس فأني أسر بالبقاء هنا مع تابعين فقط » لم أسترح لهذه الكلمات لأنني لأريد أن أعود إلى فارس بعد موت رئيس الوزارة الذي كان يحبيني .

فأعلمهم إلا أن يعلموا هذه العادات ونحن نحترمها ، ولكنهم بدل أن يفعلوا ذلك رجسوا بالأحجار ونحن عرايا .

وقال سعيد : « إذا كان الاستحمام ذنباً في هذه البلاد فقد كان عليهم أن يقولوا لنا ذلك لأن يفعلوا ما فعلوه »

فتنقلت روح الانصاف على السفير وقال متهمكاً : « ما شاء الله ! متى أصبحت فيلسوفاً باسميد ؟ إنك الآن تتكلم مثل كلام لقمان، ولكن من الذي استل خنجره ؟ »

قال سعيد : « هو فريدون حلاق السفارة » وقال فريدون : « إنني لم أستل خنجرى ولكني أردت النفاق عن نفسي وعن إخواني بالموسى »

قال السفير وقد غلبت عليه النخوة الفارسية : « مرعى لك ! مرعى لك ! حلاق ! لماذا لم يفعل الباقون مثلك ؟ إنك شجاع وإن كنت قد أغضبت الانكيز ! »

ثم التفت إلى المترجم وقال : « ها أنت ذا تسمع إجاباتهم بأخى وهى إجابات معقولة . وأنتم تباهون بالمدل . والمدل لا يختلف في بلد عنه في بلد آخر . فاذا رأيت أن أقطع لك أذانهم فانك لا تمود إلى منزلك إلا وأذانهم في جيبيك . إن كنت تريد معاقبتهم فتكلم وإن كانت حكومتك تريد رعايتهم فاني أقطعها قبل أن تقوم من مكانك »

فأخذ المترجم يتكلم عن المدل كلاماً فارغاً لم تفهم منه شيئاً، وأخيراً قال إنه لا يريد معاقبة أحد، وإنما يريد ألا يفعلوا شيئاً قبل أن يتبينوا هل هو موافق لعادات البلاد

فأقسم السفير وأعجبه هذا القول وقال ليأزم

— « وأين بالقرب ؟ »
 — « نائمة أيضاً »
 — « ألم تكونا معها بالبار بالقرب من
 النافذة ؟ »
 فارتبك . وقال سيمد : « لقد كانت مريضة
 وأغشى عليها فنقلناها إلى مقبرة من النافذة لتستنشق
 الهواء .

قال السفير : « أقسم برأس الشاه أنكما كاذبان .
 إن جارنا الانكليزي أخبرني أنه رأى نافذة البار
 مفتوحة على غير العادة . وراحا ممكاً . والانكليز
 في مثل هذا الشأن لا يكذبون
 فنظر كل من الرقيقين إلى الآخر وژما الصمت . ثم
 قال محبوب : « لقد كانت مريضة طول اليوم وكانت
 تبيكي وتشكو الصداع ولم تفتح النافذة إلا عندما
 أغشى عليها »

فصاح السفير : « ومن الذي أفن لك بفتح
 النافذة أيها المجنون ؟ »

قال سيمد : « لا ضرر فيما فطناها فأنما فتحنا
 النافذة لكي تشفى . فقال السفير : « لقد كان موتها
 أفضل من هذه الفضيحة »

ثم طردها وظل طول اليوم مهتاجاً . وفي اليوم
 التالي عدنا إلى الكلام عن عودتنا إلى طهران .
 واستقر رأى السفير على أن يبيدنا ويحق هو حتى
 يتم عقد الماهدات والاتفاقيات . فربطنا أمتعتنا
 وهيأنا أمورنا ، وكان أم شيء في نظرتنا هو وفاة
 الديون التي علينا

ولا أعلن أننا سنعود هرع عشرات من الرجال

ولكنني قلت في نفسي إذا أمر السفير على عودتي
 فاني أعود واثقاً من رضى الشاه فهو قد كلفني قبل
 عجي إلى هذه البلاد بأن أدرس اللغة الانكليزية
 لأترجم كتبها إلى الفارسية وها أنا قد صرت
 أستاذاً فيها ومتى عدت إلى فارس ترجمت مؤلفاتها
 كتاباً كتاباً

الفصل الثامن والأربعون

الشركية

رأى السفير بسد ذلك أن يسكن وحده
 ويتركني أسكن مع سائر أعضاء السفارة ؛ وكان
 الذي استثار حيرته هو أمر الشركية فقد كان
 بعضنا رقيقاً على البض مدة وجودها معنا . وكان
 السفير مطمئناً من هذه الناحية . وقد كان من
 الواضح أنه لا يثق بأى واحد منا . ولكن ريبته
 في سيمد وعيوب كانت أقل من ريبته في سائر
 أعضاء السفارة . لكن الشركية نفسها ما كانت
 تدهو إلى الريه لأنها برهنت مدة وجودها معنا على
 أنها مسلمة ، حريصة فلم تخرج قط من المنزل ولم تفتح
 قط نافذة النرفة التي هي فيها ولم تترك فرساً ولا سنة
 حدث في يوم من الأيام أن جاء السفير مهتاجاً
 محتداً فسب ولعن سميذاً وعيوباً لأنه سمع من أحد
 الانكليز أنه رأى الشركية بالقرب من النافذة
 ورأى منها هذين الرقيقين

فلماها السفير ساعة دخل السفارة وقال : أين
 كنتما أيها الرغدان ؟

— « كنا نأفئ »

بالترجم ، وقد وجدناه مثلهم ضيق العقل فيما يتعلق
بأمر المساومة

ومن المصائب التي اجتلبنا بها رجل كان السفير
كلفه بتصوير صورة زيقية لا يتكلف زينة
والفرشاة التي اشتغل بها بضعة قروش ولكنه طلب
أكثر من مائة جنيه ، ولست أدري بماذا يستعمل
هذا البالغ الكبير

لكن الانكليز متى تكلموا في أمر الأجور
تكلموا بشيء عقل ، ولقد قال السفير المصور لكي
يقنمه: إن دهن حوائط منزل كبير بالويت لا يتكلف
من المال نصف ما يطلبه لصنع صورته الصغيرة
الزيقية . فأبى المصور أن يقتنع أو أن يفهم

والنساء إلى دار السفارة في يد كل منهم قطعة من
الورق يقال لها قاتمة . وطلبوا إلى السفير دفع المبالغ
الرفومة على هذا الورق . فأنزعج السفير وسب ولمن
ولو كنا في فارس لكان الأمر هينا لأنه يسهل
التخلص هناك من المائتين بطردم أو بدم وغيرهم
على أرجلهم حتى يتوبوا عن المطالبة . أما هنا فن
الذي يستطيع أن يضرب بائع الحقيق وبائع الزيت
وبائع التبغ ؟ إن أمثال هؤلاء يمدون في بلادنا
من حشالة الناس ولكنهم هنا من الرجاء ، وربما
أدى ضرب أحدهم إلى إعلان حرب أو نشوب
ثورة ، وم لا يقبلون المجادلة في الأسعار التي يكتبونها
كأن كلامهم منزل من عند الله فاستجروا منهم

رفائيل

لشاعر الحب والجمال لامرئين

مترجمة بقلم

أحمد حسن الزيات

تطلب من لجنة التأليف والترجمة والنشر

ومن إدارة « الرسالة »

الثنى ١٢ قرشاً

سندباد عصرى

في سفينة مصرية

رددت أخبارها صحف العالمين

الإنسانية في سنى مظاهرها نظامك من صفحات

سندباد عصرى

بقلم

حسين قزوينى

١٢ قرشاً أطلبه اليوم من المكتب ١٢ قرشاً

الفصل التاسع والاربعون

فريدون المهر

كان في جملة القوائم التي قدمت لنا قائمة عدداً
تقديمها إلينا نكبة أحسنها سوء الطالع فكانت
مقوبة على خروجنا من أزمير في ساعة غير ميمونة
بينما الأمير يستقبل المائتين ذوى القوائم إذ جاءنا
رجل معه امرأة يظهر على وجهها الاجرام ورجل
ثالث يرتدى ثوباً أسود اللون في نهاية القفازة .
وكان الرجل الأخير هو الذى يتكلم . وقد أطلق
على نفسه اسم وكيل أشغال وقال على لسان الرجل
الذى استدعاه: إن له بنتاً هي التي جاءت معهما ، وإن
فريدون حلاق السفارة أعوها ووعدها بالزواج ثم
تركها . وإنما ذلك لطلب ألف جنيه تمويصاً لتخليه عنها .
وقد كان فريدون متعاداً مثل هذه الأمور في
فارس ولكننا ما كنا نتوقع أن تبدر منه بادرة من
هذا القبيل في بلاد القوائم التي لا تقبل المساومة
ولاعلمنا هذه الحقيقة عنه عرفنا علة تفوقه علينا
في اللغة الانكليزية ونبوغه في ضروب الجمالة بها
وكان أبو الفتاة تاجر صابون وهو من عملاء
السفارة . وكانت معاملته معنسيا في تعرف الحلاق
عليه لأنه زعم أنه يريد أن يتعلم عليه صنع الصابون ،
فقبل الرجل تعليمه ودعا إلى منزله مراراً من أجل
هذا السبب . وكانت هذه الزيارات للزلية سبباً
في توطيد الصداقة مع ابنته . وتعلم تاجر الصابون
من حلاقنا صنبغ الشعر على الطريقة الفارسية المتقنة
كما تعلم منه أموراً أخرى مما يبذل للشيخ قوة الشباب

وكانت نتيجة اتصاله به توثيق عرى الحب وابنة التاجر
وقد أخذ صاحب الثوب الأسود القدر يتكلم
مع السفير بطلاقة عاولة التأثير عليه ليدفع التوبيض
عن الحلاق ، عجباً من أمر جريمة الاغراء والتخيل
عن الزواج . فقال السفير : « أقسم أنت
هذا الطالب أسمع من أى رجل رأيته في هذه البلاد »
ثم نادى الحلاق ولمن أباه وسأله عن وعده بالزواج
فاعترف أنه تزوج من الفتاة زواج التهمة لمدة شهرين
وفق الاتفاق بينهما وأنه لم يبعدها بالزواج المأمور ولم
يخدها ، وقال إن زواج التهمة شائع في فارس وإن
الفتاة فهمت ما يريد قبل أن يباشرها مباشرة للأزواج
وأقسم على ذلك أغلظ الايمان

وعند ذلك أخذ الأب وابنته ووكيل الأشغال
يتكلمون في وقت واحد وأصبحت الضجة عظيمة .
وكان من حسن حظنا أن أبيل الترجيم في هذه
المنطقة فأشار بكبرياء إلى وكيل الأشغال بالانصراف .
وكانت إشارته بكبرياء كما يفعل العظيم في فارس عند
ما يريد أن يطرد رجلاً حقيراً .

وقد سكت الثلاثة وبهتوا عند رؤية هذا الترجيم .
وظهر أنهم مهوشون قطع . ولما أمرهم الترجيم
بالذهاب أو يدعوا البوليس ذهبوا صامتين صاغرين .
ووكيل الأشغال عند الانكياز يبادل المأفون
عندنا . ولكن عمله ليس قاصراً على التدخل في
الزواج بل هو يتدخل في كل شيء .

قال السفير : « ألا عدل في هذه البلاد ؟ أكل
من عنده فتاة بائنة يستغنى عن سميتها في استطاعته أن
يطلب الناس بالتوبيض ؟ » قال الترجيم إن إخلاف

ولكن يظهر أن خوف هذا الرجل الوجيه كان خوفاً شديداً فقد قال لنا إنه سيدفع نحن الحشيش من جيبه إذا نحن لم ندفعه . ولما استشرنا المترجم أشار بأن ندفع ماطله فدفعناه ، وأفهمنا أن الأرض الخلاء ليست مجردة من المالك كما هي الحال في فارس . وأن الملاك لها هم الذين يسميهم الأوصياء

الفصل الخمسون

مدينة حاجي بابا تخرج

أعدت سفينة لنحملنا من لوندرة إلى الآستانة وجمنا ثيابنا ونهياً للرحيل ، وعزمت قبل الذهاب على أن أزود عيني بنظرة من حبيقتي عيسى وتسامح على ما عسى أن يكون في نفس كل منا من جهة الآخر .

وأهدى إلينا شاه الانكليز بمناسبة سفرنا هدايا ثمينة . واشترت ثياباً جديدة فصرت جديراً بأن يكتب لقب ميرزا بعد اسمي بدل كنانته قبله فسرني أن أزود بيت السر هوج بهذه الثياب

فلما وصلت إلى التزل وجدت عربات كثيرة واقفة أمام الباب . وهذا منظر لم أعهده في بلاد الانكليز فسألت البواب عنه فقال إن اليوم يوم زواج الأكنة عيسى

عند ذلك أحسست بأن الدم يتصاعد إلى وجهي وخفت قلبي خوفاً طائفاً ، وكنت على وشك المودة في الحال . ولكن امرأة أطلت من النافذة وصاحت : « هنا هو الأمير » ثم رأيت من يخرج من الباب على عجل فيدعوني . فدخلت غرفة فيها جمع كبير في

الواعدة في أمور الزواج من الأمور الخطيرة في هذه البلاد فان قوانينا تحمي المرأة »

قال السفير : « ليس في بلادنا امرأة تبلغ بها الواقعة أن تطلب رجلاً بالزواج منها في غير رغبته ومتى دخلت المرأة في بيت الزوج أصبحت له وحده وتظل كذلك حتى يصير في غنى عنها فيطلقها أو حتى يموت »

فلم يجبه المترجم

ولما تخلصنا من هؤلاء الأشرار جاء الخياط يطلب أجرة تفصيل الثياب . وجاء بائع الأحذية وبائع القمصان ، وكل منهم بدون استثناء يحمل قطعة من الورق دون فيها حساباه . وقد تدخل السفير بيننا وبينهم وأفهمهم عوائدنا وخفف من حشمتهم . وانتهى الأمر إلى أن تنازلوا على كره عن بعض مطالبهم ودفعنا لهم الباقي . وفي النهاية جاء رجل وجيه وطلابنا بمطلب غريب وقال لنا كلاماً أغرب . قال إن خيولنا كانت تأكل من الحشيش في الرماح القريبة وأنه يريد من الحشيش الذي أكلته من يوم مجئنا إلى الآن . ونحن ما كنا نعلم أن للحشيش ثمتاً في غير هذه البلاد

سأله السفير هل هو مندوب عن الحكومة يطلب ضريبة عن الخيول أم مانا ؟ وأفهمه أن السفراء معفون من الضرائب . ولكن يظهر أن الرجل مندوب عن هيئة أكبر من الحكومة فقد كان يقول إن « الأوصياء أمروا بهذا » والأوصياء أمروا بذلك « فصاح السفير : « أنا لا أعرف ملكاً في هذه البلاد غير جورج شاه ولم أسمع عن ملوك اسمهم « الأوصياء »

ولا قلت ذلك وفقاً لمعادات بلادنا وضمت في
يدنا جنبها ذهبياً وقبلتها من بين عينيها ، فازمج
للوجودون وقالت الأم : « ما هذا يا سمو الأمير ؟
ألا ترى يا مستر هوج ؟ »

فأقبل البستر هوج وقال بلهجة بين الجد والسخرية :
« أراك يا سمو الأمير عنيفاً في مطاردة السيدات »
قلت بلهجة جدية : « لاذا ؟ هذه عوائد بلادنا
نضع المال ونُقْبَل . . . »

فجاءت ماري بالقطعة الذهبية من يد أختها
ورددتها إلى قائلة : « إن هذا عمل غير لائق في
هذه المناسبة »

فاجرت أذنأى وقلت بأعلى صوتي : « هذه
عوائد بلادنا ، إن الذهب إشارة إلى السعادة . وفي
بلادنا ينطلي العروس ذهباً وتقبلها لتكون سيدة
محبوبة . وإن الشاه يفضل ذلك وهي عادة جميلة »

فلما فهموا ذلك أسفروا على إساءتهم فهم الحقيقة
واعترضوا إلى وشكروني على حسن نيتي . واحتفظت
بيسى بالجنيه وشكرتني على أن تمنيت لها السعادة

وجاءت ساعة الذهاب إلى الكنيسة وهمنا
بالذهب وكنت أتوقع أن أرى العروس تقبل جيتزان
منزلها وأرضه كما تفعل المرأة الفارسية . ولكنها
لم تفعل شيئاً من ذلك . وسألت الأم عن ذلك فابتمت
ولم تجبني لأن الوقت كان وقت استعجال وحركة .
ثم وجدت نفسي في عربة نفقة بين عربات كثيرة .
ومشى بنا الوركب إلى الكنيسة . وقد بحثت فيها
سدى عن منافق ذى الهماز والشارب القصير .
ولكنني لم أجده . وطلبت إلى الأم أن تقدمني
للزوج فنادت : « يا مستر فجي ! يا مستر فجي .
تعال أمركك بنمو الأمير »

أحسن الثياب والحلى ، ولكن الحزن مرسم على
وجوههم . وكانت ييسى جالسة بين أختها وحولهن
الفتيات . وكلهن في ثياب بيضاء . ولكن عيني
العروس كانتا تنمnan وكانت الكآبة متجلية عليهما
بأوضح الأشكال

وكان على رأس ييسى قطعة من الشريط يتدل
منها ما يسميه الانكليز ثقاباً وما هو بثقاب لأنه
لا يستر شيئاً من الوجه كما أن ثيابهم لا تستر شيئاً
من أجزاء الجسم

وقد دهشت من مظاهر حزنها وكيف يتفق
أن يكون الحزن من علامات الفرح . ثم أخبرتني
الأم همساً بتاريخ هذه الرجة وقالت إن ييسى تحسن
الفناء وإنها ستكون سالحة وإنها ستكون غنية

قلت : « ولكن لماذا تيكى ؟ » فقالت : « إن
ذلك من السفاهات التى اعتادتها الفتيات إظهاراً
لتأثرها من مفارقتنا لأنها بالطبع لا تستطيع أن
تجمع بيننا وبين زوجها

قلت : « وأين هو هذا الزوج ؟ »

وكنت أتوقع بالطبع أن يكون هو ذلك الرجل
فا الهماز والشارب القصير الذى كان يتنافس
في الحب ، فقالت لي الأم إن المادة جرت في هذه
البلاد أن يتقابل العروسان في الكنيسة . ودعنى
إلى الذهاب لحضور حفلة العرس في ذلك المبد .
فقبلت لأنى كنت مرغماً على الاتلاع عن كل أمل
في الزواج منها . ورأيت من واجب الباقية أن
أعزب لها عن أملى في أن تمشى سيدة وأن يقبها
الله من عيون الحساد ويكثر من ثيابها وطعامها ويجعل
ساعة زواجها ساعة ميمونة

إلى العروس نظرت الأخيرة فأدركت علة حزنها
وبكائها فأنها كانت تبكي على نفسها لحرمائها منى
وحلى يسح أهلها إياها بالمال .

وجاء القسيس فعمد زواجهما . ولكننى لم أصغ
إليه لأنى كنت مشغول الخاطر . ولم أتنبه إلا عندها
قدست كأس من الخمر إلى ييسى فشربتها واضطربت
ومالت فأستندتها أختها ماري . وازرعج كل
الوجودين . وفكرت ثورة غضبي وحزنى على هذه
الضحية قتلت فى نفسى : مالى ولهؤلاء الانكليز
والبدالين واليهود وكلمهم فى قرارة جهنم
ثم أملت عما متى على جانب واحد وظنت طرفى
شاربى ورفسهما إلى الأعلى وخرجت من الكنيسة
دون أن أصفح أحداً من هؤلاء الكفار
(يبيع) عبد اللطيف انشار

جاء رجل غليظ الجسم هو البدال اليهودى
الذى تنددنا فى منزله . وقالت زوجة الستر هوج
التيمة : « هذا هو سمو الأمير (حاجى ياردار) وهى
توم أنها تقول حاجى بابا . وإنما نطقت الاسم بهذا
الشكل لأن كلمة (ياردار) باللغة الانكليزية
معناها الحلان

وقد تظاهرت بأنى لم أفهم مرماها كما لو كنت
سمعت اسمي على حقيقته . وقلت فى نفسى إن هؤلاء
الثام يرفضون أن يزوجوا بينهم من مسلم شاب
جبل مثلنى ثم يزوجوها من ذلك البدال اليهودى
الحرم الفبيح الشكل لأجل ماله ! سحقاً لهم وللمال
الذى يبيدونه ! إن الانكليز أصبح جنس فى الوجود
فهم من أجل المال يتزوجون ومن أجله يجاربون . ومن
أجله يمدقون الصلح . ومن أجله يشيدون الأساطيل .
ثم أحسست بأن دى بتلى فى عروقى . ونظرت

المجموعة الاولى للرواية

صفحة ١٥٣٦

فيها النص الكامل لكتاب اعترافات فتى
المصري لموسيه ، والأوذسية لموميروس ، ومذكرات
قائب فى الأرواف لتوفيق الحكيم ، وثلاث مسرحيات
كبيرة و ١١٦ قصة من روائع القصص بين
موضوعة ومنقولة .

الثنى ٣٤ قرشاً مجلدة فى جزئين

و ٢٤ قرشاً بدون تجليد

خلاف أجره البريد

مجموعات الرسالة

تباع مجموعات الرسائل مجلدة بالونضامه الاولى

٥٠ السنة الأولى فى مجلد واحد

٧٠ كل من السنوات الثانية والثالثة والرابعة

والخامسة فى مجلدين

وذلك غدا أجره البريد وقدرها خمسة قروش

فى الداخل وعشرة قروش فى السودان وعشرون

قرشاً فى الخارج عن كل مجلد

المسألة

مجلة أسبوعية للأدب والعلوم والفنون

مجلة الآداب الرفيعة والثقافة العالية

تصل الماضي بالحاضر وتربط الشرق بالغرب

على مدى وبصيرة

المسألة : تعبر بإخلاص عن روح النهضة المصرية

المسألة : تجمع على وحدة الثقافة أبناء البلاد العربية

المسألة : تصور مظاهر العبقرية للامت العربية

المسألة : تسجل ظواهر التجديد في الآداب العربية

المسألة : تحمي في النشء أساليب البلاغة العربية

بمجموعة أعدادها ديوان العرب المشترك ، وكتاب الشرق

الجديد ، وسجل الأدب الحديث ، ودائرة معارف عامة

الاشتراك المداخل ستون قرعاً ، والمطابق ما يسوى جيباً مسرعاً ، والبلاد العربية بخمسة ٢٠ ٪



صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المشول
احمد حسن الزيات

برل انوشراك هنر سنه
٣٠ في مصر والسودان
٥٠ في الممالك الأخرى
١ من العدد الواحد

الادارة
شارع عبد العزيز رقم ٣٦
التيه الحضراء - القاهرة
تليفون ٤٢٣٩٠ ، ٥٣٤٥٥

الهرولية

مجلة اسبوعية للفن والفكر والتاريخ

نصدر مؤقثاً في أول كل شهر وفي نصف

العدد ٣٧ ٥ جمادى الآخرة سنة ١٣٥٧ — أول أغسطس سنة ١٩٣٨ السنة الثانية



فهرس العدد

صفحة	
٦٨٢	حرمة القبور
٦٨٢	ثروة لم تخطر على بال
٦٩٤	الحب فوق الجبل
٦٩٦	شهادة الصلاحية للزواج
٧٠٥	يد الهندي
٧١٢	نكت الأمومة
٧٢١	الجنونة
٧٢٤	الكأس وقطعة القود
٧٣٣	خاخي يا في انكلترا
	للكاتب اسيدلارجودورف
	للكاتب الايطالي بوكانشو
	عن الانجليزية
	للكاتب الفرنسي بول بورجيه
	للكاتب الأمريكي لورير استوفارد
	أفصوصة مصرية
	للكاتبة الفرنسية مارى بنيتي
	أفصوصة مصرية
	تأليف جيمز مور
	قلم الأستاذ محمد لطفي حجة
	قلم الأستاذ محمد كامل حجاج
	قلم الأستاذ عبد الطيف النشار
	قلم الأديب عبد الله الرياشي
	قلم السيد محمد الزاوي
	قلم الأديب نجيب محفوظ
	قلم السيد صلاح الدين المتجد
	قلم الأديب مصطفى مبيي
	قلم الأستاذ عبد الطيف النشار

أسود مشيع بالترول والهاب فتخرج من
الدخان أكثر مما تبث من ضوء .
وكنا من الضيق والضنك بحيث
كانت أي تخشى على عفة أخواني من
إخوتي، وكانت نتمنى دائماً قائلة : « إن
اختلاط الجنسين خطر » ولما سمعت
أن تكون هي ورجلها حجاباً حاجزاً بين
البنات والصبان من أسرتهما
البائسة

فقاله القاضي : ألم تكن
تلك المرأة تخشى على عفة الصبيان
من بعضهم أيضاً وكذلك البنات ؟
فأطرق الهم وقال دون أن
يرفع بصره إلى وجه القاضي :
— لم يكن القصاد قد وصل
إلى هذا الحد في القرى . ولا
تس أن هذا التاريخ يرجع إلى
أربعين عاماً . فنظر إليه القاضي
وقال : استمر ... !

— وكان أبي — تنمذه الله
رحمته — مدمن الشرب فكان
يضج كل ما يرمعه وترجمه أي

وإخوتي في الحانة حتى اضطرت على حدادتي سني
أن أعمل عند صانع أحذية في المدينة المجاورة، وكان
هذا الرجل — صانع الأحذية — تاسياً غاشماً فكان
يباقني أحياناً بالطن بمدبته التي يقطع بها الجلد
وطوراً بالجلد يسوط من عصب الثور الفتول . ولم
يكن أحد يشكر في إلقاءي من مخالبه أو رفع
شكواي إلى الشرطة لأن رجال الشرطة — رجال الشرطة —

Mr. P. S. M.

حُفْمَةُ الْقَبُولِ

بقلم أسيدار جودورف
للأستاذ محمد لطفي جمعة

نصريف بالقصة

أسيدار جودورف كاتب
روسي منفي في لندن وهو ضد
البوليفيك، بل عدو لود السوفيت
وهو من أكبر خصوم ستالين ولما
نراه يصور للشاعية (كوميونزم)
تصوراً قاتماً، ويزج قصصه التي
تنقصها مجلات أرجوسى وستاند
وبلاكوود وملى رفيو بالمشق
والاجرام والفلسفة . وسطم التصاور
التي يلونها بألوان زاهية أو مظلمة
متزعزعة من الحياة . ولما أكثرنا نحل
هذه القصة التي تتطوى على محاكمة
منهم ذى شخصية نافذة المثال .
يبرح حاله بما لم يأتم به أعظم مدره
في البلاغ من مذنب يرى . ولما
كانت تهمة تدور حول جريمة انتهاك
حرمة القابر فقد جعلها للؤلؤ
عنواً فقصته

نظر القاضي إلى الهم نظرة
جد وأسى، وقال له : أيها الهم
هل لديك ما تقوله مضافاً إلى
الدفاع الذي قاه به عمائك فأت
بلا ريب آخر من يتكلم
فأجال الهم نظيره في
الحاضرين ثم شد على نفسه كمن
يستمر أن يقوم بأعباء حمل ثقيل
أو يحط من كاهله جثاً وقال :
نعم أيها القاضي سأنتكم !
لقد لفتني الحياة من سلب فلاح
خشن ، ورحم امرأة من بين
جلادته وأهل طبقته ، في قرية من
أقصى قرى الريف البولوني ، منذ
خمس وخمسين عاماً . وكنت وأبي

وأبي وإخوتي وهم أربعة وأخواتي وهن خمس نعيش
جميعنا في قاعة صغيرة ضيقة لا نافذة لها ، سوى تلك
التي فتحت في جدار مشترك بيننا وبين الأنعام ،
وعلى هذه النافذة أو الجدار الذي كان قاعدة لها توضع
في كل عشية « مسرجة » من التناك^(١) لها شريط

(١) مدن أبيض رفيع يتفرج من شواطئ بحيرات
أمريكا ويرف هنا باسم الصفيح

خراً . خست أيتها الوغد الخمور . إنني أقتك قبل أن تفكر في هذا . فضحك والدي — رحمه الله — لأنني لا يحق لي أن أسبه أو أنسى الانتساب إليه ، إذ لم أكن ولده ، فإن من أكون ؟ أفضل أن أكون ابن أكبر سكير في العالم على أن أكون مجهول الأب ، ولئن أعدت شتائم أبي في حقه ، فلها أن تشتمه ما شئت لأنها زوجته . أما أنا فله يغفر لي ولا يسمع لي باقتراف هذا الجرم .

وكنيت عند ذلك في الرابعة عشرة من عمري وقد تعلمت مبادئ القراءة والكتابة عند قسيس القرية الأب جرنجو ارسينكفيز ، فذهبت إليه من النداء وشكوت له كل شيء ، وقلت له إن والدي يفكر في بيعنا صفقة واحدة كالواشي فتوسط في توظيفي عند يهودي يخرج ماله بالفوائد ويعمل بالزراعة أطلق سماع تهديدات الرؤساء والباشات من عملائه وتركته لأدخل في بنك لبيع الأراضي بالتقسيت وبناء المنازل الصغيرة للمستخدمين ، وقد أقيمت السكنات والحساب في ذلك المصروف وتعرفت بكثيرين من رجال المال والأعمال ، ففتلني إدارة المصروف إلى مدينة قيلنا بترقية . وبمد عام ونصف عام . كنت أتناهأها بعت بمظم ذاتي إلى أسرتي ، أغلس البنك فجأة واقطعت مصادري ومواردي ومجرت عن دفع أجرة عرقي وثلثت صاحبة المار في الظنون ، فأغلقت باب الثرفة من الخارج وجعلني حبساً بها ، فلم أذق طعاماً ولا شرباً ولم أفض حاجتي . ولما كان سقف الثرفة مصنوعاً من الحجر المرصوف رصفاً بنير بناء فقد تمكنت من الفرار من أعلى المار بأن خرفت رأسها أما الأيام واليالي التي قضيتها بدون طعام ، فلا يمكنني أن أحصر

كانوا يصلحون أحديهم ويخسفون نالم في حانوه اللون . غير أنني كنت أقبل العذاب والمقاب راضياً لو أنني تعلمت شيئاً من صنعة الاسكاف ، فقد كان المين يرضي بها ، ولا يوح بأسرارها إلا لولديه اللذين طالبا لطبخاً وجعي بمادة « الراس » ليضحكا مني ويسليا والدهما على حسابي . أما أي المسكين — طيب الله ثراها — فكانت تنتمس رزقها في الشوارع والطرق ، وتدخر ما تكسب لتقوت أولادها وبناتها وللنض من أبي حين يسرق بعض النقود ليشتري بها أكواباً من الكحول الذي أحرق كبده وقضى على حياته . كانت المسكين تطلعي الطعام في بيوت التوسطين ، وتسل الثياب وتمسح الخشب وتنظف الجدران وتبيع الخبز القديم « الرجوع » وتذبح الفجاج والأوز للبهود ولا ترفض عملاً تجده فيه كسباً إلا ما كان يمس المرض والشرف . وفي إحدى اليالي جاء والدي نصف غمور ، فأيقظنا جميعاً ، وبدلاً من أن يقسم بيننا فطيراً أو كسكاً قال لها بمعص منا جميعاً :

جميلة جداً شريفة القوفاز ، وعادات جورجيا الصغيرة التي يعيش فيها المسلمون والتصارى على قدم المساواة . إن الأسرة الكبيرة كاسرتنا يمكنها أن تبيع بعض أولادها وبناتها بمبالغ حسنة ، تتخلص من متاعبهم وتفتح لهم أبواب الرزق في قصور الأغنياء . ربما كانت إحدى بناتك وإسراة تكون سلطانة أو أميرة شرقية لو أنك تمكنت من بيعها ! وكذلك أحد أولادك . . .

فزارت أبي في وجهه كآثي الأسد ، وقالت له : أسمت أيتها الخليل المين ، الطامع السكير ، حتى أولادي تفكر في بيعهم لتشتري لنفسك بشئهم

أن أحصل على إذن من الحياة، ^(١) وأن أبدأ ذلك بتوديع الموتى. فلم أعتد إلى قبور والدي، طبعاً. هذا مفهوم، لأن أبي كان مدفوناً في قبر مجهول في جبانة المشوقين في شرق مدينة دوسكوي. وكانت أمي ملحودة في مدافن الفقراء النبوذيين بجوار جبل جرأز الشاهق الذي يقف حدكاً بين قوتينا وبين مدينة ليتوانيا. فأتى لي أن أعتدى إلى قبرين لخالمين من الفقراء بين عشرات الألوف من قبور الخالمين؟

تقصدت إلى الدافن وودعتها جميعاً مغطاة وحيزة وكذلك إلى المستشفيات وإلى أما كن البطارية والسجن ظناً مني أن واحدة من أخواني أو واحداً من إخوتي لا يزال حياً برزق ويتالم في بعض تلك التواحي من جهنم الدنيا وحجيم هذه الحياة. تصور أنني لم أودع أحداً في بيت أو مدرسة أو أسرة أو غبزا أو طاحونة.. أو حتى مقهى أو فندق ولكن ودعت أرواح أهلي وأشباههم في القابر والمدافن والمستشفيات والسجون.. كان آخر يوم تركت فيه المدينة يوم أحد فقصدت إلى الكنيسة وصليت، وبعد الصلاة دنوت من كوسى الاعتراف لأعترف، لأنني ما زلت مسيحياً أرثوذكسياً على المذهب المسكى القويم والخطبة الكنسية الأعمشية اللثي. ولكنني بدلاً من الاعتراف فأجأت السنين المتنام بهذا السؤال:

— قل يا أبته لماذا يكافأ الأشرار في هذه الدنيا بخيراتهم على شرم ويمأزى الأخبار في هذه الدنيا بشروهم وسيأتها على خيرم؟ قل وأوجز، فأنى أوشك أن أخرج من هذا الدين إن لم أجد

(١) لله أراد أن يغير خطته فيودع موته قبل ذلك.

عدها. وبعد فترة من الزمن اشتغلت بالتمثيل فتصبحت نجاحاً لم يكن في حسابي، فقد زادت طول قامتي وحسن هيئتي وارتفاع جبهتي واعتدال أنفي قبولاً عند الرجال والنساء. وكنت أتمن — باللهكم الأثداء — تمثيل أدوار الملوك والأشراف والعلماء والطبباء والمشوقين. وما زلت أداؤب وأنشط وأعمل بثبات وأتق الوقوع في شرك النساء، حتى جمعت ثروة لا بأس بها، فأبدت عذراً إلى مدير الفرقة وعدت إلى وطني ومسقط رأسي لانتقاد والدي وإخوتي ولأترك لهم ما جمعت من مال، ولم أكن أدري أن أيدي الزمان لا تنفك تعمل بالتدمير والتخريب في بيوت الفقراء والسالكين..

فقد قضى أي نعيمه في السجن إثر مشاجرة في حانة، وسقط جدار قديم على رأس أي وهي تتسلق في بيت، وسقط بعض أخواني في مهاوى المار، وتشرذم إخوتي فلم أعتز منهم إلا على ولد أبه تركته في الرابعة من عمره ووجدته في الماشرة يتسول في الطرقات، فأخذته وهو في آخر رمق وحملة إلى المستشفى ولكنه مات بين يدي. وقد تزوجت إحدى أخواني بشراً طلي، ولكنه كان يضربها كل يوم بالجلد الذي يتمنطق به أو بجمايل سيفه إلى أن أودتها الجنون، فحملها إلى ملجأ المتوهمات

أما البيت الذي كانت تؤويها إحدى غرفه فقد تهدم — حتى ذكرى يؤسنا لم يبق في مكانها. فكانت عودتي أليمة بقدر ما رجوت من هناء وفوز على القادير، فأدركت أن النكود منكود وإن توم

السند ١

عندئذ ضاقت الدنيا في وجهي، فأردت أولاً

جواباً شافياً قبل غروب شمس هذا النهار .
فرجع القسيس اللبق عقيرته وأجاب :

— لا تتمجل يا ولدى ولا تياس ، لن أظيل
عليك الكلام ولن أعذبك بالثرثرة التي لا طائل
وراءها . إن الذى ذكرته مشاهد ومعروف . وهو
حقيقة لا خيال ، وأمر واقع لا وهم ولا ضلال .
والجواب عليه أنه أمرٌ مجهول السبب ، لا تفسيره
عندنا فى الكتب . ولم يمتد أحد من آباء الكنيسة
إلى تعليقه تلميلاً حسناً بحسن السكوت عليه .

قلت له : شكرًا لك يا سيدى ! أستودعك الله
لقد كنت صريحاً مئياً وهذا يكفى . وحينئذ
أيقنت أنه لا توجد عدالة فى العالم مادام الأخيار فى
بلاء والأشرار فى هناء والدين عاجز عن تفسير حالهما .
سافرت من المدينة التى قريت من ضواحيها
إلى مدينة أخرى فأنفقت معظم ما ادخرت فى الراح
والشراب والطعام ومنازلة بنات الهوى .

وكنت أحياناً أغشى أماكن الفسادة وأختار
فتاة فاطمها وأسقمها وأحسن إليها بصدقة متوهماً
أنها إحدى أخواتى الصغيرات . وقد نسيت مرة
أن أسأل امرأة عن اسمها فلما قضيت منها حاجتى
(واخجلت) سألتها عن اسمها قالت : إيزيدورا ! وكان
هذا اسم صغرى شقيقائى فكذبت أجن وشرعت
فى قتلها . ولكننى قلت لها ما اسم أبك وأمك وما
هى المدينة التى نشأت بها فأجابنى بسرعة مدهشة
إنها تشيكوسلافية من مدينة كرا كوف مقاطعة
يلوم ، وأبدت قولها بأدلة حاسمة . وهى شئ على خصرها
ونفسها . فأفقت من الجنون الذى أصابنى لحظة
وخرجت من بيت المرأة لا ألوى على أحد ولا شئ .

وأصابنى الكسل فى روحي وعقلي فامسيت خاملاً
يائساً . ولم أجد ما أقتات به فى مدينة بريسكا يولونيا
الغريبة فلم أستطع التسول لحسن هيبتي وقوة يديتى
فبعت ثيابى وارتديت ثياب مشترده من أبناء السبيل
وكانت غاية فى الرثالة . ودخلت على صاحب مصنع فى
مكتبه ، وشكوت له سوء حالى وقرئى وبطالنى
وعطلى ، وأسفت إلى ذلك أن والدى كان يبرف والده
فرق لى وعرض على العمل فى مصنعهم وسمعت أن
أقبل ما عرض ولكننى خفت من نظام الحياة التى
بدأت أثور عليها وخشيت أن أحمل فتجنس حالى
فأرسلنى عن الدنيا ومن فيها فأعذر عن سورة النضب
التي غمرتنى . قلت له إننى قد وقتت إلى عمل ساذج
بمد يومين ، وسألته أن يقرضنى قرشاً حسناً لأصلح
من شأنى ربنا أختم أسبوع العمل الأول فأقبض
مربتي وأرد إليه دينه مشكوراً . فصدقتى ودفع لى
خمسين كوروناً وودعنى وهمس فى أذنى أنه سيبعث
فى غرفة البواب بدلة ثياب كاملة وحذاء وبقعة
أستطيع تسلمها فى المساء فشكرته . وعدت إلى باب
المصنع وتقمشت ووضعت ثيابى للمزقة فى مكان أمين ،
لحاجتى إليها ، وقصدت إلى أقرب حانة فأفرغت
جيبى وملأت رأسى واحتلت على اللال والطعام والجر
والنساء ، أى أننى احتلت للحصول عليها جميعاً
ونجحت . لقد بدأت أنتقم من هذا المجتمع الجرم
الذى أصابتنى منه النقص ونالته من البلاء العظيم .
لقد فكك المجتمع بأهلى ، وعصف بأسرتى ، وتسلل
على عقل أبى وقلب أبى كما يلهو الطفل بصنار القلط
والمصافير فيخنقها وتلفظ أنفاسها وهو يضحك .
لقد كان أبى وأبى وإخوتى يموتون جوعاً وقرأ

أعضاء المانيا أسلموني إلى جمعية « الطرايطير السوداء والبراقع الخضبة » وكان مبدأ هؤلاء يدعو القتل العنيف ، وقد قالوا لى إنهم قتلوا بطريقتهم العنيفة أكثر من مليون إنسان . كنا نعيش معظم الأيام عيشة الفضلاء الأخيار ، ونخاف الناس حتى نستخرجهم ، وكنا نرغم على الزواج ونأسس العائلات فتزوجت انسياحاً لأمرهم ، ولكننى توعلت اسرأتى بالذبح إذا حى حلت . ثم لجأت للمزل والاتقاء بالمقايد والاسباغ ، حتى إذا حل موسم الجفاف ادعيت أنا ورفاق أنا مسافرون فى تجارة تسبقها رحلة بحرية وسفرة برة واجتمعنا عشرات من أشد الرجال بأساً وألفنا عصايات تتجمع سراً وترسم الخطط العاصية . وكنا نرابط فى الطرق حيناً وحيناً فى عطلات السكك الحديدية وطوراً فى الفنادق والطاعم والراقص وأندية الليل فاذا وقت لنا فريسة من الأغنياء سطونا عليها وجردناها وفككتنا بها وهتكنا من الأعراس ما هتكنا ونهنا من المال ما نهنا ، ثم ذهبنا من استعلمنا أن نذبح من الرجال والنساء والأطفال والجند والتجار والمثلاث والمرضى والأطباء ، وكنا نسرق وننتهب فرادى وأزواجاً ، ولكن لا نقتل إلا أئوفاً لأبائنا للرية وأبىد عن الشبهات

النائب — هل يتكرم اللهم بأن يوضح الأسماء والأماكن والتواريخ مساعدة للمدلة وخدمة للفن وإكمالاً للحديث الذى يرويه إذا شاء
التم — لا أحب المقاطعة . ولكننى أجييب بأن شرقى لم يتزل إلى درك التجسس على زملائى

ومرضاً والراقص حافلة والكاذب قائمة والملاحى سائرة فى طريقها والثانى آهلة بالنوائى والفيتيان من كل لون ونوع . لقد احتلت واختلت وسرقت ، لا لأجل البرقة ، ولكن لأجل الانتقام ... على الأقل لمرض السفيرات التى تحببت أنهن مولودات للشرف والعفة ولو فى ظلال الفقر والفاقة . وعند ذلك وقف وكيل النيابة العامة وقال :

— هل يرى القاضى العادل أن هذا الكلام يمد دفاعاً عن التهم . إننى أطلب إسكانه . أرى أنه يهيج نفسية الجماهير من أعماقتها ويوغر صدورهما على المجتمع المحترم للقر ...

الجمهور — ينضم ويهمهم « الحرية ! حرية البقاع ، لقد أسطأه القاضى حق الكلام فلا يحق لأحد أن يجرمه ! »

الحامي عن التهم — إن سحب الكلام من التهم بسد السباحت له يظل الاجراءات ويحتم إعادة المحاكمة ، فهل حضرة النائب على استمداد لسباع ثلاثين شاهداً للآيات والثنى ومرافقة تطول ثلاثة أيام ؟ ثم لن يكون مناص من أن يؤذن للتهم فى الكلام من جديد لأنه بنص القانون آخر من يتكلم القاضى — النظام ، استمر أياً التهم فى دفاعك التهم — (يطلب كوبة ماء فيؤتى بها ويشربها دفعة واحدة)

وفى مدينة رومة اتصلت بمجعية سرية اسمها الكاربونارى أو المايقا لا أذكر الآن . وكانت خططنا القتل باسم الفضيلة ولكن لا فضيلة هناك ولا شيمها بل القتل لأجل القتل . ولكن بعض الذين من

الأقنسين ، كما انحط شرف بعض الوطنيين
(نحك وتهد وتهد وشهيق من الجمهور)

وكنا نقتل بالندق بجيظ من خور أو قطعة
رقيقة من القماش المفلول ، وكثيراً ما كنا نضحك
ونلهو ونرقص ونحن نزهق أرواحهم ثم نواربهم
التراب في قبر مشترك كقبور الجنود بعد المواقع
الكبرى ، هكذا قانون جميعتنا المحترمة بعد تقاليد
الحرب العظمى

القاضي — إنى أقترح على التهم أن يدير التشبيه
إذا شاء ولا أرضه على شيء فهو حر في طريقته
الحامى — وأنا أنضم إلى المحكمة في هذه الرغبة
ولما أرجو شطب الكلام بعد لفظ « مشترك »
من محضر الجلسة

التهم — موافق . كنا لا نأقرب مطلقاً لأننا
نبذل كل الجهد في إخفاء معالم الجرائم ، ولم يكن
أحد من الشرطة أو المحققين أو رجال البحوث
الجنائية يستطيع أن يلقى القبض علينا ، لأننا كنا
مواطنين متمايزين بالشهرة الطيبة والفضيلة ، فانا
حدث أن اعتقل أحداً خطأ أو نتيجة لمهارة أحد
رجال القانون ، فان الجمعية تتأخر نواً في تخليصه
يبدل النفس والتفتيس من مال وهدايا ، على أننا لم
نكن نقتل لأجل القتل ، ولكن كنا نقتل لأننا
نقابل المثل بالمثل ونقتص من المجتمع الذى قضى
علينا وعلى أهلينا وأحبائنا . فانه لم يكن يقبل بين
ظهراننا إلا موتور أو مظلوم أو ما كل أو مخدوع
من الرجال أو النساء ممن فقدوا قوتهم في المدل
والرحمة والوعود المذبة والأمانى للمسولة . لقد

هدمنا المجتمع ونحن على حسن النية ؛ فبينما أنفشنا
على سوء النية ثم شرعنا نهدمه . لقد كنا أخيراً
خاربنا فصرنا شراواً لنثار لأنفسنا ، لقد تنمرنا
حقناً لدماء الباقية

غير أننى في نهاية الأمر ضجرت من قتل الأفراد
واقننت أن الأولى والأفضل والأسرع والأخلق
والأليق والأليق أن يكون القتل ماماً فانفكت من
روما بعد أن اتفنت الخطاية والكتابة يضع لئات
كاروسية والفرنسية والاطالية . وقصبت إلى
طرسبرج في عهد التيسر يقولو الثانى . وكنت
أحيد التكلم بكل اللجات . وقد قيل لى إن تاليم
الفوضى لا تتفق مع العقل وإنما عنتى مع الجنون ،
ولا تستعين ببرودة الكهولة وإنما تريد حرارة
الشباب ؛ وإن أشد مخاوفها الاحجام وأشد مغلطاتها
التروى . فعلى ذلك نخشى العقلاء ولا تطعن للرزاة
ولا تسكن للمجادلة ، يجب أن يكون خدامها عبياً
حتى لا يصروا وجائنين حتى لا يجمعوا ولا يفرقوا ،
فعلى ذلك لا تقع إلا على نأركه الانسانية فأراد
أن يطعن في قلبها ورأسها ، أو مغفوك يطلب اللقى
بعد الفقر . وكنت من الفريق الأول . فلما عشت
ردساً من الزمن في ماسمة روسيا القديمة اتخذت
خليفة من صفوف الثوار اسمها ناديا وكانت امرأة
نصفاً تبلغ الثلاثين من عمرها ، وكانت كينات جنسها
تتقن سبع لئات على الأقل فأخذت تذكر لى أسماء
رجال لم اسمع بهم من قبل وكانت كهمى في الخلاعة
والتصايف فلهوت بها وأملت تسالمها . وكنا نعيش
على مائة روبل تدفعها لنا الجمعية السرية « بلانفسكاي

عقد زواجها اكتشفت خيانتها ! فقد كانت تمحلو إلى طالب يهودي اسمه عمانوئيل كونسكي يقطن في نفس المنزل الذي كنا نعيش فيه . فلما ظهرت على أمرها كتمته وعدلت عن الزواج بها . وذكرت لها بعد بضعة أيام أنني مسافر إلى الجنوب إلى ناحية أوديسا ، فغاد الأمر كازيميرسكي رئيس الشعبة التاسعة التي أُنشئت إليها قالت لي « على بركة الله أيها الرفيق ! » كأنها كانت تنتظر فراق بفارغ الصبر ، وهي تعلم أن السفر بين بطرسبرج وأوديسا لا يتم إلا في ثلاثة أيام وليتين ، قتلت لها : ألا تمدني لي حقيبة ثياب أو طعاما في خرج كالأخراج التي يحملها الموجيك ؟ فقالت لي وهي متجلة وقد زأغ بصرها « يمكنك أن تدبر أمورك بشئرين كويك أيها الملاق الثقيل » ووضعت في جيبي قطعة صغيرة من النقود الفضية قتلت لها وأنا أنقلها نفاقا وودت لو أضرت وجهها بأنيابي : « لا زاد ولا غطاء ! أرين انني أموت برداً وجوعاً في خدمة الانسانية ؟ » فقالت « إن الشعبة التاسعة تمد لك أسباب الراحة ! ها أسرع فقد حل موعد التقطار ! » أيها الصانع المحرومة من الرجال قبل أن تمرقني ؟ لقد التفتلتك من الطريق وغذيتك من لحى ودي وهرق جيني وخاطرت بالحياة لأجلك . أهكنا أنييعيني بيع الصباح لأجل شهوتك الصاخبة . أأنت رجلا ؟ أم دأبك التفسير والتبديل كبحارة الوحش التي لا تقنع بقطيع كامل العدد والمدد من الذكور المهتاجة ؟ . هذا كلام العقل الباطن تبادلته ونفسي ، وقد تحفيلت كل شيء يحدث في غيبي . ثم نطق العقل الواحي قائلا :

نيراسكا « مشاهرة . وأخيراً ألفتني باتباع زينون وكنت أظنه زعيماً روسيا خطيراً فاذ به فيلسوف يوناني . وكانت تمنحني على أن أستظهر بعض البند التي تدعي أن حياة التأثير في روسيا بدونها مستحيلة من ذلك قولها « ليست القوانين نتاج الحكمة من أجدادنا ، وإنما هي وليدة عواطفهم وجيهم وعصبيتهم وإطامهم ، وإن العلاج الذي نستمد من القوانين لموثر من الماء الذي تدعي هذه القوانين شفاءاً منه ، فانا أبطلت هذه القوانين وأقفلت هذه المحاكم وترك الفصل في النزاعات للمراجيح من الناس ، نشأ عن ذلك المدل الحقيقى » أو كقولها « الامتلاك هو السرقة بينها » . أو هذه النبذة المقدمة للتوتية « إننا رجحت عقول الناس وتهذبت نفوسهم حتى يستطيعوا أن يقيموا غرائزهم الطبيعية فلا تمود بهم حاجة إلى الحاكم ولا إلى الشرط والمابذ والأديان ، ولا إلى استعمال البسكة والنقود وإنما يسميرون عن الأخيرة ببادل الموارف والأعطية »

ولكن هذه المذاهب لم تكن تروقني لأنني لم أنهمما بمقل ولا ماسبوت إليها بقلبي وروحي مستقداً أنها تعينى على الانتقام لأهلى . كان نزع أموال هؤلاء الأغنياء جميعاً وإغرائهم في بحر من السماء لا يكفى فداء لأبى وإخوتي ، ولا سيما أخواتي البائسات . لقد كانت عاطفة المائلة قوية غاية القوة في نفسي ، ولهذا أردت أن أتزوج من هذه الثائرة نادياً لتندمج معي أكثر من اندماج الحليلة الإيطالية . وفي اليوم الذي سمعت فيه على

ليعوقني . ووضعت أذني على خرق الباب فسمعت أصواتاً وحركات وتأوهات وهمساً ، فنظرت فرأيت في ضوء الصباح الكهربائي ما أفتنى بأن المرأة في أحضان اليهودي ولحت لحسن الحظ نافذة مفتوحة فملت أن الوصول إليها سهل من السطح فصعدت إليه وصبرت عليهما حتى أخذتا نصيبهما من التمتع والنوم وهبطت عليهما كالتضاء من النافذة وذبحت اللماشق اليهودي من الوريد إلى الوريد كما تدبح الشاة ، ثم أيقظت ناديا ووضعت فوهة المئذنة في فمها . فلما رأت دماء مشقوقها الطالب العبري قالت لي : أنت الذي قتلته ؟ قلت نعم . قالت حسناً فملت . إنني استدرجته لذلك ، فأنا أمقته وأحب أن تفعل به ما فعلت من زمن ولكني لم أتمكن من اقتناعك .. اخلع الآن ملابسك ونم في حضني حتى الصباح . قلت : وماذا تفعل بمحبته ؟ قالت : أترك الأمر لتدبيرى ، ولكنك لم تنته من حبك تلك الحيلة حتى أفرغت للسدمس في حلقها وغادرت النار كما دخلها . وغردت إلى سارا توف على نهر الفولجا وأندمست بين الملاحين وعاشرت الموجيك في المولد الكبير في تبجي نوبغوروه^(١) وتملأت أغانيهم وأنشدت مواليمهم وقصائدهم وأدوارهم ، وأتقنت أسواتهم ، وغبرت اسمي وعقبدي طبيباً وجملت نفسي من قازان . وذقت أنواع الجوع والخلوف والفقر ، وكانت أشباح الأجباب والأعداء والقتلى تظهر لي في نومي وصحوى . وتملقت بكتاب « بيت اللوقى » لحدائث عهد النشر ودخلت الكنيسة وتملقت بالنساء أيام الأحد وأنا كافر بملة القسيس

حسن ما تقولين يا حبيبتى ناديا . أستودعك الله ! وسارعت بالخروج وطرقت على جناح السرعة إلى حي آخر بين أحياء العاصمة وقضيت ليلتي في أحضان امرأة مذنبة . وقبل أن أضطجع إلى جنبها في الفراش الغريب الذي لم يأنف بدني صليت صلاة قوية وصلت المرأة المذنبة إلى جانبي وراكمة على ركبتيها ، فسألتها : إن وجدت زوجاً كريماً يقوم بأودك ويكفيك مؤونة العشرة أفنسينك إليه ؟ فأجهشت بالبكاء وقالت : أسكت أيها الرفيق ولا تذكر هذه النعمة المقدسة في هذا المكان الملعون . إنني كلما أذكر الطهر والمغاف والتفاناة أكاد أجبن شوقاً إليها .

قلت : « فإن وجدته وأحسن إليك وبني بك تخونينه مع أول قادم ؟ فوضعت يدها على فمي ، فقلت : وإن فعلت فما تستحقين ؟ قالت : أن يقتلني وأن أذهب بلا دية ، وأن يباح دى . فقمعت حتى أمسكت بمجنبي ، وكادت المرأة تظنني مجنوناً . لقد حاكها أى النائية على طريقة قوسها وبلدها ومنهجها بعد أن صدر الحكم على لسان امرأة من قوسها ومن طبقها ، ولم أطلق صبراً ، فأفرغت جيبي في حجر البائسة المذنبة ، أعنى أعطيتها كل ما كنت أملك ، وقصدت إلى كاتم أسرار الشعبة وزرته في غسق الليل ، وقلت له : إن الرئيس يطلب مسدساً وذخيرة فقال : أى رئيس ؟ قلت : الرئيس ٩ + ١٤

وكان هذا رزقه الأخفى ، فأعطاني ما أطلب وقصدت إلى بيتي بعد نصف الليل بساعة وصعدت المدرج في الظلام الحالك ، ولم يكن المفورنيك^(٢)

(١) بالروسية المدينة الجديدة مشهورة بالمواد والأسواق .

(١) بواب النار وبابها وباسومها

ولكن لا تنسوا أنني أنا التي أمرت بدفنها هذه الجواهر ، وكان يمكنني أن أستحوذ عليها ، لأنه لا قانون في الأرض ولا في السماء يحتم على الورثة أن يزبنوا صدور اللوق ونحوهم وأصابهم بالجواهر ، ولكنني فلت ذلك زهداً في جواهرها ، وكنت في أشد الحاجة إليها ...

لقد نسبت الشرطة لي أنني تعدت على جسمها بفعل قاضح ، أميقل هذا الزم ؟ إنها وشاية دنيئة ونجاسة قدرية ، وأنا كاذب متمغن لا يصدر إلا عن قلوب متأكلة بدود الحقد والوقمة . هل أعتدى على هيكل عظمي وجسد لحقه البلى في وحدة الليل البهيم ؟ نعم « الهاوية » قصة خيالية ، ولكن الصندوق الخشبي النشئ التلقئ اعتبروه خزانة ملأى بالجواهر ، لا سرير عروس معدة للزفاف ، إلى أختقئ . أموت . اسبحوا لي بالجولوس لقد انتهيت .

القاضي — إجلس أيها التهم (يجلس وينشئ عنقه من التنب) أيها المحفلون ! لقد سمعت دفاع التهم ، لست في حاجة إلى تلخيصه ، أو ترجيع إحدى الوجهتين . إن وجهة الاتهام قوية لا ريب ، ولكن التهم أظهر ضمها . لا تصفوا إلى القسم الأول من دفاعه . قد يكون اعتراضاً خالياً لقل مصفت به المصائب فاهكت قواه ، وقد يكون مظهرآ من مظاهر الجنون الفاجيء . أنه بلا ريب رجل نالت منه حوادث الدهر نبالاً كبيراً حتى اختل توازن تفكيره .

إن سجل سوابقه مفقود فلا يمكننا أن نعلم إن كانت قصته صحيحة أو كاذبة . أما الجرائم التي نسبها

لجليل صوتي كأحسن ما يكون منشد يترنم بمزامير داود ، ولكن التفسير فاجأني وأنا أسرق من صندوق التنور فطرودني فخرجت إلى المدينة وأخذت أغني في الشوارع فسمعتني أولجستاً نوقاً^(١) المثلة المثنية فمشقت صوتي وأجبت جسمي فوهبتني بدنها وعلنتني فيها واشترتني من نفسي ، فصرت ممشوقها وسيدها فأظهرتني على مسرح أوليانوف يطرسبرج ، وقد رأ في رئيس الشرطة في دور حلاق اشيبيلة « فاشتبته » في لأتهم كانوا يبحثون عن فاجح ناديا وحبيها ، فصمغته أولجستاً نوقاً ، وقالت له أنت مجنون ، يا برتريف ! هذا أخي في الرضاع ، إنه لم ينادر قصر أبي في تصاركوي تسيلو ، فكيف تهمة بالتشرد والقتل ؟ قلت لها : عفواً يا أختاه ! لا تصل بك الحانسة في الدفاع عني إلى هذه الدرجة ، إنني قاتل هذه المرأة ومشوقها حتماً . خدق في الشرطي ، وفتح فيه لينطى قلت مقعها : ولكن في المنام ...

ويدون عشق أولجا لم تيسم لي الدنيا فوصلت إلى مسارح نيوبوروك وبأريس ولندن وميلانو ، ثم عدت إلى روسيا ، وكانت أولجا قد أصيبت بالسل وعجزت عن النساء ففقدت أنا الآخر صوتي كما حدث لتريلي عند ما ماتت سفانجيل بفأة^(٢) ، وعدت إلى الفقر ومقاساة الجوع حتى قبلت أن أشتل لقاء رغبين من الخبز وقطعة من اللحم وقدر من الفودكا . إن التهمة التي وجهت إلى هي أنني نبشت قبر أولجا ستانوقا ، وأخذت بعض حلبيها التي تربت بها قبل دفنها . إنها الجريمة كبيرة حقاً ،

(١) هذه برعافونا وسور أبوتوفيت أثناء الحرب
(٢) Trilby تأليف ديهموريه من أروع القصص الحديث

الجمهور - ليحي المدل ! الرحمة فوق المدل !
يسقط الظالمون .. المجتمع ينجح . يسقط الشرطة ..
اليهود .

القاضي - (يا حارس ! اطلق سراح اللهم)
وأخل قاعة الجلسة من جميع النظارة !

الحارس - ايزيدور فيدوروف، أنهض يثقظا
لقد حكم القاضي بيراتك (بلسه بلطف ثم يهزه
بصنف ثم ينظر في وجهه ويحس يده وصدره) إن
التهم لا يتحرك . لقد فارق الحياة وهذا الزبدى شديقه
القاضي - (رفع قبضته ونهض) رفعت
الجلسة وانتهت القضية ! !

الجمهور - (برتل : أيها الرب الرحيم تقبل
روحه في ملكوت سمواتك فقد كان أعذل من
كثير من الكبراء) .

محمد لطفي جمعة

إلى نفسه متطوعاً فقد تكون وقت ولم تظهر للملأ
للتحايل في إخفاء مآلها . كما يمكن الاقتراض بأنها
لم تقع إلا في حائرة ذهنه الرخيص فلا تتخذوا منها
سنداً عندما تنسحبون إلى غرفة المداواة . لا تسمعوا
صوتاً سوى صوت ضائركم . ولا تذكروا إلا التهمة
واحدة وهي التي يحاكم من أجلها هذا اللهم . هل
نبش قبر صديقته أو لجاساتونها ليسرق جواهرها
أو ليتندي على حرمة الموتى ؟ إن كانت الجريمة لسرقة
الجواهر فالجواب على الأسئلة جميعها بالنفي ، وإن
كانت غايته انتهاك حرمة المقابر فالجواب على الأسئلة
الأساسية بالإيجاب . الله يمينكم

رئيس المحلفين - لسنا في حاجة إلى المداواة .
جوابنا على جميع الأسئلة بالنفي
القاضي - حكمت المحكمة بإراءة اللهم والافراج
عنه فوراً ، إن لم يكن محبوساً لسبب آخر

أطلبوا مؤلفات

محمود تيمور

وهي : الحاج شلبي . الاطلاع
أبو علي عامل أرتست . الشيخ عفا الله
الوثبة الأولى . قلب غانية . نشوء
القصة وتطورها

من جميع مكاتب القطر الشهيرة

« كتاب فرعونه الصغير وقصص أمري »

يظهر في نهاية العام

رفائيل

لشاعر الحب والجمال لامرئين

مترجمة بقلم

أحمد حسن الزيات

تطلب من لجنة التأليف والترجمة والنشر

ومن إدارة « الرسالة »

الرقم ١٢ قرشاً

ثروة لم تحظر على بل

للكاتب الإيطالي بوكاتشو
للاستاذ محمد كامل حجاج

لبؤس وتقلبات الأيام . وعزم على
الرجوع إلى بلد موالا كفتاء بماغنمه
لأن ماحقيه من صروف الدهر جعله
يخشى المودة إلى أعماله السابقة . فسافر
إلى رافلو بهذا المركب الخفيف ، ولما
اقبل من الشاطئ حيث رياح عنيفة

فهاجت الأمواج ورأى لاندولف أن سفينة الصغيرة
لا تستطيع مقاومة الهجج الهائجة فزم على الاتجاه
إلى جزيرة صغيرة . وبعد لحظة أقيمت سفينتان
جديتان لتحتما في هذا الموضع من الجزيرة وكانتا
آتيتين من الأستارة . وقد علم الركاب أن هذه
السفينة الصغيرة يملكها لاندولف وكانوا يسمعون
أنه من الأغنياء الولعين بالذهب والسطو على مال
الغير فاتفقوا على مهاجمته وسدوا عليه المسالك أولاً
ثم أنزلوا عدداً من رجلهم إلى البر وبأيديهم قسهم
وسهامهم وتخبروا لهم مكاناً يمكنهم من إصابة كل
من يخرج من السفينة . ثم هب الباقي إلى القوارب
وذهبوا إلى سفينة لاندولف وأسروها بدون مقاومة
ثم نهبوا جميع ما فيها وأغرقوها واعتقلوا لاندولف
في قاع مركب من مهاكهم ولم يتركوا عليه غير
بعض ثياب خفيفة . وفي الصباح بحسن الجو فسيافر
الجنوون إلى بوكان وسارت مهاكهم بكل العظيمات
طول النهار . وحيناً أقبل الليل هاجت رياح عنيفة،
واضطرب اليم فافصل الركبان بعضهما عن بعض
وارتطم أحدهما الذي يقبل لاندولف في صخور
جزيرة سيفالوني فتحطم كارتجاجة وافترس اليم
مختلف البضائع والمسانيق وحطام السفن ، وطفق
للالاحون يسبحون ويمجدون الهجج الهائجة في الظلام
الحالك ويتمسكون بكل ما يصادفهم لينجوا بأنفسهم
وأما لاندولف التمس الذي كان بالأسى يتمني
الموت لفقد ثروته فقد تملكه الخوف حيناً رأى

لقد أجمت الآراء على أن البلاد الواقعة على
شاطئ البحر من ريميو إلى جايق هي أجل البلاد
موقفاً في إيطاليا . وهناك على مقربة من سارن
عراء تطلق عليه الأهالي اسم شاطئ ملقى به مدن
صغيرة وحدائق وتجار ، وكانت مدينة رافلو في ذلك
العهد أبرزها رشاقة وازدهاراً ، وكان بها رجل
يسمى لاندولف من كبار الأغنياء ولكن نهم المال
لا يشبع ولا يقنع ، إذ أراد هذا الرجل أن ينمي
ثروته ففنى طمعه على جميع ما ملكت يده

وبعد ما فكر في الأمر طويلاً كفاة التجار
اشترى سفينة عظيمة وشحنها بمختلف البضائع
وسافر إلى قبرص . وحيناً وصل إليها وجد كثيراً
من السفن مشحونة بنفس البضائع التي جلبها
فاضطرب أن يبيع شحنته بأبخس الأثمان؛ فتملكه هم
شديد لهذه الخسارة الفادحة التي ذهبت ببقائه وصمم
على الاتجار أو الاستمارة مما يقده بواسطة شخص
آخر فلا يرجع إلى بلده على تلك الحال بعد أن
خرج منها غنياً محترماً . وباع سفينته واشترى
بشيئها والبائع الضليل الذي باع به بضائمه مركباً
خفيفاً يصلح لأعمال القرصنة وسلحه جيداً واختاره
بعض الرجال الأشداء وطفق يجوب البحار ويسطو
على كل ما يصبه ولا سباً الأتراك حتى زادت ثروته
واقفت ما كان يملكه وقت ازدهار أمواله

رأى أن غناه أصبح كافياً وأنه في حاجة إلى
عيش شريف محبوب لا يحتاج إلى تعرض جديد

الحمام سقته نبيذاً وأطعمته قليلاً من الرزق حتى
اتمش وطد إليه رشده . رأت هذه السيدة أن ترد
إليه صندوقه وأن تشجبه على ما أسابه من الخن
ولو أن لاندولف لم يفكر قط في الصندوق
إلا أنه ظن أن يجد فيه شيئاً يستعين به على القوت
بضعة أيام . ولا أراد أن يفتحه وجده خفيفاً جداً
فتملكه اليأس والتفوق ، ثم فتحه بفارغ الصبر
تطليماً لما يحويه ، وكانت السيدة قد غادرت بيتها القضاء
حاجتها ، فوجد فيه كمية من الأحجار الكريمة
بعضها مبري والآخر كما هو ، ولما سبق معرفته
بالجواهر تحقق أنها ذات قيمة كبيرة ، حدد ربه على
هذه النعمة العظيمة ومجده ، لأنه قد حرسه بين
عنايته وعوضه أضعاف ما قد . وتشجع ونشط
ونسى همومه ، وعزم على أن يتصرف بكل رزائه
وحكمة ليسل إلى بيته آمناً مطمئناً ولا يكون عرضة
لمصاب جديد أو عنة غير منتظرة . ثم صر جواهره
في قطعة من النسيج وعرض على السيدة أن تأخذ
الصندوق مقابل كيس ، فلبت طلبه ثم شكر لها حسن
صنيعها ووضع كيمه على كتفه وسافر في مركب .
ولما وصل إلى برنديس انتقل إلى تراني وصادف
هناك عدة رجال من بلده وكأوا من بحار القز
والديباح قفص عليهم ما أسابه ، ولكنه لم يسح
بالصندوق وما حواه فأعطوه حلة وأطروه جواداً
وبخشوا له عن رفقاء يصحبونه في سفره إلى رافلو
ولما آكب إلى بلده تأن جواهره فوجد فيها
كثيراً من الماس الجيد بحيث أنها إذا بيعت بشمن
مقول كانت قيمتها تساوي ضعف ثروته حينئذ تارق
بلده . ثم أرسل مبلغاً من المال إلى السيدة التي انتشلته
من اليم في مدينة جولف وكافأ بحمار الحرير الذين
ساعدوه في تراني وعاش بقية عمره عيشة هنيئة شريفة

نفسه مشرفاً على الهلاك ، ولحسن حظه صادف
لوحاً من الخشب قفصك به إلى أن يسر الله له
من ينشله من الخطر

ظلت الأمواج تتقاذفه ذات اليمين وذات اليسار
إلى أن ظلم النهار فظفر إلى ما حوله فرأى صندوقاً
صغيراً طامعاً غاول الوصول إليه ولكن هبت زوينة
ضاعت عن الأمواج وقذفت الصندوق حتى
استطاع باللوح الذي بين يدي الفريق فأقلت من يده
وخاص لاندولف من قوة الصدمة ، ثم طفا وشاهد
اللوح بعيداً عنه ولكنه لمح الصندوق على مقربة
منه فسبح حتى أمسك به وامتد على غطاءه ، وطفق
يستعمل ذراعيه بدلاً من المجاذيف ، وأخذت تطوح
به اللجج في كل صوب دون طمام ، وقضى نهاره
وليله على تلك الحال الضنية دون أن يعرف إن كان
قريباً أو بعيداً عن البر إلا أنه ما كان يرى غير الماء والسحاب ..
وفي الند طوح به الريح أو على الأسح إرادة
الله السامية إلى جزيرة جولف ، وأصبح جسمه
كالإسفنج وهو منكش على الصندوق كما يفعل
الغرقى عند إشرافهم على الهلاك

وكانت في تلك الآونة امرأة فقيرة تنسل آتيها
على الشاطئ فذهرت رؤيته على تلك الحال وصرخت
صراخاً عتيقاً . وكان لاندولف منهوك القوى حتى
أنه لم يستطع النطق بكلمة . ولما اقترب الصندوق
من الشاطئ وتأملت فيه المرأة مزرت شكل الصندوق
ولحت وجه الفريق فتأثرت بماطعة الشفقة والحنان
ونزلت بقرب الشاطئ وكان البحر هادئاً وأمسكت
لاندولف من شعر رأسه وجرت هو والصندوق إلى
الشاطئ . وترعت يديه للتشنج من الصندوق بقوة
ثم وضعت الصندوق على رأس فتاة كانت معها ثم
حملت لاندولف على ظهرها كالطفل وذهبت به إلى
المدينة ثم أدخلته في حمام حار وغسلته ولكنه بالماء
الساخن إلى أن أفاق وتحرك ، وبعد إخراجه من

الحب فوق الجبل

عن الانكليزية

بقلم الأستاذ عبد اللطيف النشار

جاري بلير . ولكن ماري عرفت ما،
وكتبت على ظهر مجلة كانت معها ذلك
العنوان . ولم يخطر ببالها أنها أخطأت
في ذلك لأنها كانت تريد الاصطياف
أيضاً ، وكانت اسكوتلاندا حلاً من
أروع أحلامها . ولكنها لم تكن
تعرف أحداً هناك ، وليس أجدر

بإرشادها إليها من هذا الرجل الأسود الشعر والسينين
الذي كانت تراه كل يوم على هذه اللبشة بالفندق
وإن كانت إلى اليوم لم تباهه كلمة واحدة ، على أنها
كانا يقابلان النظرات في كثير من الأحيان

وفي تلك اللحظة كتبت ماري خطاباً رقيقاً إلى
مسز « ماك بين » قالت فيه إنها سمحت اسمها وعنوانها
مصادفة وأنها تروى أن تسمع لها بالاقامة في الكوخ
مدة أسبوعين وتسالها عن شروطها في مقابل ذلك

وفي اليوم الثالث وصل إليها الرد . وكان مرصفاً
وفيها تطلب مرسلته تحديد اليوم والساعة لترسل
إليها العربة تنتظرها وأمتعتها عند أقرب محطة لتنتقلها
إلى الكوخ الذي يبعد عن المحطة ثلاثة أميال

وتم كل ذلك . وفي ليلة هادئة الجومطرة التسميم
كانت ماري واقفة أمام الكوخ وصاحبتة مارجريت
ناك بين ترحب بها ترحاب الصديق بالضيف

قالت مارجريت : « أخشى أن يكون هذا
المكان موحشاً لشدة هدوئه وخلوه من الأنيب ،
ولكنه يوافق اشتراطك في خطابك ، وليس عمل
يمكن أن يسلم هنا إلا الشيء على سطح الجبال الزدانة
بأعواد الزهر »

فابتسمت ماري وقالت : « إنها تألف هذه المناظر
وتحبها فقد اعتادت الاصطياف في الريف وإنها لا
تنتظر أن تسبب لها هداة الحياة شيئاً من السأم
وكان من حسن حظها أن الجو اعتدل وراق

كانت ماري تستطيع في يسر أن تسمع الحديث
بين الشابين الجالسين على مقربة منها إلى منضدة في
فندق يشارع « فليت ستريت » ولكنها لم تمر
أحدهما التفاتاً خاصاً

قال أكبرهما وهو أجملهما للآخر : « إذا كنت
لم تذهب قبل الآن إلى اسكوتلاندا فاطلب أجارة
واذهب إليها . وقد يشكو بعض المتقدمين في السن
وضفاف الأبدان من شدة البرد فيها ، ولكن هذا
لا يمنع من وصف جوها بأنه جميل

« وسأذك على مكان بين الجبال ليس أطيب
من هوائه ولا أروع من مناظره ولا أوفر من حاجياته
مع يسر الثمن ، ولا أجمع لأسباب الراحة والسرور
وقد طال تردادي عليه وأمل أن أذهب إليه أيضاً
في الخريف »

ورأت ماري السمتع يشير بالواقفة ويقول :
« لست أعرف هل أتمكن من الذهاب إليها أم لا ،
ولكنني أريد أن أسألك عن بعض التفاسيل ، وأنت
تعرف أنني لا أحب النزول بالفنادق فهل من الممكن
إقامة كوخ هناك خارج القرية ؟ »

فأجابته : « ذلك سهل . وسأذك على نفس
الكوخ الذي كنت أقبحه ، وهو في جهة برتشار
الثرية فاكذب إلى مسز « ماك بين » وقل لها إنك
أخذت العنوان من جاري بلير »

ولم يكن السمتع يعرف الجهة التي ذكرها

كنت أنت عليه على آخر » فقال : « كيف أغضب؟ لا بل يسرنى كل السرور أن تشهدى صدق النصيحة التى قدمتها لصديق وأرجو ألا تضطرك الإصابة الحاضرة إلى لزوم الكوخ باقى مدة الاصطيفان »

وفى اليوم التالى كانا واقفين أمام الشدير يتحادثان فقالت : « ما أجل هذا المنظر ! »

قال : « إنى لو أوتيت ثروة لحقت حلماً طالما كنت أنش نفسى بتصوره وهو أن أشتري كوخاً فى مثل هذا المكان فأقضى فيه ستة أشهر من كل عام . » قالت : « أهذا حلك ! » فقال : « نعم ولى حل مرتبط به . » قالت : « أخبرنى ما هو ؟ »

فقال : « منذ عام رأيت فتاة فأحببتها وأريدها زوجة ولكنى لا أمكك ما أسديت إليها غير حبي » فتشجعت الفتاة أكثر مما كانت وقالت : « ربما كانت الفتاة لا تطمع فى غير الحب »

ثم قالت : « هل أرشدتها إلى هذا المكان الذى أرشدت إليه صديقك ؟ » فأبسم وقال : « إنى لم أكن كلنها على الرغم من أنى كنت أراها كل يوم . وقد انتهزت جلوس صديق من فرصة لأذكر المكان بصوت عال على مسمع منها . وكنت أعلم أنها تريد الاصطيفان »

فأحمر وجه مارى وقالت : « ربما كان عند صاحبك مثل الذى عندك ، وربما سبقتك إلى الكوخ طمعا فى لقاءك »

وعادا إلى الكوخ . وبعد ذلك اليوم اشتد قلق « مارجرىت ماك بين » بسبب التصاقهما لزاماً ، ولكن قلقها عاد سروراً حين أعلنتها أنها يريدان البقاء بالكوخ شهراً آخر هو شهر العمل عهد الطيف الشتاء

فى الأيام الأولى من زيارتها لهذا الضيف . وفى يوم من الأيام قالت « مارجرىت ماك بين » : « إنه فى السماء سياتى مصطاف جديد وسقيم فى غرفة أخرى من ذلك الكوخ »

وقالت : « فإذا رافقك جلوسه بعد التعرف به قدمت لك الطعام معاً وإلا فأتى سأدبر ذلك وسيلة تريحك »

فلم تبد مارى أى اعتراض بل سررت من وجود زميل من أهل بلدتها فى هذا الضيف . وفى أسبيل ذلك اليوم خرجت لتتزه على سفح الجبل فى طريق المحطة وهى تمد نفسها بأن تكون تزهة الند برفقة رجل محلى إلى اليوم لم تصاحبه . وفيما هى تملل النفس بوجد جميل زلت بها القدم عند محاولتها الصعود إلى مرتفع من سفح الجبل فهوت وجرحت ركبتيها واستحال عليها النهوض ، ورأت رجلاً يسلك الطريق بين المحطة وبين الكوخ

ولما دنا عرفت فيه صاحبها أسود الشعر والعينين « جارى بلير » . ونظر إليها وكاد أن يمشى دون أن يتكلم لولا أنها استوقفته وأخبرته بالظبر ، وطلبت إليه أن يبلغ صاحبة الكوخ رجاءه لترسل إليها عربة قلعها . فقال : إن الكوخ قريب فإذا شئت فلنذهب إليه مستتدين إلى دارجى . وفى بحمد الله من القوة فوق ما قد تظنين

قبلت مارى على خجل ما طلبه إليها . وكان لا بد لها من التحدث فى أثناء الطريق فاعترفت له بأنها عرفت المكان من حديثه مع صاحبه . وقال لها : إنه كان يريد أن يأتى فى الخريف ولكن طراً ما دعاه إلى التسجل

وقالت : « أرجو ألا يفضيك انتقامى بنوا

نفس الوقت كانت عزائي في مهنتي .
ولا يدهشكم هذان التعبيران المتناقضان
لأنكم ستوافقوني متى انتهيت من
سرد قصتي

كان في المستشفى التنقل الذي
كنت أحمل فيه أثناء الحرب في الريف
امراً أن هماً أم وابنتها سأدعها إذا شتمت السيدة لور
والآنسة لوزي ، وكانت كل منهما مثلاً عالياً للتفاني في
المعمل والنشاط والاخلاص

إن تعلق الطبيب بمساعديه هو إحدى المواقف
التي يخلقها الاشتراك في العمل ، وهي عاطفة لا نجد
لها مثيلاً في المن الأخرى ، وتستمر إلى ما بعد انتهاء
المعمل معاً ، ولبكتنا معشر الأطباء عند ما تؤوب
إلى غياداتنا لا يترك لنا مرضانا الوقت الكافي لتبادل
الكتابات ، فاني عند ما عدت إلى باريس انقطعت
عن مراسلة هاتين المرستين النشيطتين . وكاتنا
قطعتان بإحدى مدن الجنوب حيث كان زوج
السيدة لور يتعامل في أعمال المصارف . ولكن سكوت
رجال الأعمال لا يتخذ دليلاً على النسيان ، إذ أن هذا
ما شعرته به عند ما رأيت ذات يوم السيدة لور تدخل
مكتبي أثناء عيادتي للرخصي فقلت لها :

— آه ! أهنه أنت في عيادتي ! أنا الذي مازال
ضميري يؤنبني منذ حضوري إلى هنا لأنني لم أجيب
على خطاب واحد من خطاباتك العديدة ! يسرنى
أن أنتهز الفرصة لتقديم اعتذارى لولا أنني ألاحظ
أنك جئت في طلب استشارتي ...

— لك كل المنز يا سيدي الطبيب فإن وقتك
أعني من أن تعنيه . ومع ذلك فقد جئت أسألك

شهادة الصلح بين الزوج

للكاتب الفرنسي بول بوزجيت
بتم الأديب عبادة الرباشي

قال أحد الدعويين بمناسبة طلاق مشؤوم :
يجب الحصول على شهادة صلاحية للزواج ... فقد
عرفت فتاة كانت زهرية نائمة رطبية النصفن باهرت بالجمال
لونها زوجها بشكل مروع منذ ليلة زفافها إليه .
فقال الطبيب س ... عند ما سمع ذلك :

— لقد كفر فلان حديث الناس عن هذه
الشهادة ، وثار الرأي العام ، وبدأ بعض النواب في
التفكير فيها . وفي مثل هذه الحال التي تتكلم عنها
يميل الانسان إلى الاعتقاد بأن التشريع الذي يقضى
بوجوب الحصول عليها قبل الزواج يكون تشريعاً
مفيداً . أما إذا فكر الانسان في المسألة فأنها لا تبدو
بهذه السهولة . فكم تثير من الشاكل ! ثم هناك
الصعوبة التي يجدها الطبيب في تسع حالات من عشر
في تشخيصها تشخيصاً غليظاً أكيداً . لم يبق إلا
الحال الماشرة التي ضربت لنا مثلاً منها ، ولكن
ما العمل في التسع الأخرى ... ! وإنني لأسأل نفسي
كم من زواج موفق قد يصير امتناعه بناء على دلائل
خداعة لأعراض لن تظهر ألبتة . وكم من القلوب
الفتنة الثوبية تتمزق وتسحق بناء على قرار أساسه
نظرية قد يظهر فسادها فيها بعد ! وهذا بخلاف
الأحوال التي يستعمل فيها النش والتزوير . اسمعوا
هذه الحادثة التي ما زالت ذكرها راسخة في ذهني
فقد كانت من الحوادث التي أكدت جزئي وألمي وفي

(*) في الأصل الفرنسي « شهادة ما قبل الزواج »
"Certificat Pré-nuptial"

بالداء الذى تخشين فإن واجبي عنفى من أنت
أبوح لك به

— وأوافقك على ذلك ولكن ألا تبوح به له هو؟

— إنى لأنهم غرضك

— إذا حتمت عليه أن يأتى إليك وأن يربى
هو نفسه بمدد الشهادة فهل تمدد ذلك من جهتك
إخلاقاً بسر المهنة؟

— طبعاً لا . لأن من حق المريض أن يعرف
حقيقة حاله، والطبيب أن يرى إذا كانت هذه الحقيقة
تفيد أو تضر بصحة هذا المليل الذى له أن يستعمل
هذا التصريح الاحتمال الذى يلائمه

— وهل ترى ضرراً في إظهار الحقيقة للمصور؟

— على العكس فهي مفيدة له إذا كان المرض
في مبدئه . وبما أنك تشكين في حالة هذا الشاب
فيفهم من ذلك أن إصابته ما زالت طفيفة . ولكن
فكرى ملياً في الأمر ! إذا طلبت منه أن يستشيرنى
فن المحتمل جداً أن يرفض محافظة على كرامته . ثم
إذا كانت الأنسة لوز بشاب مصدور ...

فقاطعتى بحجة قاتلة :

— إذا رفض لهذا السبب فهذا دليل على أنه
لا يحبها ، وإذا كان كذلك فيكون طبيبه قد حذره
فيصبح نحن على بينة من أمره .

ثم وقفت منى لبدء أى اعتراض جديد وقالت
سنعود إلى بيتنا مساء اليوم . زوجى وأنا . لأننا لم
نحضر إلى باريس إلا لهذا السبب ، وغداً سأكلم
لوسيان وسأبنيك بريقة ، وإذا قبل فسيكون عندك
بمد اللند ... ولكنه سيقتل ...

ودعت السيدة لور وعدت إلى مكتبى وأنا

أسألك نفسى : « هل يقبل؟ » ومع ذلك فإن موقعة

منحى بعض هذا الوقت ليس لنفسى لأننى لست
مريضة ولكن لاجتنابى

— هل الأنسة لوز مريضة في باريس ؟

— لا ياسيدى الطبيب ولكنها ستزوج أو على
الأقل طلبها شاب يعجبها جداً للزواج وهو شاب
نبيه وظريف للغاية عشرين من سنة في مدينتنا مهندساً
للطرق والجسور . وقد طلبت وزوجى مهلة ستة
لتبليغه رداً إذ تريد وضع بعض الشروط قبل
موافقتنا ، لأن هذا الشاب خاض غمار الحرب بكل
شجاعة وأمانيته الفازات السامة تحت أسوار
فردان . ولما كنت عرفت أننا اشتتالاً بالمريض
ومنك شخصياً أن أكبر أضرار هذه الفازات هو
تريض ضحاياها لمطب الرئات ، ولما كان والدها لوسيان
— وهو اسم الشاب — قد قويا بذات المصدر
فلا تقدر بل يجب ألا تزوج لوز بشاب مصدور ؛
وحينئذ ...

فقاطعتها قائلة : وحينئذ خطر لكم أن تفحصوا
عن مرض هذا الشاب بواسطة طبيب

— نعم ياسيدى الطبيب . لقد عرفت فكرى

— وقد وقع اختياركم على

— هذا طبيبى فقد طالما رأينا منك العناية
بأمرنا والميل إلينا ، ثم شاهدنا دقة استدلالك على
مواضع الداء

— لقد عذب عن ذهنك ياسيدتى مسؤولية
الطبيب وواجبه الصادم نحو سر المهنة . من منا لم
ير بالأسا كان يبالغ فيه قروحاً عجيبة ومعدة تزوج
فتاة طاهرة جميلة ومنه واجبه من الكلام ، بينما كان
من السهل منع حدوث هذه الجرعة بكلمة واحدة .
فإذا خضت عن داء السيد لوسيان ووجدته مصاباً

ستدركون بعد أن رأيتم انشغال فكري بها إلى هذا الحد مقدار حيرتي واضطرابي عندما تسلمت في اليوم التالي بركة من أمها ما كم نصها :
« لوسيان قد قبل . سيكون عندك غدا . شكرًا جزيلًا »

وقبل انقضاء أربع وعشرين ساعة دخل إلى مكتبتي خاطب لوز . ستملون مبلغ ذهني بعد الذي حدثكم عن ميلي وإيجابي بهذه البنية الطريفة الرقيقة الاحساس عندما وقع نظري على الذي يحبه لدرجة التده كما أخبرتني وألتها إذ لم ألح فيه أي صفة أو سياء تبرز أو تفسر مثل هذه الماطفة الجامعة . فوجهه للمستدير الضخم الذي يسم لكل شيء يدل على أنه ولد طيب ، ولكن عادي بشكل ظاهر . وقد لاحظت أنه متيب ويخفي ما به من الاضطراب تحت ستار من المرح الذي كان طبيعياً فيه ولا شك . كنت أقرأ اضطراباً مسطراً وراء جفنيه ، ثم تبادل إلى ذهني أن شجاعته التي يدل عليها الشريط المثبت في عروقه هي التي سحرت خطيته المقبلة . وبمجرد النظر إليه يترجع أنه لا يخشى عليه من التدون الرئوي . ثم إن الفحص الذي شرحت فيه ، وأنا أتل ما أكون رغبة في العثور على دليل يشير ربيتي أثبت لي أن نظرتي الأولى كانت صادقة فوقت بمضائي على شهادة الصحة التامة التي حتم والد لوز عليه إحضارها . وقلت لأخاطب نفسي بينما كنت أراقبه مودعاً وأنا أوشك أن أغضب من كثرة ما أبدى لي من الشكر : « وهذه أيضاً إحدى نتائج الحرب المحزنة . الانقطاع الرهي الذي يساور الناس في الثشبان الذين خاضوا غمارها ، ثم إذا عدوا إلى الحياة العامة كانوا أناساً أقل من

فردان كانت في الوقت الذي كانت تستعمل فيه غازات البثور فلم تمتد الاسابات الرئوية ٨ / . أما في سنتي ١٩١٥ و ١٩١٦ في عهد غاز الكلور فقد بلغت ٢١ / . إذن فالأمل كبير في ألا يكون ثمة ما يخشاه هذا الشاب من النتائج الوخيمة . إلا إذا كان للورثة تأثير ... ولكن عزة نفسه تأتي عليه أن يقبل ولو كان سليماً ... بل خصوصاً إذا كان سليماً لأنه يعرف ولا شك ما يخشون عليه منه في المستقبل ، وإزغامة على استشارة طبيب لا يعرف اهتمامه بأنه لم يستشر طبيبه الخاص قبل أن يتقدم بطلب الزواج ، وهذا يدل على صريحاً من جهته . لا ! إنه لن يقبل ولن أحمل مسؤولية ادخال المحزن على قلب لوز الطريفة . إن نظرات هذه الطلفة وطول قهرها لميلان على عمق مشاعرهما ورقة عاطفتها . وبما أنها تحب لوسيان هذا ...

وتثلث الشابة الصغيرة في مخيلتي وأنا أردد هذه الأذكاري خاطري كأنها ما زالت أمامي في بهو المستشفى حيث كنت أعجب بها كثيراً وأنا أشاهد نشاطها ووراثتها وهي تنحني على سرير أحد مرضى لتضميد جراحه . إن حركات وسكنات الممرضة أثناء تأدية هذه الأعمال التي تعجبها النفس أحياناً ولكن تتطلب دائماً الكثير من الدقة والتماية تكون دلائل واضحة لطبيب الذي يرتبط تفكيره بهذه الأيدي النسائية التي تتكشف لها منها طبيعتها الحقيقية كاملة سترون أنني لم أخطئ عند ما عدت هذه البنية في عداد بعض النفوس النادرة التي تستولي عليها الماطفة وتأسرها وإذا ما وهبت نفسها وهبتها إلى الأبد وبدون رجى (١)

(١) الرجى والرجبة والرجوع والرجيم من رجع يرجع

واجب في المستشفى في يوم الاثنين بعد تخمئة الليل مسافراً في القطار فقد اعتدت بحكم اللجنة النوم في أي طرف وجدت فيه . وكنت أشعر برغبة شديدة تحفزني إلى رؤية مقر أعمال أثناء الحرب . ولما كنت دائماً ميالاً كما يقول ستاند هول إلى «معرفة كنه الشيء على حقيقته» فقد كنت نواقماً إلى معرفة صلة لوريز بخطيبها الذي لم أكن أراه جديراً بها ، واشتدت بي الرغبة حتى أنني بدل أن أنام في القصر حيث أراد أصحابه أن يحجزوني طلبت أن يقودوني بالسيارة بعد الاستشارة مباشرة إلى مدينة ممرضى الطريقة النشطة التي كانت تمد نفسها للارتباط إلى الأبد بهذا الرجل الخشن الذي أثار كراهيتي إلى هذه الدرجة فوصلت في الساعة السادسة ومن المنزل اتصلت تليفونياً بالسيدة لور في الحال ولحسن الحظ وجدتها فقالت لي :

— كيف لم تبقني بمحضورك يا سيدي الطبيب؟ إن عملي هذا سيء بل سيء جداً ولكنني أساعلك إذا أتيت في الساعة الثامنة لتناول العشاء مع الخطيبين وبعض الأصدقاء ، ولا بأس من حضورك بملابس السفر طبعاً ، غير أنني أرجو أن تبكر قليلاً من الموعد لأن ابنتي تشعر بالملل وأظن أن كثرة العمل قد أنهكتها ولذا أرغب في أن أعرف رأيك . قلت لنفسي : « أبدأت النعمة تنقشع عن بصرها؟ ومع ذلك فما زال أمامها متسع من الوقت » وتأمر فضولي وتنهت غريزة التطلع في عند ما أدخلني الخادم في غرفة الاستقبال التي كنت أعرضها من قبل كل المرفة إذ كثر ما جئت وقتذاك لزيارة ممرضى الفصليين كما سمح لي الوقت بين عيادة وأخرى ، وقوة الملاحظة التي يمتاز بها الطبيب

الماديين ، وكثيراً من الأحيان متوحشين تظن الفتاة الخيالية أنها ستزوج فارساً كريماً وإذا بفارسها هذا على خشن كما يظهر لي هذا الشاب . ما أعظم الصدمة عندما تتكشف الحقيقة للوريز الصغيرة إلا إذا كنت قد أخطأت في حقيقة نفسيها وكانت في الحياة العامة غيرها في المستشفى كما يدل عليه هذا الاختيار أكبر دلالة

ولكن لا ، فإن نظرتي كرئيس عيادة لم تحدهني وقد ألقت إحدى الصدف التي تحدث يومياً للطبيب بالليل القاطع . وبهذه المناسبة ما هي الصدفة ؟ هي وقوع ظروف وحوادث لم يكن في الامكان التنبؤ بمحورها . وبالفعل أي طبيب يمكنه أن يتنبأ بأن المريض الغلاني الذي لم يكن له به سابق معرفة سيستدعيه ، وأن دعوته هذه ستكون سييئة وقوع حوادث غير متوقعة ، إذ لم تحض فترة كبيرة على عيادتي لضحية غازات فردان حتى كنت قد استلمت برقية من السيدة لور تخبرني فيها بمزيد السرور بخطبة الشابين . ثم تلا البرقية كتاب يطغح غبطة وحبوراً تبدي لي فيه أسفها لأن الزواج الذي سيتم قريباً جداً بناء على إلحاح ابنتها كما قالت لم يحدث له يوم يلاشئ ، وإلا كانت رجعتي في أن أكون أحد اليهود ، وإنما تعلم أن كثرة أشغالي لا تجعل بضمة أيام أنشيتها عن مرضاتي وعن مستغفاتي . وكانت تسكن على بعد عشر ساعات بالسكة الحديدية من باريس . وما كم المصادفة التي كنت أكلّم عنها دعاني بعد بضمة أيام زميلان لي من تلك الجهة للتشاور في قصر قريب من مدينتها ، فحدثت أقرب يوم سبت للمشاورة المطلوبة برغبة مني في زيارة ممرضى السابقين في يوم الأحد لاستطيع العودة إلى أداء

على السرير . ولم ملت عليها لكي أثبت رأسها على الوسادة قالت لي هامة : « أخرج أوى . أخرجها بأى شكل » وبدأ عليها الأرتجاج والرعب حتى أننى أعطتها طبقاً للبدأ القديم الذى يقرر عدم التصادم مع المصبيين . فالتفت إلى والدةها قائلاً : « أكره لك يا سيدتى أن لا خوف عليها . سترتاح الآن قليلاً بينما أوجه إليها بعض الأسئلة وأظن أننى أستطيع أن أؤكد لك أننى سأعود إليك بها بعد نصف ساعة وهى على أحسن حال مستعدة لتناول الطعام كأن لم يكن هذا الحادث الذى آثاره حرارة الجو ولا شك — فقد كنا فى شهر يونيو — فقات السيدة لور :

— أنا ذاهبة إذن لأسدر بعض الأوامر ... ومع ذلك فها هو ذا الدم قد أخذ يتصاعد إلى وجهتها . ثم قبلتها وقالت وهى تدمع : أجبني بدقة على أسئلة الطبيب أينما البنت الخبيثة ... ثم فكرى فيما يصيب لوسيان المسكين لو رآك فى الحال التى كنت عليها ! وأنت يا سيدى الطبيب أرجو المذرة من مثل هذه المقابلة؛ وإذا احتجت إلىندق الجرس فأعود سريعاً وما كادت تقفل الباب حتى قامت لور وقالت لى : « لا داعى لتوجيه الأسئلة إلى يا سيدى الطبيب فليس بى من مرض وإنما سقطت عند مارأيتك تنظر إلى تلك الصورة التى وضعتها أوى هناك خصيصاً لك لكي تهتنى . إنها صورة خطيبي الحقيقى لا الذى جاءك فى باريس ... » وعند ما رأت هيجي قالت : « آه . لا يمكنك أن تفهم ... إننى أنا الذى أردت أن يطلب لوسيان من أحد أصدقائه — وهو زميل أقصد لوسيان حياته فى فردان فأصبح يخلص له إخلاصاً أخوياً — أن يلعب هذا الدور فيذهب

شديدة جداً عندى ؟ فى بضع الدقائق التى مكثت فيها وحدى لاحظت وجود مسند تصوير عليه صورة بالفحم لم أكن أعرفها . والصورة جانبية لفتى تبدو عليه بشكل غريب سياء النباهة وعزة النفس؛ وكنت أعرف أن اللوز بعض الألام بأسول الرسم، وقد دلتى توقيماً تحت الصورة على أنها من صنعها فوفقت مشدوهاً من إتقانها ودقتها مع أن البرهان كان أحمى . ثم قطع على تأملى صوت السيدة لور إذ دخلت وكانت ابنتها بالطبع معها وقالت لى هذه الكلمات التى لم أقته منها والذى فهمته بعد قليل وربما كانت الاستفهام عنها ذاعوا وب وخيمة « ألا تشبه تماماً ؟ مع أنها لم تصنعها إلا فى ثلاث جلسات ؟ ... ولكن ما بك يا ابنتى ! ... »

وكانت لور قد وقفت فجأة على أحد المقاعد وهى متهاكة وقد غاض الدم من وجهها وكأنها فقدت وعيها بينما كانت أنها تواصل حديثها دون أن تترك لى الوقت لكي أجبها على سؤالها عن التشابه إذ كان يفهم منه أننى أعرف النموذج الذى نقلت عنه هذه الصورة

— لقد شاهدت بنفسك مقدار ضعف أعصابها والحوار يمتريها باستمرار ! ... أرجوك أن تفحص من داتها كما طلبت منك . ألا تفضل بالذهاب إلى خدمها ؟ أنتستطيعين للمشى يا ابنتى ؟ فأجبته وأنا أساعد ابنتها على الوقوف . طبعاً يا سيدتى ، استندى على يا آنسة ، وأنت يا سيدتى هدنى روعك فلا خوف عليها

وقد دلتى تقبض يد لور على معصى وارتماش ذراعها على ما بها من اضطراب أخذ يهدأ شيئاً فشيئاً مذخرنا من القاعة . ثم دخلنا خدمها فاقنصنا بالرقاد

كانت قد انتهت من البكاء خذجتي يصرها وقالت لي بزم أشعري بأبها لن تنثني عما قررت
— ليس الوقت وقت مناقشة وقد أوشكت أن تمود تغبرها في الحال إذا كنت اتوبت إخبارها فتكون قد رجعتي لأن هذا الشك يقتلي، ولكن تبين من أنني عندما أخرج من هذه الغرفة سأذهب لأشعر ولك الخيار الآن فيما تقرر ...

وجلست إلى منضدة الزينة وأخذت تصفف شعرها يهدوء أمام المرأة كأن الحديث الذي تبادلناه كان حديثاً عادياً . وكنت أرى وجهها الجليل وقد هدأ الآن كما يحدث في الأزمات الداخلية إذ تتركز الثورة في قرار يتخذ النفس منها فترتاح إليه مهما يكن الشر المتطوى عليه . ماذا يجب علي إذا أن أصنع ؟ وما هو واجبي ؟ وهل تهديهما بالانتحار صادق ؟ ولكن وجه الفتاة الثابت أزال كل أثر للشك من مخيلتي ، فإذا تكلمت انتحرت ، ولكن لو سكت من واجبي لكنت شريكا في هذا الخلداع ولكي يقبل خطيب هذه الفتاة التمسة الواقعة على إحلال آخر عمله في مسألة الشهادة يجب أن يكون إما ضيف الإرادة إذا كانت الفكرة فكرتها أو سافلاً إذا كان هو الذي فكر في هذا الخلداع . المقوت . ومة إغواؤها وحملها منه ؛ هل يجب أن أشترك في هذه الخاوي بكذبني على أنها التي ستكون هنا بعد بضعة دقائق . هذه الأم ذات النفس السالبة والاخلاص وكرم الأخلاق ؛ هذه الخلال التي كثيراً ما برهنت عليها في المستشفى ؟ هاهي ذي تقترب فلا . إذ انتهت حواسي كما يحدث للإنسان في الأحوال العصيبة الشديدة ، فسمعت وقع خطواتها

إليك بدله متسبياً باسمه للحصول على الشهادة التي ما كنت تقبل أن تعطيه له هو الذي يعرف نفسه معزماً إبدات الصدر فيمتنع زواجنا وكان لا بد لي أن أتوجه . ثم عادت فقالت وهي تشد على ممصى بقسوة وحشية هذه المرة : « لا بد لي . ثم بصوت متعثر : « إني حليته وأنا حامل » ثم وضعت كفها على وجهها وأخذت تنتحب وتنشج وهي تواصل اعترافها الحزين :

— عرفت من أي في الساعة السادسة أنك جئت إلى هنا وأنت ستأتي هذا المساء لتناول المشاء . لم يكن ثمة مناص من وقوع اللأسة وانكشاف الحقيقة فطرد لوسيان من بيتنا عندما تقول : « ولكن ليس هذا الذي جاني في باريس ... » فإذا كان يحدث لي أنا اللدلة بحجة ... خرجت معتدرة بمنزلة ما وجريت إلى الفندق الذي نزلت فيه والذي عرفت عنوانه من أي ... ولكنك لم تكن هناك فمدت إلي هنا ولكن بعد أن كانت قد وضعت الصورة في الثرفة . ولحسن الحظ أنها كانت طلبت منك أن تدير قليلاً من الموعد لأن صحتي أهمها . وكانت كثرة الاضطرابات النفسية قد أنبتني فوطنت النفس على أن أصارحك وأن تعرف كل شيء إذا ماذا كان يحدث لو أجبت على سؤال والدتي : « تشبهه ؟ ولكنني لا أعرف الأصل ... » أكرر لك القول هناك كانت المساء بل الكارثة . ولكنني لحسن الحظ شعرت بالألم قبل أن تتكلم ... والآن هل ستكلم ؟ .. قتلت لها وقد تملكى الفرع من هول ما سمعت « ولكن واجبي يا آمنة .. إنك تطلين مني شهادة زور وشهادة زور تتعلق بمجنتي » .

والد لويز وخطيبها الذي عرفته من مشابهته للرسم . فلم يظهر على الاندهاش عند ما تقدم لمصاحفى وهو مضطرب بما يدل على الخجل الذي كان يساوره والذي كان يجب أن أقدره ، ولكنى لم أرى موقفه إلا دليلاً على الرياء والخداع . إن هذا المشاء الذي جمع الأسرة وبعض الأصدقاء كان طويلاً ومؤملاً بالنسبة لى ، فان صرح لويز الذى كفت أظنه مصطنعاً كان يثير اشترازى كلما حققت متاحة ، وكان السرور البادى على باقى الأضياف يؤلى أشد الألم ، وكان شعورى أمام هؤلاء الناس السليبي النية بأننى حالى الرياء يضاعف وخز ضميرى . ولم أخلص مما اتبأنى إلا بعد انتهاء المشاء إذ بادرت بالحرب مدعياً التعب بسبب السفر وواعداً بالعودة فى اليوم التالى للفتور بينا صمعت على مفادرة المدينة فى نفس الليلة بقطار الساعة الحادية عشرة على أن أخلص من وعدى تليفونيا عند وصولى إلى الفندق بدعوى ورود رقية تدعونى إلى العودة سريعاً إلى باريس . وهذه كذبة أخرى ولكنكم تدركون طبعاً أننى اغتفرتها لنفسى . أما الكذبة الأولى فكم كانت تؤلى وأنا عائد مضطرب الخاطر مثقل بالهموم

قلت لكم عندما بدأت هذه القصة إنها تأثرت ألى وحزنى إلى أقصى حد ، وإنها كانت فى نفس الوقت غزائى فى مهنتى . وما كم تفسير هذا التناقض فقد عدت إلى باريس بعد تلك الليلة للشؤومة متقلاً بالهم الذى اشتدت وطأته عندما وصلتى الدعوة الرسمية إلى هذا الزواج الذى لبت فيه بواسطة سكوتى دوراً يتناقض مع نزاهتى ومصراحتى . فكم ندمت وتشتد على سكوتى بل بلغت درجة الندم أننى رغم أبسط قواعد الأدب لم أرسل رداً ولو برقية على هذه الدعوة . تصوروا مقدار تأثرى بمد يؤمين

فى الفرقة المجاورة كما سمعته لويز أيضاً . فالتفتت واتجهت نحو الباب ونظرت إلى مرة أخرى وهى ملازمة الصمت ، فتبين لى أنها ستقف هناك مستعدة للخروج إذا دلها كنانى الأولى على أننى لا أوافقها . فهل كانت تخفى سلاحاً أو قارورة سم أم كانت تفكر فى إلقاء نفسها من نافذة غرفة مجاورة ؟ لم يبق ثمة مجال للتردد بعد أن تيقنت أن وقوع الصبية — التى لا يمكن نلافها لو وقت — متعلق بى . فالت الكلام مناه قتل هذه الطفلة المسكينة التى باحت إلى بسرها المشؤوم ووضعت مصيرها بين يدي . وجأة انخفت قراراً كما يحدث كثيراً لأحد الجراحين أثناء إحدى العمليات الصعبة إذ تطرأ له فكرة فيتخذ قراراً حاسماً ، قلت لنفسى : « ماذا تخشى الأم أن يمتاز ابنها مصدور فتحمل منه ؟ إنها لم تستطع منع هذه النكبة فالفائدة من إخبارها إلا وقوعها فى نكبة أعظم ! إذن فواجبى كطبيب يعرف ما عرفته وما يمكن حصوله بل ما لا بد حاصل — هو السكوت

وبينا واللهنا تدخل الخدع فاجأتها قبل أن توجه إلى أى سؤال بقولى : « اطمئنى ياسيدتى . ليس بالآنسة شيء سوى بعض الإعياء وهو طبيعى فى الأحوال الراحنة . فهناك التعب فى إعداد معدات الزواج . وليس لدى ما أسفه لما بل أنصحبها فقط ألا ترحم نفسها »

لم أكن مريضاً طبعاً وأنا أنطقى كنانى هذه التى جعلتلى أس هذا التواطؤ الذى اشتبأت منه نفسى فى مبدأ الأمر . وبدل أن تلطف نظرات الفتاة التى كانت تبرعن الشكر من حدى أهاجتى كأنها كانت سبة موجهة لى . وبعد دخول واللهنا وسكوتى عدنا إلى غرفة الاستقبال الصغيرة حيث كان يجلس

وأن تراه كما هو على حقيقته، فكأنه ضميره وعذبه لأنه أرسل صديقه إليك بدلياً منه . أكررت القول بأنى أنا الذى أردت ذلك، وإنى كنت أحببه فوق الطاقة كثيراً ما فكرت فى أنه ينبعث من كل فرد منا إشعاع ينتقل منه إلى الآخرين بواسطة الإشارة أو النظر أو الحيا وأن هذا الإشعاع يوجد بين الأشخاص إما تنافراً قوياً وإما توافقاً لا يقاوم . وإلا فكيف نفس الانقلاب الذى أحده هذا السى الحديد الذى كان لى من الأسباب ما يجعلنى أعتقد أنه يتطوى على مكيدة جديدة مستترة بعد أن عرفت عن لوز أنها أهل الحبك مكراها ، ولا أظن أن أى كلمة منها قت لا تصح أن تكون نصاً للطريقة التى استعملتها هى وجبها للحصول على شهادة الصلاحية للزواج اللازمة . ألم تنه هى بذاتها نفسها بأنها مثلك أسمى دور الحلى ودور المتحيرة الذين ألقاى فى هذا النش الذى ما زال ضميرى ويحزنى بسببه كل يوم ، ولكننى عندما كنت أشاعدها وأستمع إلى كلامها وأرى تأثيرها وخاسبتها تمنحى كل تلك الأسباب فجأة وتمود لوز فى نظرى تلك الممرضة الصغيرة التى كانت فى المستشفى والتى كنت أقدر فيها إخلاصها على صغر سنها . ولعل شيئاً من العطف الذى امتزج بتقديرى لها هو الذى جعل إفضاءها لى بطلانها الأولى أشد وقفاً وأكثر إيلاماً كما جعلنى أشعر بالزاد لمطاعها عن برادها . وعلى كل حال فقد رأيتنى أحبها :

— ليس ثمة ما يدعو إلى طلب الصفع يا سيده . .

فقاطعتى قائلة :

— كنت فى المستشفى تدعوى لوز

فقلت لها إنى أفدرك الآن بالوز كما كنت أفدرك هناك . لقد جرت دقيقة عمسية جداً عندما سألتنى أمك عن الصورة ولكن يجب

من الحفلة التى كنت أعلم ما انطوت عليه من النش عندما رأيت لوز نفسها تدخل مكتب العيادة وتجلس على نفس المقعد الذى جلست عليه أنها منذ ستة أسابيع . ثم رأيت لوز نفسها مشرقة الوجه تهتز طرباً فقلت لى عندما رأته صمقى ووجوى — فهل كنت أستطيع أن أرى فى هذه الزيارة لإمتهى الفحة ؟

— نعم ! هذى أنا يا سيدى الطيب . أنا التى كنت أرغب فى طلب غفرانك . لقد أدركت تماماً مقدار أمك أثناء ذلك المشاء فاقصمت أمام نفسى لأتفكك لأشرح لك الأمر فى باريس . وهذا ما دعانى للحضور . ثم إننى لأحتمل أن تنظ فى زوجى أنه لم يرع الشرف وجعل منى خليلته قبل الزواج . إن هذا عين الخطأ لأنه ما انفك يحترم تلك التى ستحمل اسمه . أما هناك فقد كذبت عليك ، وإننى أؤوسل إليك أن تسامحنى من أجل هذه الكذبة لأنه كان يجب على أن أمنحك بكل طريقة من إخبار والذى بإرسال بديل من لوسيان بعد أن عانيت ما عانيت فى إقناعه . لأننى أنا التى فكرت فى هذه الطريقة للحصول على الشهادة التى فرضها عليه . فلما جئت إلى هناك ، وجعلت تنظر إلى الصورة ودخلت أنا ووالدى جنت فزعا فقصمت نفسى أمامك بالمار ونطقت بكلمة الانتحار لأرغمك على السكوت . هل كنت أعتقد لوتكلمت ؟ لا أظن ! لأننى أحب لوسيان إلى أقصى حد ، بل كنت أهرب من البيت وأرتجى بين ذراعيه طالبة منه أن يأخذنى ضاربة صفحا عن الزواج الذى . ولكننى متعلقة ففعلت أخيراً ما فعلت . لك أن تدبني كما تشاء ، ولكن لوسيان يجب أن يسترد اعتباره ففكرت لأننى عندما رويت له ذلك الفصل الروع أراد أن يكتب لك ، ولكننى رجوت أن يدع لى أنا الاعتراف لك بالحقيقة . إننى أشعر بالحاجة إلى أن تحترمه

أن تطلي الصنع منها . فقالت :

— لا وجه لذلك إذا أعفدت زوجي لأنها كانت تريد ألا أتزوج مريضاً وكنت أنا موقنة من أنني سأخلصه . ثم إنه مريض ولكن . بقدر يسير وما دعاني إلى الالتجاء إلى الطبيب الذي طالما رأيته يصنع العجائب عندما كنت ملحقته بخدمته إلا لكي يسي بزوجي العزيز ويشفيه لي

لقد قلت وبمساعديتها القيمة أمكنني أن أرى هذا الليل الذي ما كنت أوافق على زواجه ألبتة لو كان هو أنى بنفسه لأفحص عن داءه كما طلبت منه والدة لوز الملهة . حقاً لم يمس المرض رثته إلا مساً رقيقاً، وهو الآن وبعد مضي ست سنوات وبفضل عنايتها هي على الأخص قد أصبح بمنجاة من كل خطر . وقد أعجبا ثلاثة أولاد هم مضرب الثقل في

في القوة والصحة ، وقد ولدوا ولم يهد الزواج بشرة أشهر وهذا دليل آخر على أنها أهملت نفسها . تزون من هذه القصة أن فائدة شهادة الصلاحية للزواج ليست أكيدة كما يبدو لأول وهلة ، ولو أنها كانت مفروضة فملاها وجدت هذه الأسرة السعيدة . هذا ولكم أن تستخلصوا من هذه المأساة التي اشتركت فيها النتيجة التي تحلو لكم ، أما أنا فقد خرجت منها بهذه الحقيقة المؤثرة رغم بساطتها، وهي أن المرأة التي تحب حياً حقيقياً لا تقتنحها عن غمها صموبة ماء؛ فأظهر النساء تقدم على إتيان أسوأ الأمور أو أتعابها لتحقيق غرضها، وإنه لمن عجائب الطبيعة وجود قلب كقلب لوز الذي يصنع العجائب وأمامكم هذا الزواج وهذا الشفاء أكبر دليلين على ذلك .

عبد الله الرباشي

مؤلفات

الأستاذ محمد كامل حجاج

- ٤٠ بلاغة العرب جزءان (مختارات من صفوة الأدب الفرنسي والانكليزي والألماني والاطلاق مع تراجم الشعراء والكتاب)
- ٢٠ خواطر اغتيال وإملاء الوجدان (متفرقات في الأدب والنقد والفلسفة والموسيقى والحجوان وبه روايتان تمثيلتان)
- ١٨ نباتات الزينة المشبية (على إحدى وتسعين صورة فنية)
- ١٥ Les Plantes Herbacées (على بنفس الصور السابقة)

الكتاب الأول والثاني في جميع المكتبات المعبرة وكتب الزراعة تطلب من شركة البذور المصرية بميدان ابراهيم باشا

عبد المعطى المسيرى

يقدم كتابه الثاني

الظامئون

به القصص الآتية :

وكدى . بيبي وبين نفسى . بيت الحظ . أول غرام . الصماليك

فرم ل القصص العظيم

محمود تيمور بك

لوحلت فنية للأستاذين : بدر أمين وشفيق رزق الله يطلب الكتاب من مؤلفه بقوة رئيس بدمهور ومن مكتبة النهضة بمصر ومكتبة نيكيتوريا بالاسكندرية الثمن خمسة قروش صاغ

سَيِّدُ الْهِنْدِيِّ

لِلْكَاتِبِ الْأَمْرِيكِ : لُوئِيرِ اسْتُودَارْد
بَقَاةِ السَّيِّدِ مُحَمَّدٍ الْعَزَاوِي

أقدامهم لم تطل هذه البقعة منذ عشرين عاماً ، وكانت عليهم حجراً محجوراً .
لقد كسحناهم إلى مكان يسيد خلف ذلك السهل الذي ينبطح تحت أقدامهم واستراحوا إلى تلك البطاح التي تفسح رمالها الهاجرة فتصهر عظامهم وتغرق أقدامهم إذا ما ساروا أياماً يطلبون الماء فلا يكادون يشربون .

فقالَت المرأة الغضوب الشاحبة : « ولكنهم مرة طودوا . إنهم لا يحفظون لنا إلا ولا ذمة .
فصبح زوجها الذي غطت صدره لحية شبيهة : « نعم لقد أتوا مرة فأحرقوا لنا كوخين . غرر صغير ما أحسنه الكلاب .
فستظت الزوجة على ذراع بلها لتسكنه خيفة : « مه ! . وصمت الرجال من حولها منتظاري ربط اللجم وإحكام السروج ولكنهم كانوا يسلون بصرم خفية إلى فتاة لبست سواد الحداد ؛ وقتت برهة ثم دخلت بيتها من دونهم . فقال ذو الحية وهو يلتقط بندقيته :
— حقاً لقد أنسيت طفليها ؛ وما أنسانيه إلا

الشیطان !

وشدوا الرجال في طراوة الصبح وغرة الضحى إلى الجبال حيث الصيد والشجر ... وبدأت الظلال السطلية تنقلص ما سبعت الشمس في السماء ...
وطدت الشكى إلى بابها فوقفت جوارده . ولم يحبها أحد فيقرئها سلاماً ، وطدت كل امرأة إلى كوخها ، وبقي الثلمان يلبسون أمام المنازل الأخرى سائحين ضاحكين ، يشيرون في لمهم مثيراً وتراباً ، ما أسعدهم ! إن أماسهم يوم هو طويل
ولكن المرأة ذات السواد واقفة ما تزال ،

(١)

هب الرجال إلى أعمالهم متدافعين عليها متواثمين ؛ وبعد أمد قصير كنت ترى عرباتهم وبغالهم تحتني خلف المضارب القاعة بأقصى الأفق ، وكنت ترام يبدون من آن لآخر ، حين تسمح لهم بذاك فروج الثناب والمضارب ، فكانهم زوارق يشاها موج كالظلل من حين إلى حين ... وكانت صيحاتهم للراحة تحت رويداً رويداً كلما بدد الركب واختفى في ضباب البمد بين أذغال وأحراج ...

ومكث الصبية بالحى والنسوة ، وبقى معهم رجالان من الخوائف قد وهن المظم منهما واشتمل الرأس شيئاً . وقد كان الركب بحاجة إليهما ليصجبا الصيادين في رحلتهم هذه « فأي أذى يلحق بالحى وضخ الضحى ما دامت الدية والنمر مبيدة في الأذغال ؛ وعلى أية حال فسوف يأتي الركب عملاً عريته بصيد سمين مع السماء . وقال لمن جيم الصياد : « سوف نحمل لكن الدية على الثناب فلا نخشين بأساً ولا توجسن شرّاً » فتصاحب الثلمان ورفقوا طرباً إذ تصور كل نصيه في السماء بين يديه ينهشه ويقضمه في شوق ولهفة ؛ بينما النار تلفحه بعهدا وظلها ...

وأمسكت أنفى غضوب بلها ، وضاحت به في خوف واهلج : « ولكن الهدونا لجر ... » فأنحك ذلك الجلع كله ، وضاحوا : « يا لنود ... ! كيف ! إن

بين الحصاب والثيران ففزعتا إلى النافذة فبصرتا
بحيل كثير تسبح في الهواء سباحاً عند منطفئ
الطريق . وصمعا وقع السنايك على الصخر سريعاً
مدوياً ، وعلى ظهور الخيل فرسان تلهيها بالسياط
والأرجل المارية ، فذهب الأرض في سرعة البرق
وبطش العاصفة . وهناك صرخت المرأة الشاحبة
وولت الأديار . لقد كانوا الهنود الجمر ، جاءوا ليميتوا
فساداً في حي البيض

هم الفزع وساد المرح ، ولكنها أوصدت
من دونها الباب واستراحت إلى كوخها التين ،
وكانت تنظر من خصائص الباب فتري الأمهات
يمررن على الحصاب جازعات هاربات ، وبأيديهن
أطفالهن الصغار

أطفالهن ! ... وأين طفلها المميز ؟

لقد تحولت إذ ذاك إلى صنم من صخر وقتحت
الباب ...

وتجاذبها الهنود يأس وقوة فشمشوا شعرها
وضربوها حتى كادت تموت . ولكنها دافعت عن
نفسها أحسن مما يدافع عشرة رجال سويك . وماذا
تعمل وقد كان هناك عشرون رجلاً وهي وحيدة
تعمل بين شرقة من ذئاب جائئة ... كان الطريق
مقفرًا فلا شيء يدفع عنها عادية الهنود . وأمسك
أحد بنحرها وضغط ، فكادت تموت خنقاً وضربها
آخر على وجهها ، وسلك صدرها حتى كادت تلقى
حقتها . وجذبها ذلك على جواردها — بعد أن أحرق
كوخاً — وفر بها مسرماً إلى قلب الغلابة . كانت
يذاها مغلولتين ، وعيناها غارتين في دموعها اللزجة ،
ولكن لم يكن بينهما من هذا شيء قدر ما بينهما
طفلها . « ترى الآن أين هو ؟ »

ساكنة ما تتحرك ، قابضة يديها على الأخرى ،
شاخصة لا تطرف ؟ مرسله بصرها — خلال
السهل — إلى حيث ضاع طفلها — إلى المكسيك
كان وجهها أحلاماً هزياً ، فلامعه حادة ناتئة
قد لوحته الشمس بحرها فأكسبته سمرة قانية
لم تكن له من قبل وقد كان صبوراً ... لم يكن
حياً بوجهها إلا عينيها السوداوين اللامعتين ، فقد
كانتا توربان يبريق غريب

وكان كوخها ببسداً عن الأكواخ الأخرى ،
يقوم على سفح هضبة تواجه الأبطح القفر
إنها سمعت قول ذي الحجة الشهباء : « ضرر
سغير ما أحدهم الكلاب » أنسى حينذاك طفلها ؟
وكيف ينساها وقد وقتت تذكرة لمن ينسى ؟

بالقرب من كوخها قوم سخرة كتب عليها
« ذهب وبسلى ، ٦٩ » . لقد احتفرت
تلك الحروف يداها في آخر مكان لب فيه طفلها
المميز ، وادكرت كيف تركته وانسلت ، حتى
لا يبكي ويلج في استصحابها ، تركته دون أن تحضنه
أو تلمسه . يا للأسى ! وهنا ضربت ذات السواد
ييديها حيطان كوخها :

— « وى ! من لي بذلك القيلة ، وأموت ! »

ولكنها ذهبت إلى جارتها الشاحبة ولم تكن
شاحبة إذ ذاك أو أرمله مثلها ، بل عروساً هاتئة
ضخمتا ما شاء لها الضحك ، وتحدثتا بما سمح الحديث .
وإنها لتذكر أنهما كانتا يتحدثان عن النازلين الجدد
في المحل . وكان يوم عطلة فتمتد الرجال فاعتدوا إلى
الغاب يقطعون منه للشجر والنصون ليتبتوا
أكواخاً لهم ومنازل . وبينما هما يتحدثان في سرور
وجذل إذا بهما تسمعان ما علقته نباح كلب يبدو

وقع السنايك والمفار ، تنتمي بطعم الطين في فمها ،
ونار الشكل في حنايا الضلوع .. وأفوها على الرمال
غائبة الوحى . ولما أن ثب إليها الرشد وذهب عنها
الروح ، ورعها جيرانها الكثير ، سمت إلى كوخها
الذى تقف الآن يابه سامة لا تنطق ولا تبين ،
مقننة رأسها لانتلفت ميمناً ولا يساراً ، حرسلة بصرها
خلال الرمال إلى حيث راح « غموسها » إلى
المكسيك ...

وتماقت السنون وهى لا تزال وحيدة في كوخها
الذى كان يجب أن يعيش به « اتناه » . إنها الآن
ترى غباراً يقوم بأقصى الأفق . تراه هنا وهناك
— تذروه الريح — من بين المصناب يقترب دائماً
ويسظم أبداً ، ولكنه كان هادئاً شقاً لا يمكن أن
يحمل بين ثناياه أحداً حتى الهنود !

إن التلام الذى ترف قد مات ، ولكن التلة
أحياء بين أهلهم يتصمون . لو كان أحدم يديها
الآن ... لأرته كيف يكون الثار إذن ، وكيف
يكون القصاص !

وظفت ذات السواد تصور مامى فاعلة به إذ هو
بين يديها أسير ضعيف . لترينه الموت والنزع الأكبر
ولتوسمحه عذاباً ونكالا . ومن أفتد على ذلك من
أكل موتور ؟ ورامقت النار في المصطل تستوق
من لمبيها ولظاها ، إذ زادت كئل الخشب توهجا
ولمبيها . وألقت فيها حطاما وحطبا ، أنت به من
الجليل يشق النفس . ولكن النار لم تزد سميراً ،
بل لم تكف لأن تشيع البفء فيها ، فجثت أمام
المصطل ، وبصرت بالجليد يحمر قليلا قليلا . وتوهج
اسم الصنع الذى صنع الوقود . وكانت الحروف كلها
بارزة إلا المقطع الأخير من كلمة « مؤتمر Congress »

وكان الرصاص — من وراء — يثر فوق
رؤوس الهنود أزا . لاشك أن البيض أتوا يتقنون
حيالهم وحمام . وفي الحق أنهم كانوا يعدون فوق
المصناب كأن بهم مساً أو جنونا ، وفر الهنود
عائدين كيلا تكون كرتة خاسرة ، ففروا بكوخها
وهناك كان التلام — حيث تركته أمه — جازعاً
مذعوراً . فلما أن قاربه لوحث له يديها للثولتين
صأحة : « يا أحمى ! يا أحمى »

وهنا ضربت ذات السواد جيئها يديها قائلة :
« واهمى ! » لم تمر به دون أن تلظه ؟

ولكنها توسلت وتضرعت ، ثم تبشجرت
وانضلت لتصل إليه . ولكن الهندى توقف لحظة
ليخطف التلام ثم يسير سيره الأولى

فكرت أثناء الفراق عمام فاعلين بها وبطفلا
فحاولت أن تطلق سراحه فينم بحرقته ، ولكن
الهندى كان ما كرا جباراً ...

وكان البيض يجدون في المدو وراء الزوج ،
وفي ضرب الرصاص . وكان الجواد الذى كان يركبه

الهندى — ممسكاً بها وبطفلا — يحمم من شدة

ما يمانى ، ويجهاد في السدو لاهنا حتى كاد أن
يصوم عن النفس . فهو يجمر أرجله السابجة في الهواء

واهنا يكاد أن يبرك . ورأى الهندى ذلك ففرق
بين الصبى وأمّه فأسقطها حتى يكن الجواد حملها .

ولكنها قامت وعدت وراءه غارقة في التراب لا تكاد
تس من الأمر شيئاً . لا بد أن يحطفوها هى الأخرى

فدعهم — وهى باكية تمدو خلفهم — أن يأخذوها
فأسموا لها دماء . وعثرت ولا مقبل من المثرة ..

وصاحت ولكن لا يجيب . كان هذا كل شيء .
فقصتها تنتهى هنا ، تنتهى بين التصايح والفرار ، بين

حناءها الآخر ؟ ذلك الذى تليس أيام الأحد .
وبدت لها المضطربة بعبدة قعدت عما اتوت ، وسارت
إلى المكسيك سريماً . على أن ذلك لم يدم طويلاً ،
فقد غارت قواها ، ووهنت أوصالها ، فاستراحت
إلى ظل سخرة ، وقد جف حلقها حتى كاد ينحطم
ولا ماء بقرها بروها . فمزمت على أن تمود وتبدأ
مع اللعج مرة أخرى ، تكون فيها أشد على البلاد
وأقوى ؟ أو تذهب فى الليل حين تسمع لها طراوته
بأن تتقدم مسافة لا تستطيع التقول بعدها

وعانت فى الرجوع أهوالاً وشدائد . وأخيراً
بلت التل ، فبرزت لها — من كوخها — الجارة
الشاحبة وحيثها ، فلم تجب ذات السواد ، بل دخلت
الكوخ وأغلقت من دونها الباب ، ثم تطرحت
على السرير ، وجرت من كأس الكرى جرعات ،
ونامت على قفم القلب وقرع النافذة . ونهبت
المرأة الشاحبة وأرسلت بصرها يجوب السهل ،
فبصرت بما بصرت به ذات السواد فى ميمة الضحى :
بصرت بذلك الغبار الشف يسير قُدماً متكاثفاً
متداففاً ، وأحست برعدة الخوف تسرى بفرعها
لما أن رآه يسير نحو الحى ، وقالت فى نفسها : « إنه
يهب دافعاً ، ولكن ليس بهذا الشكل المريب » .
وأدامت إليه النظر ، ولكنها لم تر إلا تراباً ؛
وازدحمت برأسها الأفكار ؛ غير أن فكرة سيطرت
عليها : أن تذهب إلى زوجة البعده فإن لديها منظاراً .
وسخرت منها البعده ؛ وظننت أنها مخلوق جبان
ولم تقدر المرأة للشاحبة على أن ترفه يديها
فقد غلبها رعدة وزاد شحوبها . وتناولته امرأة
البعده — وكانت ما تزال ضاحكة نشوى — ونظرت
خلاله فما لبثت أن علا وجهها قتره وغيض لونها :

ولمت تلك الحروف والأرقام « S.S. 64 » يلحسا
من حروف ! فقد أدكرت كيف تركته أمام
الوقد يوماً فأعجبته وهج الحروف والأرقام قبض
عليها فى رابة وسذاجة ، فعى متفوشة على يده منذ
الصغر ، وإنها تستطيع أن تعرفه من بين الملايين
بتلك الآية البينة !

ولكنه مات ، وبق الزوج !

ووثبت ذات السواد فقد دارت بخارها فكرة :
« لم لا تذهب إليهم تتوسم من بينهم . فربما ألفتهم
بين ظهرانيهم . لا غائق اليوم عنهما . فعى بمد أن
ترتوى من الأماكن النزة فى السهل لا يههما من
أمرها شئ .

إن الرجال فى حالم لاهون ، والنساء فى
ألكواهن عائلات . فلن يصربها أحد فيمتنها
عن المضى إلى حيث شادت وشاء لها الجوى !

وتأملت ذات السواد ثم قامت فأنجذرت على السفح
فولجت الأحراج فعى فى اللرج تسمى . وكان الجو
لا يزال لطيفاً طرياً ... ولا بد للصعراء من أخرى
حتى تصل إلى المكسيك . إذن فسوف يجتازها
بصبر وجلد . فجذت فى السير حتى أخذ المفار
يخضعها ويؤذيها . ولكنها سارت على الرمل قُدماً
لا تلوى على أحد . كانت تجدد فى السير حتى إذا
ما تبعت نظرت خلفها إلى كوخها القائم فى
أقصى المدى ، ثم إلى نافذة الكوخ المجاور حيث
تجلس المرأة الشاحبة

علا التراب حتى غرقت فيه فألمها وأستطعها ،
ولكنها مازالت تسير وتوسع الخطى . ولكن انحط
كعب حذاءها فوقها من متابعة السير وأعيائها .
فجلست تبكي وتنشج . وفكرت فى العود كى تليس

رؤوساً كأنها رؤوس الشياطين ... وذات السواد
ما تزال نائمة ، تحمل أن قد حان حين التار ، ونم
الأوان ... ! وأنها تحمل بين يديها رأس هندي
عتيد

وداعب الهواء نافذة الكوخ بشدة وجزع .
قنات ذات السواد وبين ضلوعها حسن غريب ،
وتحاملت إلى النافذة ، وأطلت منها ، فلم تر شيئاً في
السهول ولا في الهضاب . ولم يكن بالطريق شيء إلا
شال كبير قد سقط برضه . وانحنت صوب الفار
فبصرت بالفازعات الماربات يجرن صامتات واجبات ،
وأبصرت بشعورهن تسبح في الهواء من سرعة
المدو . فألقت السم ، فزال سمها وقع رتيب غريب
وحينذاك تبسمت : « لها سرى » ! إنهم المنود
جازوا يمشون بالمحصات والمتاخ . ألا ساء ما
يسلون

وجلست على طرف الوشادة مفكرة ... إن
هنا ما كانت ترجو وتطلب . أف يكون دورها هذا ؟
أم لا يزال دورم ؟
إنها تستطيع أن تقتل « راعراً »
ولكن أين سلاحها ؟ ... لقد استمار الرجال
بندقيتها ...

فأين الآن فأسها ؟ ... إنها في الطابق الأول
إن الأرض لتعود موراً ، والغيل يكسح بعضها
— في الحى — بعضاً كأنها قطع الليل ، وتصابح
المنود ينبجس في الطريق أمامها

هبطت الدرج سريّة ، وأخذت فأسها من
مكاتها بالحائط ، وكانوا قد بنوا كوخها ، فأسادت
الحجرة قليلاً . وقفلت عاقدة الزم على أن تقتل
منهم أحداً . ورأت بإياب « أحدم » يحجب عنها
الشمس بظلمه العريض . فصمتت على نواجذها

— إنى أرى على البعد رأساً ...
فصرخت المرأة الشاحبة :
— إنهم منا الآن على أميال . فلا يزال لدينا

وقت وفير

— له ؟

— لنهزب ...

— ربما كانوا أسدقاء وادعين ...

— كلا ، إنهم الزوج ... ! قاليبض ما يستطيعون
في تلك الغلاة حياة ... لنهرب في الغاب ... !
النجدة ... ! ساعدني ... ! حذرى النسوة واجهى
الأطفال ، هيا ... !

واندفعت لبيتها ، بينما كانت الأخرى واقفة
تصيح السم الريع ، وتخرص ما ترى ... حقاً
لقد أوجس قلبها خيفة ... وقد صدق القواد ما
رأى ، إن هذه إلا غزوة أخرى

وساد المكان هرج وتصايح مكتوم ... كل
ينادى طفله وذويه ، وكانت الفتيات ينتقلن من كوخ
لآخر خشماً وبكياً ؛ يحملن ما عرّعن تركه لبناة
الظالمين غناً . وتجمع النسوة والأطفال خلف كوخ
كبير يحجب عنهن العيون الظالمة المادية

وقادت أباما الفتاة الشاحبة . ثم هرعّت إلى
كوخ صاحبها ونادت في صوت خافت واضح :
« أى ماري ، ماري ! » ، ولكن أحداً لم يجب .
فقد كانت ذات السواد تنفط في نوم عميق ، وترددت
جارتها الشاحبة ... ولكنها أحجبت وأسرعت نحو
أخواتها اللاتي عدون خلال الشباب إلى الجبال
حيث أزواجهن بسيدم لاهون

غشى المكان سمّت القور ... التراب لا يزال
يزحف ثانياً حياراً ... النساء يلمن من بين الجبال

سيحة علت من باب كوخها . وبرز إليهم هندي
وسم يحمل ذراعاً رسفها يدى . فدعاهم بلفته للأخذ
بثأره . فأسرعوا مهطعين إلى الداهى فقدم على
مكان المرأة «التي» فأرسلت عينها الحمر، وودت
أن تقتله . وأدلت رأسها من النافذة مهددة
بقبضتها : «أحد الهنود على الأمل !» ورثمهم
بالفأس ولكنها أخطأهم . فاطلقوا عليها الرصاص
مراراً، ولم يصيبها ...

والآن قرب الرجال ، فلما أن وجدتم الجريح
مسرعين إليه نكص على عقبيه ؛ وأسرع فامتد
الجواد . وجمع ريد الحاق بأخوته ... وضجكت
المرأة إذ يمر بكوخها . ثم جلست على الأرض أمامها
قذر كبير من دم مسفوح

وعاد الرجال وما لبثوا أن تفرقوا لدى المضاب :
فنبع الهنود فريق في الأبطح وفريق للحريق ...
وعلا الصياح وبعث الضوضاء في الحى والقوضى .
وزاد الصياح لما أن طلت النسوة والنساء من مكانهم .
كل ذلك وهى جالسة وحدها حتى سمعت متافكا
باسمها . لقد اجتمع الجميع بكوخها ، وقالت المرأة
الشاحبة «أين مارى» فأسرعت تهبط الدرج إليهم ..
وأسرعت نحوها الشاحبة ، ولكنها صدف
عنها ، وأزاحتها من طريقها . ومسحت وجهها بكم
ردائها وقالت :

— هل أدركتموهم فقتلتموهم ؟ أما قتلتم منهم
أحدا ؟

فقال صاحبها «كلا يمارى ! لم تقتل أحدا»
وأجاب ذوالحية «لا ضرر رأسنا بهذه المرة» .. فقالت
امرأة المصدة «إلا كوخى فقد أكلته النار ، وسوف
نبقى كوخاً آخر» فصاحت ذات السواد :

— أما لا أعنيكم أنتم ، ولكى أعنى أولئك
الردة الهنود ، هل قتلتم منهم أحدا ؟ هل قتلتم أحدا ؟

وأخفت فأسها ثم طفقت تراقبه دون أن تطرق
وامتدت يدها نحوها كالغالب ، وبرقت عيناه
كأنها نورية الزناد . ثم تقدم صوبها فتملكها رعب
وفرع . فصرخت صرخة خائفة ثم تخطته فقفزت
إلى الدرج . وأسرعت الخطو . وبينما هى تصعد رست
غريمها بمقدم كان أمامها كي يموقه ذاك عن اللحاق
بها ، ثم اردقت سلكاً آخر إلى «صفة» بأعلى البناء
دخلها ، فأوصدتها ، فارتدت على بابها ، ثم طفقت
تنتظر ، وساد السكون إلا فى الخارج ، حيث تسمع
صياحات بعيدة . وجثت على الأرض تخبرها بسمها .
إنها تسمع تزايد النفس في صدر كبير ... وطفقت
حولها فإذا بها ترى عيناً مبصرة تحدق فيها من
شق بالأرض ، ولكنها ظلت واقفة قابضة على السلاح
ولت الباب ظهرها . ولكنها «أصمت» بأن
هناك شيئاً فاستدارت فأرأت يداً — ذراعها تحت
المسقف — تبحث عن قفل الباب لتفتحه
ودفعت المرأة فأسها فوق رأسها ... ولست
الآنامل قفل الباب وفتحته في هدوء ...
وحينئذ هوت الفأس — بكل ما ولده الثأر
من بأس وقوة — على راسه يد الهندي فقفزت إليها
اليد ... وسقط الرجل موجهاً

وساد السكون مرة أخرى ...

وبل دم الجريح وجهها فأدفاه ...

وسمعت فى الخارج تحطم كوخ يحترق ...
فقفص الرصاص من بعيد ... فصياحات تنال
البعد السحيق . وسارت إلى نافذة الصفة . فأرأت
منزل العمدة يحترق ... والهنود يتراجمون تاركين
جواداً واحداً يرعى . «إنها» تعرف صاحبه ! إنه
«أحدم» جاء فقام فكان من المدحفين . وبينما
الهنود يسرعون فى الفرار إذ بهم يقعون على أثر

وهدهو ... وأخذت الشاحبة زهرة من حمرة ثيابها ووضعتها في اليد السوداء على المنضدة . ثم خرجت في أعقاب الرجال والنسوة لم تقلع ذات السواد عن التحديق في الحائط ، ولكنها قالت : « دعوا اليد مكناها » فأجابها المجوز : « إنها على المنضدة » ثم خرج وأوصد الباب بلطف وخفة ...

واستدارت الشكلى — وقد انطلقا الآن بريق عينها — فأمسكت باليد ، وحلت حمري الثوب ، فوضعتها على موضع الفؤاد من الضلوع ، ثم أرسلت بصرها يمر السهل في أثر الركب يستقر عليه وهو يشارف الكسيك

السير محمد العزلاوى

كتابان قيمان

سبظهرانه فى أوامر أغسطس

هكذا تكلم زرادشت

❦ لفيلوف الألمانى فردريك نيتشه ❦

اعترافات قتي العصر

❦ للشاعر الحالى الفريد دى موسيه ❦

وكلامها ترجمة الأستاذ

فليكس فارسى

من أرسل ٢٠ قرشاً قبل صدور الكتابين عد مشتركا فيرسل له الكتابان إلى حيث يتم داخل القطر أو خارجه «دون علاوة لأجرة البريد» ، ومن أرسل ٢٥ قرشاً يرسل له أيضاً كتاب «رسالة اللير إلى العرق الغربي» تأليف المترجم — النوان : إدارة مطبعة البعير بالإسكندرية

يا جيم ؟ وأنت يا ذا الحية ! أما قتلت أحداً ؟
فأجاب الرجال : « كلا ! » وقال آخر : « لقد كانت جياديم أسرع من جياذنا فلم تلحق بهم » .
فقال المرأة في زهد وكبرياء : « لقد ظفرت بواحد لم أقتله ، ولكنى فلتت به أشد مما يقبل القتل ... مهلا ! » ثم اندفعت إلى الدرج ، فتراجعت النسوة مذعورات والرجال يرمق بعضهم بعضاً
وأخيراً عادت ذات السواد ، وفي يدها شيء رمته على المنضدة . « إنها كف أحد المنود ... سوف تفسد ذراعاه ، فيدعونه يموت على الرمال . أراهم كيف عذابى وعقابى ؟ » وفزع النسوة واقترب الرجال ، ولكنهم لم يمسوا الكف البتراء فضاحت بهم ذات السواد :

— أفكنتم تتخذون كلامى هزواً ؟ أفرأيت كيف يجبنون ويخشون نسبا ؟ !

وأمسكت باليد — بسمكة بسمكة نصر وازدراء — وفتحت أصابعها ، فوقت اليد على المنضدة ، وسقطت على الأرض ، وانقصف وجه المرأة وبنت عليها علامم التفكير ... ثم صرخت المرأة صرخة قوية واستدارت نحو الحائط ، بائسة شقية ... وحاولت المرأة الشاحبة أن تصل إليها ، ولكن زوجها أمسك بها واقترب من المنضدة قليلا ، ثم أمسك بالكف في جنر كثير ... وتردد برهة . ولكنه فعل مثل ما فعلت ذات السواد بخفة ومهارة . فتح أصابع الكف ، وهناك على الراحة قرأ تاريخها ، في حروف بيضاء كبيرة « S. S. 64 » . ثم تذكر الشيخ كيف أنه ماري يوماً تحمل طفلها ! مضمة يده التي كواها حديد الصطلي الحار ، من عشرين عاماً خلون . كانت اليد إذ ذاك صغيرة ، ولكنها الآن كبرت وتكثفت . وتهاشم الجمع : « إنها كف ابنها » ... ودلفوا إلى الباب في سكون

من الموسيقى الخافتة :

« أين أسوان أين ؟ .. أين خلوة
الصحراء تحتوبنا ممّا ؟ أين جدران
المابد تستر علينا ؟ أين زورق النيل
يجرى بنا على سطح الماء ؟ أين أنا وأنت
لا تفترق وتفشهد ممّا وجوه اليوم من
الفجر والمصباح الفاضحى والأصيل ثم المساء ؟ ... »

فتهد الشاب تهدة هادئة لا تكنتهدتها الحارة
وقال :

« سنمود إلى أسوان في الشتاء القادم . أما من
التد قالى عش غرامتنا المود في شارع سليمان باشا »
« هيات أن توضعنا هذه الساعات التى ننهبها
انتهاباً من ذلك التهر السعيد الذى كنا فيه جسيما
واحداً وروحاً واحدة »

وحاول أن يبعجها بمثل حماسها ، ولكن خذلته
نفسه الهادئة الملوثة فقتع بقوله « صدقت يا عزيزتى »
ثم قام إلى النافذة الأخرى ففتحها ، وكان القطار
قد بلغ المحطة وأخذ يرسل سفيره اللدوى في جوفها
المنظّم ، فأرسلها بنظرهم إلى إفريز الاستقبال ،
وكان مرادحاً بالجمهور . وسمت الأستاذ يقول :

« هاهم أولاد ... زوجك وحياة ومدحت »
فقلقت حينها بين الرؤوس الشريفة حتى
اطمأنتا إلى رأس حياة الدهمي ، فرق نلبها حناناً
وتحولت عن النافذة وانطلقت تمدو خارجة والأستاذ
في أثرها ، وعلى الأفريز هرع إليها مدحت وحياة
وهما يصيحان : « ماما ، فتمانقوا عناقاً حاراً ، ولما
تخلصت منهما رأت زوجها الشيخ وهو في عبادة
الفاخرة ، وطربوشه مائل إلى الخلف يبدى عن

نَجْمُ الْأُمَمِ
أَقْصُوصَةٌ مِصْرِيَّةٌ
لِلْأَدِيبِ نَجِّبٍ مَحْفُوظٍ

عندما أخذ قطار الصعيد يهذى من سرعته
كان نور الفجر الأزرق الحالم قد اكتسى بحلة
فضية من ضوء المصباح الثير ، وقد فحخت السيدة
روحية هاهم عينيها مع بزوغ أول شعاع من أشمة
الشمس ، ولبثت لحظة مستسلمة لتراخي النوم ، ثم
اعتدلت في جلسنها وأدارت عينيها الزرقاوين الفانتين
في أنحاء الصالون حتى استقرتا على وجه الأستاذ
عاصم الذى كان ينط في نوم عميق . فلاحت فيهما
نظرة حب وحنان ، وكان من الضروري إيقاظه
لدنو القطار من محطة مصر إلا أنها لم توقظه قبل أن
تقوم إلى الرأة الصغيرة الموضوعة بين صورة
الكرنك وأجامنون قسوى شعر رأسها وتمنح
خديها وجيدها بالبودرة المطرة ... وتنبه التأم
على لس أناملها ذات الأطافر الأهرامية الحمراء ...
وكان أول مامس إحسانه من عالم اليقظة وأهنة
أنفاسها الزكية وهى تطبع على شفتيه قبلة شهية ...
وفتحت النافذة وأطلت منها برأسها الدهمي كأنها
شمس تشرق من الأرض ، فرأت بناء المحطة يدنو
من بعيد فالتفتت إلى الأستاذ وقالت وهى تنهد :

« وآسفاه ... انتهت سقرتنا »
فقال لها وهو يتملى :

« هذه نهاية كل رحلة .. أما الحب فلانهاية »
فقال بصوت جمل الشوق والوجد كالحن

فقال الرجل :

— لا يجوز أن تم خطوبة فتاة في غياب أمها ...

ولكنها ستم قريباً بإذن الله

ونظر الأستاذ إلى الفتاة وقال مبتسماً : «مبارك»
أما الأم فسألت :

— من هو ؟ وأجابه الرجل :

— طلعت ، ابن شريك

وسأل الهامي :

— هل هو موظف ؟ فقال الرجل بزهو :

— نعم ... وكيل نيابة

وأطبقت روحية هانم شفتيها فلم تفتح بكلمة
أخرى ، واستسلمت لأنكار غامضة فتابت من
الحاضرين ، وانتهت السيارة إلى الفيلا ودخلوا
جميعاً ومعهم الأستاذ طامس
ولكنه استأذن بعد قليل وانصرف إلى بيته

القريب

كان السيد محمد بك طلبة من كبار تجار الشاي
المروفيين بمصر وقد ربح من تجارة ثروة عظيمة
تقدر بمئات الألوف من الجنيهات ، وكان في أخلاقه
صورة من رجال طائفته الناجحين في حسن التدبير
وعلو الهمة والحرص ، وبالرغم مما تحفل به حياته
من التجارب والمخاطر ، وبالرغم مما سادفه فيها
من ويلات المحن وفرض النجاح ، قام ما يزال يبد
زواجه أخطر حادث في حياته ، وهذا هو اعتقاده
الدفين وإن لم يصرح به ؛ وقد وقع هذا الحادث
الخطير منذ عشرين عاماً — وهو في الخامسة
والأربعين — إذ كانت يقوم بإحدى رحلاته
التجارية بسوريا ، وقد التقى هناك بأسرة زوجته
(٥)

شعره الخفيف الأبيض تجملت عيناها وتقدمت
إليه ومدت يدها فسلم عليها واجماً ووضع يده أيضاً
في يد الأستاذ طامس ... وساروا جميعاً إلى الخارج ،
الزوج في المقدمة وخلفه الزوجة بين مدحت وحياء
ومن وراء الجميع الأستاذ ... واستقلوا السيارة التي
انطلقت بهم في طريق الزمالة ...

وجلس الزوج وزوجه وحياء في ناحية وجلس
في الناحية المقابلة الأستاذ ومدحت ، واستطلع
طامس أن يرى حياة عن كذب لأول مرة إذ أنها
لم تكن تقابله في زيارته المتكررة لوالدها ، فمجب
للشبه العظيم الذي بين الأم وابنتها فلم يكن يفارق
بينهما إلا ما يفارق بين نضارة الشباب الأولى
ونضوج الأنوثة الكاملة ، فكانت الفتاة كالباسمينه
البقيقة في الزمن ، وأما الأم فكانت الناضرة في
الزهرة ...

وظلوا سامتين جميعاً حتى قال الزوج :

— كيف كانت الرحلة ؟ لعل صحتك تحسنت

يا هانم ؟

فاحت المرأة رأسها وتمتمت « الحمد لله » وقال
الأستاذ :

— قل أن تنيب الشمس في أسوان وهي أنجب

هواء لهانم ...

فانقسم الرجل عن أسنان ذهبية سناعية وقال
— يسرفي أن أسمع هنا ، وصي أن تسراً
بدوركم لأبنائنا ، فنهنا حياة بخطوبتها القرية
واجر وجه الفتاة وخفضت عينها حياء ،
والتمت عينا الأم وبدأ عليها الاهتمام ورددت نظرها
بين حياة وزوجها وسألت بلهفة ودهشة :

— هل تمت هذه الخطوبة ؟

في تمليلها إن الأطباء نصحوا للامم بالتجاع الصحة في مصر العليا، وأن الزوج — الذي تنتمه أعماله في مثل هذا الوقت من السفر — عهد بالزوجة إلى صديقه المخلص الهامي الذي يسافر عادة في يناير كل عام إلى أسوان... هناك قطع الشك باليقين وانفتحت الآراء...

وكانت روحية هانم لا تنهم بشيء اهتمامها بشبابها، فكانت لا تفنى عن العناية به والتفكير فيه حتى غدا ذلك وسواساً ومرصاً ينفصان حياتها بالخوف والأوهام، وكانت كلما تقدم بها العمر يوماً تزايدت وسواسها واشتدت مخاوفها، ذلك أنها كانت تحس في أعماقها يلوغ قرة الشباب التي لا يعقبها إلا الانحدار، وكانت تعلم أن شبابها هو سعادتها لأنها بدونها لا تستطيع أن تجذب إليها الرجل الذي تحبه والذي تعلم — مع الألم الشديد — أنها تكبره بما لا يقل عن عشرة أعوام...

ولطالما تذكر ما قالت مرة امرأة — تملن لها الود وتكتم العداوة — في مجلس لأخرى وهي تعنيها بالفت من أن النساء اللاتي يحافظن على شبابهن بعد فوات عهدهن يهرمن مرة واحدة بلا تدرج... واه!... كم سخرت من رأى هذه المرأة وكما أرجسته إلى الحسد التي تمهلها، ولكن لاسخريتها ولا تظاهرها بالاستهانة أفاذا شيئاً في مثالبه الدمر الذي استولى عليها والرجفة التي استحوذت على أعصابها... فقدت كالجنونة يخفق قلبها جزعاً وإشفاقاً كلما طرقت أذنيها دقات الساعة وجعلها ذلك في حيرة بين حبها لمدحت وحياة وبين الخوف منها، فها بلا شك قدة الأمومة التي تحقق في صدرها ولكنهما آيتان على كذب شبابها،

وتعرف إلى والدها، وكان الأب سورياً والأم أمريكية. ورأى ابنتها الثابة الفاتنة ساعة فوق في حبها وجن بها جنوناً وتحركت في أعماق غريزته التجارية غريزة الامتلاك فغلبها إلى والدها ولم يستدر ذلك الشهر حتى تم زواجه منها، وعاد إلى مصر « بأعظم ربح وأجل امرأة في الوجود » كما قال لنفسه حينذاك...

وبدأت الحياة الزوجية بتجاع لا بأس به، وأثمرت على مر الأيام طفلين جيلين مدمت وحياة. فبشر مقدمهما الأسرة بداوم السعادة والمثرة... وفارت السنون دورة سريعة فوجد البك أنه أخذ يجتاز الحلقة السابعة، ويقنع من الدنيا بمشاهدة مدمت وحياة، ويكتفى من الحب بتذكر أحلامه المتطورة... وأما المرأة فالتفت نفسها في مكتمل الأنوثة ونسوج للشباب فلم تجمل نفسها القناعة من الدنيا بالأنباء والأحلام، إذ كان شبابها عنيداً جباراً دائب الثورة على الزمن... فتصدع اختلاف الزوجين، وعجزت شيخوخة الرجل عن كبح هذه الحبيوة الثائرة فانكششت أمام سيلها المارم وخلت لها المتخدر وأزوت مطبوعة بالباس مذعنة بالتسليم وافتنق: أن كان الأستاذ حاسم الهامي — صديق الزوج وجاره — السبب المباشر في انفجار هذه الثورة الحبيوة النيفة وقد عميرت (سألوات) الزملاك في تحميد علاقته بروحية هانم، فن قائلة إن هذا الهامي الجميل ليس إلا صديقاً الأسرة، ومن هامة بأنه عشيق الزوجة ومتغفل الزوج، ومن مؤكدة أنه عشيق الزوجة على علم وتسليم أو — على الأقل — تناقض من الزوج. وظل كل فريق على رأيه حتى ذاع خبر تلك الرحلة الشتوية إلى أسوان التي قيل

أما راحتها من وعثاء السفر وأن تذهب إليها لتطبع على خدها الوردي قبله البهجة فتعلن بها زناها وموافقها فتم الخطوة وتكمل السعادة

ولكنها إذا فلتت فستندو الابنة زوجة وتسمى أما قسمع عن قريب من يناديها بقوله : « جدتي » جدتي ! » لقد نطقت بهذه الكلمة الشئمة فدوت في أذنها دوى التصويت والنواح فأرج لها جسمها البض وخفق لهُولها قلبها العاشق ... وأحست ببرودة الخوف تسرى في أعصابها سرعان الجفاف في اللصن الرطيب ... وخيل إليها الوم أنها تجلس إلى مقعد وثير وإلى جانبها ابنتها وعلى حجرها غلام وكأُنها تسمعه بأذنها يهتف بها : « يا جدتي » ورأت نفسها وقد ذوى جمالها وتضن جبينها وغارت عينها ورق خدها وايض شعرها ... فالتفتت واقفة وكتمت صرخة رعب كادت تفلت من شفتيها ، وهزت رأسها بنصف لتطرد عن خيالها الأطفاف المرجبة ، حتى إذا عاودها اطمئنانها صاحت « أبدأ... أبدأ ... لن يكون هذا » ولبتت ملازمة لحجرتها غير عابئة بما عسى أن يمدحه غيابها في نفس ابنتها المريزة ، حتى تقل الأمر على اللبك فاستأذن عليها ودخل ، وجلس قبالها وجعل يرمقها بينيه الحادتين وهو يرجو أن تقامحه بالحديث ، ولما لم يدع له إصرارها أملا قال :

— أرجو أن تكون أسوان قد شفت أعصابك وأعصابها قوله ، وظنت أنه يتهم عليها فنظرت إليه نظرة حمر ، ولما شاهدت عينيه الحادتين وقر في نفسها أنه هو الذي سى إلى هذه الخطوبة ، وأنه سى إليها تأديكا لها وانتقاما منها فهو أعرف الناس بها وأعرفهم — على وجه الخصوص — بما يسرها

أما حياة فقد بلغت السادسة عشرة من عمرها وهي تخطو إلى النضوج بخطى سرية تدل عليها معاني المينين ونهوض الثديين ، وأما مدحت فتعذبه لها أشد إذ أن هذا الشاب — الذي لم يجاوز الثامنة عشرة ينمو نمواً خطيراً فهو فارح الطول جاهر الفتوة عريض النكبين ، والأدهى من هذا كله غرامه بشاربه ومطامعة الشارب له ، فالشاب يحب الرجولة ويستزيد منها حب أمه للشباب واستزادتها منه ... وقد كانت حريصة على استصحابه كلما خرجت حتى قالت لها ماهرة امرأة من صاحباتها : « ما أخرى الذي يراكا بأن يقول ما أسعدكما من زوجين ! » ولم تدرك ما إذا كانت المرأة تنثى على شبابها أو تنمره وعلى كل حال لم تستصحب فتاها بعد ذلك أبداً ... على أنه لاح في أعقابها الآن ما يستخف بجميع همومها السابقة ، إذ ما مدحت وما شاربه إلى زواج حياة المنتظر !

لقد بنفها الخبر ، وكانت البهجة من الشدة بحيث لم تدع لها فرصة للتدبر ولا للتفكير ولا حتى للتظاهر بالفرح أمام ابنتها إذاها بالسيارة ... فلما ذهبوا إلى الفيللا خلت إلى نفسها بحجرتها معتدرة بتسب السفر ، وفي عزلتها عادت التفكير في هدوء وإيمان فتوالت عليها الفروض والتصورات ، فهي لا تشك في أنه لولا الحياء لفتت حياة فرحاً وسروراً ، وأى فتاة لا تقترح للزواج ؟ وخاصة إذا كان الشاب في عنفوان شبابه وجيهاً في بحبوحة من الننى والجاء سيداً في وظيفة تنبه على جميع الوظائف فلعلها بانت تنرد في قلبها أطياف الحب وتخلق في جوها الطاهر أحلامه العذبة ، فهي جسد مديدة بمحاضرها جد أمة في مستقبلها ، ولا شك أنها تنتظر الآن أن تستبد

ولا أفكر في التنازل عنها ، وإني لأشفق من أن
تضيق على ابنتي مثل هذه الفرسه العبيية ، ولنا فإني
أعلنك — وإني أعي ما أقول — بأنني سأعقد
هذه الخطوبة ...

قامت غاضبة وأشارت إليه يديمر نجفة وصاحت:

— وأنا أؤكد لك بأنها لن تم ...

فهر الرجل كفتيه استهانة وفادر المكان وهو

يقول « سئى »

وسبرت الهانم حتى طاودها شيء من هدوئها
ثم دعت إليها ابنتها ، وحدتها حديثاً طويلاً عن
حبها لها وحديثها عليها وتوحيها ما ينفعها وإشفاقها
بما يضرها ، ثم خلصت إلى مادعها — في الحقيقة —
من أجله فأعلنتها بأنها لا توافق على زواجها وأنها
ترغب في تأجيله بضع سنين خوفاً على صحتها، ورجتها
رجاء حاراً أن ترض يد ذلك الشاب وألا تدمن
لإرادة والدها ...

وسمعت الفتاة صمتاً بليفاً ، ولذت به من
الرفض أو القبول ، وعينها حاولت المرأة أن تخرجها
عن صمتها ولكنها فهمت منه ، وبما طالمت في
وجهها من الحزن والاستياء ما أشقى بها على اليأس
والقنوط ...

ولبت الفتاة في حضرتها ما لبثت ثم غادرت
الغرفة ولم تنفرج شفتها عن غير التحيتين ... نجمة
القائه التي نطقت بها في مسرة وفرح ، ونجمة الوداع
التي قالتها في صوت خافت بارد ... وجن جنون
الأم وازدادت تشبهاً وعناداً ، ووقفت من الزواج
موقف القاطعة والتحدى . فلما جاء الشاب الخطيب
لزيارتها أبت أن تقابله كارضفت مقابلة أهله من بعد
واضطر البك إلى امتحان الاعذار الكاذبة لها ،

وبما يسوؤها ، واشتد بها — عند ذلك — الغضب
فمضت على شفتها السفلى وأملت الرد عليه ، فقال
كالهش:

— مالك ؟ لست كمادتك ... والأعجب من

هذا أنك لم تفرحى لما بشرتك به !

فاحتجها النيط وقالت عمنقة غاضبة :

— لن تم هذه الخطوبة ...

فبدا على وجه البك الارتجاج وقال :

— ماذا تقولين يا هانم ؟

وأجابته بصوت صارم :

— أقول إنه لن تم هذه الخطوبة ...

— كيف ؟ ... وله ؟ ...

— إن (حياة) ما زالت سنيرة السن

— ولكنها بانت سن الزواج القانونية

— ماذا يفيد القانون إذا كان الزواج البكر

يؤذى صحتها ؟

— لقد تزوجت يا هانم في مثل سنها ومع هذا

فإن كل من يراك يشهد لك بالصحة والنضارة ...

فضربت الأرض بقدميها وقالت عمنقة منيطة

— أنا دائماً أشكو من أعصابي ...

فضيق عينيه ورفع حاجبيه وقال بتهكم :

— ربما كان ذلك لمة غير الزواج ...

فقلها الغضب واشتد بها الانفصال وقالت

بصوت منهج :

— باختصار لن تم هذه الخطوبة ...

ولكن الزوج سر على أسنانه المعنانية وقال :

— لقد أطلقت لك الحبل على غاريه وملكتك

حريتك الكاملة وقتك لك منذ «أنت

وشأنك» ... ولكني لم أتنازل عن حقوق كوالد

« حقيقة أنك لم تسبق لك بها معرفة وثيقة كما تقول ولكنها تعلم أنك صديق وأنها ، وقد سمعت في بعض المجالس ثناء كبيراً على نبوغك في المحاماة فهي لاشك تقدر رأيك حق قدره وتزله من نفسها منزلة سامية ... »

فتورد وجه الشاب وذكر وجه الفتاة الجميل الذي سعد برؤيته ساعة في السيارة صباح المودة من أسوان، فلم يستطع أن يرفض ولكنها قالت متسائلة: « فكيف لي بمقابلتها على انفراد لأحادثها في هذا الشأن الخطير؟ وإذا قابلتها فكيف أقامها به؟ » فتبهدت المرأة ارتياحاً وقالت :

لقد دبرت كل شيء ، سأستصحبها يوم الأحد القادم لشراء بعض الحاجات ، وعليك أن تقابلنا - مصادفة طبعاً - في شارع سليمان بإشأ الساعة الخامسة مساء ، و اقترح علينا التزء قليلاً على جسر قصر النيل فأتركها معك واعدة بأن ألحق بكأ بعد دقائق ، وتنتظراني ساعة على الأكثر فان لم أعد تأت بها إلى شيكوريل حيث تجداني ، وفي أثناء ذلك تستطيع أن تطرق الموضوع بلباقة المحامي وتفضي إليها برأيك في الزواج المبكر ... ما رأيك الآن ؟ »

وقبل الشاب بسرور خفي، فتركته المرأة وهبت إلى القفيلأ على مجل ، وأغلقت على نفسها حبرتها وأحضرت ورقة وقلأ وكتبت ما يلي بيد مضطربة وبخط جهدت أن تخرج به عن مألوف خطها :

سيدى الأستاذ ...

أنت شارع في الزواج من كريمة محمد بك طلبة ولكن يبنى قبل ذلك أن تذهب بنفسك كل

وبذل الرجل ما في وسعه لاقتاعها بالتحول عن عنادها وتوسل إليها باسم ابنتها ، ولكنها ركبت رأسها وأبت أنه تعني إليه حتى انفجر مرجل الرجل وأقدم على الاقضاء بالحقيقة إلى شريكه - والده الخطيئة - وشكا إليه قسوة امرأته التي تضحي بسعادة ابنتها في سبيل شبابها الكاذب ... وطلب إليه أن يماونه على إتمام الزواج - رغم إرادة الأم - إنقاذاً للفتاة من أأانية أمها التوحشة ...

وزادت هذه الكلمة التي قيلت سرأ في جميع الأوساط الراقية ، وتحدثت بها (الصالونات) حتى بلغت أذنى الأستاذ عاصم المحامي الذي بلغها بدوره إلى روحية هائم نفسها ولكن لم يكن هذا - ولا ما أصبح يديه مدحت وحياة من الاستياء والتفرد إلا ليزيدها عناداً وإصراراً ... ووجبت المرأة أن كل ما قيل وذاع لم يبن فتيلأ - في عرقلة الساعين إلى إتمام الزواج ، وكانت ترى في نجاح مسامم القضاء الأخير على سعادتها وشبابها وغرامها، فانبرت للدفاع عن نفسها دفاع اليأس للسميت واحتدت - في قنوطها - إلى فكرة جهنمية شريرة لا تخطر على قلب أم أبداً ، وسارعت إلى تنفيذها بقلب أحماء الخوف والجنون عن البصر بالمواقب ، فقصدت يوماً إلى عشيقها وطلبت إليه أن يقنع ابنتها بالمدول عن الزواج ، وقد دهش الرجل وحق له أن يدهش وقال لها ...

« وما أنا ولهذا ؟ ... » ثم إنه لم تسبق لي معرفة وثيقة بالأنسة حياة فلا أدري والمالة هذه كيف يجوز لي أن أحادثها فيما هو من سميم شئوننا الخاصة ؟ ... »

ولكن المرأة استهانت باعتراضاته وكذبت عليه فقالت :

ولما خلت إلى نفسها ذلك الماء تهنئت وقالت
« إن (حياة) لا تحاول إخفاء نفورها مني »

نفورها ! وما النفور إلى جانب ما صنعت هي ؟
أي فلة شماء أي إثم متكرر ! إنها تعرف نفسها
أكثر مما يعرف الناس ، وهي تعلم أنها سيئة
التصرف ، كثيرة الأخطاء متسرة هوجاء ، ولكن
لم يسبق لها أن أخطأت خطأ متكرراً كهذا الخطأ.
ولماذا تسميه خطأ ؟ ولماذا لا تسميه باسمه الحقيقي
فتقول إثم وجريمة ؟ فهو جريمة شماء لأنه ليس
أقل من محاولة تلويث شرف ابنتها والقضاء على
مستقبلها في سبيل شهواتها هي . يا للفظاعة !
لو أمكن فقط أن يبقى هذا سراً مكتوماً ، ولكنه
لن يبقى كذلك لأنها في الحقيقة وإن كانت فكرت
تفكير شيطان إلا أنها دبرت تدمير أطفال ، فالرسالة
التي كتبت قد تكفل لها فسخ الخطوبة ، ولكن من
يضمن لها ألا يتصل خبرها زوجها ؟ ومن يضمن
لها ألا يسأل الرجل ابنته عما جاء فيها ؟ وإذا
صارحت الفتاة أبها بأنها هي — أي أمها — التي
تركها مع الحامي ذلك اليوم فما عسى أن يحدث
الرجل ؟

أواه ! قد لا تكترث لتغيب زوجها ولكنها
على وشك أن تفقد غيبة ابنتها إلى الأبد ، بل ابنتها
وابنتها مما لآه لا مدحت ولا أي ابن في الوجود
يستطيع أن يبر بمثل هذه الأمومة اللوحشة ،
وأحست عندئذ بقشعريرة تسرى في جسدها
واستولي عليها دهر لم تشعر بمثله من قبل وباتت
فريسة الآلام والخاوف ...

ولأول مرة منذ أن سمعت نبأ خطوبة حياة
اتجه تفكيرها نحو الخير فودت لو تستطيع أن تكفر

يوم إلى جسر قصر النيل الساعة الخامسة مساء
وخصوصاً أيام الأحاد »

ثم كتبت على الغلاف عنوان الخطاب ووضعت
الخطاب فيه ، وترددت لحظة رهيبية ثم نادت
خادماً وأمرته بوضع الخطاب في صندوق البريد ...
وجاء يوم الأحد وخرجت الأم وابنتها وحدثت
الغابلة مع الأستاذ ، وتم لها ما أرادت من تركها
معه ، وذهبت بمفردها إلى شيكوريل وابتاعت
حاجاتها ولبثت تنتظر حتى حضر الأستاذ وحياة
وقد اعتذرت إليهما قائلة :

« أوه ... لقد تأخرت عليكما لأن المحل مزدهج
كما تريان . لا بأس ، أظن أنه ينبغي أن نذهب الآن .
نستودعك الله يا أستاذ ... »

وفي الطريق لازمت المرأة الصمت وقد انتظرت
طويلاً أن تفاعها الفتاة بالكلام . ولكنها ظلت
واجمة كأنها تجهل اللغة التي تتكلمها أمها ، واختلست
المرأة منها نظرة فرأته جامدة باردة لا تميز وجودها
أدنى اهتمام فاقبض صدرها . وتذكرت — أسفة
حزينة — كيف كانت في حضرتها لا تل الحديث
والضحك والمداخلة ، وضاق صدرها بصمت الفتاة
فقاتل تحملها على الكلام :

— كيف كان التره ... ؟ وماذا قال لك الأستاذ ؟
فأجابها بإيجاز قائلة :
— تحدثنا أحاديث عامة فافهمه لا تستحق الامانة
— وما رأيك فيه ؟
— هو جنتلمان

وكانت ترجو أن تعرف من إجابة الفتاة الأثر
الذي تركه حديث الأستاذ في نفسها ولكنها لم تستطع
أن تترك شيئاً ...

فاحتاجها المنضب لهكمه وقالت وهي تنظر إلى وجهه نظرة غيظ وكراهية

— إلى أعجب من تصرفك هذا ، أيجوز أن تأذن لها باسطحاب الأستاذ وأنت تسي إلى زوجها من رجل آخر ؟

فهز الرجل كتفيه وقال

— فسخ الرجل الآخر خطوبته

تففق قلبها واصفر وجهها وتساءلت : ترى هل علم شيئاً عن الرسالة ؟ واستطرد الرجل قائلاً

— عليك تقع تيمة ذلك يا هائم فرفضك

— وما ذاع عنه — زهد الشاب في الفتاة

ترى هل اكتفى الشاب بالانسحاب دون أن يطلع زوجها على الخطأ ؟ ليت ذلك يكون !!

وعاد زوجها يقول بقسوة لم يستطع إخفاءها — وقد أخبرتني حياة بأنك تركتها مع الأستاذ

عاصم ساعة في قصر النيل فظننت أنك تفضليته على الشاب الآخر فلما استأذنتني في الذهاب معه أذنت لها وقلت لنفسي لا على من هذا ، فعاصم شاب جميل ونايف في فنه ...

عند ذاك لم تستطع سبراً فقلت مدبرة تبيع في مشيتها كالصبا في مقتل ...

وتذكرت الليل القائل « على الباقي تدور الفوائر » فقد فلتت ما فلتت وارتكبت ما ارتكبت وفقدت ما فقدت لتعافظ على حب الرجل وهما هي ذى توشك أن تفقد — بمسامها هي دون غيرها —

الرجل وجهه

ياله من ألم ساخر ! ليها أبتت على الخطيب الأول أو ليها تستطيع أن تستردد بأى من

ولم تنم من ليها ساعة واحدة . وعند الصبح

عن خطيئتها ييذل التضحية التالية وظلت تفكر صديقة غلصة حتى قطعت عليها تفكيرها الحوادث.

فصعد أصيل يوم من الأيام رأت المرأة ابنتها ترتدى معطفها وتتأهب للخروج فسألها برفقة : « إلى أين ؟ » وأجابت الفتاة قائلة : « إلى السينما » فسألها بتعجب « بمفردك ؟ » فأجابتها ببرود قائلة : « مع الأستاذ عاصم »

وأصاب الجواب منها مقتلاً فاستولى عليها ذهول شديد وقالت دهشة :

« ولكنك لم تستأذنى أحداً ؟ »

فقالت الفتاة بشيء من الجفاء :

« استأذنت باباً وأذن لي »

« وهل طلب الأستاذ البك أن تنهني معه

إلى السينما ؟ »

« نعم »

« متى ... وأين ؟ »

« على جسر قصر النيل ذلك اليوم ... »

وغشيت عينها سحابة ظلماء فجمدت في مكانها لا ترى شيئاً . ولما أفاقت كانت حياة قد غادرت البيت ...

وتيقظت غررتها مرة أخرى ، فظننت على عواطف الخير التي تحركت في قلبها منذ حين قليل وخطفتها كما يخفق الماء الأجاج الورد البانح فذهبت توارى إلى زوجها وقالت له غاضبة :

— لم أذنت لحياة بالذهاب مع الأستاذ ؟

فقال الرجل بلهجة تهكية :

— ولم لا ؟ أليس هو الصديق الصدوق لأما

وأبها ؟

عليها زوجها بهز خطايا في يده ثم يرميه في حجرها وهو يقول بلهجة الناصب :

« اترأى وانظرى ... أى جرأة ... »

فتناولت الكتاب بقلب مذخور متطير وقلقت عينها بين الأسطر الآتية :

سيدي البعل

بصاك هذا الكتاب ونحن نستغل القطار الناصب إلى بور سعيد حيث نبحر إلى أوروبا أنا وعروسى - كريتكم - لقضاء شهر المسلى وإلى أفر آسفاً بأنه لم تجر العادة بأن تقدم الزيجات على هذا المثال القريب ، ولكن الظروف الدقيقة التى لا تجهلونها لم تمنع لى فرصة للاختيار ، وإلى كبير الأمل فى أن تقدروا سلوكي تقديراً عادلاً ، ولست أقل أملاً فى نيل عفوك القريب .

ودعمت للخلص

عاصم عادل

زادت عينها وحجبت غاشية الغضب الكلمات من بصرها فظلت منكسة الرأس لا ترى شيئاً ولا تى شيئاً والفتنوط يسرب إلى قلبها كالناز السام ، ولم تحاول قط أن تقاوم نفسها الهاربة أمام زوجها كأنها نسيّت وجوده نسياناً تاماً ، وكان الشيخ يحسبها بنظرة قاسية متشفية ، فلما وجدها تهتم وتضمحل ولاها ظهره وذعب

ولبثت فى غيبوبة الحزن حيناً طويلاً ثم رفعت رأسها الثقيل فوقع بصرها على صورتها فى المرآة فارتفعت وجعلت لأنه خيل إليها أنها ترى جمالها ينوى وينضب وتتشاء سبها الحرم ...

نبيب محفوظ

حدثت الهامى بالتليفون وقالت كما تموت أن تقول دائماً « مساء اليوم فى عشنا ... هه » فأجابها بشير مانعوت أن يجيبها به قال « آسف جداً يا عزيزتى .. أنا مشغول جداً هذه الأيام »

وقد ضدها اعتذاره صلدة شديدة وخيب آملها ولم يفتها منزى قوله « هذه الأيام » ولكنها لم ترض بالمرجة فقلت بسخرية صريرة « ومع هذا فأصمالك الكثيرة لا تمنك من الذهاب إلى السينما ؟ ماذا يستطيع أن يقول ؟ قال إنه بالأمس فقط كان لديه متسع من الوقت أما الآن فلا ... !

ورأت أنه لا يكلف نفسه حتى الاعتذار القبول ولم يكلف نفسه ؟ إنما يهتم بانتحال الأعذار من يهه شخص المتذر إليه ... وقد غدت عنده شيئاً رخيصاً أو لا شيء مطلقاً . أواه ! أمكننا تغلب القلوب ؟ أمكننا ينسى الانسان ؟ أمن الممكن أن يضحي حب كنهما ذكرى وحلماً فى لحظة سريسة ؟ ألا من تدوج ؟ ألا من رجة ؟

ولم تنقطع منذ ذلك اليوم المقابلات بين حياة والأستاذ عاصم وشاهدتها معاً منزهات القاهرة وخلواتها وملاهيها حتى توقفت الأم يوماً بعد يوم أن يتقدم الشاب لطلب يد الفتاة ، ولكنه كان أحزم من أن يرتكب مثل هذه المغفوة لأنه كان خبيراً بأخلاق روحية هائم عليها بطابعها وعنادها وخرابها به فرسم فى عقله خطة محكمة وعزم على تنفيذها بإرادة لا يثنى عنها شيء . وليثت روحية هائم فى حيرة من أمرها تمانى أشد الآلام النفسية والقلبية ، وتأمى بكرامية ابنتها لها وتحسبها لمواظفها ، وتتمزق إرادتها نهب الأمومة المحتضرة والأهواء النشيفة ، حتى كان مساء لا ينسى إذ دخل

ما ينقص عيشها إلا أن زوجها يمد
عنها ما تراه ولا يراها ... إنها لتذكر
ذلك اليوم الذي دخل فيه عليها، وقال
بصوت هادي حزين: « سأذهب إلى
الجزائر يا جورجيت مع رفاق صباي،
لترفع هناك علينا، ويمكن الأمر

المجنونة
للكاتبة الفرنسية ماري بشاري
للسيد صلاح الدين المنجد

لرئيسنا ... فلا تبك يا عزيزتي، لقد وعدت أن
أكون قائداً إن أحسنت البلاء ... ثم أعود إليك
بعد حين راضي النفس، مطمئن خاطر ... لا تبك
يا عزيزتي ... لن أمكث هناك إلا قليلاً ... إلى
اللقاء ... » ولكن هاهي ذى غممة أعوام تمر
وبرنارد لا يزال بين أبناء الشمس الأقوياء ...

وكانت نفس جورجيت تفيض أملاً بالحياة
والرجاء. لقد رزقت الطفل فتشأته بتناية وعطف
وربته برأفة وحنان، ولم تدع لليأس سيلاً إلى قلبها،
ولم تترك للحزن مدخلاً إلى نفسها. وكان برنارد
يمحدثها في رسائله اللاهية بالحب، الطائفة بالشوق،
المملوءة بالقبل، أحدثت نبت فيها النشوة والفرح،
فتنتظر بصبر وثبات. كان يحدثها عن الطبيعة الغائنة
التي تستهوي النفس وتسحر العقول، شأن كل ما في
الشرق، وعن أولئك الجزائريين الذين عشقهم
الشمس ففترتهم بفيض من قبلها اللاذعة، وتركت
آثار تلك القبل على الوجوه ... وكان يحدثها عن
تلك المساجد ذات المآذن التي تنامي الله ليل نهار،
وتلك المحاريب التي رُصّمت بالجواهر وازينت
بالفضيفاء، وتلك الصحراء التي غمرها النور
فراحت تبسم وتضحك ... وكان يحدثها أيضاً عن
التلال التي راوها، والجبال التي صدوا فيها،
أو يذكر لها ما رآه في فلسان القاعة بين غابات
الزيتون، وفي قسطنطين ذات الأبنية المتينة التي
شُيّدت في عالم قديم قد ابتلته المدم

كانت تنفي أنشودة أخذتها عن أمها برقة وحنان
وترنو إلى السماء الصافية صفاء الأمل الياسم، وتنتظر
إلى سفير الأشجار البثمر على حفاقي الطريق ...
وتصني إلى الذكرى تهمس في أذنّها حديث الماضي
إذ رحل زوجها إلى الجزائر ليرفع فيها العلم الفرنسي
الجليل، ويقهر أبناء الشمس الجبابرة الأشداء

وأغرقت في صمت عميق ملؤه النعوض والحيرة
ثم راحت تنامي نفسها وتقول: « بحيث أشدّ
المحب لن يزعم أن الحياة هي منبع الألم ومصدر
الأسى ... ألا ينظرون إلينا كيف نعيش في رخاء
من الميش راضين متبطلين لا يعرف الشجو إلينا
سبيلاً؟ أو لأولئك الذين يحميون حياة تموج بالنعيم
وئسرك بالشر ... لا يفقهون للشقاء أو الحزن
معي ... أما لقيت برنارد بعد أن ابتلع اليمُّ أبي،
وماتت أي حزنًا عليه، فأحبيته وأجني، والتقت
أحلامه بأحلامي، وتخيّننا على الأمان ثم زفقت إليه؟
كنت أتمنى أن تكون لي دار إليها أدوي،
وزوج أفضي إليه بمحدث قلبي، وطفل أدخل
السرور بمرآة لنفسي .. فرزقت الزوج، وشُيّدت
الدار، وجاء الطفل وابتسمت لنا الحياة ... »

وأرسلت زفرة عميقة وهي تقول: « ساء
ما يزعمون »
كانت جورجيت تحس السعادة وتشمّر بالنبطة

ففتش وجهها البوس ، ثم مزقت النلاف قلقة
حربانة وقرأت :

« سيدتى ... »

أنا لأعرفك ... بل أعرفك كثيراً ، لأن
صديق برنارد كان يحدثني عنك أحياناً ... أواه
يسيدتى ! إن الحرب لمصيبة كبرى ... إنهم يرسلونا
لنفتح البلاد ونؤدب المصاة ، ويقدمونا للموت .
ما أتسمنا ! من يفكر بنا نحن الذين ندفع دماءنا
نمناً للنصر ... من يردد أسماءنا أو يذرف الدمع
من أجلنا إن غيبتنا رمال هذه الصحراء الراهبة ؟
ومن يرسل الآهات إن أظفقت شملة حياتنا على
هذه السرور الخشبية التي شهدت مصرع الأنوف
قبلنا ... ؟ »

فاستوحش قلب جورجيت ، واقتبض صدرها
وقالت :

— لكن .. لكن أنا لأأهم عنه ما يريد ..
وثابتت القراءة

« ما أدرى يسيدتى كيف أكتب إليك .. وما
أدرى كيف أخبرك بما وقع لزوجك .. ولكننى
أقسمت أمله لأخبرنك ... إصغ إلى يسيدتى : فى
موقعة قامت بيننا وبين هؤلاء الجزائريين ، وقع برنارد
جريحاً يترسب فى دمه . فضمدت جراحه ، ولكنه
بقى مثلاً أشد الألم . لا يأكل إلا قليلاً ، ولا ينام
إلا لاما ، وكان يفكر بك ويحدثني هناك . فأرسله
قائداً الأعلى ليشي نحت الخيام ، ويستجم من الصاء
ولكن وأسفاه ! لقد أصابته الحمى .. الحمى التيفية
التي لا ترحم أحداً هنا . فصبراً يسيدتى ، عيشى
لطفلك الصغير وأفيضى عليه حنانك ورحمتك ،
وتمهديه بمطفك وروايتك فهو خير عزاء لك .. إن
برنارد قد مات .

جورجيت ر ...

وكانت جورجيت تمشق الشرق وترهبه ...
كانت تمشقه لأنه كان مسرحاً لأدروع الحوادث
وأعظم المفاسد ، لأن فيه تلك الحقائق المسحورة
كما يقولون ، وتلك القصور الفاتنة التي تخرج فيها
فئات الناي بأكمام الحب وأقاصيص الحرب ...
ثم لأنه سيكون سبياً فى نجاح زوجها وطريقاً إلى
مبتناه . وكانت ترهبه لأن فيه قوماً منافرين يتلون
الجن ولا يخافون ... فكان يساور نفسها قلق ملح
وشك عميق ، ويستولى عليها من أن لأمر الخوف
والدمع فتفتنى رجوع زوجها ، لتعيش فى كنفه ،
وتستمتع به ، ونجماً بقربه حياة آمنة ناعمة براحة
وسكون ...

— يا سيدتى ، يسيدتى ، لك رسالة من الجزائر
فهبث جورجيت يفتقرها عن ابتسامه حلوة
ترقص حولها التي واندمت نحو الباب ، ونفسها
تغفر من الفرح وتزود من النشوة ، لأنها تستمع
اليوم حديثاً عذبا ممتكاً ... وجاء سامى البريد يقدم
رسالة ختمت بالشمع الأسود ، فتراجعت وهي تقول :
— ليست لى ... ليس هذا خطه ... إنه خط
طفل حديث عهد بالكتابة ...

قالت إحدى صواحبها :

— تخذيها يا ابنتى فإنها لك . من يدري ...
ربما أصبح برنارد قائداً ... ربما أنهم عليه بوسام
الصليب ... ربما ظهر جنودنا على أولئك الشرقيين
وخذلوم ، خذيها يا ابنتى ... !

— آه ! ليمود إلى ، تلك أمنيى يا أختاه ...
وأخذت جورجيت الرسالة بيد مترجفة ، وقلب
خافى ، وعادت إلى غرتها قائداً بليدها يجتملى
حضاناً من الخشب ويقول :

— أباه ! أمه ! ألا تذهبن إلى الجزائر ...

ألا تخاف مني؟ أنا جورجيت ... مات ... مات ... هه ...
 سأحطم كل شيء من أجله . خذوا ... انظروا
 أيها السادة ... ألقوا ... خذوا ... وانظروا ... !
 وراحت جورجيت ترسل أسوانا حزينة
 تنكوار الثيران ... وأخذت تطوف بالفرقة تهذي
 وتصرخ ، ثم عادت إلى التندة فغطتها ، وإلى
 الكتب فزقتها ... وأشعلت النار في الأثاث ...
 وأتلف حولها نسوة حاولن أن يهدئن من اضطرابها
 فما استطعن ، فيكبن بكائها ... ورثين لها . ثم
 أسكت طفلها ورمت به الأرض فشج رأسه .
 وهبطت إلى الشارع تبكي وتضحك وتنادي : الانتقام
 الانتقام . وهكذا سلب عقلا ، وأصبحت ما يقارنهما
 الجنون إلا ساعة في النهار أو بعض ساعة ،
 تقضيها في البكاء أو الصمت ... فلما ما عاد إليها
 جنونها قامت تنفث وتضحك ... وتكلم الهواء
 وتصرخ المارة وتودع بالانتقام .

ما أدري كيف انتهى بها الطواف إلى الجزائر
 وما أدري كيف استطاعت ذلك ... وأكبر ظني أن
 سفينة أوصلها رحمة بها وشفقة عليها . ولقد حدث
 من رأيها بأنها مذ وطئت أرض الجزائر عولت علي
 الانتقام من أهلها . وكانت تزود ما أقفر من الأماكن
 وأوحش من الجبال ، وتتوغل في الصحراء ، وهي
 تنوح وتبكي ، أو تسب وتشتبم . ولقد حاول نفر
 من بني جنسها أن يكلمها فاستطاع وأراد إرجاعها
 فأخفق . رأوها بعد أيام عادية نحو جوف الصحراء
 وقد تحرق ثوبها وعمرت أقدامها ، واتعبت شمر
 رأسها ، وهي تضحك لمن تراه وتقول : إنه يتادى
 ألا تسمعون؟ فارجت بعد ذلك اليوم وما رأوها أبداً
 مسكنة ! لقد غيبتا رمال الصحراء !

صموح البرية المنيرة

فشدت جورجيت ، وجحفت عيناهما وادت :
 — مات ... مات ؟ ... كلا من المستحيل ..
 أيعوت برنارد وهو في نضارة الصبي وبكرة الشباب ؟
 أيعوت وقد كان قوى الإيمان بالحياة ، عظيم الأمل
 بالسعادة ؟ ... أنا لا أصدق .. إن هذا إلا كذب
 ومخبر ... !
 وراحت تبكي بكاء عذرا تنفطر له القلوب ، ثم
 نظرت إلى أسفل الصفحة فلما فيها كانت حرقشة
 عليها علامت قطرات من الدمع . فقرأت :
 « عزيزي جورجيت ! لقد تم القضاء .. انتهى
 كل شيء .. آه ! لن أراك يا عزيزي أبداً ، ولن ترى ..
 أنا أموت ... وداعاً جورجيت ... وداعاً طفلي ..
 وداعاً .. أيها الأحياء .. »
 برنارد ...
 وتفجر الدمع من عينيها .. وراحت تلطم الوجه
 وتبول ، وتنادي وتصرخ ثم تن وتقول :
 — آواه ! آواه .. هاهي ذى النواقيس زن ،
 فيملاً القضاء رنينها ، تمن أن غداً يوم الأموات !
 آواه ! إن القابر ستكون غداً مليئة بالناس ،
 يحملون طاقات الورد وعناقيد الزهر ، لينثروها فوق
 القبور ، وينذكروا الأهل والأحباب !
 أما برنارد ، فواحسراه .. إنه ينام هناك ..
 في الصحراء .. في ظلال النخيل .. وحيداً لاسديق
 يجابهه ولا حبيب !
 آواه ! إنه لصعب أن يذهب المرء وحيداً إلى
 عالم مجهول !
 أصبح أن برنارد قد مات ؟ هه ... أهكذا
 قضى علينا نحن ... أن نعيش في الظلمة ... بصمت
 وسكون ... ما نكاد نشدق طعم المنة حتى نرزا ،
 أو نفرم معنى السرور حتى نصاب ؟
 لكن ... كيف يموت برنارد .. ؟ كلا إنه
 لم يمت ... أنا أعلم ذلك ... أناخوني الحياة ... ؟

التي أصبحت مبدأً لذكرى ووحياً

لشعر حى رفيع

هو الحب أيها الأصدقاء الذي

سيلب دوراً كبيراً فى قصتى . ولعل

أحدكم لم يسأم بعد الحديث عن

الحب ، إن كان منكم الشباب فإن

قلوبكم عامرة به ، وإن كان منكم الشيوخ فإن القلوب

فتية لا تنهم

فاسمعوا ، اسمعوا أيها الأصدقاء ... انظروا إلى

ذلك الشاب الذى جلس أمام مكتبه بعد منتصف

الليل كما أجلس أنا الآن تماماً . إنه يزعج الكتب

المبثرة أمامه ويقسح ما بينها مكاناً يتسع لورقة

ليكتب فيها خطاباً

إنه قد مل هذه الكتب التى أمامه . هذا

كتاب فى القانون المدنى وآخر فى القانون الجنائى

وهذا فى اللغة اللاتينية ، وهذا فى الشريعة ، وهذه

قصة لأحد الكتاب الكبار المحدثين ، وهذا معجم

وهذا ... وهذا ... أشياء لا عدد لها ، كلها قد سئم

منها ، فانسطف يتلوه بكتابة خطاب إلى ماجدة قال فيه :

— أحفًا أنت سعيدة يا ماجدة زواجك من

الدهكتور ؟ لعله عاجل جراحك التى طالما حدثتني عنها

أن مقرها فى قلبك أليس كذلك ؟ .. بربك قولى : لا .

قولى إنك لازلت تذكركنى ، وأنتك لازلت

تفكرين فى ، وإن هذه التماسه ما هى إلا من

مما كسات الأيام وسوف يكون قلبى لقلبك وروحى

لروحك ، ولو أن الأجسام بعيدة

سمعتك تقولين فى حيرة وإتساع لم أفهم ماذا يعنى ؟

وراءها : « لم لا يا أحد ؟ أنا على واجب ، وما

حصل إنما هو فضل القدر ، ويجب أن تكون عاقلاً . »

الحكاس وقطعة النقص

للأديب مصطفى صبيحى

هى قصة سمعتها من صديق منذ سنوات ثلاث

بقيت فى نفسى طول هذه المدة . وقد حاولت أن

أكتبها قبل ذلك ، ولكننى كنت دائماً أؤجل

كتابها إلى وقت أكون فيه صافى النفس مرتاح

الفكر حتى لا تخرج الفكرة مضطربة ، وحتى

أستطيع تحليل كل مواقفها بدقة . وكنت كلما

حاولتنى ذكرى حوادثها وحاولت أن أمسك

القلم يتحدث بى التفكير إلى نواح أخرى من الحياة

فأذا أنا تائه فى الخيال ، وإذا المواعظ تيميش

والشاعر تخرج ، وإذا العقل يزدحم بالأفكار ، وإذا

القلم يسقط فأذهب فى ملل وسدوف ... ملل من

كثرة التفكير ، وسدوف عن الحياة للتشابكة

المزدحمة بكل شيء ، بالأفكار وبالأناس وبالعادة التى

تتدفق وتسخر من الناس والناس يبيدونهم

ويطأطئون لها الرؤوس

قال لى صديق إن النصبة حقيقية وأكادى

ذلك . وكنت قد ظننت أنها قصة خيالية اختلقها

قصاص ماهر ، ولم تقع حوادثها فعلا فى الحياة ،

إلا أن وجودها فى ذاكرتى كل هذه المدة جعلنى

أصدق أنها حقيقية وأتصور أننى عرفت أشخاصها

واحداً واحداً من مدة طويلة وشهدت كل ما حدث

لهم ، وعرفت الأماكن التى وقعت بها حوادثها حتى

ليخيل لى أننى أستطيع أن أزور هذه الأماكن

« كثيرا ما رجعت إلى نفسي أحاول أن أوحى إليها أنني أستطيع أن أعيش بدونك وأن أنساك إلى الأبد ، وكما أكون سميلا واستطعت ، إلا أنني لا أستطيع بإمجادة أبدا . كما أنني لا أنسى هذه الفترة التمسعة من حياتي ، فترة الخيبة والاضطراب . الضعف إلى درجة أنني لم أستطع أن أفكر شيئا وأنا أرى الدكتور عبد المجيد يتقدم طالبا يدك ، فيفري أبك ، فيقبل هذا أن يبيحك إليه منترا بمركره وماله ، ذلك الطبيب المرديد الجبان ؛ وأنت لم تستطعي مطلقا أن تنبسي بينت شفة ، ولم تستطعي أن تحركي ساكنا ، فقدموك إليه جسا إلى جسم لا قلبا إلى قلب . »

شعر أحمد بضيق في نفسه فسلم سلالا حادا خفت وطأته عينا ففتينا وظهر على عينيه أثر من السمع فأخرج مندليه ومسح به أجنافه وجهته . وظل هادئا فترة قصيرة من الزمن . فظهر في السكون صوت حركة خفيفة أعتبها صوت والدته تقول في نغمة متعبة وسنى :

« تم يا أحمد إلى فراشك . يكفيك هذا السهر يا بني . تم هذاك الله واستبق للذاكرة حتى الصبح بالبحار طويل »

صمت فترة سكوت طويلة ولم يرد أحمد بكلمة . وبقى صامتا ينظر إلى حجرة النوم المجاورة ، فمادت أمه تناوذه : أحمد . أحمد . . وكان الصوت يتردد في الزدعة فيرجع صدها وعلا المكان زوذة ورهبة . فرد أحمد بصوت ممثلي فيه رنة الاستياء :

— لم أنت يا أمه . دعيني أقرأ قليلا فانا لا أستطيع القراءة إلا في الليل . إنني أنام أكثر النهار فتأني أنت واستريحى

ثم هربت من أمامي مسرعة لا تلوّن على شيء . أقدمت ففريت بهذه السرعة ؟ كلا . لا أعلن . أنا أعلم أنك توفيق الواجب حق . أنا أفهم الموقف جيدا ، ولكنني لست في كل الحالات هادئا كما أنا الآن . أنا بإمجادة في بعض الأحيان أنور وأسحب وأحطم الدنيا بأسرها . أمزق العالم . أنا وحش عند ما أنور لأنني أخفقت في حبي ، لأن وردة حبي ازهرت لكي يقطعها الآخرون ، لكي يقطعها من ليس له قلب يبد جشعة مرتمشة كلها الأمانة وللأمانة .

كلا بإمجادة . لا واجب هناك . سأحطم التقاليد . سأحطم هذا الواجب الذي حدثني عنه منذ أيام بعد زواجك . سأحطم كل شيء وسوف تزين »

كتب هذه الكلمات الأخيرة بسرعة ويبد مرتمشة عصبية ، وقد هاج شعوره في هذا الصمت الشامل وكادت دموعه تطفر من عينيه عند ما رأى حالته الراهنة . حياة غير مستقرة ، ودراسة متواصلة مضنية ، وإخفاق في الحب ، وتمرد على الدنيا وعلى التقاليد والحياة والقيود الاجتماعية . أتى القلم وسرح فكره في عالم آخر . وبجاء سرت في السكون نغمة حنون من منزل بعيد فأنصت إليها . إنها تنعذب كاشها شجون الليل يديها بلا تكتم . إنها تمالي فتتمالي بالنفس وتسمو بالقلب والمساطة والحب ، وتعب عن ممان أخرى لا يبر عنها بالألفاظ ، فهي ممان مبهمة إن عبر عنها بالكلام فست وقلم ملها من روعة وجمال .

خفت الصوت وتلاشي في الفضاء ، وبقى أحمد . سامعا يردد في ذاكرة النغمة الحنون ، فهدأت نفسه ونظر إلى الورقة التي أمامه وعاد إلى القلم وكتب :

تكون كثيره وأن نخلص له مدي الحياة . وقف بجانب فراشه واتكأ على حافته ووضع يده تحت ذقنه وراح يفكر . ما قيمة الحياة ؟ إن كل هؤلاء الناس ليسوا سوى أشباح قصيرة العمر تروح وتجيء ولا تعرف إلى أين للصير . تحركها العواطف ثم تندثر في النهاية كأنها ما كانت ، فيستوى الطيب والشرير والجيل والقبيح والحب والجناد القلب . وما هو الحب ... ؟ ولماذا لا يكون طوع إرادة الانسان إذا أراد كرهه ، وإذا أراد بدلا حبيبا محبب ؟ وما هو الوفاء ... ؟ إن كل هذه الألفاظ أصبحت لا معنى لها . ألفاظ جوفاء خاوية لا تحوى وراءها إلا الرياء والكذب والخاتلة

حاول أحد أن يطرد هذه الأفكار من رأسه فشى بكسل إلى مكتبه فوجد الخطاب الذي كتبه بالأمس ملقى عليه كما كان . فتناوله ومزقه يبطء ، وألقاه بدون اكتراث كما يلقي شيئا باليا ، وخرج إلى الردهة وجلس نصف جلسة على متضدة نجم في منتصفها وتناول سيجارة وأشملها وصار يدخن ؟ وكان فكره يجول مع المدخان المتصاعد فوق رأسه وهو ينظر إليه شاردا ، ونجاة سقطت السيجارة من يده على رداءه فأخذها بسرعة دون أن يحرقه وصار ينظر إلى ثوبه ويثبت فيه النظر ثم أشار بيده إشارة استهتار وقال في نفسه إن هذه القيود التي في هذه الدنيا ليس لها أى معنى . يجب أن يتحلل منها . يجب أن يصل إلى الحرية والحق والعدل

وسبح فكره بمد ذلك في الماضي البعيد ، وصرت على ذاكرة كل أدوار حياته منذ أن كان طفلا يسكن مع والده في حي عرم بك في الإسكندرية .

— وهل يسببك أني أظل قلقا هكذا طول الليل ؟ أنا لن أستريح إلا إذا نمت . ثم يا بني أراح الله قلبك

فأطاع أحمد رغبة والده ورد عليها باستياء :
« هأنذا قت »

وقام وأدار زر الكهرواء فساد غلام ولم يبق إلا نور ضئيل منبث من مصباح صغير في الردهة . وذهب إلى فراشه ونام

ظل يفكر — وهو مضطجع على ظهره — فيما قالته له والدته . وفكر في حنانها وفي الخشونة التي قابلها بها وندم . وقال في نفسه : إن حنان هذه الوالدة للسكنة كثيرا ما يسبب له شقاء وقلقاً . فعلى لا يهدأ لها بال ما دام سهران ، ولا يمكن أن تنام أو تستقر على حال إذا كان خارج المنزل ، أو إذا تأخر عن ميعاده ساعة . وهو يتألم من ذلك ؛ وكثيراً ما يشور قهدهى من ثورة وترجعه إلى نفسه وتحاول إفضائه ما تمناه من الحب إذا غاب عنها لحظة قائلة : « يا بني أنت لا تعرف ما هو قلب الأم » ثم تعقب على ذلك بأمثلة غابية لها موسيقية لدينة صادرة من براءة وسدق

تذكر قولها « ثم يا بني أراح الله قلبك » وقال في نفسه : هل يمكن أن يحجب هذا السماء وأن لقلبه أن يستقر ؟ إنه لا أمل له في الحياة بمد ذلك ، لقد فقد كل شيء في هذه الدنيا

فضاها ليلة كباقي الليالي كلها أحلام متقطعة لا معنى لها . وقام في الصباح وكان أول شيء فكر فيه هو حادث زواج ماجدة من الدكتور عبد المجيد ، ماجدة التي تمبده ... ماجدة التي عاهدته على ألا

في هذه الدنيا؟ مات أبوه وكان تاجراً من تجار الثمر ولم يكن هناك أحد يحمل عمله في تجارتهم، وكان أحمد إذ ذاك في الرابعة عشرة وكان لا يزال طالباً فلم يستطع أن يقوم مقام أبيه

كان والده يحبه فقد كان أمه الوحيد في حياته. مات وهو يئس أنه ويدعو له، وكانت آخر كلمة قالها وهو على فراش الموت «جعلك الله يا بني سعيداً في الدنيا والآخرة»

تراحت هذه الذكريات في رأس أحمد وهو متكى على المنضدة وجعل يقرأ في سره القناعة لأبيه وقال في نهايتها «يا رب ارحمني وتقبل دعاء أبي واجعلني من السعداء»

ترى أيستجيب الله هذا الدعاء؟ أجل إنه رحيم. ولكن كيف يسعد وماجدة الآن أصبحت لنيره؟ أراها تتغير عليه بعد أن مات والده فلم تمدح به؟ لقد نقل والدها إلى وظيفة أرق من وظيفته في وزارة الداخلية بالقاهرة، وبعدت ماجدة عنه فترة من الزمن، إلا أنها كانت تأتي مع والدها لتقضي فصل الصيف في الإسكندرية، ولم يلاحظ عليها إذ ذاك أي تغير في عواطفها

كانت هي عزاءه الجميل. وإن نسي قلن ينسى تلك الأيام التي كان يقضيها معها في أيام الصيف على شاطئ «جليب» وقد أصبحا شابين اكتمل عقلاهما ونسياناً ترق الطفولة ودعوتها. لقد كانت هي كل شيء لديه. امتلأ قلبه بحبها حتى لم يبق به فراغ لأى شيء آخر في الوجود. وقد آمن بهذا الحب وثبت إعانه بقلبه فما عاد يصدق أن ذلك الحب سيخبره وتبرده شملته، وما كان يصدق أنها ستكون في يوم من الأيام لأحد غيره

بجوار منزل محمود حاصم بك والده ماجدة - وكان إذ ذاك أحد كبار موظفي مصلحة الجمارك - لقد كانت أياماً سعيدة تلك الأيام التي قضاها في تلك

البقعة النفيسة... أيام الطفولة للراحة. أين هي! لقد ولت كأنها حلم جميل من أحلام الملائكة. أين تلك الأيام الجميلة للراحة حينما كان يلعب هو وماجدة وباقي الأطفال في حديقة منزل والده، أو حينما كان ينفذ عينيه ويمر ليبحث عنها بين أركان الحديقة

وزواياها، أو حينما كانا يذهبان معاً لشراء الحلوى من السوق الذي كان خلف محطة الإسكندرية

القديمة - تلك الحلوى التي كانت ماجدة تحبها كثيراً لدرجة أنها أحدثت نكالا في أسنانها زادها حلاوة وملاحة وجعل في كلامها لثمة جميلة

عجبة، أو حينما كانا يلتقيان أسنانهما القديمة إلى الشمس لكي تثبت بذلك أسنان من الذهب. إنه لا يزال يذكر تلك الأيام السعيدة الجميلة ويذكر ولده باللبس مهما في أيام الشتاء، فقد كانا يقفان تحت

شجرة من أشجار الحديقة ينصتان إلى زقزقة الصافير وينتظران نزول المطر، فيجريان حينئذ في أنحاء الحديقة في فرحة وإبتهاج ويمررن وراءها

البواب المجوز ويحملهما إلى داخل المنزل والياه تساقط من شعرهما ووجنتيهما وملابسهما على الأبطسة وهما فرحان بهذه المفطرة - الراحة الجميلة

ولسا شاهداء من مناظر الشتاء البديعة الساحرة ذهبت هذه الأيام وكأنها كانت نعمة حلوة هادئة لم يكره سقوها شيء، ولكنها الآن

أصبحت ذكرى، إلا أنها ذكرى تثير الأمل وتبعث الآلام. أين أبوه وأين زوجته التي ضاعت ولم يبق منها إلا ما يكفي لسد ثقافته هو والدة التي بقيت له

بصوته التبايل النفات والناس يسمعون كلامه في ضمت وخضوع . وكان أحمد ينصت إليه بانتباه كأنه منشوق لسباح شيء جديد هو في حاجة إلى سماعه ، ورن في أذنه صوت الخطيب وهو يقول : (يا أيها الناس لا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق . ولا تأكلوا أموالكم بالباطل)

وفي هذه اللحظة التي كان أحد ينصت فيها إلى بقية الخطبة كان الله كتور عبد المجيد جالساً في منزله على مقعد كبير مكسو بالجلد في ردهة مفروشة بأثاث هو على بساطته آية في الأناقة وحسن الترتيب ، فدخلت ماجدة من باب مقابل فنظر إليها طويلاً نظرة عطف يداخلها شيء من الشك ولكنه مستور وراء حجاب من الكبر ويادبرها بقوله :

— مالك يا ماجدة ؟

— لا شيء

— إليك أن تكوني متكبرة لأننا لم نسافر لقضاء شهر المس في بلد بعيد . إنا كان الأمر كذلك فأنك جد غطية ، فأنا طم على تقديم مفاجأة مذهلة جداً لك (ونضح ثم مد لها يديه وقال) لك أنت يا حبيبتى يا أعز خلوق لدى (واقترب منها وهو يقول) كنت عازماً على ألا أبوح لك بهذه المفاجأة ، ولكن ما دمت متكبرة فسأقولها لك الآن (وضماها إلى صدره وقبلها) إننا سنذهب عندما يأتي شهر مايو إلى سويسرا رأساً لنقضي فيها شهر المس ثم نرجع في طريقنا إلى فرنسا وإيطاليا واليونان . وربما ذهبنا إلى لبنان حيث نمود بالطائرة فهل أنت مسرورة من هذه الرحلة ؟

— أنا لست متكبرة أبداً وحتى إذا كنت

جد واجتهد حتى نال شهادة الدراسة الثانوية ، وسافر هو ووالده إلى القاهرة واستأجرا منزلاً لدى يقطنان به الآن والتحق بكلية الحقوق ، وكانت ماجدة طالبة في كلية الطب . وكما كان سعيداً لوجوده معها في بلد واحد ، وكما كانت جميلة هذه الأيام التي قضاهما فيها في القاهرة لولا ذلك الله كتور الذي ظهر لها فجأة واختطفها منه

لقد كان أومها رجلاً لا يعرف معنى الماطفة ، وكان قاسياً شديداً على ابنته فلم تستطع أن ترفض هذا الزواج أو أن تنطق بكلمة واحدة . وكان أحد قد ذهب إليه عند ما علم بالخطبة وطلب منه يد ماجدة رغم أنه لا يزال طالباً ورغم أنه فقير لا يملك شيئاً ، فرفض طلبه ورده والأسى يكاد يفتك به واليأس يكاد يقتله

هكذا كان القدر ، وما ذا يفعل إذن ؟

عينا حاول أحمد أن يوقف تيار هذا التفكير ، فقام وأحار الراديو وكان اليوم يوم جمعة فسمع صوت القارئ يترنن قوله تعالى : (واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيأ تذروه الرياح وكان الله على كل شيء مقتدراً) وكان صوت القارئ هذياً جميلاً وكان يترنن هذه الآيات بإيمان وإخلاص أثار في نفس أحمد . فنقب على قول القارئ بصوت ملي بالخشوع والایمان « صدق الله العظيم » واستمر ينصت إلى آيات القرآن الكريم فوجد فيها عزاء عالياً وذهبت عنه بعض أحزانه وأنى موعد الصلاة فقام وتوضأ وذهب إلى المسجد ليصلي

وقف الخطيب على المنبر وصار يخطب في الناس

وماجدة في هناة وسادة ؟ ماذا يفعل إذا هزم الشوق لرؤيتها والتحدث إليها وسماع صوتها العذب ؟ أين تسل مثل المصوم إلى منزلها ليظفر منها بلباسه أو كلكة ؟ أم يقتحم منزلها ليلا ويختطفها ويذهب إلى حيث لا يعلم إلا الله ؟ أى خيال مضحك ذلك الذى ينادب أفكاره وهو مضطجع على فراشه وقت الظهيرة . بعد الصلاة ؟ إن هذه الحياة كانت ممكنة في المصور الوسطى حين كانت الفوضى ضاربة في الأرض ، وحين كانت قوة الإنسان بمثابة الفرد ، فهو وحده كان أمة ، وكل الدنيا كانت وطنه يضرب فيه أين شاء وأنى يشاء . وهو قادر على اجتلاب الرزق في كل وقت وفي أى مكان .. لقد أصبحت الأفكار والأخيلة تسخر من عقل أحد وتجعل منه ألموة . والحق أن العدمية كانت قوية عليه وهو لا يزال في سن صغيرة ووراء أمه السكنينة وأمامه مستقبله فما كان هناك شيء يستطيع أن يتغلب به سوى الخيالات المضحكة والأمانى الكذاب .

مرت الأيام متشابهة ملولة ، وكان أحمد يقضى معظم أوقاته في مقهى مواجه لنزلة الدكتور عبد المجيد . ولحقه الدكتور مرارا وهو يحوم حول النزل . والحقبة أن أحمد لم يقابل ماجدة بعد زواجها إلا مرة واحدة حين وجدها مصادفة خارجة من منزل إحدى صديقاتها .

وقد وجد أحمد في يوم من الأيام أن الفرصة سانحة لرؤية ماجدة فقادته قدماء بدون تفكير وضمد إلى المنزل ودق الجرس ، وكان قلبه يخفق بشدة ، وكل عضو من أعضائه جسمه ينتفض ، وفتحت ماجدة الباب بنفسها فدخل بدون استئذان وأغلق الباب

متكبرة فأنا لا أتكرر من شيء مثل هذا ، فأنت لديك أعمالك وليس من الضروري أن تتركها في هذا الوقت ، فدع هذه الرحلة لفرصة أخرى فالفرص أماننا كثيرة نساقر فيها إلى أي جهة نشاء . وليس من الضروري أن نساقر إلى الخارج . وهل رأينا بلادنا حتى نذهب لننتزه في الخارج ؟

— هكذا أريدك دائما . بالله رفعي عن نفسك قليلا ... إنحكي والله

قبلها بين عينيها وفي وجنتها بشفت وهو يقول : أنت ملاك يا ماجدة .. أنت ملاك

عاد أحمد بعد أداء فريضة الجمعة إلى المنزل وهو لا يزال يفكر في حالته . إنه يكاد يحس ، إنه يطلب من الله في ضراعة أن يريجه من هذا المذاب وأن يتزع من قلبه حب ماجدة فلا يفكر فيها بعد ذلك ولا في زوجها الذى يفتته من كل قلبه ويود لو يسحقه سحقا

أيذهب إليه في عيادته ويردبه تقيلا على مرأى من مرضاه ؟ أم يذهب إليه في منزله وقتله هو وماجدة في ساعة يكونان فيها غارقين في بحر من السادة والحب ؟ وأبواها ذلك الرجل القاسي ؟ إنه يحتقره ولا يريد أن يراه ، إنه يود لو يفتك به هو أيضا .

ولكن هامى ذى كلمة الخطيب ترن في أذنه : (ولا تقتلوا النفس التى حرم الله إلا بالحق) إذن ماذا يفعل ؟ إنه إذا لم يصنع شيئا فهو قاتل نفسه لا محالة دون أن يشعر . إنه ينتحر ببطء .

كيف يستطيع أن يصبر على هذا الشقاء ؟ وكيف يتحمل هذا بعد هذه البنين التى قضاهما هو

ذكرياتها القديمة ، وقالت له والدموع لا تزال تجول
في عينيها :

— إرحمني يا أحمد . إرحمني . ماذا يمكنني أن
أفعل ؟ إنني إذا خنت زوجي فلن أسلم من ضميري
وإنني الآن صابرة على حكم القدر . آه ياربى . يا ليتني
كنت مت

فنظر إليها فجأة وقال لها في ثبات ومزمعة :

— اسمى ، هيا نهرب

— إلى أين ؟

— إلى حيث يشاء الله

— ووالله لك لن تتركها ؟ إنها تموت من
أجلك . وأبى ماذا يكون موقفه أمام الناس ؟ لا لا
يا أحمد كن عاقلا

— إذن سأذهب ولن تترى بعد الآن
فناد اليأس والحزن برسمان على وجنتيها صورة
رائسة من الدموع ثم قالت له :

— تعال يا أحمد ، ولكن لا تدع أحدا يراك

كانت مخاطرة شائكة تلك التي أقدمت عليها
ماجدة ، وقد ظل أحمد يزورها في منزلها في غياب
زوجها ، وإن هذا اللقاء وإن كان قد أحاطته العفة
في ميده إلا أنه قرب الجريمة إلى نفسيهما شيئا
فشيئا ، فالانسان مهما وبلغت نفسه من القوة والسمو
فانه يصل أحيانا إلى درجة من ضعف الإرادة
يستوى فيها مع الحيوان

إن هذا هو رأيي . ولست أدري إلي أي درجة
وصل إليها أحمد هو وماجدة أثناء تلاقعهما في بيت
الزوجية ؟ إنني أعرف أن أحمد كان شابا مهذباً ولو
أنه كان طائشاً إلى حد ما ، وأن ماجدة كانت فتاة

ووقفت ماجدة أمامه مبهوطة جازعة وقالت :

— أحمد لماذا أتيت ؟

— لم أستطع أن أحمل أكثر من ذلك

يا ماجدة . سأجن

فلنك ماجدة عواطفها وقالت له بلهجة حاسمة :

— أرجو يا أحمد أن تعود من حيث أتيت

فليس هذا مكانك

فبدا التأثير على وجهه وقال فاضبا :

— أنظر ديني يا ماجدة من منزلك ، ذاك الذي

كان يجب أن يكون منزلي ... آه ... إنك غافلة .

أنا حضرت الآن لأخذك بالقوة ، وإذا مانست
فسأقتلك وأقتل الله كتور عبد المجيد

فقال ماجدة متضلة : أحمد ! أرجو أن

تتركني للأفداس . . وغارت قواها فارتحت على أحد
القاعد وأجششت بالبكاء وهي تقول : إنني أمتدب
يا أحمد ... إلى أمتدب ...

فاقترب منها أحمد وقد أثار هذا المنظر أعين
طائفة في نفسه ، وحركت دموعها اللهمرة في حرارة
وأسمى كل أشجان قلبه ، ولكنه ملك زمام نفسه
وذهب إليها وجلس يمانها وقال :

— ماجدة ... أتبيكين ... لا ، قومي فأنا ذاهب .

لن تترى بعد الآن . لقد كنت مجنوناً . أنا
كنت أريد أن أراك . كنت أود أن أسمع صوتك .
صحيح أنك الآن لست لي

وهم أحمد بالخروج فأمسكت به ماجدة ونظرت

إليه نظرة حيرة وتوسل ، فدفع يدها بعيداً وقال لها :

— دعيني أذهب ، فليست أنا أحمد القديم .

لقد أصبحت مبحين زوجك حتى الجنون . دعيني

فاتفتحت ماجدة وكأنا أعادت هذه الكلمات

قيام أحد وقف أمامه وجهاً لوجه ، وصرخت ماجدة لما رأت زوجها وجفت ياكية تحت قدميه تطلب منه الصنم ، فركلها بقدمه ، وأخذ ينظر إلى وجهه غريرة بقسوة ، وجبل يتفرس في وجهه ، وقال وهو يرتد :

« آه يا سافل ... آه يا جبان ! » وهجم عليه وأمسك بمنقه ، واشتبك الرجلان في عراك عنيف . وكان أحمد قوى الجسم فاستطاع أن يفلت من قبضة خصمه ويلقيه على الأرض ووقف ينظر إليه وهو يلهث في غضب واحتياج ، وقام الدكتور وأخرج من جيبه مسدساً وسدده إليه وقال :

— إلى سافلك يا سافل يا وغد . وحاول أن أن يضغط على الزناد ولكنه كان مثلقاً . وفي هذه اللحظة لمح زوجته ملقاة على الأرض وقد أغشى عليها من هول الموقف ، فقال : « إنها هي التي تستحق القتل » . ثم عاد إلى نفسه وقال : « ولكن هذا فتيل ... اسمع يا هذا ، لقد وهبتكما الحياة . إنك تحبها وهي تحبك ... هذا حسن » فأقالت ماجدة وقالت بصوت مذبوح : ساعني يا عبد المجيد لقد أخطأت ! فوضع السدس في جيبه وذهب إلى الباب وأغلقه وأنهض ماجدة وأجلسها إلى المائدة التي أعدتها وأمر أحمد بالجلوس أمامها وسكب الخمر في كأسهما . وقال لها وهو يضعك ضحكة قاسية :

— إشر يا تحب هذه البيلة السوداء فاستمتا عن الشراب فأخرج مسدسه وصاح بهما بصوت هائل والشرر يتطاير من عينيه :

— إشر ب ... إشر ب ...

فشر يا . فانفجرت أسارير وجهه وصار يشرب هو كذلك كأساً بعد كأس حتى أتى على ما في

دقيقة الاحساس ذات ضمير حي وأخلاق عالية لقد داخل الدكتور عبد المجيد الشك في زوجته ، وظن بها ظن السوء خصوصاً وقد علم ما كان بينها وبين أحمد من علاقة سابقة ، وإلا فما هذا الجود الذي يلاحظه عليها ؟ وما هذه الماملة الجائفة التي يلقاها منها في بعض الأحيان ولم تمض مدة طويلة على زواجهما ؟

على أنه قد دهش حيناً وجد زوجته قد تغيرت فجأة وصارت تشكل الابتسام وتحاول أن تجعل كل ملامحتها له أكثر رقة ، وأن تكون في كل حالاتها أكثر بشاشة مما كانت قبل . غير أن ذلك كان مما قوى الشك في نفسه فانه شخص مجرب يعرف الابتسامة الزورة من الابتسامة الحقيقية . لقد دبت التيرة في نفسه وعزم على أمر ...

دخل المنزل متجهماً في مساء أحد الأيام وأخبر زوجته أنه مسافر إلى الاسكندرية لأمر هام وسيرجع إليها في ظهر اليوم التالي ، وخرج مسرعاً وركب سيارة وأتجه إلى محطة القاهرة

فجاء أحمد كلذته فقايلته ماجدة بفرحة غير معهودة وأخبرته بأن زوجها سافر وأنه يستطيع أن يجلس معها في جو من الحرية أكثر مما تعود . وما كادت تندمج في هذه الحرية حتى بدت لها صورة زوجها يفتح باب داره ، فارتدت إلى صوابها وتنازعتها أفكارها حتى طوى هذه الأفكار أحمد بمحدثه المذهب الذي انتهى بأن أغراها بقناول كأس من الخمر مهلكي يضيئها ما بهما من وساوس ويذهبا ما يتسلكهما من أفكار

وما كاداً يبدآن المدة لذلك حتى دخل الدكتور عبد المجيد ووقف بجوار الباب وهيناه قدحان شرراً

أصبح الصباح نادى الدكتور عبد المجيد زوجته وأخرج من جيبه قطعة النقود ووضمها تحت الكأْس التي شرب منها أحمد وقال لها بصوت خافت : سيبق هذا الريال هنا إلى الأبد ، وإذا انتقل من مكانه فأنت طالق .

أصيب أحمد بصدمة عصبية قوية ألزمته الفراش . ولا أبل من مرضه علم أن ماجدة ماتت . لقد كان الدكتور عبد المجيد يستطيع أن يرحمها ويرحمه فيقتلها في تلك الليلة المشؤومة ، إلا أنه اختار زواجه موة أخرى بطيئة ، بواسطة الكأْس وقطعة النقود وترك أحمد يود إلى الحياة ويبقى مستقبلاً على أفاض الماضي الحزين .

مصطفى ميمي

الزجاجة ولعبت الخمر برأسه فقال لأحمد :
— الآن هات عن اليلة وعن الخمر أيها التلميذ
الصغير ...

فنظر إليه نظرة قاسية وقال له : أيها الحيوان !!
فسدد إليه الدكتور مسدسه وهو يقول :
— عن اليلة وإلا فتلتك في الحال

فأخرج أحمد ريالاً كان في جيبه وألقاه على
المنضدة قائلاً :

— خذ هذا غمنا لهذا الشهد التمثيلي الذي كنت
... فقال له :

— شكراً ... الآن تستطيع أن تخرج
ولست أريد أن أرى وجهك بعد هذه المرة ثم دفعه
بشدة إلى الباب

ومضت هذه اليلة وكأنه لم يحدث شيء . ولا

الجودة الفائقة و الذوق الجميل
والثمن المعتدل

تلك هي العوامل الثلاثة التي تسير عليها

شركة مصر لنسج الحرير

عند ما تنتج أنغر أنواع الأقمشة الحريرية

ألحوا في طلب منتجات

شركة مصر لنسج الحرير

إحدى مؤسسات بنك مصر

ولكني أقول: إن تلك المتاعب تروى
على كل ما قاماه السلطون من جميع
الدنيا من يوم أن نشأ الاسلام
إلى اليوم، فمن حاصفة إلى زوبعة
إلى إعصار، حتى إذا ما استقرت
الحال وسارت السفينة في أمن
والطمأنينة طوت إلى ما كانت عليه

حاجي بابا في الحكمة

تأليف جيمز موير
بمطبعة الأستاذ عبد اللطيف النشار

الفصل الحادى والخمسون

تابع السفير بمروره

فتتأرجح بنا بين جبال من الأمواج
وأخيراً جاءت الساعة السعيدة التي ظهرت لنا
فيها قباب المساجد ومآذنها . وكان النظر بديساً
غمدنا الله وصلينا صلاة الشكر . وقد تجمّع في
نفوسنا شعور الفرج فقمنا بالترؤل إلى الشاطئ
والخلاص من السجن والسجان . ولما قابلنا مندوب
فارس ألقينا عليه ألف سؤال وسؤال عن فارس وعن
أصدقائنا وأقاربنا فيها . وكانت شكواً مرة من ريان
السفينة . وقص عليه محمد بك كل شيء بما رآه مما
يخالف الشرع الشريف في بلاد الفرجستان . ثم
ذهبنا إلى بيت السفير الانكليزي فسلمنا إليه ما معنا
من الرسائل للمرسلة إليه . وقد وجدنا الانكليزي
الأساتذة لا يستقبلوننا بمثل الحفاوة التي يستقبلنا بها
الانكليزي في بلادهم ولا بمثل الدهشة التي كانوا
يبدونها نحونا وسبب ذلك واضح وهو أننا كثرنا
الشبه بالأتراك وقد ألفونا

ثم استأنفنا السير إلى بلادنا

الفصل الثانى والخمسون

عاجى بابا في لمهراة

استأجرنا الزنالك وأعدنا معدات السفر، وفي
مدى أيام قلائل كنا على مقربة من حدودنا وكانت
قلوبنا تخفق سروراً، ولم يحدث في الطريق ما يستحق

استبقى السفير محبوباً لحراسة الشريكية وأعاد
سميداً معنا إلى طهران . وقد ودعنا لوندرا وولينا
وجوهنا شطر طهران ، وكان طريقنا في العودة غير
شائن مثل طريقنا في المجيء ، وقد تبادلنا مع السفير
الكلمات الطيبة التي تقال في مثل هذا المقام، وصفح
كل منا عن الآخر . وعهد بنا إلى ريان الباخرة
فأصبحنا في وصايته وأصبح واجبه أن يسلمنا إلى
مندوب فارسى في الأساتذة سواء أ كنا أحياء أم
جثثاً هامدة

وكان هذا الزيان رجلاً ملفوح الوجه بالمواجير
كأى رجل تركانى محارب، ووجدناه غليظاً متجهماً
وكان يقدم لنا كل يوم طعاماً من اللحم والطيور ،
ولكنه لم يقدم لنا شيئاً من الأرز . ومن حسن
الحظ أن المقدار الذى جثنا به من فارس لم ينقص
كثيراً فأخذنا منه جانباً وتركنا للسفير سائرته

وقبل سفر الباخرة رأينا عشرين أو ثلاثين
رجلاً في يد كل منهم ورقة وقلم من الرصاص ،
وكلمهم يكتبون وصف ما يشاهدونه . وقيل لنا إن
هذه مهمتهم اليومية لأنهم يخبرون للمصحف
وسأجاوز مما رأيناه من المتاعب في السفينة .

وبين موقف الوزير الفارسي أمام الشاه
قال لي الشاه متلطفاً رداً على خطيبي : « سررت
بمودتك يا حاجي بابا »

فأخبرت رأسى على طريقة الوزراء الانكليز
فقال : « مرحباً بك »
فأعادت إحناء رأسى

قال : « هل أنتيت بهديا من شاه الفرنجستان ؟ »
قلت : « نفسي فذاك يا جلالة الشاه لقد أنتيت بهديا
قدمتها لأمين القصر » ثم أخرجت من جيبى عشرين
جنبها من النقود الانكليزية ووضعتها على عتبة
العرش وقلت : « وهذا الذهب أضمه متفائلاً على
أعتاب عرشكم »

فابتسم الشاه وقال لرئيس الوزارة الذي كان
واقفاً بالقرب منه : « إن حاجي بابا خادم مطيع وقديص
وجي في بلاد الفرنجستان »

قال رئيس الوزارة : « نعم نعم يا جلالة الشاه
وحيث يوجد أتباع جلالته نبيض وجوه الفارسيين »
ثم قال لي الشاه : « صف لنا بلاد الفرنجستان »
قلت : « هي بلاد واسعة تختلف في كل أحوالها
عن بلادنا »

قال : « وازن بينها وبين بلادنا » قلت :
« لا وجه للموازنة يا صاحب الجلالة فهي بالقياس
إلى إيران مثل مع ضيق بالقياس إلى جلالتهكم » -
فالتفت الشاه إلى رئيس وزارته وقال : « لكل
بلاد محاسنها ولكن لا توجد في الواقع بلاد مثل
إيران » ثم استشهد بييت من شعر حافظ الشيرازي
في مدح فارس . فقال رئيس الوزارة : « ابن شعر
حافظ مما تقنوه جلالتهكم من الشعر . وهل في
العالم كله شاعر مثل مولانا فتاح علي شاه ؟ »

الذكر . وكنا ن فكر في العادات التي اعتدناها
بالقرب وفي عادات بلادنا القديمة فنجد السي
والحسن في كليهما

وفي أثناء الطريق زدنا الباشا في أرضروم
وانضج لنا أنه لم ينسنا ولم ينس السفير . وفي تبريز
تمسحنا بأعتاب الحاكم وهو من أسراء الأسرة
الملكية ، وقد سألنا أسئلة دللتنا على أنه عاب من قبل
كل الذي عابناه في أثناء الرحلة . ولا يفوتني أن
أذكر أننا قابلنا قبيلة من الأكراد على أثر خروجنا
من أرضروم فأصرروا على أخذنا أمستنا عنوة ولكن
فرقة من جنود الباشا التركي كانت تتولى حراستنا
فقاتلهم وألجأهم إلى الفرار .

وأخيراً وصلنا إلى طهران قابلنا أصدقاءنا
الذين كانوا في انتظارنا على أحر من الجمر ، وقد
عزمت على أن أسلك خطة من الترفع تتفق مع
السكاة التي استغفيتها ، ومع المعلومات التي تلقيتها
في رحلي الأخيرة

ذهبت توأ إلى بيت رئيس الوزارة فوجدته
قد ذهب إلى بيت الشاه فقبضته إليه وسلمته
مامي من الخطايات ووقفت منتظراً أوامره . وقد
تركني واقفاً أمامه عدة دقائق قبل أن يأذن لي
بالجلوس . ووجدت كثيراً من أصحابي في انتظارى
غيبون وهنأوني وسألوني عن الحالة في بلاد الانكليز
فقال أحدهم إن النساء هناك لا ينجبن . وقال آخر
لنهم يببدون الصليب . مما يدل على الجهل بأحوالهم
كما أن الانكليز مجهولون أحوالنا

وفي هذه الأثناء أبلغ رئيس الوزارة الشاه بخبر
قدوى غنوديت ودخلت باحترام وأتيت بين يدي
جلالته خبطة قصيرة وحرصت بقدر الامكان على
أن أجمع بين موقف الوزير الانكليزي أمام ملكه

مسحورة يستطيع الانسان بها أن يرى الجيش عن بعد عشرات الفراسخ دون أن يراه الجيش الآخر .
وهي تظهر الشيء البعيد جداً كأنه على يده . أمتار قليلة . ولقد رأيت في بلاد الفرنجستان أشياء معدومة النظير »

قال : « تكلم يا بني . ولكن إياك أن تكذب بحضرة الشاه . وإذا كذبت فلن نجد رحمة في نفسي »
قلت : « نفسي فداك يا صاحب الجلالة . لقد رأيت سفناً كأن الواحدة منها مدينة وهي تمشي في الزوايا والأعمير دون أن تتأيل »

قال الشاه : « لقد حذرتك من الكذب يا حاجي بابا »

فقلت : « نفسي فداك ما قلت إلا ما رأيت »
فتلطف الشاه وسألني : « أي شراع يمر هذه السفينة ؟ وما طولها ؟ وما عرضها ؟ »

فقلت : « إنها تسير بخار الفحم » ثم أخذت أشرح معلوماتي في هذا الموضوع وهو ينظر إليّ نظرة استغراب كأنني أقص عليه قصة من قصص السحرة . ثم أخذ سؤاله عن زجاجة التجسس . وسألني عما رأيت غير ذلك . فقلت : « إن أغرب ما رأيته هو النور الذي ينبعث من منارة السفن في أثناء الليل ، فانه يرى من بعد تهديده السفن ويتحرك ويدور ظاهراً بهيئة جسم عمودي ولا يتكلف إلا أقل النفقات ويؤدي أكبر النفع » .
فدهش الشاه وأخذ يسألني فشرحت له معلوماتي عن التارات أيضاً وقال : « لقد كنت أعرف أن الانكليز يصنعون الأقشة الجيدة ولكن لم يخطر ببالهم أنهم يصنعون النور الفاتح » . ثم قال : إنهم من أشهر التجار ولا يبعد أن يكونوا قد صنعوا هذا

فاقسم الشاه وقال : « ليس في الانصاف غشاضة فان الشيرازي شاعر ممدوم النظير » ثم التفت إليّ وقال : « هل في بلاد الفرنجستان شعراء ؟ قلت : « نفسي فداك يا جلالة الشاه ليس عندهم أمثال السعدى والشيرازي ولكن عندهم شعراء على كل حال » فقال الشاه : « نتمنى أنه ليس عندهم بلابل ؟ » فقلت : « نعم ليس عندهم بلابل يا صاحب الجلالة ولكن عندهم كلاباً . والحق أن إنشادهم بالقياس إلى إنشادنا كالغواء بالقياس إلى التريد »

فسر الشاه من هذا القول ونحك وقال : « إذن فستدعهم شعراء ، فإذا عندهم غير ذلك ؟ هل نساؤهم جيالات ؟ »

قلت : « نعم يا جلالة الشاه ، وأي جمال ! عندنا اليهوديات والروسيات والأرمنيات ومن كل جنس ودين وليس بين جوارى الشاه جارية انكليزية وفي الانكليزيات الجديرة بأن تكون في خدمة جلالته »
فقال الوزير : « ولما لم تأت بجارية منهن هدية للشاه ؟ »

قلت : « تلك غلطة مني فلو أمر الشاه سفيره بأن يسود بجارية انكليزية لقرت بها عيناه »
فقال الشاه : « لم تخفني في القول يا حاجي بابا »
فمن زيجارية انكليزية ليتم نظام حرمنا الشاهاني »
ثم التفت إلى رئيس الوزارة وقال : « وماذا تذكره لنسأل عنه حاجي بابا ؟ » . فقال رئيس الوزارة : « زجاجة التجسس يا مولاي ! »

قال الشاه : « أخبرني يا حاجي بابا هل رأيت عندهم زجاجة التجسس ؟ »

فقلت : « نعم يا صاحب الجلالة . عندهم شيء غريب مستطيل اسطواني الشكل وفي نهايته زجاجة

وما ذلك إلا لأن السفير فيروز خان قريه وهو يرضى
على أن أقال مثل مرتبته وأنا مرؤوسه

وعشت مسروراً أفق من المال الذي خبأته
قبل سفرى عند قبر « زينب » ولم يحدث ما يسوءنى
ولم ينقطع أمل فى الحصول على الزينة . وكنت أفضى
أوقاى فى التحدث مع أصحابى عن العجائب التى
رأيتها فى الفرنجستان وفى ترجمة بعض الكتب
الانكليزية

وكنت كثيراً ما أئشرف بزيارة الشاه وأسمه
من كلانى ما يقربى من أملى فى الحصول على القلب
والآن أبها القارى الكريم أئشرف بأن أقبل
قدميك وأطلب الحماية فى جيب قفطانك وأرجو
ألا يقصر الله ظلالك حاجى بابا خان

« تحت » عبد اللطيف النشار

النور ليقتنوا به أتباعهم الفرنسيين الذى يميلون
النار فى الهند

قلت : « هو ذلك باجلالة الشاه » واقترحت
على جلالتة أن يأمر السفير بأن يرسل إليه صندوقاً
من العجائب الانكليزية

فسألنى : « هل صحيح ما يقولونه عن شدة
المواصف فى انكلترا ؟ »

فطارت لى خاطر بديع وقلت : « نعم باجلالة
الشاه إن المواصف هناك لا يدركها العقل ولقد
هبت عاصفة وأنا فى الطريق وكنت فاتحاً فى
فطوح الرياح بجلالة من أسنانى وألقها فى جوفى »
ثم تبعت فى وأرسته مكان أسنان ثلاث مكسورة
من رمة جواد . وأكدت له أن الماسقة هى التى
أسقطتها فاستغرب الشاه هول تلك المواصف وحده
الله على أنه لم يذهب إلى الفرنجستان وإلا لزعزعت
الريح لحيتة من وجهه

ثم أمر لى الشاه بخلمة سنية وصرفنى من
حضرته مسروراً . فذهبت وأنا أأدعو له ونفسى طامعة
إلى الحصول على لقب خان ، فأذعت بين إخوانى أنى
سأحصل على هذا القلب . وفى الحق أن كلمة « حاجى
بابا خان » ذات نشأة موافقة وجرس بديع فلماذا
لا يكون اسمى كذلك ؟

وقد تسامع الناس أنه أنعم على هذا القلب ،
وصار الشاه نفسه لا يقول لى « ميرزا حاجى بابا » بل يقول
« حاجى بابا خان » ولا أعرف هل كان ذلك من أحوال
جلالتة أم جداً . ولكنه على كل حال فال حسن
يبد أن رئيس الوزارة كان يصم أذنيه عن
أقوال الناس حول هذا القلب وإشاقته إلى اسمى ،

المجموعة الاولى للرواية

١٥٣٦ صفحة

فيها النص الكامل لكتاب اعترافات فى
المصلوسيه ، والأوذيسه لهوميروس ، ومذكرات
نائب فى الأرياف لتوفيق الحكيم ، وثلاث مسرحيات
كبيرة و ١١٦ قصة من روايات القصص بين
موضوعة ومنقولة .

التمن ٣٤ قرشاً مجلدة فى جزئين

و ٢٤ قرشاً بدون مجلدة

خلاف أجرة البريد

الرسالة

مجلة أسبوعية تأسست في القاهرة

مجلة الآداب الرفيعة والثقافة العالية

تصل الماضي بالحاضر وتربط الشرق بالغرب

على مدى وبصيرة

الرسالة : معبر بإخلاص عن روح النهضة المصرية

الرسالة : تجمع على وحدة الثقافة أبناء الهلال العربية

الرسالة : تصور مظاهر العصرية للامة العربية

الرسالة : تسجل طواهر التجديد في الآداب العربية

الرسالة : تحيي في الفناء امسايب البلاغة العربية

بمجموعة اعدادها ديوان العرب المفترق ، وكتاب الشرق

الجديد ، وسجل الادب الحديث ، ودائرة معارف عامة

الاشتراك الداخلي ستون قرشا ، والخارجي ما يساوي جنبها مصرية ، وللبلاد العربية بخم ٢٠ ٪



صاحبة الجلالة ومديرة
ورئيس تحريرها للمسئول
احمد حسن الزيات

برل انوشر الك عن سنة
٣٥٠ في مصر والسودان
٥٠ في الممالك الأخرى
١ عن العدد الواحد

انقذارة

شارع عبد العزيز رقم ٣٦
التيه الحضراء — القاهرة
تليفون ٤٢٣٩٠ ، ٥٣٤٥٥

الحرورية

مجلة اسبوعية للقصص والبرامج

نصدر مؤقنا في أول كل شهر وفي نصف

العدد ٣٨ ١٩ جمادى الآخرة سنة ١٣٥٧ — ١٥ أغسطس سنة ١٩٣٨ السنة الثانية



فهرس العدد

صفحة	
٧٣٨	مصرع تواركو والهدس الفاسق بقلم ايزيدور كورليانوف ...
٧٤٩	جبل النار ... قصة من تاريخنا الذي يكتب الآن . بقلم الأستاذ على الطنطاوى ...
٧٥٧	تجربة فاسية ... مترجمة عن الانجليزية ... بقلم الأستاذ عبداللطيف النشار ...
٧٦١	حكمة الموت ... أقصوصة مصرية .. بقلم الأديب نجيب محفوظ ...
٧٦٧	سكرم ... للشاعر القصصى بول بورجيه بقلم الأديب كمال الحريرى ...
٧٧٧	الأول والأخير ... للكاتب جون جازورتي ... بقلم الأديب سامى النافس ...

مَصْرُوعٌ نَوَازِكُهُ فِي الْفَيْلِ الْفَاسِقِ

بقلم الزيد زكريا نوف
لأستاذ محمد لطفي جعفر

دز قبادانيا ، وأقفر ناحبانيا ،
وأبدها عن الحضارة والنقى ،
واسمه نوار كوتو ، يظهر بمظهر
الرهبان ويتشع بمسوح الصالحين
الزاهدين ، فيقبض يده اليمنى على
مكاز متين ، ويسراه على قلب
كلاروتانا زوجة فيدور الثالث
وشريكته في الملك وقسيمته على
المرش والصولجان ، فيمد نفوذه
من قلب الأميرة المتوجة كلاروتانا
إلى البلاط الملكي فيصير له الأمر
والنهي والقبض والبسط ، ويده
الحركة والسكون وبين أمله الحل
والعقد ، وتخضع له دز قبادانيا من
أقصاها إلى أقصاها ، وتنفذ كفته
قبل كفة فيدور الثالث نفسه ملك
دز قبادانيا وصاحبها وسيدها .
ويذيع في الدولة خبر الراهب ،
ويتشع مع اسمه في المدن والقرى
والهساكر والحقول والساكن ،
أن في بلاط الملك زاهدا مقدسا
وراهبا كورعا ، وتقيا تقيا ، يأتي
بالكرامات وتم على يديه خوارق
العادات ، وأنه مقبول الإرادة
عنده فأنفذ الشريعة بأذه ، وأنه
مستجاب الدعوات ، فلا يطلب
شيئا إلا ويجاب إليه ، فما من نعمة

تعريف بالقصة

لزيد زكريا نوف مؤلف روسي
مقيم في أمريكا ، وقد تنقل بين الولايات
للخدمة والسكك وجواتيلا .
وقيل إنه هل هذه القصة القصيرة
السببية عن أسطورة مكسيكية قديمة
جئت حوادثها في القرن السادس عشر
وكان رايدر مايلر ناقصا الإنجليزية
الصغير قد وصف « قلب الدنيا »
وعاصمة النحاس ومدينة الكونز
(وهي مدن مقترضة) عن أساطير
أسانية وأمريكية
أما هذه القصة فألم ما تدور عليه
حوادثها الأخلاق والسياسة وعواقب
الاستبداد ، واستبعاد النساء
للمهورات . وقد أفرغ المؤلف في
قالب جناب فائق . أما القصة وهي
للؤامرة التي قضى بها على الراهب
الناشق فن أعجب ما تخيله فكر
قصص خصب ، وقد فطرت القصة
بخرطة تين معالم اللذ وألم ما فيها
ولم تر فائدة ميسرة في لغتها ،
فنتكفي بذكر ملود فيها من الأسماء
تقاربا من رسمها ربما قد لا يهتد إلا
خير جفرا في دز قبادانيا : اسم الملكة
وهي واقعة بين توكسانيا ودز قبادانيا
جوك فاكوس طامتها على نهر
شاطور . وهي مدينة صغيرة .
طوكين : جبل عال في شمال الملكة
الثلاث ولا يحول بينها . تسار كوسيلو
فلاخش : مقاطعة الراهب التي ولد
فيها وعاد إليها . ماشفات : قرية من
غاسمة المقاطعة وهي التي استقر بها .
شاطور : نهر كبير يخترق المملكة
وعبر العاصمة والقرية . توكسانيا
ودز قبادانيا : جارتان صديقات دز قبادانيا

منذ الشهر العاشر من عام
١٥٧٥ زرع فيدور الثالث على
عرش جوهو فجاجوس عاصمة
دز قبادانيا ، في قصر متين
واسع الأرجاء ، تحيط به أبراج
وحصون عالية القدرى ، وتلتف
حولها بساتين ناضرة وحدائق
غناء ، وروض خضراء ، وغابات
ملتفة الأشجار شاهقة الأغصان
كأشجار قطرة من جنت عدن .
وكان البلاط الملكي في أقصى
درجات الرقابة ، تحف به مظاهر
المهية وتمشى فيه تقاليد موروثه
منذ مئات السنين ، وتخضع
لنفوذه ألوف الرجال وتخمر أمامه
مئات الرؤوس من القواد والساسة
والملء والمهارة والوزراء
والثقلين . وإذا بقدم جاهل من
طبقة الفلاحين السذج البسطاء
خارج من أعماق « تسار كوسيلو
فلاخش » إحدى مقاطعات

تتال أحداً من أهل النفوذ إلا وهو مردها ومتمنيا
وسائل الله والمك فيها . وما من قمة تصيب أحداً
منهم إلا وجعلها يده ... وأنه من أجل هذه القوة
التنافسة الخارقة قد أصبح الشيخ نواركوتو الحاكم
بأمرة في القصر وعلى قوائم العرش وفي ديوان الملك
ثم في أعتاق الرعية . هو الذي يشقى الرضى بغير طلب
ولا دواء ، ويسالج الجراح دون مشروط أو سلاح ،
ويتخذ من الموت من شارفوا عليه ومدوا يدهم
لمساحة الأبدية ، فكأنهم عند سماع صوته ومقابلة
نظرة قد بشوا من مرادهم . بل هو يحى اللوى
ويعيد إليهم وجودهم ، وأنه على كل شيء قدير ،
وهو الذى ينشئ ويفقر ويعيد المنسوب عليهم إلى
حظيرة الرضى الملكى - سواء أَرْضى الملك أم لم
يرض - وينقل الرضى عنهم والقربين إلى منيق
السلط والنعيب ، سواء أغضب الملك أم لم يغضب .
ليس الملك فيدور والملك كلابوتانا والوزراء والقواد
سوى أدوات صماء في أيدي الراهب الزاهد والكاهن
القانع نواركوتو الذى كان يعيش عيشة النقشف في
بيت ضيع في أحد أحياء المدينة الآهلة بالفقراء .
ولما كان أهل ديزفينايا يحين للاطلاع وقد أقتنوا
صناعة التجسس لأن جيرانهم البرافيديين شرقاً
والتكسومانين غرباً يطعمون في بلادهم ، فقد
حذقوا التنافس الأخبار والتقاطها من أفواه التكلمين
للقوف على الحقيقة التى قد تقدم في النافع من
أوطانهم ، قد سرت تلك السليقة من الحياة العامة
إلى الحياة الخاصة ، ومن التجسس على العدو الخارجى

إلى التجسس على العدو الداخلى . فأخذوا يروون
عن الراهب الرهيب أخباراً يحمر لها الوجه خجلاً
ويقطر العرق من جبين راوبها وسامها حياء ،
لا ينجو من ذلك التلباء والأشراف وزوجاتهم ولا
رجال الدين وسدة المابد في ديزفينايا طولاً ولا عرضاً
وشمالاً وجنوباً . فنسج دهاء السوء وذوور الأسنان
اللاذعة خيوطاً من الأوهام والأخيلة والقصص
وزعموا أنه على الرغم من تقواه الظاهرة ، قد غرس
بذور الإباحة في مزعة الأخلاق الطاهرة واتخذ من
مظاهر الدين وسيلة للتعدى على الفضيلة ، وأنه سخر
من بساطة أهل الاستقامة ورمم بالحماقة والبله .
فلم يقف في طريقه حاجب ، ولم يحل دون أنفاقه في
رغباته وتيار أهوائه حائل . بل إنه لا يسمى ذلك
عيباً ولا لبساً بالفضيلة ولا تندياً على الأعراض ، إنما
هى الطبيعة التى تخضع لها ويلبى نداءها ويصنى إلى
صوتها ويطيع أمرها في كل وقت من أوقات
النهار أو الليل . فهو لا يقترب جرماً متمدداً ، ولا
يخالف مكارم الأخلاق قاصداً ، ولكنه يسمع النداء
من قريب ومن بعيد . فلهذه أكثرات لعنة العذراء ،
ولا لكرامة الزوج ، ولا لراجلة النسب . حقه وهو
« الرجل » مقدم على حق الزوج إذا أراد هو
ووافقته الزوجة . الشرائع والنواين والمقود . .
وسائل مادية بمثابة الأوراق التى تعلق في أعتاق
السلع لتدل على أعيانها أو البطاقات التى تتدلى على
جوانب الحفائب تنسبها إلى ذويها . ولكنها لا تمنع
الرجل اللاعن أن يحمل الحقيقة ويولى بها الأديار

فلما شب الفتى وترعرع ، هوت نفسه إلى الشموذة والدروشة الكاذبة وهو يظن أنه مجذوب إلى باب الدين ، فأخذ ينشئ المابد ، ويطيل الصلاة في الحراب ويتحدث إلى كل من بدا له في ثوب الصلاح ليفيد منه علماً . فكان الوردون يذكرون السجرات وخوارق المادات وحياة الجن وتأثيرها في الانسان وقوة الخير والشر وسيادتهما في كل زمان ومكان ، فغذبه هذا الخفاء في حياة البشر واستدرجه السر والسحر ، وتلب على خلقه الليل إلى التحكم في حياة الناس بتأثير العقل فيمن لاعقل لهم

وكان أهل ديزيدانيا قاطبة من الجسلاء والفلاحين المشغولين بالزرع والقوت والتناسل ، فكان لقوة الخيال ونفوذ الأوهام فيهم المكان الأول ، وكانوا مظلومين ومرهقين ... كان فيدور الثالث ملكا على جانب عظيم من البلاهة ، كانت وراثته ملوثة بالأمراض التي تصيب الجسم والعقل . وكانت ملكته وعقيقته كلاريتانا متحكمة فيه لانحدارها من سلالة ملكية أدنى من سلالته وأسمى . وكانت ذات جمال رائع وشخصية شبيهة بإرادة ملهية وشهوة ملهية . فوضعت في عنق زوجها أغلالاً . فما كان ظلم الرعية يهيمها أو يهيم بها ، وهذه الرعية الجاهلة الفقيرة يجهلها أكثر من فقرها لجذب أرضها . إن جذب العقول أقرب إلى الفاقة من إسداب الأرض وعقمها

فما كانت كلاريتانا تبالي بأظم الشعب أم لم يظلم ؟ وقد اخترع السكينة الرعية فكرة الملكوت الأعلى

ليستمتع بما فيها من أدوات الرثينة ... وهكذا النساء الأبنار والنيات والمزوجات والمشوقات ، كلهن في نظره ملك يمينه وراقصات في هيكل مذاباة الذي لا تنقل أبوابه . لقد كانت تلك المواهب والذخائل واضحة في ذهنه ، وكان واعياً لكل ما يصدر عنه من أقوال وأفعال . ولكن العامة ظنوه غامضاً . . . وأين الغموض أيها الحق ؟ إنه رجل متبند ، قوي الإرادة قوة نادرة ، سورمان إذا شئتم ؟ أتقن حكمة الدين وحكمة القلم وحكمة اللسان ، يصلح ويسحر ويريد وينال ما يريد غير مدافع ولا متنازع ولا مقارح . أنهم يسمعون بعض ذلك رذيلة وهو يسميه إشباحا واستماتحاً . ترون فيه الشر والجانب الأسود ، وهو يرى فيه الخير والجانب الوردى . الله المحبة . والمحبة كل شيء ولا حدود لها . وهؤلاء الريدون من ساسة وقواد وأعمراء وكواعب فاضحات وفتيات مخدوعات وظباء غريبة

في سفح جبل طوكسين فيلار ، وعلى ضفاف نهر شانطور يرى السائح في مقاطعة تسار كوسيلو فلاخش قرية هاشقات بيدول ، وهي مربوط أفراس ومستودع مركبات حوافل وملتقى قوافل ، وموطن مكينات البجند والجحافل ، وصرصر دائرة الطرق والسبل من النامسة إلى الداخل ، ومحط رجال التجار والمهاجرين والسافرين من أهل التقوى وأهل الفجور . وقد نشأ نوار كوتو في أحد ميوت تلك القرية المظلة على الحقول والحقنة بالأمجين والنادين .

والمارمونية .. وما حدنا في هذه الحياة الدنيا فلنستمع
 بحواسنا ، بأبصارنا وأسماعنا وبقية جوارحنا ؛
 والذهب كل الذهب في حرمانها ، والأجر كل الأجر
 في تمكينها . أما تذيب البدين فهو وسيلة التطهر
 الذي لا يكون إلا لمن يشمر بأنه مذهب . أما الطاهر
 فلا يتنجس مطلقاً . وها هو الزاهد نواركوتو قد
 صار إمام الذهب وشيخ الطريقة وتجلت قدرة الخالق
 عليه فبدت له تصاوير في الأفق في وحدة الليل ،
 وفي وضوح النهار ... هذه تماثيل القديسين وأمين
 القديسات ترقه وهن يضرن الورد العناب ، ويعطرن
 الأوتار من النرجس ، وأسوات الملائكة تدعوه إلى
 الحضرة اللسكوتية : وهذا هو الوحي بينه وقوة
 الخيال وخصوصية الإدراك الباطن ، وها هو ذا بصير ولياً
 يد الله تدعوه ، وسوت الملائكة يحده ، ونور
 البصيرة يقوده ، وعناية الأرواح المليار شدة وتكؤه .
 فما عليه إلا أن يلي النداء ليرقى أسباب السماء ،
 وها هي ذي الأصوات تهمس في أذنه وتأمره بالسياحة
 الكبرى التي لا وصول بغيرها . فليحمل الأثالة
 والكشكول ، وليتشق الرقة ذات الديول ، وليتأبط
 وعاء القناعة الحافل بالآلاف الطعام من المائدة
 السابوة ، وليقبض على الكاز الذي ينبت في يده أفنانا
 وأغصانا ، ويورق ورصاً وريحاناً ، فليألف الصيف ،
 ولا قر الشتاء ، ولا وحوش الغاب ، ولا أغاني الفراء ،
 ولا آداب الجائمة ، ولا التمايين اللاسمة ، لتخفيفه
 بأنبيائها ومحموها وإن يكن فراشه النبراء وغطاؤه
 القبة الزرقاء ... نفس قوية لا ينقذ إليها من خلال

حتى إن من لم ينل نصيبه في هذه الكرة الأرضية ،
 لن يفوته نصيبه في كرة أخرى ، ولكنها علوية .
 فكانت الرعية أقرب إلى التصديق والاعتقاد
 والايان بالأوهام . هذه المابد قد اقبلت مسارح
 ومراقص ، وتلك الهياكل سارت أما كن للتمذيب
 والتشكيل ، فان الكهنة قد فرضوا على الشعب
 فريضة الايذاء والجلد والجوع وتمذيب الأبدان
 لراحة الأرواح وتنقية النفوس وتطهير القلوب .
 صريح من الوثنية الهندية والبيوريتانية الأيقوسية
 والكويكرزم . لقد سرت الشهوات في الأبدان
 وسارت سيراً عكسياً . كانت الواعر تجلد الشيوخ
 في الخنادق ليحركن من مهمهم الفاترة ؟ وكان الكهنة
 يجلدون المذارى والكواعب ليطهروا من قلوبهن
 وينفروا من ذنوبهن . ومن هذا الجلد والتمذيب
 وشحن السياط ، إلى مذهب إشباع الحواس بيلة
 أن الله خلقها وسواها ، وألمها فجورها وتقواها ،
 خطوة واحدة ! فلم يكن الشيخ الفاجر نواركوتو
 واضع هذا المذهب أو الهادي إليه ، إنما كان أحد أتباعه .
 فسار في أثر تياره وقلد أشياعه ومربيده . وكان فقهاء
 هذا المذهب يهتمون بالتليل والتحليل ، ويبحثون عن
 التزكية بطريق التضليل ... ولكن نواركوتو قد
 وضع المذهب موضع التنفيذ ، فان الله في زعمه لم
 يخلق لنا أعيناً إلا لنرى بها ما يهتمة ويحتمنا ، فلا
 نجعلها تقع إلا على ما يسرنا ، وعلاًنا نشوة وفرحاً ،
 وجعل لنا آذاناً لنسمع بها أحلى الأصوات وأجمل
 الأنغام ، فوجب علينا أن نقر بها حتماً من أنكر
 الأصوات وأرذلها ، وأبدها عن الانسجام

الجسم برد الجليد ولا وهج الشمس ، ولا تمترتها
 رعة ولا يصرمعاداء... وهذه التكايا والأديرة ملجأه
 الهادئ الهانيء عندما تنحور منه قوة البدن أو يحتاج
 إلى التجديد ، كما يشمر الأفصوان للقدس بالحاجة إلى
 تشييد جلده فيسليخ عنه القديم ليحظى بشوب مرقط
 جديد . ولكن هذا البدن كان يلح عليه أحياناً
 إلحاحاً شديداً ، ويضربه إغراء مزيجاً ، فلا يملك أن
 يجرمه ، فإن حرمة أحسن بوزن الآبرة ، فلا بد له
 من اغتر السكر ، والنيب المتحد . . ليقيق ، أى نم
 ليقيق فهو في نشوة دائمة ، لا تقاومها نفسه الهائمة .
 وبعد الاقافة أو السكر لا بد له من نموة الأبدان
 المظرة ، ولس أجسام الإناث ذات الطراوة
 والخصوبة اللاتنة ، واللبث بالأيدى الرخصة .
 فتلك الجسوم اللينة الثنية التي يمالجها من مس
 الجن لا بد أن تدفع له الثمن ، وما عن الشفاء إلا
 الاستمتاع ومشاركته في اللذة الطارئة والقبلة
 العارضة . هذا هو الاتصال للقدس ، مظهر الحب
 الأعلى ، إفراغ الحقيقة في قوالب الخيال ، فإن لم تكن
 تلك التي تنتمس للعلاج تجرد بنفسها ، فاليه من يلقاها
 في الطريق هزئاً ، في سواد الليل أوفى نور النهار .
 راضية أغنام ، وأطاهية طامع غنية ، أو ممدمة ، طاهرة
 أودامر ، كاهن صالحات لبره القديس من ألم الرغبة
 المحرقة . خمس سنوات ، وسبع سنوات ، وألف دير ،
 ومئات النساء قضاها وطرقها وطاف بها وأظلته
 سقوفها وذاق حلاوتها ومرازمتها وعشرات المرشدين
 والرفاق والمؤمنين تلقى عليهم وتلقوا عليه . وفي

(١) في الأصل تيارا Tiarه أى تاج مقدس يليه رؤساء
 الدين وهو مستدير متفرع فاجترنا له « أرسوصة »

ليزين به منكيه ، ولكن القديس دك وصل ، واستغفر واعتذر . فقال له رئيس الكهان العظم « لم تند هذه القرية بصالحه لاقمنتك ، فلا بد من سفرك فوراً إلى جوه نفاجوس عاصمة ملكتنا ، ومقر عرش مولانا فيدور الثالث ملك ديفيدانيا ، فمكانك هناك بجوار العرش ، وجلسك عن يمين الملك ؟ فهو أحوج ما يكون إلى قوة روحك ، وبركتك » قيل هذا القول بمسمع ومرأى من عجائر القرية وأبكارها شبها وشبابها . وهذا أقصى ما يطمح فيه « رجل الدنيا » من عبد ... ليت عجائر قريتي يريني ! هل كان الكاهن الأكبر مازحاً ما كراً ، أو صادقاً مخلصاً مؤمناً بما وصف به موطنه ؟ هل أراد أن يهدي إلى الملك نصوحاً ومينياً أم يتخلص من مزاحم خيبت لا تؤمن طافية أطاعه وطموحه ؟ ... ولما وصل نواركوتو إلى العاصمة كانت الأمة خارجة منذ عهد قريب من حرب التوكسانين الطاحنة ، ولم توشك أن تنفض عن أكتافها غبار المزعجة الفاضحة . وكان رأى البوردجوازيين من أهل (جوه نفاجوس) على أشد حال من الاستياء والتذمر بعد الخسارة التكرار التي أصابهم في شرفهم وعزرائطانهم . وكان النبلاء يشمرون بأن قوائم العرش قد تزعزعت ، وأركان السلطان المطلق قد تصدعت ، ولكنها لم تنقوض قشبتوا بالبقية الباقية منها ، منتقدين أن في استمساكم بهم منفعة لهم ولدراريهم ، فقد أمسوا أرقاء الشهوات والترف ، وسرى الفساد في نفوسهم سريان السم في الأبدان . فلم يجدوا علماً يرجعون إليه ، ولا عقلاً يلجأون إلى أحكامه ، ولا علماً يلتفتون حوله ، ولكنهم يشمرون بالخطر ويشمرون راحة النهاية التي تدنو منهم شيئاً فشيئاً .. أويدنون منها . لقد أحسوا أنهم في آخر نهار تلك العظيمة والمجد والهولة التي آنزوا لها وانذر لها . هذا الشمور بآخر النهار عندما يجمل ميزان الشمس ، وتحتقن الأشعة الأخيرة ، هذه القيامة توشك أن تقوم على دولتهم وتغاجبهم بالويل والثبور وعظائم المهلكات . فكان النبلاء والوزراء يلجأون إلى النجيين والشموزين ، ويتركون رجال الدين ويتحكمون بمجدران الهياكل ، ويتدرون التنوير ، ويتلففون البشرات من أفواه الخرفين والهجالين ، فالشر مرقيب وأخير منيب ، والشهوات متحكة ، والملك فيدور الثالث مضمحل الإرادة متحل القوى وهو أكثر رجساً من المستقبل التامض ، ومن الحاضر المظلم من أضف صانع أو عامل في دولته . وكانت الملكة (كلاروتانا) قد أصابها هاء الهيستيريا الجرمانية من ذكورة زوجها حراماً مبكراً ، فاقطعت سلسلة نسلها ، وفوى عود شبابها ، وحف ماء حياتها ، ولم تكن نظم البلاط لتسمع لها بأن تتخذ من الجند أو الضباط عشيقاً ماجوراً مأموراً . كانت تفعل جديتها كريستيانا أو سمائها ييلافونا . فلما أن سمعت بالولي الجديد استدعته بحجة علاجها من أدوائها ما ظهر منها وما بطن . فلما استأذن عليها بأمر رجلها الفاعل رجولته ، بهرها منظره واستولى عليها

ليزين به منكيه ، ولكن القديس دك وصل ، واستغفر واعتذر . فقال له رئيس الكهان العظم « لم تند هذه القرية بصالحه لاقمنتك ، فلا بد من سفرك فوراً إلى جوه نفاجوس عاصمة ملكتنا ، ومقر عرش مولانا فيدور الثالث ملك ديفيدانيا ، فمكانك هناك بجوار العرش ، وجلسك عن يمين الملك ؟ فهو أحوج ما يكون إلى قوة روحك ، وبركتك » قيل هذا القول بمسمع ومرأى من عجائر القرية وأبكارها شبها وشبابها . وهذا أقصى ما يطمح فيه « رجل الدنيا » من عبد ... ليت عجائر قريتي يريني ! هل كان الكاهن الأكبر مازحاً ما كراً ، أو صادقاً مخلصاً مؤمناً بما وصف به موطنه ؟ هل أراد أن يهدي إلى الملك نصوحاً ومينياً أم يتخلص من مزاحم خيبت لا تؤمن طافية أطاعه وطموحه ؟ ... ولما وصل نواركوتو إلى العاصمة كانت الأمة خارجة منذ عهد قريب من حرب التوكسانين الطاحنة ، ولم توشك أن تنفض عن أكتافها غبار المزعجة الفاضحة . وكان رأى البوردجوازيين من أهل (جوه نفاجوس) على أشد حال من الاستياء والتذمر بعد الخسارة التكرار التي أصابهم في شرفهم وعزرائطانهم . وكان النبلاء يشمرون بأن قوائم العرش قد تزعزعت ، وأركان السلطان المطلق قد تصدعت ، ولكنها لم تنقوض قشبتوا بالبقية الباقية منها ، منتقدين أن في استمساكم بهم منفعة لهم ولدراريهم ، فقد أمسوا أرقاء الشهوات والترف ، وسرى الفساد في

قصرها لا تنلق أمامه ، ومداخل مضجعا المللكى
لا سر لها حياه ، ولا يقرضه مقرض من الحراس
ولا الوصيفات... وكانت كلما خضعت لملاجه خلعت
رداء المرض شيئا فشيئا وطاوتها العافية تدريجيا ،
فزالت صفرة وجهها ، وفارقتها الهستيريا التى كانت
تمضيها وتفتخر شبابها وتجفف ماء حياتها ... لقد
كان سرا رهيبا ، لم يقو أحد على إفاحته ، ولم يملك
أن يتفوه به ... وكان الملك فيدور الثالث لا يدركه
ولكن الممس حول رأسه أشبه بطنين التباب

لقد تمت للمجزرة ونحكت الملكة كلاروبونا ناسحا
عاليا ، وزالت غضون جيئها وفارقتها السويداء (١)
ورحلت عن حناجها السوداء ، وزالت أعراض
(اليتاريجا) التكرار ، واختفت علة الميلائنكوليا التى
أضفت شهية الطعام ، وأهتكت قوة أعصابها ،
وامتصت دماء أنوثتها ، وملأت رأسها بالأخيلة فى
المسحوق ، وبالأحلام المزججة فى النوم

وكان الملك فيدور الثالث كلما تمشى البرء فى
بدن خليلته دب السقم فى أحشائه ، فاصفر لونه ،
ونحل بدنه وهزل كيانه ، وعراه خيال وذهول ،
فكان الذى أسبغ ثوب العافية على المرأة ، سلها
فى رفق وأناة من أوصال الرجل ، فازداد ضعفا على
ضعف ، فأهرعت الهولة نفس الأطباء من كل مكان
وبذلت لهم كل ما فرضوا من مال ونوال ورتب
وألقاب طامسة أن يصيب تشخيصهم وعلاجهم

(١) السويداء uclarchotie . ويقال امرأة سوداوية

الفرع والطرب فى آن : فهاهو ذاعلما بين الرجال
شحم الوجه والأنف ، عريض الجبين والتكبين ،
واسع العينين والفم ، خشن الأكف والأقدام ،
رث الهيئة ، ولكنه يبدو كاللوك فى عظمة فطرية
لا يكسبها الجدد الدينوي ولا تخلفها مظاهر الثراء
المالدى .

إنها بلا ريب شخصية جذابة قاتنة ، تخضع
لها الأنثى قبل أن تخضع للملكة . تخضعت الاثنتان
مما : الملكة الدليلة بحرماتها ، والأنثى التمتشة
بحاجة بدنها ... وسرعان ما وقتت المرأة التمتشة
صريمة لسلطان هذا الفلوك ، فقال : إنها مسكونة
وملبوسة (٢) وأن روحا شريرا من الجن يحتل كل
عضون من أعضاء بدنها ، ويسيطر على كل جراحة من
جوارحها ، فلا يد من سيطرة أقوى من سيطرة
الجن ... !

قالت : وأين تكون السيطرة التى هى أقوى
من سيطرة الجن يا أبتاه ؟

فضحك الزاهد ضحكة هريضة ساخرة . وقال :
سيطرتى أنا !

نفرت أمامه وقبلت أطراف ثوبه البالية وقالت :
صدقت يا أبتاه !

ومن تلك اللحظة سلفته قيادها — أعنى قياد
بدنها وروحها — وصارت عابدة الخلعلة وخادمتها
الطبيعة المؤمنة ، وأعطته مفتاحا ذهبيا يبيح له الدخول
عليها فى كل لحظة من لحظات الليل والنهار ، فأبواب

(٢) فى الأصل posadée أى مملوكة قوة خفية

الملكة في ظلام الليل وخفايا القصر ؟ . وأحيطت
رأس الراهب بهالة من المجد وبُدر الصيت ، وهو
بدم لم ينادر بينه الحفير في أحياء الفقراء . ولكن
النساء التيبيلات ، وزوجات العطاء كن يترايمن على

أقدامه ويقبلن إخصه وكتبه ، ويتشبثن بركبتيه ،
قبيل العلاج . وكان العلاج معلوما ، لا بد منه ولا غنى
عنه . . . لا بد لكل امرأة أن تخضع ، وكن يخضعن
مسرورات ، ألم تخضع أول سيدة في البلاد ففاضت
بالصحة والحياة بعد اليأس من النجاة ؟ وعاد ظنين

القلب ريتنا في آذان الملك ، فكان يستدرج الوشاة
حتى يسترقوا له وينقلوا اليه كل ما يشاء وعلا
الأسماخ ، فيأمر بسجنهم ويجريدهم من أموالهم ،
ويضيفها الي طبيبه وحبيه وشانيه ومعافيه ومنجده
ومتقده ، ويقول لنفسه : الحسد والبغضاء والغيرة
السوداء ، إن صبح ما يزعمون عن الملكة — وهو
باطل وإنك وكذب منكبر — فكيف يفسرون
علاجى وشفاى ؟ هل كان يشفى أنا أيضا ؟ لقد
أصاب إذ طلب إلى ألا أسدق الوشاة ، وبهذه

كرامة أخرى : لقد تنبأ بنجث أهل البلاط فأحكم
الحماية من شرهم بطلب النذر منى فأمته ووفيت معه .
كان نوار كوتو أخا أوردجيات ^(١) ، لا يرسم . ولم
تكن أنثى واحدة بكافية ، بل إنثى متعددت ،
وليست قنينة واحدة بشافية ، بل قناني ودنان خنومات .
مفهمات . وليست راقصة واحدة بقاضية أمنية

(١) أوردجيا حلة تنهك وإباحة كانت اليونان والرومان
ويش الفرقيين . وكتبها الرب هكذا .

حجة الصواب ، فكانوا إذا أقبلوا على سريره ورأوا
نحوه وتحول لونه ، وجسوا نبضه ، وسموا دقات
قلبه ، وغصوا دمه ، هزوا رؤوسهم يأسا وقالوا :
« إنما لنفرغ أقصى الجهد ! »

فدخل عليه الزاهد الراهب يوما في غفلة منهم
ومسح جبينة بكفه وقال له : « إن شقيت تنذر لي
يا مولاي نذرا » . قال : « نعم يا أبتاه فما هو ؟ » .
قال : « ألا تميز أذنك لوشاة واشر ، ولا تصدق
في حتى غذل غازل »

قال الملك وهو يكاد يجود بأنفاسه : « لك ذلك
يا أبتاه ! »

فركح الزاهد بجوار السرير ودغى وجهه في
لفائفه وأمن في صلاة حارة ، ولانهاض من صلاة كان
وجهه الأسمر البياكن وشعره الأسود الفاحم ميلاين
بالسموع ، وأخذ يبيد الكرة اليوم بعد اليوم ،
وأخذت صحة الملك بعد قليل في التحسن ، وعادته
القدرة على الطعام والقمود والوقوف — حتى المشى
على الأقدام . . .

فشاع في أنحاء المملكة التكبيرة أن صلاة
(نوار كوتو) قد أذهنت الملك ، بعد أن أذهنت
الملكة ، فأكفهرت وجوه الذين تحدثوا بالسوء من
قبل ونسبوا شفاء الملك الى علاج سفلى ، أو طريقة
شهوانية وخطة شيطانية جعلت الحياة تدب في
جسم المرأة المحرومة ، التي كانت علية بالحرمان .
وقال أنصار الراهب : هل كان بينه وبين الملك فيدور
الثالث غرام واتصال كالذي زعمتم وجوده بينه وبين

زوجته (البلكيا تندريس) قد فرت من القصر ، فوجدت في حال بين السكر والموت ، عارية البدن وموخوذة بأستان مدية طائفة في زورق شرابي ضال في غباب نهر شافطور الذي يمر بالماصمة وقد احتدى عليها بمد أن عذبت . ولكنها كانت في كل الأحوال راضية . فنقل البيلكو حليلته إلى القصر والتجأ إلى الكولونيل (أنفور ماتورى تشايف) زعيم الخفية ورئيس الشرطة السرية ودفع له ألف فلورين ذهباً ووعده بمثلها إن هو أظهر له الجاني الذي استباح عرضه وهتك أستار شرفه ، وجمع بين الفجور والقسوة ... فاستوثق الكولونيل (أنفور ماتورى تشايف) من البيلكو سومان ألا يبادر إلى الانتقام ، وألا يوح باسمه إذا سئل عنه في التحقيق ، فوعده بذلك فقال له : « إنه تواركوتو الذي دأب على استئثار سيطرته على عاشقائه وأنه منح أجمعين لقب الأخت المختارة وكان يوزع إليهن أن يسمين أزواجهن ، فإن الأزواج رجال ضرورة جمعت بينهم وبينهم دواهي المال أو الحب ، أو الخوف من هبة الدين والأهل ، وهذه كلها ترهات ! أما المحبوب القاهر فهو الزوج الصادق الخفي والماشي القابض على زمام الإرادة عن طريق الجسم والعقل » وصمت (الكولونيل أنفور ماتورى تشايف) ووضع سبائته على فيه علامة الأمر لحده بالصمت

وقد أيقن البيلكو سومان أن تواركوتو أصبح صاحب الحول والطول داخل القصر وخارجه وفا الكلمة التي لا تمسى ولا ترد ، وأن أذى الملك فيدور الثالث مقفلتان دون كل وشاية ، لأنه مدين له بحياة وحياة زوجة الملك ، فزاد ذلك من حقد البيلكو سومان الذي أمهت شرفه ، وأمر بقت

النفس بل راقصات ومطربات . . ألم يعلم أن في هياكل الهند ومبادئ الكسبيك نساء عاريات اسمهن عرائس الآلهة البذولات للكهنة ، وأحياناً لكل طارق وعابد . . . وهذه النسوة المشفات حول كوخه ، المحاصرات لسكنته من الفجر إلى نصف الليل ، المرتعيات على أقدمه ، أليس فيهن صالحات لأداء تلك الوظيفة ، وهي عبادة « الاطمشان » ؟ إن قوة الرجولة فيه نادرة المثال قادرة على إخضاع نصف نساء المملكة والتفضاء على أوجاعهن المؤكدة . وقدرة الكورة الكامنة وراء سواد عينه ، وسواد شعره ، وضخامة أعضائه كفيلاً بإخراج الجن من أبدان الكاهنات مهما كان الجنى الساكن عنيداً ، فتارت عواطف التيبلات المهجورات وغلت دماء الشباب في عروق العرائس القواني كن زينة القصور وحلية المجتمع ، ولكنهن زوجات لأزواج لا يزيدون على النجبة والاحترام وتقبييل الأيدي في المجالس والأهباء ، أما عصر تلك القنود ، والمتنع بورد الخلود ، والمناجاة في المضاجع فكانت خارجة عن نطاق جهودهم وشاهدة بسجز مخوتهم عن أجدادهم لأنهم أسرفوا في فتوتهم فلم يدخروا لرجولتهم ، وقد أشملوا الشمة حتى آخرها ، فلم يد في عودها شحم ينفذها أو تستمد منه أشمتها ولما هجروا العقائل في القصور ، كالحظيات في الماقل ، فكان (تواركوتو) كنية آملهن وعمراب عبادتهن حتى الراضيات في الأديرة هجرن المنافع والمضاجع وحلن بيت الزاهد بتمسك الرحة : الرحة يا أبنائه ولم يكن للرحمة التي جرى اسمها على أنسنهن سوى معنى واحد

وفي أحد الأيام علم البيلكو ^(١) سومان أن

(١) لقب شرف مثل كوت ولورد ومؤته يلكيا كما يقال كوت وكوته

فريسته للوهلة الأولى ، فلما أزداد صنع الكرامة كفت الزوجة بأمره عن تسميم زوجها ، فصادفة الصحة ... ولكن الحادثة إذا سببت الملك في أبلغ قالب وأزكى سورة وأصدق رواية لا يصدق قائلها ولا يؤمن به ، بل يرميه بكل سوء ، ولا يفقه من عقاب . وكان لنوار كوتو خادم غخلص اسمه (بانكو) وصريد وفي يدهي لبيوس ، فاستدرجها البيلكو سومان بلال والنساء تنفيذاً لخطة وضمتها رئيسة الدير الموثورة التي كانت مشوقة الراهب ، وبذل لها البيلكو التضار وقدمت لها ربة الدير ما شاءا من راهبات وسقتهما ماروي غلتهما من خر ، حتى أفضيا لها بأن الراهب سوف يكون منفرداً في بيت خلوى وقاء لوعده غرام جديد ، وسوف توافيه إحدى التنبيلات للشتملات بالشوق إلى قربته لتحقيق أحلام الهوى التي يحلم بها نساء كثيرات من طبقها بمد أن أقض هجر الرجال مضاجع ، وأن هذه التنبيلة تخشى مفاجأة زوجها أو أخذ أقربها فتسلعت بالرصاص والسلم وأسباب أخرى للهلاك ، قد توردها موارد التلغف إن تسمت ربح الفضيحة ، وأن هذه الحسنة الخجول الحفزة وتدعى (كوتشتا) لا تلبث أن تصل إلى الفار لتجوس خلاها وتعرف بجانيها ، حتى إذا بلغت يوم اللقاء كانت آمنة موطن الفزع من رقبائها . وأن اليقين قاطع بوجهها وأنها فريسة لخاف من هزيمة . وإن ما أسهل أن يكن واحد أو اثنان من عداة الكاهن ... ثم استمرت الكاهنة الموثورة في وضع خطة عكسة جعلت مصرع الكاهن المتهب من فعل عشيقته اللهبه أمراً ميسوراً وفي اليوم المحدد لزيارة التنبيلة زيارة كشف واستطلاع ، انقلت إلى الفار ثلاثة من التنبلاء الموثورين في أعراضهم وقد تأجلوا حقبة ضخمة

كرامته ، وديست عاطفة الزوجية منه بالأقدام ، ولكنه أضمر الانتقام وسم على النار ، وكان طوال أيامه يبالغ زوجته وينمشها ويطنشها ويستدرجها لثمترف له ، وهو يسجل اعترافها ويخفي وراء الأستار شهود سماع يسطرون أقوالها في ثبت رسمي فمرف الكثير من أسرار الرجل ، وأن امرأتين تبغضانه وتبغضان به البواثر (ستارهنزا) رئيسة دير (بواركان) وهي في أول أمرها نبيلة وقمت فريسة لشهوة وغديره ولم تنل من حبه مآربها ، إذ كانت تمنى أن تستأثر به ، فعلى قد وقفت أموال الدير ، وهي طائلة ، على الانتقام منه . ثم البارونة ييلادونا عقيلة الوزير (ييلهان) وقد كان سيباً في إسقاط بملها وإقصائه عن دست الوزارة ثم هجرها ، وما زالت تهوى في حازون الشقاء والانحطاط حتى صارت تمرض التسري بها على من يشاء لقاء أجر معلوم ، ولكنها مع ما حل بها من الضياع وانفجار الحرمة لم تنس تأرها . فحدثته نفسه أن امتصاره على خصمه قرين عاقلة هاتين المرأتين ، إذ لا أمل في الانتقام من رجل مها علا أو هبط بغير معاونة النساء فأنهن غلاب الشيطان ورأس الأفعى وأداة الشر . ففسى البيلكو سومان الزوج للموتور إليهما وعقد بينهما وبينه أوامر المودة وأفضى إليهما حتى أمتتا جانبه ، وكاتتا بحسبانه في أول الأمر ميثاً عليهما أو أدنا لنوار كوتو أو مولاه الملكة ، فأخذهما إلى قصره وأدخلهما على قرينته ، وأسمعهما من فها قصة ألهما وعارها ، فأطلتاه من أمر الكاهن الزائف على ما لم يسله أحد ، فلم أن السر في شفاء الملك المخدوع أن الراهب إذ كان يتظاهر بسلامة الملكة ، كانت تدس زوجها السليم بأمره ، جبرعات معلومة مقدرة ، من زعاف نباتي لا يترك في الأحشاء أثراً ، ولا يقتل

مشوقته التي كاد يذهب غيبتها كما ذهبت نصبتها . وكانت مواطن الرصاص من جسمه تسيل دما ، ولكنه كان يقاوم عوامل الموت بدوافع حيويته ؛ ويزأر حيناً كالضبع الجريح وطورا يشتم غنمة تبهمه فأهوى عليه الثلاثة الدخلاء بمناجرم وهو يجار ويخور كالثور الكبير والفحل النابغ ويهض ثم يقع متخطبا في دمه ، حتى ترف منظم ماني عروقه وكان دما أسود قائما كدم الجن . فلما أيقن الثلاثة بموته رفضوا لحام المستمارة ، ونزعوا ثيابهم التي جعلهم في صورة أقارب النيلة حتى توهت أنها قد فضحت حقا وأن أبها وأخوها وقفوا على سيرها فأقدمت على القتل والانتحار في حين أن خصوم الكاهن لم يزدوا على أن قلدوا تصاور أقاربها ، وانتحلوها ليحلوا عليهم لحظة تفقد فيها النيلة رشدها بالرب ، فتنتحر أو تقتل الراهب المزيف خطأ . وقد نفذت تلك الحيلة المحككة كما رسمها رئيسة المدير .

فلما تم لهم ما أرادوا غادروا المكان وتخلوا عن الحقيبة وأذاخوا في الماسة نيا مصرع شيطان الانس حتى علت به اللكة واللك . فانتحرت (كلاريوتانا) وجن فيدور الثالث وكاد الشعب على النبلاء الكهنوت ووضع الفلاحون والصناع أيديهم الطامسة على كنوز ديزفينايا فانهز الديفاديون والتوكسيانيون فرمة خلو العرش واضطراب الأمن وزوال العدل فاحتلوا أرض الوطن ... وأقاموا لنواركوتو تمثالا وللنيلة كوتشاو نصبا من المرمر لأن فسوق الأول وخشية الثانية من المار كاسيبيا في امتلاك وطن ديزفينايا وزوال دولتهم .

محمد لطفي جمعة

أودعوها قوتا وأسلحة وسواج أخرى ، فلما فتح الباب ودخلت البارونة (كوتشتا) سبروا حتى غاب سوادها في ظلال الأشجار الوارفة وانسلوا بمحق كاشهم ينفذون مكيدة حرب في مواقع الدرافيديين أو التوكسيانيين جيرانهم وأعدائهم من قديم الزمان ولم توشك المسكينة أن خرجت ، وقد اطمانت وهي لا تدري ما نخبته لها الأقدار والأحقاد . ولم يطل على القابعين الانتظار فقد وافي في اليوم التالي الراهب متريتا في زي أعيان الريف وجاء بده أحد الخادمين يحمل ما يحتاج إليه مجلس الشراب ويغذع الهوى ثم انصرف الخادم وبقي الراهب في الانتظار . وبعد الغروب جاءت النيلة في ثوب ريفية شطاء مبالغة في التخفي وغلفت الأبواب ، وجلست إلى الراهب في استمداد لقطف أحلى ثمار الهوى ، وهي تمجي نفسها بتلقى صدمة الترام النيف^(١) ، تلك الصدمة الأولى التي تشفيها من كل داء

ولم يوشك أن يشرقا من نافذة النشوة على بستان الحب القسيس ، حتى سما دقا على ثلاثة أبواب في وقت واحد ، وقبل أن يسترد الشاشقان الأخوذان روعتهما ، دخل ثلاثة من أقارب النيلة : زوجها وأخوها ... فجنى جنونها وهضت وأخرجت سلاحها فوقف الراهب بينها وبين أهلها فأطلقت الرصاص عليه في لحظة جنون وفزع ثم أدت من فيها خائفا أيضا كانت جعلت فمه غزنا لم قاتل ، فلم توشك أن مصته بشفتيها حتى سقطت صرصة ... وانكفأ الراهب عليها ينشئها بطريقته غير حافل بمحضر الرجال الثلاثة ، في سبيل إهزاء

(١) في الأصل "shock" d'amour ثم ندر المقصود بها ولا سيما وإن إحدى الكلمات انجليزية

جبل النساء

قصة من تاريخنا الذي يكتب الآت
بكترا الأتاذ على الطرظاوت

عطف عليه ليس لأحد من إخوته
الكبار مثله . فكان الصبي للدلال
المحبوب ، الذي إذا سأل أعطى ، وإذا
أمر أطيع ، وإذا أبي شيئا لم يكن ،
وإذا أراد شيئا كان ، وإذا اشتكى
اضطربت الحار ، وأسرع الأقرباء ،

ودعى الأطباء ... وكان عرقان (على هذا) ذكيا
مهدبا ، متقدما في مدرسته ، عجليا بين أقرانه ،
فتائلا بأدبه وخُلقه ، كفتنته بجماله وخُلقه ، فهو في
الرابعة عشرة ولكن جسمه الأبيض القوي جسم
فتى أناف على السابعة عشرة ، له عيتان حوراوان ،
وأنف دقيق صغير ، وشم كأنه زر ورد أحمر ،
ولكن عطره بليغ الكلم ، وشريف القول .
وكان دينيا متينا فشا على طاعة الله ، وأقام الصلاة
وآتى الصدقة ، وما تمعد منكرا من الفعل ، ولا
زورا من القول ، فكان عرقان بهذه الزايا زمرة
اللدات ، وزينة الفتيان ...

أما الفتى الذي ينتظره عرقان ، فهو رفيقه
مختار ، وهو قروي في السابعة عشرة من عمره ،
أحمر شديد السمرة ولكنه جميل الصورة ، دقيق
للملامح جذاب ، وكان شجاعا صاحب دين وشرف
عرفه عرقان في المدرسة طالبا ممتازا ، فلم يلبث أن
جعل رفيقه وصفيه ، وخليفه المصطفى ، وصديقه
المختار

لبث منتظرا على الشرفة حتى بدت طلابع
النجم فأدركه اللباس ، وخامر نفسه ألم الخيبة ،
فأزعج أن يمضي وحده ، وأتقى على الطريق نظرة
الآيس فلما هو بمختار ، مختار يمينه ... فكاد يطير

... لما سمع الساعة تعلن اتقبه لها ، فلما أيقن
أنها (الثانية) وثب من الفراش ، وشمى إلى الشرفة
فأطل منها ، فمس وجهه نسيم السحر الناعش ، فجعل
يشفق منه ويسب عبأ وعلا رقبته ، حتى إذا روى
منه نظر إلى المدينة فرأى ما ناعة ، لا يسمع في رحابها
صوت ، ولا يلمح خلالها نور ، فاطمان إلى هذا
السكون ، وأدنى منه كرسيا فجلس عليه متلفعا
ببهاءه ... وجعل يحدق في الطريق كأنه يرقب
طارقا يطرقه ، حتى طال عليه الانتظار ، وخيّل
إليه أن النجم قد سدت عليه المسالك أو حبل بينه
وبين الطلوع ، ورأى الليل ثقيلًا ، فأحس كأنه
منيع عليه بثقله ؛ وزاده ضيقا أنه جالس في الظلام
لا يستطيع أن يوقد السراج لئلا يوقظ أهله فيفسدوا
عليه الأمر الذي اتفاه واعتزمه ، وهجر لأجله
فراشه وجلس في شرفته يرقب رفيقه الذي يسمده
على تنفيذه ، ولم يكن (في الواقع) نائما ، ولم يخاطب
النوم هذه الليلة جفنيه ، وإنما اضطلع ساعة من
أول الليل يوم أهله أنه نائم ، فلما اطمان إلى أنهم
هيموا نهض فأعد ثيابه ، وهبأ عدته ، ثم استلقى
على الفراش يحلم بالحياة التي يقدم عليها ، ويفكر
فيها حتى لقد أصابه من السهر والفكر صداع أليم
لم يكن له مثله عهد . وكان (عرقان) أسفر أبناء
أبيه التي الترف ، وأدناهم إلى قلبه ، وكان لأمه

وأى رجل ينوق حلوة الايمان ثم لا يرى نفسه أكبر من الدنيا ، وهو لا يرى في الدنيا إلا جناح بموضة ؟ أليس أكبر من جناح بموضة ؟ ومن يعرف حلوة الايمان ثم يستجب من المسلمين الأولين حين خرجوا ليفتحوا الدنيا بسيف ملفوفة بالخرق ويقابلوا ملوك الأرض بطائفة من البدو ... أو يسحب من هذه الفتنة من أهل فلسطين حين تقايل أعظم دولة في التاريخ الحديث ، ولو اجتمع أهل فلسطين كلهم بنسائهم ورجالهم وأطفالهم ما ملأوا حياً واحداً من حاضمتها ؟ لا . لا تمجوا من ذلك ، بل اعجبوا من مؤمن لا يرى نفسه أكبر من أكبر دولة في الدنيا وهو جندي في دولة الله ، ودولة الله أكبر من كل دولة ، لا إله إلا هو ، له الملك وله الأمر وإليه ترجعون !

وابتعدا من البلدة واما سامتان لا يتكلمان ، وعرفان يفكر في أبوه الذين خلفهما يتجرعان النصص لفقده ، ثم يذكر الواجب فيطمئن إلى أنه أحسن صنفاً حين خرج مجاهداً في سبيل الله ، ولكن عاطفته لاتهدأ ولا تفر ، فيحاول أن يسلي بهذه المناظر الفتاة التي تبدو له في هذه النداء الباكورة في غاية الجمال ، فلا ييكبه شيء فيندفع ينفي بصوت خافت حزين هذه الأغنية المروقة ...

« ياوالدي سيصعد موتى فؤادبك واستسكبان الموع غزيراً ، ولكن تراب قبري سيحب فتجف منه دموعك ، ولتلم مدح قلبك ... »
« وأنت ياأختي ... ستسبك الأيام ذكرى أخيك الشهيد ، وستحى سطور الحزن من صفحة نفسك ...

من الفرح ، وأشار إليه أن ينتظر وحل عدته ومشى على رؤوس أصابعه ، ينتشر الباب ، فلما صر بإخوته وهم نيام أدركته الماطفة غاف أن ينلب عليه حبه لم وتملقه بأبوه ، فحس الماطفة في أعماق نفسه واستودعهم الله ... إلى ... إلى غير ما رجعة ، فما يعلم أحد إلا الله ماذا يكون نصيبه من هذا السفر. ومضى هو ورفيقه يجتازان أزقة البسطة حذرين يترقبان لا ينسان بكلمة ، حتى إذا سارا إلى القضاء وأمنا بمض الأمن ، افتتح غتار باب الكلام فقال لمرغان :

— ماذا تظن أباك فاعلا إذا هو تيقظ لم يجدك في الفار ؟

فلم يجيب عرفان وإنما كان يصنى إلى صوت المؤذن يمشى في سكون الليل مشي التناء في الأعضاء فتترنخ منه الأشجار طرباً ، ويؤخذ به للكون مفتوناً ... ويردد ما يقول المؤذن بصوت خافت ولكنه معلوم بالإيمان والثقة بالله : حتى على الصلاة ! حتى على الفلاح ! الله أكبر ! الله أكبر ! فأصنى إليه غتار وجعل يردد الجملة والتكبير ... فلما انتهى الأذان وشمل الكون الكون كرة أخرى مالا إلى دسبة قرية فوقها يصليان وكألاً (كلاوسفت) شابين دنيين تقيين نفسياً حين صليا الدنيا بما فيها. ولما انتقلا من الصلاة سارا صامتين يذكران الله سرّاً ، وكأن هذا الشمر السامي الذي ملكهما ، وهذه المراقبة التي أجبل عليها قلبهما قد أحاطتهما من طالبين صبرين إلى مسلمين من المسلمين الأولين الذين عرفوا الله ، وأدركوا غاية الحياة فصاروا سمداً إن عاشوا لأنهم يعيشون لهذه الناية ، وسمداً إن ماتوا لأنهم يموتون في سبيل هذه الناية ...

في سبيل الله كمثل الصائم القائم لثقات بآيات الله
لا يفتر من صيام ولا صلاة حتى يرجع المجاهد»

ألم يقل لنا إن الجهاد في هذا العصر أفضل منه
في المصور الأولى ، لأنهم كانوا يجاهدون ليضموا
إلهم إخواننا وبلادنا ونحن نجاهد لنُدفع الموت من
أنفسنا وبلادنا ، والجهاد في فلسطين أفضل منه في
البلاد الأخرى ، لأنها لم تكن بلدة بمثل ما منيت
به فلسطين حين دخل عليها اللسان ، فليس أحدهما
جبة الحاكم قضي وهو المص ... وارتدي الثاني
رداء التاجر قاشترى ... وهو السارق ... وكان
خلاصة الأمر كله ، أن تقول للمالك : قم فأخرج
من دارك لنسطها لهذا السارق ، أو ... أو نههم
دارك ، وتقطع رأسك

— رحمه الله — هذا ما قاله بالحرف . لقد كان .

— لقد كان ؟ أنسى أنه مات ؟

— لا . ولكن سفع دمه على أرض الحرم
الأقدس ؟

— ؟ ؟

— لقد شقوه ، شقوه لأنه حمل منسأ :

— أو لا يرون (أولئك) يحملون الصدقات

والسببات جهاراً نهاراً ، فلم لا يشقونهم ؟

— (أولئك) من الشركاء . ولكن مالنا

نتالم ؟ من كان مع الله فلا يحزن ، أنشك في وعد الله ؟

— لا والله ما شككت ، ولكني أفكر في

أستاذي ، رحمه الله ، أيشق عالم جليل فلا يتحرك

له أحد ؟ وهؤلاء الذين يحملون راية الدين ، وعلكون

الحول والطلول ، وتسير بإمتهم الجيوش ... أما

وأنت يا جدي الشيخ ، ستسنى حفيدك
اللقيد ... »

« ولكن أخي لن ينسأني ... »

« أنت يا أخي ستظل ذكرأى بين عينيك حتى

تتأرل من قائل ، وتضع قبري الجاف بدم الغائل »

« وأنت يا أخي الأسفر ... لن تنسأني حتى

تضطجع إلى جانبي ^(١)

فلا يحتم أغنيته حتى تلبس هذه الخامة الشجية

التي تحط على النعم (الأصهباني) بقلب غتار فتثيره

وتهزه فيقول لمرقان :

— ولكنك جرعت أبويك كأس الآلام ،

فتربها منذ اليوم حتى الثمالة ...

فيجيب عرفان حزينا وأهيا :

— أعرف ذلك

وتكون فترة بصمتان فيها فلا يسمع إلا وقع

أقدامهما المجلة على حجارة الطريق الوعر المهجور

الذي تخبراه . ثم يقول عرفان :

— أعرف أني جرعت أبي كأس الأحزان ،

ولكن ما ذا أصنع ؟ أليس لله على حق أكبر من

حق أبي علي ؟ أنسيت يا غتار ما ذا قال مدرس الدين

حين شرح لنا قول نبينا محمد صلى الله عليه وسلم

« من لم يفر ولم يجهز غازيا ، ولم يخلف غازيا في أهله

بخير أصابه الله بقارة قبل يوم القيامة » والحديث

الصحيح « لا يجتمع على عبد غبار في سبيل الله

ودخان جهنم » والحديث الآخر : « مثل المجاهد

(١) أصل نكرة هذه الأنودة لولسوى

إذا دخل العدو أرضاً للمسلمين صار الجهاد فرض عين على كل مسلم ومسلمة كفرض الصلاة .. أنسيت

الحديث الذى علمنا إياه : « سئل رسول صلى الله عليه وسلم عن الرجل يقاتل شجاعة ويقاتل حمية ويقاتل رياء أى ذلك فى سبيل الله ؟ فقال : من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو فى سبيل الله » ونحن خرجنا لإعلاء كلمة الله ، لا لدنيا ولا مال ولا لجاه ولا دفاعاً عن حب ولا أرض ولا وطن ، فانا متنا فنحن الشهداء ، أنسيت الحديث الآخر ؟ إنى لا أزال أحفظه ، رحم الله أستاذنا — أى حديث ؟

— قوله صلى الله عليه وسلم : « ما أحد يدخل الجنة يحب أن يرجع إلى الدنيا وله ما على الأرض من شيء ، إلا الشهيد بمعنى أن يرجع إلى الدنيا فيقتل عشر مرات لما يرى من الكرامة »

— لا لم أنسه ، ليقنا يموت شهداء ، اللهم اكتب لنا الشهادة .

وملكهما حماس طاهر ، فأمرهما وينشدان أنشودة الموت التى يحفظها المجاهدون كلهم ، ويلقونها بنفثة تهتر لها أوتار القلوب كلها ... « أيها المصافيير ! »

« طيري إلى منازلنا وبنى الأمهات والأخوات أننا متنا فى سبيل الله ، ومن أجل فلسطين »
« قولى لمن : إن أجسادنا لن تسكن العبود الضيقة ، ولن نحويها الأرض المظلة ، ولكنها ستسكن بطون القشاعم والنسور الحلقة فى شراع الشمس ، وبطون الدباب الشاردة فى الفضاء الأرحب »

بين أضلهم قلوب تعرف الايمان — فتحر كمهم إلى نصرة الظالمين ؟ ..

— وله ؟ وهل ضعفتا أو جئنا ؟ إن هذه البلاد يا صديق متعودة ، متعودة الحرب . ألم تردّ حبوش أوربة كلها فى يوم من الأيام ؟ فانا بنقص الأبناء عن الآباء ؟ أنسينا ؟ إن نسينا ذكرتنا بتاريخنا هذه الجلالميدوهذه الأسلاد — وذكرتنا بأجنادين ، وذكرتنا حطين ، واسم صلاح الدين ؟ ان الارحام التى ولدت صلاح الدين لا تزال تحمل وتضع ، وان الله الذى نصر صلاح الدين هو الله ، « إن الله يدافع عن الدين آمنوا » فلتدافع عن (أولئك) الدولة صاحبة الأساطيل ، أو فلتدافع عنهم الانس والجن ، إن الله يدافع عن الدين آمنوا ، والله أكبر !

— ولكنى أخشى عليك يا عرقان ، أنتابان الترف والنسيم ، نشأت متقلب فى ثياب الحرير ، وتنام على ريش النعام ، فكيف تنام غداً على الحجر والدر ، وتصبر على الجوع والعطش ، وتحمل قذع الشمس ووقع الرصاص وحر السيوف ، إنها الحرب يا أخى ، إنها الحرب ، ليست جولة كشفية ، إلى البجين در ، إلى الأمام سر ، ثم تعود إلى بيتك فتجد حمامك مسخناً ، وطعامك مهتاً ، وفراشك موطناً . إنها الحرب ليست هزلاً ولا لعباً ، أقستطيع أن تخفى يومك فى الكروالفر ، بين القنابل المتفجرة ، والرصاص المتساقط كوابل المطر ، ثم تقوم الليل كله بلا طعام ولا منام ؟

— لست أدرى يا غنثار ، وما جربت ذلك ولكن الذى أدره هو أنى خرجت مجاهداً فى سبيل الله . ألم يقل لنامدرس الدين ، ذلك الشهيد للزحوم :

البنادق وأعددت لك مائتي رصاصة ، والخيل مربوطة في الساحة ، اذهب يا نوري فرحمان أن يمد الخيل وهات البنادق

فوثب الصبي ليذهب ، ولكن امرأته في الأربعين من عمرها ، سافرة على طريقة الفلاحين ، هذا السفور المحتشم الذي نرجو أن نستبدله بهذا التبرج الفضاح الذي نسميه (هنا) حجاباً ... استوقفته هذه المرأة وأقبلت على ابنها تقول :

— أدخل أولاً

فأطاع غتار ودخل معه عرفان ، ينظر إليها وهي تساقه وقد انفجرت بالبكاء

— أتبكين يا أماء ؟

— لا . ولكني لا أدري هل أراك من بعد أم لا ؟

— ولكن ما بالك يا أماء ؟

— لا شيء ، لا شيء ، استودعك الله ... وهذا الذي ملك ، من هو ؟

— هذا صديق عرفان ابن الوجه الكبير ل... ، آه ، وأنت أيضاً يا حبيبي ؟ أهلاً وسهلاً ، وشرقتا يا بني ، اللهم احفظ وسلم

— أشكرك يا غاة وأستودعك الله .

— ماذا ؟ أنذهبون ؟ لا والله ، لقد تشيتم التهاز بطوله ، أفيجنونة أنا حتى أدعكم تصالونه بالليل ؟ لا والله . بل ننامون هنا ونذهبون إن شاء الله في الصباح مع من بقي هنا من رجال القرية

— ولكن يا سيدتي

— لا والله ، لا أدعكم تقفلون أنفسكم ، لو كانت أملك هنا أكانت ترضي عن ذهابك الآن ؟ أنا مثل أملك يا حبيبي . إن رفيق ابني هو ابني ، ثم إن المجاهدين بل للسلمين كلهم أسرة واحدة ...

ودخلت فتاة صغيرة أصغر من نوري وبها من

« أما أرواحنا فسرقى إلى جنان الخلد »

« أما أسبؤنا فستكتب في كرخ البطولة بأحرف من النور »

« أيها المصافير ، طيري إلى منازلنا قبلي الأسماء والأصوات إرادتنا الأخيرة : هي أن يبيت أطفالنا غلابة بإمرة تكافئتنا »

سارا سحابة نهارها فلبنا قرية غتار في الساعة التي يعود فيها الرعاة من الجبال ، وتردح فيها النسوة على البنوع ، وكان التعب والجوع قد هذا عرفان هدأ ، فأخذه به إلى أكبر دار في القرية ، وكانت تلك دار غتار ، فجاز به (بوابة) من المجر إلى ساحة واسعة فيها فرسان كرمين مرطبان ، وثلاثة من الأبل ، وفي وسطها تل من الملف . فثنى به خللاً حتى انتهى إلى باب الدار فقرعه ، فخرج صبي في التاسعة عرف عرفان منذ نظر إليه أنه أخو غتار ، فقد كانا متشابهين حتى ليصعب على المرء أن يفرق بينهما لولا السن ، ولولا دجج ظاهر في عيني الصغير الكبيرتين اللتين تشبهان إذا فكر الصبي أو أطرق سبحات مقاني ظبي شرود فصاح به غتار :

— أن أبوك يا نوري ؟

فأجاب الصبي بصوت غرد كأنه صوت بلبل :

— ذهب في هذا الصباح إلى الجبل . لقد علم الثائرون بأن حملة كبيرة لم يروا مثلاً ، ستوجه تلقاء الجبل

فلما سمع ذلك عرفان نسي ثيابه واستعاد نشاطه وأحس بقلبه يرقص في صدره فرحاً بالمركة ، وصاح بمختار :

— هلم بنا ، أسرع ، أين البنادق ؟

— حاضرة ! لقد اشترت لك خير أنواع

لئلا يلقوا على الطريق المطروق ما يوقعهم عن غائبهم.
وكانت وجهتهم جبل النار ، فانطلقوا يشدون
أنشودة النار بصوت كانت تضطرب له الجلايد ،
وتتواري منه الأودية الزهية فزعاً ... الأنشودة
التي معناها :

« يا جبل النار ... »

« هل درى من سمك في أول الزمان جبل
النار أنها ستخرج منك النار التي ترهق البني والظلم
والاستعمار ؟ يا جبل النار ... »

« هل درى أن هذه الفئة من أبطالك ستاكل
جيوش الدولة ذات الأساطيل ، كما ناكل التل من
الحطب شملة واحدة من النار ؟ يا جبل النار ... »
« هل دريت أنت يا جبل النار أن الأجيال
الآتية ستتخذ منك حرماً للحرية مقدساً ، فتكون
الشارة الحمراء وللنار المسارين في طريق الجهاد ؟
يا جبل النار »

« يا جبل النار ، صخورك الجسيم التتوقد في
شعاع الشمس ، ولكن الله الذي وطأ لنا ذراها وسمل
لنا صماها ، وأسكنتنا منها أوكار النصور ، وربي
السياع ، هو الذي أحال نارها برداً علينا وسلاماً ،
فأنت جسيم الأعداء وأنت جنة لنا ، فهل اجتمعت
إلا فيك الجنة والنار ؟ يا جبل النار ... »

« يا جبل النار ، تر واضطرم ؟ ولتتبدل لسان
لمبيك ، ولتسقه رياح الشرق نحو الغرب ، وليحرق
دور الظلم ومعامل الاستعمار ، ولو سبحت في البحار
يا جبل النار ... »

« يا جبل النار ، نحن أيضاً جبال من نار ،
نحن الأعاصير المحرقة ، نحن البركان المتفجر ، نحن
الحمم للتوقدة ، فنبداً بمد يده إلى الجحيم ليأخذ منه

أخويها مشابه ، غير أنها أدنى إلى البياض ، وكانت
تلبس إزاراً أخضر ومثقلة بتبدل أحمر زين أطرافه
طرز أصفر من القصب ، فلما رأت الفتى وقفت
وأحجمت ، فصاحت بها أمها :

— أدخل يا بنتي ، هذا أخوك عرفان ، ذاهب
إلى الجهاد ، رجبى به ثم اذهبي فاعدي الطعام ، هيا
حالا . وأنا فارتعاباً بكراً وغسلاً وجهيك وأيديك .
قم يا بوري فأعد الماء وصب عليهما ، ثم اذهبي فساعد
أختك . هيا يا بنت أسمى ، إنهما جائعان ...

قال الثوب والسير الطويل وسهر الليلة الماضية
من عرفان ، فلم يكذب يضع رأسه على الوسادة حتى
انحدر إلى قرارة نوم عميق ، لم يفق منه إلا سحراً
حينما أيقظه غنار ليمشي إلى الجبل ، فهض مسرعاً
فتوضأ وصلى الصبح ، ثم لبس الثياب التي دفعها
إليه غنار ، وأدار العقال على رأسه ، ثم حل بندقيته
واستوى على ظهر فرسه ، ليمشي إلى الجهاد ، وهو
يحس لفرط سروره أن الدنيا على رحبها أضيق من
أن تسمه ...

كان يظن أن الحرب من السهولة بحيث تكون
كما قرأ في (قصة عنتر) فكان يتخيل أبداً كيف
يبرز بعد ساعة إلى الميدان وينادي أنا عرفان ...
فيصول فيه ويجول وينازل الفحول ، ثم يهجم على
الآلاف الموزنة ، فيقتل الرجل ثم يحمله فيضرب به
الأخر ، ويطن الطلعة فيصرح الفارس وفرسه ،
ويضرب الضربة فتتحرق الهامة وتقطع المدرع ، ثم
تنزل إلى السرج فتقده هو والفرس قدماً ...

خرج الرجال من القرية وهم قريب من مائة ،
فهم عشرون فارساً ، فسلكوا الشهاب الوعرية

إلى حفتها بظلفها فتحطمت تحطيا ، وعلموا أن
المركة قد انتهت وكفى الله المؤمنين القتال^(١) فارتدوا
إلى القرية ، أما عرفان فكانت تتقاذفه عاطفتان
الذبح بالنصر الوزر ، والندم على أنه بات في القرية
فلم يحضر المركة ولم تكتب له الشهادة في سبيل الله
فيدخل الجنة

بانح عرفان وأصحابه القرية عند المساء ، فاذا كل
شيء تبدل ، فلا الدنيا بالدنيا ، ولا الناس بالناس ، وإذا
القرية قد همدت كلها ، وأحرق سقوفها وأبوابها
وترافدها ، فاختبل غتار وجن ، فمدا فرسه إلى داره
ولحقه عرفان وبه مثل ما به ، فاذا الدار أكوام من
التراب ، وإذا اللف قد أحرق ، والأشجار قد
قطعت ، فدار في أرجائها ينادي أخاه وأمه ، وهتف
بأخته ، فضاغ صوته في خبيج الرجال وصراخ النساء
فثنى يفتش صامتا ينظر في التراب ، وقد أدركه
الجليل حقيقة فلم يعد يقوى على التفكير في شيء ،
وسلم أمره إلى الله ، وتيمه عرفان ينظر كما ينظر ،
فاذا هو يرى ويلهول ما يرى ، نوري ذلك الصبي
صاحب الصيتين الفاتنتين الدجاوين ... ماني على باب
المسجد قد مزقت حراب الأعداء جسده الأبيض
الجميل وإلى جانبه أمه قد صرعتها رصاصة كسرت
جنيحتها ...

لجذب غتاراً من يده حتى لا يرى ، ولكن
غتاراً أحسن" بالأمر فثر يده وأقبل ينظر فاذا هو
يرى كل شيء ضاع الباقي من وعيه فأنهجي على أمه
وأخيه يقبلهما ويعرج وجهه بدمائهما ، ثم نهض
مهاثفا قمتاوه هو وعرفان على موارثهما حتى إذا

جرة ... ؟ يا جبل النار ، أنت اليوم حطين ، وكنا
صالح الدين ... يا جبل النار !

كان عرفان يثمد الأنشودة وهو رافع رأسه
زهواً ، يظن أنه أوفى الخلافة ، أو أنه غدا خلافاً
أو قتيبة أو طارفاً ... كان وهو في داره يخشى أن
تصيبه شوكة ، ويألم إن لفحته نسمة باردة ، ويفزع
من ذكر المرض ، فما باله الآن لا ينجزع من الموت
بل هو يسعى إليه ويريده ، ولا يأمل إلا الشهادة في
سبيل الله ؟ لقد هان عليه الأعداء وصغروا في نظره
حتى لقد خالهم الدباب أو أسراب النمل حينما وقف
القوم وراء الصخور العالية ، ونظروا إلى الجملة وهي
تجتاز الطريق للبسد كأنها خط أسود لا يبين له أول
من آخر ، ولقد كان الجندي الواحد يراه في يده
أكبر في عينه من هؤلاء جميعاً

ورأى القوم يطلقون النصار فأخرج بندقية
فاطلق منها الرصاصة الأولى ، ولم يصنع شيئاً ولكنه
كبر في عين نفسه وأحس بأنه أصبح رجلاً حقاً
ومجاهداً سديقا ، وود لو يطير إلى الجملة حتى يسقط
عليها ، ولكنه كف ووقف حين كف القوم
ورأوا أنهم لن يصيبوا عدواً .. وساروا في طريقهم
إلى الظهيرة والجملة تبدو لهم عن بعد ثم تختفي وراء
الصخور كأنما كانت تسارهم أبداً وطفقوا ينظرون
إليها فيرونها ثابتة لا ترم مكانها ، حتى إذا أصبحت
عند مغترب الطرق ، وبلغت سفوح الجبال وأقبلت
تتسلقها رأى القوم الأروال تزله الأرض من تحتها
فتخرج أنفائها ، وينقلب عليها سافها ، ويمتلئ الجو
بالدخان ، وكان ذلك كله في لحظة سمعوا على أترها
الموي المائل الذي قصف في الدنيا كأشد ما عرفت
الدنيا من رعد ، فنفدوا أن الثوار قد وضخوا
(الأنفام) على طول الطريق ، وتركوا الجملة تسرى

دار السلام، وأقاموا فيه حرباً، فإنا نتظرون من
الأقوياء للمتدينين بعد ما عايشوا بحرمة الدين وحرمة
الإنسانية البريئة ... ؟ قال جيل النار

— « إلى جيل النار ... إلى جيل النار »
— « هذه مأساة الأندلس ... ولكننا لم ننس
مأساة الأندلس بعد ، ولن ندعها تهادأ أبداً ، لا في
فلسطين ولا في اسكندرون ، ولا في بقعة من بقاع .
وها نحن أولاء ذاهبون نحقق ما نقول ... »

— « إلى جيل النار ... إلى جيل النار »
— « يا أمي ، يا نوري ... يا أختي التي لا أدرى
أين قبرها ، اهجموا في أمان ، فكلما سفك دم جديد
نبئت في القلوب بغضاء جديدة ... كلا ، ما هي
بالغضاء ! ما بالبغض ؟ ما بالعداوة ؟ إن العاطفة التي
يحتويها اليوم ضد كل عربي ، بل كل مسلم ، شيء
أكبر من البغض ، وأشد من الحقد ، وأبلغ من
العداء — إنها عاطفة سوداء مبهمة ، عظيمة مخنقة
تتوارسها القلوب ، فلا ترد إلا سوداء وعظيمة
ورعبة ... »

— « فيا جيل النار ثر واضطرم ، ولتبد لسان
لهيك ، ولتسه رباح الشرق نحو الغرب وليحرق
دور الظلم ، ومعاقل الاستعمار ، ولو سبحت في
البهار ، يا جيل النار »

— « يا جيل النار ، نحن أيمان جبال من نار .
نحن الأعاصير المحرقة ، نحن البركان المتفجر ، نحن
الحمم المتوقدة ، فنذا بمد يده إلى الجحيم ليأخذ منه
جرة ... ؟ يا جيل النار ، أنت اليوم حطين ، وكنا
صلاح الدين ، يا جيل النار »

— « إلى جيل النار ... إلى جيل النار »
« دمشق »

أقام فوقهما شبه قبر ، وما القرية كلها في الحقيقة
إلا قبر ، وضع يده النموسة بالدم على القبر ، وأقسم
لينتقم ... وأقسم عرثان

وتركا أهل القرية يدفعون اللوى ، ويرفون
أوراق المصحف التي ألقيت على أرض المسجد
وديس ، وغادراها تنضج ببيك الأطفال الذين ماتت
أمهاتهم بالبندق ، والأمهات اللاتي قطع أبنائهن
بالحراب . وعادا مع الرجال إلى جبل الحرية للتبع
ينشدون أنشودة الانتقام ...

« إلى جيل النار ، إلى جيل النار ... »
وكان غثار (يصف) لهم بصوت يكاد يقطع
منه الدم ...

« لقد غرست شجرة الزيتون يا أمي بيديك ،
وسقيتها كل يوم تنعطي منها النعمن الذي تجملينه
على رؤوس أبنائك في موكب المرس . لقد نبئت
الهار يا أبي يمينك لتسكن فيها بنيك الذين تحبهم
مع زوجاتهم ، فقطع الأقوياء للشجرة ، وهدموا
الهار ، وتلاوا الأطفال ... »

وم يرددون اللازمة : « إلى جيل النار ، إلى
جيل النار »

— « أرايتم أني نوري ؟ لم يمد يمينيه سبحات
مقلة غلي شرود ، ولا لصوت وثة ببل غرد . لقد
قتله فها هي ذي جثته ملطخة بالوحل والدم . لقد ندم
إلى الأبد على يد أمه التي ذبحها الأقوياء المتمدنون »
— « إلى جيل النار ... إلى جيل النار »

— « أرايتم كلام الله ، وبيت الله ؟ لقد ضرقوا
المصحف وهو كتاب الحق والنور ، وحاسوه
بأقدامهم ^(١) . لقد استعلاوا حرمة المسجد ، وهو

(١) رواية مؤيدة بالصور الفوتوغرافية

تجربة قاسية

مترجمة عن الانكليزية
بقلم الأستاذ عبد اللطيف النشار

على هذا الخط أن شمرت بالسأم وأحست بأن
الحياة عبء ثقیل عليها، فكان لذلك كل عملها
أن تقتل الوقت كأنها هي لا تريد إلا التخلص
من حياتها جزءاً بجزءاً

ولكنها مع هذا السأم من الحياة كانت
زينة الحياة وبهجتها في أعين كثيرين، ومن

النفطات الشائنة أن الناس يحسبون كل جملة العيّن
وسيمة الوجه تكون حتماً ذات ذكاء يتناسب مع
جمالها وتكون ذات روح شعرية

ولئن كان في السيدات من يتجمع فيهن هذه
الصفات فإن صاحبنا البارونة أدبل لم تكن كذلك
بل روحها قائمة مظلة

وكانت متوسطة الطول جميلة شديدة البياض
يحيث يظهر في جلد لها الناصع لون عروقها الزرقاء
وهي جميلة الوجه والأنف صغيرة الفم وردية الشفتين
ذهبية الشعر ولكن عينها كانت أجمل شيء فيها فقد
كانت نظراتها الوسي مثل نظرات الحالم

وقد قضت سنوات في الحداد على زوجها تنقل
بين البلدان فزارت إيطاليا وفرنسا الجنوبية وأسبانيا،
وكان أحب أماكن الاضطيااف إليها جبال التيرول
حتى لقد جمعت كل صورها ومناظرها فوضعتها في
غرفة استقبالها. وفي يوم من الأيام أرادت أن تسلق
إحدى قممها المكلفة بالجليد فلبست ثوباً من القرو
وأمسكت بمصا غليظة وصعدت إلى الجبل قبيل
التروب، فلما وصلت إلى مكان مرتفع منه كانت
الشمس قد غابت. ثم وجدت أنها ضلت الطريق
وأصبحت محاطة بمقاطر مكسدة بالتلج بحيث
لا تستطيع العودة ولا الاستمرار في المشي
وحاولت عبثاً أن تجد لها مخرجاً، ففأت من

إن التغير المستمر الذي طرأ على مركز المرأة
قد سبب كثيراً من مصائبنا الاجتماعية، ولا تزال
الحالة تزداد كل يوم سوءاً

وما دامت المرأة ترى واجبها في الحياة أن تكون
أماً وزوجة وربة منزل فهي شريكة الرجل في سروره
وحزنه وغناه وفقره. ولكنها متى تركت هذا المجال
فلا يمكن أن تكون إلا واحدة من اثنتين: إما خادماً
للرجل وإما حاكمة له، ومن أجل ذلك كان أتمس
السيدات من نساء الطبقة التي يدعونها بالطبقة
الراقية اللواتي لا يرين أنفسهن في حاجة إلى التفكير
في قوت يومهن واللواتي يقضين أيامهن كسالى
بليدات ويهدين بكل واجب من واجباتهن إلى
آخريات، فلهن أقل شعوراً بالسعادة من سائر النساء
ولقد كانت بطلة هذه القصة من النوع الأخير
فإنها نشأت وظلت طول عمرها لا تقدر مسئولية
لشيء، فهي تنتقل من يد الرضة إلى يد الرية إلى
معلم الموسيقى والرقص دون أن تثمر في هذه
الأدوار إلا بأنها غدومة وأن على غيرها واجبات
لها وليس عليها لأي إنسان أي واجب

وتزوجت من رجل متقدم في العمر فأت وهي
لا تبلغ الخامسة والعشرين، وقد وجدت نفسها عند
موت غنية ذات مجيعين كثيرين يجهلها وهي حرة
في اختيار ما تريد وترك ما تشاء، فكانت نتيجة حياتها

يزور بقاعاً مختلفة من الأرض
وفي اليوم التالي زارها فاردورف ودار الحديث
عن زيارته لأمريكا الجنوبية وأفريقيا الشمالية وقرأ
لها قصة أو قصتين من قصص إيفان ترجنيف .
وكانت تصني إلى حديثه متلذذة وتدعوه إلى تكرار
زيارته فكررها . وصارت بعد ذلك تخرج منه إلى
جبال التيرول وإلى غيرها من المنزهات وتدعوه
للمشاة كل ليلة . فأخذ الناس يتحدثون عن علاقتهما
وعن احتمال زواجهما قبل أن يتم التناهي على شيء
من ذلك

وفي ليلة من الليالي كانا جالسين معاً في المنزل
فقال إدليل : « إننا سنفترق قريباً يا فاردورف »
فقال : « لماذا ؟ »

قالت : « لأنني تقيت عن منزلي طويلاً وأريد
المودة ، فهل تزورني هناك ؟ » فقال : « ما الذي
تمنين ؟ هل تحبين ألا أزورك ؟ »

قالت : « ما الذي تمنيه أنت ؟ إنني أتألم كثيراً
إذا ابتعدت عنك » فقال الروسي بلسان متلثم :
« هل تسمحين ... ألا يفضيك ... ؟ »

قالت : « تكلم يا الذي يبتعد عنك من الكلام »
فقال : « إنني أحبك يا إدليل »

فأطالت الباردة التحديق في وجهه فقال :
« لا تمنعيني عن الكلام حتى أقول كل ما أريد »

قالت : « ولكنني لم أعد أومن بالحب » فقال
الروسي : « أعرف ذلك ولم أعط نفسي قط بأنك

ستجاذبيني على حبي مثله ، ولكنك قلت لي مراراً
إنك تمشين بنير غرض ولا تسرين من أي بواعث
السرور قميشي مي زوجة لي وأنا الكليل بأن ينشأ
في قلبك ميل لي بعد الزواج »

الستحيل أن تقدم أو تتأخر أو تملو أو تهبط
فاستغاثت بأعلى صوتها ، ولكنها لم تسمع غير صدى
صوتها فأخرجت من جيب معطنها مسدساً وأطلقت
ولكنها لم تسمع غير دوى الطلقات ، غارت قواها
وجلست على صخرة بعد أن أزلت ما عليها من الجليد
وظلت تبكي

وبعد ربع ساعة صر عن كسب منها رجل
يصفر ففادته وكنته بلهجة لم تتكلم بها منذ سنوات
وهي لهجة التوسل والضرعة وطلبت إليه أن ينقذها
فثنى نحوها رافعاً قميصه عجباً باحترام . وعرض
عليها مساعدته فشكرته شكر الضارع الخاضع ورأت
من ثيابه ومن الأسلحة التي يحملها أنه من هواة
الرياضة والعبيد . ودلها هيئته على القوة والاعجاب
قال لها : « اسمحي لي أن أحملك »

فقال : « أخشى أن أسبب لك تعباً كثيراً »
قال : « لا داعي إلى مثل هذا القول »

ثم حمل الباردة بين يديه فشمعت وهي محمولة
بشعور غريب لم تجربه من قبل . وكانت أنفاسه
الحارة تدق خديها فتسائل نفسها أي شعور هو
الذي يجده في نفسها في هذا الوقت ، هل هو الحب ؟
فلما وصل بها إلى الفندق الذي تقيم فيه شكرته
ودعته إلى زيارتها ووعدها بأن يرافقها في فرصة
أخرى إلى جبال التيرول . وسألته عن اسمه فقال
إنه فردريك فون فاردورف

قالت : « أنت ذلك الروسي الشهير ؟ لقد سمعت
اسمك يتردد كثيراً في الأوساط المالية »

فأخبرها فاردورف بأنه من أسرة ألمانية تنتمي
إلى أسل روسي ، وأن ضياعه في كورتلاندا ولكنه
لم يزرها منذ سنوات لأنه كان في المهمل الأخير

ومضى العام وهما يعيشان معاً في منزلها بفينا
وكان الليل ساجياً من ليالى الربيع الجميلة وهي جالسة
على غرفة بجانب الشرفة وهو جالس عند قدميها
فقالت : « هل نمت ؟ »

قال : « نيت ماذا ؟ » فقالت : « هل نسيت
ههنا ؟ إن اليوم موعده » فمرت جسم الروسى
رعدة باردة وقالت له همساً : « ادن منى وأخبرنى
ما هورأيك اليوم في تمهك قبل أن تسمع حكى »
قال : « إني أرتمس ... » فقالت : « إذن
فاسمع الحكم : « إنك قد أفنتنى بأنك تحبى فليس
عندى شك في ذلك ... »

وهنا ارتجى الروسى على قدميها ليقبلها فقالت :
« لا تفسر فالك لم تسمع بقية الحكم »

قال : « ما الذى تسنين ؟ » فقالت : « إنك أفنتنى
بأنك تحبى ولكنك لم تستطع أن تجعلى أحبك »
قال : « ما أعدد قسوتك يا أدبل ! »

فقالت : « إني أكلك كلاماً صريحاً شريعاً »
قال الروسى : « أنا عند حكك إذن فاقطنى »

فقالت : « هكذا سأفعل قاتى ذاكرة عهدى .
وروحك الآن في يدي ولن أتركها هبة لك . إني
لأحب ولكنى أريد أن أكون محبوبة وأن يحبى
من يحبى فيموت تحت قدمي وأنا أنظر إليه نظرة
احتقار »

قال : « هل تجدين فيما تقولين ؟ » فقالت : « ألا
تصدق ؟ هل حيك لنفسك أكبر من حيك لى ؟ »

قال : « كلا كلا : وإنى مستبد للموت »
فقامت وعادت وفي يدها زجاجة صغيرة مملوءة بسائل
أسود وقالت : « اشرب هذا »

فنظرت أدبل نظرة شاردة من النافذة دون أن
تجيبه بأى جواب وسكت الروسى لحظة ثم قال :
« قررى ياسيدتى بكلمة منك إصاحيانى وإما موتى »
فأجابته وهي تبتسم : « الحياة أو الموت ؟ »
قال : « نعم إني أعنى ما أقول فاني أفضل الموت
إذا لم تحببى » فقالت المرأة التى لا قلب لها : « هذا
مجرد تمبير »

قال : « كلا ولكنك الحقيقة فاختارى لى الحياة
أو الموت » فقالت : « إني سأعطيك مهلة عام فإذا
لم تستطع في خلالها إقناعى بأنك تحبى حقيقة وإذا
لم تستطع أن تبث في نفسى عاطفة الحب بنحوك فاني
سأفنى عليك بأن تقتل نفسك »

قالت ذلك ثم بدأت تضحك ضحكاً عالياً فقال
الروسى وهو عابس مقطب : « إذا حكمت بعدا قضاء
السام بأنه لا أمل لى في الحياة معك فاني أفضل كما
تريدى ولكن يكون لى عندك رجاء آخر »

قالت : « ماهو ؟ » فقال : « هو أن تقتلنى أنت »
قالت : « لك ذلك » فقال : « ولكن هل
تستطيعين ؟ »

« ولم لا ؟ أنه يستوى عندي أنا أن تقتل
نفسك من أجل وأنا أن أقتلك بيدي » فقال الروسى :
« إذن فصاهدي على أنه بعدا قضاء السام إما أن
تقتلنى أو تزوجى منى »

قالت : « أهاهيك على ذلك ولكن يجب أن
تذكر أنت أيضاً تمهك عند اقضاء السام وألا
تنظر منى رحمة »

فقال : « لا وسط بين الحالتين فاما أن تكونى
لى وأما أن أموت »

ومر كلاما يده إلى الآخر فتصاهدا على ذلك

إن المرأة التي تفعل ذلك لا تستطيع أن تحبك نأبي «
قالت اديل بصوت الخافت : « ألم تمد يدي
يا غاردورف ؟ ما الذي جعلك تتغير هذا التغير الفجائي
ألم تمد يدي ؟ » فقال : « إنني لا أحبك الآن
ولن أحبك في المستقبل ، وداعاً ! »

فلطقت اديل عنقه بذراعيها وقالت : « أستحلفك
بحق السماء ألا تجعلي أنس إنسانة في الوجود »
فقال : « أنت التي أنستني وأنست نفسك ، وداعاً »
قال ذلك ثم تخلص منها قارعت على قدميه ولكن
ذلك لم يفد وأظهر قوة إرادته فخرج منفصلاً
ولما جاءت الخادمة وجدت اديل مستلقية على
الأرض جثة هامدة »

عبر اللطيف النشار

فتناولها وقال : « أعرب في حبك يا اديل »
ثم قال : « ناوليني يدك فان قواي تخونني »
ثم أطلت الدنيا في عينيه . وبعد ساعتين أفاق
فوجد رأسه على حجرها وهي تنظر إليه وعلى وجهها
ابتسامة دالة على السعادة

قال : « ما الذي حدث ؟ » فنادته باسمه بصوت
عذب فقال : « هل أنا أعلم الآن ؟ ألم أمت ؟ »
قالت : « كلا وستعيش وستكون لي زوجاً »
فأنى أحبك كما تحبني » فقال : « وما هو السائل
الأسود الذي في الزجاجة ؟ ألم يكن سما ؟ »
قالت : « كلا ، ولكنه غدير » فقال : « لماذا ؟ »
قالت : « لكي أجربك » فوقف الرومي
مسرعاً وقال : « قوليني إنك تحبيني ولكنك مع
ذلك تتركيني أقامى أشد الآلام بقصد اللو والتسلي

مؤلفات

الأستاذ محمد كامل حجاج

- ٤٠ بلاغة العرب جزءان (مختارات من صفوة
الأدب الفرنسي والانكليزي والألماني
والإيطالي مع تراجم الشعراء والكتاب)
٢٠ خواطر الخيال وإملاء الوجدان (متفرقات
في الأدب والنقد والفلسفة والموسيقى
والحيوان وبه روايتان تمثيلتان)
١٨ نباتات الزينة المشينة (على إحدى وتسعين
صورة فنية)

١٥ Les Plantes Herbacées (على بنفس
الصور السابقة)

الكتاب الأول والثاني في جميع المكتبات المهمة
وكتب الزمارة تطلب من
شركة البزور للصرة ببيضان ابراهيم باشا

كتابان قيمان

نسطهرانه في أوامر أغسطس

هكذا تكلم زرادشت

الفيلسوف الألماني فردريك نيتشه

اعتراقات في العصر

لعالم الحاد ألفريد دي موسنيه

وكلاهما ترجمة الأستاذ

فليكس فارسى

من أرسل ٢٠ قرشاً قبل صدور الكتابين عد مشتركا
فيرسل له الكتابان إلى حيث يتم داخل القطر أو خارجه
« دون علاوة لأجرة البريد » ، ومن أرسل ٢٥ قرشاً
يرسل له أيضاً كتاب « رسالة الخبير إلى المرق العربي »
تأليف للترجم — العنوان : إدارة مطبعة البصير بالاسكندرية

حِكْمَةُ الْمَوْتِ

أَفْصُوصَةٌ مَوْصُوفَةٌ
بِقَلَمِ الْأَدِيبِ مُحَمَّدِ بْنِ مُنَوَّرٍ

قد رما خشي التاريخ أمني تاريخ أسرته . فهو
يذكر أن أباه أصيب بالصفط وهو في مثل عمره
تقريباً ويذكر أنه لم يقاومه طويلاً فسأته حالته
وأصابه الشلل فقفى في عنقوان شبابه وقوته .
ولم يكن موت أبيه في عنقوان شبابه حادثاً
غريباً في أسرته ، فهكذا قفى جده من قبل ولم
يجاوز الأربعين ... إن ذا كرتة لا تحفظ له من حياة
والله إلا آثاراً خفيفة لأنه توفي وهو — أى عمداً —
غلام صغير ، ولكن صورة الرجوم الملقاة بحجرة
الاستقبال أثر باق يشهد بالشبه العظيم بين الابن
وأبيه ، وإن الناظر إلى الصورة ليقنع بهبه
الحقيقة التي تدل على أثر الوراثة . فطبيعة الربة
والسنان الصليتان للستديركان ، والأنف الكبير
الناثل إلى الفطس ، والنم المرضي المنطى بالشارب
التليظ ، والوجه للمتلل والجسم البدين ... جميع هذه
معالم مكرزة بين صورة الراحل والشخص الحي
كالأسل وصورة ، وكأن صاحب الصورة هو عمداً
نفسه في ثياب بلدية .. الجبة والقفطان والمهامة ..
ياله من شبه عجيب ! ولم يكن غافلاً عنه ولكن
خيل إليه عندئذ أنه يغفلن إليه لأول مرة في حياته
أو أنه اكتشف فيه مغزى كان عنه خافياً ...

ولا حراء في أن الشبه بينهما لم يقف عند حد
الشكل فظالما سمع والله تنوه بأوجه الاتفاق بينه
وبين أبيه في الخلق والطبع في المناسبات المختلفة ...
فكان إذا احتد وغضب لأتفه الأسباب تنهدت
وقالت : « رحم الله أباك ... ليتني أوردتك غير هذا
الطبع طبياً حادثاً » ... أو إذا جلس إلى الحاكي
ينصت في انتباه ويهز رأسه في طرب قالت وهي
تقسم له : « ابن حلال يا بني ... » أو إذا رجع

منى شهر تقريباً وحضرة محمد أفندي عبد التوى
يشير بتومك الزاج . آيته عمود في الجسم وتقل في
الدماغ ووهن — يشتد حيناً ويخف أحياناً —
في السابقين ، وقد سكت عن حالته الطارئة
طوال الشهر وهو يملأها بكثرة العمل تارة
وبإدمان السهر تارة أخرى ؟ وفلا طلب إجازة قصيرة
وكف عن السهر راجعاً أن نمود سمته إلى حالها
الطبيعية ... وانتظر على هذا الرجاء أياماً وما ترداد
حالته إلا سوءاً حتى لم يربداً من استشارة طبيب .
وقال له الطبيب — بعد أن فحصه بدقة وعناية —
إنه مصاب بضغط الدم وأشار عليه بالترام الراحة
أياماً وبالاقتصار على الطعام المسوق والفواكه ،
والامتناع عن تناول اللحوم الحمره وتساطى الخمر
ثم وصف له الدواء اللازم ...

ورجع محمد أفندي من حياة الطبيب خائفاً
مذهوراً كثير المم والفكر ... وقد يكون هذا
— في ظاهره على الأقل — غريباً لأن الضغط
لم يكن شديداً ، ولأنه من الأمراض التي يمكن تلافى
خطرها بالصيانة والحرص في اختيار الطعام والشراب ،
ولأن محمد أفندي شاب في الخامسة والثلاثين
فلا ينبغي الضغط بما ينذر به ذوى الستين أو السبعين .
والأعجب من هذا كله أنه لم يكن غافلاً عن هذه
الحقائق ولكنه في الواقع لم يخش المرض في ذاته

الموت قد ولي وجهه هذا الأفق القريب لا يحول عنه ، وجبل يديم إليه النظر في استسلام وحزن ويأس ...

وحجب في أحزانه لن يقول إن الموت راحة ، ولم يفقه لها من معنى إلا أن تكون عملاً وسيفاً بمتاع الحياة ، ولكن ما هذه المتاع بجانب ظلمة الموت ووحشة القبر ؟

الموت ! يا له من حقيقة خفيفة ... لم يشعر بهوها من قبل ... ترى ما هو هذا الفلز النامض ؟ وما كنهه ؟ وما حقيقة الروح التي ستفارقه بمد زمن يسير وتعود إلى ياربها ؟ وذكر عند ذلك الآية الكريمة « يسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلا » أما هو فلم يأت من العلم كثيرا ولا قليلا ، وحسبه أن يعلم أن الروح — وهي منبع حياة ووجدانه وأفكاره — ستحجر جسده البائس آخذة معها كل جميل حي غير تاركة خلقها إلا أركاء جثدا ... أو جثة كما يقولون ... فوا أسفاه !

ودلف إلى اللآذنة وألقى على وجهه نظرة ملؤها الأسف والحزن . وتأمل صورته طويلا ، وجبل يقبض كفيه ويسطعها ... كم هو ممثلي صفة وعافية وشباب ! سينضب معين هذا كله ... ويحب غصنه الرطيب ... وتخبض ماني اليفطة في عينيه ... ويعنى جثة ... عمرة ... بقنة ... قدرة ... ترعاه الدبدان ... ما أقطع هذا !

والأدهى من ذلك أنه لم يشبع من الدنيا وأحس في تلك اللحظة كأنه لم يبدأ رحلة حياة بمد ، وود من أعماقه لو متاح له فرصة فيعيد الكرة ، ليميش حياة الطفولة السعيدة مرة أخرى ويميد عهد الصبا

إلى البيت بمد منتصف الليل غلاما متحنا استقبلته قلقة حزينة وتصيح به وهي تقالب دموعها « إن جرح قلبي لم يندمل بمد ... فلا تفجسي فبك كجفت في والدهك من قبل ... » فهو صورة صادقة لوالده في شكله وخلقه وطبعه وما هو ذا يرث عنه مرضه ... فلم لا تكون نهايته كنهايته ... ؟

وأأسفاه ! إن هذه الأسرة مقضى عليها بالدمار فقد قضى جده شابا ، وقضى مثله والده ، فليس إذا هذا المرض من المصادفات الخزنة ... ولكنه بداية النهاية ، وما هو إلا معيد تثليل الدور القصير الذي قام به من قبل المرحوم والده ، وقام به قبله جده ، وما مرضه هذا إلا سبب تمثله بالطبيعة عليه لتنفذ قضاءها المحتوم في شجرة أسرته البائسة اللقضى عليها بالقبول والجفاف في إبان ربيعها ...

وجبل يردد فيا بينه وبين نفسه : « الشكل واحد والخلق واحد والسيرى واحدة والمرض واحد فالنهاية واحدة دون ريب » وتثبت وجدانه بهذه الأفكار قويات عقيدة الموت في نفسه وملأت شعوره فتمثلت له حقيقة لا تترجح ، واستسلم لها استسلاما تاما حتى أضحى على القنوط ، وبات ينتظر القضاء المحتوم الذي يراه قريبا ... بل أدنى إليه من غناؤه ...

إننا جميعا نعلم أننا سائرون إلى الموت ولكننا لا نذكر هذه الحقيقة إلا حين حوادث الوفاة أو لدى زيارة المقابر وفي الساعات النادرة التي نستسلم فيها للتأمل . وفيما عدا ذلك فجلبة الحياة تتمر عادة سكوت الموت ، وحرارة الأمل تقضى عن أفكارنا برودة الفناء . أما الآن وقد ضرب له شعوره ومنطقه موعدا قريبا

تفاجته أغمض العين على القذى وقال لنفسه معزياً
«إن في العمر متسعاً للتشير...» ولكنه لا يستطيع
أن يقول ذلك الآن والموت لا يحمله إلا شهوراً
ممدودة... ولو أن حياته انصهرت على التفاحة لربما
هالت الأمر... ولكنها تلوث في صميمها
بالأم والشر والخنوع مما يندى له الجبين خجلاً
ويتزنى له القلب ألماً وحزناً...

ذكر حياته الحكومية فذكر بها الدل والمهوان
والضمة والجبن... هو ولا شك موظف مجتهد
ودقيق في عمله ولكنه كان دائماً أضف من أن
يقاوم الوسط الذي وجد فيه، فكان يجارى التيار
ويتفادى التصادم ويمنع إشفاقاً من النقل والاضطهاد
فأدى به خوفاً من الاضطهاد إلى أحط أنواع
الاضطهاد والدل، ووجد نفسه يخوض في الأعراض
ويجامل في الحق ويتناهى عن الدل ويسكت على
الاهامة... فيالضمة!

وذكر حادثة أموت به إلى الحضيض وتقبلها
في وقتها قبول الفاجرن، إذ كانت تختلف إلى بيته
امرأة عجوز تحمال على العيش ببيع البيض والغافكة،
وكانت أمه تشملها بالطف قطعها وتكسوها
بما جعل المرأة تطلعن إليها وتمهد لها بحفظ أرباحها
الضئيلة حتى تجمع لديها خمسة جنيهات أوصت
- إذا أصابها قضاء الموت - أن تردّها إلى ابنتها
البائسة وأبنائها البتاي... وماتت العجوز فهدت
أمه إليه برد المال إلى مستحقه... وأسفاه...
لقد كان يعلم أن التوفاة كانت تخفى أمر تركتها عن
ابنتها، فما كان منه إلا أن دس الجنيهات في جيبه
وبددها في المقامرة والشراب... وهضم ضميره
البليد فقلته الشماء وارتضى السرقة وحرمان البتاي.

ويتقلب إلى الشباب عمراً مديداً، ولا يترك الدنيا
إلا وقد شبع من مسراتها وتروّد من خيراتها...
كلّما لم يشبع من الدنيا ولم يتمتع بحياة كما
يبنى له. وإنه ليسأل نفسه وسط حزنه وأسفه
وبأسه: (ماذا صنعت بحياتي؟) فيصيبه الجواب كأنه
ولد بالأمس القريب، ثم يزول عنه الإعياء والعجز
فتأتيه الذكريات تباعاً، خفافاً وثقلاً، فلا يكاد
يظفر فيها بما يجوز أن يمدّه من السعادة المصافية
التي تطيب بها الدنيا وترجي لها الآخرة. أما ما ينقص
الطمأنينة ويتزعزع آمات الحسرة والأسف فكثير
لا يحصى، وما يبقى من الوقت ما يتيح الفرصة
لإصلاح فاسده والتكفير عن سيئه...

ماذا صنعت بحياتي؟ قد يطرح هذا السؤال قوم
فياثمهم الجواب السيد في آيات الفكر التي أوروها
الإنسانية كافة أو الأعمال الجيدة التي بذلوا
لأوطانهم أو الكفاح النبيل الذي أدوه للأسرة
والأبناء، أما هو فلم يك واحداً من هؤلاء... لم
يضطلع ببيعة من تبعاتهم ولم يذلل تضحية من
تضحياتهم ولم تكال هامته بوسام من أوسمة مجدهم
وجهادهم... فلم ينتج في صدره قط معنى من معاني
الإنسانية ولم يعرف الوطنية إلا شفقة لسان وجدل
فراخ، ولم يقدم على الزواج ولا قدر ما فيه من مغزى
طبيعي خالده أو واجب اجتماعي نبيل. وبالجلة عاش
لنفسه يسرف في أسفاد الأنانية وينزلق يوماً بسد
يوم في هوى الحيوانية والجنود...

وقد يكون من المفالة أن يقال إنه لم ينتبه من
قبل إلى تفاهة حياته ولكنه لم ينتبه إليها الاقبياء
الحري بأن يمت فيه روح الندم الصادق وأن يمتد
على التفكير والتجديد، فكان إذا ضايقه التفكير في

الجسم البض حرية بأن تسكن قلبه وتطغى نيرانه .
وكان للتطر والخال هذه أن يتقدم إلى صديقه
القديم طالباً يدعاه ، ولكنه توقع الرفض ورجحه
نظراً للفارق بينهما وبين أسرتهما ، وسلم بثلثه
تسلية دون مناقشة أو مراهجة أو اختيار ، فاقطب
أشد حقدًا على صاحبه وعلى الدنيا جميعاً ... وطارد
الفتاة حتى أوقفها في شباك فكانا يحتلان اللقاء
الحين بعد الحين ، وكانا يذهبان إلى الحدائق يطلبان
غرة من الناس وهناك يلف ذراعه بذراعها وبروي
غلته بلسها وتقبيلها ، ويسطعها في مقابل ذلك وعوداً
خلابة . ثم يعود ظافراً بأشباع عاطفته والانتقام
من كبرياء صديقه القديم ...

يا لها من نذالة ! ... إنه يست بفتاة تصدقه
الحب وتخلص له أيما إخلاص ... فلماذا أن نيتة
صدقت على الزواج منها لربما فاز بشيئة ، ولربما كان
هذا الزواج خير علاج لحياة البائسة . ومن يعلم قلله
كان الآن أباً يمزى بما يخلف في الدنيا من أبناء
يعدون خيط حياته القصير ويعيدون حياته الفانية
وسهما يكن من أمرها عساه صانعا ولم يبق له
من العمر إلا أيام أو شهور ؟ ماذا هو قائل بشهوه
الباقية ؟ هل يركن إلى الراحة والهدوء ؟ أم هل يطبع
على عينيه فيستهر ويتأذى في غيه ؟ أم هل يستطيع
أن يصلح في شهور ما أفسده في خمسة وثلاثين عاماً ؟
ليس الإنسان حراً في الاختيار كما يترأى له ،

وقد كان محمد - على نقاعة حياته وقدراتها - يؤمن
بالله وباليوم الآخر فثبت إيمانه الخوف في نفسه وجعله
يشفق من عاقبة اللوث فاختار سبيل الإصلاح . نعم
قد لا يستطيع أن يصنع شيئاً ذا بال ، ولكنه على
كل حال لن يعدم طعم الراحة التي يشيب عليها
الاجتهاد ...

حقيهم دون وخز أو ألم ... فأى دامة وحقارة !
وذكر ليلى العريدة والفجور التي عرفته فيها
الحانات مدمناً لريم ، وموائد الفار لاعباً مدمناً
لا يشق له غبار ، والسهترات رفيقاً لا يشبع ولا
يرعوى ... أواه ... إنه يذنب له أولاً أن يستل
الدين والإيمان من صدره قبل أن يمد تلك الليالي
الحراء من الحياة السميدة التي لا يجوز أن يندم على
ما فعل فيها ...

وذكر أيضاً غرامه ... فقد استطاع قلبه على
نفاخته وتلوه - أن يحس ويحقق ، ولكنه كان
غراماً عجمياً ، بل لو أن إنساناً سماه كراهية ما جاوز
الحقيقة ... كانت فتاة أخت طبيب كان في صباه
صديقه الحميم ، ثم أتاها عنه أسباب الدراسة والعمل
فاتبع هو إلى وظيفة المجهولة وبدأ الشاب حياة
الكفاح والنجاح ، ولم تكن طبيعة محمد بمستقيمة
أن تهضم هذا الفارق بينه وبين صديق الصبا دون
أن تفرز الحقد والحسد ، وزاد سخطه إهمال
صديقه القديم له وزعمه في معاشرة ، وأجج من
نيران غضبه عليه ما تراه إلى سمه من زيف صديقه
وعدم أكثره للأدب والإيمان بالمع وحده دون غيره .
ولكن ذلك كله لم يستطع أن يححو من صدره ولما
تربى في قلبه منذ السمر بأحسان شقيقة الطبيب
التاك الناحج الكافر ... ما كنه هذا الولع ؟
كانت الفتاة - إذا حرصنا على الجمالة - متوسطة
الجمال وربما دلت بعض قسائها على دمامة ، ولكنها
كانت ممثلة الجسم بسمته ، مفصلة الثنيات خفيفة
الروح ، فكان يسرى من مشهدها إلى صدره ما يشبه
مس الكهرياء ، وكان يبق في أعصابه من أثر رؤيتها
قلق وألم فانتعق فيها بينه وبين نفسه بأن صاحبة هذا

لتنظر منه أبداً وكانت موقع الدهشة لدى الجميع ،
 فاذ بها عن الكرامة ودم « الاغتيا ب » ورد بها
 التحرشين وجعلته بطل ثورة غريبة حار الجميع
 في تحليلها ، ووجد الجو من حوله يتغير سريعاً
 وأنس من البعض ميلا إلى إيماده أو تأديبه ولكن
 شيئاً واحداً لم يتنازه فيه إنسان وهو الاحترام
 للظاهر والماملة اللاتقة ، ورضي بذلك متبسطاً
 ولم يبال ما تخفى الصدور أو ما تخفى الحنايا

ترى أمن الحكمة أن يغضب القوم وهو على
 أبواب الأبدية ؟ ولكن ما حيلته وم لا يرضون
 عن إنسان يعرف حقاً لثامائته وكرامته ، وهو
 على كل حال لا يعبأ بالناس في سبيل مرضاة الله الذي
 هو على وشك الثول بين يديه ...

وإحسان ! ماذا هو صانع بها ؟ لقد ضيع
 الفرصة السانحة وترك شبابه يتسرب من بين يديه
 وهو غافل عنه بالاطمئنان إلى العمر اللديد ... ومهما
 يكن فالأمر واضح لا لبس فيه ، وليس عليه إلا أن
 يذهب إلى صديقه القديم ويطلب يدعا فاذ رفض
 — وهو حتماً سيرفض — عاد مطمئن الضمير ملقياً
 عن نفسه ما ينتصها من وخز الألم والتأنيب ... ولن
 يضير إحساناً اخفاؤه من حياتها لأن عدم الزواج
 من ميت ليس خسارة تذكر ...

وذهب إلى صديقه القديم وحاده في الأمر
 وانتظر الجواب الذي قدره ، ولكن حدثت معجزة
 لم يقدرها مطلقاً ... فرحب به الشاب وقبل طلبه
 وشد على يده بحرارة ...

يا للمعجب ! لقد كان أعمى حقاً ، ولكن
 ما الممل الآن ؟ فقد غدا الزواج منها جرعة لا تنتفر
 لأن ممناه أن يتأدها بعد حين قليل أرملة في

إن الموت قريب وهو يحس بدنوه منه ساعة
 بعد ساعة ، ولكن رسوخ هذه الحقيقة في نفسه
 جمع شتاتها وقوى جنانها وملاء شجاعته واستهتارا
 بالغاوف ، مخاوف الدنيا جميعا ، وم يخاف بعد اليوم ؟
 بل كيف يخاف شيئاً ؟ لقد كان حب الحياة مبعث
 غناؤه جميعا ، فلما صار حبا ضائما لا فائدة فيه انحلت
 عقدة مخاوه وانطلق من إسماره حراً طليفا لا يتوء
 صدره بشئ من تكاليف الحياة ...

كم كان يخاف الرجال — أو بعض الرجال على
 الأصح — وكأنه يكتشف الآن فقط أنهم أمس مثله ،
 وكم داس على الحق والكرامة في سبيل مرضاتهم !
 وكم ضيع من فرص في الحياة ... لاخوف بعد
 اليوم ... ولاجمالة في الحق ... ولا فر حيث يجب
 الكبر ... ولا إحجام حيث ينبغي الأقدام . كلا .
 كلا . لقد اقبلت المخاوف جميعا ألأعيب أطفال
 وسيشق طريقه في الحياة غير هيا ب .

واستحال محمد افندي عبد القوي إنسانا غير
 الانسان الذي عرفه الناس ...

وكان أول ما صنع أن سحب من تقوده الودعة
 في البريد خمسة جنيهات وذهب ثنوه إلى المرأة ابنة
 المسجور اللثوقة وأعطاهما إياها وهو يقول « ههنا أمانة
 أمك ترد إليك » ووقف لحظة ذاهلا أمام الفرح
 الذي غمر قلب المرأة البائسة وقاض منه إلى أبنائها
 وشمل البيت جميعا في ثوان سرسة ، وشارك فيه وهو
 لا يدري وخيل إليه أنه عمده فأحس بسعادة ظاهرة
 لم يخفق بمنحها قلبه من قبل ...

والننى إجازة وعاد إلى وظيفته بعزم جديد ،
 وحدث ما كان متوقفاً فوق السدام بينه وبين رئيسه
 وبينه وبين زملائه وجرت على لسانه كلمات لم تكن

فأثبت له الموت بالتجربة الواقعة أن الفضيلة لذة سامية، وأن فعل الخير سمادة لا تنجز طالبه، وأن الشجاعة حياة كريمة لا هلاكا محتوماً ...

ولا نحب أن نقدر محمداً بفوق ما يستحقه الفخني أنه كانت تأتي عليه ساعات يغلو فيها إلى نفسه فيهمس حيران متأسفاً : قد تزوجت وأنثيت ... وهجرت حياة الليل اللذيذة ... ولن أكون آمناً بعد اليوم في وظيفتي ... ولكنها كانت أسوأنا خاتمة سرطان ما تنيب في جلبة الحياة الجديدة ...

ولبت يسحب لما صنع الموت منه . ويحبسه من الخوارق والمعجزات . ولما امتلأ صدره بالتعجب والتأمل رأى أن يشرك في أفكاره صديقه الطبيب الذي لا يؤمن بنير العلم والمادة فقص عليه قصته وروى له ما فعلته فكرة الموت بجمانه، وأسنى إليه الطبيب باتباعه، فلما انتهى قال له بسخريّة : « وبحك أتوب عن نعيم الدنيا لهو الموت منك ؟ ... انظر إلى ... أأنت تراني أوأصل الليل بالنهار عملاً واجتهاداً وراء المجد والشهرة والنجاح ؟ أقتل ما الذي أصنع لو اطلعت على النيب وعلت أن الموت متى قريب ؟ ... لا شيء ... اخذ إلى الراحة والهدوء واقضى ما بقي من حياتي بين الكأس والغدوء ! » وضحك ضحكاً عالياً متواسلاً ثم قال بنفس اللجة الساخرة :

« ولكن أأتم متى أتوب حقاً عن الممالك وأهب نفسي للعلم والفضيلة ؟ .. إذا وجدت الخلود ممكناً في هذه الدنيا » وأسنى إليه محمد في صمت وجود ... وازداد عجباً وتأملاً ...

يحب تحفظ

عنقوان الشباب وربما ترك في بطنها طفلاً يتيماً ... ووجد نفسه في حيرة ظلام لا يهتدي فيها إلى مخرج، فقد قبل طلبه بالواقعة التامة وعلت به احسان، ولا شك أنها تنتظر الآن بفرح عظيم الخطوات الختامية وهو لا يستطيع أن يتقدم ولا يدرى كيف يتقدم ...

ولم يربدا في النهاية من الافضاء إلى فتاه بأزمته النفسية بجميع تقاسيلها وواح لها بكل غاوغه وأوهامه، وأصنت الفتاة إليه قلب واع، ولكنها لم تجد من نفسها استمداداً لتصديقه أو موافقة على ظنونه وتقديره، وأبت أن تسلم بما يسلم به قانطاً، وحلت على عرض نفسه على مشاهير الأطباء، ولم تدعه يذهب وحده فذهبت معه ... وأكد الأطباء جميعاً وجود الضئط ولكنهم سخروا من أوامه وأجموا على أن لا خطر يهدده قبل الستين ... وابتسمت إحسان متنبطة وابتسم محمد في حيرة وارتباب، وظل على ارتبابه أياماً ولكنه كان شديد الاستعداد للتأثر والايحاء فأخذت كلمة اللغات تمحون من نفسه المخاوف. ولكنه لم يعاوده شعور الطمانينة إلى الحياة والنجاة من الموت إلا بعد أيام أخرى . فلما كرت ذهبت عنه سحر المخوف وعد نفسه مرة أخرى من الاحياء، وتأمل حياته ساعة فلم يتأكل أن يهتف من أعماق قلبه : يا حيا ... لقد بشت بشتاً جديداً ...

لأنه مات — إننا جاز لنا أن نقول ذلك — ذليلاً كجنا سارقاً نذلاً أعزب، ورد إلى الحياة كريماً شجاعاً أميناً شهماً متزوجاً — فيالجب ! هل يستطيع الموت أن يخلق جميع هذه المعجزات ؟ لقد ثابت عنه قديماً لذة الفضيلة فكبر عليه فعل الخير وهالته الشجاعة وخال الاقدام عليها هلاكا ذريعاً ...

أجال في الشارع عشرين حادثين نقاذتين
أخذنا تنفضان جوع الناس ، وقد انطبع
عليهما برق من القلق والخوف لا يورهما
موقفه كماشق قد يحسب الرقاد الفضوليين .
كان أول ما نفي الفتاة التأخرة بهذه الكلمة
التي أودعها كل نخوفه وروعه :

— لقد مضى على عشرون دقيقة وأنا أنتظر
« يا أديل » ورجال الخفية ألا تحسبن لهم حساباً؟
ثم مضى الماشقان جنباً إلى جنب ، فقالت الفتاة
في انفعال :

— لا أستطيع أن أعمل وصيفة كما أمرتني ،
لأن سيدتي تكاد تشك في ... ثم ... إذا كنت
تظن أنني ما أزال خاضعة لك إنك إذا لمزور ...
إنها المرة التاسعة التي أقاد لك فيها ، ولكن هذا
حسبي ... أهضمت ؟ حسبي هذا . قالت أديل هذا
بنيظ وهياج ، حتى إن صوتها الصاحب وحركها
المصيبة أدخلت الرعب في قلب اللص فقال :

— حتى أنت يا فتاتي ونعيم قلبي ؟ قال ذلك
في تدليل وتجبب وقد رق صوته وانبسبت أساور
وجهه ، فأكسب ذلك عيانه وهيئته شيئاً من الجلال
الذي خضعت لسلطانه « إدليل »

لقد كانت تقاسيم وجه الفتاة الدقيقة الجميلة ،
وطراز هندامها وزينتها تناقض كل التناقضة دور
الشريكة الآتمة التي كانت تقوم به مع هذا اللص
الماشق ... ثم تندم الفتاة على الرفض الذي جهرت
به أمام عشيقها منذ لحظة ، خصوصاً حين أبصرت
اغتراب جفائه إلى رفقة وإيناس ، فقال :

— نعم لقد عرفاني منذ لحظة غضب طاري ،

كلمة

للتصريح بالشاعر المصطفى بول بوجرة
بسم السيد كمال الخريت

المكان « باريس » والوقت عصر يوم من أوائل
الربيع الباسم اللطيف ، وزمر النادين والرائحين تملأ
شارع « ريفول » : وهو الشارع الذي ينتصب
في ساحته تيمال القدسية « جان دارك » وكان
موج دافق متراكب من السيارات والمربيات
والبراجات لا يفتأ يتجدد ويتعالى دويه وهديره
فيصم الأذان حتى لقد كان يمجز أهر رجال الخفية
والشرط عن تعقب أحد من الناس خلال هذه
الزحمة الصاخبة الماجبة من الناس والآلات

لهذا وحده اختار « جول به ليه » هذه الساحة
والساعة موعداً للقاء حبيته « إدليل » . فكان
هناك خلف دكان حلواني يتظاهر بمراقبة قطع الحلوى
يبدأ هو في الحقيقة متجه النظر لزجاج الدكان يرقب
من خلاله ظلال الوجوه وهي تتماكس وتتحرك
على صفحته . كانت في الخامسة والثلاثين دقيق
معارف الوجه ، واسع إنسان العين ، مكفهر
السحنة : تكشف شفتاه الرقيقتان اللتان يظلهما
شارب أشقر ، عن أسنان بيضاء لامعة حميمة ، وتم
هيئته وملبسه من حياة غنى وطلاقة ، ولكن صورة
من الغموض والابهام ، كانت تنطبع على تقاطيع
وجهه . ويشاهد الفتى من خلال الزجاج فتاة كانت
ولاشك هي التي ينتظرها ، قفرت ابتسامة غامضة
على زاوية فمه . حتى إذا اقتربت المصيبة منه ،

الشاب حكاية حياته جازت على عقل السكينة فأمنت به ثم ... ثم أصبحت له خلية بمد فترة من الزمن . وتبلغ حكاية اتصالها بهذا الشاب إلى مسامع زوجها (وكان المبلغ له هو نفس عاشقها) فيطردا للتاجر من منزله . وبعد أيام ثمانية ينهى إليها «جول» عاشقها بأنه ارتكب خطيئة في وظيفته طرد بسببها من مركزه . وعلى هذا فقد أدركت الفتاة أنها حيلة منه ، وأنه يريد إشراكها معه في سلسلة من الجرائم والسرقات لا تتصل حلقاتها إلا بشريكة مثلها من الجنس اللطيف . ومن أصلح لهذا منها ؟! ولسوف يدرك القارئ طبيعة هذه الشركة ومرارها حين يعلم أن هذه المؤامرة التي دار الحديث حول تنفيذها بين العاشقين كآياتي : لقد استخدمت إديل عند سيدة أمريكية اسمها « مس إديث » بوظيفة وصيفة ، وكان ذلك بشهادة كاذبة تحت اسم مستعار مزور . وإذن فلم تكن غاية هذا الوعد الذي ضربه لها العاشق الص في شارع ريفول إلا الاستسلام منها عن موضع صندوق الجواهر التي اعترم تلك الليلة على اختطافها من سيدتها الأمريكية . ولقد مررت على شقة الشاب بسمه الفوز حين بدأت إديل تكلم وتقول :

— لو لم تكن يا جول سي الاعتقاد باخلاصى وحي لا شككت بكلماتي إليك منذ نهاية إنك لتتسخط على حياة الاجرام والتشرد التي تحياها ولكن من يمتنا من مبارحة هذا البلد منذ الند ؟ أبداً لن يعلم أحد بمحقيقة حالنا . ثم إنك ستميش من العمل الحلال ، وسأعتقل أنا مكم أيضاً . وقاطعها الص :

ولكني أحبك على كل حال . وسبب هذا الكلام الذي يدر مني إليك إنما هو الخوف من أن يقبض علينا رجال الشرطة ، ألا تعلمين أن ذلك كان لأحلك ؟ أترينى نسيت غزمتنا على مفادرة هذا البلد بمجرد أن نستطيع ذلك ؟ ألا نذكرين ما قصصته عليك من قبل عن آلاي وأشجاني ؟ ألا تحسبن ما أنا فيه الآن من الضيق والسجن في هذه الحياة التشردة البشيمة ؟! لقد كانت عنيقة جارحة ، تلك الكلمات التي جبهتني بها منذ قليل . فقولى لى إنك نادمة عليها ، قولى ... وحين رأى الص صمت الفتاة الطويل راح يتنفس يدها برقى ، ثم جذبها إلى صدره بضغطة لطيفة ليدبده أراد منها شل ارادة الفتاة وإلهادها عن نورتها عليه . وتلك حاسة سادسة يمتلكها بعض الرجال الذين يعرفون كيف يتجيبون إلى قلوب النساء . ولقد كان هذا الص العاشق يعلم بوحى هذه الحاسة أن هذه الفتاة البائسة إنما هي له بمجملتها مهما ثر

لقد كانت تعبده هذه الفتاة ، فكانت يستغل فيها هذا الوله لتحقيق أغراضه وتنفيذ جرائمه ، منذ اليوم الذي هجرت فيه عن الأمومة حتى هذا اليوم .

في « إديل » كل معنى الصبا الذي ينم عليه وجهها البديع ومعارفها الوسيمة . لقد كانت بنتاً وحيدة لعائلة شريفة متوسطة الحال . مات والدها في حومة القتال وهو يحمل رتبة ملازم ثان ، فاضطرت الصبية عقب وفاته إلى الاقتران بـ « مسيو بارون » وهو تاجر أقشة شرس فظ ، لم ترزق منه ولداً لحسن الحظ . وحين اتصلت بحيالها بهذا الشاب «جول» لم تكن تعرف عنه أكثر من أنه موظف في أحد المصارف ، ولقد لفق لها

علامات الفندق ستبارح الفندق بمنذر تنفضله أم
قالت « إيدل » في حس :

— لست أظن أن أكون مساعدة لك في
جريمة قتل ، إن ذلك هائل . إن ذلك مالا أظن .
قال « جول بليه » :

— ثق أن ذلك لن يحدث أبداً ، لأن كل
شيء سيجرى في سكون وخفاء كما هي عادتنا في
السرقة ، وهي أنى فوجئت بما لم يكن بالحسبان ،
إني سأدافع عن نفسي ، وسأختار أن يفصل رأسي
على أن أذكر اسمك بسوء أو وشاية ، إلا إذا كنت
أنت تذكرين اسمي في مثل هذه الظروف . أجبني
أذكرين اسمي ؟

— أبداً مطلقاً . ألتها وهي ترمقه بنظرة فيها
الاخلاص والשב ، فصرى عن نفس الشاب لهذا
الاحتجاج الذي عبر عنه صوته ومنظرها ، وحين
أدرك الأمر أن هذه المحاورة قد يكون من أثرها
إن هي طالت أن تنبه غواف شريكه ثانية ، فقد قال ،
— ستكون هذه آخر محاولة لمحاولها ، فتشجى
يا حبيبتى وهاتى لى لئمة من شفتك الحلو . قال هذا
ثم قادهما إلى جهة كنيسة « سانت روش » في زقاق
ضيق خال من اللارة . هناك جذبها إلى صدره وضما
بين ذراعيه ضمة عنيفة حارة ... ثم ... ثم تلات
الشفاء ... وشعرت الصبية وهي تجوز شارع
« هونوريه » عقب هذه الثواني اللفيفة من الضم
والمناق ، يديب هذا الحب الطاغى يجرى في
عروقها فيجمل منها دائماً آلة مباء في يد هذا
الماشى الام الجليل

لم تكذب « إيدل » تدخل فندق « بيوزيل » .
(٥)

— إن هذا مستحيل في هذا الطرف على الأقل
وأنت تفهمين جيداً وجه استحالة

— ولكن متى يكون أرحمانا ؟

— حين نجتمع لنا ثروة كافية ، وفي هذه الليلة
سيكون ذلك إن نجحت إغارتنا على جواهر سيدتك .
وبهذه المناسبة هل جربت على علبة الجواهر الغائيب
التي ستمناها ؟ وتجييب الفتاة :

— نعم لقد جربت بها يا جول فتجعت كل النجاح
— وهل أنت مطمئنة إلى أن المقد الثمين
اللوئزي موجود في العلبة وأن سيدتك لن تتفله
هذا المساء ؟

— بالطبع لأنها ستفدى في « نوى » عند
مدرستها القديمة وستعودنى معها وعندى أن الوقت
اللائم لدخول الفندق هو الثامنة مساءً أو الثامنة
والربع . قال اللص الماشى :

— لقد فهمت ، سأكون في الثامنة عند باب
فندق « بيوزيل » الذي يشرف على شارع « سانت
هونوره » ولئن سألتى سائل عن وجهتي لأقول له
إلى مدام « زيرلى » فقد بطنى أنها تقطن شارع
يتفرع عن شارع « ريفول » . لسوف أمر بأول
ممر من الفندق عن يميني ، ثم أسعد درجتين ، ثم
أصل إلى الزرفة التي رقمها ٦٧ ، ستكون مفتوحة
بالطبع ، وسألقى أمامها دهليزاً ثم ردهة صغيرة .
إن علبة الجواهر في خزانة غرفة النوم ، وقد وضعت
أنت للفتاح تحت سجادة السرير ، أليس ما أقوله
صحيحاً بالضبط ؟ قالت الفتاة :

— تماماً تماماً ، ثم أردفت بإرتماش :

— ولكن عدنى أنك إذا لقيت أحداً من

هذا الانجذاب أو النفور أصدر في مدامتي لوصفاتي « يا إديل ». لم يكده عفى على اديل ثلاثة أشهر عند « مس اديث » حتى عرفت هذه الأخيرة حين نزلت من نفسها الوصفة منزلاً حسناً ، أن تعرض عليها السفر معها إلى أمريكا مع سلفتها الألمانية . ولكن شيئاً واحداً كان يؤلم قلب هذه المرأة الطيبة ، في كل مرة كانت تلتقي اديل الزائفة : كيف تطلب منها أن تكون لها وصيفة في الدرجة الثانية بعد تلك الألمانية الثابتة ؟ أى وسيلة ستستخدمها كيلا تؤلم نفسها وتجرح شعورها ، بينما رسائل تلك تترى إليها بالقدوم ؟ إنها تعلم من حب « اديل » لها وتقائهما في خدمتها مالا تستعجز لنفسها معه أن تقاها بهذا الموضوع . على أن « مس اديث » لم تكن مخدوعة ، فإن « اديل » كانت تبادلها حباً بحب واخلاصاً باخلاص . ولم يكن هذا التمرد والتروء اللذان أبدتهما « اديل » لاشعها إلا أثرًا لا يتلج في جوانبها ويشور في قرارة ضميرها من الندم على ما هي مقدمة عليه من خيانة سيدتها المحسنة الطيبة الكريمة . وقبيل أن يرن الجرس لاستدعائها خطر لها أنه يمكنها أن تنبه سيدتها إلى ما قد تعرض له من الخطر هذه الليلة . لكن رنين الجرس صمقها وأزعجها ، أيكون مشروعا الأيم قد أحبط وانصل خبره بعينيتها ، وهي الآن تريد من استدعائها أن تقبض عليها وتسلمها ليد العدالة ؟ كل ذلك جال بخاطر الشريكة للسكنية ، وهي تسرع الخطا إلى غرفة سيدتها التي يجرتها بهذه الكلمة :

— إنى لن أبرح الفندق هذه الليلة يا « اديل » لأن مدام « رنود » (وهي المدرسة التي قضت عندها

وتضع قيمتها عن رأسها حتى رن في مسمعها جرس غرفة سيدتها ، يدعوها فرددت في ارتجاج وهي توجه لفرقة سيدتها :

— الساعة الآن السادسة إلا ربعا ، وسيدتي من عاذتها ليس ثيابها في السادسة والنصف ، أرى بدا لها في الذهاب فغيرت رأسها ؟ ! أعنى يارب ... كانت « مس اديث » مستلقية على كرسي طويل في غرفة الفندق وكان كل ما يحيط بالسيدة من متاع وأثاث يجعل طابع اللطف والراحة والكرم : هي امرأة في الخمسين من عمرها شقراء تضرب شقرتها إلى حمرة داكنة ذات عينين سمراوين ملتصتين ، ووجه لطيف التكوين يصطبغ بصبغة زهرة حائلة ذلوية . ولسبب يعود إلى مزاجها الصريح وطبعتها البري من التكلف والذفة ، كانت « مس اديث » تحب أن تطبع كل من يحيط بها من الخدم والوصائف على غرارها في الموائد والسلك . فكان يكفها من وصيفاتها الطيبة والاستقامة كي يتقربن إلى قلبها وينزلن من نفسها منزلة الأبناء . انجذب قلب « مس اديث » لوصيفتها « اديل » منذ غياب وصيفتها القديمة الألمانية تلك التي انطلقت إلى أهلها عقب بركة مستحجلة تلقها من أسوأ الميضة . وكى ترك السيدة « اديث » لوصيفتها الألمانية فرصة سانحة للاعتناء بأشياء قروء الاستمانة فيها بغيرها خلال هذه الليلة ، فشامت الصدفة أن تكون بدليتها فتاننا « اديل » تحت اسم مستعار مزور بشهادة ملفقة . وكان أول ما بدرت به السيدة « اديل » أن قالت لها :

— إن لي ثقة كبرى بالانجذاب أو النفور اللذين تحسهما لي رؤيتي للشخص أول مرة ، وعن

— إلى أمريكا ١٢ (رصدتها شريكه اللص في دهشة) تريد سيدتي ...

— أن آخذك معي إلى أمريكا . ثم ثابت « مس أديت » كلامها فقالت

— غير أن هناك مشقة احتمالها يسير عليك ، وهي التي أتردد منذ طويل في الإقضاء بها إليك . فتقول لي الآن في صراحة وجلاء ، أأنت واثقة من حبي لك وإيثاري بمصلحتك وخبرك ؟

— أواه يا سيدتي ، وهل أشك في ذلك وأنت من أعطف الناس علي وأحسنهم معاملة وألينهم كلمة ؟ — إنك لتستأملين معي هذا وأكثر ، وإلا فإنا كان يحدث لي لو أنك كنت بريدة عني هذه الشهرة ؟ ثم عراها الاميركية شئ من الحيرة والحياء ، فاستأثفت تقول :

— وأظنك تدري كين أنه لا يمكن العيش سنين عدة مع وصيفة أمينة كوصيفتي السابقة ، دون أن يتسلق القلب بها ، كما أظنك تحريمني على أني لن أستطيع التخلي عنها ولا سباً أن رسالتها تنبي من يوم لأخز بمجبئها ... ثم إنها هرمة محطمة محتاج هي نفسها إلى وصيفة تنسبها ... وسيكون شديداً عليك أن تكون هي الأولى وتكوني أنت الثانية ... ولكن إذا سلط إليك رأس كل شهر نفس الراتب المتاد ، ووعدتك بأنك ستخلطين يوماً هذه السجوز في خدمتي ، أأراك ترضين بهذا ؟

لقد كان في هذا النوع من التوسل الذي تبديه هذه المرأة الثرية النبيلة أمام خادماتها كرم ونبيل يثيران القلب ويستقران الإحجاب والاكبار . فبم إنها كلمة طيبة لاغير . ولكنها على ذلك تكشف عن كثرغني من حساسية دقيقة وشعور إنساني رهيف وهنا شعرت ادليل رغم موث ضميرها بمرض

مس أديت طامع من حياتها) أبرقت إلى تملني برضها ، وأنا نفسي أحس بشئ من الوعكة والنصف لم نجيب « ادبل » على كلام سيدتها الاميركية ، لأن مشهداً هائلاً كان يتمثل في خيالها تلك اللحظة لتدفق الباب الذي يواجه باب غرفة سيدتها ورزمنه خليلها « جول ييه » وهو يعتقد أن غرفة سيدتها فارغة كما هو متفق . وإذن فإن « مس أديت » ستسمع الضجّة ، وسترى كل شئ . وحينئذ ؟ وحينئذ إما أن تساعد « ادبل » الفرصة فتنبه سيدتها لخطر حبيبها فتكون قد قضت عليه ، أو أنه سيفوز فيقتل سيدتها الكريمة . في ظرف ساعتين ، سيكون هذا الشهد حقيقة راهنة . وهنا ترتجف أوصالها وتشر بقلها بعيد ، وتشاهد الاميركية اسفارها واربعافها واضطرابها ، فتقول في قلبي

— ولكن ما بك يا « ادبل » أأراك مريضة ؟ ثم تنهض من كرسيا الطويل وتتجه إلى وصيفتها ولكن هذه توقفها بإشارة من يدها وتقول — لا شئ يا سيدتي إنه دواء بسيط يمرض لي دائماً وقد انصرف عني الآن

— ولكني أشاهد حالاً غريبة تأخذك منذ أيام ! أيمكن أحد قد ساءك أو آذاك ؟ أنتكون خلعتي لا تنجيك وترهقك ؟ قالت هذا بصوت تسيل نبراته حناناً ونحباً ، ثم أردفت تقول :

— لأن كان هذا ، فأني جد أسفة على ما فرط وخصوصاً أني من السرور بك والارتياح لخدمتك وإخلاصك ، بحيث يقوم بنفسى أن أعرض عليك أسراً : لقد قلت لي سابقاً إن ذؤيك ، ليس لهم أحد غيرك وغير شقيقتك ، أقمتقدين أنهم يرضون بنهايك معي إلى أمريكا ؟

ولا تأسنى ، فا زال لديك وقت مقسع إن سافرت
من الآن ، فليست « كره ل » بييدة عن هنا
كثيراً ، ثم إني لست بحاجة إليك حتى الحادية عشرة
غداً . إنا قولى لى هل أنت متبطة سعيدة ؟ قالت
الوصيفة فى خفوت لم يياغ مسمع سيدتها إلا بمجدد :
— أواه يا سيدتى ، إنى جد متبطة ... ثم
ولّت من الغرفة تكفكف دمة حارة أهدرت
على خدها

وقالت : « مس اديت » لنفسها بمد إذ غادرتها
وصيفتها
— كم هن غيبات القلب بنات الشعب ؟ أنا
واقعة بأن حزنها كان سيه حرماتها من ذكرى
عيد والدها

ومضت ساعتان على ذلك ، وكادت تدق الساعة
الثامنة و « أديل » ما برحت محبسة فى غرفها
ملتزمة كرسيا الذى انحطت عليه عقيب خروجها
من غرفة سيدتها ... وفى غمرة من اضطراب نفسها
وتبكيك ضميرها وتناقض عواطفها وشموها راح
يتادها من جديد شمو الاعتراف بمجمل سيدتها
وكرم عطفها أقوى مما كان يتادها من قبل . حتى
لقد كان واجبه عندها فى تلك اللحظة بفضل حياتها
وحياة حبيبها ومباهاجها .. وتكاد تأزف الساعة
الرهيبة المخجلة : ساعة قدوم حبيبها القاص ، فتنبأها
لذاك حى الخوف من الافتضاح بالإضافة إلى شمو
الندم والتبكيك ، ترى ما ذا تصنع ؟ فى أى مكان
هو « جول بله » الآن ؟ أنتظره على رصيف

الجرعة والانحطاط — بهزة من الندم طالما أحست بها ،
إذ هى تدور من قطب هذه المرأة الصالحة الطيبة
حول محور من لطف وكرم وحساسية . ولكن
هذه الهزة تستحيل الآن وهى تسمح كلاًها الطيبة
إلى زلّة هائلة من الندم ووخز الضمير : زلّت
أشجار قلبها وحنايا نفسها فادت أى ميدان .
وتنظر الفتاة حائرة إلى هذه المرأة الضميفة الطيبة
الحنون التى اعترمت هى أن تضجى بها بعد دقائق على
مذبح خيانتها وحبها الآثم ، فتفيض عينها من الدمع
وتروح تنمتم :

— إنك يا سيدتى رضى الطيبة وعنوان الكرم ؛
وإن لسانى لا يقوم بشكرك على عنايتك بى وسهرك
على . ليس شئ فى الدنيا أحب إلى من خدمتك
فكيف تظنين أنى سأستاء إن قدّمت على وصيفتك
السابقة ؟ سواء لى أ كنت الأولى أم الثانية فى
خدمتك . حسبى أن أكون بجانبك ، ولا يهمنى
شئ بعد ذلك ، ولكن ... وتقاطعا الأيركية :
— ولكن يبنى لك ألا تعقدى أمراً دون
استشارة أهلك . وعلى ذكر أهلك أقول إن اليوم
عيد ميلاد أمك القديمة « أميل » وتذكرت
« إدبل » فى جهد أن ذلك الاسم الخيالى الذى
لفّفته « لس اديت » حين استخضمت عندها إنا
كان من ابتكار خيالها وكذبها . أما « مس اديت »
فقد مضت فى حديثها تقول بلهجة حنون وابتسامة
عطوف :

— لماذا لم تنبئنى بهذا ؟ إذن لكنت سمحت
لك بقضاء يومين بجانب أمك ، ومع هذا فلا تأسنى

به... ولكن أنتشر بذلك الأنسنة الكريمة
 التي أظهرت لها منذ لحظة كل كرم وحب وإخلاص؟
 كلا، كلا، ولكن ماذا بعد هذا التردد؟ وترتفع
 المسكينة وجه الطاوقة، وتتمرر رأسها بين يديها ثم
 تروح في هوة لا قرار لها من التأمل والتفكير...
 ودقت الثامنة فهبت فجأة مذعورة مرهقة تقول:
 الوقت لا يحتمل الامهال والابطاء... فبعد دقائق
 سيأتي «جول» له «شريكها في الام». ولكن
 في هذه الأزمة الفكرية المتحرجة، ومضت في رأسها
 القلق الحائر فكرة وجبهة لم تنتبه لها من قبل وفجأة
 عادت إلى هذه الروح الواهة الثالثة قواها النفسية
 الباطنة بالدهشة والنباهة، كيف لم تقطن لهذه
 الخاطرة من قبل؟ إذن فليها أن تتوجه إلى غرفة
 سيدتها، ثم إلى «مس أديت» كي تقول لها كل
 شيء، وتكشف لها عن باطن الأمر طالبة منها في
 تضرع أن تسدل الستار على هذه الحزاة التي كادت
 أن تكون هي «مس أديت» نحيبها... إنها لتعلم
 من كرم سيدتها وحنانها ما يجعلها تؤمل في المغفر
 من صاحبها الجرم بعد هذا الاعتراف الصادق منها.
 ولا سيما أن كشف أمره معناه كشفها هي
 الأخرى بصفتها شريكته ودليلته إلى الفندق،
 وذلك ما لن تقعه سيدتها... ولكن آجروا على
 الكلام أمام هذه السيدة الحسنة السمحة البرة؟
 آخذتها عن تفاصيل جرمها الحزاة الشائنة التي
 جعلت منها وسيفة مزورة خائنة؟ ولم هذا التزوير
 وما غايته؟ يا لمار يا للشعار...

وفي لحظة عظم في قلبها هذا التأثير، فلفظت

الشارع كي تبده بالخبر وتغتمه من دخول الفندق،
 أقول له إن مشروعه أحيط بإلزامه سيدتها غرقها
 هذا المساء؟ لقد كانت هذه أول فكرة خطرت في
 ذهن المسكينة القلقة، وهي تتمثل عينا حبيبها
 الفاضل الريد بنظرانه الجامدة الباردة وصورة
 المهددة التي تنفر بالويل والثبور، ولكن من يضمن
 أنه سيصدقها فلا يصدر غمما منها إلى غرفة سيدتها
 كي يبحثها هو بنفسه؟ أتحاول احتياقه عن غايته
 الأنيمة؟ ولكن تختل هذا المشهد الفظيع
 الروح: سيدتها بمنف بل سينال عليها ضربا إن
 ألت على صده وردة، وحينئذ والناس ملتفون
 حولها سيدخل شرطي الشارع في الأمر
 وسيقودها إلى التحقيق... وهنا كادت مادة دماغها
 تجمد، حين تختل منظر القبض عليهما. وماذا بعد
 ذلك غير ضبط المصابة وزجها في السجن...
 لا، لا، هذه الطريقة غير ممكنة ولا مجدية، وأحسن
 منها أن تنتظر في الفندق بدم اكتراث عجمي
 حبيبها اللص. إن ذلك ممكن وسهل التنفيذ، ثم...
 شلت إرادتها ثانية فكرة خفيفة لم يكن مبشئا خوفها
 من تهديدات حبيبها، ولكن مبشئا احتسابها
 لضيقها وعجزها أمام نظراته الساحرة المكهية وهنا
 تمثل لها حبيبها ليس فظا ولا جلفا ولكن رفيقا
 رقيقا لطيفا مؤنسا... أإذا طلب منها إخفاء في
 غرفتها كي يزاول سرقة البلية، أرفض؟ إذا أمرها
 أن تسرق هي نفسها المقد الأولوى كي تسلمه لإله
 وهو في مكانه، أتأبى؟ نعم بهذه الوسيلة سيدهب
 بتمه وينتهي المشكل ولا يشمر أحد بها ولا

ونهمزت في هذه اللحظة «مس إديث» بينما أخذت
«إديل» تكلمها وتقول :

— ليس في ما نخشيتك على نفسك ياسيدي ..
ولكن ... جول ليس يوسى أن أسلمه للشرط ...

كلا لست مستسلمة ذلك أبداً ... وما عليك ياسيدي
للافاة هذا الخطر الذي سيحدث بعد دقائق إلا أن

تغلق الباب من الداخل ... حتى إذا أراد الدخول
عليك تحمّ عليه أن يندفع مصراحي الباب ...

وحيثئذ ... تتكلمين بصوت مرتفع مع نفسك
فیفهم أنك لم تبارحى الثرفة هذا المساء ... فينادر

الفندق دون أن يحدث أمر فظيع ... أما في حالة
عدم خروجه فإنك تستطيعين النجاة إلى غرفة ثانية

وهناك تطلين النجدة والنوث ... ابقى مكانك أنت
ودعيني أنا أبدر إلى العمل ... وهنا يقب كلامها

عملها فأهرعت «إديل» إلى باب البهو وأغلقت
ثم أدارت المفتاح في قفله مرتين ، ثم أسقطت عليه

الزلاج المائل . وكذلك وبفس السجلة عملت في
غرفة النوم ما عملته في البهو ، ثم طادت إلى سيدتها

الأميركية وكانت هذه قد سمرت بمكانها كالشولة
أمام هذا للشهد الرعب السريع الصامت . وبينما

كانت المرأان متصممتين الواحدة أمام الأخرى ، وقيل
أن تستمدا شيئاً من حقيقة الموقف التأزم المفاجئ

إذا بضجة تيمت من البهو فنهز أدق عصب من
أعصاب المرأتين ثم تبدو ذراع تدبر زر باب البهو

ولكن المقاومة غير المنتظرة التي وجدها «جول»
بليه «من الثقل» ، أدهشته وصمته فأخذ يحرك
الباب بشيء من الحذر ... صرخت «إديل»
متوسلة ضارعة

كلمة : لا ، لا ، ثم ألقت بهذا التصميم وجه الحائط
ومضت لحظة فاذها تقول في خفوت : ولكن !

إذا ! واستيقظ فيها من جديد قلب المرأة الشريفة
«البورجوازية» فاذها بضيرها ييكها من جديد ،

وإذا بها تزر وتقول : كم سيكون ذلك فظيماً شنيعاً
إن أنا ثمت جانب الصمت . ثم تقول بصوت

مطمئن واضح :
— إن ما ساعله هو جد صائب وشريف ...

وقامت لساعتها خافقة الجوانح مرتدة مضطربة
تقتحم غرفة سيدتها في سرعة كي لا تترك لنفسها

وقتاً للتفكير وموازنة الآراء ... بهذا العزم والصورة
تقرت على باب سيدتها . يا لله ! كم هو رائع حال

ذلك الصوت الذي انبثت إلى أذنها من الثرفة
تأثلاً : أدخل !

كانت مس «إديث» ما تزال مستلقية على
كرسيها وبجانها بقية من طعام كانت تناوله . فحين

رأت وسيفها بهذا القلق والارتباك قالت لها بدشة :
— أو قد عدت ثانية يا «إديل» ولكن

ماذا حدث ؟
— حدث أني خدعتك وخررت بك ياسيدي

وإني لست إلا وصيفة زائفة هي خلية لص فاجر
مجرم سينتهك حرمة منزلك بعد قليل . حدث أني

شريكتك قد زورت مفتاحاً لاستلاب ما تحوى عليه
جواهرك ، وهذا للمفتاح في جيب عشيق الآثم ...

حدث أني ... بت لا أستطيع احتمال تنفيذ هذه
الجرعة للشتماء ضد الشخص الكريم الملائكي الذي
عاملني ويمالني معاملة أم رءوم وأخت حنوة ...

تتبرهن إيمك ، وهناك تيشين في كنفى دون أن
يستطيع لحافك أبداً . فكان جواب « إدبل »
على هذه المكرنة والشهامة دموعا حرارا هنا وقبل
غلسة حارة تقدم هذه الانسانية اللاتئكية التي ترضى
عليها — وهي في قوة سقوطها وتدهورها —
السلام والحب والراية . وهل بعد هذا كرم وصمود
وحنان ؟ ولقد تم الاتفاق بين السيدة وصيبتها
على أن تازم « إدبل » الفندق حتى قدوم الوسيطة
الألمانية ، حينئذ تسبق سيدها إلى « ليفربول »
حيث تنتظرها هناك للابحار إلى أميركا ...

ولكن كم كانت دهشة « مس إديت » عظيمة
حين أفاق في اليوم الثاني وراحت تتمز عينا زر
الكهرباء مستدعية « ادبل » دون أن يرد عليها
أحد .. أخيرا أعزمت الأميركية على استدعاء وصيفة
الطابق الآخر كي تستلمها عن غياب « إدبل »
ولكن هذه جاءت لتنخبرها أن « إدبل » غير
موجودة في النرفة وأن رسالة منونة باسم الأميركية
قد وجدتها على طاولة « إدبل » رسالة ؟ كلا . إن
هي إلا سطور مكتوبة بيد مرعشة هذه هي ...

« إغفرى لى ياسيدتى بمحك ... إني لأشعر

بمجزى عن فراق ... هذا الرجل الذى لن أستطيع
العيش بدونه ... نعم لقد قمت البارحة بمقتراحك
لأنك ملكت قلبي واستوليت على إرادتي بلطفك
وكرمك ... أما الآن ... فأنا والمفتاة ، جد أسيفة
على حبه الذى سأحرم منه إلى الأبد إن لحقت
بك . أرايت ياسيدتى أنى لست من الطيبة والصالح
بمحبت كنت تصورين ... نعم لست طيبة ...

— تكلمى بمحك ياسيدتى فصاحت مس
أديت بصوت هادئ لارعدة فيه ولا اضطراب
— ولكن من هناك ؟ ثم مضت يجاش
رابط إلى مدخل البهو وهي تقول : إذا لم ترد على
فسأنيبه الخدم بدق الجرس ... قالت هذا وأرغفت
أذنيها ، فإذا بها تسمع زفرة جبسة انطلقت من
صدر « جول » لهذه الغلية والفشل الفاجئين ، ثم
تجاسرت الأميركية فوضعت يدها على مقبض الباب
وقد تهيأت لفتح . ولكن في هذه اللحظة سمعت
خفق نمل « جول » يضمحل ذاهبا شيئا فشيئا ،
فهمت أن اللص ينشد ويلوذ بالفرار . ثم تكلمت
قالت :

— لقد انطلق صاحبك يا « إدبل » وسأدق
الآن الجرس كي أشعر الخدم وأهل الفندق أن أحدا
من المصوص أراد دخول غرفتي على ، وبأنى في حاجة
إلى حارس أضمه في البهو بقية الليل . ثم تناولت
يد الصبية وقالت لها :

— أما أنت فأريد منك ألا تبرحيني كي تهمي
على قصة حياتك لأنى أبني معرفة كل شيء



في صبيحة غد هذه الحادثة أفاق « مس إديت »
متأخرة عن موعد استيقاظها ، وكان الاعتراف
البكاى الحزين الذى اعترفت به الوسيطة أمامها ، قد
حرك أوتار قلبها للتبيل فقالت لها في حنان :

— لقد أقدتني من ذلك اللص صاحبك ،
وأنا بدورى أريد استغناذك منه واستخلاصك
لنفسى ... لسوف ترافقيني إلى أميركا ، وسوف

.... لقد فعلت « من إديت » ما طلبته منها
 وصيقتها الآبهة ، على رغم أن بعض قراء الفضائل
 يرون فيه خروجاً عن الطبع الانساني اللئيم . نعم ، ولم
 تكف بالصورة وحدها ، بل وضعت بجانبها مظلوماً
 يحتوى على خمسة آلاف فرنك و كتبت في ورقة فيه :
 « من « من إديت » الأميركية إلى وصيقتها
 الأمانة « إديل » ذكرى عجبها وإخلاصها في
 خدمتي سنتين . وكان في آخر الرسالة هذا القول
 المروف : أما وقد شئت فراق يا بنية فاستمعي بهذه
 الصباية من المال على اللين مع صاحبك بشرف
 « إديت » « وحلال »

كالمحبري

وسأكون ... على ما يحبه مني لا أنحرف عن رضا
 ولا أسير إلا على إرادته ، لأن هذه قسمتي ... إنني
 حين أحاول حياة أخرى ببيدة ... عنه ، أشعر بأن
 برودة الموت تحم على صدري وتمشي في عروقي ...
 وداعاً يا سيدتي ... يا سيدتي الكريمة ، إنني أتوسل
 إليك أن تحمزي أمتعتي في طرد وتبقيه عبد البواب
 باسمي ... وأنا واثقة كل الثقة بأنك لن تحاولي
 إيقافني ولا تسلمي للمدالة حين آتي لأخذ الطرد ...
 ولكن ... أواه كم أنا وقة حتى أطلب هذا أيضاً .
 لأن وضعت يا سيدتي صورتك المزرة المحبوبة بين ...
 أمتعتي لتكونين هذه المرة أطف إنساناً وأكرم
 امرأة عند خادمك المقررة بيمينك وإحسانك إلى
 الأبد «
 خادمك : « إديل »

الملابس القطنية الخفيفة

هي

ملابس الصيف القلائد

تشكيلات جميلة رائعة . ومنسوجات مختلفة مغرية

وألوان ساحرة أخاذة

تقدمها اليكم

شركة مصر للغزل والنسيج

إحدى مؤسسات بنك مصر

متب بارز عظام الخد وعيون حميدة زرقاء
وشعر ناعم أشمت ولكن وجهه ما يزال
جيلا . يحرك داخل الحجرة إلى جانب الحائط
ثم يقف ثانية ساكنا ويتهد وهو يلهث
بصوت خافت فيصحو كيث فجأة ويحرك
في كرسية

كيث - من ؟

لارى (بصوت جامد) - إنه أنا

لارى

كيث (بين اليقظة والنوم) -

أدخل ! لقد كنت ناعما

(لا يلتفت إلى الباب وإنما ينظر إلى
النار بين يداعها الناس)

لارى (يقف بصوت مسوم)

كيث (يدير رأسه قليلا ناحية

لارى) - حسن يا لارى ، ماذا

وراءه ؟

لارى (يهدم داخل الحجرة

ولكنه يجمى مستندا إلى الحائط خارج
دائرة النور وكاش لا يستطيع الصبر
دون الاستناد إليها)

كيث (يهرس فيه) - أأنت

مريض ؟

لارى (يقف جامدا مرة أخرى

ويتهد)

كيث (يقف موليا ظهره إلى

النار ثم يهرس في أخيه) - ماذا

حدث لك يا رجل ؟ (في حالة أقرب

إلى الوحشة تولت من اضطراب أعصابه)

هل اقترفت جريمة قتل حين تقف مضطربا هكذا

كالمسكة ؟

لارى (عاسا) - نعم يا كيث

الأول والأخير

للكاتب جون جالزورث
بقلم الأديب سائى لناقصن

أشخاص الرواية

كيث دارانت مستشار ملكي

لارى دارانت أخوه

وانا

مناظر الرواية

النظر الأول : في مكتب كيث

النظر الثاني : في حجرة وأنا بعد

النظر الأول بتلايين ساعة

النظر الثالث : في حجرة وأنا بعد

النظر الثاني بمهرين

النظر لورل

الساعة السادسة من إحدى أمسيات

نوفمبر في غرفة مكتب كيث ومن

حجرة كبيرة مظلمة ينتشر كثيفة

وليس بها إلا مصباح مكتب يقطع

ضوءه على سعادة تركية ومكتب

موضوعة إلى جانب كرسي ذي سائد

وعظم فهوة أزرقي مذهب تظهر

كاشتها واحدة من الدور أمام النار

الشبوية في اللودج

نرى كيث ناعما في كرسية وقد

اتصل حذاء تركيا أحمر وتدنر بثوب

قديم من القطيفة الرمادية ، وهو أمر

الوجه حاد التلطيع حلق القصة

وقد ابيض جزء من شعره الأسود ،

إلا أن حاجبيه الكيثيين مارالا أسودين . يفتح الباب

للغبي بالسائر والواقع في الجزء الظلم من الحجرة يهدوء

حتى أن كيث لا يثبث . يدخل لارى دارانت ويقف

بالباب لا يدري ماذا يفعل وهو شخص ضامر الجسم ذو وجه

لارى (يصرب القهوة كلها) — اضطرابى !

نعم ! هكذا كانت الحكاية يا كيث — كانت هناك فتاة

كيث — نساء دائماً نساء، وممكن ! حسن ؟

لارى — هى مسحة أحذية . مات والدها ولم

تتجاوز السادسة عشرة من عمرها وتركها وحيدة .

وكان يعيش معها فى المنزل نفل (ولد زنا) فتزوجها

أو ادعى ذلك . إنها جميلة جداً يا كيث . ثم تركها

بعد أن أولدها طفلاً فكادت تموت جوعاً ، فالتقطها

آخر وعاش معها سنتين حتى رجع إليها ذلك الحيوان

واضطرها إلى العيش معه وكان يضربها دائماً .

ثم تركها ثانية حين لقيتها وكانت على استعداد للعيش

مع أى إنسان (يوافق ويمر يديه على شفتيه وهو

ينظر إلى كيث ثم يمسح يديه متحدياً) وإلى الآن لم أقابل

لم أقابل امرأة أحلى ولا أصدق منها ، امرأة وهى

لم تتجاوز العشرين ! ولا ذهبت إليها أمس كان ذلك

الشيطان قد وجدها مرة أخرى فاندفع نحوى

حيواناً كبيراً متوحشاً . أنظر ! (يمس كدمة على

جبهته) فأمسكت بمنقعه القبيح ولما تركته —

(يسكت وتسقط يده إلى جانبه)

كيث — ماذا ؟

لارى (بصوت منخفض) — كان ميتاً يا كيث . ولم

أعرف إلا أخيراً أنها كانت قد تملتق برقبته هى

الأخرى لتساعده (يصمر يده)

كيث (بصوت جاف) — ماذا فعلت بعد

ذلك ؟

لارى — ج... جلسنا بجانب الحفة طويلاً

كيث — حسن ؟

لارى — ثم حملها على ظهري ورتلت إلى الشارع

كيث (بصوت يظهر فيه السكر الشديد) —

يا إلهى ! سكران مرة أخرى ! (يتغير صوته بخوف

نفاث) ما الذى أتى بك إلى هنا وأنت على هذه

الحالة ؟ لقد أخبرتك — لو لم تكن أبهى — تعال

هنا ، ما الذى يؤلمك ؟ ماذا حدث يا لارى ؟

لارى (يتقدم من جانب الحائط المظلم ثم يجلس على

كرسى دى ساند فى دائرة الضوء) — هذا صحيح

كيث (يتقدم إليه بسرعة ويمدق فى عينيه حيث

يظهر فيها تعجب مخيف — يتكلم بصوت منخفض يظهر

فيه الغضب والغيرة) — ما هذا المراء الذى تقوله ؟

(ينهب بسرعة ناحية الباب ويرزع الساتر جانباً ليأكد

من أنه مثقل ثم يعود إلى لارى فيراء متحدياً فوق النار)

هيا يا لارى غالك نفسك ولا تتركها للبائنة ! ماذا

تعنى بما قلت ؟

لارى (متفرباً فى صوت حاد) — الأمر كما

قلت لك ، لقد قتلت رجلاً

كيث (متالكاً نفسه بصوت بارد) — هدى

نفسك

لارى — (يرفع يديه ويصر إحكاماً بالأخرى)

كيث (يظهر عليه الخوف الشديد) — لماذا أتيت

هنا وأخبرتني بذلك ؟

لارى — ومن الذى أخبره غيرك يا كيث ؟ لقد

أتيت لأسألك عما أفعله — أأسلم نفسى أم ماذا أفضل ؟

كيث — متى ؟ متى ؟ ماذا ؟

لارى — الليلة الماضية

كيث — يا إلهى ! كيف كان ذلك ؟ وأين ؟ من

المتحسن أن تهدأ أولاً ثم تخبرنى عن كل شئ

من البداية . خذ ، اشرب هذه القهوة ، فأنا تهدي

اضطرابك (يصب قهناً من القهوة ويمليه لارى)

كيث (يتزعم منه ويقرأ) « باتريك واين » أكان هذا اسمه ؟ « نزل شيون ، شارع فارتز ، لندن »
 (ينسحب جهة اللورد ويضع الظروف في النار) لا ! إن هذا يجعلني ... (ينسحب ثانية ليتزعم من النار) (ولكنه لا يحرك يديه ثم فجأة يدفعه بقدمه ميئاً) لماذا بالله جئت إلى هنا وأخبرتني بذلك ؟ ألا تعرف أنني ... أنني على وشك الانتقال إلى مقاعد القضاة ؟
 لاري (يساطة) - نعم ، ويجب عليك أن تعرف ماذا أفعل ، لم أكن أقصد قتله يا كيث ، إنني أحب الفتاة ... أحبها . ماذا أفعل ؟
 كيث - حب !
 لاري (متدنياً) - حب !... هذا الخنزير القذرة مليون من الخلوقات تموت كل يوم وليس فيهم واحد يستحق الموت أكثر منه . ولكن ... ولكني أشعر به هنا (يمس صدره عند مكان القلب) أشعر بشيء يقبض قلبي قبضاً خفيفاً يا كيث . ساعدني إن كنت تستطيع أيها المجوز . لم أكن خبيراً ، ولكنني لم أؤذ ذبابة إنفا كنت أستطيع أن أقدم لها فمعا (ينظر وجهه يديه)
 كيث - تعال فنفك يا لاري ! دعنا نتفكر - الخروج من تلك الورطة . قلت إنه لم يرك أحد ؟
 لاري - كان المكان مظلماً والليل ساكناً
 كيث - متى تركت الفتاة بعد رجوعك إليها ؟
 لاري - في الساعة السابعة تقريباً
 كيث - إلى أين ذهبت ؟
 لاري - إلى منزلي
 كيث - شارع فارتز ؟
 لاري - نعم
 كيث - وماذا فعلت بعد وصولك

وهناك في ركن شارع تحت قنطرة تركتها
 كيث - كم يبعد عن المنزل ؟
 لاري - خمسين ياردة تقريباً .
 كيث - هل ... هل راك أحد ؟
 لاري - لا
 كيث - متى كان ذلك ؟
 لاري - الساعة الثالثة بعد منتصف الليل
 كيث - وبعد ذلك ؟
 لاري - عدت إليها
 كيث - لماذا ... بالله ؟
 لاري - كانت وحيدة خائفة وكذلك كنت أنا يا كيث
 كيث - أين تسكن ؟
 لاري - ٤٢ ميدان بورو ... حي سوهو
 كيث - والقنطرة أين تكون ؟
 لاري - في ركن شارع جلوف
 كيث - يا إلهي ! لقد قرأت عنها في جرائد الصباح . وتحدثوا عن الجريمة (في الكورس) (يأخذ جريدة من كرسيه ويصفحها ثم يقرأ) لقد تحدثوا عنها ثانية (وجدت جثة رجل هذا الصباح تحت قنطرة شارع جلوف ولستطيع من تلك الآثار التي حول رقبته أن نظن ظناً يقرب من اليقين أن هذه الجثة الفتنة لم تقف عند حد وقد سرق ما كان يحمله القليل) يا إلهي (يلفظ فجأة) هل رأيت ما كتب ؟ وهل كنت تعلم بذلك ؟ أتفهم يا لاري ؟ أكتفت تعلم بذلك ؟
 لاري (في توق شديد) - آه لو كنت يا كيث !
 كيث (يغسل يديه كما يغسل أخوه) - هل أخذت شيئاً من ... الحفنة ؟
 لاري (يخرج مطروفاً من جيبه) لقد سقط منه هذا أثناء الشجار .

- لارى - جلست هناك - أفكر
 كيث - ألم تغادر المنزل ؟
 لارى - كلا
 كيث - ألم تر الفتاة ؟
 لارى (يبرز رأسه)
 كيث - ألا يمكن أن تشي بك ؟
 لارى - لا ، مطلقاً
 كيث - أو تسلم نفسها إذا اضطربت
 أعضائها ؟
 لارى - كلا
 كيث - من يعرف علاقتك بها ؟
 لارى - لا أحد
 كيث - لا أحد ؟
 لارى - لا أعرف يا كيث من يكون قد
 عرف ذلك
 كيث - هل رآك أحد وقت ذهابك إليها
 أمس أول مرة ؟
 لارى - كلا فإنها تسكن الدور الأرضي
 ومفاتيح غرفتها مني
 كيث - أعطتها
 لارى (يخرج مفتاحين من جيبه ويظهرهما لأخيه ثم يقف)
 - لا أستطيع أن أبتعد عنها !
 كيث - ماذا ؟ فتاة كهذه ؟
 لارى (مندفعاً) - نعم فتاة كهذه
 كيث (يحرك يديه ليؤثر في أخيه) - ماذا تفعل
 أيضاً مما يربطك بها ؟
 لارى - لا شيء
 كيث - ولا في منزلك ؟
 لارى (يبرز رأسه)
 كيث - صور أو رسائل ؟
 لارى - لا شيء
 كيث - أمتأكد أنت ؟
 لارى - كل التأكيد
 كيث - ألم يرك أحد عند رجوعك إليها ؟
 لارى (يبرز رأسه)
 كيث - ولا عند خروجك في الصباح ؟
 أظنك لا تستطيع التأكيد من ذلك
 لارى - أنا متأكد
 كيث - إنك عجود . اجلس يا رجل
 فيجب أن أفكر (وجهه إلى اللورد ويحكى على رفته يديه
 ثم يضع رأسه على يديه)
 لارى (يطبع فيجلس)
 كيث - هذا لا يليق . إنها وحشية
 لارى (يتندب) - نعم
 كيث - هذا « والى » - أكان ذلك
 ظهوره الأول منذ اختفى ؟
 لارى - نعم
 كيث - كيف استطاع الشور عليها ؟
 لارى - لا أعرف
 كيث (بعدة) في أى حالة من السكر كنت ؟
 لارى - لم أكن سكران
 كيث - ماذا شربت ؟
 لارى - قليلاً من الكلابديت (نوع
 من المحوور الفرنسية)
 كيث - قلت إنك لم تكن تقصد قتله
 لارى - يعلم الله ذلك
 كيث - هذا شيء
 لارى - لقد أسأبت عدة إصابات (يرفع يديه)

لارى (بصق) لست معنوعاً من حديدك
ولم لا؟ لو كنت أنت الذى قتلت
كيت (مسكاً يده) - قلت إنه كان مشوهاً،
فهل معرفته ممكنة؟
لارى (متعباً) - لا أعرف
كيت - متى كانت تعيش معه فى المرة الأخيرة
وأيّن؟

لارى - أظنهما كانا يعيشان فى بليكو
كيت - لا فى حى سوهو؟
لارى - (بجز رأسه)
كيت - منذ متى سكنت سوهو؟
لارى - منذ ستة تقريباً
كيت - وكانت تعيش هذه العيشة؟
لارى - حتى قابلتني
كيت - حتى قابلتك؟ أنتقد؟
لارى (جافلاً) - كيت؟
كيت (يرفض يده ثانية) دائماً فى نفس المنزل؟
لارى (ساکناً) - نعم
كيت - ما ساعته؟ أهو مجرم معتاد الاجرام؟
لارى - (بجنى رأسه)
كيت - أظنه يقضى معظم وقته فى الخارج
لارى - أظن ذلك
كيت - أستطيع القول بأن رجال الشرطة
يعرفونه

لارى - لم أسمع بذلك
كيت (يعمى فى الغرفة جيتة ودعاباً ثم يقف أمام
لارى ويقول) - إستمتع إلى الآن يا لارى. عند ما
تخرج من هنا اذهب رأساً إلى منزلك وامكث هناك
حتى أذن لك بالخروج. عدنى بذلك
لارى - أعدك

لم أكن أحسب أنى على هذه القوة
كيت - قلت إنها تملك برقبته، ما أفصح ذلك؟
لارى - كانت خاتمة من أجل
كيت - أتعنى أنها تحيك؟
لارى (ببساطة) - نعم يا كيت
كيت (بوحشية) - أستطيع امرأة مثل هذه
أن تحب؟

لارى (نثراً) - يا إلهى! أأنت شيطان
متحجر؟ ولم لا تحب؟

كيت (جافاً) - إننى أحاول أن أسأل إلى
الحقيقة. إذا كنت تريد مساعدتى فيجب أن أعرف
كل شيء. ما الذى جعلك تظن أنها مفرمة بك؟
لارى (بضكة جنونية) - أوه، أيها الحماى!
ألم تحنوك امرأة من قبل بين أحضانها
كيت - إنى أتكلم عن «الجب»

لارى (بهدوء) - وأنا كذلك فقد قلت لك
إنها تحبني. ألم تلتقط كتاباً ضالاً من الشارع قط؟
حسن إنها تحبني حب الكلب الضال صاحبه الذى
التقطه، وكذلك أنا. لقد التقط كل منا الآخر. لم
أشعر نحو أى امرأة بما أشعر به نحوها. إنها منقذتى
كيت (بجز كعبه) - لماذا اخترت هذه القنطرة؟
لارى - كانت أول مكان مظلم قابلنى

كيت - أكان يظهر على وجهه أنه قد خنق؟
لارى - (بجنى رأسه)
كيت - أكان مشوهاً؟
لارى - نعم

كيت - ألم تلاحظ أى علامات على ثيابه؟
لارى - كلا، لم ألاحظ
كيت - ولم لا؟

كيت - لن تخلف وعدك

لارى (في إحدى ثورات) - ذلك للتردد كاللاه
لا يتقدم غيره

كيت - تماماً . ولكن إذا كنت تريد
مساعدتك فافعل كما أطلب منك فاني أحتاج إلى بعض
الوقت للتفكير فيما يجب عمله . أم لك تقود ؟

لارى - قليل جداً

كيت (حائساً) - نعم ، دائماً تقودك ضائمة .
لو كنت مضطراً إلى الهجرة - لأعليك ، سأدير
أمر القود

لارى (متواضعا) - إنك طيب منى يا كيت .
إنك دائماً طيب منى ، ولا أعرف لماذا ؟

كيت (متفكراً) - إنها حقوقاً لأخوة كما يحدث
دائماً . أفكر في نفسي وفي أسرتي . ولا يمكن أن
ترضى نفسك بقتل رجل دون أن تجر وراءك
الخراب . يا إلهي ! لقد مننت منى شريكاً لك في
جربتك ... أنا ... المستشار الملكي الذي أقسم
ليخضع القانون ، والذي في مدى سنة أو سنتين
سيكون عاكمة أمثالك ! يا إلهي ! لقد دفعت
بنفسك في مأزق يا لارى

لارى (يخرج من جيبه صندوقاً صغيراً) - يجبرني
أن أتبع من هذه الحياة

كيت - أيها الجنون ؟ أعطى هذا

لارى (بابتسامة غريبة) - كلا (يمسك قرصاً
بين أصابعه السبابة والإبهام) سحر أبيض يا كيت !
واحد فقط ... وليفعلوا بك ما يريدون دون أن
تحس بهم . يبعد عنك كل شعور بالعذاب . إنه
راحة كبرى ! ألا تأخذ واحداً لتحتفظه منك ؟

كيت - هيا يا لارى ! سلفي هذا

لارى (يمسك الصندوق إلى جيبه) - لن أسلمه
لك ! إنك لم تقتل رجلاً ، أرى ؟ (يضحك تلك
الضحكة الجنونية) أتذكر تلك المطرقة التي قذفتني بها
ونحن صغيران ؟ لقد كنت عذولاً بومذاك . وكنت
عذولاً مرة أخرى في نابلي فقد كنت أقتل
حوزياً لضربه حصانه ضرباً مبرحاً . أما الآن ...
يا إلهي ! (ينظر وجهه)

كيت (يتأثر من أقواله فيذهب إليه ويضع يده على
كفّه) - هيا يا لارى ! كن شجاعاً !

لارى (ينظر إليه) - حسن يا كيت ، سأحاول
كيت - لا تترك منزلك ولا تشرب خمرأ ولا
تكلم أحداً وعدي من روعك

لارى (يذهب إلى الباب) - لا تتركي مدة
طويلة دون مساعدتك يا كيت

كيت - لا لا ! تشجع !

لارى - (يعمل إلى الباب ثم يلتفت إلى أخيه ليقول
شيئاً لكن الكلمات تخونه فيذهب دون أن يحكم)

كيت (يذهب إلى اللود) الشجاعة ! يا إلهي !
إني أنا الذي سيحتاج إليها !

(ستار)

النظر الثاني

(حجرة وانما وهي بالبور الأرضي يحيط سورها الساعة
الحادية عشرة تقريباً من الليلة التالية . لا يستطيع الناظر
تمييز ما بالمجرة تماماً لأنها مضادة بمصباح كهربائي واحد
معلق من جميع نواحيه . من جهة العمال نار خامدة . وفي
وسط الحائط الخلفي نافذة مظلمة بستار . وفي الجهة اليمنى
باب الأثاث مكسو بغطاء من الفايض وهو يرغم رائحته نظيف .
بالمجرة أربعة بدون مساند خلفية أو جانبية وفي في الوسط
بين النافذة واللود

(نرى وانما جالسة على هذه الأريكة مخلفة في الرماد
المشتق وهي لا تلبس إلا قبض النوم يغطي روبر وقد اتصلت
في قدمها العارية حذاء خفيفاً وقد شبكت يديها فوق

تزين أن لاري لم يكن يعطيني هذه المفاتيح لو لم يكن وانما في ؟

وانما (ما زالت واقفة خلفه دون حراك وكان روحها انتزعت من جسدها) —

كيت (بد أن يلقى نظرة على ماحوله) — إن أسنى شديد لأن أخفك

وانما (حاسة) — من أنت ؟ أرجوك .

كيت — أنا أخولاري

وانما (تنهد بفرح مفاجئ ثم تذهب إلى الأريكة وترتجى عليها)

كيت (ينفج إليها) — لقد خبرني

وانما (تقبض على عنقها بيديها) — ماذا ؟

كيت — شيء خفيف

وانما — نعم ، أوه ، نعم ! خفيف .. إنه خفيف !

كيت (ينظر حوله ثانية) — في هذه الغرفة ؟

وانما — في نفس المكان الذي تقف فيه . إنى

أراه الآن ، دائما أراه وهو يسقط

كيت (ينثر من الياس المزينة البادى في صوتها) —

إنك تبدو صغيرة السن ، ما اسمك ؟

وانما — وانما

كيت — آجين لاري ؟

وانما — إنى على استعداد للموت من أجله (لحظة صمت)

كيت — لقد... لقد حضرت لأرى ما الذى أنت

على استعداد لفعله من أجله

وانما (بهمارة) — يجب ألا تخدعنى ، أنت

حقاً أخوه ؟

كيت — إنى أقسم على ذلك

صبرها وأخذت تضغط بهما عليه . فجأة تصرع فتضطر أمامها وتسمع . يظهر في عينيها المرتجعتين سلامة الطوية . وجهها أبيض باهت وشعرها الأصفر الباهت للقصوس مغفوف جهة رقبته المارية . حينها السوداء وان الحائضتان وشفتاهما الوردية الباهتتان تظهر وجهها وكأنه قناع أبيض ملون (

خطوات مرطبة تنسج خارج الحجرة ثم تتلاشى فتذهب وانما في خطوات خافتة إلى النافذة حيث ترتجى أحد شتى الستارة فيدخل منها شمع دقيق من النور ثم تفتح بقية الستارة حتى يظهر خلالها شجرة كأنها ساحرة يجوز موجودة في الميدان الذى يلى الشارع من الجهة الأخرى . تسمع الخطوات مرحة أخرى وهي تقترب فتقرض وانما الستائر وترجع ثانية ولكن الخطوات تتلاشى . تقف وانما بين الأريكة والباب وتنتظر إلى الأرض وكأنها تبحث عن شيء ثم ترتجى وتغطي عينيها . ترتجى إلى الأريكة وتجلس كأنها جالسة أولاً لتصلق في الرماد ، ومررة ثانية ترتجى لسماها صوت فتح الباب الخارجى تقوم مسرعة وتجرى ناحية الباب فتضغط الزر الكهربائى الجاوز لياق ينفق التور ولكننا نستطيع تمييزها وهي واقفة تسمع بجانب ستائر النافذة المظلمة بواسطة نار اللود)

(يسمع صوت طرق خفيف على باب الغرفة خفيف مذعورة لا تستطيع النفس ، ينادى الطرق ثم يسمع صوت مفتاح ينقر في القفل فيفارقهما الذعر ، يفتح الباب ويصل رجل يلبس ثياباً سوداء ومغطى من الفرو)

وانما — (في صوت متقطع من الفرح تشوبه نبرة

أجنبية) — أوه هذا أنت يا لاري ! لم قرعت

الباب ؟ قد أخفنتى . أدخل . (تذهب إليه في سرعة وتحوط عنقه بذراعيها ثم تراجع فجأة وتتكلم حاسمة في خوف)

أوه ! من تكون ؟

كيت (في صوت مختنق) — أحد أصدقاء لاري

فلا تخافى

(تنظر بتراجع حتى تصل إلى النافذة ، وعند ما يضىء كيت الغرفة تظهر وانما واقفة إلى جانب النافذة وقد أسكت بالروب من فوق عنقها وظهرت على وجهها نظرة ذعر وكأنها فصلت من جهة ميت)

كيت (بلطف) — يجب ألا تخافى قاتل لم آت

لأؤذيك بل على العكس تماماً (يربها المفاتيح) ألا

كيت - ألك أصدقاء أو مكارف ؟
 واندا - كلا ، فقد كنت وحيدة تماماً حتى
 قابلت ألك . إني لا أرى أحداً يا سيدى
 كيت (بحة) - أصادقة أنت ؟
 واندا - أوه ، نعم ، إني أحبه ، ولم يحضر
 أحد إلى هذه الفرفة منذ مدة طويلة غيره
 كيت - كم تبلغ هذه اللدة ؟
 واندا - خمسة أشهر
 كيت - إذن لم تبرحى الفرفة منذ الحادث ؟
 واندا - (تهر رأسها)
 كيت - وماذا كنت تفعلين ؟
 واندا (يبسطة) - أبكى (تضغط يديها على
 صدرها) لقد وقع فى الخطر بسببى وإني لجد خائفة عليه
 كيت (ياطمئنها) انظرى إلى
 واندا - (تنظر إليه)
 كيت - إذا فرشنا أسوأ الفروض وعرفوا
 أنك زوجة أمامه ينفى على ألا نثنى بلارى ؟
 واندا (تنهش وتغير إلى النار) - انظر ! لقد
 أتلقت كل الأشياء التى أعطانى إياها حتى سورة ، ولم
 يبق عندي بعد ذلك شيء منه
 كيت (يكون قد نهش هو أيضاً) - هذا حسن .
 لى سؤال آخر : هل يعرفك رجال الشرطة بسبب
 حياتك الخاصة ؟
 واندا - (تواجه بنظراتها وتهز رأسها)
 كيت - أتعرفين أين يسكن لارى ؟
 واندا - نعم
 كيت - يجب ألا نذهبي إليه وألا يحضر هو إليك
 واندا (تغي رأسها ثم لجاة تقب إليه وتنصق به)
 - أرجو ألا تأخذني منى إلى الأبد فسا كون

واندا (تبتك أمامها) - لو كنت أستطيع
 أن أأخذ : ألا تجلس ؟
 كيت (يمر كرسيها إلى مكانه ويجلس عليه) -
 هذا الرجل ... زوجك ، منذ متى لم تره قبل هذه
 المرة ؟
 واندا - منذ ثمانية عشر شهرا
 كيت - وهل يعلم أحد ساكنى هذا الحى
 أنك زوجته ؟
 واندا - كلا ، فقد جئت هنا لأحيا حياة تمسة
 فلم يعرفنى أحد . إني وحيدة تماماً هنا .
 كيت - لقد عرفوا شخصيته ... ألم تعرفى
 ذلك ؟
 واندا - كلا ، فإني لم أجسر على الخروج
 كيت - حسن . لقد عرفوه ومن الطبيعى أنهم
 سيبحثون عن كل من له صلة به .
 واندا - لم يظهر للناس مطلقاً أننى زوجته .
 وإني لا أدري إن كنت زوجته ... حقا ، فقد
 أخذنى إلى أحد الكنائس حيث وقفنا بامضائنا : وإني
 لأعتقد أنه فعل مع كثيرات غيرى مثل ذلك فانه
 رجل شرير .
 كيت - هل رآه أخى قبل هذه المرة ؟
 واندا - لا ، مطلقاً ، وهو الذى بدأ ألك بالدوان
 كيت - نعم فقد رأيت أثر الكلمة . أعندك
 خادم ؟
 واندا - كلا ، إلا امرأة تأتى كل يوم فى الساعة
 التاسعة صباحاً لمدة ساعة واحدة
 كيت - هل تعرف لارى ؟
 واندا - كلا ، فانه يكون دائماً خارج البيت
 وقت حضورها

الباب الخارجى مفتوحاً (لجأة يثنى الصباح) لقد
أخبرتني أنهم لا يعرفونك
واندا (تنهد) — أعلن أنهم لا يعرفونى فاني
لم أذهب إلى المدينة منذ مدة طويلة ، منذ عرفت
لارى ...

كيت (ينظر إليها باعجاب ثم يذهب إلى الموقد حيث
يقف لحظة ناظراً إلى الأرض ثم يلتفت إلى الفتاة التي تكون
قد جلست على الأريكة ثانياً . يحكم وكأنه يخاطب نفسه)
— بعد حياة مثل حياتك هذه من يصدق ... ؟
استمعي إلى ، يجب أن ينقطع ما بينكما وأن ترحلي
بيداً . أنسمعين ؟ من المستحسن لأجله أن يترك
كل منك إلى الأبد

واندا (تئن أنه شديدة) — أوه ! يا سيدى !
أكتب على ألا أحب لأن حياتي لم تكن طيبة ؟ لم
أكن قد تجاوزت السادسة عشرة حين أفسدت
ذلك الرجل ، لو كنت تعرف ...

كيت — إنى أفكر فى لارى ، فإن الخطر عليه
يتزايد بوجوده معك ، فمن الواجب أن تقطعي هذه
الصلة التي بينكما . أئدري إلى متى ؟ إلى بضعة
شهور

واندا (تقف عند طرف الأريكة وتلس عينيها يديها).
— آه يا سيدى ! ألا ترى أنه حقيقة حياتي . بالله
لا تأخذني

كيت (يصرخ جبراً) — يجب أن تعرفي من
يكون لارى . إنه لن يتصل بك إلى الأبد

واندا (بسلامة) — بل سيفعل يا سيدى
كيت (بموة) — بل إنه آخر من يفعل ذلك
من الرجال . ولكنه سيعرض حياته ومثله أسرته
(٢)

محرسة ولن أفضل شيئاً يجب إليه الأذى ولكنني
إذا لم أراه بين وقت وآخر لا أستطيع الحياة . أرجو
ألا تأخذني مني (تضع يده يديها في ياس)
كيت — اتركي لي هذا فسامح كل ما أمكنني
عمله .

واندا (تنظر في وجهه) — ولكنك ستكون
رؤوفاً (لجأة تنحني وتقبل يده فيجذبها منها ، فتراجع
خطوة في خضوع وهي تنظر إليه ثم لجأة تتدلى في وقتها
وتنسم ثم تقول) اسمع ! يوجد شخص في الخارج !
(تتركه سريماً لتطفيئ النور . تسمع طرقاً على الباب . واندا
وكيت يكونان أثناء الطريق قد التصفا في وقتها بين الباب
والنافذة)

واندا (حاسة) — أوه ! من يكون ؟
كيت (بصوت خافت) — لقد قلت إنه لا يحضر
إلى هنا أحد إلا لارى

واندا — نعم ، وقد أخذت منه مفاتيحه .
أوه ! لعله لارى ! يجب أن أفتح الباب !
كيت (يتراجع إلى الحائط ويتصق بها)
واندا (في هذه الأثناء تدب إلى الباب فتضمه فتحة
صغيرة) — نعم ؟ أرجوك من تكون ؟

(يظهر على الحائط شعاع من ضوء بطارية مصباح
كهربائي ويسمع صوت شرطي)
الشرطي (من الخارج) — لا شيء يا آنسة ،
غير أن الباب الخارجى مفتوح وأنت نمرقين أنه يجب
إغلاقه بعد سقوط الليل

واندا — شكرآ يا سيدى
(تسمع وقع خطوات مبتعدة وصوت إغلاق الباب
الخارجى . واندا تطلق الباب) شرطي !
كيت (يترك الحائط) — يا لعمنة ! لقد تركت

يجب أن تتزع هذا الأمر من يديه لأنه لن ينضج
بحاضره في سبيل مستقبله . لو كنت حقيقة محبته
كما تقولين لساعدتني على إنقاذه

واندا (بصوت متلع) - نعم ، أوه ، نعم !
ولكن لا تتمدده هي كثير ، أوصل إليك (تسقط
على الأرض وتحيط وركبته بذراعيها)

كيت - حسن ، حسن ! انتهى
(تسمع دقة على زجاج النافذة)

اسمى !

(يسمع صغير خافت له قدم خاش)

واندا (تلب واقفة) - لارى ، أوه ، شكرا
يا لعل ! (تجرى ناحية الباب وتقصه وتخرج لتقابل
لارى)

كيت (يقف منتظرا وقد واجه الباب للفتوح)

لارى (يدخل وواندا وراءه مباشرة) كيت !

كيت (عابا) - لقد حافظت على وعدك فلم
تتأخر من ذلك !

لارى - قد انتظرتك طول اليوم ولم أستطع

البقاء أكثر من ذلك

كيت - تماما !

لارى - حسن ، ما هو الحكم يا أخى ؟ أهو

نقى مدى الحياة وعزامة أربعين جنبا ؟

كيت - إذن فأنت تستطيع أن تقول نكاحا ،

أليس كذلك ؟

لارى - يجب أن أفعل

كيت - ستسافر سفينة إلى الأرجنتين بمدغد

فيجب أن تسافر عليها .

لارى (يلف ذراعه حول وتنادي واقفة بلا حراك

تنظر إليه) نحن الاثنين يا كيت ؟

للخطر لجرد وم طارىء . إلى أعرفه

واندا - كلا كلا . إنك لا تعرفه ، بل الذى

يعرفه هو أنا

كيت - سهلاً سهلاً ! إنهم فى اللحظة التى

يعرفون فيها سلتك بذلك الرجل وأنت مع لارى

فى هذه اللحظة سيرتبط لارى بالجرعة ، ألا ترين

ذلك ؟

واندا (تلتصق به) - ولكنه يحبى ، أوه

يا سيدى ! يحبى !

كيت - لقد أحب لارى عشرات من النساء

واندا - نعم ، ولكن (ترعج عضلات وجهها)

كيت (بشغوة) لا نيك ! إذا أعطيتك قدراً

من المال تخفين من طريقه ، لأجله ؟

واندا (تن) - سيكون اختفائى فى الماء إذن

حيث لا يوجد رجال متوحشون

كيت - آه ! لارى أولاً ثم أنت ثانياً ! استمعى

إلى ، إنه من المصلحة لكليهما أن تقررا لمدة شهر

قليلة ، سنتين بعدها أنكما تقابلنا

واندا (تنظر إليه بوحشية) - سأذهب إذا قال

لارى إنه يجب على أن أذهب ولكن لا لأعيش

لا ! (ببساطة) لن أعيش يا سيدى

كيت - (ياتر فيل ساكنا)

واندا - لن أعيش بدون لارى ، ما الذى يبق

لفتاة مثل إذا ما أحببت وفصلت ؟ لقد انتهى كل شيء

كيت - أنا لا أريد أن تمودى إلى تلك الحياة

واندا - كلا ، بل أنت لا تهتم بما سأفعل ،

ولم تهتم ؟ لقد أخبرتك أنى سأذهب نزولا على

إرادة لارى

كيت - هذا لا يكن ، إنك تعرفين تماماً أنه

لارى - لقد حدثته فقال لى « شكر آك على هذه الحادثة البسيطة ، إنها لا تقدر بحال عند « سيبى » الحظ أمثالى . إنه رجل صغير متبر وكأنه حيوان قنر وقد جاء أحد بائى الصحف وقال : هذا حقيقى ، فإن الحكومة وجدت الحفنة فى نفس هذه البقعة التى تقفان فيها ولكنها لم تقبض على القاتل بعد » (يضحك بينما تتلصق به الفتاة المتعورة) رجل برىء !

كيت - قلت لك إنه ليس فى خطر ، من غير الممكن أن يكون قد خفى . ولماذا ، إنه لا يملك قوة هرة صغيرة . والآن بالارى ، سأحجز لك مكاناً على السفينة ، وهما ذى النقود (يخرج من جيبه رزمة من الأوراق المالية ويضعها على الارض) تستطيعان أن تبدءا بها حياة جديدة ، كلا كما تحت الشمس لارى (يمس) تحت الشمس ! « كأس من الخمر وجيتك » (جثة) كيف أستطيع يا كيت ؟ يجب أن أرى أولاً ما سيحل بهذا الشيطان المسكين كيت - آه ! أسقط ذلك من خاطرك فإن الأداة غير كافية لإجافته

لارى - غير كافية ؟ كيت - كلا ، لقد سنحت لك الفرصة فانهزها كرجل

لارى (ترسم على شفتيه ابتسامة غريبة ومغاطب الفتاة) - هل تفعل يا واند ؟ واند - آوه ، لارى !

لارى (يلهث التود) - خذها يا كيت كيت - كيف ! لقد قلت لك إنه لا يوجد علف يديته ، وإن وجد لا يوجد ذلك القماش الذى يحكم بأعدله . إن التول الذى يسرق جثة ميت

كيت - لا يمكن أن تنهبها مما ولكن سأرسلها فى السفينة التالية . لارى - أنقسم ؟ كيت - نعم ، إنك سميد الحظ ... فهم يقتنون أترا خاطئاً

لارى - ماذا ؟ كيت - ألم تر هذا الخبز ؟ لارى - لم أر شيئاً فالى لم أقرأ أى جريدة كيت - قبضوا على مجرم كان قد سرق الحفنة وورهن خاتماً ثماني الشكل كانوا قد عرفوا شخصية هذا (والى) عن طريقه . قد ذهبت إلى السجن ورأيت هناك منها . لارى - بالقتل ؟

واندا (يضحك) - لارى ! كيت - لا خطر عليه فأنهم دائماً يقبضون على رجل غير القاتل ولن يضره أن يسجن عدة من الزمن .. على كل حال إن السجن أحسن له بكثير من النوم تحت قنطرة فى مثل هذا الجو لارى - ما مشكله يا كيت ؟

كيت - رجل صغير مصفرورث الهيئة أخرج غير حليق كأنه هوك . لقد كانوا منفلين إذ اعتقدوا أن مثل هذا الرجل عنده قوة

لارى - ماذا ! (فى صوت خفيف) لماذا ؟ لقد رأيته - بعد أن تركتكم فى الليلة الماضية

كيت - أنت ؟ أين ؟ لارى - عند القنطرة كيت - أذهبت إلى هناك ؟ لارى - مقوداً يا كيت كيت - أنت مجنون فى اعتقادى

برىء ، ما احتياجنا إلى قتل ذلك الرجل ؟
لا شيء ! أوه ! قبلى ! (يلتفت إليها فصيل شغبى) لقد
كانت كثيراً ... لأنى لم أرك ، لا تركنى ثانية ،
ابقى معى ، ألا يكون جيلًا بقاؤنا معاً ؟ أوه !
ممكن أنت يا لارى فانك متعب كما يظهر عليك .
ابقى معى فإن هذه الوحدة تخيفنى ، كم أخاف أن
أن يأخذوك منى

لارى - يا طفلى المسكين !

واندا - لا ، لا ! لا تظهر بهذا المظهر !

لارى - إنك تزعدين

واندا - سأعطل النار ، جنبى يا لارى ! فانى

فى حاجة إلى النسيان

لارى - لقد سجنوا ذلك الرجل النمس ،

أنس مخلوق على الأرض بسببى ! سجنوا حيوانًا

صغيرًا متوحشًا حيث يروح ويشدو فى قفص ،

يروح ويشدو ... ألا تريه ؟ إنه يبحث عن مكان

يتمرضه ليفتح لنفسه طريقًا إلى الخارج ... ذلك

الفأر الأخير (يقف ويأخذ فى اللى ذهابًا وجيئة)

واندا - لا لا ! إنى لأحتمل هذا ! أقصر

من ذلك فانك تخيفنى

لارى (يرحم إليها ويأخذها بين ذراعيه) - زويدك

زويدك ! (يقبل حينها للطفلين)

واندا (يدون حراك) - لو كنا ننام قليلًا ...

ألا نمتحن ذلك ؟

لارى - النوم ؟

واندا (ترمع هسما) - عدنى أن تبقى معى ... تبقى

هنا دائمًا ، لارى ، سأطبخ لك وسأجمل حياتك

مرحمة . سيجدون ربنا وعندئذ ... أوه ، لارى ! ..

فى الشمس ... هناك بعيدا ... بعيدا عن هذه البلاد

ليستحق أن يسجن ، إن ما فعله أسوأ مما فعلت

لارى - هذا لا يكتفى يا كيت ، يجب أن أرى

النهاية بنفسى

كيت - لا تكن مجنونًا

لارى - إنى مازلت أملك مقدارًا من الشرف

ولن أستطيع الذهاب قبل أن أعرف النهاية ؛ وإن

ذهبت فلن أحمى فى طمأنينة . سنخذا يا كيت وإلا

فسأجلبها طعمة لنار الوداد

كيت (يأخذ القود - بمرارة) - أرجو ألا

تتغافل عن شرف اسمنا ، وإلا فلا يتفق ذلك مع

مقدار الشرف الذى تملكه ؟

لارى (يرفع رأسه) - إنى جد آسف يا كيت ،

جد آسف أيها المجوز

كيت - إنك مدين لى ... ولشرف اسمنا ...

ولقد كرى أمنا المتوفاة ... يجب ألا تقتل شيئًا حتى

ترى ما سيحدث

لارى - إنى عالم بذلك ولن أفعل شيئًا يا كيت

حتى أستشيرك

كيت (يلمط عينه) - أأعتمد عليك فى ذلك ؟

(يمسك يده فى أخيه)

لارى - تستطيع ذلك

كيت - أقسم ؟

لارى - أقسم

كيت - تذكر ، لا تقتل شيئًا ، مساء الخير

لارى - مساء الخير

(يخرج كيت ويجلس على الأرض ناظرًا إلى النار بينما تقبض

واندا إليه بهدوء وتلف ذراعيها حوله)

رجل برىء !

واندا - أوه ، لارى ! ولكنك أنت أيضًا

المنظر الثالث

(بعد حوادث للنظر الثاني بهجرين)

جيرة واندا — يكاد ضوء الشمس أن يثيب في أحد أديم يناير — الثالثة مديدة للمساء وقد وضعت عليها قناني الحجر

(تظهر واندا واقفة بجانب النافذة تنظر إلى أشجار الميدان القريب الفتوة)

(يسمع صوت باع يحف يقترب شيئاً فشيئاً)

الصوت — جرائد ! قنيل شارع جلوف !

الحاكمة والحكم (يكرر) الحكم ! جرائد !

واندا — (تفتح النافذة وكأشها تريد أن تنادي ثم تتراجع وتغلق النافذة وتخمر ناحية الباب . تنصحه ولكنها ترتد إلى داخل الحجرة لأن كيث كان واقفاً هناك)

كيث — (يدخل) أين لاري ؟

واندا — ذهب ليري الحاكمة ولم أستطع منعه.

الحاكمة أوه ! ماذا حدث هناك يا سيدي ؟

كيث (بوحشية) — مجرم ! حكم عليه بالاعدام !

بجانين ! بلهاء !

واندا — الاعداء ! (يظهر عليها كآتها قاربت الانهاء)

كيث — أيتها الفتاة ! أيتها الفتاة ! إن كل شيء يتوقف عليك . ولاري ، أما يزال عائشاً هنا ؟

واندا — نعم

كيث — يجب أن أنتظره

واندا — ألا تفضل بالجلوس ؟

كيث (يبرز رأسه) — أأنت على استعداد للفرار إلى الخارج في أي وقت ؟

واندا — نعم نعم ، إلى دائماً على استعداد

كيث — وهو ؟

واندا — نعم ولكن الآن : ماذا يفعل ؟ ذلك الرجل المسكين !

الخيفة ... ما أجل هذا ! (تحاول أن تدعه ينظر إليها) لاري !

لاري (يحاول أن يبعدها عنه) — إلى حافة العالم ثم ... تتخطاها !

واندا — لالا ! لالا ! إنك لا تريد لي الموت بالاري ، أليس كذلك ؟ ساموت إن تركتني ...

دعنا نعيش سعداء ... حبني

لاري (ضاحكاً) — آه ! ظلمت سعداء ولنفس هذا الرجل . من يمتننا ؟ ملايين من الناس يتألمون لتبر سبب معقول ، فلنكن أقوياء ككيث . كلا ! لن أتركك يا واندا . دعينا نفسي كل شيء إلا أنفسنا (بغاة) هناك يذهب ... يروح ويضدو !

واندا (تن) — لالا ! أنظرا ! سأصلي للمدراء عليها ترحمنا ! (تسقط على ركبتيها وتبكي فيها وتصل بحركة شتيها)

لاري (يقف بلا حراك وقد عقد يديه على صدره وظهر على وجهه الشوق والحزن ، والمزء والسفرة ، والحب ، والياس ... يهس) صلي لأجلنا ! صرحي ! صلي كثيراً !

واندا (تجأ تمد يديها وترفع رأسها وقد طبت على وجهها نظراً فمحول وشغف)

لاري — ماذا ؟

واندا — إنها تبتسم ! سفسد سرياً .

لاري (يتنق عليها) — يا طفلي المسكينة ! عند ما نحوت يا واندا ... دعينا نموت سوياً كي نظل في دفة ونمحن في عالم الظلام

واندا (ترفع يديها إلى وجهه) — نعم ، أوه ، نعم ! إذا مت فلن أستطيع ... لن أستطيع البقاء في هذه الدنيا !

(ستار)

لارى (يهودى) — أما تزال تعنى بشرفك

يا كيت ؟

كيت (عابسا) — فتكبرن آراؤك فى عقل
وتفكرى كاتريد

واندا (بنومة) — لارى

لارى (يحيطها بذراعه) — آسف أيها المجوز

كيت — يستطيع الرجل انخلاص ، وسينجو ،
فقط عدنى ألا تسلم نفسك أوحى تخرج نمن المنزل
ثانية .

لارى — أعدك

كيت (يعيل بصره فيها) — أقسم بذكرى والدتنا ؟

لارى (متسا) — أقسم

كيت — لقد أقسمتالى ... كلا كلا .

وهأنذا أذهب توأ لارى ماذا يمكن فعله

لارى (بنومة) — حظ سعيد ياأخى .

(يخرج كيت)

واندا (تضع يديها على صدر لارى) — مامنى كل هذا ؟

لارى — المشاء ياطفتلى ... لم أذق طعاما طول

بوى . ضى هذه الزبقات فى الماء

واندا (تطيه فتأخذ الزبقات وتضعها فى الماء)

لارى (يضع كية من الحرف فى إزاء زجاجة محبى ملون

ويصرها) — لقد تخمنا زمنا يا وندا ، فان أحسن زمن

مر على طول حياتى هو هذان الشهران وليس علينا

الآن إلا أن ندفع الثمن

واندا (تمسك يأس) — أه ، لارى لارى !

لارى (يصدعها عنه وهو يمسك بها لياق عليها نظرة

طامسة) — اتزى عنك كل هذه الأشياء والبسى

ملايس المرص

كيت — هى مقابر . غول !

واندا — ربما كان جائئا . كنت جائئة يوما .

إناك فى حالة الجوع تفعل أشياء ما كنت لتفعلها

وأنت فى حالتك الطبيعية . لقد فكر فيه لارى

كثيرا وفكر فى حالته وهو فى السجن ، أه ! ماذا

تفعل الآن ؟

كيت — اسمى ! ساعدنى . لا تدعى لارى

يبتعد عن نظرك . يجب أن أرى كيفية سير الأمور .

لا يمكن أن يشتقوا ذلك البائس (يقبض على يديها)

والآن يجب أن نمنع لارى من أن يسلم نفسه . إنه

مجنون ، أتعلمين ؟

واندا — نعم ولكن لماذا لم يأت يمد ؟ أه !

لو كان قد سلم نفسه واتبعى الأمر !

كيت (يترك يديها) — يا لى ! لو ألقى رجال

الشرطة ورأوا فى هنا (يديه إلى الباب) كلا ، لا يمكن

أن يفعل ذلك بدون أن يرانى أولا . من المؤكد أن

يخصر . راقبيه كأنه مسجون ، لا تدعيه يخرج بدونك

واندا (تبتك ذراعيها على صدرها) — سأحاول

يا سيدنى

كيت — أنصت

(يسمع صوت مفتاح يدار فى القفل) إنه هو

لارى (يدخل وقد حل يالة من الزئبق الفرى على والورد

الأبيض — لا يبدو على وجهه شئ)

كيت (ينظر بصره بين لارى والثقات الواقعة دون حراك)

لارى — كيت ! إذن قد رأيت ؟

كيت — لا يمكن أن تستمر الحالة هكذا

وسأقف هذا الأمر بكل الطرق ولكن يجب أن

تفلسح لى الوقت يا لارى

واندا (تلف بينها حوله) أوه ، لارى !
لارى (يلس وجهها وشعرها) - نيشفق حتى
تفارق الروح جسمه ... قصاصا لما فعلته أنا .
واندا (تنظر فى وجهه نظرة طويلة ثم تتركه وتذهب
خارجة خلال السائر الغربية من الموقد)
لارى (يبعث فى جيبه ثم يخرج الصندوق الصغير
يفتحه ويشر إلى الأفراس البيضاء) اثنان لكل منا ...
بعد الأكل (يضمك ويرجع الصندوق إلى جيبه)
أوه ! يا فتى !

(صوت موسيقى خلفية تبث السرور إلى الناس ، تنزف
على ياتو بيده ، يقدم ثم يحلق فى النار) لهيب ... لهيب .
يتلألأ ... ثم يصير هشيا . « لا شيء بعد ذلك ،
لا شيء ، قد مدت القمر ؟ وذهب الناس جميعا فيه »
(يجلس على الأريكة وقد وضع قطعة من الورق على ركبته
فيضيف إلى ما هو مكتوب بها بيض كلات أخرى)

واندا (ترجع خلال السائر وقد ليست توبأحر رياء .
تلاحظ لارى أثناء دخولها)

لارى (ينظر إليها) - كل شيء هنا ... فقد
اعترفت (بفرأ) : « رجأونا أنت ندخن سويا .
لورانس دارانت ٢٨ يناير ، الساعة السادسة مساء
تقريبا » . سيجدوننا فى الصباح ، تعالى نأكل
يا حبيبتى

(تقدم الفتاة بطء . يقوم ويلف ذراعه حولها فتلف
ذراعها حوله . يتمسك كل منهما وهو ينظر إلى الآخر .
ينهبان إلى السائدة ويجلسان . تنزل السائر لمدة نوان قلبا
تدلل على مرور ثلاث ساعات ، وعند ما ترتفع يكون
الحيطان نأجمن على الأريكة وقد احتضن كل منهما الآخر
واتترت حولها الزبقات ويكون ذراع الفتاة المارى ملغا
حول عنق لارى وعيناها مفتلتان ، أما عيناه فتكوثان
مفتوحتين دون إحصار . الحيرة مظلة إلا من الضوء الذى
تبثه نار الموقد . طرق على الباب وصوت مفتاح يدار فى
قفل الباب)

واندا - عدنى أن تصحبنى إلى أى مكان
تذهب إليه . عدنى أن أنظن يا لارى أنى لم ألاحظ
شيئا كل هذه الأسابيع ، كلا يا لارى لقد لاحظت
وعرفت كل شيء حتى ما لم تبس به وأبقيته فى قلبك
إنك لا تستطيع أن تخفى عني فانى قد عرفت ،
عرفت ! أوه ، لو كنا نذهب إلى هناك لنعيش تحت
الشمس ، أوه يا لارى ! ألا نستطيع ؟ (تحاول أن
تلتقي عيناها ببنيه - ثم تترس) حسن ! إذا كان لايد
من دنيا الظلام فانى لا يهمنى إلا أن أذهب وأنا بين
ذراعيك . لن نكوث فى السجن مما . إنى على
استعداد للذهاب ولكن أجبنى أولا . لا تدعنى أبكى
قبل الذهاب ، أوه يا لارى ! هل سأألم كثيرا ؟
لارى (بصوت متخفق) - لا ألم يا حبيبتى .

واندا (تنهد) - رحنات الله
لارى - لو كنت رأيت كبرأيته طول اليوم وهو
يتمنب ، واندا ، يجب أن نرحل عن هذه الدنيا
(يبدأ تأثير الحرق فى الظهور) ستكون أحرارآ فى دنيا
الظلام ، أحرارآ من وحشيتهم للموتة . إنى أكره
هذه الحياة ... أمقتها ! أكره عالمها المهجور
المتوحش ، أكره كبرأياها واعتزالها ووحشتها !
حياة كبت ... وجميع الأتقياء الأقوياء الناجحين .
نحن لانستطيع العيش فى هذه الدنيا ، أنت وأنا ... فانا
لم نخلق لها ... نحن غير أقوياء ، نحن ضعيفا الإرادة ...
إن الموت أحسن لنا من أى شيء آخر . لا نخش
شيئا يا كبت فلنى أترك المنزل ! (يصب بسن الحرق كاسين)
اشربى

واندا (تعطيه وتضرب كاسها)
لارى (يضرب هو أيضا) - والآن اذهبي
وتجمل .

وهي تتلوى وتسود . ونبأة قبض على رأسه ويدور لينظر إلى الجسدين على الأرضية وهو يهت كرجل تحت الشعور ثم ينهب إلى رأس الأرضية ويتدفق نحو النافذة فيرفع الستائر ويفتح النافذة طلباً للهواء . تظهر الشجرة في الخارج وكأنها هيكل عظمي لساخرة عجوز وكان شخصاً هناك يشقق فيتراجع كيث)

ما هذا ؟ ماذا ... !

(يطلق النافذة ويرى الستائر)

جنون ! لا شيء !

(يضبط قبضتي يده كل يد بالأخرى حتى يستعيد ثباته ويهدئ نفسه بكل ما يستطيع من قوة . ثم يذهب في بده إلى الباب حيث يقف لحظة وكأنه يتأمل بوجه جامد كأنه قد من حجر . وفي هدموه يطغى النور ويفتح الباب ويخرج الجسدان لا يزالان كما هما راقدان أمام التار التي ما زالت تسرى في بقية الخطاب للسود)

(ستار - انتهت)

سامي النافص

كيث) يدخل ثم يقف لحظة لا يدري ماذا يفعل في هذا الضوء الخافت ثم ينادى بمدة) - لاري (يضيء النور فلما يرى من على الأرضية يتراجع لحظة ثم ينظر إلى المائدة والثاني الحالية فيذهب إلى الأرضية وهو يهت) - فأعنان ! سكران ! آه !

(فجأة ينحن ويسلم لاري ثم يقفز إلى الورا) :

— ماذا ؟ !

(ينحن ثانية فيهب رأسه وهو ينادى) :

— لازي ! لاري !

(ثم دون أن يحرك ينظر إلى عيني أخيه المتوجحين اللتين لا تبصرانه ونبأة يملأ أمسيه ويمرره على شفق التاة ثم على شفق لاري) - لاري !

(ينحن ليلمس دقات قلبهما فيرى الصندوق بينهما فيسكه يده) - يا إلهي ! (يقوم متثاقلاً ثم يطلق عيني أخيه وينبأ هو يفعل ذلك يمع نظره على ورقة ملصقة بالأرضية فينتزعها ويقرأ) :

« أما ، لورانس داونز ، على وشك الموت متحرراً ، أعترف أنني ... »

(ثم قراءة الخطاب وهو صامت وقد تملكه الرعب فلما ينتهي تسقط الورقة من يده ويتراجع عن الأرضية حتى يصل إلى كرسي موضوع أمام مائدة المشاء فيجلس عليه وهو ذاهل . فجأة يهت) :

— يا إلهي ! إن فيها الدمار !

(يسكها وكأنه يريد أن يعزفها ثم يكف عن ذلك وينظر إلى اللتين فينطى وجهه ويترك الورقة تسقط على الأرض ويندفع نحو الباب ، ولكنه يقف عند الباب ويرجع وكانت هذه الورقة متناطيس بهذه إليه يأخذ الورقة ويضعها في جيبه

صوت خطوات شرطي خارج المبرة بطيئة منتظمة . يجسد وجه كيث ويرمش ويتسع حتى يتلاشى الصوت فينتزع الورقة من جيبه وينهب إلى اللود) :

— كل ... لا ، فليشتق !

يلقي الورقة في النار ويدوسها بقدمه ويأخذ في ملاحظتها

المجموعة الأولى للرواية

صفحة ١٥٣٦

فيها النص الكامل لكتاب اعترافات فني
النصرلوسيه ، والأوذسية لموميروس ، ومذكرات
نائب في الأركان لتوفيق الحكيم ، وثلاث مسرحيات
كبيرة و ١١٦ قصة من روائع القصص بين
موضوعة ومنقولة .

الثنى ٣٤ قرشاً مجلدة في حزمين

و ٢٤ قرشاً بدر . جديد

خلاف أجرة البريد

الرسالة

مجلة لجمعية اللغة والعلم والفن

مجلة الآداب الرفيعة والثقافة العالية

تصل الماضي بالحاضر وتربط الشرق بالغرب

على مدى وبصيرة

الرسالة : تعبر باخلاص عن روح النهضة المصرية

الرسالة : تجمع على وحدة الثقافة ابناء البلاد العربية

الرسالة : تصور مظاهر العصرية للامت العربية

الرسالة : تسجل طوامر التجديد في الآداب العربية

الرسالة : تحيي في النشء اساليب البلاغة العربية

بمجموعة اعدادها ديوان العرب المشترك ، وكتاب الشرق

الجديد ، وسجل الادب الحديث ، ودائرة معارف عامة

الاشتراك الماخول ستون قرناً ، والخاص ما يتناول جنباً مصرية ، والبلاد العربية بنحو ٢٠ ٪



صاحب الجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

بدل الاشتراك هو ستة
٣٠ في مصر والسودان
٥٠ في الممالك الأخرى
١ عن العدد الواحد

انقذارة
شارع عبد العزيز رقم ٣٩
الحيطة الخضراء - القاهرة
تليفون ٤٢٣٩٠ ، ٥٣٤٥٥

المرور

مجلة أسبوعية للقصص والبرامج

تصدر مؤقتاً في أول كل شهر وفي نصف

السنة الثانية

٦ رجب سنة ١٣٥٧ - أول سبتمبر سنة ١٩٣٨

العدد ٣٩



فهرس العدد

الكتاب	الصفحة
الكتاب ألبرت وبقشارد وجيبي ...	٧٩٤
لغاصر الهندوفيلسوفهارابندراتانتاجور ...	٨٠٠
الكتاب العظيم سيميونوف ...	٨٠٥
مترجمة من الانجليزية ...	٨٠٩
أفصوصة مصرية ...	٨١٦
الكتاب الأمريكي دون ماركيز ..	٨٢٣
أفصوصة مصرية ...	٨٣١
الكتاب الروسي غوغول ...	٨٣٨
الكتاب الأستاذ محمد لطفي جمة ...	
الكتاب الأستاذ محمد كامل حجاج ...	
الكتاب الأديب نصري عطا الله سوس ...	
الكتاب الأستاذ عبداللطيف النشار ...	
الكتاب الأديب نجيب محفوظ ...	
الكتاب الأديب محمد محمود دواردة ...	
الكتاب الأديب عبد الحليم محمود المشيرى ...	
الكتاب الأديب ابراهيم زين الدين ...	
الكتاب والانتقام ...	
هيكل عطى ...	
الحادم ...	
آلية المسكورة ...	
موت الحب ...	
مفارقات الفارح ...	
ذكرى حب ...	
ابن تاراس بولسا ...	

العبد لك لا نبفالم

للكاتب لعلته تشارد زيجي
مقر الانشاء محمد الطيحي

أمام المجتمع في أبهى الحلال وأجمل
اللقائ، متخذين لزيته أغل الحلى
وأرفع المحاسن، ويقومون الليالي الساحرة
والأمسيات الراقصة ويميمون حفلات
الشاي والكوكيتل، تتلوها المكاتب
والولائم فترتهمهم الأعين بالأجلال

والاكبار، وتتخذهم الأنفس بين البطة والدهشة
والحسد والانهيار... من كان يظن أن هؤلاء
السادة وأولئك السيدات ليسوا سوى عجمين وجناة
وأقافين مترين بأزياء الأعيان والوردات
والبارونات. فمن من توجب للاتباع بالسموم
والخدرات، ومنهم من يوجب على القتل بدراهم مدودة.
وأظن هذه السيدة التي فقدت زوجها غداً واغتبالاً
هي التي سمعتها في أحد أركان الحانة تخاطب رجل
الأسرار بصوت خافت وأفئاس غثتقة وعينين
دامتين وقلب دالم :

«أين زوجي يا بوردرور؟ رد علي زوجي كيف
وقفت جوف الليل تنظر إليه وهو يقتل؟ بل كيف
أقلت منك الخائن الذي جناها؟ فأراد بوردرور أن
يتناول يد السيدة التي تخاطبه، ولكن تلك السيدة
الجهولة اثنت عنه ووضت قناعها ثانية وانكأَتْ
على اللضدة. وكان وجهها منقماً شاحباً كما بدا لي
من وراء القناع. وأما عينها وأظنهما كانتا في
السادة حلوتين ريفيتين فقد وجهتا إلى بوردرور نظرة
تفجع وتوجع، ونأسف وتأنف، لم يطلها بوردرور
على جفونه وقصوته وجوده وكونه وجوده،
فزوى وجهه عن تلك النظرات اللاذعات. وكان
على مقربة منا رجل وامرأة يتحادثان فقالت المرأة
للرجل :

لقد علمت ذلك السر العظيم من شفقي الشقي
الصريع وهو على فراش موته، فلو أنني أذعته، وهو
ما يسوغه المدل والشرف، لضاغت هذه الاناعة
عبد الكروب والبلاء على الفئة الذين هم أحب
خلق الله إليّ وأعزهم على نفسي، والذين حسهم
ما هم فيه من هم وغم. فهل كان يليق بي أن أجلب
الحزبي والمار والفضيحة والارتيك على جميع أولئك
الذين كانت تربطني بهم أواصر الحب والوداد، ولم
في عني أطواق وأرباب، لكثرة ما أولوني من منن
وألاء؟

لقد تدبرت الأمر وعرضته على ضميري أثناء
كان الشقي الصريع يؤدي اعترافه ساعة النزع،
فرايت الطمع والاغراء ومعهما المدل نفسه في صف،
ولكنني رأيت الحب والأمانة وعمرقان الجليل في
صف آخر. فكانت هذه أغلب على قلبي وأحوز لبي.
ولما انجلي غبار هذه الموقمة المتينة عن فؤادي توهج
ضميري بشعاع مؤنس من الفرح والسعادة، وبكيت
سروراً إذ جعلت أحد الله الذي وقفتي إلى اختيار
تلك الخطة. لقد قتل ولكنه كان من قبل قاتلاً.
كنت أعلم أن هذا الحى من أحياء لندن
ماهولاً بالأعيان وفوى المسكاة المالية، وأن الكثرة
التالية من ساكني قصوره السيدة ومنازله الفاخرة
ذات الحدائق الناضرة والبساتين اللشرقة، ويظهرون

والأفراط ، غلبت بها جيدي وصدرى وأمل
ومسمى وأمالا أعلم أنها زائفة إلا بعد أن تخليتم
عني واضطرت لهن من مضها وبيع البض الآخر ،
فاذا بها لا تساوى فلساً . لقد أرغمتنى على الاتجار
بالتخدرات سنوات عدة بعد أن طلبتني وذهبتني
حتى صرت كواحدة من نجوم المجتمع اللامعة .
فخرج الرجل الذى كانت توجه إليه هذا اليوم
بالصمت عن لا ونم !

وتأملتها بعد أن سميت اسمها وهو : ليلى (١)
وأمنت النظر في جسمها الذى لانضول فيه فأسفت
على ما أصابها ، ولم أكن أسلك لها خيراً ولا شراً
وبعد أن طال صمت الرجل عقيب تهديده انفجر
مرة أخرى وقال لها : عهدى بك رزينة يا ليلى
كأختك فيليس (٢) ولكنك اللبلة تملين بالنسل
الساثر : « من راقه يده ، كشف عن محاسنه ،
ومن أعجبته رملت صوته رفع عقيره » وقد اخترت
رفع عقيرتك مكاناً عاماً ، وهو فنج لأمثالى وأمثالك ،
ومصيدة ...

وفي تلك اللحظة فتح باب الحانة وظهر فيه سواد
مستر ميكائيل أرلين المؤلف الشهير ، نغفت أنف
يشرف على فيهتك ستار النخى الذى كنت منزوياً
وراءه . تحولت وجهى ناحية أخرى وإن كنت
واقفاً من تعجبل مافرى فى الزى الذى كنت به
على ألسن الناس فى . ولحسن حظى رأيت مستر
ميكائيل أرلين قد أتجه إلى طاقة من الشباب اللامعين
كانت يجمعهم تلك الحانة للبيت والقو والمجون .
وكان ذهن هذا المؤلف سريع الالتفات إلى معاني

— نعم لك أن تلقى في الهاوية ، أو تدعى
أندهور من حالى إلى الدرك الأسفل من حضض
الحياة بدمناً استغلتنى أنت وأصحابك

— لقد أحسنت إليك بقدر ما استطعت إلى
ذلك سبيلاً ثم جاء دور غيرك . فليك أن يخضى
لأحكام القضاء والقدر ، وتلك الأيام يا ليلى نداولها
بين الناس ، فلا تطعمى فى أنصبة الناس بدمناً
نلت نصيبك

ليلى — سأعمل على مضيتكم ، وأظهر العالم
على طريقة إجرامكم وكيف تأخذوننا نحن الفتيات
من السوق فقيرات فتخطون علينا ألقاب الكثر
الكاذبة بين لادى هاجرة لوردها ، وإاروة من
بارونها هاربة . ثم ...

فقال لها : إنك تعرفين الثمن الذى تدفعينه تقدأ
وعداً إذا عشت أن تستمتى بتلك الحياة

ثم غرق صوتهما فى عباب الضوضاء . وسمعت
السيدة اللقمة تعود إلى تصنيف صاحبها الذى كانت
تدعوه بوزدرو قالت :

— لم تقل لي يا بوردرو الأمين ، يا بوردرو الوفي
كيف أفلت منك الخائن الذى جتاه ، وأنت بطل
بيتنا ومانع حوزة ، وأنت الذى كنت ترى أنك
تضحي حياتك فى سبيلنا ، وأنت الذى كنت مناط
حبنا وقتنا ؟

ليلى — أريد أن تخفى ، إنك لا تعلم ذلك
فى حانة عامة ، إن هذا المكان حافل بالشرطة السرية
ورجال الخفية من كل لون ورتبة ودرجة ، ولعل
واحداً أو اثنين أو أكثر يلتفون الأقوال من
أفواهنا . لقد خلعت على المقود والجواهر والمخواتم

(١) فلة زهرة يضاء عبقه

(٢) اسم إثنى بمعنى غصن

وانفرادك فلقد كنت توجست شراً في استبقائك
وبلاء. ولقد قرأت أسارب وجهك ونظرت في أعماق
عينيك فرأيت فيها شواهد التكرود لآل السوء، وقد
وقع المخذور والمكروه وكنت عليمه بوقوعه .
فقال بوردرو : فلم لم تدفع عنه مادم عليمه
بوقوع المكروه كما ترعمين ؟

فقلت : ولم لم تمت أنت ، إذ أصابك الجدري
وكنتم أعودك بنفسى وأنت في هذيان مُحْكَاك
لا تعرفني حتى جلست تناديني وأنا بجانبك . فكل ما
أصابني منذ ذلك الوقت هو جزاء العدالة ، أصاب قلبي
الغيبث ، قلبي التبور الخبيث . وبلى ثم وبلى ، لقد
لقيت العقوبة ، لقيت أصرم للعقوبة ، فهاك زوجي يتخبط
في دماه ، قد قتل وأنت بجانبه ولكنت لا تريد أن
تدل على قاتله .

في هذه اللحظة الراهية نظرت فلم أجد ليلي
ولا صاحبها أو خاتنها الذي كان يتوعددها بالقتل إن
هي وشت به وجاعته وعصايته ، وكان الشيطان
ييل شاندر وسيايك موليجان أحدهما يمتثل في ثوبه
الرسمي ، والآخر في زى أهل الفراغ والجدنة ، وهما
يراقبان « الطيور الجارحة » من الفتنة وأهل
السطو الخفي والتجربن بالخدوات . دق ناقوس
الرتص : إذناك بنهاية الف والدوران والجازيند في
المور الأول . وبمدهنية عادت للموسيقى إلى التوقيع
وامتلاّت الحلقة المستدرة بالراقصين وبدأ تانجو من
نوع جديد وبدأ كذلك اللمس والممس والتمز
والمز ووزن الخطى على الأنعام

ونجاة تقدم خادم إلي ييل شاندر الشرطى الرسمى
وحس في أذنه خبراً هاماً فذهب الشرطى إلى خزانة
المسرة (كشك التليفون) ثم عاده مسرعاً وخرج

المرأة . وكانت أعصابه قوية الانفعال بمحدث النساء
ولا سيما بعد أن نشر قصة « حتى الدودة تستطيع
أن تسمى لزوجها » فقد آت عواطف صديقاته من
بنات إسرائيل ... حتى الدودة تستطيع أن تسمى .
لقد كانت قصة بشمة . إنها تدور حول قصر فاخر
تقطنه أسرة إسرائيلية غنية ، فدعى إليه مرثا فنشبه
زائراً ورافصاً ومقاصراً ومنازلاً ، فانتزع له امرئ محبب
وهو أن أهل القصر يمرضون شرائط صور متحركة
فيها مناظر لا توصف ، وقد يتلو المرض نوع من
الأرجيات الأغريقية والرومانية ، وقد أرى صاحب البار
وكان اسمه ليفيكو فصار لورليفكار أوف جيتار بفضل
من سقوه إلى مرثا المجد أمثال سيمون ميكليبرج
وأولان مندليبرج وولف ساندولبادونا كان كيرزون
هانديسون وجولم مايزنشتان
فلم يشغل مرثا المؤلفين إلى أكثر من لحظة ، ثم تطلب
صوت المرأة الغنمة على صوت من عداها وهي تقول
لبوردرو :

— لماذا دخلت بيني وبين زوجي ؟ إنك لم
تهدينا سوى الحزن والكبد والندم . لقد مكنت منه
عدوه حتى قتله .. الندم الأليم جزاء ودنا ورحمتنا .
ألم تك طفلاً بيننا أول ما رأيتك وراك هو الذي
كان غاية في البر والتبل وحسن النية . وقد كان من
رأيه إرسالك إلى جهة أخرى ولكني سألته أن
يقيمك حافاة معي وسفها ، وادعيت أنك تعجبنا وسدناك
قطع بوردرو صمته بكلمة واحدة فقال :

— لقد كنت صغيراً لا أعي شيئاً ولا أميز الخير
من الشر ، ولا أفرق بين الحجر والتمر .
فقلت السيدة :

بالرغم من صغر سنك إذ ذاك ومن ضعفك

وإنه لكذلك منهمك في كتابة ما وصل إلى
سمه وذهبه من الأسماء والواقع ، إذا بستم دارك
نايط أوجارد ، ذلك الحق الخطير الذي يرض في
«فيلاسافوار ثروث» بأعلى قة في مقاطعة نورفوك
ولا يرد عاصمة الدير إلا نادراً . ولا يكون وروده
الإمؤذناً بأمر من أم الأمور في عالم الجنائيات الخفية ،
عالم الظلام والجريمة ، وقد استغاضت شهرته في
عوامس أورديا وأمريكا الشمالية حتى كسفت شمسه
كواكب الشهرة العالمية التي عرف بها أرسين لوبان
ورافاز وموديس هيوت ... فلم يكن يضارعه
أو يفوقه قليلاً سوى أستاذة ومرشده وعلمه
الأول شيرلوك هولمز ، ولكن هولمز قد قضى
نحبه قبل موت صاحبه بأعوام وقد خلا الجوف لدارك
نايط أوجارد فلا مزاحم ولا مبارز ، وقد ساعدته
طواله الحظ السعيد فأظهر حذقاً ومهارة تكاد
تكون من السحجات ، لا من نبوغ الفن في
كشف الجرائم

فقدت التواصي على الإعجاب بدارك نايط وصار
بطل الساعة ، وخضع اسكونلاندي يارد الأله ، لأن
دأبه أن ينقض ما يرمونه وينفي ما يتبونه ، ويتكذب
ما يقطمون بصحته ولا يبال ، لأنه لا يلبث أن يقيم
الأداة الحاسمة على صدق نظره وصواب رأيه . ومن
ذلك لم تتولى دهشة ولم يأخذني عجب إذ رأيت
هذه السيدة القنمة تلجأ إلى دارك نايط فتشهد إليه
بقضيئها ليكشف بقوة ذكائه الخارق أسرارها
النامضة ، فيرشدنا إلى الجاني الذي تحوم حوله
شبهاتها ، ولا تستطيع أن تقدم عليه الدليل

تبدأ حوادث هذه الجريمة في بلدة نيدلهم من

إلى الطريق . فسأله صاحب الحانة مستر ما كيردو ،
أشهر « بوس » في ماربل آرش قائلا :

— خادت مهم يا حضرة الكونتستابل ؟

— أي نعم ، فقد قتلت الفتاة ليرلي أوميجان

هايل وهي الآن جثة هامدة على إفريز الشارع ، وقد
طلعت في قلبها بمنجبر منذ هبة كأن قاتلها كأن
ينتظر خروجها من الباب .

وكان المؤلف ميكائيل آرلين يصني إلى كل
كلمة تدور في الحديث بين صاحب الحانة وصاحب
الشرطة ، يكاد يرشف الأنفاس حرقاً حرقاً ،
ويشتبى الماني خراً سرفاً ، وحتى لتراه وهو يستمع
إلى حديثهما عن المرأة القتيل ، واليد الخفية التي
طمعت ، والقلب الصخري الذي قسا ، والفكر
الخبث الذي دبر مصرع المرأة ، كأنما يجيل إليه
أنه يرى قصة ما يسمع ، وأنه يشهد حادثة لا يصني
إلى حديث . ولا ريب في أنه كان يضم
وضع قصة طريقة يجمع لها للشاهد ويحشد لها
الأقويل كالنحلة التي تجنى من كل زهرة قطرة ، ثم
يزين له الخيال ما زين فيضيف من وجهه إلى ما سمع
مالم يسمع . وكان يستريد مما يسمع وهو مصغ ملذوذ
فيحمل صاحب الحانة والشرطي على الاطناب
والاسترسال ، حتى ينفض جملة ما في نفسه من
رواية الواقع أو مبتدعات الخيال

ولكن الشرطي كان عجولاً . بعد أن أنهى
خبر الناجسة إلى المركز العام لم تبراأ فتمته ، ولن
تبراأ حتى يجمع الأدلة ويدونها في كئاشته . كذلك
المؤلف ميكائيل آرلين فقد أخذ يدون ما سمع في
مفكرته ...

ومراجع صداها فلما بهذا الزعيم العائلي ، ورئيس الأسرة الجادة الجدة مفجراً بتراب الأرض مفرجاً بدمائه ، مكفناً بنباهة التي كان يحتال فيها منذ برهة . ولم يبقوا في مكان القتل على أثر للفاعل الشرير الذي انتهر بلا ريب خلوا المكان ، فصبوب فوهة طبعته إلى صدر الرجل ضامناً القضاء عليه حتى لا يشي به ولا يوح باسمه

واتصل الخبير رجال الشرطة وأحوال سكونلاند يارد ، وكان من فتيهم ما يكون في مثل تلك الحال فانتقلوا بعضهم وقضيتهم وأدوات مجتهم وآلات خصمهم ، وبثوا عيونهم وأرصادهم ووزعوا أذنانهم توزيع الماء في الفيضان ، ولكنهم وأسفا عادوا بالخيبة وبأؤا بالهجرة ولم يبقوا إلى إثبات التهمة على أحد . غير أن واحداً من أقوى أعداء الرجل حامت حوله للشبهات وكان صديقاً حميماً لبوردرود الذي رجا القتل وأغنى عليه وتمهده منذ الصبا إلى تمام الرجولة وجعله موضع فتنه وموطن أمانته . ولكن بوردرود الذي لانتك أسرة الصريع في علمه بشخصية القتال وقدرته على إقامة الأدلة على جنائته ، غادر البلدة ولم يد إليها وفضل أن يعيش على هامش الحياة في لندن ، على أن يقضى بقية أيامه في مسقط رأسه ومستقر أسدقائه ومواليه ومن بينهم تلك السيدة ، وهي لازال دأبة في البحث والتفتيش ، وقد ضرب لها دارك نايطاً وفجاردر موعداً في هذه الحانة ليتمكن من رؤية الرجل الذي تظن أنه يعرف قاتل زوجها . فلما دخل من الباب ووقع بصره على الرجل والمرأة التي تحاول تلين قلبه ليمترف لها بما يعلم تقديرها لجليها وجيل زوجها في معاملته تجاهلها ثم خرج وعاد متزيهاً بزي سكير

مقاطعة يوركشير حيث توطنت أسرة كبيرة المدد من نيف وثلاثين عاماً ، وانقطع أعضاء تلك الأسرة إلى الزرع والفرع والحراث والزرا والسقيا والجمع والمسد ، والانتجار في الجيوب والأنعام والأسواف ، وتربية المواجن ، وترويض الجياد لكسب نصب السبق في مضمار داربي القريب من موطنهم . وبالجملة كانوا أسرة لا تعرف اللو واللعب ، ولا تنضج الأوقات في غير ما يعود على أفرادها بالغير والنفقة ، حتى أسبحوا مثلاً بمحندى وقدة تتبع في الجد والاجتهاد والحرص على المال والحظ في تكوين الثروة . وكان أرجوس كوبلاند برا كينري أظهر أفرادها مشهوراً بالشدّة ، فكثرت عند أعدائه الذين يضررون له سوءاً ويحقون نية الانتقام لثارات لا يعلمها إلا ذووها ممن ربوها في صدورهم ونموها في أفئدتهم . ومن العجب العاجب أنه لم يسمع قط يتلفظ بكلمة خشنة ، ولكنه كان لا يتبدل مع أتباعه ، وكان يتلفظ في معاملة الأمة السوداء كما يتلفظ في معاملة الأميرة المعماة ، ولم يكن يخطر ببال أحد أن يجراً عليه تبحراً منكراً . وكان أرجوس كوبلاند برا كينري يضطر أشد الخلق صلفاً وكبراً إلى الكف عن غلوائه بما يصبوب إليه من قوارص التهم ، فقد كان له في ذلك مذهب يجعل الناس منه على أشد الخفاة والحذر . وعما قيل عنه إنه كان يحب الترويض على كل مجلس يضمه

وفي مساء يوم من الأيام سمع أهل البلدة التي كان يقيم فيها ذلك الرجل وهي نيد هام بمقاطعة يوركشير طلقات نارية تترى ، فلما زال الجلود الذي يتلوقع الكثرة ، وقضى على البهشة التي تعقب كبار الحوادث هرع الناس إلى مصدرها

لا يد لك فيها تبت يداك . لا تحدثنى عن نفسك إلا حديثاً فيه قتل كنت أنت بطله .

قال بوردرو : إنك لم تفهم شيئاً . ألم أقل لك إن الشقيق هو الذى قتل وإني الذى مهدت سبيل القتل ، بإختيار الساعة التى كان فيها القتل وحيداً والطريق خالياً . وقد كان نصيبى من تلك الحادثة مكافأة قبضتها بعد مرور عام على حفظها فى سجل الشرطة ونسبتها مؤقتاً إلى قاتل مجهول فأبرقت أسرة دارك نايط ولدت حينه . وقال له :

وما عليك إذا كنت تصيب مكافأة جديدة لا يبرف سبيلها سوى ؟

فخلف بوردرو فى عهده ، فاستمر الرجل :
— أى نعم ، أكتب تقريراً مطولاً يثبت به أحد أصدقائنا إلى رجال الشرطة فيمنعونك منحة لا بأس بها ، ولا غبار عليك ولا حرج . فضحك بوردرو حتى باتت نواجذه . . وقال : لقد كتبت ورقة كهذه واجهت أن أدفع عن نفسى المسؤولية ما أمكن ذلك . وما كها :

فضحك دارك نايط وقال : وأنا أعددت لك للمكافأة وما كها . وأخرج من جيبه « جامعة » الحديد ، وقيل أن يستفيق بوردرو من دهشته ، ليدرك ما حل به كانت يدها مقيدتين فى الأغلال وكان رهن رجال الشرطة الذين كانوا يحيطون به من كل جانب .

وكان المؤلف ميكائيل آرلين يهرف السمع ويصوب البصر ليكشف على هذا الحادث الجديد بالتفصيل ، فما كان يصبر على أن تقوته طرائف الحوادث فى هذه الليلة الحافلة بالحوادث

محمد لطفي محمد

لا يفتق وإن يكن من أهل الأناقة ، وأوماً إلى السيدة أن تاتجى فتنتح ، وجلس إلى جانب بوردرو الذى لم يبرفه

وتبادلا النظرات . فالحديث فالساقرة . وبدأ دارك نايط يروى لبوردرو بعض حوادث من مبتدعات الخيال يومه أنها من مناسرائه وأنه كان بطلها إلى أن سال لئاب بوردرو ، فروى له الحادثة الآتية : لو أسرعرت الخطى منذ هنية لاصطلمت هنا بإمرأة تنهى بالقتل وأنامته برى وتندلل إلى وتستطلفي وتمنقى وتدكرنى بالماضى السحيق .

وقد قتل زوجها ولم يكن إلا قاتلارجل آخر استولى على ثروته وكان من الحظ بحيث لم يكشف عن جريمته أحد ، ومضى على هذه الجريمة أعوام وأشهر وأيام ، وظن القاتل وهو زوج تلك المرأة اللعة أن ستر التسيان قد أسدل على الجريمة والجريم ... ولكن شقيق القاتل كان لا يزال يذكرها مماً ، وكان يمد الأيام والساعات ويحصى دقائق والثواني ويحتفز للانتقام من اعتقده قاتل أخيه ، وكان يجهل ولا يجهل ، كأنه القضاء المبرم ، وكأن القضاء المبرم أراد أن ينزل به فى أسعد أوقات حياته ، فانتحل به وصادقه وسافاه ، حتى أمن القاتل جانبه ، ونصح إليه بالزواج فتزوج وشاركه أفراحه ، وصحبه إلى باب غرفة الزفاف كأعز صديق يقضى مع صديقه آخر أوقات المزوية ليشاركة مسراه

ولما سمعت له فرصة القضاء عليه وهو على أتم ما يكون صحة ومالا واجهاً وأمناً على نفسه وفرحاً بزوجه وولده ، استل روحه من بين جنبيه فضحك دارك نايط وهو يتظاهر بالسكر وقال : وما دخلك أنت أيها اللقي فى هذا الأمر ؟

هَيْكَلُ الْعِظَمِ

فَلْيَسُوفَ الْهَدُوءَ شَاغِرًا رَابِدًا
يَسْتَلِمُ الْأَسْتَاذَ عَمَلُكَ أَيْلَ حِجَابِ

الشيئية الذي لا يلبث أن ينطق في كل ساعة من الليل أو النهار ؟

ولتداعى الفكر عاودني ذكرى الهيكل العظمى ، وبينما أنا أتصور شكل الجسم الذي كان يكسو تلك العظام ، شعرت أن شخصاً يدور حول سريري يحير متسكماً بجانب

الحائط ، ولقد شعرت بنفسه السريع ، وخيل إلى أنه يبحث عن شيء لا يجده ويدور حول النرفة بخطى سريعة

ولقد خدعت في الحقيقة من شيء خلقه غنى المضطرب الذي حرم نومه ، وظننت أن وقع الأقدام التي سمعتها ما هو إلا دقات شراييني في صدغي ، ورغم ذلك شعرت بإرتماء متلج ... ولأطرد من غيالي هذا الهذيان صحت بأعلى صوتي : « من هناك ؟ » فأحسست بأن الخطى وقفت بجانب سريري وأجابني صوت : « أنا الطارق وقد أقبلت لأختبر هيكل العظمى »

ومن السخف أن يظهر الإنسان الملج والحلوف من خيال بسيط ، ثم اكتفيت بأن أضغط على وسادتي وأصبح بلهجة غخلفة للأولى : « إن هذا الشاغل الذي اقتادك في مثل هذه الساعة من الليل لضحك ؟ وماذا يهمك هذا الهيكل العظمى »

ويظهر أن الجواب انبث من كائني نفسها : « إن عظام هذا الهيكل قد أحاطت قلبي ورأت عاصم شياطين الخلافة في دريما السادس والعشرين ! وكيف أقوم الرغبة للحة في رؤيتها ثانية ؟ »

فقلت له بدوري : « إنها رغبة شرعية فتمم بحثك واركض لشأني عساني أجد النوم »

كان في النرفة المجاورة لנرفة نوم الأطفال هيكل عظمي ملقن يقرع حيناً تعث به الريح وفي النهار كنا نسر بالاصطدام به

وكان في هذا الوقت طالب من مدرسة الطب بكامبيل يعلنا تشرح العظام لأن أوصياءنا كانوا يزعمون أنهم يتقشرون في عقولنا البلم التام . ليت شمري لأي شيء نجحوا ؟ ولا حاجة لأن نقول ذلك لن يرفنا . والأفضل بلا شك أن نلزم الصمت أمام من يجهلنا

وقد كرت الأعوام واختفى الهيكل العظمي من النرفة كما اختفى تشرح العظام من ذاكرتنا دون أن يترك أي أثر

أزدهم منزلنا أخيراً بالمدة عين فاضطربت أن أقضى الليل في تلك النرفة التي كان ملقناً بها الهيكل العظمى والتي انقضى الزمن الذي كنت أنفها فيه . حاولت النوم بكل وسيلة فلم أستطع ، أخذت أقلب وأعد دقات ساعة الكنيسة طوال الليل ... طفق مصباحي يمتلج لحظة ثم انطفأ ، وقد فقت أسرتنا بعض أعضائها حديثاً ، وهذا ما اقتاد فكري نحو الموت ...

سألت نفسي ألا يشبه نور الصباح الذي يثبه في الظلمات من مسرح الحياة العظيم منوه حياتنا

— أعم إذن حديثي . ولقد عدت إلي بيت أبي بكل سرور . ولو إن البيعة التي كنت فيها ما كانت تشر بشيء من عاسي لكنني كنت واثقة من أنني أحرز جمالا رائعا نادرا . فما رأيك ؟
— هذا شيء معقول جداً ، ولكن لا تنسى أنني لم أرك قط .

— قط ؟ ولماذا تمل بهيكل العظمى ؟ ها ! ها ! هذا لا يهم فاني أزمح

وكيف أجعلك تصور أنه كان في هذين التجويفين الذين تجردا من لهما عينا سوداوان يتلاكان بأنواع السحر والفتنة ؟ أو أن الاقسام التي كان يضيء هاتين الشفتين الورديتين لا يشبه في شيء هيئة الضحك المابس التي عرفها ، وعند ما أذكر كل الحاسن والرشاقة ومثانة هاته الانحناءات التي كانت في شرخ الشباب تفتح كالأزهار فوق هذه العظام النخرة لا أستطيع أن أكنم ابتسامي . وإنني لأتألم من ذلك . وهل يستطيع مشاهير العلماء في زمن أن يفرضوا أن عظام جسم مثل هذا تخصص لدراسة تشرح العظام ؟ واعلم أن طبيباً من الشبان المجاورين لنا شبهي بزهرة- (الشباك) الذهبية ؟

وحينما أمشي كنت أشعر بأن أقل حركاتي تفجر أمواجاً منسجمة تنبث من كل صوب كلاله اللامس . وكانت تمر علي ساعات وأنا أشاهد في يدي اللتين كبتا برشاقة الرجال الذين يتأجج فيهم نشاطهم

ولكن هذا الهيكل العظمي قد أخفق هناك الحقيقة كشهادة الزور ، ولم يكن في ميسوري أن أدحض تأكيده الوخف . إنني أشرأني أحب
(٢)

فرد الصوت : « إخالك وحدك وأود أن أجالسك لحظة لتسامر فيها . لقد كان يسرنى أن أساجل الناس الحديث ولكني لم أكن في هذه الخمسة والثلاثين سنة الأخيرة إلا الأتني فوق نيران الموت ، وما أحيل أن أحادث اليوم رجلاً مثل المهذ السابق »

وقد شمرت أن شخصاً أقبل وجلس بجانب ستأري فاستسلمت واستمتت بتوددي قائلاً :

— ما أعظم ابتهاجي وسروري للسمر ولتبعث سويًا عن موضوع شائق نتحدث فيه ...

— إنني لا أجد موضوعاً مسلياً أعظم من قصتي الشخصية فعمل تسمح لي بسردها ؟

وقد دقت في هذه الآونة ساعة الكنيسة الثانية صباحاً

قال الصوت : « حينما كنت في عتفوان شبابي وكنت أظن بين الأحياء سبب لي أحد الناس فزعاً ورعباً يفوقان رعب الموت : ولم يكن ذاك غير زوجي . وإنني لا أجد ما أقارن به شعوري غير السمك الملن في سن الشص فكان شخصاً أجنبياً علقني بشص هثيف وانزعني من دار طفولتي السعيدة حتى كنت لا أستطيع أن أفكر في الخلاص .

ولقد مات زوجي بعد الزفاف بشهرين بينما كان أقارب وأصدقائي سيكون بكاء صراخاً لظلي التمس النكود . وفي ذات يوم قال حي لحاتي بعد ما أطال النظر إلى وجهي : « ألا برن أن زوج ابنتنا لها عين سوء مألوبة حاسدة ؟ » هل أنت مصغ إلى ؟ وهل يهمك حديثي ؟

— يهمني جداً وإن أوله ليدل على أنه شائق
مسل

فأجبت وقد سبقت لسانى زفرة :

« وددت لو كنت شيكاراً ! »

— انتظر قليلاً وأسمع أولاً لآخر الحديث ،
وفي ذات يوم مطير أسألتنى الحى فجاء الطيب
يسودنى ، وكانت هذه أول عبادته جرت بيننا .
كنت راقدة أمام النافذة وقد لطف ضوء الشمس
عند غروبها يياض لوني ، وحينما نظر إلى الطيب
وضمت نفسى مكانه وطفقت أنظر إليه مفرقة في
التصور والتأمل ، وشاهدت وجهى الشاحب في
ضوء الأسبل موضوعاً فوق الوسادة البيضاء كزهرة
ذابلة وحلقات شمري الحلى تبتجج بيننا أجفاني
مطرقة بإستعجال ناضرة ظلاماً فوق سحنتى

سأل الطيب أختى والحياء يلثم لسانه ويخفض
من صوته : « أتسمع لى أن أجس نبضها ؟ »

« أخرجت من تحت النطاء قبضة مستديرة
مدققة ولا حظت حينما تقرست فيها أنها عاقل من
سوار الصغير ! »^(١)

لم أر فى حياتى أجمل من هذا الطيب فى جس
النبض . كانت أسابه ترتمد حينما تمس فداى ، فإن
قاس درجة الحى فى جسمى فإنى شمرت بدقات
قلبه وقسمتها من أسابه — هل وعيت خديتى ؟
فقلت : بكل سهولة ، إن دقات قلوبنا تعبر عن
أفكارنا

— وبعد عدة عكات وكثير من الشفاء
والعافية وجدت أن عدد الفتوتين الذى يؤمون
بلاط حى الخيال أخذاً فى النقص حتى انتهى إلى
فرد واحد وفى النهاية استحبال طالى الصغير إلى
طبيب ودققة

(١) من طيات المنود أن الأيلى لا يلبس غير الثياب
البيضاء ويكن عطلات من الحلى

أن أطرد الناس من عنيك إلى الأبد بأن أستحضر
أمامك الصورة الوردية الحية لجالى بحيث أمحو من
أمامك كومة العظام المشؤومة التى تملأ ذهنك

— كنت أستطيع أن أقسم بجمسك إذا كان
لم يزل حياً ، ولو أنه لم يترك منه أى أثر من النظام
لكن عقل قد افتتن بالصورة الوضوءة لجلال كامل
يظهر بهاء بقوة التضاد هذا الليل القاسم الذى
يحيط بها ، وإنى لا أقدر أن أقول أكثر من هذا
— استمر الصوت فى حديثه قائلاً : لم تكن لى
صاحبات لأن أختى الوحيد صمم على عدم الزواج .
كنت وحيدى فى خديرى ، وقد اعتدت أن أستلقى

فى الحديقة فى ظل شجرة ، وكانت الأحلام
تستدرجنى فى يقظتى حتى خلت أن العالم كله قد
شففه حى وأن الدرارى التى ما فتئت مستيقظة على
الدوام لتثمل من نشوة بهائى ، إن الصبا لتنهّد حينما
تنتحل لها عنراً لتتمسح بى بمجانحها . وإن دامت
قدي مراً فإن مجرد اللس بفقده رشده . وإن
فتيان العالم يظهرون أمامى كأهم أعواد الكلال
تحت قدي ، ولا أبدرى لأى سبب يلازمى الحزن
والسكابة

وحيثما تخرج شيكاراً صديق أختى من مدرسة
الطب أصبح طبيباً أستاذنا ، وقد لحنه عدة مرات
غثيباً وراء ستار . وكان أختى رجلاً غريب الأطوار
لا يهتم بالنظر إلى العالم الخارجى ، وكان يوده ألا تكون
الدنيا مقفرة ويبتعد بالتدرج إلى أن يقع فى ركن
مظلم ، كان شيكاراً صديقه الوحيد الذى أتاحت لى
الفرص لمقابته ، وفى بلاط الفتوتين بمجى الذى كنت
أغنيه فى أوقات زهقى اليلة كان كل شاب مشتت
الفكر عند قدي يستمير وجه شيكار . هل أنت
مصغ إلى ؟ وما قولك فى قصتى هذه ؟

— دعني الآن أتم الحديث ، وما أنت وجد الطبيب بعض الرضى حتى أخذ غرفة أرضية من منزلنا وأعد لها ليلته . وفي هذا الزمن كنت ألهو بسؤاله عن تأثير العقاقير والسوم والكمية الكافية لقتل رجل ، فكانت هذه الأسئلة ملاعبة لطيبته فأجاب عليها بفصاحة ولباقة ، وكان من نتيجة هذه المحادثات أن سارت عندي فكرة الموت مادية لا تثير أي اهتمام ، وبذلك توطن الحب والموت على الباطني . إن حديثي قد قارب النهاية لأننا وصلنا إلى المرحلة الأخيرة

— كما أننا وصلنا إلى المرحلة الأخيرة من الفيل — وقد لاحظت بعد مدة من الزمن قلقاً غريباً يساور الطبيب وظهر عليه كأنه ينجح من أمر يريد أن يخفيه عني . وقد حضر مرة بشباب قاهرة وهندام ظريف ليستمع عربة أخى

« كنت فريسة لتطلع شديد قصصت على سؤال أخى . وبعد أن دار بيننا الحديث من الشرق إلى الغرب قلت له : خبرني بالحقيقة يا أخى ، أين يذهب الطبيب الليلة في عربتك ؟

فأجاب أخى باختصار : « إلى اللوت »

— خبرني بكل صراحة أين ذهب ؟

— « ذهب ليتزوج » وقد أجاب أخى بطريقة أكثر وضوحاً

— أحقاً ما تقول ! وقد تفوت هذه الكلمة مصحوبة بتمقة طويلة

وقد علت في آخر الأمر أن الخطب كانت غنية وورثت ميراثاً عظيماً سيئدق على الطبيب ثروة طائلة ولكن لم أعاني بإخفاؤه هذا الشروع ؟ هلا سألته يوماً أن لا يتزوج حتى لا يرمى فؤادى ؟ ولكن الرجال لا يؤتمنون . لم أعرف في حياتي إلا رجالاً

و بمناسبة مقابلتي اعتدت أن ألبس سرا طليساناً أصفر وكنت أعقد حول شمري عقداً أبيض من أزهار الياحين ، ثم أتناول سراجي وأذهب إلى مكانى الذى ألفتته تحت الأشجار

إنك ترى بلا شك أن مشاهدة جمالنا فى المرأة يكون على عمر الزمن مملاً ؟ ولكن شيئاً من ذلك لم يحصل لأنى لا أنظر بسى نفسيهما لأنى كنت فى الوقت نفسه أحد الشخصين فكنت أختبر كما يختبر الطبيب وكنت أطيل النظر وأفتن وأشتعل بنار الحب . ورغمًا من انقباضى وحذرى أغار أنين على فؤادى وسمع له صوت كنسيم العسا فى السماء

ومن هذا العهد كفت عن الشعور بالوحدة وفى أثناء زهقى كنت أتبع بنظرائى عتب أسابع رجلى الصغيرة الرقيقة بالرمال الناعمة ، وكنت أسائل نفسي ماذا يكون شعور الدكتور لو كان حاضراً . كنت أمثل الشمس وقت الزوال مشيرة على الزرقاء بنورها الواهاج ، ولم يسكر صفاء السكون غير صياح متقطع لفسر صيد وسوت وراء سياج الحديقة لبائع خواتم من البلور وهو ينادى نداء شجياً : فرشت على الكلال ملاءة بيضاء لأستلقي عليها وأستندت رأسى إلى ذراعى وأرحت ذراعى الأخرى فوق الملاءة بشكل رشيقي ، وقد تحيلت أن شخصاً ما لن لاحظ وضع يدي الشائقة فشد عليها بين يديه ووضع فى راحتي قبلة ذهبية واجتمد يده . وإن وقفنا الحديث هنا فما رأيك ؟

— « يكاد يكون ختاماً مقبولاً » وقد أجبنا بلهجة حالم . قالت : وستبقى السورة بأقصة قليلا ولكننى سأقضى بقية الليل فى إصلاح هذا النفس — ولكنها تكون جافة . وكيف تدخل فيها الضحك ! وكيف نصل إلى جبل الميكل المظلى بضحك وينكر ملاعقه ؟

الشجيرة ، ثم ذهبت إلى خدرى ولبست ثوب الزفاف للنسوج من خيوط الذهب والفضة وترينت بحلي ووضعت على شمرى اللامعة الحمراء التي تميز الزوج وذهبت إلى الأشجار لأهمي معصبي .

وكان الليل شامقاً وقد ذهبت رباح الجنوب للنمشة بتعاب الدنيا وقد تنفوس هذا الباسمين والورد حتى غمر البستان البشر والفرح

وكانت أصوات الموسيقى تصل إلى سمى أضنف مما كانت عليه وطفق للآلاء القمر أخذاً في النقص وانحلت من ذا كرني الدنيا وصورة بيت الأسرة كأنها وهم تبدد ثم أغضت عيني وأنا مبتسمة .

وقد تخيلت أن الدين سيقبلون لمشاهدة بسمي الأخيرة النطبعة على شفتي كأنها آثار نبيذ وردى ، وأنى سأدخل في خدع زفاني الدائم ووجهي مضى بنفس ابتسامه .

وأأسفاه على خدع زفاني وثوب عرسي للنسوج من الزخرف والجبين ؛ لأنني حيناً استيقظت من قرمة العظام التي يحيل إلى أنها صادرة من هيكلى النظمى وجدنتني في حضرة ثلاثة غلمان يتملكون تشريح النظم في هيكلى . وفي هذا الصدر الذي كانت تخفق فيه أفراسي وأتراسي والذي تفتحت فيه وريقات زهرة صباى كان الألم يبين بسبابته عظامى واحدة فواحدة . هلا وجدت أتران من هذا الابتسام الذي درسته بكل عناية ؟

وكيف وجدت قصتي ؟

— إنها اللذينة عبوة .

وفي هذه الآونة ابتداء ينق أول غراب

ثم سألت : « هل أنت هنا ؟ »

فلم يرد على أحد

واخترفت أشعة الصباح خدعى فأناذته .

محمد لامل مجاب

واحدًا ، ولكن لحظة كانت كافية لكشف هذه الحقيقة .

ولما رجع الطبيب من عمله ونهياً للرحيل قلت له والضحك يتأبني : « ستزوج في هذا المساء أيها الطبيب ؟ »

— إن فرسى قد أربك بل زاده غيظاً وحققاً

— ماذا جرى فاني لا أرى الأور كستر ؟

— فأجاب بتأوه : هل الزواج حدث مفروح ؟

« طودني ضحك عنيف لا يئلب ثم قلت له :

لا ! لا ! فذاك من المستحيل أن يطن زفاني

دون أنشواء وموسيقى !

ثم ضاقت أحنى حتى أعد معدات العرس ووجهه بهيجاً ساراً .

ولم انقطع لحظة عن التندر بالطلب وعن الواقع التي ستمر بها وعن حالتى تلقاء هذه الواردة الجديدة .

— خبرني أيها الطبيب ، هل ستستمر في جس نبض مرصاك ؟

نح ! ولو أن عمل العقل الباطن غير منظور لاسيا عند الرجال فاني أستطيع أن أؤكد بأن قولى سيمضى فؤادى محدنى كالحراب الفولاذية .

إن الزواج سيظهر بعد قليل في الليل وقبل الذهاب شرب الطبيب هو وأخى كأساً من النبيذ

كما ذهبا اليومية ، وفي هذا الوقت طلع القمر « ثم تأملت حديثي قائلة والابتسام يملو وجهي :

هل نسيت زواجك ؟ قد أن السر »

وقد فاني بعض التفصيل ، فاني قبل هذه الآونة قد هزلت إلى العيادة وأخذت منها مسحوقاً ووضعت خفية في كاس الطبيب .

لقد أفرغ الطبيب كأسه بهذه واحدة ثم قال لي بصوت متهدج من التأثر مصحوب بنظرة اخترفت فؤادى : « سأذهب » . ابتدأت للموسيقى بأنفسها

بالخافه ، وأحياناً كان يتصدى للسارة
وسألهم إذا كانوا يعرفون سبيلاً إلى
عمل خال

ولم يصدقوا جبرائيل أن يكون ماله على
الناس . وقد أصبح وجوده يشغل بعض
مضيفيه . وتعرض بعض الخدم الذين

كان ينزل عليهم لتأنيب غدومهم إزاء سبيبه . لقد
كان في حيرة تامة لا يدرى ماذا يفعل ، وأحياناً
كان يجوب الطرقات النهار كله دون أن يتناول
طعاماً ...

— ٢ —

في أحد الأيام ذهب جبرائيل إلى صديق له من
أبناء قريته ، يعيش على حدود موسكو . وكان هذا
الصديق حوذكاً عند رجل يدعى شاروف ، وقد
مضى عليه أعوام كثيرة في خدمته شاروف ، وقد
أفلح في أن يستحوذ على محبة سيده فأصبح
بأمنه على كل شيء . ويسدى له دلائل الرضا .
ولم يسهل للفتيق هو الذي كسب له ثقة سيده
فقد كان يشي بكل الخدم ، وكان شاروف يقدره
من أجل ذلك

وتقدم جبرائيل بحاجاه واستقبل الحوذكى صديقه
استقبالاً مناسباً وقدم إليه شايًا وبضع الطعام
ثم سأله عما يفعله فأجاب :

— في أسوأ الأحوال يا جبرئيل . إن أمشي
بدون عمل منذ أسابيع

— ألم تسأل غدومك القديم أن يستمذك إليه ؟

— لقد سأنته

— أو لم يقبل ؟

— هناك من خل على

الخادم

للأناب العظيم سميرنوف

بقلم الأديب نصرى عطا الله سوس

— ١ —

عاد جبرائيل إلى موسكو حين كان يتعدى
الحصول على عمل فيها ، وذلك قبل عيد الميلاد بأيام
قلائل . وفي هذه الفترة كان كل عامل يتمسك بعمله
مهما كان حقيراً ، طعاماً في الحصول على هدية من
غدومه . وهكذا قضى الشاب الفلاح ثلاثة أسابيع
دائماً في البحث عن مهنة ولكنه لم يوفق

وكان يعيش مع آقاربه وأسدةاه الذين تزحوا
من قريته . ولم يكن في فقر مدقع ، ولكنه كان يشتم
لرؤية شاب قوى مثله يجتاح بغير عمل
وقد عاش جبرائيل في موسكو منذ حدثاته .

وعند ما كان طفلاً كان يشتغل بنسل الآواني في
معمل من معامل البيرة ، ثم اشتغل بعد ذلك خادماً
في أحد المنازل . وفي السنتين الأخيرتين كان
يماون أحد التجار ، ولو لا أنه دعى إلى قريته
لسبب يتعلق بالخدمة العسكرية لبقى حيث كان إلى
الآن . ولسبب ما لم يقبل جبرائيل جندياً . ولما لم يكن
معتاداً حياة الريف فقد بدت القرية ليمنيه في حلة
من الكآبة ، وصمم على الرجوع إلى موسكو مهما
كانت النتائج

وكل دقيقة تمر كانت تزيد مله من جوب
الطرقات في فراخ وبطالة . ولم يترك جبرائيل أى
سبيل للعمل إلا طرقها . ولقد ضايق جميع مزارعه

يذرع أرض الفرفة ثم وقف فجاء أمام جيرازيم وقال:

— استمع يا بني ، إذا رغبت أن أحدث

السيد شاروف عنك فلا بأس

— وهل هو في حاجة إلى خادم؟

— لدينا خادم غير كفه . تقدم به العمر

ومن للتشرف عليه القيام بالخدمة . ومن حسن الحظ

أن هذه الضاحية غير مأهولة — كما أن رجال

البوليس لا يصدقون كثيراً ، وإلا لم يمكن الخادم

الشيخ أن يحتفظ بالمكان على حالة من النظافة ترسيهم

— آه .. لو أمكنك ، حدثه عن يايجور —

إني سأدعو لك طول حياتي .. لم أجد احتمال العيش

بدون عمل

— حسن . سأحدثه عنك . تعال غدا .

والآن يحسن أن تأخذ هذه التبريمات

— شكراً يايجور . هل ستحدثني عنى ؟ قم بهذا

الجميل من أجلي

— حسن . سأحاول

وانصرف جيرازيم وأعد ييجور العربة وارتدى

ملابسه الخاصة بمهنته وقاد العربة إلى الباب الرئيسى

للنزل حيث ركب شاروف ، ثم انطلقت به الخيول

إلى المدينة وهناك أدى مهمته ثم أب إلى منزله .

ولاحظ ييجور أن سيده على شيء من البشاشة فبدأ

حديثه منه :

— هل لى أن أسألك مروقاً ؟

— وماذا تطلب ؟

— شاب من قريتي ، شاب طيب ...

ليس لديه عمل

— حسن !

— ألا تلحقه بمخدمتك ؟

— آه ... هنا هو السبب . تلك هى خطيئة

أيها الشبان . تخدمون رؤساءكم حيثما اتفق ، فإنا

تركتم مهنتكم تكونون قد سدتم طريق الرجوع

إليها بالأحوال . ألا يجب أن تقوموا بواجباتكم

بحيث تقالون التقدير الحسن ، فإذا رجتم

إلى خدمتكم لا يهانكم — بل يخرجون من

حل عملكم ...

— وكيف يكون ذلك ؟ إنك لا تجد خدمتين

على هذه الشاكلة في هذه الأيام كما أننا لسنا بملائكة !

— وما فائدة تبديد الكلام ؟ إني أريد أن

أحدثك عن نفسي : إذا حدثت أنى تركت عملي لسبب

من الأسباب ورجعت إلى منزلى ، فالسيد شاروف

يقبلنى عندما أرجع إليه ويكون سيدياً يقبولى

وجلس جيرازيم عزوناً . لقد لاحظ أن

صديقه كان يباحى بنفسه ، ورأى أن يسأله فقال :

— إني أعرف ذلك ولكن من السير وجود

رجل مثلك يايجور . ولو لم تكن من أجود الخدم

ما أبقاك سيدك في خدمته اثني عشر عاماً

فأنتهم ييجور لأنه كان يحب الدح وقال :

— ذلك هو الواقع . لو أنك اتبعت نظائى

في الحياة والعمل ما وجدت نفسك عاطلاً شهراً

بعد أشهر

ولمضى شاروف حوذه فخرج وهو يقول :

— انتظر برهة .. سأرجع حالاً

— حسن جداً .

— ٣ —

عاد ييجور وأخبر صديقه أن عليه في خلال

نصف ساعة أن يعد العربة ويسرج الخيل ويستمد

لجل سيده إلى المدينة . وأكمل ييجور بيته وأخذ

— أرجو يا مولاي أن تلحقه بخدمةك . كم أنا حزين له ! يا له من شاب خبير ! ومع ذلك فهو عاطل منذ أمد طويل . إنه سيؤدي واجبه على أكمل وجه وسيخدمك بإخلاص . لقد ترك عمله الأول بسبب الخدمة العسكرية . ولولا ذلك ما تركه خدمته الأولى

— ٤ —

عاد جيرازيم في المساء التالي وسأل صديقه :
— هل أمكنك أن تقوم بشيء في سبيل ؟
— نعم ... على ما أعتقد . دعنا نقاول بعض الشاي أولاً ، وبعد ذلك نذهب لمقابلة سيدي .
ولم يكن جيرازيم يترافق في شرب الشاي .
لقد كان متشوقاً إلى معرفة ما قرر عليه أمره ولكن مقتضيات الواجب واللباقة يحو صديقه أجبره أن يشرب قهقهين من الشاي ، أخذه بعدها صديقه إلى رب القمار

وسأل شاروف جيرازيم عن مكان سكته وعن خدمته السابقين ، ثم أخبره بعد ذلك باستبداده لقبوله خادماً طاماً يؤدي كل ما يطلب منه وأن عليه أن يأتي صباح اليوم التالي ليتدبّر عمله . وأدخل جيرازيم هذا الحظ المفاجئ وكان فرحه عظيماً حتى أن قديمه لم تقوا على حله ، وبعد بركة رجع جيرازيم إلى غرفة الخوضي

وقال له الخوضي : « حسن يا بني . يجب أن تسقى بأن تؤدي واجبك على الوجه الأكمل حتى لا أضطر يوماً إلى الخجل بسببك . أنت تعرف من هم السادة إذا قصرت مرة تقبوك دائماً بالبحث عن أغلاطك ولن يدعوك في سلام أبداً

— كن مطمئناً يا يمور

وانصرف جيرازيم وعبر في طريقه فناء المنزل ،

— وهل أنا في حاجة إلى خادم ؟
— ألحقه على أن يقوم بأية خدمة تطلب منه
— وماذا يعمل بوليكار ؟
— وما فائدة بوليكار ؟ لقد كان أوان فصله
— ليس من العدل فصله . لقد خدمنا عدة سنوات . فلا أستطيع طرده بدون سبب
— ولنفرض أنه اشتغل بخدمةك سنوات ، إنه لم يخدمك بغير أجر . لقد كان يتناول مرتباً ، ومن المؤكد أنه ادخر بعض المال لدى شيخوخته
— ادخر ؟ كيف كان يمكنه ذلك ، إنه ليس وحيداً في الدنيا : لديه زوجة وبولها وهذه مضطرة أن تأكل وتشرب أيضاً

— إن زوجته تكسب أيضاً . إنها أجيرة باليومية . ولم تدير بوليكار وزوجته اهتماماً ؟
حقاً إنه خادم فقير . ولكن لم تبيع أموالك ؟ إنه لا يؤدي عمله كما يجب . وعندما يحين نوبته في حراسة المنزل يترك مكان الحراسة أكثر من عشر ساعات أثناء الليل . لم يعد يحتمل البرد وقد يكدر بك البوليس بسببه يوماً . قد يهبط المفتش علينا يوماً ، وعندما لن يسرك أن تكون مسئولاً عن نتائج إهمال بوليكار

— ومع ذلك ففصله قسوة واستهتار . لقد خدمنا خمسة عشر طاماً ، وبعد هذه اللفة نعامله هذه المعاملة القظة في شيخوخته ... إنها لخطيئة

— خطيئة ؟ هل يصيبه منك شر ؟ إنه لن يموت جوعاً بل سينهب إلى ملجأ الفقراء . وهذا أجدي عليه . هناك يقضي شيخوخته في سلام وأخذ شاروف يفكر في المشكلة ثم قال :

— حسن . دع صديقك يحضر هنا . وسأرى

ما يمكنني أن أفعل له

— لا لا . أيتها المرأة لا ترتكي خطيئة
 — أية خطيئة ؟ أو ليس حقاً ما أقوله ؟
 إنني أعرف صدق ما سأحدث به وسأفضي بكل
 شيء للسيد . ولم لا ؟ ماذا نفعل الآن ؟ أين نذهب ؟
 لقد حططنا ، لقد حططنا ، وانفجرت المرأة بأكية متأوهة
 سمع جيرازيم الحديث كله وكانت خنجراً
 نفذ في أوصاله . لقد تحقق أي بلاء كان يجره
 إلى هذين الشقيخين وسمع أن قلبه يتمزق
 وقف حيث كان زمناً طويلاً عززنا غارقاً في
 الفكر ، ثم دار على عقيقه وذهب ثانية إلى غرفة
 الحوضى الذي سألهم عندما رأه
 — هل نسيت شيئاً ؟
 وأجاب جيرازيم متلعناً : لا ... لقد أنيت ...
 استمع إلي ... أود أن أشكرك كثيراً على حسن
 استقبالك إياي ، وكل ما عانيت من أجل .. ولكني
 لا أقبل العمل هنا
 — ماذا ؟ ماذا تمى ؟
 — لا شيء . لا أرغب في العمل هنا . سأبحث
 عن عمل آخر . وأتأيت يجور حدة غضب وقال :
 — هل تمى أن تجلبى مجنوناً في رأي سيدى ؟
 هل تمى ذلك أيها الأبله ؟ لقد أنيت تضرع في وداعة
 وترجو المساعدة . والآن ترفض العمل . أيها الوغد
 لقد أخزيتنى !
 وصمد لهم إلى وجه جيرازيم وخض عينيه
 ولكنه لم ينس بيت شفة
 وأدار يجور ظهره في احتقار وكف عن الكلام
 وعندئذ التقط جيرازيم قيمته يهدوء وترك
 غرفة الحوضى وعبر القناء مسرعاً ثم اجتاز باب
 للزلز وأبتدع عن الدار مهرولاً
 وكان يشعر بالمعادة والفرح ...

نصرى عطا الله مرسى

وكانت غرفة بوليكاز تطل على هذا القناء وكان ينبت
 منها نور شئيل بضئ طريق جيرازيم الذى شعر
 بالشوق إلى رؤية الثرفة التى ستخصص له ، ولكن
 زجاج النافذة كان مغلى بالصقيع بحيث يصدر رؤية
 أي شيء خلاله . وسمع جيرازيم أصواتاً تبيت
 من الثرفة فوقف يتسمع . سمع صوتاً نساءياً يقول
 « ماذا نفعل الآن ؟ » فأجاب رجل — وكان
 بوليكاز لا شك :

— لست أدري .. لست أدري ، نطوف الشوارع
 مستجدين .

— هذا كل ما بقى لنا . وما من حيلة أخرى .
 يا لله لنا ، نحن الفقراء ! أى حياة نسة نحياها ؟ نكد
 ونكد من الصباح الباكر حتى الليل يوما بعد يوم
 وعاما بعد عام ، وعند ما نتقدم بنا السن تنصور جوما
 — ماذا نفعل ؟ إن سيدنا ليس من طبقتنا ، ولا
 جدوى في الاحباب والتحدث إليه . إنه لا يهتم
 إلا بمصلحته

— كل السادة على مثل هذه المقارة . إنهم
 لا يهتمون إلا بأنفسهم ، لا يخطر ببالهم أننا نعمل
 بشرف وإخلاص مدى سنوات ، نفنى زهرة قوانا
 في القيام بمخدمتهم ثم يخشون أن يقولوا علماً آخر ،
 حتى ولو كانت لدينا القوة للقيام بواجباتهم . فانا
 مجزأ تماماً وجب علينا أن نتصرف من تلقاء أنفسنا
 — إن شاروف لا يلام بقدر ما يلام حوزيه
 الذى يود الحصول على مهنة لسدقة

— نعم ... إنه من ثعبان ! إنه يعرف كيف
 يشفق بلسانه ... وأنت يا مجور أيها الحيوان القفر
 اللسان ... انتظره سأنتقم منك ، إلى ساذب إلى
 السيد وأخبره كيف كان هذا الوغد ينشه وكيف
 يسرق الثمن واللف . وسأفنع السيدان هذا الوغد
 يكذب في كل ما يقوله عنا

سياً في إكارة الحرب في آسيا وأوربا .
وقد جاء ذكر هذه السيدة في شعر
هوميروس

لم يحض أسبوعان على سكني مارييتا
الزل الذي أظمت فيه حتى عرف
كل شبان المدينة أن الفتاة التي سكنت

هذا المنزل هي أجل فتاة في الإقليم . وكانت كلما
مشت في الطريق تكلم الطاعنون في السن . وأما
الشبان فيعتريهم الخرس . وتفتح النواخذ ذات اليمين
و ذات اليسار ويلقي عليها السيدات من هذه النواخذ
نحية ، فتجيب متلفتة عينا ويساراً باقتساماتها الساخرة
وإذا مشت مارييتا في الكنيسة نسي من فيها
من الشبان الجنة ونعيمها وصدقوا عن صور القديسين
إلى خدشها الورديين

وكان نساء المدينة يمدون جيبتها نكبة فان
أزواجاً كثيرين فترت عجايبهم ، وكاد يسلم مشوقه
كل عاشق مستهتر ، وأصبحت الأحاديث كلها عن
حوادث الطلاق بعد أن كانت عن الزواج . وأخذ
كل خطيبين يرُدُّان الخواطم والهدايا والصور بدلاً
من الهدايا بها في العهد القديم . وشارك الكبار
الصغار في ذلك ، وصار الزوجات ذوات الفلنل ينفضن
من بيوتهن ومعهن أبنائهن وأحفادهن

وكانت مارييتا هي السبب في ذلك كله . وصار
كل الناس يتكلمون بهذه الحقيقة ، ولكن مارييتا
نفسها لم يخطر ببالها أنها فعلت سوءاً ولا أن الناس
ينسبون إليها مثل هذه الشرور . وكان البادي
بنسبة للشر إليها أربابها اللغتيات ثم الأمهات فالآباء
فالشبان . ولكن الفتاة ظلت تحترم الجميع وتحب

الآنسة الملكيسوس

مترجمة عن الإنجليزية
بقلم الأستاذ عبد اللطيف النشار

إن مدينة نابول ليست إلا قرية صغيرة جداً
على خليج كازو . ولكنها لجالها من أشهر المدن
في إقليمها وتحيط بها مزارع البرتقال الساعية
الاخضرار وبساتين الكرم والزهور . على أن ذلك
وحده لا يكفي لشهرتها فلا بد أن تكون قضاياها
جليات . وإني لست واثقاً من ذلك وإنما استنتجته
مجرد الاستنتاج . ومجزي أن هذه المدينة صغيرة
فلا يكفي ما فيها من البرتقال والنب والنساء لتقسيمه
على أهل بلادي

وقد كان نساء نابول منذ وجدت هذه المدينة
جليات . وكانت كذلك إحدا من اللقبة باسم مارييتا
الصغيرة . وصيحت صغيرة لجالها ولكنها بنت سبعة
عشر عاماً وقد علت هامتها فارتفع جبينها بحيث
يصل إلى ثمر الفتي الطويل القائمة

وقد أكره المورخون من الكلام عن مارييتا .
ولهم كل العذر في ذلك ولو كنت في مكانهم لفعلت
مثل ذلك لأنها كانت حتى إلى العهد الأخير
لما انتقلت مع أسها إلى مدينة مانون على شاطئ
الافينون قد قلبت المدينة رأساً على عقب . ولست
أعني أنها قلبت أبنية المدينة ولكنها قلبت الرؤوس
والقلوب التي يحيط بها الخطر كلما جاورتها عيون
جيلة . وإن الذين يسخرون من هذا القول هم الجلاء
الذين لم يقرأوا في التاريخ أن سيدة واحدة كانت

والجميع ، فخذ عن هذه القاعدة الشبان وساروا يقولون إنها طاهرة بريئة من الأذى فلا يهونها بشيء . وحذا الآء حذو الشبان ثم تبسمهم الأمهات فالفتيات وكان مجرد الحديث مع مارييتا يكسبها الحب والاحترام والتقدير . ولكنها لم تنظن أنها موضع التقدير كما لم تنظن من قبل أنها موضع البغض . وهل تنظن البنفسجة المخفية في الصخور وراء المشب أنها جميلة ؟

غير أنها كانت تلاحظ أنها تدمى إلى كل حفلة وكل مهرة ، وأن جميع الرجال يبدون من العطف ما يسترق القلوب وإن كان بعضهم أفسى قلباً من فرعون ، ولعل تلك القسوة وراثية عن آدم بدمطرده من الفردوس .

ومن أمثلة القسوة التي ارتكبت ضد مارييتا ما فعله كولوين أغنى مزارع في نابول وهو صاحب مزارع الزيتون والليمون والبرتقال ، وهو يبلغ من العمر سبعة وعشرين عاماً ، ولكنه لم يسأل نفسه قط لماذا خلق الله النساء . وقد كان الأوانس إلى عمر معين يفتنن له ذلك ويحبسنه من أحسن من أظلمهم النساء .

ولما عاد أهل المدينة فانفقوا على أن مارييتا بريئة لم تكن ذنباً كان كولوين هو الوحيد الذي لم يسئل عن الرأي الأول فيها ، فافا ما ذكر اسمها اعتراء للصمت ، وإذا ما رآها في الطريق أدار وجهه مضطرباً ، وإذا ما اجتمع الشبان عند الشاطئ ، فتنزه أو لفرقص كان كولوين أشدهم مرحاً حتى تظهر مارييتا فيمتريه الاقباض والصمت

وكانت نظرات كولوين حادة تحبها الفتيات وتحشنها الإماريتا فانها لا تحب هذه النظرات ولا ولا تحشها . وإذا جلست مع كولوين في وسط أسدقائه وأخذ يقص إحدى قصصه وهي كثيرة عذبة لم تنلف إليه كسائر الفتيات بل كانت تنتقم منه . وإن الانتقام لمذب وإن مارييتا لمعرف كيف تنتصر . لكنها مع ذلك كانت رقيقة وكانت عفة . وإذا سكت كولوين فانها تتألم ، وإذا عبس امتنعت عن الضحك ، وإذا ذهب لم تمكث بعده طويلاً بل تعود إلى منزلها وتبكي وحدها وهي في بكائها تكون أجمل من المجدلية ولو أنها لم تمخلى مثلاً .

وكان الأب جيروم راعي كنيسة نابول يبلغ السبعين من العمر وفيه كل الصفات التي تميز القديسين غير أنه أحم . وكان الصغار يسرون من خطبه وهي دائماً تتحصر في موضوعين أحدهما : « الحب المتبادل بين الأطفال » والثاني « عجية هي أفعال الناية » والحق أن هذين الموضوعين يتضمنان كثيراً من روح المسيحية . ولكن كولوين لم يكن يفهم شيئاً منهما ، وهو حتى حين يرى أنه أحب حباً شديداً يضمير في نفسه حقداً شديداً

وفي الموسم السنوي الذي ينتقل فيه أهل القرى في ذلك الاقليم إلى مدينة نيس ، ذهب أهل نابول وكان بينهم مارييتا وأما وكان بينهم كولوين أيضاً . وقد اتفق كولوين كثيراً في يشتري هدايا لأصحابه ولكنه لم يتفق درهماً واحداً من أجل مارييتا . ذلك على الرغم من أنه لم يفارحها . على أنه لم يكلمها ولم تكلمه في كل مسافة الطريق . وكان من السهل

باسمي ولا باسم أى إنسان . وإذا خالفت قاتى أمابيك
يا جاك »

فوعده جاك وأخذ الصندوق الذى به الآنية
ولكنه قبل أن يذهب إلى المنزل رأى سيده القاضى
« هو تمارتين » فسأله القاضى : « ما هذا الذى
تحمله يا جاك ؟ »

قال جاك : « هذا صندوق سأذهب به إلى بيت
ماريتتا ، ولكننى لا أقول لك من الذى أعطانى إياه »
فقال القاضى : « لماذا ؟ »

قال الحاجب : « لأن كولين يماقبنى إذا قلت
فابقم القاضى وقال : « لك الحق فى كتمان
السرى يا جاك ، ولكن فانتك الفرصة فى هذه المرة .
هات الصندوق قاتى سأذهب إلى بيت ماريتتا »

سلم جاك الصندوق إلى القاضى فقد كان من
عادته أن يقابل بالطاعة كل أمر يصدر إليه وذهب
القاضى إلى منزله ففتح الصندوق وخلص الآنية
فأدرك قيمتها ، وعرف أن كولين لا يشتري هذه
الحدية إلا وله غرض سيء من إرسالها إلى ماريتتا .
ففتحصها خشية أن يجد فأراً غيبوه فيها ، فلما لم يجد
فأراً قال إن كولين لم يرد على كل حال إلا إرسال
الأذى بماريتتا ، وقد يكون قصده أن يشاع أن هذه
الآنية مهداة إليها من طاشق فيمتنع خطابها وتسوء
سمعتها . وقال : « إننى منّا لهذا الأذى سأقدم
الآنية على أنها هدية منى »

وتذكر قول القسيس جيروم إن الأطفال يحب
بعضهم بعضاً . وقد كان هذا القاضى طفلاً ولو أنه

عليها أن تفهم أن وراء هذه اللازمة والخاصة
تديراً من تدايره السيئة

ووقفت أسفا واستوقفتها أمام حانوت وقالت :
« انظرى يماريتتا ، ما أجل هذه الآنية ! إن الملكة
لا تقرب فى آنية أنفس منها . انظرى إلى هذا
الذهب اللامع وإلى رسم هذه الحديقة التى تشبه
الفردوس . إن سور الزهور فيها جواهر غالية .
انظرى إلى شجرة التفاح . إن آدم وحواء كانا
معدورين إن كان تفاح الجنة يمثل هذا الجمال »

ف نظرت ماريتتا إلى الآنية وقالت : « أيتكون لى
مثلها فى يوم من الأيام بأى ؟ » فقالت الأم : « آمن
فى سوق فنس هنا ، أم فى سوق الفردوس ؟ »

وفى أثناء الحديث بين الأم والبيت اجتمع
حولها الفتيات والفتيان الآتون من نابول وسألوا
صاحب الحانوت من ثمن هذه الآنية فقال : « مائة
جنيه » .

فسكتوا وذهبوا يائسين

ولما ابتعد أهل نابول عن الحانوت عاد كولين
وحده إليه ودفع المائة جنيه وأخذ الآنية ملفوفة
فى الأقطان داخل صندوق

ولما اقترب كولين من مدينة نابول وهو حائد
إليها رأى فى الطريق جاك المهرم حاجب القاضى ،
وكان هذا الحاجب طيب القلب جداً ولكنه غبي
جداً . قال له كولين : سأعطيك مالا يا جاك على

أن تذهب بهذا الصندوق إلى بيت ماريتتا على شرط
أن تقول إن الذى أعطاك إياه رجل غريب ولا تصرح

يريد أن تصير حماة : « لا تستعجل يا أمي فع مرور الزمن سترفضي مارييتا أكثر مما عرضني إلى الآن . وإنني أفهم أخلاق الفتيات . وأؤكد أنه بعد ثلاثة أشهر ستصير مارييتا محبة لي »

فقال مارييتا ساخرة من وراء الباب : « إن أنفك أكبر من أن يسمع لي بالحب »

وانقضت ثلاثة الأشهر ولم يستطع القاضي أن يصل إلى قلبها ولو بطرف أنفه .

وفي أثناء هذه اللفة كانت الآنية سبب متاعب ومضايقات كثيرة لمارييتا . وفي خلال الأسبوعين الأولين كان أهل المدينة يقولون إن القاضي أهدي إليها آنية فقبلتها وإن الاتفاق قد تم على زواجها منه . وكانت مارييتا تقول لصاحباتها إنها تفضل أن تلقى بنفسها إلى قاع البحر على أن تصبح زوجة له فيقلن لها ضاحكات : « إنه لمن السعادة أن تستظلي بظل أنفه » فيزيد هذا القول من مضايقتها

وكانت الأم تكره ابنتها على أن تضع في الآنية كل يوم باقة جديدة من الزهر، وهي تريد بذلك أن تحببها فيها وفي مهبها، ولكن مارييتا استمرت على كره كليهما . وكانت تعد ما تكلفه بها أمها عقوبة . وهذا سبب آخر من أسباب مضايقتها .

وفي الصباح زلت إلى حديقة التزل كالعادة لتعطف الأزهار وتضع منها باقة للآنية فوجدت باقة من أجل الزهور موضوعة فوق سخرة . وفي وسط هذه الباقة ورقة كتب عليها : « عزيزتي مارييتا » فظنت هذه الباقة من القاضي ومرت الورقة إربا . ولكنها أخضت الورد ووضعت في الآنية .

نجاوز الخمسين . وكانت مارييتا تكرهه ولم تفكر قط في ضغامة صكره وكثرة أمواله ، وكان يزور منزلها فيتكلم أحيانا عن الزواج فتهرب مارييتا من مجلسه منزجة . أما الأم فلها تظل جالسة غير خائفة أمام هذا الرجل الرفيع المركز . وما يذني أن يذكر أنه وإن كان كولين أجل أهل المدينة فإن هذا القاضي يتنازع منه بشيئين أولا أنه أكبر منه سنا ، وثانيا أنه أضخم منه أنفا . وقد كان أنف هذا القاضي فريدا بين الأنوف، فهو يتقدمه في الجلسة كأنه حاجب، وهو إلى جانب أي أنف آخر كالقيل إلى جانب أي إنسان .

وذهب القاضي إلى بيت مارييتا فجالها وأما وقال : « لقد رأيتك في فينس تدين إعجابك بالآنية لجئت إليك اليوم بها وأرجو أن تقبلها مع قلبي هدية إليك »

فأخضت الأم تنظر إلى الآنية نظرة سرور ، ولكن مارييتا قالت : « لا أقبل الآنية ولا أقبل قلبك » .

غضبت الأم وقالت : « إنني أحضرة القاضي أقبل الآنية وأقبل قلبك . وأنت أيها الجنونة كيف تحقرين الحظ ؟ هل تظنين أن الكونت سيتزوج منك حتى ترفضى خطبة قاضي نابول ؟ إنني أعرف مصلحتك أكثر مما تعرفيها . إنني أحضرة القاضي أفخر بأن تكون زوجا لبنتي »

وفي أثناء هذا القول خرجت مارييتا باكية وكهرت الآنية أشد الكراهية من ذلك الحين . ووضع القاضي راحة اليد اليمنى فوق أنفه وقال لمن

الآخر فرع الشجرة القريب منه لكي يزيد ارتباطه عند ما ينهض من النوم

ولكنها استبقت الورقة التي عليها « عزيزتي مارييتا ». وقالت إنها لا بد أن تكون بخطه وأنها متى احتفظت بها فقد احتفظت ضده بدليل كتابي وهكذا كانت مارييتا تظن أنها ماكرة ولكنها أسفت على تمجّلها بربط يده بالشريط، فانه لما نهض لف هذا الشريط حول قمبته ومشي كذلك في كل شوارع المدينة . ولم تكن مارييتا تظن أن شريطها الأزرق معروف لكل إنسان ؛ ولكن أهل القرية عرفوه وأخذوا يتحدثون بأنها أهدت شريطها إلى كولين

وسمع القاضي وسمعت الأم بهذا الحديث فاشتد غضبها وخجلت مارييتا وأنتكرت . وقال القاضي : « أما وقد وصل الأمر إلى هذا الحد فلا بد من عمل سريع » . فقالت الأم : « إذهب اليوم وأعد وليمة للمرس وفي غد سأبيت بمارييتا إلى القسيس ومعه رسالة حتى لا ترتكب . ولكني في هذا اليوم سأكلم القسيس وأفهمه الأمر . ومتى وصلت إليه فأتنا سبائغتها عنده ونمقد إكليلها عليك »

قال القاضي : « ولكنها لا تحبني » فقالت الأم : « أنا أعرفها أكثر مما تعرف . إذهب وأعد وليمة المرس »

وذهب القاضي مطمئناً إلى ذلك . وفي الصباح التالي نهضت مارييتا في الفجر وذهبت إلى الحديقة فلم تجد الباقة . ولكن بعد لحظة ظهر كولين وفي يده الباقة فاحمر وجهها واضطرب كولين وقال :

وفي ذلك اليوم جاء القاضي للزيارة في موعده فلم يجده مستاء حين لم يجد الورقة في الآنية . وفي ذلك دلالة على تزويجها . فكان عدم استيائه سبباً ثالثاً من أسباب مضايقتها

وأخيراً فهمت من حديثها مع القاضي أنه ليس الذي وضع الباقة والورقة في الصباح .

وكانت مارييتا كما كثرت الفتيات شديدة الرغبة في معرفة الحقائق فتساءلت أي رجل آخر في المدينة هو الذي فعل ذلك ؟ وأخذت تستعرض في ذاكرتها أسماء الشبان واحداً بعد واحد، ولكنها لم تصل إلى نتيجة ، فقررت أن تراقب الحديقة حتى تعرف هل يعود من وضع الباقة

ولكن مراقبتها لم تسفر عن نتيجة، فقد كانت كل صباح تنشر على الباقة وفيها ورقة كتب عليها « عزيزتي مارييتا » ، فكانت تحال هذه الجملة تأوها وتمود في اليوم التالي قبل ساعة من اليوم السابق حتى صارت تنزل إلى الحديقة في أواخر الليل .

وفي إحدى الليالي نزلت قبل الشروق فوجدت شاباً نائماً وفي يده باقة من الزهر . وكانت دهشتها شديدة عندما عرفت أنه كولين . وهرمت جسمها رعدة شديدة وقالت في نفسها : « أهذا هو الشرير الذي استنار قلبي هذه المدة الطويلة وجلسني أقوم كل ليلة في هذا الموضع ؟ »

ثم عزمته على الانتقام منه فحلت الباقة ورمتها مشورة حوله كما ترى الزهور فوق القبر . ولم تكتف بذلك بل أرادت أن تزيد في الانتقام فحلت الشريط الأزرق من قمبتها ورجلت بطرفه يد كولين وبالطرف

« سمدت صباحاً يا مارييتا »

قالت : « سمدت صباحاً ، ولكن لماذا تثنى
بالشريط في شوارع المدينة وتعرضه علناً ؟ ألا تخجل ؟
إنني لم أعطك هذا الشريط »

فزاد اضطراب كولين ، وخجلت مارييتا من
كذبها فقالت : « نعم أنا أعطيتك الشريط ولكن
لم يكن من حقك عرضه علناً على هذه الصورة .
هات الشريط »

قال : « أتركه لي » . فقالت بمحبة : « كلا
ولكن هاته »

فغضب ووضع الشريط في باقة الورد وتناول
منها الآنية ووضع فيها الباقية وألقاها على الأرض
وجرى سراعاً فتكسرت الآنية ، وكانت الأم إذذاك
مطلّة من النافذة ورأت كل شيء ، وسمعت الحديث
كله فكاد يطير عقلها من تكسر الآنية . ولكن
بعد تفكير قليل قالت : « إن قاضي المدينة سيكون
صهري ولا بد أن أشكو كولين إليه فيحكم لمارييتا
بتمويض كبير يكون مهرأ لها تدفعه إلى القاضي »
أخفت ابنتها وذهبت إلى القاضي ومعهما أجزاء
الآنية المكسورة وقدمت شكواها ، فدار القاضي
وأمر الجنود بإحضار كولين ، وعقدت الجلسة فجاء
كولين إلى جانب مارييتا وحس في أذنها : « سامعي
قاضي كسرت الآنية ولكنك كسرت قلبي »

وسمع القاضي أموال الأم . وسأل كولين
فاعترف بأنه كسرها عن غير عمد . فقالت مارييتا :
إنها هي التي أغضبته وإنه لم يكن يريد كسر الآنية
صاحت الأم : « هل تخافين عنه ؟ إنه لم ينكر

كسرها وإليك استحق لنا التمويض »

فنظر القاضي إلى كولين وقال : « عليك أن
تدفع عن الآنية ثلثمائة جنيه فانها تساوي أكثر
من ذلك »

فقال كولين : « إنني اشتريتها بمائة جنيه
وأهديتها إلى مارييتا فهي لا تساوي أكثر من ذلك ؟
ولا أدفع عنها إلا إذا طلبته مارييتا لأنني صاحب
هذه الهدية »

هنا اضطرب القاضي اضطراباً شديداً وأبهم
الأمر على الأم ، واستغربت مارييتا ، وقال القاضي :
« كيف تجرؤ على الادعاء بأنك اشتريت الآنية
مع أنها هدية مني »

فقال كولين : « أنا أرسلتها إليها مع حاجيك
هذا . تكلم يا جاك فانت شاهدي »

قال جاك : « تذكر يا حضرة القاضي الصندوق
الذي أخذته مني في الطريق لتذهب به إلى بيت
مارييتا . إن الصندوق الخالي لا يزال بمنزلك إلى
الآن وعليه خط كولين »

ضجّ النفرجون في الجلسة وكاد القاضي أن
يصق ، وطرده الحاجب ، وأجل القضية إلى القاء ،
ولكن كولين قبل خروجه من الجلسة قال : « هذه
آخر جلسة تجلس فيها أبها القاضي اللص . وسأذهب
اليوم إلى وزير الحفانية وأعرض عليه أمرك »

ثم خرج كولين تواراً إلى محطة السكة الحديدية
وقالت الأم في آخر الجلسة : « على من سيحكم لي
بالتمويض ؟ » فقالت مارييتا : « أنا صاحبة الآنية
وقد نزلت عن ثمنها إن كان المثلزم به هو كوليني »

القسيس لأنها كانت في انتظار القفازي ليذهباً معها وفقاً لتدبيرها السابق . فلما لم يأت القفازي ذهبت إليه في المحكمة فوجدت الوزير قد أجرى تحقيقاً مع القفازي ثم أمر بسجنه فقالت : « هذا عمل شرير من أعمال كولين » ثم هرعت إلى الكنيسة لتستدر للقسيس عن التأخير ولتؤجل الزواج المزمع، ولكنها وجدت هناك بنتها ، وقد تم زواجها من كولين ؛ فثارت مقدار لحظة ثم شرحت له الأمر فقال كداده : « عجيب هي أفعال العناية »

ثم اصطبلت مع كولين لما علت مقدار ثروته وليقبحها بأن القفازي لن يعود إلى منصبه

وذهب الروسان وأم الروس إلى بيت كولين حيث دعى كل أهل المدينة إلى وليمة نفخة استمرت يومين ...

واحتفظ الزوجان يقابلها الآتية المكسورة لأنها هي السبب في زواجهما

عبر اللطيف النشار

المجموعة الاولى

للرواية

١٥٣٦ صفحة

فيها النص الكامل لكتاب اعترافات في المصلوسيه، والأوديسة لهوميروس، ومذكرات نائب في الأرواف لتوفيق الحكيم، وثلاث مسرحيات كبيرة و ١١٦ قصة من روائع القصص بين موضوعة ومنقولة .

النم ٣٤ قرشاً مجلدة في جزئين

و ٢٤ قرشاً بدون مجلد

خلاف أجرة البريد

وخرجت الأم وابنتها . وفي عصر ذلك اليوم أرسلت الأم ابنتها بأكيل إلى القسيس وقالت لها إنه طلب منها هذا الاكيل من أجل عروس أخرى. فذهبت مارييتا وهي لا تعرف السمادة التي تنتظرها ولا تفكر إلا في حادث اليوم. وفي أثناء الطريق قابلها كولين ففكر لها ما قالته أمام القفازي وقال إنه قابل وزير الحقانية وإن الوزير جاء معه . وسألها : « ألم تصفحي عني ؟ لماذا أنت قاسية علي يا مارييتا ؟ » فقالت : « إنني سأرد إليك الشرط ولكن هل أنت الذي اشتري الآتية حقاً ؟ »

قال كولين : « وهل تشكين في ذلك ؟ إن كل روتي لك يا مارييتا »

وظل سائراً معها وهو يحدها حتى وصلا إلى الكنيسة فاستقبلهما القسيس بقوله : « فليجب كل منكما الآخر كما يتحاب الأطفال »

ويظهر أنه لضف سمحه قد أخبطاً في سماع الاسم الذي كانت الأم قد ذكرته له . أو لعله لضف فأكتره قد نسي هذا الاسم . وعلى أية حال قاله ظن أن هذين هما الطالب إليه أن يسعد إكيليهما . وقال كولين جواباً على كلمة القسيس : « إنني أحبها من سنوات ولكنها قاسية » وقالت مارييتا : « إنني أحبها ولكن هو القفازي »

وأخذنا يمتانين عتاباً لم يسمع القسيس الأمر كلمة منه، فظن أنه لإجباب وقبول، وضم رأسهما وهو يقرأ صلاة الزواج ، فتبادلا قبلة حارة على الفم وعقد الزواج والمصلون حاضرون ثم خرجوا يتحدثون عن زواج مارييتا وكولين

وتأخرت الأم عن الموعد المضروب بينها وبين

مَوْتُ الْحُبِّ

أَقْصُوصٌ مُصَرِّصَةٌ
بِقَلَمِ الْأَدِيبِ نَجِيبٍ مَحْفُوظٍ

عزيزاً ، ودحر خصمه واستهان بكبيده
وغضبه ، وآوى إلى ظلال الحب يفتن بنفتائه
ويخلق في سماواته ، ويضم إلى نفسه فتاته ،
الحسنة ينتظران على الجوى مما أن تنطوى
أيام التأهب ، ويرقبان في الأفق السعيد أعلام
اليوم الموعود ومنية النى ...

إلا أنه حدث ما لم يكن في الحسبان ، فأصيب
سأى بحمى وبيلة حبسته في فراش الألم والدهول
ثلاثة أشهر كاملة علفت فيها حياته بين البقاء والفناء ،
واضطربت قلوب ذويه بين النعسة باليأس والشرق
بالأمل ، وتمت له نفوس الشفاء حتى أضناها النفى ،
وتلهفت نفوس إلى هلاكه حتى أقصبتها الفقة ،
ولكن أراد الله له السلامة ، فلم واجتاز طور
الخطر واستقبل دور النقاهة ضميكا ذاهلا شاردا
كن يقوم من نوم مائة عام ...

ومضى يسترد صحته ويستعيد قوته فاستطاع بعد
حين أن يستأنف تخيل رواية حياة المألوفة ما بين
البيت والصلحة والخطية ، إلا أنه لاحظ على نفسه
تغيراً طارئاً ظن أول الأمر أنه أثر من آثار المرض
لا يلبث أن يزول ، فلما لم يزل ولم يشر بالزوال ذهب
إلى طبيبه يسأله ، ولم يبق الطبيب الجرب وهز رأسه
هزة للتوقع لما حدث ، وقال للشاب إن مرضه قفلا
يدع فريسته سليما بلا حاجة مستديعة وأنه لم يبقه من
ضربيته التي يفرضها على مرضاه فأصابه في قواه
التناسلية بالوهن والضعف اللذين سينتريان بها في
شهور إلى موت تام لا رجاء في النجاة منه ...

واستمع الشاب إلى قول الطبيب في ذهول كأنه
لا يسمي شيئا ولا يفقه معنى ، واستوضحه مرة ومرتين
وألقى عليه الأسئلة جماعات وفردا ، وكان كلما يهوى

للماشق من عشقه لذة ، أما سأل فله من عشقه
لذات ... لذة الهوى ولذة الفوز . ذلك أن فتاته
لم ترتبط به حباً وهماً كما يقع عادة في الطرق
الزودجة أو الخلوات السامة ، ولا هي فرضت عليه
تحت تأثير الظروف كما يحدث كثير بين الأتارب ،
ولكنه رآها مرة فأعجبته وأطربته ، ثم رآها بعد
ذلك مرات فأأنس في روحها الطليقة جاذبية قاهرة ،
وأولع بينهما الصافيتين الجليتين ، ونظراهما البريئة
الناطقة بالوداعة والاستسلام . وكان — في تلك
الأيام — يدبر في نفسه مسألة مسائل الشباب وهي
الزواج ، فرجا أن يوفى إلى الاستقرار والسعادة بتلك
الفتاة الحسنة . ولم يكن سأى ممن يقتنمون بلذة
الأماني ، ولا ممن ينهون في وديان الأحلام ، فشق
طريقه بقديسين نابئين وقلب جسور ، ولم يشنه عن
عزمه أن يعلم أن ابن خال الفتاة يحوم حولها ويطلب
ييدها ، لأنه كان خافقة بنفسه لاحدهما ؛ وكان بطبمه
سجارا أعيداً لا رضى بالمرزعة ولا يستسلم لليأس . فاستال
الفتاة إليه ، وظفر بمواطف قلبها ، وارتبطا معاً سراً
بالمواثيق والمعهود ، ثم تقدم إلى ذويها يطلب يدها ،
وكان هؤلاء من الحكمة بحيث جعلوا الاختيار
منوطاً بصاحبة الشأن ، واختارت الفتاة حبیبها
وأعلنت رغبتها على الملأ ، وعلت كلمة الحب وغلغ نورده ،
واكتسب سأل في ساعة واحدة حباً سادقاً ونصراً

أحس بالتهاب الخجل يحرق خديه وعرق المار
يتصبب من جبينه فتأوه من قلب فطوط وهتف من
الأعماق : ما حكمة هذا القضاء ! ... ما حكمة هذا
القضاء ! ...

ولم ينفل من تذكر عطية دقيقة واحدة ، هذه
الفتاة الجلية ذات العينين السليتين الصافيتين ، التي
أحبته فسدقته الحب ونبتت من أجله أقرب الناس
إليها . كيف بقي لها سهوده ومواقفه ؟ كيف يحق
لها ما مناهها به من السعادة والحب ؟ وهل بقي على
حبها ووقائها إذا علمت بحقيقة دأه ؟ إنه لا يظن
ذلك ، وما معنى هذا الوفاء لومنته إياه ؟ وما فائدة ؟
كلا ... كلا ... إنه شغوف لا ترضى عنه الطبيعة
ولا تسيته الفطرة . أما المقول فهو أنها تحول
عنه من الساعة التي يداخلها فيها اليأس من
ناحيته . هذا هو الحق الذي لا ريب فيه ، فالأنوثة
معنى أجوف من غير الرجولة ، وكأنهما متضايقان
كما يقول المناطقة . والمرأة تشد حياتها في الرجل ، فإذا
يئست من شخص قلن ترضى بحبل اليأس منه بأسا
من الحياة كلها ما دامت تستطيع أن تجد رجلا
آخر يحقق لها حياتها ... وعطية واحدة من النساء
تخضع لناموسهن . فليعلم ذلك جيدا . . . وليرض
نفسه على التسليم به ... وأأسفاه ...

فاز خصمه وغريمه وكسب المركة التي لم يرم
فيها بسهم واحد ، فاز بالفتاة التي يحبها ، وفي
الغد تعود إليه كسيرة القلب تضرع إليه أن يغفر
لها تمردها على حبه ويقتح لها صدره مرة أخرى ،
وإنه لفاعل حينها يكون هو قابلا في عقوده

بالسا محزون لا يدري من أي جنس هو .. !

(٤)

عليه الطبيب باليأس يفزع إلى نائي الأمل ويستصرخ
الاحتمالات البعيدة والفروض المتشعبة ، ولكن
الرجل اضطر إلى خنق أنفاسه وقتل آماله ومجاهته
بالحقيقة القاسية ...

وهكذا نجا من الموت ، ولكنه لم يهنا بالصحة
ولا الطمان إلى الحياة . نعم إن صدره ما زال حارا
ورغبته ما تزال حية ، ولكنها هادئة وزينة يملكها
ولا تملكه ، ويسيطر عليها ولا تسيطر عليه ، وقد
يكون من الجائر أن يملأ ومنها بدم تآكله الشفاء
النام ، ولكن لا مكابرة في الحق ولا فائدة ترجى من
مصادرة الواقع ، وأولى له أن يصدق الطبيب ، فلا ريب
أن قواه تضعف وأن ما بها من حياة إن هو إلا
اضطراب اليأس تبذله في منال الجفاف والبرودة
الزاحقين ...

بالرعب ... ترى ماذا عسى أن تكون حقيقة
الحال التي تترصد به ؟ وما مأية للشخص الغريب
الذي سيستحيل إليه بعد قليل ؟ كيف يكون
شموره ووجدانه ؟ وكيف تكون دنياه ؟ وهل يبقى
له ادراكه كما هو وشموره كما هو وطافته كما هي ؟
أم أن موت هذه الفرزة الجبارة يقبه مباشرة موت
كل شيء جديدا يبدله من وجدانه جودا ومن
إدراكه غيابه ومن أفراحه سأمًا ومللا ؟ .. ماذا عسى
أن يكون حاله ؟ هل حق أنه من الممكن أن تقع
عينا على الحساء غدا فلا يخفق لها قلبه ولا يشور
وجدانه ولا تفيق فيه رغبة ؟ أم تبقى له حاسة
عواطفه ولكنه يسجزع من إشباعها وهذا أشد قساوة
وأبلغ نكاية ...

وفى ببلوغه هذا المبلغ من التفكير الحائر الحزين

في أن يهجر حبيبته ، وكأنه يهجرها زهد أو ملل
تسترك على عجزه لولا أنه وجد من نفسه ميلاً إليها
لا قبل له بمقاومته ... فما العمل إذا ؟ ... وخطرت
في باله أفكار حمراء غالطت نفسه في حذر وتهيب
ولكنه طاردها بمنف شديد وأغلق دونها قلبه
بأساً وخوفاً ...

وفي ذلك الوقت ذهب مرة لزيارتها في بيتها
فوجده خالياً إلا من خادم عجوز ، فطابت لها خلوة
جميلة وجلسا يتناحيان ويتبادلان الحديث ، وكانت عطية
تطلب مثل هذه الخلوة لتصارحه بما ترددت في
التصریح به ... فقالت له همساً بالرغم من انفرادهما :
« ألاحظ عليك شرود القلب والكآبة في

أحيان كثيرة ... »

« أنا ! ... »

« ألاحظ أحياناً أنك تكون منهمكاً في الحديث
مع والبهجة تشمل حواسك جميعاً ... ثم تجرد بفتنة
قلمات وجهك كأن نفسك اصطدمت على غرة بخاطر
أليم ... فتظلم عينك ، ويثقل جفناك ... وكأنك
تشفق من نقاذ عبي تنصود إلى الأخذ بأسباب
الحديث ولكن تخونك بهجة الروح ... لماذا ؟ ...
لماذا ؟ ... ما الذي يكدر عليك صفوك ؟ »

فاستولى عليه الارتباك ، وقال لنفسه : « آه لو
تلمين ما يكدر على صفوى ... »

ثم قال لها بصوت مسموع كالمتندر : « لعله أثر
من آثار المرض »

ولكنها هزت رأسها بارتياح وقالت وهي تديم
إليه النظر :

« المرض ؟ ... إنك صحيح معافى »

وغص عند ذلك بمرارة الخمية والمزعة والغهر ،
وعصرت قلبه آلام الحسران واللقنوط ، وضيق
صدره عواطف الحزن والحقد ، فثار ثورة مكتومة
على الطبيعة والأقدار وحقد على غريزه ما شاء له
الغضب واليأس ووجد على حبيبته البريئة موجدة
شديدة ورمق العالم أجمع بسين الحقد والكراهية ...

ولم تحمل آلامه الخفية دون اللقاء فكأنها يلتقيان
كثيراً ، وكانت تلقاه دائماً ببنتين فرحتين صافيتين
نقيضان بأى الامتنان كأن نجاه من الموت
طبمتها بطابع الشكران العميق . وكانت تجلس إلى
جانبه تستمتع إلى همسات ضميره الصادقة وتلقى إليه
بأنات قلبها المحموم وكل ما بها من عينيها المنتنيتين
ووجهها المتطلع وشفتيها الشوقيتين وسدرها الساعد

المحيط يتلقى بلطف السادق والهمفة الحارة ، وكان
يمجالسها ويمحادثها ويضعها إلى صدره بمحنان وشوق
ويقبل ثمرها قبلات عنيفة ... فإذا أخفت وجهها
في صدره - وأصبح بآمان من غيبتها - تهدأ
محزوناً أسيفاً ، وقال لنفسه بصوت غير مسموع :
كيف أحرم هذا التمتع دون ذنب أو جبرية !
يا لك من يائسة يا حبيبتى ... تخطين مأساة الوداع
وأنت تجهلين ... وكان يعلم أن هذه الحال لن تدوم
طويلاً ، فكان يسأل نفسه جزعاً : « ما عسى أن أسنع

بالبقية الباقية من حيويتي ؟ » فليس من المهيمن أن
يفرط الإنسان في سعادته ولا أن يزهد فيها وهي
على وشك الذهاب ، فما العمل ؟ هل يجعل بالزواج
من غناه ؟ لن يتسدر عليه تحقيق ذلك ، ولكن ماذا

يفعل غداً إذا حم القنفاء ؟ وكيف يحتمل تلك
الفضيحة المدخرة ؟ إنه يصبر على المكارهِ جيمها
في سبيل أن يتلاقى تلك الفضيحة ، وقد فكر جديداً

شديدة وقتت على أثرها على الأرض وقد انقدمها
اللسان ... فارتد إلى الوراء متربعا كالمثل وغادر
البيت في ذهول شديد

ما الذي فعل ؟ ... كيف سولت له نفسه محاولة
اغتصابها ؟ ... بل هي أنه فاز بمأربه فسادا كانت
تكون للمأقبة ؟ ... كيف اهلب وهو الوديع الدمث
وحشا لثيا سافلا بلا تدبير سابق ولا تمسك ميت ؟
كيف هانت عليه فأطاعته يده الشريرة في توجيه
تلك الضربة القاسية إلى وجهها الجليل ؟ ... ياله
من ألم أليم وخزي باق لا يزول ...

ولما هدأت نفسه قليلا وسكت عنها النضب
وخفت بها أصوات اللآتيب وأتأت الخزي والنجيل
واستطاع أن يذكر أسرها آخر فيطيب بذكره
وبرتاح له، ذكر أنه تخلص من فتاته، وهو وإن كبر
عليه إلا أنه ضرورة لامدى عنها؛ وقد تخلص أيضا
بنير اقتضاح سره وهو ما كان يرجو ويتمنى، ولئن
يفقدها وهي تستقد وغريمه يستقد أيضا — أنه رجل
غادر سافل خير من أن يفقدها فقرا ومحزنا وهي
ترى لوائه وغريمه يطير فرحا وشما به ... ومهما
يكن الأمر أليما معذبا إلا أنه أوفى رجل. وتقاد
لكارثة الثقة من حين لآخر ...

وعلى أثر هذه الحادثة مباشرة انفلت منه زمام
نفسه، واختلت موازينه واضمحلت إرادته فقلبه
القهري واليأس وحز في نفسه اندثار سعادته، وتهديم
آماله، فأغرق في التوابع إغراقا وأوغل في الفجور
إينالا، وكان أكثر ما يرى في رقعة نسوة ممن
اصطلح على تسميتهن بالساقطات، وكان يتمسك أن
يظهر مهن في سبيل جيبته أو غريمه، وكان يأتي
هنا بشراة ليزود تزود الرواج وليستمر على العجز

« أؤكد لك أن نفسي آمنة مطمئنة ولا داعي
لقلق مطلقا ... »
« حقا ؟ ... »

« لا تدعى لشك سيلا إلى نفسك »

وأراد خلاصا أن يبدد مخاوفها وأن يتبرمجى
الحديث إلى ما بما يسييه من الخلة السعيدة الطاهرة
فضمها إلى صدره ونال من شفتها المنفرجتين المامتتين
بالكلام قبلة طويلة حارة رطبت بريقها شفته ...
ولبثا في غيبوبة غرامية يحس خلالها بصدرها الصاعد
المابط بين يديه ويشمر بلامسة نهديها لصدره
المضطرب الخافق، وكانت تلك اللامسة الرقيقة
كأنها مس شيطان جذبه من طله النديوى، إلى
جسيم متقد تغور فيه الشهوات، ويسيطر الجنون
تففق قلبه بماطقة نارية، والتحم ذهنه بأمنية خبيثة؛
وسرعان ما وجد جواب السؤال الذي عذبه وسهده:
« ماذا أصنع بالبقية الباقية من حيوتى » حاضرا
بين يديه ... ولكن ما يكون ...

وأحست عطية بأنه يضمها إلى صدره بمنف لم
تمهده من قبل ... وأنه يلتمها بين وحشية تتقد
فيها نظرة جنونية ... فداخلها خوف وموت بالأضداد
عنه ... ولكنه تعلق بها بقوة، ولف يديه حول
خصرها بمنف وفضالفة، فاشتد بها الخوف وطالمت
صفحة وجهه بنظرة حربية فامتلات رعبا وأخذت
تقاومه مقاومة جديده وتغصه عن نفسها بما أوتيت
من قوة وتهتف به ضارعة متوسلة بأكية، وما يزداد
إلا عنقا وجنونا. فلما لم تنج عنها جميع محاولاتها
صرخت بأعلى صوتها تستنثت بالخدام المجوز ...
وشلت المباغتة حركته حينما، فجهد، ثم استولى عليه
غضب كاسر فرفع يمينه وضربها في وجهها ضربة

الزهد... ليت كان يعلم ذلك من قبل... لقد
حزن فبالغ في الحزن... وأسف فبال في
الأسف... ونحسر فبح حسرة... وحذر من
أن يفتضح أمره لدى حبيته وأشق من أن يشمت
به غريمه... لذاذا...؟ لذاذا... لا حزن

ولا أسف ولا حسرة... وليذع فضيخته من
نصره إذاعها، وليشمت به من تطيب له الشجاة به...
إنه أسى من ذلك وأعلى... إنه لا يزال بالناغات...

وأعجب ما حدث له بعد ذلك أن وصلته رسالة
من حبيته - أو من كانت حبيته - طلب إليه
أن يوافيها إلى موعد... وكانت مصوغة في قالب
مختصر، شديد الاختصار يذكر بلهجة الرسائل
البرقية، فدهش دهشة عظيمة وسأل نفسه ماذا
تريد عطية مني؟ وما الذي دعاها إلى تحرير هذا
الخطاب؟ وهل يحسن به أن يذهب إلى لقائها
أم أولى له أن يتزوى ويحتقن من أفتها إلى الأبد؟
وأحس بديب الخوف يسرى إلى قلبه ولكنه لم
يستسلم إليه وصدقت عزيمته على الذهاب...

وفي الوجد الملهو جادت تسمى إليه في
مشيتها الرقيقة وحركاتها الراقصة. ولما سارت منه
على بعد خطوة رمقته بنظرة عتاب أنيابها الخاطف
عن بشار ابتسامة خفيفة تنال للظهور، واكتفت
بها تحية وجلست إلى جانبه على الأريكة المظلة بأعصاب
الكافور... إنه يعلم بما يسكنها ويعلم بما يربكها...
فلقد أته حقا ولكنها أتت مقهورة مثالة، وأقل
ما تنتظر الآن أن يتحسس لقاتها، وفيض غلصا
في الاعتذار وطلب النفران... إنه يعلم بذلك كله،

الكامن في أحماقه، وليوم غريمه البنيض بأنه
زاهد لا يأس؛ وأقسم ليقين على سلوكه هذا ولو بعد
حدوث الكارثة دفعا للظنون وشفا للصدر وقهراً
لكل شامت أو ساخر... ثم وقت الواقعة وتم
الطور القدور...

ولسنا هنا بسيل وصف هذا الماء بصفة عامة
فقد يحدث أنبعا لا تحصي من الجنون والشذوذ
ولكننا حيال حالة خاصة...

وقد شاهد سائر التنير بارتياح ودهشة، وأحس
قانطاً بالحرارة تسرب من طوايا قلبه، واستولى
عليه جود وتأفف بلنا حد الزهد والشفيع، وسرت
في عروقه برودة الشيوخوخة والمهرم... حقا إنه
تتير خطير غريب...

كانت تطيب له معاشرته النساء ويسمده الجلوس
إلهن والاستماع لهن، فزهدي في ذلك كله غير آسف
ولاحزين، ولا أحس بأنه قائد يفقد من شيئا ذابا،
ولم ينظر إلهن إلا بالعين التي ينظر بها الرجل
الكامل الرجولة إلى القبة التي كانت تسهوى
طفولته وتستأثر بها.

وكان أخوف ما يخافه أن تبقى رغبته ناشطة
قوية ويسجز عن إشباعها، ولكن الموت أدرك
الزفة نفسها واقطع الشبهة من جذورها فانهار
معبد المرأة في نفسه وتبخرت الموالم التي تحلقها
في قلوب الرجال، فاستهان بالأمر ولم يذق أسفا
ولا وجد ألما ولا حزنا، فكان في حرمانه كما يكون
في شبهه، إذ ماذا تمنيه أي امرأة بعد فقدان هذه
الرغبة؟ تندو صورة غريبة سخنها ظاهر وحسنا
غامض لا معنى له... كاللال في عين الزاهد الصادق

— مع هذا فقد غضبت على غضباً شديداً ،
لما تنفرد لي ...

— أنا ... ؟

— كيف السبيل إلي التكران ؟ لقد انقطعت
عني ... وهجرت مودق ... وتناست عهودنا ،
وقد انتظرت طويلاً أن تنوب إلى عفاك وترجع
إلى كبا نصف حسابنا ... انتظرت طويلاً ...
وانتظرت عبثاً ...

— إني أسف يا عزيزي ...

— ولينك قمت بكل هذا ... بل رأيتك عيناى
تسرق رقعة ... إخص يا ... كم تألت ، إن الفدر
قاتل أليم ...

أواه ... إنها تنفخ في « قربة مقطوعة » كما
يقول المثل الخارج ، حقاً إنها تتكلم في حاسة وحرارة
وصدق ، ولكن كيف له باستجابة دماغها أو تلبية
فماغها ، فاكنتي قهرأ بتفكير رأسه ، وقد روعت
لجوده وضاق صدرها به واحتارت في تليله وأحست
بيد اليأس تقيض على أنفاسها فقالت جزعاً مذعورة
— مالك ؟ ..

فلما لم تيد عليه أى رغبة في الكلام غلقت
تقول بلهقة :

مالك ؟ أمرض أنت ؟ .. لماذا لا تتكلم ؟ لماذا
لا تحدثني ؟ ... لم لا تكلف نفسك مشقة الاعتذار
إلي ؟ ... تكلم بحأو أو بحر ... لن أتردد في لسان
الناهي إذا طلبت إلى ذلك ... كلمة واحدة ونبدأ
صفحة جديدة ... أواه ياسامي إنك لا ترغب
في الكلام ...

— إنك لا تملين ...

— تكلم ... تكلم ... ماذا بيني أن أعلم ؟

ولكنه لا يجد من نفسه أدنى استعداد للراء والتمثيل
فظل ساكناً جامداً يقلب ناظره في قسبات وجوها
وجيدها ويدبم النظر إلى ثديها وساقها الباريتين .
ويشجب أياً تشجب ... كانت هائلتين تنفذان
إلى أعماق قلبه وتفتحان مغلق مشاعره فيبعثان به
حياة آيتها القوة والجمال والنشوة ... وكان هذا
الجسم البض يطلق شرارة حامية إلى أعماق صدره
تسرى إلى فراخه وأعصابه فتجعلها شملة من تيران
موقدة ... فله اليوم لا ينفذ سحر إلى قلبه ؟ ولا
يقوى جمال على بست عواطفه ؟ وما بال صدره هادئاً
بارداً كأنما قتلت ضلوعه من التلج ؟ وما بال هاتين
العينين لا تنفذان إلى قلبه ولا تفتحان مغلق شعوره ؟
ما بال هذا الجسم لا يبت ناراً ولا يشعل وقوداً ؟
كيف أضئت هذه النظرة لامعني لها ؟ وكيف أسمى
هذان النهدان ولا تمزى لها ؟ ... يا عجباً ... وكان
لا بد له أن يقول شيئاً فقال بصوت هادي :

« كيف حالك يا عطية ؟ »

ولم تسجها لمجته ولا ارتاحت لنبرات صوته
فحدثته بنظرة لوم سارمة وقالت :

— يا غادر !

فأحس رأسه أسفاً وذكر لقاءها الأخير وما وقع
فيه فقال :

— مسنى الجنون ذلك اليوم ... كم أنا أسف ...
غفرانك ...

— وأنا استولى على رعب شديد فذا فتمت بك قوة
وما أدري ...

— قدأ كرمتي فوق ما أستحق ... وسكت

عن سفاهاى ...

أوهامه واستحال مقبرة لا حياة فيها ولفظا لا معنى له وذكر لا أسف عليها . . . وجمع فلول قواه وذكرى لفنائه العاشقة الحقيقة المارة في عبارة مقتضية وتلقى نظرتها المتابعة الجريى بهدوء عجيب .، واتمنى كل شيء
أهكذا ينتهى الحب ؟ ...

وهل تنتهى موارم الانسان الأخرى الشاسعة وأحلامه السامية إلى أصول غرائر خافية في طبيعتها ؟ وهل إذا كتب على إحداها الموت تبده عالمها وتلاشت أحلامها وأضحت هباء وأوهاما ؟ أمن الممكن أن يكون نصيب الحق والجمال والبطولة والجلال نصيب حب سالى السىء الحظ ؟
نبيب محفوظ

ما فائدة المواراة والتتردد؟ وما وجه الحكمة في مد أجل هذا اللقاء الذى قد يكون آخر لقاء بينه وبين امرأة ؟ وآخر ما يسمع من حديث الحب وأوهاله ؟ لا فائدة ترجى، وأولى له أن يصارحها بالحقيقة ...
الحقيقة ! ...

كان بالأمس يشفق من ذلك إشفاقا شديدا ويفتديه ببذل النفس ومقارفة الحقائق، أما الآن وقد ماتت تلك الشجرة الباسقة المتفرعة فقد سارع الجفاف إلى ساقها فذبلت أغصانها واصفرت أوراقها وتناثرت أزهارها وأمت شجعا كئيها لا يرجو بثما ولا نشورا . لقد أظلم عالم الحب البهيج وأقفر ديانته وسكنت بلابله وتبدحت أخيلته واقتضت

مؤلفات

الأستاذ محمد كامل حجاج

- ٤٠ بلاغة العرب جزءان (مختارات من سفوة الأدب القرنى والانكليزى والألمانى والاطلال مع تراجم الشعراء والكتاب)
- ٢٠ خواطر الخيال وإملاء الوجدان (متفرقات فى الأدب والنقد والفلسفة والموسيقى والحيلوان وبه روايتان تشيليتان)
- ١٨ نباتات الزينة العشبية (عمل بإحدى وتسعين صورة فنية)
- ١٥ Les Plantes Herbacées (على بنفس الصور السابقة)

الكتاب الأول والثانى فى جيبم للكتاب المبهمة وكتب الزراعة تطالب من شركة البذور المصرية بميدان ابراهيم باشا

كتابان قيمان

سبيلهم به فى أوامر أغسطس

هكذا تكلم زرادشت

فيلسوف الألمانى فردريك نيتشه

اعترافات فى العصر

الشاعر الخالد ألفريد دي موسيه

وكلاما ترجمة الأستاذ

فليكس فارسى

من أرسل ٢٥ قرشا قبل صدور الكتابين عد مشتركا فيرسل له الكتابان إلى حيث يتم داخل القطر أو خارجه دون ملاوة لأجرة البريد ، ومن أرسل ٢٥ قرشا يرسل له أيضاً كتاب « رسالة للتبر إلى الشرق الغربى » تأليف المترجم — العنوان : إنارة مطبعة البصير بالإسكندرية

كان هذا أسلوباً عتيقاً غير لائق
من أساليب التفكير والتعبير وخاصة
إذا علم أن مصدره كان شاباً في مقتبل
العمر تلقى قسطاً وافراً من التعليم
والتهذيب، ولكن المسكين كان فاقداً
لكل شعور، مجرداً من كل وعي

أما المدينة وكيف تلقت كانه النائرة النارية فلا
حاجة بنا إلى القول بأنها لم تمر ذلك التفاتاً، كما
لا حاجة بنا إلى القول بأنها استمرت في حركتها
ولنظها وضوضائها وجلبها كما كانت قبل أن تتحرك
في جوها تلك الموجات الصوتية الضعيفة الخائرة التي
انطلقت من قم صربوز بروك

ولو كانت للذن كال بشر تشعر بما يدور حولها
لكان شعور هذه المدينة في تلك اللحظة شعور
السخرية من المجنون الذي يريد تدميرها والقضاء
عليها برصاصات تسع تخرج من فوهة حديدية صنيعة
موضوعة في جيب مطفئها ...

والذين جربوا اليأس والبأساء من الناس كثيراً
ما شعروا بخيبة الأمل عند ما كابدوا الشهور الذي
كان صربوز بروك يكابده في هذه الآونة

يمتلئ قلب الواحد منهم غيظاً وحنقاً على المدينة
التي يعيش فيها والتي يستند في قرارة نفسه أنها
سبب شقوته وبلائه وبتعني أن يسمع المدينة رأيه
فيها ولكنها لا تشع به ولا تحس بما يتأجج في
صدره من نيران

وفي اعتقادي أن التأثير على مدينة من المدن لن
يستطيع أن يشق غليله منها كما يجب ويهوى إلا إذا
حدث بصدفة غريبة أن كان هو نيرون بينه

مفارقة الشان

للكائنات الأخرى دوننا كينز
بفلم الكائنات الأخرى في مجلد دكتور

خسر (صربوز بروك) كل ماله كما أضع ما
كانت تملكه شقيقته وبنات عمه وخالاته ... وفي
ساعة من ساعات الضيق واليأس قال بعداً نفسه :
— سوف أضع حداً لتلك المهزلة بطلاق ناري
واحد أسوبه نحو قلبي ... ولن يتأخر تنفيذ ذلك
عن الساعة الثانية بحال من الأحوال ... الساعة
الثانية تماماً ...

وتلصق مسكناً آلياً ذا عشر طلاقات كان
موضوعاً بمتاية في الجيب الأيمن لمطفئها الثقيل، ثم
خرج يتسكع في طرقات برودواي

كان يسير في خطى متمردة بطيئة تغطي
الخمور. ولا غرو فإنه لم يتناول طعاماً منذ يومين
كاملين لا لبس إلا أنه لم يجد ما يأكل
ألقى نظرة على شوارع المدينة المترامية الأطراف
وتغم غمطاً لإيما، وكأنه يتمثلها أحد أبناء البشر
يسمع ويبى ما يوجه إليه من حديث :

— كم أكرهك أيها المدينة اللعوية ! وكـ
كنت أتمنى أن تكفي تسع رصاصات للقضاء عليك
وتدميرك ... آه لم كانت تكفي تلك الرصاصات
التسع لخرباك ! إذن لا تردت لحظة واحدة في
إطاعتها عليك متتابعة كالسيل الجارف أو اللط
الماطل ...

الساعة الآن الواحدة ...

اخترق مريودربوك أحد شوارع ميدان هيرالد متجها نحو عمارة كبيرة هي إدارة إحدى الصحف اليومية الكبرى ، فأكاد يقف هناك لحظة حتى خرج من المارة شاب يبدو على وجهه وحركات إشارات الجذ والتفكير ، غير أن عينيه كانتا تنفترقان كثيراً إلى برين الدكاء في نظراتهما وقف الشاب على عتبة المار واضحا كلنا يديه في جيبى سترته الثمينة واستسلم للتفكير غير ناظر إلى ما حوله ، فأنهم مريودربوك هذه الفرصة واقترب منه ثم وجه إليه الحديث قائلاً :

— أسألك المذرة ياسيدى . أأنت غبراً من خبرى الجريدة ؟

فهر الشاب رأسه ولم يصدر عنه إلا صوت عميق كصوت الخنزير قائلاً :

— نعم ...

— إذن فأني متحفك بقصة نادرة

صمت الخنزير ، ولكن مريودربوك استمر في حديثه قائلاً :

— قد نعيش في الحياة نكرات لا أهمية لها ، ولكننا جميعاً نحب أن نشعر قبل انقضاء تلك الحياة أن موتنا سيحدث أترأ ما ولو كان طفيفاً ...

فكان جواب الخنزير موتاً آخر شبيهاً بالأول هو :

— ويعد ؟ ...

قال مريودربوك في لهجة الجذ والصراحة الصارمة :

— عند ما تحمل الساعة الثانية سأطلق النار

على نفسى

فبدت على الخنزير دلائل خفية الأمل إذ كان عمله في الجريدة قاصراً على الأخبار السياسية ، ولكنه قال موجهاً السؤال إلى عمده التريب الأطوار :

— وهل أنت من أصحاب الأسماء المعروفة ؟

— لا ...

ولم يزد على ذلك حرفاً لأنه كان يعلم أن من البيت إضاعة الوقت في ذكر اسمه واسم الأسرة التي ينتمى إليها ؛ وسواء قال إنه يدعى مريودربوك من أسرة بوك إحدى أسر ولاية جورجيا أو لم يقله فالنتيجة واحدة ، وهو أنه نكرة ابن نكرة ومجهول من أسرة مجهولين

قال الخنزير في لهجة تم من اللوم والتوبيخ :

— أظن أنك قلت قبل الآن إنك ستفص على مسامى قصة ذات أهمية ؟ فهل عزمك على قتل نفسك هو تلك القصة النادرة ؟

— أجل .. أأنت على الأقل أحد أبناء البشر ؟

— أبناء البشر ؟ يا لك من ممتوه .. أيتسأوى أبناء البشر في كل الأمور ؟ إن فيهم من هو أرخص وأتفه مما تظن يا عزيزى

وما كاد يصل إلى هذا الحد من حديثه حتى أبدى حركة دلت على رغبته في الانتهاء من ذلك الحديث الذى لا يقدم ولا يؤخر وهم بالانصراف غير أن مريودربوك اعترض طريقه وصاح به قائلاً :

— يا لك من كافر جاحد ... أنكفر بالحياة يا هذا وبقدسية الروح ؟ ... ولكن لا ... ليس لي أن أنتظر منك غير هذا . أفأنت صخرأ من صخور نيويورك التى خلقت على صورة البشر وألبست ملابس الرجال ... ؟ ذلك رأيي فيك فهل

إنك الآن على كفة الزنزان، إنني أمرك ساعة واحدة.
 فان دعيت إلى الغداء في خلال هذه الساعة يموت
 من التجربة الهائلة التي قدرت لك، وإن لم أدم فالويل
 لك. سأقتل نفسي... نعم. ولكني قبل أن أفعل ذلك
 سأبدأ أولاً بقتل أكبر عدد ممكن من أبنائك :
 أبنائك الناجحين الموقنين الذين تحضنهم وتحبين
 عليهم. أكبر عدد ممكن.. أكبر عدد أستطيع أن
 أصل إليه برصاصاتي التسع... نيويورك! لقد انتهى
 كل شيء.. نيويورك، أنت الآن على وشك مشاهدة
 مذبحه موهوبة من مذابح التاريخ
 كانت فكرة طارة، ولكنها أطربته ورائته؛
 ولا عجب فقد جيل عباً لأعقاب الصدق ومفارقة
 الحظوظ.

واستسلم للتفكير وأخذ بقلب الأمر على جميع
 وجوهه :

— قد يحدث الآن أن يخرج رجل ناجح
 أو امرأة ناجحة من بين ألوف الناجحين والناجحات
 في المدينة فيكون على يديه أو على يديها إنقاذ الموقف،
 وبالتالي إنقاذ تسعة آخرين من موت محقق.
 — إذ أنه سيحفظ بالرصاصة المباشرة لنفسه —
 وقد لا يحدث هذا فتكون النتيجة وبالأحرار
 وهنا استولت عليه نزع من نزات الكبر
 والغرور، وسرت في جسده رعدة كعدة المحموم...
 أليس هو الآن قادراً على سفك الدماء...
 وقهقهه ضاحكاً من قناعة قيمة الحياة...
 حياة الانسان
 وكانت هناك امرأة تسير غثرة الطريق على
 مقربة منه في تلك اللحظة فلم تتكدر مرة فتحته نصل
 (٥)

سمته... وهل علمته؟ وأظن أنني سأبدأ بقتلك
 أنت قبل قتل نفسي

— لا، لا يا عزيزي... ليست لي رغبة الآن في
 الموت، ولن أسمح بحدوث ذلك قط، فإن لدى صفقة
 من أحسن الصفقات

ووضع مريودز يده في جيب معطفه الأيمن
 وقبض على المسدس الصغير بين أصابعه وهم باطلاته
 ولكنه عدل عن رأيه في اللحظة الأخيرة لا خوفاً
 من الصير أو رهبة من الموقف... ولكن لأن فكرة
 عاصمة طارة صرت بذهنه المكندود لا يدرك لها
 كنها... وأخرج يده طارعة من غير سوء...
 وبذلك ابتعد الخبر عن القبر المحفور الذي كاد
 يتردى فيه...

واستأنف مريودز حديثه قائلاً :

— أنا جائع...

فلمت عينها الخبر قليلاً وقال :

— لقد ذكرتني.. يا عزيزي.. لقد ذكرتني..

أنا الآخر أشعر بالجوع

ثم عبر الشارع متجهاً نحو مطعم قريب سرعان
 ما اختفى وراء باب المأوى

لم يتكلم مريودز حينئذ ولم يدحرا كما، غير
 أن صوتاً من أعماق نفسه كان يتكلم ويتكلم...

— يا لهذا الانسان المتحجر القلب والمظلمة...

يا هؤلاء الناس أبناء هذه المدينة للموتة !

ومكث في سمته قليلاً يستمع إلى ذلك الهاتف
 في أعماق نفسه، ثم تكلم أخيراً في صوت منخفض
 ولكنه عميق، إن دل على شيء، فلي الاصرار والزم
 الأكيد قال :

— نيويورك.. إنك الآن في قبض الانعام..

أكون رجلاً خائباً، محطاً وفوق ذلك فأني جائع؛ بل لا تكفي كلمة الجوع للتعبير عما أشعر به من حاجة إلى الطعام. لم أبلغ بلقمة واحدة منذ يومين يا آنسي المزنة. إنني لا أخدعك ولا أكذبك القول ولا أموه عليك، والله شهيد على ما أقول؛ وعند ما وقع نظري على شخصك الكريم توهمت فيك الخبير، وأحسست أن الحديث منك فرصة لا تموض؛ والجوع كما اعتقده حسنة واحدة هي أنه يهب الإنسان

خبرة نادرة بالوجوه. لذلك قاصرت على وجهك غير أن كل هذا الحديث العذب النعق لم يبالغ الغاية التي كان المسكين يرى إليها. فرمقته الفتاة شرراً وقالت في لهجة الشخص الذي يدفع عن نفسه إهانة لحقت به:

— دع عنك هذا اللق البتفل ووفر عليك عناء الرياء والمداهنة؛ واعلم أنني خدعت فيك حين ظننت أنك رجل شريف! ...

ثم انطلقت من أمامه مسرعة؛ وعند ما حاول أن يقبها توقفت عن السير والتفتت إليه صائحة به:

— أعرب عن وجعي أيها اللص الذي يميني على فضلات النساء. أعرب وإلا دعوت رجل الشرطة ليقودك إلى المكان اللائق بأمثالك

وايتمد مريودز بوك ... اجتمع

الساعة الآن ثلث واحدة و ... ومعنى ذلك أنه انقضى من الملة التي حددها ذلك البائس لتنفيذ خطته ثلث ساعة يصبح بعدها في خير كان يمد أن يحمو من الوحود عدداً لا يملكه إلا الله بمن قدير لم الموت برصاصات مسدسه

سار على غير هدى إلى أن وجد نفسه أخيراً

إلى أذنها حتى التفتت إلى الوراء لترى مصدر تلك الضحكة الساحرة وبذلك تلاقت عيونهما ...

كان مريودز بوك حسن النظر وكذلك كانت المرأة، ولكنها كانت إلى جانب حسن منظرها من النساء اللاتي تكن نظرة واحدة من الرجل إليهن لمعرفة حقيقتهم! ...

تقدم مريودز بوك نحو المرأة ووجه إليها الحديث قائلاً:

— أرجو المذرة يا آنسة، ولكن ألا توافقين على تناول النداء مني ... أ ... أ أعنى على أن تناول النداء معاً

فضحكت ضحكة رنانة وقالت:

— تعجبني جرأتك

والواقع أن جرأته كانت تعجبها. واقتربت منه حتى كاد جسدها يلتصق بجسده وقالت:

— وأى مكان تختار؟

— المكان الذي بروك أنت .. ذلك متروك لتقديرك، لأنني متمدد عليك في دفع ثمن ما سنا كل فضحكت ظناً منها أن حديثه هذا نوع من أنواع المزاح البتكر، ولكنها عندما نظرت إلى وجهه أيقنت أنه يعنى ما يقول

قالت:

— تعجبني جرأتك

وفي الحقيقة لم تكن جرأته موضعاً لمعجبتها في تلك اللحظة كما كانت منذ دقيقة واحدة، وسبحان مشير الأحوال!

واستأنف مريودز بوك حديثه قائلاً:

— قد تبدو ملائسي في حالة حسنة إلى هذه اللحظة، ولكن لا تنترك المظاهر، فأنا لأعدو أن

بشكل ودى يدل على اللطف ورقة الماطفة
وانتظر مريودز تمة الجملة التي بدأها الوزير
بصبر فائد ، ولكن هذا لم يشكلم بل اكتفى بأن
ضحك ضحكة قصيرة لانه اعتبرها ذات معنى
قال مريودز بوك :

— ولكني أطلب إحساناً ...

فما كاد الوزير يسمع كلمة الإحسان حتى تنفس
الصمءاء كمن يشعل على ضالة طال بحثه عنها وقال :

— حسن ... إذن فأت طلب إحساناً ...
هل قصصت ... ولكني أحب قبل أن أستطرد

في الحديث أن أسألك سؤالاً

— إنني رهين إشارتك يا سيدي

— هل أنت جاد في حديثك أم هو نوع من
أنواع المزاح ؟

— وهل يجوز المزاح في شأن كهذا ، بل أنا
جاد يا سيدي كل الجدة

— هل اتصلت بإحدى الجمعيات أو المؤسسات
الخيرية المروفة ؟

— كلا ... وأحسب أن ...

قطاطمه السيد قائلاً :

— يا ... يا ... يا ...

ثم أخرج بطاقة من حافظة نقوده وتناولها
بين أصابعه وأخذ يدون عليها بضع كلمات وهو

يقول :

— سأعطيك بطلاقي الآن وما عليك إلا أن

تقدمي إلي (سكرتير) الجمعيات الخيرية المتحددة ...
إنها مؤسسة حسنة النظام كما أعتقد. هناك سيتحرون

أمرك وأمر سيرك وسلوكك وظروفك وأخلاقتك
وسوابقك

أمام محطة من المحطات حيث لمح شخصاً يدل مظهره
على أنه ذو مركز خطير في الحياة يخرج من أحد
الأبواب . تأمل وجهه ببسببه الوثائقين ليقرأ فيه
ما طبعته أخلاقه وميوله ، فدلته وجنتاه للتوردكان
على أنه ذو طبع مرح وضاحك منبسط . لاشك أن
سنوات طويلة قضاهما هذا الرجل في البر بالناس
وإسداء المعروف إليهم هي التي أكسبته هذا الطابع
وتلك الطبيعة

اقترب مريودز بوك من ذلك الرجل العظيم
وقال في ذلة وانكسار :

— لا تؤاخذني يا سيدي على فضولي وجراؤي
ولكني توسمت فيك الخير واستبشرت بقلاتك .

ويطلب على غلى أنني الآن في حضرة أحد وزرائنا
المنظام . أليس السيد وزيراً من وزراء القوة ؟

فأخرج الرجل من جيبيه منظاراً فأسلك ذهبي
وقربه من عينيه وهو يقول في لهجة مرحة :

— نعم إنني وزير ، فما حاجتك يا بني ؟

— أنا جائع

— جائع ... ؟ لم يخطر ذلك بيالي قط

— ولكنه الواقع يا سيدي ، فهل تدعوني
لتناول الفداء ؟

— إله ...

كان سؤالاً غير آ ، ولكن الرجل تقبله قبولاً
حسناً ولم يتبين في حركاته ما يدل على الضيق

أو التذمر ، بل صمت لحظة وكأنه يحاول سياغة رد
لا يصدم شعور محده ؛ وأخيراً قال :

— يا عزيزي الفاضل ... أنت تعلم ... تعلم
حقيقة ...

ثم أسند إحدى يديه على كتف مريودز بوك

أن تعرف لماذا أنا جائع أليس لديك الوقت الكافي للاستماع إلى بنفسك ؟

— الوقت .. الوقت يا بني هو الشيء الوحيد الذي يموزني والذي أبحث عنه في ظرف كهذا فلا أجده ولكني سأدلك على ما تفعل

ثم أخرج بطاقة ثانية من المحافظة المتفحفة وكتب عليها بضع كلمات أخرى ثم قدمها إلى مريودز وهو يقول :

— إذا أردت أن تقص عليّ حكايتك فخذ هذه واذهب إلى مكنتي حوالي الساعة الثالثة والنصف . هناك ستجد كاتبتي المختزلة فأمل عليها ما تريد وستقوم هي بمد ذلك بكتابته على الآلة الكاتبة وتقدمه إليّ ...

ثم انسحب من أمامه وذهب

كانت الساعة وقتئذ واحدة وخمسا وعشرين دقيقة ... أي أنه بقيت من ساعات الحياة خمس وثلاثون دقيقة !! ...

استأنف مريودز بوك تسككه في شوارع نيويورك متصفحا وسجوا المارة واعترض طريقه أحد المسؤولين فلم يتردد في منعه بطاقتي الوزير اللتين تحولان لحاملهما دخول اللجنة بغير حساب، ثم اتجه ناحية الشرق مارا بالشارع الثاني والأربعين .

وإذا كانت حياة الإنسان قد اقتضت ولم يبق في عمره إلا دقائق معدودات فلماذا لا يقضى هذه الدقائق في الشارع الخامس ... هناك يستطيع أن يتمتع النظر بأحسن الشاهد وأعظمها

والواقع أن هذا الشارع كان أنسب مكان لمن كانت غايته كتابة صاحبنا . في ذلك الشارع يستطيع

— كل ذلك لكي يطمعوني وجبة واحدة ؟

— بطبيعة الحال

ولما فرغ من الكتابة ناول مريودز البطاقة وكأنه يتناول مفاتيح الدنيا بأسرها وم بالانصراف ولكن مريودز بوك قال

— ولكني أريد أن تقوم أنت بإطعامي الآن فأبسم الوزير وهو يقول :

— لقد فعلت يا عزيزي ... إنني مشترك من مشترك هذه المؤسسة الخيرية وهذه هي طريقة الوحيدة في الاحسان وهي طريقة مثل توفر كثيرًا من الزمن

— سؤال أخير ياسيدي

— وما هو ؟

— ألا تريد سماع قصتي ؟ ألم تر فيك حالي ولو

قليلًا من الاهتمام ؟

فبدا الضيق على وجه الوزير جليًا ولكنه قال غفيا ما يدور بخاطره

— قصة ... قصة . هناك يا ولدي سيستمون

إلى قصتك بأذان واعية . إن علمهم منظم ولديهم ملفات كثيرة كلها قصص وحكايات ، مئات من القصص ... أكوام من ملفات القصص لكل ملف منها رقم خاص وستأخذ قصتك ولما من هذه الأرقام قد يكون المائة بعد الألف

ثم ختم حديثه قائلاً في شيء من التعمس :

— أو كذلك لأن طريقته من أحسن الطرق .

استودعك الله

كان الرجل يريد إنهاء الأمر كهذه الجملة، غير أن مريودز تشبث بأذياله في إصرار عجيب وهو يقول — ألم تجد شيئًا من الغرابة في أمري ؟ ألا تريد

الكبرى في نيويورك لا يقل عن نصف ما فيها من دور ، وعلى تصرف مستر إيفازز معه يتوقف ذلك المصير ونوعه ، بل هاهوذا القدر الساخر يضع لقمة وقطعة من اللحم أو قليلا من الحساء في كفة ميزان ويضع في كفته الأخرى نصف ثروة أمريكا ولا يعلم إلا الله أيهما تكون الراجحة ...

في استطاعة سبابة مريودز بوك الموضوعه فوق زاد للسدس أن تقرر الآن لا مصير رجل واحد ، بل مصير شعب بأسره

قبض على السدس وسوب فوهته من تحت الثوب إلى قلب الستر إيفازز وتقدم خطوة نحوه وهو يقول في لهجة نتم عن الأدب :
— كم الساعة الآن يا سيدى ؟

ومضت ثانية قبل أن يجيب الرجل خيل لمريودز في أنشائها أنه يرى رأى العين عمارات العمارات تهاجر واحدة واحدة ، وطرق السكك الحديدية تتحطم طريقا طريقا ، والمصانع تنلق أبوابها والأسواق تتمطل ، والناس تتوقف عن الإنتاج ، والمواصلات الزراعية تترك في الحقول ، والسفن التجارية ترابط في الموانئ ليل نهار ، والكساد يمس جميع المرافق :
وراية الخراب ترفرف فوق المدينة

أخيرا رفع الستر إيفازز سيجاراً ضمخا من فمه وألقى نظرة شك وارتياب على مريودز بوك وهم بالانصراف ، ولكنه طرد فمدل عن رأيه وأخرج ساعة فضية كبيرة الحجم ألقى عليها نظرة وقال في لهجة يشوبها قليل من التعمر :

— الساعة الآن الثانية إلا دقيقتين

ثم عاد وقال في لهجة أقل تبرا

— هل أجد منك عود تقاب أيها الشاب ؟

الانسان أن يلتقى بأعظم الشخصيات وأهمها وماذا يريد هو غير ذلك ؟

وما كاذ يقف هناك لحظة قصيرة حتى رأى أمامه مجيئا . رأى مشهدا لم يكن يخطر له ببال ؛ على أن ذلك المشهد لم يكن حادثا خطيرا أو معركة هائلة كما لم يكن رقيقا من الخبز منه قطعة من لحم خنزير مشوى ... كلا ... إنما هو رجل

لم يصدق مريودز عينيه في بادئ الأمر وقال غاطبا نفسه

— هذا غير ممكن ... هذا مستحيل ... إنه شخص آخر

وفي هذه اللحظة اقترب الرجل منه فلم مريودز أن عينيه لم تكنه الخبر

أما الرجل فكان ج. ديون إيفازز أكبر رجال المال في نيويورك ، نعم هو بيته ، إن مريودز بوك يعرفه حتى المرفة ويستطيع تمييز وجهه من بين مليون وجه

هاهوذا الستر إيفازز على قيدشبر واحد من فوهة سدس مريودز بوك . أليست هذه مفاجأة يطيش لها صواب أكثر الناس ثباتا وأصلهم عصبا فضلا عن إنسان عظم لم يذق الطعام منذ يومين ؟ غير أن مريودز بوك تلقاها صامدا لا يتأثر وكأنه الجبل الأصم بمددقائق معدودات يصبح الستر إيفازز صاحب الثروة التي تدرى بكنوز سليمان ومال قارون خيرا بعد عين ضحية من ضحايا اللعبة الخطرة التي يمارسها ذلك الفاعل المجهنم الجامع

أحسن مريودز بوك بقوة غير عادية ، وكأن دما جديدا يجري في عروقه الجافة ... هاهى ذى مفارقات الطريق تضع تحت رحمة مصير عدد من دور المال

فقاطعه الستر إيفاز قائلاً :

— كل هذا ... ؟ إذن فأنت غتزع

فكذب مريودز لأول مرة إذ قال :

— نعم ياسيدي ... لقد اخترعت مدمر آقوى

من الديناميت ويمكن استخدامه بغير الحاجة إلى

النار خلافاً للعتاد عند استعمال البارود . مدمر

لا صوت له ولا يتجمد بعد استعماله ، طريقة واحدة

يمكن استخدامه بها وهي تقريبه من مادة كيائية

أخرى كما هي الحال في أعواد الثقاب التي تشتعل

بمحكما بلبتها

— لله درك يا فتى .. إن ثروة عظيمة تنتظر

اختراعك هذا . أليس في السوق اختراع بمثلته ؟

— لا ياسيدي

وفي هذه اللحظة أخذ في إحكام تصويب

مسلسله من وراء الثوب ثم استطرد قائلاً :

— ولكني لا أملك المال الكافي لتحقيق آمالي

بإخراج اختراحي إلى عالم الوجود

فأقسم الآخر وقال :

— حسن ، سأدلك على ما يجب عمله في مثل

هذه الأحوال أيها الشاب الثابتة . أظن أنك

لا تمنع في مراقبتي لتناول طعام اللداء مما .. تعال

يا عزيزي ، سوف نتناول موضوعك بالدرس أثناء تناول

الطعام وسنبجته من كل النواحي ... المال وغير

المال ...

وفي هذه اللحظة دوت في الجو أصوات ساعات

بنابايت نيويورك العظيمة مؤذنة بحلول الساعة

الثانية ...

محمد محمود درادة

(السويس)

بعد دقيقة واحدة سيأل الرجل أن يطعمه

فان لم يقبل قتله دون تردد ، ولكن لا بأس من

إعطائه هوداً من الثقاب قبل ذلك .

أخذ يبحث في جيوبه وهو في أثناء ذلك يذق

الوضع المناسب لأصابعه عنده في مصرع ، وفكر في

رغبة الرجل الذي سيصبح في عالم الأموات بعد

نوان في التدخين فأضحكه الفارقة فأخذ في التفهمة

ثم قدم بعض أعواد الثقاب إلى القريسة

غير أن مستر إيفاز ما كاد ينظر إلى الأعواد

حتى صاح قائلاً :

— وماذا أضع بهذه الأعواد يا ولدي وهي كما

تري من النوع الذي لا يشتمل إلا إذا حك في علته

الخاصة ... أين اللعبة إذن ؟

قال هذا القول وقد ثبت في ذهنه تمام الثبوت

أنه إنما يخاطب إنساناً به من من الجنون

فضحك مريودز بوجه ضحك هستيرية حادة

وأجيب قائلاً :

— هذه فكرة علمية عظيمة ... هذا سر

صناعي خطير

ثم استأنف الضحك والتفهمة ولم يكن يضحك

إلا ذلك الميت الذي يلح في طلب التدخين ... !

وفكر المستر إيفاز قليلاً ثم قال :

— سر صناعي ... أي سر ياسيدي ؟

فأجابه مريودز وقد استولت عليه نوبة من

نوبات الجنون :

— إنه سر عظيم ... إنها فكرة رائدة يمكن

استخدامها في إيجاد مدمر عظيم يشقنا عن استعمال

للسفن الحربية والفرقعات الحالية التي تستعمل في

الحروب وفي النتائج ... و ...

الأول والأخير...

كنت أيامئذ في العشرين من عمري .
وكانت دماء الشباب تجري في عروقي فتملأني
قوة وقوة ومرحاً . ولم أكن قد رأيت
القاهرة ، فقد عشت تلك اللذة من حياتي

في إحدى المدن الصغيرة . فلما قيل لي إنني سأسافر
إلى القاهرة لأنهم علوي رقص قلبي طرباً وغبطة .
وسهبت أياماً لعظم فرحي . فلقد كنت أسمع عن
جمال القاهرة وعن أخذ أهلها بأساليب الغرب .
فكانت أعز أمانى أن أراها وأجوس خلال شوارعها
الواسعة الطويلة التي كانت تنقص مدينتي الصغيرة
وأنتيت القاهرة . ولم أعمم أن صادقت بضمة
من شبانها . رحت وإياهم تنتش دور اللو الحرام ،
وتقضي جل ليالينا في الواخير بين أحضان الفتيات
الأجنبيات اللاتي يمين أعراضهن لكل طارق
ما دام يملك المال الذي يسد به أفواههن الجشعة ...
ومارت حياتي على هذا للنوال بضمة أشهر .
ثم ابتدأت أشعر بأن هناك فراغاً حقيقياً يضرب
أطناي في حياتي ، ومكاناً كبيراً ظل شاعراً في قلبي .
ولم أعرف سر هذا الفراغ ولا ذلك المكان للشاعر
في أول الأسر . ولكنني عند ما فكرت فيها ملياً
عرفت أنني في حاجة ماسة إلى حب أصلاً به فراغ
حياتي وقلبي ، وتسمو به عواطفني التي انعطت ...
وتتطهر به نفسني التي دنست ...

وعجلت في البحث عن هذا الحب فقد كنت
أحس بالحنين إليه يتضاعف ، بمحنت منه في كل
مكان ، في شوارع القاهرة ، وفي منازل أصدقائي
وحتى في دور اللو التي كنت أتردد عليها . ولكن

ذكر حبيب

أقصو حبيبتة ففضلتني
يقلم الأديب عبد الحليم محمود العشيري

تأخذني رعدة رهيبة ، ويستولي على أسمى حميق
كلما رجعت التهمقري عشرة أغوام وأحييت في غياني
ذكرى ذلك العهد البائد ، عهد شباني الزاخر بالشقاء
والآلام ، عهد شباني الذي بطوي بين أيامه أحلى
أمانى ، وبلغ في أكفانه السود الخفيفة أول حب
دب إلى قلبي ، وسدلت وشقيت به نفسي !
إنني لأود الآن من قرارة نفسي أن أترك ذلك
العهد جانباً ، وألا أعيد ذكره المرة الألفية إلى ذهني
حتى لا تتبر أشجان قلبي ... ولكن ... ولكن
الجيب أن قلبي هو الذي يدفعني دفاً للعود إلى
هذا العهد بالرغم مما فيه من إيلام له . ولعله يفعل هذا
لأنه يريد أن يعيش ثانية في جو تلك الأيام البعيدة
وأن يتنوق مرة لذة ذلك الحب المائل الذي كان
يلأه حينذاك ...

وأنا ... ما ذا أقول لو خالفت رغبة قلبي ...
ورغبته لما تزل كل ما أضي به في حياتي ؟ حسن .
سأطبع قلبي — وليست هذه هي المرة الأولى
التي أطمعه فيها على شيء لا أحبه — ولأعد
إلى ذلك العهد فانه وإن كان لا يعمل لي في تنايه
إلا الشقاء ، فانت في استعادة هذا الشقاء لذة
عظيمة قد لا يجمدها من يستعيد عهداً سعيداً من
عهود حياته ... وما أجل أن يعيش الإنسان مرة
كافية مع الناس في جو الذاكرة كرى ، ذكرى حبه

أربع مرات أو خمساً . وكانت في كل مرة يقع
بصرها على تنادى شرفتها مسرعة ، ولعلها كانت تفعل
ذلك بدافع الخجل مني ، أو أنني لا أعرف تلميلاً
لذلك غير هذا التلميل ..

يبد أن هذا لم يكن ليثير رأيي فيها . فقد كنت
واقفاً أنها هي الفتاة التي استملاً فراخ حياتي وقلبي
بالحب .. وقد كان .. ولم يحب ظني عندما ابتسمت
لي يوماً ..

كان هذا في الصباح على ما أذكر ، وكنت
قد بكرت في الجالوس بشرفتي . وفتاة .. بمد قليل -
أطلت برأسها الجليل من إحدى نوافذ النزل الذي
تقطعت .. وكانت هذه أول مرة أراها فيها تطل
من نافذة . فأردت أن أنتهز هذه الفرصة وأجبر
لها عما أحس نحوها ولا سيما أنني وجدتني في تلك
المرّة باسمه الثغر ، مشرقة الوجه فلم أخف على نفسي
منها ، ولم أجد أفضل من الانبسام لهذا الذي أريد .
فابتسمت لها . ابتسمت بسمه سكبت فيها كل قواي .
وكانت مفاجأة ملائني سعادة وغبطة حين أردت على
بسمتي ببسمه منها . أجل وإيم الحق لقد ابتسمت لي ،
وابتسمت لي في إشراف وصفاء وعجبة !

لو سئلت يوماً ما هي أسعد أيام حياتي ...
لأجبت فوراً أنها هي الأيام التي كانت تبسم لي فيها
تلك الفتاة . وإنني لأطوي الآن مراحل حياتي فلا
أجد يوماً ذقت فيه سعادة تملأني هذه السعادة التي
كنت أشعر بها نعمتي كلما ابتسمت لي . فقد كانت
بسمتها بمثابة نور يشر حياتي . ويبد ظلمات نفسي
وكانت بعد هذا نفسي أبهى الطريق إلى حياة جديدة
تقوم دعائهما على الحب ... والأحلام ...
وأنا ممن يشقون تلك الحياة ...

هباء ذهب يمحى . فما وجدت الفتاة المنشودة .
الفتاة الهيفاء القند ، الفاتنة الوجه ، الطاهرة الروح
والقلب ، التي رسمت صورتها في خيالي وأحلامي
مراراً ...

وبلغ من اليأس مبلغه في الشور على حبي
المرجو ... وظلت حياتي فارغة قاحلة كما هي ، حتى
كانت إحدى الأسميات وكنت جالسا في شرفة
الطابق للتواضع الذي استأجرته في أحد البيوت
لأقضي فيه مدة إقامتي بالقاهرة ، وإذا بفتاة ما رأيت
وجها أجمل من وجهها ، ولا قدراً أرشق من قدما ،
تبدو أمامي في شرفة النزل اللواحه للمنزل الذي أقيم
فيه كما يبدو الحلم الجليل في خيال النائم . فما استطعت
أن أمنع صرخة غائقة كلها دهش وإعجاب

لقد كانت هذه الفتاة هي نفس الفتاة التي رسمت
صورتها في خيالي .. نفس الفتاة التي سبتهني الحب !
وحسبت نفسي أحلم في أول الأمر .. ولكن
هذا الهم لم يلبث أن تبدد .. ووجدتني بين يدي
الحقيقة الحلوة الجلية ..

ورأيت الفتاة فعادت في دلال من حيث أنت
واختفى شبحها من خاطري ؛ ولكنه ظل عالقا
بذهني ...

ولما أقف من غيبيتي ولم أجدها أمامي ، عرنتي
انتفاضة ، وخيل إلي أنني كنت في الجنة وطردت !

وظللت دور الهوى . واندمت بجميع قلبي إلى
هذه الفتاة . فما كنت أغادر شرفتي إلا للحظات
قصيرة . ونسيت مدرستي فكنت أذهب إليها يوماً
وأشعل ألياً .. ومع هذا فاني لم أرتقاني إلا قليلاً ..

ذيلنا ... أنظر إلى وجهك ألا ترى كيف شخصي...
أنظر إلى جسديك ... ألا ترى كيف نحل ؟

ونظرت إلى عيني ، ثم إلى وجهي وجسدي ،
وعندئذ أجفنت والدهشة فتمدد لسانى . فقد وجدت
صديق على حق في ملاحظاته . ووجدتني قد تغيرت
حقاً ... وتغيرت كثيراً ...

وعجبت كيف لم أظن إلى هنا من قبل ...
وظللت حزينا لتغير الذى طرأ على أريمة أيام أوغسة
لا أذكر ... ثم عدت أتابع حياتى ... الحياة التى
تقوم دعائهما على الحب والأحلام ، وتعلأها بهجة
وجلا بسمة فتاة ...

ودرجت الأيام بحجة في طريقها المجهول الذى
لا يعرفه إلا الله .. إلى أن كان يوم من أيام الصيف
رهيب الجو حار الهواء راكده . وكنت جالسا
كسادى في الشرفة أتناظر بسمة فتاتى التى احتجيت
في ذلك اليوم فلم تبد لي حيناً دخلت على صاحبة
الزلزل الذى أسكنته — بعد أن استأذنت على —
وقدمت لي برقية باسمي وصلت إلى المنزل منذ ثوان .
وكان ماني هذه البرقية مروهاً ألياً .. ألياً جيداً ..
حتى تخليت لو مت قبل تلاوتها ..

كانت البرقية من أى تقول لي فيها إن أى قد
مات فجأة ليلة الأسس « بالسكنة القلبية » وتطلب
منى أن أعود إلى مدينتى سريعاً لأننى لم تبق
لي عليه هناك حتى أعول أسرنا بعد أن مات أبى
الذى كان يمولها ...

وأظلمت الدنيا في عيني .. وأخذني ذهول عميق
أين أنت الآن يا فتاتى لتبسمي لي ، ولتبتدي
ببسمتك بعض ما مرهاني من ألم والحزن ؟ ... أين
(٦)

فقد كانت — على الأقل — تبمدني عن حياتى
الحقيقية التى لم تكن تزخر إلا بالهموم . وكان
جبي لهذه الفتاة يزداد كل يوم . وأصبح أملى
أن أراها دائماً تبسم .. تبسم لي . فما كنت أحس
بالحياة تفرق بين جني إلا إذا ابتسمت لي . وما
كنت أجد لذة للعيش إلا إذا لاقني ببسمتها كل
صباح ، ولا للنوم إلا إذا ودعتني ببسمتها كل
مساء ...

ومرت الأيام سر السحاب وأنا لا أعلم إلى أى
مصير تقودني حياتى هذه . وزارني يوماً أحد
أصدقائى ممن كنت ألهو معهم في اللامنى فا إن
رأني حتى صرخ
دهشاً وهو يقول :

— قاسم ! بالله ... هل أصدق هنا ... ؟

قلت : ماذا ... ماذا تعنى ؟

قال وهو يحملني في عيني والدهش لا يزال
مرتبساً على وجهه :

— منذ كم رأيت نفسك في المرآة ... ؟

قلت : منذ قليل ...

قال : عجيباً ... وهل تعرف أنك قد تغيرت ؟

قلت : كلا ...

قال : إذا تعال ...

وجذبني من يدي إلى مرآة كانت بالقرب منا
ثم طلب منى أن أنظر إلى نفسي فيها . فلما فعلت قال :
— والآن تأمل في نفسك جيداً وخبرني ماذا
يبدو عليك : على وجهك وجسديك ...

فهزئت رأسي متعجباً فما رأيت جيداً في
وجهي ولا في جسدي . فناد صديقي يقول :

— أنظر إلى عينيك جيداً . ألا ترى كيف

بضع ورقات منها على الأرض التفتلها في الحال
ووضعتها بين صفحات كتاب كان في يدي

وعند ما تحولت لأسير سقطت على يدي من حل
قطرة من دموعها ... من دموع تلك الفتاة التي
أحببتها، والتي خلقني من حبها إنساناً جديداً يختلف
عما كنت في الماضي كثيراً . فلم أستطع أن أمنع
نفسى أنا أيضاً من البكاء، وكان بكائي سرّاً مكتوماً

أنا خجول .. خجول جداً . واعترف بأن
خجولي كان هو السبب في أنني لم أعرف إلا الآن ..
إلا متأخراً ... أن تلك الفتاة التي أحببتها تحبني
أيضاً . فكثيراً ما فكرت في أن أسأله من شرفة
الطابق الذي كنت أنزل فيه : هل هي تحبني أولاً .
ولكنني كنت أخجل فأظل جامداً مكتفياً بالبسات
التي ألتقاهما منها في كل يوم ..

كان حبي عجيباً ، ولا أدري كيف استطاع أن
يمش إلى تلك اللحظة وإلى ما بعدها وهو قانع
بتلك البسات ..

آه لو كانت هذه المرأة التي استطعت بها أن
أخاطب حبيتي ، ومن شارع قد يمر فيه طائر فيسمع
كلامي قبل الآن : إذاً لاستطعت أن أجني
ثمار حبي ، ولكن الخجل ... أضاع مني الفرص
السواخ وأضاع معها سعادتي !

لا أعرف كيف استطعت أن أمشي في مدينتي
بعد أن عدت إليها ، ولكن الشيء الذي لن أنساه
هو أنني كنت أحياء فيها كالتراب من هذا العالم .
كنت أحياء فيها كطائر شارد تائه في بلد لا يعرفه
ولا يعرف أحداً فيه . وكانت حياتي تسير على وتيرة

أنت لتسدي يديستك إلى قلبي بضع الأمن
والاستقرار ؟

ولكن أحداً لم يجب ... وسقطت على راحتي
بضع قطرات من المرق كانت طالفة ببجبي !

وكان يوماً مشهوداً من أيام حياتي هو ذلك
اليوم الذي حزنتم فيه أمتي لأبارح القاهرة ...
أقسم أنني ذرفت كثيراً من الدموع في ذلك
اليوم ... ولمعري ما ذرفت هذه الدموع حزناً على
والدي الذي مات ، كلا بل حزناً على فتاتي التي
سأجلفها بعد قليل ... وعلى بسمتها التي كانت تملأ
حياتي بهجة وجمالاً .. ثم .. ثم على حبي وسعادتي
وكل منهما سينوي !

وخلفت المنزل وفي قلبي لوعة وأسى . وما كنت
أقف على أرض الشارع وأرفع رأسي إلى النافذة
التي اعتاد وجه حبيتي أن يطلني منها كل يوم
حتى وجدتها تطل منها وعلى فيها نفس البسمة
الساحرة التي كنت أحس وأنا ألتقاهما منها بالحياة
تتفرق بين جنبي ، وفي يدها زهرة صغيرة كانت
تداعب بها حافة النافذة في هدوء ...

طار عقلي من رأسي في تلك اللحظة . ولم أمد
أسير على قوى . وتعالى صوتي مدوياً حزناً وأنا
أقول لها بمرأة عجيب - فيا بعد - كيف توفرت لي :
— لا تبسني يا فتاتي ، فاني مسافر إلى مدينتي ؛

مسافر الآن ولن أعود ...

ونظرت إليها فإذا بها تنظر إلي في دهش
ودهول ، وإذا ببسمة قد تلاشت ، وكأنيما عتها
تلك الدموع التي رأيتهما تنجدر من عينيها على شفتيها
ووجدت يدها تضغط على الزهرة في قوة فتناثرت

الساخى . ولم يكن قد طرأ عليه تغيير ما ، إلا تلك الثمرات البيضاء التي عمت رأسه ولحيته وشاربه . وملت عليه أساه قبل أن أخطو إلى داخل البارد :

— هل سيدتك الصغيرة هنا ؟

فلم يبد عليه أنه فهم سؤالى . فشرحته له . وعندئذ بدا على وجهه أنه فهم ما أرى إليه . فغمغم قائلا في صوت أبح ظهر فيه شيء من الاضطراب :

— أنتى ... الرحومة « اعناد » ؟

كانت كلمة سامة قوية كانت أن تذهب بقلى ؛ فاعناد هذه هى جيلتى بيننا ، فقد سمعت أنها يوما تنادى بها بهذا الاسم . جمعت أطراف شجاعتي وصرخت فيه بصوت لأدري كيف خرج من حلقوى :

— وهل ماتت ؟

— من علم ...

— كيف ؟

— مررت ... ولكن أحدكم لم يعرف سر مرضها . وكل ما نعرفه أنها كانت تهذى كثيرا في أيامها الأخيرة . وقد سمعتها أنا بنفسى وهى تهذى قائلة : « لقد كنت أحبه ... وقد مضى ... سافر إلى مدينته ولن يعود . فإنا قادة الحياة من بعده » وكثيرا ما حاول أهلها أن يعرفوا هذا الذى كانت تحبه . ولكنهم أخفقوا ... وماتت سيدتى اعناد وسرها فى صدرها

وأحس الرجل رأسه على صدره فى حزن وقال :

— رحمها الله ...

وفهمت كل شيء ... فتوليت من أمامه فى

واحدة وأسلوب واحد : من يبتقى إلى مفر عملى ، ومن مفر عملى إلى يبتقى ، لم يجد فيها يوما جديد

وانكبتت على عملى أحاول أن أفنى فيه نفسى لأنسى ، ولكن الذكريات كانت تلح على دائما فلا أستطيع أن أطردوا عنى إلا بعد أن تجول الفصوص فى ميني .

ولطالما تراءت لى بسمته من وراء تلك الفصوص فلأنت قلبى حسرة وألا ، لأنها كانت تبدولى فى كل مرة حزينة شاحبة تمحوها شيئا فشيئا عن الشفتين اللتين ارتسمت عليهما .. دعوى !

ووجدتني يوما أذكر بعض الجنيات التى أتتوا لها فى كل شهر من عملى . وكنت أسأل نفسى كثيرا لم أذكر هذه الجنيات وأنا فى أشد الحاجة إليها . فإكنت أجد ردا شافيا . إبنى أذكرها وكفى ..

وما إن مضت ثلاثة أعوام حتى كنت قد أذكرت مبلقا من المال لاهو بالكبير ولا بالاعتيل وبعد أيام من مرور هذه الأعوام الثلاثة كنت فى طريقى إلى القاهرة ... لم ؟ لأخطب فتاتى إلى أهلها بعد أن حاولت فى تلك الأعوام الثلاثة التى مرت أن أسلوها فلم أستطع !

وهبطت إلى أرض القاهرة مهدد محي ومسرحه ، وما إن تارتب الحى الذى كنت أقيم فيه حتى عاجتني ألوف الذكريات ... وجمت الحى كما هو ... كما تركته منذ ثلاثة أعوام وبضعة أيام . ودوت شيئا فشيئا من دار الفتاة التى أحببتها فى كل هذا الوجود وطلعت على سمادة غريبة لا عهد لى بها ، واشتد وجيب قلبى وازدادت دقا ... ووجلت « باب » الدار فى (كشكة) الصغير كما تعودت أن أراه فى

خطوات خاملة وأنا أتمم في ذهول وقد اعتراني
شبه خيال :
— أجل ، رحمها الله ...
وسرت كثيراً لنير وجهه في ذلك اليوم ...
وأخيراً عند ما أقمت من ذهول بعض الشيء —
وجدتني في القطار المسافر إلى مدينتي
وكان أول ما فلتت عندما عدت إلى منزلي في
المدينة أن تناولت الكتاب الذي كنت أضع بين
صفحاته الورقات التي تناثرت من تلك الزهرة التي
كانت في يد « اعتماد » يوم أن بارحت القاهرة عقب
وفاة أبي ... وأخذت واحدة منها وضمعتها على كفي
وكانت قد جفت ... تماماً كما جفت حياتي في ذلك
اليوم الذي عرفت فيه أن فتاتي قد ماتت . وخيل لي

وأنا أنظر إليها أن وجه « اعتماد » قد رسم عليها ..
ورأيت فيها وعليه تلك البسمة التي ربطتني بالحياة
مدة طويلة . ولكنها كانت تبدو لي شاحبة حزينة
تمحوها شيئاً فشيئاً عن الشفتين اللتين ارتسمت
عليهما — دموع !
ونابت البسمة وغاب الوجه .. وخيل لي أنني
أسمع هاتفاً يهتف في صوت كتيب غات ، ولكنه
هادئ رهيب :
— « لقد كنت أحبه وقد مضى .. سافر إلى
مدينته ولن يعود . فما قائمة الحياة من بعده ! .. »
وأعدت ورقة الزهرة إلى مكانها بين صفحات
الكتاب ... ودمعت عيناى !
هيد الزعيم محمود المشيرى

الملابس القطنية الخفيفة

هى

ملابس الصيف القلائط

تشكيلات جميلة رائعة . ومنسوجات مختلفة مغرية

.. وألوان ساحرة أخاذة

تقدمها اليكم

شركة مصر للغزل والنسيج

إحدى مؤسسات بنك مصر

في وسط السماء تتمررها بالنور وبالسحر...
نسى أندريه نفسه بين هذه الأشياء ،
ونجاة على السماء سحب حجبها عن عينيه
ثم انقضت اليوم وابتات السماء أجمل مما
كانت

شبه له في ذلك الوقت أن خلوقا حياً
غريباً ظهر لسينيه ، فظن لأول وهلة أن هذا الشهد
هو من تأثير غفلة الأول ، ففتح عينيه وحدق في
السماء ، فرأى حقيقة وجهاً يقترب منه وينظر في
عينيه ، ورأى شعراً أشعث نافرأ من غطاء الرأس :
نظرات غريبة ووجه أضر شاحب جملاء يستند
أنه فريسة كابوس وأوهام ، فتناول بندقيته بمركبة
آلية وقال بضطراب : « من أنت ؟ إذا كنت من
الأرواح الشريرة فأجده عني ؛ وإذا كنت رجلاً
فأناك قد اخترت وقتاً غير لائق للمزاح : إذ ذهب
والأ قتلتك من أول ضربة ! »

فما كان جواب الشبح إلا أن وضع أسببه على فمه
طالباً السكوت والهدوء ... ألقى أندريه سلاحه
ونظر باقبياء إلى الشعر الأسود الطويل ، إلى العنق
والصدر المارين . فآذا بالشبح امرأة . ولكنها ليست
من بنات جنسه : وجهها أضر وعليه آثار المرض ،
وجنتها بارزتان وعيناها غائرتان . وكلا أطال
النظر إليها وجد فيها شيئاً له به عهد .. وأخيراً
لم يسمه إلا سؤالها : « قولي من أنت ؟ يظهر لي
أني أعرفك ، أو شاهدتك في مكان ما ! »

— قالت : كان ذلك منفسنتين في « كيف ! »
ردد بعدها أندريه « منفسنتين في كيف ؟ ... »
جهداً نفسه في استرجاع ما يمكن أن تسميه ذاكرته

ابن تاراس بولبا

للكاتب الروسي غوغول
بقلم الأديب إبراهيم زين الدين

« حاصر (الزبورجيون) دويونو إحدى المدن
البولونية يريدون الاستيلاء على أموال أهلها ومواسيهم ،
وقد سمعوا أن فيها مؤنثاً كثيرة . وم إذا دخلوا
قرية أسلدها وجملوا أعة أهلها أذلة ، وأكلوا
الأخضر ، وأحرقوا اليا بس ، وأهلكوا الزرع
والضرع ... ثم يتركونها قاعاً صفصفاً ... »
كانت المدينة كأنها غارقة في سيات عميق ، وكانت
سقوفها وجدرانها القوية وحصونها الحصينة تلمع
على أنوار النيران البعيدة

أخذ أندريه يتمشي بين صفوف القوزاق بينما
أخذت النيران التي حاف من حولها الحرس الناعون
تخمد من وقت لآخر . نام الحرس بعد أن ملأوا
أجوافهم من طعام النساء بشهيتهم « القوزاقية »
وأطمان أندريه إذ قال لنفسه : « من حسن حظنا
أننا لسنا نجاة عدد يخشى جانبه ، وأن ليس هناك
أحد يخافه (١) »

أخيراً اقترب من عربة تسلمها واستلقى على
ظهره ، وجمع يديه تحت رأسه ، ولكنه لم ينام ؛ وتطلع
إلى السماء الممتدة فوقه فرأى النجوم الكثيرة ،
وأحس بالمواء الندي يداعب شعره ؛ وكانت النجوم

(*) من قصة للكاتب الروسي غوغول عنوانها « تاراس
بولبا »

(١) قوزاق تلم أو عاش في « زابورجيه » في للدرسة
الحرية

إليه : واركي عند قدميه ، وقولى له إن له أما أيضاً .
 قلنا ما تذكرها أعطاك !

واستيقظت مشاعر الشاب واستولت عليه بقوة :
 — ولكن كيف جئت إلى هنا ؟ كيف ...
 وأى طريق سلكت ؟

— اجتزت طريقاً سريعاً تحت الأرض !
 — وهل يوجد نفق سرى تحت الأرض ... ؟
 وأين ... ؟

— إنك لا تحنون أبداً !
 — أقسم لك بالصلب المقدس ... !
 — هناك تنزل طريقاً منخفضاً وتمر بمجرى
 الماء عند آخر الدغل

— وبعد ذلك نصل إلى المدينة ؟
 — نصل إلى جانب اللبد
 — هلى نذهب حالاً
 — ولكن ... قطعة الخبز
 — حسن ؛ إجلس هنا ؛ إبقى في العربة ...
 أو اضطجعي بداخلها فلا يراك أحد . الكل نيام .
 سوف أرجع حالاً ...

واقترب من العربة حيث تراكت المؤن بعضها
 فوق بعض وهى مؤن فرقة

خفق قلبه ، وعاوده ما حرص على الابتعاد منه .
 طيلة تلك الأيام ينومه في الصحارى في الأيام الأخيرة ،
 واقترب من حياة الحرب المباشرة المقلبة ... ماودته
 ذكرى امرأة من منزل رفيع ظهرت له كما تظهر
 من قاع بحر مظلم ... ولمت في غيخته يداها الطاهرتان
 وعيناها البراقتان وفيها الباسم الضاحك ، وشعرها
 الجسد بلونه البندق الجميل السدل فوق كتفها
 وعلى ثديها ...

من ذكريات « كيف » ... من دخوله إلى المدرسة
 وما مر عليه ... ثم نظر إليها وصاح فجأة « أنت
 التتيرة غادم التتيرة الصغيرة ابنة الحاكم ! »

— قد علمت التتيرة قاتلة : صه اوهى تعد يديها
 برجاء وإتبال وخوف ... ثم رفعت رأسها ترى إذا
 كان أحد أفاق على صوت أندريه ...

— قولى تكلمي ... لم وكيف أنت هنا ؟ أين
 السيدة الصغيرة ؟ ألم تزل حية ؟ تكلمي ، أسرعى .
 قال ذلك بصوت غنوق من تأثير السمور الماخلى
 الذى كان يخالجه

— هى في المدينة !
 — في المدينة ؟ وأحس أندريه بأن دمه يجمع
 في قلبه ... ولم كانت في المدينة ؟

— ذلك لأن والدها هناك ، وهو لم يزل فيها
 منذ سنة ونصف
 — وبعدئذ ... هل تزوجت ؟ ولكن تكلمي

كم أنت غريبة الأطوار ... ماذا تعمل الآن ؟
 — إنها لم تنق طعاماً منذ يومين ...
 — ماذا تقولين ؟

— لم يبق شئ عند أحد من سكان المدينة .. حتى
 ولا كسرة خبز . منذ زمن طويل والناس لا يجدون
 ما يأكلونه غير التراب

بقى أندريه صامتاً لا يسدى حركة ... إلى
 أن قالت التتيرة : « عرفتك السيدة الصغيرة من
 بين جميع الزابورجين من أعلى القلعة وقالت لى :
 إذ هبى وقولى لهذا القوزاق النبيل أن يأتى لأراه ...
 وإذا لم يمد يد كرتى ، فاطلي منه كسرة خبز لأجل
 والدتى المسكينة ، لأنى لا أريد أن أرى أى تموت
 بين يدى وأحب أن أموت قبلها ... تضرعى

كالأطفال ، إذا وجدوا شيئاً قليلاً أكوه ، وإذا وجدوا منه شيئاً كثيراً لم يقولوا على شيء ! »

ما العمل ... ؟ تذكر أن في عربة والده كيفاً من الطحين الأبيض وجدوه عند ما سلبوا أحد الأدبرة ... اقترب من عربة والده ، ولكن الكيس لم يكن فيها . لقد وضه أخوه أوستاف تحت رأسه ومدد يده إلى الأرض ... وملأ السهل من شخيرته ...

أمسك أندريه الكيس بيده وسحب بقوة جلت رأس أوستاف برتل من الأرض وفتح عينيه بالأم من أثر الضربة التي أصابته فأخذ يصيح بكل قوة : « أمسكوا هذا المفتر البولوني . اقتبضوا عليه ، أمسكوه ، أوقوا الحصان ! » فصرخ أندريه مأخوذاً بالعرب والغوف : « أسكت ولا تقتلك ! » ولم يكن أندريه بحاجة إلى مثل هذا التحذير لأنه سكت من نفسه وعد إلى مكانه من الأرض ، وعادوه شخيرته يملأ السهل ويهز الأعشاب التي نام عليها أجال أندريه نظره في كل الجهات خوفاً من أن يكون صوت أوستاف قد أيقظ أحداً من القوزاق

لم ينهض غير رأس واحد من الفرق المجاورة ، فأتى نظرة واحدة على الجموع النائمة ثم ترك نفسه إلى الأرض

انتظر أندريه دقائق قليلة دون حراك ثم حل مامسه

لم تزل التربة مستتية في العربة تنفس بصموه . ولا اقترب منها أندريه قال لها : « انهضى ، الكل نيام ... لا تخافى ... ولكن لا يمكنك أن تحملي شيئاً مما أحمل ، وليس في إمكاني أن أحملها كلها .

ويشت في غيخته كل تقاطيع وجهها بانسجام جميل ...

كلامه تنطق هذه الآثار ولم تح من غيخته ، لكنها ظلت جلية في قلبه تلو عليها الحياة الصعبة التي سعى إليها ، ولكن كثيراً ما فكر فيها ، وكثيراً ما كان يضطرب من تأثيرها في غفواته ... وكثيراً ما بقي مستلقياً بعد استيقاظه ، لا يعرف السبيل إلى إرضاح عواطفه وإثباتها

تابع سيره ودقات قلبه تقوى وتتسارع لذكره أنه سوف يلقاها ، واضطربت ركبته ... ولا وصل إلى العربات نسي كل ما جاء من أجله . نسي ما يجب أن يفعل . . حمل يده إلى رأسه مجتهداً في تذكر ما يجب عليه عمله ...

أخيراً احتلج وأخذته رعشة خوف ، ورجاء جادة الفكرة ... إنها سوف تموت جوعاً ...

أتى بنفسه على العربة وأخذ عدة أرغفة من الخبز الأسود وضما تحت إبطه ... ولكنه فكر : هل يكون هذا الخبز - وهو كاف (الرابورجي) قوى - جنباً متنافياً مع مزاجها وطبيعتها الطيبة ؟ تذكر عندئذ أن القائد عثف الطامي ليلة أمس لأنه خبز دمة واحدة مقادير كبيرة من الطحين ، إذا بقي ما يكفي ثلاث مررات ...

فتأكد من أنه سوف يجد ما يلزمه : أمسك بقدر والده الصغير واتجه نحو طامي الفرقة الذي كان نائماً بالقرب من قبرين عظيمين يسع كل منهما عشرات الأبطال ، ولم يزل الرماد تحتها ساخناً أتى نظرة على القبرين فلم أنهما فارغان ، نظر إلى قدور الفرقة الباقية ... لا شيء فيها أيضاً ... فذكر بالرغم منه مثلاً سائراً : « الرابورجيون

طويل على انبلاج الفجر، لكن لم يترك سمها صباح
ديك في جهة من الجهات؛ لا في الدينة ولا في
الجهات المجاورة التي صارت كالصحراء... لأنه لم
يترك ديك واحد منذ زمن بعيد.

اجتازا جدول الماء على جزع شجرة ثم
وصلا إلى الضفة الثانية، فوجداهما أعلى من التي
تركاها كأنها سهل منحدر من طرف جبل...

هذه الجهة من المدينة آمنة ويمكنها المقاومة،
ولو خرج رجال الحرس لما رؤى واحد منهم...
وكذلك يتعالى سور الدير من الجهة الثانية وبجانبها
كانت الضفة الثانية مملوءة بالحشائش البرية،
كثيرة الوعورة يفصلها عن الماء قصب كثير
يقارب علوه طول الرجل، وعند مشرف الوعورة
بقايا سياج حدوقيا مضى البساتين والنبط، ومن
أمامها تمازت أوراق القرب^(١) الكبيرة ووراء
السياج نبت الموسج البري الشائك... وكذلك
نبت العباد^(٢) في البقية الباقية من الأرض.

عند هذا المكان زعت التتيرة حذاءها المرتفع
الكعب وسارت طرية القدمين، رافعة ثوبها في
حذر وتحفظ لأن المكان موحل ومليء بالماء...
وتوقفا عندما ولجا طريقاً بين القصب المرتفع ووجدوا
فتحة لا تريد على فتحة الفزن.

أحنت التتيرة رأسها وسارت، وتبعها أندرية
عنى الظهر ما أمكنه ليقتدر على المرور بحمله.
وسرطان ما دخلا في غلام دامس

استطاع أندرية التقدم بصموية في هذا المر

قال ذلك ثم حمل على ظهره كيسه وصر^(١) بالقرب من
عرية عليها كيس من الدرة حله أيضاً ووضع تحت
إبطه الخبز الذي أراد أن تحمله التتيرة. وسار بين
صنوف القوزاق منحى الظهر خائفاً بين حين
وآخر أن يستيقظ أحد.

— أندرية! قال الأب بوليا في الوقت الذي مر^(٢)
فيه ابنه بجانبه. فتوقفت أندرية عن السير وخفق
قلبه وأخذ يزحف ثم أجاب بصوت منخفض:
« ماذا؟ »

فقال له أبوه: مالك امرأة؟ قسماً سوف أضربك
عندما أنهض، إن النساء لا يجازين لك شيئاً من الخير،
قال ذلك وانكأ على مرققه عند قافي وجه الدرة بطنائها.
بقى أندرية واقفاً نصف ميت لا يملك القوة على
النظر إلى والده. ولما رفع نظره إليه وجده قد نام
ورأسه بين يديه.

رسم إشارة الصليب وسرعان ما زال عنه الخوف
ولما التفت ليبحث عن التتيرة وجدها واقفة
بالقرب منه كتمثال حجرى مظلم، ملتفة برائتها،
وشماخ نار بعيدة تثير عينها، فوجداهما كدنتين
قاسيتين أو كسيتين ميت. أمسك بطرف ثوبها
وسارا... وكل منهما باقى نظرة بعد نظرة وراه.
حتى وصلا إلى أرض فيها منحدر كأنه حفرة،
يمر في أسفل جدول ماء صغير، وعلى جانبيه الحجارة
والحصى...

بلغا المنحدر واختفيا عن الأنظار. ولما نظر
أندرية إلى ما حوله وجد جداراً يملو قمة الرجل
نبتت في أعلاه بعض الحشائش البرية... وفوقهما
يلعب النمر كأنه سجن ذهبي... وهب عليهما هواء
خفيف من السهول المشوشة أعلمهما أن لم يبق وقت

(١) Bardane — نوع من النبات

(٢) Tournsol — عباي الشمس

ليترك رفيقته الوقت اللازم لترتج من الآلهة التي سبقتها لها قطعة صغيرة من الخبز ابتلعها .

قالت بصوت منخفض وهي لا تبدي حرجاً :
« شكر الله ، هافد وصلنا ! »

واقتربا من باب حديدى كبير رفت يدها لتطرقه فلم تسفها قواها ، فطرق أندريه الباب مكانها صرات انقشر بعدها صدى الصوت ، مما دل على طول المسافة وراء الباب ؛ ثم تثير الصوت عندما اصطدم بحاجز ، ويسد دقيقتين سمع وقع أقدام وحركة المفاتيح في الباب ثم خرج عليهما راهب يده شحمة وظل واقفاً على الدرج

توقف أندريه بالرغم منه عند رؤيته راهباً كاثوليكياً يميز النور بين التوزاك ... الدين ياملونه بماملة أهل إنسانية من معاملتهم اليهود وتوقف الراهب أيضاً ورجع إلى الورا عند رؤيته (فوزا في زايرجى) ... لكن كلمة غير واضحة فاهت بها التتيرة طأنته فأضاء لها الطريق وأوصلهما بعد أن أوسد الباب إلى أعلى الدرج حيث وجدا نفسيهما بين أروقة الكنيسة المظلمة

وقف بالقرب من المذبح حيث علقت الشمعدانات الكبيرة وأضيئت بالشموع ، ثم جئا على ركبته وأخذ يصلى بمخشوع . وبجانبه جثا شابان يرتلان الألحان ، وعليهما ثياب خضر فوقها قفصان بيضاء مزركشة الجوانب والأطراف ، ويبد كل منهما مبخر ... يصلون بمخشوع للمعجزات والخوارق الالهية ، يصلون لأجل تخليص المدينة واسترجاع شجاعتهم ، يصلون لله ليهمم الصبر ويسد عنهم الأرواح الشريرة التي توسوس لهم بالشكوى وتحبهم (٧)

الظلم وراء التتيرة جاراً وراءه أكياس الخبز قليلاً ووصل إلى النور ؛ قالت التتيرة : نحن نقرب من المكان الذى وضعت فيه النمل

وكذلك كان . بدأت جدران الأرض المظلمة تضاء بنور شاحب ، ثم وصلا إلى عمر يظهر لأول وهلة كأنه معبد ، فيه طاولة صغيرة مسندة إلى الحائط على هيئة المذبح ، وفوقها صورة السيد والقدسين ، تكاد لا تظهر من شدة كمودونها . وعلق بالقرب من هذه الأشياء فتديل فضى اللون يضى هذه الأشياء

انتهجت التتيرة ورفعت يدها للتدليل على تركته من قبل ؛ ثم حركت النار بعلق بجانب التدليل زاد الشمام وقوى ، ثم سارت ورفيقها ، يحفهما تارة نور قوى ، وتارة يكتفهما ظلام خامس . وظهر التباين الفاجح بين وجه الشاب المتلى شحمة ونشاطاً وبين وجه التتيرة الأصفر الشاحب ...

أصبح المرأ عرض من ذى قبل ، وتمكن أندريه من الوقوف على طول قامته ، ولاحظ وهو يسير جدران النفق التي ذكره بممرات « كيف » الأرضية قالت الشبه بينهما قريب جداً . ترى الحفرات في الجدران والأرض ، والتبور منتشرة في كل مكان ؛ وترى أيضاً في بعض الأماكن بقايا بشرية تأثرت بالرطوبة وصارت رقاقا يظهر أن في هذا المكان رجالا قديسين هربوا من مصيب العالم وحسراته وضلاله ...

كانت الرطوبة قد تمكنت من بعض الأماكن ، وانتشرت بقع الماء تحت أقدامها وقد اضطر أندريه مراراً إلى التوقف عن السير

الساحة الرمية للشكل خالية تماماً ولم يزل في وسطها
بعض مناخد سود دلت على أنه كان هناك منذ
أسبوع تقريباً أسواق البلد، والطريق التي لم تنظف
منذ ذلك الحين كانت مملوءة بالأوحال الجافة

كانت الساحة محاطة من كل جوانبها بمنازل
صغيرة مبنية بالحجارة أو الحجر مؤلفة، من طابق
واحد وحواليها الأعمدة الخشبية المرتفعة، وكلها من
صنع أصحابها وسكانها وهي شبيهة بمنازل ليتوانيا
وبولونيا. كانت كلها مغطاة بسقوف على غير النظام
وفي بعض جدرانها نوافذ صغيرة لآلاتها

وعلى أحد الجوانب ظهر منزل على غير طراز
الننازل في المدينة، عرف فيه (فندق المدينة) أو
غيره من دور الحكومة. كانت تلك البناية مؤلفة
من طابقين، وفي أعلاها جناح خصص للحراسة،
وعلفت ساعة كبيرة في الحائط

ظهرت الساحة كأنها مينة
لكن أندريه سمع أحياناً ضيقاً متبعاً من الجهة
الثانية ...

حدث في المكان فرأى جماعة من ثلاثة رجال
مستقلين على الأرض بلا حراك تقريباً، وحدث
النظر فيهم أكثر ليتبينهم إذا كانوا أمواتاً أو أحياء
وبينما هو سائر اصطلمت قدمه بجسم ممتد
على الأرض: كان ذلك جسم امرأة يهودية على
ما يظهر — ما تزال شابة بالرغم من آثار الضعف
والهزال البادية على وجهها مما يمنع تقدير سنها.
وضعت تلك المرأة على رأسها غطاء من الحرير الأحمر
وزينت قبتها بجواهر — ربما كانت زائفة —
وأسدلت بعض شعرها الجمد على عنقها الجاف
المتفخخ الأوداج

عليها بالدروع في أعينهم، وتسلمهم شجاعتهم أيام
المصاب الأرضية
بعض نساء كالأشباح وكن مستعدات إلى
الكراسي ووضمن رؤوسهن بجانب المقاعد الخشبية
السود.

وبعض رجال انكثوا على الأعمدة القاعة في
وسط القاعة وركعوا بحزن وأدوا صلاتهم بخشوع
أساب شعاع الصباح الضئيل النافذة ذات
الزجاج الملون، فأرسلت أنواراً على شكل صرعاتها
زرقاء وصفراء، وغيرها من الألوان. فأثيرت
الكنيسة فجأة، وظهر المذبح بالرغم من شدة سواده
محاطاً بالأنوار الساطعة ... وشاهد أندريه بعض
من ركنه عظمة النور ...

تعالى صوت الأرغن في ذلك الوقت وملاً
الكنيسة الفسيحة، وأخذ يقوي من وقت لآخر
ويتعالى كثيراً ويتحول إلى قصف عظيم، ومنها
يتحول إلى لحن موسيقى ناعم يتعالى من وقت لآخر
تحت الأروقة ثم يتغير من حال إلى حال حتى يصبح
حاداً يذكرك بأصوات الفتيات الصغيرات ... ثم يعود
إلى القصف والعدد ... ثم يسكت

ويبد ذلك ارتفع الصوت من جديد وانشر
بين الأروقة والأعمدة، وأندريه فيه نصف مفتوح
يصنى إلى هذه الموسيقى المذبذبة

أحسن عندئذ أن أحداً يمسك بطرف ثوبه :
« لقد حان الوقت » قالت التتيرة ذلك واجتازا
الكنيسة من غير أن يلحظهما أحداً أو ملاحظاً على ساحة
بالقرب منها

منذ زمن طويل والفجر يضيء السماء بلونه
الأحمر، وكل شيء يلمن ظهور الشمس. كانت

يمكنه أن يأكل الحيوانات المحرمة عنه . كل شيء .
يصبح صالحاً لطعامنا !

— لقد أكلوا كل شيء ! أكلوا التطلبان
والحيوانات بأجسامها ، وإنك لا تجد في المدينة
لاحصاناً ولا كلباً ولا هراً حتى ولا فأراً

— ولكن كيف يمكنكم وأنتم لا تجدون
ما تأكلون أن تهاضوا عن المدينة إلى اليوم ؟

— نعم ! من الممكن أن ينزل الحاكم للمدينة ،
ولكن القائد الذي في «بوزداك» أرسل البناوسالة
مع الحمام بأمرنا ألا ننزل المدينة ، وأنه عارج نحونا
مع جيش لينقذنا ، ولكنه ينتظر ذلك قائداً آخر
ليتمكننا من الحضور في وقت واحد ... ونحن في
انتظارها من وقت لآخر ... ولكن هانحن
قد وصلنا إلى البيت ...

رأى أندريه المنزل من بعيد ليس هو فذا كثيره
من منازل المدينة ، يظن أن مهندساً إيطالياً شيد
على طابقين بقرميد دقيق جميل . توافد الأول متوجة
بشكل جميل مرتفع ، والثاني مؤلف من أروقة وغرف
كبيرة ، وتظهر من بين الأعمدة أسلحة المائلة المعلقة

على الجدران

يصل سلم القصر العريض إلى الساحة ، وعند
أسفله وقف الحرس حاملين سلاحهم الأبيض يد ،
ومعسكرين يديم الأخرى رؤوسهم التحية على
صدورهم ، وهم في موقفهم هذا أشبه التماثيل منهم إلى
الناس

إنهم لم يتناموا ولم ينفخوا أبداً ، ولكنهم لا يشعرون
بما حولهم حتى لم يروا الذين صرا بأناسهم
وعند أعلى السلم وقف جندي بشباه الثقيلة

وانطرح بالقرب منها طفلها ممسكاً نديها بشدة
قارصاً إياه بين أسنابه بحركة غير إرادية ... ولا يجد
فيها لبناً ... لكنه لم يبك ولم يصرخ ... ولا يمكن
الحكم على حياته إلا بحركات بطنه الذي ينتفخ
ويهبط يبطه لانفلاً من بين شفتيه أنفاسه الأخيرة
تأبها سيرهما في الشارع ؛ لكنهما توقفا فجأة
أمام رجل هائج تقدم منهما عند رؤيته حمل أندريه
التمين ، وارتدى عليه كالنمر الهائج وأمسك بتلابيه
وصاح : « خبزا ! » ولم يتأده قواه أكثر من ذلك
فأبده أندريه عنه فوق على الأرض ، وأخذته
الشفقة عليه فألقى إليه بلقمة خبز ارتدى عليها الرجل
كالكلب الهائج وعضها بين أسنانه وابتلعها وهو
يرسل معها أنفاسه الأخيرة ... بين هياجه وتشنج
أعصابه من تأثيرها

خرج الناس من منازلهم طائنين أنهم بمسلمهم
هنا ربما تنزل عليهم معونة من السماء ترد إليهم قوام
وأمام منزل جلست عجوز القرفصاء ورأسها
بين يديها فلا يمكن معرفة ما بها . هل هي ناعمة
أو منمى عليها أو هي جالسة بلا حراك إلى الأبد ..
وظهر من سقف أحد المنازل جبل مربوط في
أسفله جسم رجل مدلى لم يتمكن ذلك السكين
أن يصبر أكثر مما صبر على هذه الآلام ، فمجل
لنفسه الموت بانتحاره ...

لم يتألك أندريه نفسه عند رؤيته هذه الأشياء
فسأل رفيقته : « هل حقيقة لم يجد هؤلاء الناس
ما معسكون به حياتهم ؟ عند ما يصل الرجل إلى حالة
لا يمكن معها أن ينزل شيئاً ، ولا يجد ما يأكله
بأية طريقة كانت ، يمكنه أن يتنذى بكل شيء ،

المفراء فوق طاولة صغيرة على حسب عادة الكاثوليك،
وعند أسفل الطاولة وضع كرسي صغير للركوع عليه
وقت الصلاة

وجد نفسه في الغرفة ، ولكن ليس هذا
ما يبحث عنه

أدار وجهه إلى الجهة الثانية ، فرأى امرأة
كأنها مثلجة ومتصلبة بوضع غريب ، وظهرت
كأنها تم الوقوع عليه ، ثم توقفت فجأة وهو أيضاً
بقى واقفاً مشدوهاً ...

لم يتخيل أنه سيلقاهما على هذا الشكل .
ليست هي ليست التي عرفها ورآها من قبل ،
ليس فيها شيء يشبهها ... تلك كانت عذبة وجيلة
أكثر من هذه ، وكان لها عرايا لا نهاية لذكرها
ووصفها . أما هذه فهي جيلة ، ولكنها تشبه لوحة
انتهى الرسام من آخر ريشة فيها

كانت فتاة القديمة مرحة شبيهة غير مضطربة .
أما هذه فهي جيلة ، وهي امرأة بكل ما فيها من لطافة ،
وظهرت في عينيها الطولبتين علامات التألم وطفرات
بالمموج التي لم يكن لها الوقت الكافي لتجف ، فظهرتا
رطبتين لامعتين نافذتين إلى القلب ، فالصدر والقلب
قد حافظا على اعتدالهما وبجالهما

وشعرها الذي كان فيها مضى جمدًا مجمًا أصبح
الآن مرسلاً . خصلة منه على ظهرها والثانية على
على كتفها وذراعها وصدرها

لقد طرأ عليها تغير طام . واجتهد أندريه
أن يتذكر شيئاً في فتاة الأولى يشابه التي أمامه
ولكن عبثاً حاول . لم تبق في ذاكرته إشارة واحدة
تنطبق على هذه

الثانية حاملاً في يده كتاب الصلاة . وعند ماض
أندريه بالقرب منه وضع إليه نظرات دهشة ، لكن
التثنية قالت له كلمة رجع بعدها نظره إلى كتاب
صلاته ...

دخل أولاً غرفة فإمامي منسمة الأركان متباعدة
الجوانب كأنها قاعة استقبال ، مليئة بالجند السندين
إلى الجدران على أوضاع مختلفة ، والخدم والحرس
والسعاة وغيرهم من رجال الخدمة اللازمين لشرف
رجل يولوي عظيم ، أكان رجل حرب أم مطلق
سيد كبير؟

في وسط القاعة شمعة على وشك الانطفاء ،
واثنان تفتشان في شمعائهما الكبير بالرغم من
أشعة الصباح التي دخلت من النافذة الكبيرة
ترك أندريه هذه الغرفة وأبجم نحو باب حديدي
مزدان بأنواع الأبسط فأمكنه التثنية من يده
وأشارت يدها إلى باب صغير في آخر الجدار
اجتاز هذا الباب إلى ممر ضيق ثم إلى غرفة
أخذ يتفحصها بدقة . وكانت الأنوار التي تدخل
من فتحاتها تنقل من أثاث إلى آخر وتقع على
قطعة منسجية أو لوحة فنية أو ستار أحمر

هنا قالت له التثنية أن ينتظر ، وفتحت باباً
يطل على غرفة ثانية كانت مضادة بنور الموقد ...
سمع دمنسة ثم صوتاً خافتاً جمله يرتجف ... ورأى
من خلال الباب خيال فتاة يمر بسرعة ، رافعة يدها
شعرها الطويل

خرجت التثنية ثانية وسمحت له بالدخول ، ولم
يذكر أندريه كيف تدخل ولا كيف أغلق الباب وراءه
ولا كيف وجد نفسه وسط الغرفة

وجد غرفة منارة بشمعتين بالقرب من صورة

نظرت الفتاة إلى الخبز ثم رفعت بصرها إلى
أندريه وكان في نظراتها مسان كثيرة، وهذه النظرات
التي كانت تقول بالاستحيل وعدم القدرة على إظهار
المواقف التيقظة، فمهما أندريه وأدرك منها
أكثر من إدراكه أي حديث آخر

وجاء تذكر أنه أصبح حراً ؟ وأن حركته
وشموه لم يسوعا مقيداً كما كانا من قبل ،
وتحفظت نفسه للكلام ، وضعفه فريد أن يرسل
أقواله كالسبل التهمز ...

لكن الفتاة الجميلة أدارت رأسها نحو التتيرة
وقالت لها : وأي ؟ هل أحضرت لها شيئاً ؟

— هي نائمة

— وأي ؟

— قمت إلى الطعام وقال إنه سوف يأتي
بنفسه لي شكر الفارس

وتناولت الفتاة قطعة من الخبز حملتها إلى فمها
بين أصابعها الدقيقة . ونظر إليها أندريه وهي تقطعها
بأسنانها ... وجاء ذكر ذلك الرجل الذي لقيه في
الطريق وهو يكاد يموت جوعاً ، وذلك الذي أسلم
الروح وهو يزدد التهمة التي ألقتها إليه

عند وجهه صفة ثم أمسك بذراعها وصرخ :
« كفى ! لا تأكل أكثر من ذلك . صر عليك زمن
طويل لم تنقو طعاماً . وربما سبب لك الخبز ضرراً »
تركت يدها تقع وضمت قطعة الخبز ثم نظرت
إلى عينيه يهدوء نظرة الطفل ، ولم تنطق بكلمة
لا يمكن لنحت المثال ولا لريشة الرسام ولا
لفصل مهما قوى أن يبر عما تكنه نظرة فتاة

وبالرغم من أنها لم تحافظ على جمالها القديم فقد
زادها اسفرارها جمالاً عن ذي قبل ، جمالاً لا يقدر
ولا يقارن .

وشعر أندريه بخوف واحترام في قلبه وبقي
لا يبدى حراكاً . وهي أيضاً بقيت متأثرة بمشاهدة
الشاب القوي الذي ظهر لها في أبيهي صورة لجمال
الرجل الشاب وقوته . وعلى الرغم من سكونه فقد
تأجج صدره بشق المواقف ، ولدت عيناه يريق
الشدّة ، وتجمع حجابها على شكل نصف دائرة ندلاً
على جرائمه وإقدامه . ولدت عيناه بقوة وكذلك
شاربه السوداء الذي يشبهان الحرير

— كلا ، ليس لدي وسيلة يمكنني أن أشكرها
أيها الفارس النبيل . قالت ذلك وسوتها الفضي
يتهدج ... إن الله وحده يستطيع أن يكافئك ... ليس
ذلك في مقدوري ، أما المرأة الضعيفة ...

وخففت عينها وحجبتهما تحت جفنيها
السليحين بأهداب طويلة كالسهم ... وتكلمت
رأسها واصطبغ وجهها بحمرة خفيفة

لم يتبس أندريه بكلمة ... أراد أن يظهر ما يضر
أراد أن يتكلم بتلك القوة والحرارة اللتين في
قلبه ولكنه لم يفلح ، وأحسن بشيء يحسك شفقه
ويجيب صوته

أحسن بأن ليس له ، وهو الذي انتظم في الحياة
المسكرة الحربية وتعلم في المدرسة ، أن يجاوب في
مثل هذه الظروف التتيرة

عندئذ دخلت التتيرة الغرفة وقد قطعت الخبز
الذي أحضره الفارس إلى قطع صغيرة وأحضرت
في صحيفة من فضة وضمت أمام سيدتها

أحنت الفتاة رأسها إلى الأمام وألقت شعرها إلى الوراء وفتحت شفتيها ونظرت إليه طويلاً ثم أرادت أن تقول شيئاً ، ولكنها توقفت فجأة وتذكرت أن أمامها شاباً قزاقياً له هدف معين وله أب وإخوة ، وكل أهله ومواطنوه واقفون وراءه ناظرين ... ما أعلم أولئك القوازيق الذين يحاصرون المدينة ، وامتلأت حينها بالدموع فأمسكت متدبلاً الحصى وألقت على وجهها ... أما هو فغشيت عينيه سحابة

بقيت كذلك برهة ورأسها الجليل إلى الوراء وشفتها السفلى بين أسنانها العاجية كأنها أحست ذبابة سامية . ولم ترفع للتدليل عن وجهها حتى لا يلاحظ الآلام التي تكابدها

قال لها أندريه : قولي كلمة واحدة ... ؟ وأخذها بين ذراعيه وأحس بنار تسرى في عروقها ، وضغط على اليد التي بقيت بلا حراك بين يديه ... لكنها ظلت ساكنة لا ترفع للتدليل المسد على وجهها ولا تأتي بحركة فقال :

— لانا أنت هكذا حزينة ؟ قولي لماذا أنت حزينة ؟

فألقت للتدليل جانباً ورفعت خصلات الشعر التي سالت على عينيها وأخذت تنطق بكلمات ممزوجة بتهديدات في صوت ضيف شبيه بالهواء التبت آخر النهار في الأسفحة الممتدة وأكوام القصب الترابية عند مجرى المياه ؛ أصوات خفيفة ترتفع منممة ، ويقف المسافر يصنع إليها بالأم شديدة ... لا يشعر

صرخ أندريه وهو ممثلي قوة روحية وطافه قلبية : كليرتيا^(١) ماذا تريدن ، ما يلزمك ؟ مريني أن أعمل شيئاً لا يقدر على عمله الرجال اطلبي مني المستحيل اسرع إلى إنجازه . اذهب إلى الموت ، والموت في سبيك عذب شعبي لدى

عندي ثلاث مزارع ، ونصف قطمان والدي هي ملكي ، وكل ما أحضرت والدي لوالدي ، وما نخبني له أيضاً . كل ذلك لي ، وعندي أسلحة ليس لأحد من القوزاك مثلاً

إني أخرج من هذه الأشياء . أتى أترك كل ذلك : أرميه ، أحرقه ، ألقه في الماء عندما تلفظين كلمة واحدة ، بل وأقل من كلمة : عندما تحركين حاجيك الأسود الدقيق . ولكنني أعلم أن غربي هذا ربما كان جنونياً . هل عبت كل ذلك ؟ ... أو ليس لي الحق وقد أمضيت حياتي في (زابوروجيه) أن أتكلم أمامك كما يتكلم الناس أمام الملوك والأمراء ؟ أرى أنك مخلوقة إلهية ، تحفظين عنا تمام الاختلاف ، ولا تشابهك إحدى نماء الأشراف ولا بناتهن . نحن لسنا صالحين لنكون عبيداً لك ، فقط وملأناك السماء وحدهم يصلحون لخدمتك ! »

بقيت الفتاة مأخوذة باطرفة سامية لا تنطق بكلمة مصنية كلام الشاب الصريح الخارج من قلب صاف تنق كالرأة تبين فيها روح الشاب المتأججة ...

(١) كلمة روسية معناها ملكة منيرة

بهذه الأحاديث تمزق قلبي وتريد في حرارة ما قدر لي،
وأن أسف على حياتي الشابة الأولى... وأن أرى
قسوة الموت، وأن أبغضك وأكرهك وأبغضك أيها
القدر... اغفر لي خطيئتي ومنذئذ أيها الأم الإلهية
القلمسة «

وعند ما سكنت ظهرت على وجهها علامة غير
منتظرة، بكل ملامح وجهها تكلمت، وكل شيء
فيها: من جبهتها المنهكة وعينيها اللتين بالدموع
التي تسيل وتبرد ونجف على خديها للتفتحين قليلا
كل شيء كان يقول: «لا سعادة في هذا الوجه»
— قال أندريه: لم يسمع أحد بمثله هذا في العالم
بعد. إن من المستحيل أن يكون ذلك. إن من
المستحيل على أجل امرأة في العالم أن تتحمل مثل هذه
الآلام، إنها لم تخلق إلا ليركح أمامها المحب كما
يركح أمام تمثال العذراء... كلا، لن تغوي.
أقسم لك يسوم ميلادي وكل شيء عزيز على
في العالم أنك لن تغوي. وإذا قدر ذلك ولم
يمكن تجنبه لا بالقوة ولا بالصلاة ولا بالإرادة
القوية، فلتمت معا، ولأكن أول من يموت تحت
قدميك

— فقال له وهي تحرك رأسها بهدوء: لا تخضع
نفسك ولا تخدمني، أنا أعلم أنت ذلك هو
شقاؤنا الأعظم، أنا أعرف أن من المستحيل عليك
أن تحبني. أنا أعرف وأحبك ولعيناك: أبوك
وإخوانك ووطنك كلهم يدعونك، أما نحن فلستنا
الأعداء... «

— فقال لها: وماذا يهمني من أمر أبي
وإخواني ووطني؟ ثم ونهض بقامته الطويلة

بالنهار الذي يولي... ولا بالأخاني البهيجة المتصاعدة
من أفواه الفلاحين المائدين من أعمالهم في الحقل
— أليست جدية بمحان دائم؟ أليست شقية
تلك الأم التي وضعت في هذا العالم؟ هل قدر لي أن
أحيا حياة مرة؟

ألست أنت الباعث على آلامي أيها القدر القاسي؟
لقد وضعت تحت قدمي أعظم رجال البلاط وأغنام
وأشرافهم، وكلهم من الملوك والمثريين، وكلهم
كان يمتنى أنت يحبني؟ وكلهم حسب حبي
فوزاً عظيماً، ولم يكن علي إلا أن أشير بإشارة
صغيرة حتى يصبح أكثرهم مالا وأجملهم وجهاً
وأرفعهم حسباً زوجاً لي

يجب أشرك أيها القدر القاسي، لم تجعل قيادي
لأحد من رجالنا ولكنك جعلتني أسيرة
لنريب... لعدو...

لأى سبب أيها الأم الإلهية القلمسة^(١) ومن
أجل أية خطيئة تبسميني هكذا بدون شفقة ولا راحة؟
لقد مضت أيدي رغبة طيبة، لا أتسأل
طماي إلا في أعين الآنية، ولا أشرب بخودي إلا
في كأس منيرة... فلم تبدل كل هذا؟ الأجل أن
أموت ميتة أفقر رجل في المملكة؟ ولم يكن أن
قدر لي مثل هذا الحكم. لم يكن أنني قبل أن أموت
يجب أن أرى أمي وأبي على شفا حفرة من اللوت
من المذاب أشده. كل ذلك لم يكن، وأهل يريون
تسليم المدينة التي أضع فيها حياتي عشرين مرة...
أوجب علي وأنا أقرب من نهايتي أن أرى... وأسمع
أحاديث حب لم أسمع بمثلهما من قبل أبداً، وأن أشمر

أحضروا خبزاً وطعناً وشميراً ، وقد أحضروا
مهمم بمض أسرى الزابورجيين ! لكنهما لم يسمعا
شيئاً ، لا هي ولا هو ، ولم يفرغا عن أي رجلانا
تسكلم التثرة ولا عن أي أسارى ...

أما أندريه فلم يسمع بشيء من الشفتين
المطرتين اللتصقتين بجمده ، والشتتين المطرتين
تقابله بالثلث . وفي هذه القبلات التبادلة شعر
أندريه بما يحق للرجل أن يشعر به ولو مرة في حياته
« ... لقد ضاع ذلك القوزاق ، وأضاع فروسيته
القوزاقية . إنه لن يرب بعد اليوم » زابورجيه « أبداً
ولا مزارع والده ولا كنيسة الرب

وكذلك « أوكراينا » ! إنها لن ترى بعد اليوم
أشجع أبنائها الذي أخذ على طاقته الدفاع عنها
أما الأب « بوليا » فقد جز شعره الأبيض من
خجله ، ولعن الساعة التي رزق فيها مثل هذا الابن
أبراهيم نيره السيرة

كشجرة المحور عند أطراف التندر : وإذا كان
الامر كذلك فليس لي أحد ، ليس لي أحد أبداً ...
كرر ذلك بصوت عال محمكا يده حركات رجل
قوزاق عنيد مصمم على رأيه

... من قال إن أوكراينا هي وطني ؟ ومن
أصطاني لإيها وطناً ؟ الوطن هو الخير الذي تبحث
عنه أرواخنا ، وهو آخر ما نسيها . وفوق كل شيء
وطني هو أنت ، هاك وطني وسأحله . سأحل ذلك
الوطن بين حنايا قلبي ، سأحله إلى اليوم الذي يحين
فيه ساعتى ، وسوف زين إذا حاول أحد القوزاق
أن يبتزعه من هنا ...

وكل ما لدى كل ما أمك ، أيمه ، وأحرقه ،
ألقيه في الماء من أجل هذا الوطن !

ظلت الفتاة برهة مأخوذة بكلماته ، كأجل تبال ،
تنظر إلي عينيها ، ثم أجهشت بالبكاء وارتعت عليه ،
وأحاطت عنقه بذراعها ، كأجل امرأة لها قلب
كبير خلقت للحوادث الكبيرة ، وظهرت بذلك
الظهر النسائي الذي لا يمكن لواحدة غيرها أن
تظهر به

عندئذ سمع صوت طبول وحركة غير اعتيادية
صادرة من الشارع ، لكن أندريه لم يسمع شيئاً ،
لم يسمع بشيء من الشفتين تتدفقان عليه من رحبتهما
للمسول ، وتردد أنفاسهما المذبذبة ، ودمعها الذي
سال على خديها ، وشعرها المطر الذي أحاطه
وغطاه بكامله بين لمان حريره الأسود

دخلت التثر في هذه البرهة وهي تجري وتصبح
قائلة : « لقد نجونا ، نجونا ، لقد عاد رجلانا . لقد

مجموعات الرسالة

تباع مجموعات الرسائل مجلدة بالانضمام الآتية

٥٠ السنة الأولى في مجلد واحد

٧٠ كل من السنوات الثانية والثالثة والرابعة

والخامسة في مجلدين

وذلك عند أجرة البريد وقدرها خمسة قروش
في الداخل عشرة قروش في السودان وعشرون

قروشاً في الخارج عن كل مجلد

الرسالة

مجلة أسبوعية للأدب والعلوم والفنون

مجلة الآداب الرفيعة والثقافة العالية

تصل الماضي بالحاضر وتربط الشرق بالغرب

على مدى وبصيرة

الرسالة : تعبر باخلاص عن روح النهضة المصرية

الرسالة : تجمع على وحدة الثقافة أبناء البلاد العربية

الرسالة : تصور مظاهر العمومية للامة العربية

الرسالة : تسجل ظواهر التجديد في الآداب العربية

الرسالة : تحيي في النشء اساليب البلاغة العربية

مجموعة أعدادها ديوان العرب المشترك ، وكتاب الشرق

الجديد ، وسجل الأدب الحديث ، ودائرة معارف عامة



صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها السكوت
احمد الزيات

بدل الاشتراك مع سنة
٣٠ في مصر والسودان
٥٠ في الممالك الأخرى
١ عن العدد الواحد

الموارة

شارع عبد العزيز رقم ٣٦
الحيّة الخضراء - القاهرة
تليفون ٤٢٣٩٠ ، ٥٣٤٥٥

المروية

مجلة أسبوعية للتقصص والرائع

نصدر مؤقثاً في أول كل شهر وفي نصف

السنة الثانية

٢٠ رجب سنة ١٣٥٧ - ١٥ سبتمبر سنة ١٩٣٨

العدد ٤٠

من أحسن القصص



فهرس العدد

صفحة	الموضوع
٨٥٠	دبر مبيجة
٨٥٩	هل مات مسوما
٨٧٠	مشاهدة وجه العروس
٨٧٣	يوما واحداً غيب
٨٨٠	لثني
٨٨٣	... ثم جاء الربيع
٨٨٩	الأغلال
...	أقصصة مصرية
...	لكاتب الروسي ليوكوز ياتوف
...	لفيلسوف الهند وشامرها تاجور
...	لكاتب الترن أوجند أكرم
...	مترجمة عن الانجليزية
...	لكاتب الانجليزى دوروثي يلاك
...	لكاتب الفرنسى پول هرفيو
...	بلم الأستاذ محمود بك خيرت
...	بلم الأستاذ محمد لطفي جمعة
...	بلم الأستاذ محمد كامل حجاج
...	بلم الأديب عبداللطيف أحمد
...	بلم الأستاذ عبداللطيف النشار
...	بلم الأستاذ فزاد الطوشي
...	بلم الأستاذ فيلكس فارس

للفساء وأنت بحمد الله في أوج الصحة ومقبل
المرء؟

— ومن قال لك إنني أكرههم ؟
ولكنني لن أتزوج
— لن ؟

— نعم . ولقد حرصتُ دائماً أن أخفي
عنك السبب الذي وقف بي عند هذا الزم . ولكنني
أذكره لك الآن حتى لا تمود عنك تعذباتي بنظرهما
التوسلة وأنت تحاول أن أكتشف لك الفناء عنه
كان أبي رحمه الله من كبار تجار الفاكة
بالإسكندرية ، فزم مرة على زيارة جبل لبنان للاتفاق
مع أحد ملاك البساتين فيه ليرسل إليه بكل ما يخرج
من الثمار . وكان من بين أغنياء الجبل رجل اسمه
السيد محمد صلاح الدين شهاب يقيم في دير القمر
الذي كان فيما مضى مقر الأمير شهاب المعروف .
فكتب أبي له لينظره

وبينا هو في طريق الجبل إليه دامه على مقربة
من دير القمر بعض قطاع الطرق فلما قاومهم طمته
أحدهم بمدية طمته وقع على أثرها مشتماً عليه ثم
فروا بعد أن سلبوه المال الذي حمله لتنفيذ ذلك الاتفاق
ولما طال انتظار السيد صلاح الدين حزم على
ملاقاته بنفسه . ولكنه ما كاد يبتعد عن حدود
القرية حتى لمح أبي ملقى على الحالة التي ذكرت ، فلم
يشك في أنه هو وأسف على أنه لم يفكر في النزول
إلى بيروت لمقابلته . على أنه كلف رجاله بحمله إلى
داره . وكان الجرح من حسن الحظ غير غدير فالتأم
في مدى شهر بفضل عناية الطبيب الذي استقدمه
لمعالجته .

ومن ذلك العهد توقفت الصلة بينه وبين هذا

ديار سميجية

أقصو صومنة مضرب نسيئة
بتم الأستاذ محمد بن عبد الله بن حيزت

— دائماً إلى مكتبك ؟

— أحول أن أضع قصة

— قصة ؟ وما عساك أن تكتب فيها . لملك
وقعت على حياة بعض الناس ، فيها من الحوادث
ما يجب إليك تسجيلها

— كلا ، فما أكتب إلا من نفسي

وعند ذلك لم يتالك صديقه نفسه من الضحك
— ولم لا ؟ ألم يكتب جانبك اعتراقاته ،
وكويته روايته « حياة » ، ودوده « الثرى الصغير » ،
ودوماس « ذات الكاميليا » ؟ إن الكتاب كثيراً
ما يدنون حياتهم حتى في أدق أسرارها

— ولكن القصص لا يقبل عليها الناس إلا
إذا غناها الكاتب بالحوادث النفيسة ومواقف الحب
التقدمة المقدمة حتى تلهب الشاهر وتزه النفوس .
وأنت يا صديقي لا يتخلل حياتك شيء من ذلك .
وكل ما في الأسر أن أبزيك خلفاً لك هذه الثروة الطائلة
التي تبتش عليها ، كما أنك أكثر الناس نفوراً
من المرأة حتى إنك لا تفكر في زوجة تسكن نفسك
إليها وتطرد بها وحشة المرأة التي أصبحت من
بدمائها فيها . لا أتزوج فيكون لك أولاد يروحون
ويتدنون أمام عينيك فيعلاؤن دارك حركة وبشراً .
إن الأولاد كالنور ، وإنهم لأولى بهذه الثروة من
بمدك . على أنني إلى الآن لم أفك على سر كراهيتك

الأوراق التي جرت الحسرة والويل على كثير من الناس . وبلبن أولئك الطامعين القصيرى النظر وإلا كانوا يقتصرون إذا كان لا بد من المضاربة على جزء من أموالهم فلا يحقق بها كلها الخراب . وكان كامل افندى (صديقه) يذكر تلك الفتاة وحسبها الذى كان مضرب المثل فى الجليل حتى خيل إليه أن دير القمر لم يسم بهذا الاسم إلا لأنها كانت زينته ثم يشمر بالمرادة وهو يتصور ما صادفها وأما بعد موت طائهما من غوائل الفقر والجوع والتشريد . وهكذا يحطمه اليأس وتسابق فى عينه السموع . ولم تكن هذه المرة هى الأولى التى صدعته فيها تلك الذكرى فإنه ما كان يقبل على غرفته ويرى صورة أبيها حتى تتجدد وذلك اضطر إلى رفعها . ولكنه كان يقول فى نفسه إذا كانت لم تمد بدم من سكان دير القمر فلم لأقيم أنا لها فى قلبى ديراً آخر تترهب ذكرها فيه إلى أن يمحن ساعتى . وذلك وطن نفسه على عدم الزواج .

وكانت الساعة أخيراً تدق النصف بمد الماشرة، ولكن أحداً منهما لم يشمر بها وهو فى شغل من هذه المرأة لولا أن طرق الباب طرقةً عنيقاً فاقبها . وعند ذلك هرول صديقه مستأذناً كما رافقه كامل افندى إلى الباب ليرى من هذا الطارق . ولما اقتحه وجد أمامه أحد رجال البوليس وقتاً فى أسبال بالية مستندة إلى الحائط وبجانها صرة يظهر أن بها ملابسها . وعند ذلك قال الجندى إنه رآها جالسة عند عتبة الباب تبكي وتقول إنها خادمة حضرتك ، ولكنى شككت لوجودها خارج البيت فى ساعة كهذه فطرقت الباب لأناكد من صحتها — نعم إنها خدمتى يا شاويش ... أشكرك

الرجل الكريم إلى أن مات وهو فى شرح الشباب — لينة ؟

— كلا . وإنما أولع بعد انتهاء الحرب الكبرى كثيره باقتناء أوراق البنكنوت الألسنى . وقد استنفدت ثروته كلها وهو يمل نفسه بالنظر الطائل فى يوم قريب حتى إذا انكشف الأمر وظهر له أن هذه الأوراق لا تساوى شيئاً قضى عليه المم — وأهل بيته ؟

— لم يكن له غير زوجته وابنته . وقد وقع نسيه فى نفس أبى أسوأ موقع فبكاه بكاء مراراً وأسرع إلى لبنان ليمود بهما إلى مصر ، ولكنه لم يشتر عليهما لا فى دير القمر ولا فى جاوره

— لعله ذلك الذى كانت صورته هنا إلى جانب صورة المرحوم أبيك ؟

— نعم هو ولكنها تثير دائماً فى نفسى تلك الذكرى فأنزعتها . إنها الآن فى ركن فى غرفة نومي بل إننى حرمت على نفسى تناول الفاكهة أيضاً حتى لا أذكرهم جميعاً

— حقاً إنها لا كرى تصلح أساساً لقصة رائمة طريفة . ولكنى لا أجد فيها إلى الآن شيئاً يعاد بينك وبين الزواج ... لعل تلك البنت ... ؟

— هى . هى يا صديقى . ومن الغريب أننى لم أرها ولا هى رأتنى ، إذ كانت فى القسم الداخلى بمدرسة عنطورة لاترور أبوها إلا مرة كل أسبوع ، ولكنها على رواية أبى كانت لأجل فتيات دير القمر بل وقرى الجليل كلها . وقد تساهداً بوابوها على أن تكون لى إحكاماً للصلة بين البيتين .

وعند ذلك ساد السكوت وأخذ كل منهما يسبح فى بحر قائم من الخيالات . فليمن الزائر تلك

أليس كذلك؟

وكانت الفتاة في خلال ذلك تنظر إليه من طرف خفي وقلها مطمئن فصاحت :

مش كل الناس ياسيدي

وعند ذلك قال: لها إذن ستنامين هنا إلى الصباح. أنبئني لأدلك على المكان الذي تقضين سواد هذه الليلة فيه . ثم أخذها إلى غرفة خادمته التي استأذنته في غياب ليلة فتأخرت ليلتين . وبعد ذلك عاد إلى غرفته لينام هو أيضا .

ولكنه كان مشدود الأعصاب مشقت الغلاطر فلم يجد عيناه سبيلا إلى النوم وقد ذكر ما تآلى خطيبته وأما أيضا بعد أن كثر لهما الحظ فأخذتا تضربان في بطن الأرض هائمتين في دنيا الموم والأحزان .

وما كانت الفتاة كذلك ليطلق جفניה النوم وهي تعلم أنها لن تنام تلك الساعات القليلة الباقية إلا لتفتح عينها عند الصباح على جفوة الطريق وقسوة الناس وصرارة الغافاة وذل السؤال، ولذلك كانت تبكي وتقول: لو أن تلك الخادمة لامتودت محل عليها ! إن هذا الشاب الكريم الذي ألقدها من موقفها مع رجل السلطة لن يتردد في استبقائها مكانها . ولذلك لم يلبث نور الصباح حتى أخذت تنكس السلم وتنظف الغرف وترتب الأثاث، ثم استعانت بما وجدته في غلابة المطبخ من اللبن والشاي على إعداد طعام الإفطار، حتى إذا استيقظ كامل افندى دهش وسر فلم يمرض لسانه خروجا وأبقى عليها ومن حسن الحظ أيضا أن الخادمة الأولى اعتذرت من عدم المودة بالزواج فالتج ذلك صدر سميجة وأخذت تدبر كل شئون البيت بمفردها . وكانت

وعند ذلك انصرف صديقه وهو يعتقد أنها حادمة جديدة، وكذلك الجندي، ثم أغلق الباب . وكان وهو ساعد وهي من خلفه يسائل نفسه في ألم: لم تسرع في إيوائها؟ وكيف جازاها فيما ادعته وقد تكون هاربة بعد أن سرقت ما وصلت إليه يدها؟ ولكنه تذكر رواية رجل البوليس من أنها كانت تبكي وأن دموعها لا زالت تنحدر من عينيها في جزع وسمت؟ ثم لم لا تكون بالسة مضطهدة فقرت لهذا السبب . وعند ذلك تنفج أسأريه وتتبسط نفسه وما قل شيئا بجانب ما فعله صديق أبيه حين قصده في لبنان ودعه قطاع الطرق .

ويظهر أن الفتاة أدركت من سكوت كامل افندى أنه نادم على ما اندفع إليه فقالت ياسيدي: إلى لم أكن خادمة يوما ما لولا موت أبي فاضطرت إلى الخدمة، ولكن اتضح أن الشاب الذي أرسلت إليه اليوم أعزب ويميش وحده فا كاد يدخل الليل حتى أخذ يخاطبني بلهجة غير المهجة التي يخاطب بها الخدم الخادم، ثم أخذ شيئا فشيئا يقترب من غرفته حتى انكشف لي، فرفضت. ولكنه حاول أن يأخذني غصبا فتقاومته حتى خرق ثوبي وجرح ساعدي . وأخيرا دفتني عن وفرت . وقد كذبت على رجل البوليس فلم يشأ أن يصدقني وطرق الباب. وعند ذلك اضطربت وبكيت خشية أن ينتفضح أمرى . هل أن هذه المرة بين يديك يمكنك أن تلق نظرة على ما فيها .

— ولكن يا ...

— سميجة ياسيدي

— ولكني يا سميجة أنا أيضا أعزب وأعيش هنا وحدي فكأنك ما فرتت من النار إلا إلى النار

وكانت لكامل افندي عمارات ضخمة في بورسعيد أقم عليها وكيلا يحصل له إيجارها ويرسله إليه كل شهر مع كتاب مطبوع في رأسه اسم « حائرة كامل افندي الزاهد بيورسيد » فأراد كامل افندي أن يكتب له في شأن مستعمل من شئون تلك العمارات ثم وضع الكتاب على المكتب وفي الصباح خرج بعد أن أوصاها بسرعة بإداعه صندوق البريد لأهميته . ولكنها تجلت اللثاف خلواً من العنوان فخطر لها أن تطلع على خطاب ذلك الوكيل وهكذا كتبته فوقه ثم أرسلته . غير أن الوكيل لما تسلمه لاحظ خللاً بين خط اللثاف وخط سيده فحس أن يكون من حمل الكتاب إلى مكتب البريد فتحه ليطلع على ما فيه ولذلك نبه سيده إلى ذلك مع إعادة ذلك اللثاف

أما كامل افندي فقد أدرك أنه نسي كتابة العنوان وأنه ليس هناك غير سمجة التي استكتت ذلك النقص حتى لا يفوت النرض الذي قصده فأكبرها ، وقد ظهر له أنها مثقفة تحب القراءة والكتابة كما أنها فطنة ذكية تقدر ما يجب للقيام بتنفيذ مطالبه على الوجه الذي ترضيه ويتفق مع ما تتطلبه من السناطة والسرعة .

نعم ، إنه لما سألها عما إذا كانت تعرف القراءة والكتابة أنكرت وقد صبغ خديها الخجل ، ولكنه لم يناقشها إذ قد تكون ظنت أنها تصرف في أمر اللثاف تصرفاً غير لائق أو أنها لتواضعها تنفر من مظاهر الاعتزاز والكبرياء

ومرة أخرى دخل عليها الطليخ فوجد بين يديها قصة للشاب الفقير لأوكتاف فوليه ، فإذ إن رأيته حتى نهضت مضطربة وطوت الكتاب بعد أن

في عملها تتوخى دائماً السرعة والدقة وسلامة الدق حتى إنه كان يجد ما على مكتبه منظمًا نظيفاً خريفاً وهو يرى الكتب البرية في جانب والأفنديكية في جانب آخر ، والمواء والأقلام منسولة براقة زاهية ، وورقة النشاف المستعملة منزوعة

وكانت جريدة الأهرام تصل باستمرار في صباح كل يوم فاشتريت لها مجلة من الخيزران على مثال ما يمجده الناس في المقاهي ، وكانت تعلقها في مكان قريب من المائدة حتى إذا وقمت عيته عليها ساعة إفطاره تناولها بسهولة . وكانت بعد إطلاعها عليها تحفظ أعدادها في مكان خاص فلمه يطلب الرجوع إلى عدد منها .

وكان الطليخ في عهد الخادمة السابقة قدرا مهملا فأخذت في تنظيفه وترتيبه وتجديده كثير من الوسائل اللازمة له فأوصت النجار بعمل حامل يحفظ الأطباق بين قوائمه وأعدت كذلك مائدة كست سطحها بالزناك لتيسر غسل الواعين والآنية .

وكان سيدها لا يحاسبها على ما تأخذ كل صباح من المصاريف اليومية ، فكان ما يزيد منها على الحاجة تشتري به ورقاً أمريكياً للمرحاض أو طوابع بريد كانت تضعها على الكتب في مكان ظاهر ، كما أنها اشترت قهوة مما يعلق على الحائط كانت تنزع منه كل صباح ورقة اليوم النصرم ، وكذلك اشترت جرساً على شكل سلخفاة وضمت إلى جانب المواء حتى لا يجهد سيدها نفسه بالنداء عليها

وكل ذلك أعدته ولم يعض عليها أسبوع من يوم للتجأها إلى المار مما أدهش كامل افندي وجعله يشمر بأه لم يكن أمام فتاة عادية كان أول عهدا بالخادمة ذلك اليوم الذي فرت فيه

قرطها فتنبث منه شرارات متألقة تتحرك بتحريك القرط في أذنها الجبلتين، وقد ظهر وجهها المصبوح تحت شعرها الأسود اللامع بدرأ في ليل، وعيناها النجلوان وأنفها البديق وفها الذي يطلب القبل . كل ذلك ينقسم في جو عوج بأنير الشباب، وما كان هذا الوجه البديع إلا ثمرة شبيهة أطلت فوق غصن قدها الممتلئ الناعم وقد زانه نهداها البارزان وبطنها الضامر وأعطافها البينة وساقها الجبيلا التكوين مما يأخذ باللب ويشرى بالحب، حتى أنه حين أخذ مجلسه من المائدة قال لها: من الآن يا سميحة تتناولين الطعام منى . اجلسي هنا أمامي فأ أنت بخادمتي وإنما أنت سيدة بيتي . وكانت حيرى مترددة فالح عليها؛ حتى إذا انتهيا من الطعام أسرعتا إلى المطبخ وعادت تحمل طبقاً واسماً من الصيني به قرص شهى من التوترة ظن أنها اشترته من أحد حوانيت الحلوى . ولكن كم كانت دهشته لما علم أنه من صنع يديها ، وأنها اشترت مما تقتصده قرناً صغيراً لهذا الفرض وغيره . وأخيراً عادت إلى المطبخ، فلما طال غيابها خف خلفها يبطء فراقها تبكي . وعند ذلك عاد دون أن تسعه وهو يسائل نفسه من عساها أن تكون هذه الفتاة ؟

وكان من عناية كامل افندى بسميحة أن أفرد غرفة خاصة لزيبتها كما أعد لها سريراً ناعماً في الغرفة المجاورة لرفقة نومها . وكان إذا خرج اصطحبها في سيارته التي كان يقودها بنفسه ، وكانت تتولى هي قيادتها أيضاً في بعض الأحيان . أما إذا جلا في

وضمت عند الصحيفة التي كانت تقرأها عود نقاب لتهندى إليها ، فلما تناوله قال إنك تبديدن الفرنسية أيضاً يا سميحة، ولكنها أجابته سلباً وأنها فقط كانت تتسل برؤية الناظر للصورة مع أن تلك الصحيفة كانت خالية منها

قضت هاتان الحادثتان وقضى نشاط سميحة ونضوج تفكيرها وقوة ملاحظتها مما ذكرناه على كل شك في أنها من أسرة رفيعة لا بد أن الزمان وقف في طريق سعادتها . وكان في ذلك اليوم قد قصد إلى البنك وقبض منه مبلغاً فتناولها منه عشرة جنيهات فأثلا أخذى هذه يا سميحة واشترى به فوراً ملابس تليق بك فإني أريد أن أراك من اليوم في غير هذه الأسبال .

وهكذا ما حان موعد طعام المساء حتى كانت سميحة في زينا الجديد آية من آيات الحسن والرشاقة وهي في سن الرابعة والعشرين التي تكتمل عندها الألوثة وتبرز الملاحه .

ولقد لفت نظره قرطاً في أذنها من ماس صناعي فأسرع إلى خزانته وأخرج منها قرطاً من ماس ثمين كانت تحلى أمه به ، ثم شبكه في أذنها بيديه المرتجفتين بدلا من ذلك القرط الكاذب وجسمها ينتفض وأنفاسها العاطرة تتلاحق وعيناها الساحران تنظران إليه في صمت أبلغ من الكلام كله شكر

وكانت المائدة حاضرة وقد زانتها بومالين أطلت منها مجموعتان من الورد الزاهي المختلف الألوان كما أن غرفة الطعام كان يشمرها نور ساطع قوى وقد ضاعفت عدد مصابيحها . وكان النور ينعكس على

وعند ذلك طوت إلى نعلها ونظراتها الشاردة
تسبح في فضاء الفرفة كأنها تنقش فيه عن شيء
مفقود

— أو كثير عليك أن تقابل هذا الحب بئله ؟
— إنني لا أنكر ما لك على من الجبل ياسيدي .
ولكن في هذا القبر (مشيرة إلى قلبها) شبحاً دفيناً
ينوص في تراب الكريات البعيدة ، فيالله عليك
لا تحاول أن تتبرها فإنك لا تعلم مبلغ ما تجنده لي
من المذاب

— إذن أنت تحبين يا سميحة ؟

—

— قولها كلمة صريحة وإن كان عذاب فيها
فأنتي بقدر ما أحبيتك وأكرمتك أكرم أيضاً هذه
الصرخة فيك
— ... نعم

— نعم ! إن من الكلمات القليلة الحروف
ما يحقق سعادة أو يحطم حياة ... ولكن من عساه
أن يكون هذا السيد ؟ من هو وأين هو ؟
— إلى أجهل ياسيدي ...

أنت أيضاً ! أنت أيضاً تجهلين مكانه كما جهلت
أنا مكانها . والحظ الذي يجتمع بك وبملائتي نفسي
منك هو الذي يهدم الآن سعادتي ويباعد بينك
وبيني . ولكنك على كل حال أكبر مني نفساً
وأكثر وقاءً ، فأنت لا تزالين على عهدك آسنة وفيه
بيننا أنا الشقي أسدل الآن ستاراً على عهدنا وأنساها
وعند ذلك أفلت كنتها من يديه وارتقي على
مقدمه خائراً ذليلاً . أما هي فقدت ساعديها حول

الليل من راضتهما فكانا يشتركان في الحديث والمطالمة
أصبحت سميحة الشغل الشاغل لكامل افندي
لا يفتأ يفكر فيها ويسجب بحاسنها وينمره السرور
عند كل حركة من حركاتها حتى كادت تنسبه تلك
لأن أرادها له أبوها وأبوه ، وقد أخذت سميحة تنزل
رويداً رويداً إلى أعماق ذلك الدير الذي أظنه في
فؤاده لتلك القديرة

وفي ليلة من ليالي القمر قضياها في طريق
السويس فادا إلى المنار وقد تملكه حبها ولم يمد
يستطيع صبراً عليها فأخذ يداعب شعرها ويقلع
معا ويسألها من أنت أيها الملاك الذي هبط على من
سما وحشي ؟ أو لا أعرف على الأقل من أنت ومن
أبوك ومن أمك وما هي أحداث القدر التي حاربتها
وحاربتك ؟ تكلمي . إشتي غليل فانك لم تمودي
الآن إلا جزءاً مني بعد أن تلاشت روحك في روعي
وامترجت نفسك بنفسي . ولكنها ظلت تنمره
بنظرات قاترة ضالة وقد عجم لسانها الصمت وغلبها
الحياء . وأخيراً قالت له : ماذا يهمك من أمري ومن
أمر أبوي . بالله عليك أن تترفق بي ولا ترجمني
إلى ذلك الماضي الذي أحاول نسيانه لأنه لم يثمر غير
شقائي ...

— إن من واجبي إذن أن أحول بينك وبين
هذا الشقاء

— هيهات

ولكنه أمسك بكفيها وقال متمللاً وهو
يحدق فيها :

— إنني أحبك يا سميحة

وأُسْرعت إلى دفتر التلغراف لتستدعي في الحال طبيباً
ويُنْذِرني تنتظر عودته وهي على أحر من الجمر
كان هو يهذي في نومه فيذكر أبوه ويذكر اسمها
والجبل ودير القمر وساعده يمدان في الفضاء كأنه
ينأى ويتوسل . وعند ذلك ذهب بها النتن إلى أنه
كان على نية السفر إلى هذه الروح لأنها وجدت
دليل الصيف من بين الأوراق التي على مكتبه

وعند ذلك سمعت حركة سيارة تقف عند الباب
وما كان الطارق غير الطبيب فأُسْرعت به إليه ولكنه
كان نائماً فرأى ألا يوقظه واختل بها في غرفتها
يستفسر منها عن يوم إصابته وعن أعراضها وعن
الاجراءات التي اتخذتها في تلك الأيام الخمسة التي
مرت عليه وهو في تلك الحالة . وكَم أعجب الطبيب
بكل ما فعلته ولا سيما بالبيان الذي حرصت على أن ترصد
فيه درجة حرارته في خلالها . وكان كامل قد
استيقظ لأنه ناداه عليها فأسرعا نحوه وقد دهش
لما نبأها به إلى هذا الحد

وبعد أن فحصه الطبيب لم يجد به أثراً لأية علة
قُتِل به وسلم ومعدته طاهرة من العقوة إلا حمى
رفعت حرارته إلى ٣٩ درجة ونصف لم يكن سببها
برد تعرض له . وعند ذلك لم ير إلا أنه وقع تحت
تأثير سى* وصدمة شديدة لم يتحملها ، فشرح كل
ذلك لها قائلاً : إن الجسم كما يتقسم من سوء الغذاء
والشراب ، يتقسم كذلك من اضطراب الفكر
بسبب حادث مفاجئ* أزعجه . فهل مر به شيء من
ذلك أو هو على الأقل تكدر لسبب من الأسباب ؟
وعند ذلك التفت كامل إليها والتفتت إليه ثم سكنا .

رأسها وأخذت تبكي . وأخيراً قالت له في رفق
وخشوع : إن لي عندك حاجة يا سيدي لك
لا تخيب رجائي فيها
— وما هي ؟

— أن تأذن لي بالذهاب من هذه البدار حتى
لا يطول عذابك ... وعذابي

— ماذا ؟ وهل جهلت يا سيدي أن بعدك مني
الآن يضاضف هذا المذاب وديماً قلبي . بل تبقي
إلى جانبي حتى تهتدي إليه فأجمع بينكما وتميشان
سعيدين ..

— وأنت ؟

— وأنا أعيش في ظل هذه السعادة صديقاً وفيما
كَمْ كان موقفه معها في هذه اللحظة القاتلة
نبيلاً . وكَمْ كانت هي أيضاً تحبه وتبتهلك عليه وهو
جميل رشيق شجاع عادل ، لولا ذلك العهد ، وكان
قد غلبه النوم فأيقظته في رفق لينقل إلى سريره
ويرتح .

ولكنه لم يلبث أن شعر برأسه يدور وجسمه
ينحل ويتفكك وقد تقلت أطرافه وزادت حرارته
فكفّت على تعريضه . وأغلقت النافذة التي بمجواره
منها لمرور التيار . ولكنها فتحت النافذة الأخرى
البيدة عنه حتى يتجدد دائماً هواء العرفة
ثم ناولته قرص اسبيرين كما أعطته مليناً فقد يكون
الصداع الذي يشعر به بسبب سوء هضم أصابه .
وكانت بين فترة وأخرى تنخفض حرارته بترموتر
أُسْرعت في شرائه . وقد لاحظت أن حرارته ترتفع
شيئاً فشيئاً حتى إذا بلغت ٣٩ درجة وخططين أزعجت

عهدا نحو ذلك الغائب الذي لا أمل في عودته وبين أن تهوى بقلبها على جبين هذا الذي أحبا وأكرمها ويريد أن يضحي بسعادته ويسكن مدينا في سبيل سعادتها. ولكن دافعا خفيا كان، كما حمت إلى تنفيذ غرضها، يستوقفها

وقد خطر لها أن تنقل إلى ذلك الركن الخالي المقابل لسريره منضدة في غرفتها حتى تكون على مقربة منه فيمكنها القيام عليه. ولذلك حلت تلك الصورة لتنتقل إلى مكان آخر وكان التراب قد علاها وهتك غلافها فزعته عنها. ولكنها وقفت ذاهلة مسمرة في مكانها وهي لا تصدق عينها، إنها صورة أبيها وهذا خطه في ذيلها حين أهداها إلى صديقه تاجر الفاكهة فإلى الذي انتقل بها إلى هذه الدار، لعله اشتراها من تركته، ثم لما إذا حرم الفاكهة على نفسه مع أنها من خير ما ينفع الأجسام حتى أن الطبيب نفسه أشار بها

وعند ذلك اقتربت منه وكانت حرارته قد انخفضت درجتين فقبل وجهها ثم استأذنته في أن تحضر له فاكهة كما أمر بذلك الطبيب، فقال لا بأس مادام قد أشار بها ولكنها لن تكون كذلك التي كان يطعمنا إياها أبي ...

— أبوك ؟

— نعم . ألا تعلمين أنه كان من أكبر التجار فيها

— ولم لم تقل لي من قبل يا كامل ؟ الآن أبشرك بأني قد اعتديت إلى مكان تلك التي أرادها لك

— أنت ؟

فأدرك الطبيب أنه لم يخطئ فيا انتحى إليه بحته . ولذلك أوصاه بالحذر من الوقوع مرة أخرى تحت سلطان مثل هذه المفاجآت ثم قال له : إنك على ما أرى دقيق الحس إلى حد أن أقل اضطراب بؤثر في أعصابك ثم في جسمك . سأكتب لك الآن من دواء يشفيك من هذه الحمى فتعود حالتك إلى طبيعتها الأولى . وربما كان من حسن حظك أن هذه السيدة الفطنة إلى جانبك ، فهل هي ممرضة ؟

وعند ذلك قال المريض : نعم يا دكتور مع تغيير في شكل بعض الحروف ، فلم يفهم غرضه ، ولكنها فهمته هي ، وقد أراد بذلك سكوت اللب الثانية مع كسر الراء ، ولذلك لم تستطع أن تحبس دمعها

— هلا ترى يا دكتور أن يذهب إلى الجبل لقضاء فصل الصيف فيه ؟ ...

— نعم . نعم . ولكن بعد أن يحدد قواه ثم انصرف

أما كامل فقد أدهشته هذه الإشارة ولكنه حملها على هذا في نومه بعد أن ذكرت ذلك له ، ثم قال لها : أوعيت ما ذكره الطبيب يا سميحة من أنني أكون سميذا إلى جانبك على شرط أن أحضر مثل تلك الصدمة ... ولكن تقي بأننا لن نموت ، وأنني سأطيب وسوف لا أخون العهد الذي قطعت لك . سأعيش يا سميحة إلى جانبكما كما وعدتك فسي بعد ذلك من هذه الدنيا أن أراك سميحة . وعند ذلك لحت بشبح الخطر يمثّل لمينها لأن تلك الصدمة لن تلبث أن تدمع مرة أخرى وهي تلج مبلغ ما غفل وجه لها فيه . ولذلك أخذت توازن بين بقائها على

الدار حولنا عيونهما عنها وقد اغرورت بالمموع .
ولكن كم كانت دهشتها عندما رأتا العربة
تقف بهم عند بابها

لهذه إذن سعى عند مالكها في أن يأذن بزيارتها
أيضا قبل الانتقال إلى ذلك المكان . وكانت الدار
على عهدنا السابق إلا أنها أصبحت أزهى لما تناولها
من التسمير والتجديد . وكان أُنْها جديداً غنياً
وكان كل شيء فيها مستكلاً مرتباً أحسن ترتيب .
فأخذتا تطوفان في غرفها ومسالكنها وكأتهما في
صمتها متخاطبات : هنا كنا نأكل ، وهنا كنا ننام ،
وهنا كانت راحة الله يجلس ، وهنا كان يستقبل
أصدقاءه من التجار ، ولكنهما كانتا تشرمان بالألم
والمرارة وهما لا تلبثان أن تبرحاهما حتى إذا عمتا
بالنزول أوقفهما كامل أفندي قائلا : إلى أين ؟ إنها
كانت داركا وهي الآن كذلك . لقد سبق أن اشتريتها
ثم كلفت وكبلي بتمجيرها وتأنيها حتى لا تنزلا في
سواها ...

ومن محاسن الصدق أن صديقه لما علم بسفره
إلى لبنان أدرك أنه قصد إلى دير القمر المرز عليه
فوافاه إليه . وكما كان سروره لما علم بكل ما ذكرناه
هنا حتى قال له : الآن قد استوفيت عناصر قصتك
فأى عنوان ترى أنه يليق بها فقال كامل أفندي :
لا أدري للآن

— سمها دير القمر

— أو دير سميحة

محمد خيريت

— نعم ... أنا . وسوف لا تعود إليك بميد
الآن تلك الصدمة التي كنت أنا السبب فيها . سوف
تجتمسان فلا تحثت في عهدك الذي ربطك به
أبوكم كما تكون خير عون لي مع احترام عهدي
فلا يضريك بهذا أن أتزوج أنا أيضاً ؟
— به ؟

إلى في تلك اللحظة شعر بسلطان حبها عليه
بعد أن نسي الأخرى . ولكنهما لم تمهله فلوقت
وأسه بسامعها وحدقت بينهما في عينية قائلة : إنها
أنا يا كامل وهذا شاهد على ذلك من أهل ... أبي
ثم طبت على فم اللثيب تلك القبلية الحارة التي
طالما اشتهاها وطالما حبستها

ما عاد كامل أفندي يتأمل للشقاء حتى أرسل
إلى وكيله بكتاب طويل ولكن الرد عليه لم يصله
إلا بعد عشرين يوما تقريبا . وقد جاءه من لبنان
مما يدل على أنه كان قد كلفه بالقيام إليها . وعند ذلك
كاشف سميحة وأنها بزمه على القيام معها فورا
إلى الجبل ، إلا أن هذه الرغبة لم تصادف هوى في
فؤادها ، وقد غلبت عليها ذكرى دارها التي ألغتها
ونشأت سميحة فيها وقد خرجت من أبيهما .
ولكنهما مع ذلك رضختا والطبيب هو الذي أشار
بذلك .

ولما وصلا إلى دير القمر قصد بهما أولا إلى
قبر عائلهما فزارته ثم عاد بهما وقد غلتا أنهم سينزلون
في خان بالقريه حتى أنهما لما صرحت بهم للمرة أمام

التدريس بطرس وبولس؟ لست حارساً
على ميكل الفضيلة. وأنا أقرر الواقع.
أنا لا أنكر أنه قد يحدث أحياناً خلاف
ما ذكرت، كما بوي كثير من
شاهدوا وجروا. أن يوتوا عدة لم
يطفاً قط فيها سراج الحب المقدس منذ

أشمل ليلة الزفاف

إيه؟ ماذا تقول... تمس
ولا ترفع مقبرتك. كلام مميب..
نخيل من تكراره... ها.. ها
ها.. صدقت.. تمام. أي نم..
إن سراج الحب الذي يجب نوره
على العروسين ليلة الزفاف لمرضة
لأنك ربح وإعصار يهبان عليه
من للدخنة فيطفاؤه وربما أخذه
قلة الزيت... ها.. ها... الزيت.
مفهوم. مفهوم طبعاً. إن المرأة
ليست سيارة. قد تكون كوكبا
أو نجماً مذنباً... ولكنها ليست
سيارة. قافاً مانعاً. الزيت..
حينئذ ترى الزوجة بالسة يالسة
تحي الليل الظلم الطويل أرقاً ينيهاً

الأزواج يشط في نومة لا يبالي ولا يكثرث. نم؟
آه الحالة المضادة لما أقول... دائماً الحسن
والأضداد. أنت ترى حالة الرجل المسكين قد تزوج
من خداعة لا قلب لها ثم اتبه من حلم الزفاف
الباطل إلى الحقيقة المرة. لقد هيا الأزواج لنفسهما
فراعشاً لا بد أن يرقدا فيه حتى يفرق بينهما الأجل،
زيجة أورتودوكسية على قواعد عقيدتنا الدينية...

هَلْ قَاتِلٌ مِنْهُمْ مَيِّمًا

لِيُكَوِّرَ زَانِفٌ
مِثْلَ الْأَيْتَانِ عِندَ الْخَلِيقِ

تعريف بالقصة

ليوكوزيانوف كاتب روسي من
المهد القصيري، تأثر بمدرسة
تورجيف وبوشكين، وأندريف
في القصة القصيرة، وكان صديقا
جيا لبوين التي حاز جائزة نوبل،
ودرس ليوكوزيانوف الرياضة
والرياضيات، في جامعتي زورخ
وجنيف، كما درس حياة الناصر
والأوساط الثورية، التي هاجرت
أوغرت إلى خارج روسيا ولجأت
إلى سويسرا وإيطاليا. ودأبه ينس
التموض اللذين في القصة، والجلاء
في وصف الشخصيات وتحليل النسيات
ولا سيما النساء من أبطال قصصه.
وقد علت هذه القصة «حل مات
مسوما؟» إلى الفرنسية وتلك
جائزة مجلة ليزانال Les Annales
ونجحت نجاحاً عظيماً

نسانى متى عرقها، وكيف
عرقها. تالله إن أسرك لمجيب،
فقد رويت لك هذه القصة عدد
شعرات عثوثك التي لا تفتأ تنفضها
من الحوس وقد المأكرة

لقد عرقها يا صاحبي في
صيف تلك السنة التي عرفتك
في خريفها. حل في هذا التدقيق
إيهام أو غموض؟ هل كانت سميكة
في زواجها أي قبل أنسانا؟
من يدري؟ ولكن من ذا الذي
عرف الدنيا وخبر أخلاق رجالها
ونسائها فراح بعد ذلك يشك فيها
قد أصاب تلك السيدة من البلاد
على يد زوجها.. لقد وصفتني
كأنني أراه وأسمع صوته، وقد
رأيت أناساً هبطوا إلى أسفل درك الشيخوخة

حاملين في أحشائهم جرة صباية العبا، وحرقة
غرام الشباب. وكان ذلك الزوج منهم. ولكن
لكل امرأة حيلة وصبية أن تدم مسؤوليتها من القدر
ساقطة متى عجز الزوج عن حمل مسؤوليته. فإن
حبها لا يبق بعد زوال قوة... مالى أراك تحرق في
كأننى أكلت ميراث أليك أو هدمت قبة كنيسة

أرجع سيباً فأدخل الجامعة لأرشف رصاب العلم ،
وأشهد التمثيل خالي الببال ، وأهصر أعصاب الصبايا
خاوي الوافض من اللال . أحب الحياة التي يكون
فيها جبي وفؤادي فارغين . فلما سمع صوت حفيف
حرير التافيتا الذي كانت تحب فيه أوجستنا رفع رأسه
وألقى عليها نظرة مجلى ثم أطرقت . تفجعت كما خجل
فتقدمت إليه وقالت له : غم صباحاً يا إيليا إيليا فتنش .
كيف حال السيدة حرمك ؟ إنني لم أرها ولكن
أعرضها بالشهرة الطامة . فهمض إيليا إيليا فتنش
وتناول يدها الطائلة الممتدة إليه في عظمة امبراطورية
وقبل أطراف البنان . ظم تمهله حتى يلغ ريقه ويشتكم :
بل قالت وفي صوتها لهجة حزن وئىء من التهمك
« حقاً إن دارنا هذه لوحشة ، دار سمجة عنيقة
مظلة . نصفها حَرِب وسائرنا ناقص الأثاث
والراش . ومن كان مثلك قد تمود محافل الأنس
والجور ومجالس السمر والفكاهة في لندن وبرلين
وقارسوقيا ، لا يرتاح إلى مسامرة امرأة وطفلهما
وصديقها الطالب بالجامعة (تشير إلى) ولا يقر
حينه مثل هذا المجلس وقلة أنسه . والواقع أننا لا
نصلح لضياقتك . فاما إسمادك وإدخال السرور على
فمك ففي غير هذا المكان ملتصمهما ومطلبهما فانتظر
عودة أى ...

فقال إيليا إيليا فتنش : لعنة الله على القيصر
وجميع أسرة رومانوف يا أوجستنا فيلوقتنا إن كنت
أدري أجمدين الآن أم ترحين ! فدنيت مني وتناولت
أكلتي تمبت بهما وكان ولهما بوريس قد دنا منها
فتناولت خصلة من شعره تلاعبها باليد الأخرى .
وأخذت تنقل عينيها من وجهي إلى وجه الصغير
السام ثم وجهت الحديث إلى الرجل الناضج :

لا ، لا . المرأة التي تعرفها لم تقبل ولم تخضع . لقد
سارعت إلى الفرار وهي تحمل في أحشائها الجنين ..
التي حملت به ليلة الزفاف ، وإلما من ليلة ! لقد قضت
طمين اثنين فقط أثناء الخطبة والزفاف . وكنت
أعرفها قبل الزواج ، فمرت فيها الشباب والجمال
والمرح وعدم الاكتراث للحياة ... لقد كانت
قبل طمين طفلة . أمُ طفل وكانت تقيض على كل
من يراها من ابتسامتها كمنوء الشمس ، منيع
الحياة والأنس . ولكن عند ما أيقنت أنها دفنت
زواجها وشبابها في قبر الشيخوخة الممتة أسنفت
لجأة كما يهرم الدين يكابدون الآلام النفسية الجسيمة
في سكينه وصمت ... إنها علمت أموراً كثيرة
كانت لا تخطر لها قبل على بال ... فلما تلمت
ما تلمت على يد ذلك الأستاذ الكره (للشقاء)
تأوت حميتها فنبذت كل طاعة . ولكن بعد أن
كابدت حرارة العجبية في حياتها التي قضى عليها
أن تسلك منهاجها وحدها
أى نعم ! لقد عرفتها في تلك الفترة .

وفي تلك اللحظة دخلت مدام أوجستنا دمانسكي ،
فلما علمت أن الحديث يتنا كان بشأنها تضرع وجهها
من فرط السرور والتجمل . وكانت في مشيتها ونظرتها
أزهى من أميرة . وعينها بلون القطيفة ، ونفوسها
في شكل الزرجس الفضي ، وكانت لخدتها صفرة
مخالطها حمرة وخضرة كأنها خدنا تفاعهة نضرة أو
زيتونة عطرة ، ولها صوت لين غني بالأنغام المؤثرة
الشجية ، ولنتات هادئة ونظرات حميقة . وقد تاجأت
كروولنكو ذلك الفيلسوف ذا المشغنون المتتوب وهو
يهزكتني قائلاً : اعرض عرسك أيها التلام واعنتم
من دهرمك ما ساقه إليك القدر . والله لو ددت لو

أنفاسه . ولم يكن أقل ثباتاً منها فقال : ثلاث قطع من فضك . كأنه لم يأكل حلواً في طفولته فهو يروض على ما دنتنا ما قدده في صباه ...

وفي خلال تلك اللحظات لم ينقص أدب السيدة ذرة ولم تقل محاسنها في معنى ، فكان وجهها لا يزال يحمل لى لطف الابتسامات وأرق النظرات ، وإن لم تكن تلك الابتسامات من الفرح والسعادة على مثل ما كانت عليه إذ هي تلاعب طفلها وتلاعبنى . وشيثاً واحداً لحظته يدل على ما طرأ من التغيير ، لقد كان صوتها عميقاً كأنه خارج من قاع بحر . ولو كان للأصوات ألوان إذا لكان صوتها أبيض مشرباً بزرقة الفجر ، وقد دهشت حقاً من جرأة إيليا إيليا تونقش الذى عهدته وديماً . لقد كان موثقاً حرجياً حقاً بيني وبينهما ولم ينفذه إلا وصول أمها في هذه اللحظة فيدورا كيلى نونفا ، فقد كانت في سياحة قصيرة في نيون ، فلما وقع بصرها على إيليا إيليا نونقش قالت له :

— ها أنت ذا أيها الشيطان الأزرق ، لا تزال على قيد الحياة ، وقد احترقت مضامقتنا في كل مكان ، أما لك عنا منصرف ؟ فاحتقن وجه الرجل وجعلت عيناه ولكنه ضبط نفسه وقال :

— أهذه هي النتيجة التي تدخرين لى منذ فراقنا في ايسيا نابوليانا يأبى المجوز .

فكانت فيدورا كيلى نونفا : لئن كنت أمك المجوز كما تزعم أيها الشيطان الأزرق إذن لشككتك بأسرع مما فقدت أم موسى ولها الوحيد .

فضحكك من سرعة خاطر هذه المرأة التي كنت لا أميل إليها لأنها كانت ذرة اللسان موجبة الهجاء ، وإذا كانت قد نازلت في حومة النضال كل

— إلى أجدأ يسيدي إيليا إيليا نقش ، وهل هذا المقام يحتمل مزاحاً ؟ ثم صوبت نحوه نظرة عظيمة وأبته ورنث إلى بلعظها الفاتر كأنها تاجيبي فأبرقت حيناً إيليا إيليا نقش وقال مسرعاً ألفاظاً متراكمة كأنها قطع من الحديد الحمى بفصاعها حداد حاذق ، بدقات على اللسان متتالية كرهات ناقوس الفطار السريع :

— أحقاً يا أوجستا فيلوروننا أنك حتمت على هذا الفنى أن ينشئ شعر لحيتة الفنى لبيدو للناس رجلاً مانح السن ، فلا يلفت أنظارهم اليكا بفتوته وكال غوك ، فان الفارق في السن ملحوظ بينكما لمرجة أنك تضحكين من مصاحبتى . وإن بعض الناس ليظنك أنه خصوصاً في مصلحة البريد عندما قال له موزع المكاتب والطرود : أخبر السيدة المصون والدتك أن لها خطاباً مسجلاً ولا يمكننا أن نسله إلا إليها يدأ بيد ... أليس كذلك يا ساسا ؟ أما أنا فقد أصابني دوار ، كأننى أخوض غمار البحر في سفينة مخروقة ، ودارت في الدنيا ورأيت ألوان قوس قزح ترسم أفواساً أمام عيني ، ثم سمعت في أذني طنين ذباب لا يبنى ولا يكف ، وقد فقدت توازنى من هول ما سمعت من الاعتداء على كرامة سيدة وشرف رجل . إن هذا الرجل كان يكلمنى في صفاء وحسن نية ، وهأنذا أراه يتهم على عرض السيدة التي أحببته وأحببتها ، بأفعل القول ، وأفزع السب ، وأسر التذف ...

وعند ما دخلت زنيا (خادمها الخاصة) بطقم الشاى لم تتردد أوجستا في خدمته بأن سألته في أدب عن عند قطع السكر التي تكفيه ليزدد فنتجاه ، وقد تمحيت أن يكون منقوع الزينخ التي ، لتتخذ

لأنك تريد أن تلبس إلى آخر دقيقة من عمرك
وأنت تلعين النفس بأنك فاتنة الحسن خلافة الجمال
مصرة على التحلي بزهرة الربيع وبها، وقد أفضى
بك العمر والمفاسد إلى قلب شتائه، ومتبرجة في
حلة الشباب القشيب بعد أن جلت رأسك تلج
الشيب، دعى عنك اليد المرتجفة للملحمة بالدماء

وفي الحق كان وجه المجوز مدهونا بالابيض
والأحمر إلى حافات أجفائها، فكان هذا الدهان يبر
عينها برقاً وحشياً، غريباً، وكان على رأسها برج
من الخمرات^(١) وتحت هذا البرج غيمة من الفداثر
السوداء المستارة فلا بد أن يكون هذا الوخز
الآلئ قد غاظها فهرأت أحشاؤها من الحقد. لم أكن
في حياتي شهدت مثل هذا النظر، إذن هذه هي
درامة الحياة بيننا. ولا يشهد أمثال نوعاً منها إلا
على خشبة المسرح، فلا عجب إذا بهت وذعرت
وأنا أرى وأسمع هذا النضال النادر، فأخذت أحقق
في المجوز من فرط الدهش بينين تقاربان في السمة
عينها، كما كنت أحقق في المثلة التي كانت تمثل
في المآسى دور الملكة الشريرة.

ثم نظرت إلى وجه أوجستا حبيبي وكرمة
تلك المرأة الخفيفة، فإذا هو بمنع بلون الكركم
الصينى وحى ترجيّف من فة رأسها إلى إخص قدسها،
كنفس رطيب في وسط عاصفة هوجاء.

وقد نظرت إلى نظرة بالغة الحزن والعتاب،
كأنها تنتظر مني أن أبطل بخصمها اللدود، الذي
(١) نوع من الحرير المنسوج على هيئة « الباتله »
وقد بطلت هذه (الوردة)

منافستها من فائتات عصرها، فلا جرم أن تكون
قد كابدت من التنازعات ما لا يحيط به حصر أو
استقصاء.

فقال لما إيليا إلبا نوقتش في هدوء قاتل :

— لا عليك بأنا المجوز، سواء أنكأني أم
لم تنكأني، ما دام الله قد عتق رقبة زوجك الذي
كنت تجودين عليه بالضرب الوجيع لغير ما علة
يدريها. وإنني ما أردت إلا إلقاء هذا الفتي المسكين
ساشا (يقصدني ويدلني إذ حقيقة اسمي كما لا يخفى
عليك الكسندر ديرانيون) الذي لا يزال في صحوة
شبابه من الوقوع في غلاب ابنتك، لأنها حديثة
السن مليحة التقاطيع فلا يحد عنه حسنها وشبابها؛
فغير عجيب أنت تنمو الأشجار الكبار في اتجاه
مخاطف الأعواد الطراب — ألم عت والدها مسموما
يبد مجهولة ؟ قيل إنها يد أقرب الناس إليه ؟

فتقدمت المجوز نحو ذي العنتون وقالت له :
كذاب أشر، وغلام أئيم، أبحرؤ أيها النادر الفاسق
أن تنال مني ومن ابنتي، وقد أوتيناك وغديناك
ونحنيناك من غاظ لا عدل لما ؟ بعد أن التفتناك
من حماة الحر وما إليها من الشرور والفساد

فابتسم إلبا إلبا نوقتش ابتسامة عريضة صفراء
حتى باتت تواجفه وبدا وجهه كالذهب الذي يتحفز
لالهام فريسة لينة وهو آمن وقال :

دعى عنك يائى المجوز تلك السفاهات وتنكبي
بالله مواضع البث والسخرية في الحديث، فقد
اقتضت دولتك وولى معها الزمن الذي كان يحيطك
فيه أهل الدعاية والزواج، ولا تحمدي على وأنا ناصح

فأوشكت وأنا أحرق الأرم حقا أن أقول له :
وماذا يفضلك أو يضرك أيها الفضولي الدخيل أن
تتقذني أو تتركني أخرق ما دمت لم أستعجلك ؟
ومنى كان لشك أن يحسب نفسه فيها لا يسيئه من
شؤون رجل رشيد ؟ ولكنني بعد أن عرفت شراسة
طبعه أحيت أن أخدعه حتى أخلص من شره
فقلت له :

ولم ياسيدي تسلك في ذلك سبيل القسر
والاكراه ، وكان في مقدورك أن تسالج الأسرى
ولين ورقة ، فكنت بذلك تجتنب ميل ومحبي ، لأنني
أسهل اتقيادا وأطوع انسياقا بهذه الأساليب
منى بذرائع العنف والقسوة

ولم تسلك كالكلى تصل إلى سمه حتى انبسط
حييته وهذأت ثأره وابتسم في وجهي بنظرة ملئزة
عميقة وقال لي : الحق يديك يا الكسندر ديرايوف
ما دمت قد أدركت حقيقة مقاصدي الخيرة ، فلك
على أن أطيع ما تأمرني به . فقد توصلت بقلبك
القياض بالحبة والعلف وبفضل ما أوتيت من بشاشة
وظرف إلى اكتساب ولائي وطاقي

فدهشت من مسلك الرجل ، ونخيل إلى لحظة
قصيرة أنه قد يكون مجنوناً ، فما الذي دعا لي إلى سورة
غضبه المفاجئة ثم انقلابه حملا ودنياً . أو قد يكون
بلغ من الدعاء نايته ومنهائه فهو يحذعني ليستل
الغضب والتهيظ من نفسي كما يستل السهم من العضو
الكليم . وكأنه لحظ ترددي ودهشتي فقال لي : سأنفى
إليك بكل شيء . بعد أن نمضي موقفنا ونمحوا أثر
ما رأيت وصحت . فقلت : هل ترى أن تمتد إلى هاتين

كشفت عنه الصادفة ، ولم أكن أنا الذي جلبته إلي
الدار ، بل هي التي لقيته في شارع كاردج ماوى
المطاردين والمنفيين التآمرين من التآمرين ، ودعته
حنانا ولفافا ليشرّب الشاي على مائحتها .

فدنوت من أوجستا ودهست في أذنها أسالما
ما ترى واجبا على في هذه اللحظة المصيبة . ولبت
إيليا نوقتش الموتور يرنو إلى ذلك النظر العجيب
بالخاند ماكرة رزينة . أما المجوز فقد أخذت ترفع
من رأسها تلك القبة الضخمة التي شبهها خصمها
بالبرج ، بيد مهزولة هرمية ، وكانت رواجها المقعدة
المتشعبة تأنق بما لا يحصى من الخواتم . فانهزت
هذه الفرصة ودنوت منها وأخذت أقبل يدها
بمخشوع وخشوع قائلا :

— أرجو المغفرة ، فالدنب ذنبي والخطيئة خطيئتي
ياسيدتي ...

فأجهشت المرأة بالبكاء كالطفل ، فسارعت إليها
ابتها وحملتها إلى الباب تريد بها الخروج . ودنوت
من إيليا إيليا نوقتش فبادرنى بقوله :

— أراك يا بى مولكا بتقبل أيدى المجائر
وإنه لأمر غير مستحسن .

فقلت له : ياسيدي ... إننى حديث العهد
بمعرفتك . ولم أكن أظن أنك تسوق على امرأة
ضيفة بهذا القدر

فقال : لم يؤن الأوان لأظلمك على حقيقة هذه
المرأة بعد أن رأيت للابنة فيك هوى وأنت
أصغر منها بستين عدة ، وكنت أراهما في موضع
يقنك وكاد نجاحهما في الاستيلاء عليك يتحقق .

بالأزهار وفوق رأسه قمة كبيرة وهو مشتغل بمص
البرقال ، وكانت زوجته أوجستا هذه التي تبادلها
الحب لازال تمسح لها أنفه كما كانت تفعل مع طفلها؛
أما أيام الأحد فلا يزال يرتل الأدعية والصلوات من
خيشومه الكبير المرم . وقد مات الرجل بجمرة
نامضة فماد التموض إلى نفسى من هذا الوصف
السبق الذى دلى على أن إيليا إيليا نوقتش جد خير
بتاريخ الأسرة من قديم . انزمت جانب الصمت
وقدته إلى حيث كانت الرأكن تجلسان وعليهما
مظاهر الكآبة والألم . فلما رأنا جفلت الصغرى
وتشبثت الأم المجوز بمسندى مقعدها كأنها تكاد
تفوق بها الأرض وتبسطها فقلت : لاءليكا ياسيدنى
فقد جئنا لنتمنر إليكا . وقد آلينا على نفسينا
لا ينادر إيليا إيليا نوقتش هذه البار الكريمة إلا
بعد أن يصلح ما أسد بهوده وطيشه
فقال إيليا إيليا نوقتش :

— أى نم ! إن البفو من شيم الكرام ،
والحق ما قال ساشا الذى أقدم به إليكا شفيماً
وكفيلًا . وهأذا ألم يديكا وأستمعحكا عنزاً عما
فرطمنى فى حقكا . وأنت ياسيدنى الكريمة (متجها
إلى تلك التى دهاها جشمش ووردريس متدخلة)
أحق الناس بالمفخرة لى . وإن قصرت فى خشوعى
وخضوعى بين يديك ، فلأن البطل لا يكون أبداً
بطلاً فى عين سيده . وعندما نطق بهذه الكلمات
التي لا أدرى كيف غمها ومتى نسقها وفى أى قالب
من قوالب الاخلاص أو النفاق أفرغها ، بدت فى
عين الأم نظرة خبيثة كأنها تتفرج على مشهد من

السبتين كما يفضل النبلاء من الرجال . وإن كان فى
الأمر ما يوجحك أو يشمرك بالموان بعد موقف
الجفاء والعنف الذى وقفته فافله لأجل وتحمل فى
مبيل مودتى بعض الأذى الذى تحملته وأنا أشهد
منظر التخاضع والتخاف بالشتائم والسباب
فقال : لك على ذلك ، لأن كانت هذه المرأة
الجعرش المردريس قد أسدت لى من الخير
وصنعت مى من الاحسان ، فأنما هو شرف تعرف
إليك فانك بمن يأسف الرء على ما مضى من عمره
بدون صداقتك

فكبر الرجل فى عيني ونفيت فكرة جنونه
نفياً باتاً . وصاغته ، فقال لى :

إن الحوادث التى ألمت إليها فى خصوصتى مع
تلك الكاهنة الشهواء وقتت فى وقت كان القوم فيه
فى موسكو وطرسبرج قلبى الثيرة على أعراضهم
حتى لقد كان أهل الشرف منهم والحسب يبدون
تلوث أعراضهم بوصمة قصيرة حلية من حلى المجد
والفخار . وإن هذه المراءى التى سودت صبى بنتها
وألبست عهد طفولتها وشبابها ثوب التماسه والشفاء .
وكان زوجها لا يفرج عن كونه صغراً فى البيت
لا كلمة له ولا نفوذ بل خاضعاً كل الخضوع لسلطان
قرينته الطاغية ، وكان حسبه أن يزجى أيامه بين
قليل من الصيد فى الحراج وقليل من الطرد وكثير
من النوم وكثير من شراب الفودكا على مائدة القمار.
وأخيراً زفت ابنتها تلك التى ترى إلى شيخ قد بلغ
من العمر أردة ، وكاد يتقلب إلى الطفولة ، فأخرى ،
وكان ساكن الرمح قار الحركة عليه جلباب موسى

قلت : يكفى أنسكاً وحجته
ثم نهض وانحنى وقبل أيديهما وساغنى وحاول
مداعبة الطفل فنفر منه نفوراً شديداً فضحك الرجل
مدارياً خجلاً واستخذه وجعل بالانصراف .

فلما عدت وجدت الغلام (وكان اسمه بورينديلا
من اسمه الحقيقي بوريس) فقد عثرت عليه وحيداً
كثيراً منطوياً على نفسه كأنه سلحفاة أدخلت رأسها
وعنقها تحت درعها الصخري ، فلما دونت منه نظر
إلى نظرة نهم من الابتهاج والدهش بمد النجاة من
الغول الذى عكر صفاءه ، وكان شره الدهي يلع في
ضوء الصباح ، وعادعيها يثلاً وضاء ونضارة ، ونفزه
يثألق بنور الانقسام ، وعيناه تشرقان بنوع من
الحنان جبل قلبي يخفق دهشاً واضطراباً .

وفي تلك اللحظة حضرت مدام بويه وهي
خادم عجوز تؤثر بالساعة لتطهى الطعام وتمد المائدة ،
دون أن تدق من الألوان التى تتفن طبخها لقمة
واحدة ، لشدة عاصبة المعجوز في كل صغيرة وكبيرة ؛
فكنت أعتذر عن المشاء أو الضداء أحياناً لأنك
الخدام المعجوز (وهي فرنسية الأصل تقيم في جنيف)
من أكل الوجبة التى أنخلى عنها شفقة عليها . فإذا
تحركت شفتي وشهيق في وقت واحد ففتحها
فرنكاً تمد به طعاماً لنفسها في غرقها المظلمة في حى
« فوبور » فلما تركته لحظة لأبدل ثيابي استمداداً
للمشاء عاد إلى سمته وحزنه وكأبته . فلما رآه أنه
على تلك الحال ذاب قلبها رحمة وشفقة فأخذت يديه
ووضت يدها الجميلة الثانية على رأسه وجعلت تنو
إليه بالحائط كلها رافة وحنان وتخطبه بألفاظ كلها
حلاوة ورقة وعذوبة .

مشاهد الألماب . وكانت المرأة جريئة كالبلوّة
المصور ، كأنى بها لا توجس خيفة من أحد . أما
أوجستا السكنينة فقد غاست في مقعدها والفرع
منتشر على عيها . وكانت من قبل ممقمة اللون
هادئة الصفحة . ثم إن المرأة المعجوز عمت بالقيام
وتوجهت ذيابتها وبرقت أساريرها .
فقال لها ابنتها :

نأشدتك الله والوالدى أن تقبلى اعتذاره وأن
تأزى الصمت والسكنينة وألا تعرض نفسك لمخاطر
الموت بالسكنة القلبية . فأبسمت المرأة وقالت :

— نهم نهم ، كيف لا أقبل عذره وهو ربيب
دارى ، وأنيس وحشقى في شبابي وقد كابد من
الشقاء في حياة المرحوم والملك ما كابدنا .

فجلسنا وتبادلنا الحديث والفكاهة ، نصنع
السرور ونقتل الضحك ، ونقوم بأدوار تمثيلية
ماجنة بمد الفاجعة التى مررت بنا طامتها .

وكان الليل قد أرخى سدوله . فقالت المعجوز :
تتمشى معنا بالإلييا إيليا نوقتش . فقال : كان بودى أن
أجيب دعوتك ، فنبث الماضى الجميل من مرقد
ولكن موعداً سابقى التحديد يستحشى إلى موافاة
الرفاق في « كاروج »

فقال له : إذن تشاركننا الشاى والظهير عصر
الأحد . سأصنع لك الكمكك يدي . وأعد لك
صحناً من مربى البرتقال التى كنت به جد شغوف .
أليس كذلك ؟ ولك أن تدعو من تشاء من أحبائك
فقال : طبياً يكون ساشا حاضراً .

فقال : ههنا مالا شك فيه فانه ينشئ معنا
تحت سقف واحد .

آمالنا تفتتت به حتى توشك أن تبديد وأنت تعلم
أنتى لم أذكر وسعاً لتحقيق أمانينا
فقلت لها : أصبح ما لك ذلك الرجل وإن كان
صحيحاً كله أو بعضه فليروى لك سرى برك دونى ؟
وما الذى دعاك إلى كتمان أسرارى ؟
فقلت : هل تشك فى إخلاصى ؟

قلت : ولكن السامع الذى لمح إليه إيليا إيليا
نوقش . فما عم حتى ظهرت على أوجستا دلائل
الشعوب فأملت صامته بحى دائماً رأسها . فأردت
أن أشدد عزها بتأكيدي لها أنها ستلقى السعادة
وأنى سأقف حياتى على هوائها ، فلجأت إلى ذرف
الدموع

وما كان قلبى وهو السادر فى هواه ليخامره
ريب فى إخلاص أوجستا فانا لاحت لى فكرة
تستدعى لومها ردها هذا القلب متمرداً بمد أن رأى
من ثباتها وولائها ما رأى . وهكذا أوجدتني ثباتها
فى وهاد أطلت آفاقها وخفيت عني مخارجها

وما كانت هذه المرة الأولى التى حاول بها الناس
بمثل هذه المكائد أن يفرقوا بيننا ... فغذيتها إلى
وقبلتها ، فملا وجهها بالشعوب وأعرضت بيننا وبينى
تاركة شفتيها لشفتى ، ولم أشأ أن أسير فى طريق
الحب إلى أبعد من تلك الليلة ، ولم يجد النوم إلى عبنى
سبيلاً فى تلك الليلة ...

فتمحرك كوثامسى الذى كنت أتمس عليه
هذه القصة وقال :

ألم تكن تعرف هذا الرجل الذى عذبتك وعذب
الرأتين ؟

فلم أعت من غدى أخذت بيد الطفل
فانصرفت الأم لتمد أذهار المائدة ، وكانت تعلم حى
الشديد للخزائى ولكنها وضعت مكانها زهر البنفسج .
وأخذت أتحدث إلى الغلام وهو يسألنى وأجيب
وأستدرجه فى لين ولطف ، لأعو من ذهنه أثر
الشادة الأليمة التى شهد بعض أدوارها فكانت تحوم
فى ذاكرة التلام معهود غامضة وذكريات مبهمه ترجع
إلى زمن أقدم من ذلك العهد ، فقد كان يتذكر أنه
أقام فى قطر آخر وأنه رأى مدينة ذات منازل شاهقة
بيضاء وأنه ركب فى سفينة ، غير أن هذه الأمور
كانت كالمحيط المارسة فى حيفه ذهنه . والواقع
أنه لم يلبث إلا قليلاً حتى لحقت بهذه الماهد الغامضة
ذكرى مدينة « كيف » أو على الأقل ذكرى كثير
مما قاساه وكابده هناك .

فلم أقتض وجبة المشاء وراحت الخادم
المعجوز تتمش فى أذبال شيخوختها وفقرها وضيقها
وأوت الأم إلى غرفتها وهى تيمتر الشر وتضرب
أفخاساً لأسداس ، أقبلت على أوجستا فى ثوب
أسود وقدرت تحت أجفانها حلقاً زرقاء فكسر
منظرها من حدة غضبى والآلى بواور الحزن التى
ظهرت على وجهها وهى تقول :

— لك أن تفعل ما تشاء إلى أن تقضى على .
إن حظى من الحياة بين يديك وأنت سيد هذه
الحياة منذ عرفتك ، ونوسمك أن تمد ما يحولك من
انتقام تجاه هذه الجهود التى يبذلها الدهر المائد
وأمثال هذا الوعد المحبول الذى جنى على ساداتنا .
فما حيلتى فى هذا الحائل الذى انتصب فجأة على سبيل

بالله عليك إننى أكرهه ولا أريد أن أرى له فى بيتى
وجهاً بعد اليوم

فقال أوجستا : ولكنك دعوته إلى الشاى
يوم الأحد هو ومن يجب

— من يجب ؟ أه من يجب هذا الكائن
المشؤوم ؟ حسن ... بعد هذه المرة . لعلها تكون
الأولى والأخيرة

أما أوجستا فلم تنم هى الأخرى . وكانت أثار
الاحياء والفلق بادية على عيائها الشاحب بأجل
مظاهرها قتلت فى نفسى :

أيسمى أن أخلى من أوجستا هذه الأفروديت
الساحرة التى ملأت حياتى ولولاها لبقيت أيام
شبابى فارغة ، لأن مأفوناً وأشيأً غاماً اعتدى على
كرامة سيدتين لا حول لهما ولا طول ؟ وكان يجب
على أن أخنقه أو أركله بقدى وأقذف به خارج الدار
وفى اليوم الثانى كانت المعجوز على أسوأ ما
تكون خلقاً ومزاجاً فقالت عند ما رأتنى :

— ألا ما أردأ الناس وأخبثهم !

وراحت تحدثنى بدل وغرماً غلصك فى مقاطعة
بادولى (عاصمتها كييف) من مال منقول ومعار ،
وعما تنتجه المزرعة فى (جراتش) من خضار
ويقول وجوب وفاكمة ، وعما يحفل به بستانها
الذى من أشجار مشمرة وجنى شحى . وكل الذى
حدث أن هذا القزم المفلتون الذى كان وجهه
السفير الشاحب شؤماً على رائبه أراد أن يتزوج
من أوجستا . أتصور ذلك ؟ أيمكنك أن تتخيله
أو ترسم شبحه فى وهمك ؟ وكيف يريد أن نبحت

قلت : قلت قصد إلى إيليا إيليا نوقش ؟

قال : طبعاً أقصد إلى هذا الشيطان

قلت : كلا

فقال كوتشامسكى : أما أنا فأعرفه فذاً من
أفذاذ الخلق الناشئ والطبع الغريب فاسمه مله
الأمعاء ، وشهرته هذه لم تكن لملوكه فى السياسة
أو الثورة والأدب ، بل للرأبة أطواره وشذونه ما ناه
فقد كان فى أول أمره يتجنب الناس ما أمكنه الأمر ،
ويتأى عنهم ما استطاع إلى ذلك سبيلاً . وكانت
رغبته فى الازواء ملحة قاهرة ، وهو منذ وضع قدمه
فى جنيف يأتى إلا أن يزورنا فى منازلنا ، ويأتى إلا
أن يقدحنا بطلفته المشؤومة فى غرفنا كما لم يكن
يكفيه طول ما يتكئنا بها أثناء اجتماعنا فى الطاعم
والمقاهى لأنه كان يعتقد أن زيارة الملاء وأبناء
الوطن فى الغربه فرض لا مناص له من أدائه
وواجب لا بد من القيام به

— نعم نعم لقد عرفت بمضى ذلك من السيدتين
قبل حدوث المفاجعة ولكن كانت الفرصة قد فرقت
— المفاجعة ... أية مفاجئة ؟

— الأفضل أن أتم حديثى . فقد كان بيننا
وبين يوم الأحد الذى عينته الأم المعجوز لدعوة
الشاى ثلاثة أو أربعة أيام فى غداة المشادة والاعتذار
تبقظت المعجوز فيدورا كيليانوفنا متمتعة ، متمتعة
اللون متجمعة الأسارى . وعند ما وقع بصرها على
أوجستا قالت لها كأن للسكينة كانت مسؤولة عن
زيارته المشؤومة :

— ما له عندى حتى يأتى إلى منزلى ؟ قولى له

سيترج يومًا ما . ولكن أمر الزواج خطير بل
أشد خطورة متناظن ، وعلينا أن نفكر في الواجبات
القلبية وفي التبعة التي ستلقى على عاتقنا كي لا تقع فيما
نحاذره ونخشاه .
وبعد بضعة أيام وفي إيليا بوعده وغادر منزلنا
غير مأسوف عليه .

في يوم الأحد الموعد ترينت المجوز وتبرجت
فوق عاداتها . وتبدت أوجستا في ثوبها الزاهر الأنيق
ووجها الطافح بشرًا وإيناسا فائنة أخاذة . فلم أفهم
لهذا التبدل سرًا .

وجاء إيليا إيليا نوقتش وأخذ يفتن عثنونه
بمد أن قبل يدي السيدتين وصاغني وداعب الطفل
بوربا الذي نفر منه النفور كله وكاد يفر من وجهه
لولا توددي إليه وتلطف والدته .

وإن أنس لا أنس تلك الساعة الرهيبة ،
فإن أوجستا التي كنت أعلم أنها تيفض الرجل وتنفّر
منه وتتمنى هلاكه أقبلت على إيليا إيليا نوقتش
تتحدث إليه وتزين حمرة ثوبه البالي بزهره يانعة ،
وكانت تارة تضحك ويدها على خصرتها ضحكات
ساحرة فائنة وطورًا تنفي بصوت رقيق عذب ،
أغاني عاطفية جميلة مسكرة — وفي تلك اللحظة
أخرجت المجوز من ثنائيا صدرها ورقة صغيرة
وأفرغت ما فيها من مسحوق أبيض في فنجان إيليا
بسرعة البرق وتناولت قطعة من السكر وأخذت تقلب
بملقعة صغيرة ، ثم مدت يدها المرتجفة إلى الرجل بفنجان
الشاي ، فأخذ يحبس يدهم الكمك والفطير والربي

في أمر زواجه من ابنتنا وليس فينا جميعًا من يستقد
أن هذا القزم الجبان أهل للزواج ؟ وقد خيل إلينا
لوهلة الأولى أن هذا الفتون هازل فيما يقول ، فإذا
بنا نراه جادًا كل الجدد . على أن هذا لم يحمل قط
دون اعتبارنا كل قول في هذا الصدد هراء في هراء
وكل بحث فيه من باب التندر كأكثر الأحاديث
التي تتداولها الألسن

ويجب ألا أنسى أن أقول لك يا ولدي ساشا
إن أوجستا استسجعت إيليا إيليا نوقتش ، وكرهته
للهلة الأولى التي وقفت فيها عليه حينها ، وكانت
تأفف حتى من ذكر اسمه ، أو الجلوس معه على
السفرة ، وكثيرًا ما كانت تقول لنا عندما كان يذكر
اسمه في أحاديثها عرمانًا : « أنا لا أفهم كيف
تستطيعون أن تحتملوا هذا المافون الواشي فيما بينكم
باسم الصداقة أو الصداقة » وكان هذا السخيف لا يفتأ
يقول : « لن أبقي معكم إلا ردحًا من الزمن يسيرًا
وأعزل بعده الحياة وأعيش حرًا طليقًا سيديًا عن
اللدابة والرياء والترف » . فكنا نقابل هذا الوحيد
السعيد بصاسفة من الضحك لأنه على الرغم من أن
تفض اليهود والنكت بالوعود والمخالفات على شقي
أنواعها ، كانت تبليه باضطراب الخاطر وانحلال
القوى ، فانه لم يف قط بوعده فراقنا والتحول
عن دارنا

فقلت لها : وكيف سنتم بمشروع الزواج ؟
قالت المجوز : أي زواج ؟ آه . تذكرت .
دعوانه يومًا إلى حضرة والدهما فقال له :
— نحن نعلم بإيليا إيليا نوقتش أن كل شخص

ومروحات أحلامه ، وبعد أسبوع ذاق خلاله هذا
البائس المحزون من صنوف الألم وقسور العذاب
ما صهر جسده الرأى وأذاب جسمه النهوك ، وقع
للقدر ونفذ الحذور وأسلم صاحبنا الروح . ومن
المنجى العاجب أنه لم يسأل عنه أثناء مرضه أحد .

وسرنا جميعاً وراء نعشه في موكب مهيب . وإننى في
غنى عن إخبارك بأن أوجستا كانت الوحيدة التى
مشت في جنازته خاشعة مطرقة بكل ما فى الخشوع
والاطراق من معنى ، وأنها ذرفت عندما أداروا جثمانه
الترى بضع قطرات من دمها السخين .

أما المجوز فقد طابت من دفنه وعلى وجهها
أماثر الحزن ، لاأسى عليه ، بل لأنها كانت تأنى أن
تظهر على وجهها دلائل السورور . وقد سمعتها تهمس
كمن يتحدث نفسه : إن موت رجل مثل إيليا إيليا
نوقش سريرة لقلوب من نكبوا بظلمته للشثومة
إن حياته ... محمد لطفي حمزة

بنهمة اللفجوج بنقمة الجوع والحرمات . فمجيئ للسانه
كيف لم غمده فلم يغه بعبارة سوى امتداح الماضى
وإطراره بعد أن كان يحمل عليه بالأسى حلة نكرام .
وبعد ساعة شعر إيليا إيليا نوقش بدوار وإعياء
فاتنذر من البقاء ورجاى أن أحبه إلى غرفته .
فبادرت المجوز قائلة :

— لا عليك يا ولدى . إذا كنت تشمر بدوار
فهل إلى غرفتى تفرق حتى تستريح فان فراشى كالا
يخنى عليك من أنظف الفرش . فنهض الرجل
منهالكا وقد استند إلى ذراع أوجستا التى تطوعت
بموتته فتبتمها وأنا موزع بين الدهر والتيرة
فسمعت إيليا يدمدم :

— لقد اسودت الدنيا فى عيني واحلوكلت
صرائها ، ولم أعد أسمع ولم أعد أرى ، وما بلغ العرقه
المنمورة بأكراد القمر وأضوائه حتى خلع ثيابه ومهرع
إلى السرير وردد فيه محرور الجسم منهوك القوى ..
ولم يغم منه بعد ذاك

وفي الصباح استشررت المجوز فى استقدام
الطبيب فألحت على " فى الاسراع بإسمافه . فدموت
طبياًك روسيا مسنا كان يقطن على مقربة من البيت
فلما عدناه وجدناه نائماً وراء كلته ، متعلّ بلعاف
المجوز حتى الرأس وطرح عليه الطبيب بعض
الأسئلة فلم يكن ليرد إلا بلا أو بنم ، وكانت المجوز
تروح ويحيى حيال السرير مكتئبة النفس محزونة
الفؤاد . فقال الطبيب : حى وافدة ، ذاء اللوسم .
لا خوف عليه ، ووصف له جرعة دبرشاماً ونهاه
عن الطعام

وكانت حالته تزداد سوءاً يوماً بعد يوم ، وقلما
اغتمضت عيناه فى لياليه السود لطوارق أوهامه

رفائيل

لشاعر الحب والجمال لامرئين ..

مترجمة بقلم

أحمد حسن الزيات

تطلب من لجنة التأليف والترجمة والنشر

ومن : إدارة « الرسالة »

التمن ١٢ قرشاً

مَسَاهِدُ مُجَالِ عَرَفِينِ

فَلْيَسُوفَ الْمُنْدُوبُ شَاعِرًا - الْمَجْرُورُ
بَلَّالًا لَا تَنْزِيحَ سَبْدًا كَيْلَ حِجَابِ

بجراه، ووضعت الفتاة بطنها في الماء وطفقت
تنظر إليهما ينظر حائر، ولم يكن اهتمامها
بالصادين أقل من اهتمامها بطنها وخونها
من أن تطيرا. كان لجمال هذه الفتاة القروية
روعة غريبة كأنها نحتت في معمل
ويشفا كراما (وهو المثال الرياني في التبولوجيا
الهندية) وكان الانسان لا يستطيع أن يقدر مقدار
عمرها لأنها جمعت بين جسم المرأة ووجه الأطفال
بشكل لم ير في غيرها، وبظهر أنها كانت تجهل
أنها على عتبة الشباب

ليث كنتي لحظة دون حراك كالسحور، وما كان
يتصور أن يجد مثل هذا الوجه في مكان مثل هذا
وقد زادهما المنظر الطبيعي جمالا لن يلبثه في القصور
لأن الزهرة البديعة تقفنا وهي على شجرتها أكثر
مما لو كانت في إناء من ذهب. وفي ذاك اليوم كان
القصبة مزعرا غرض السنايل من ندى الخريف،
وكانت السنايل تتلأأ وهي غضلة من قطر لندى تحت
أشعة شمس الصباح وقد حف هذا المنظر وجه فتاتنا
النضر الفتان حتى ظهر ساحرا لكنتي كأن صورة أخذت
وقد فات كاليدوس أن يضي ملكة حبال سيما
هابطة في بعض الأحيان للجنج الشاب حاملة فوق
صدرها بطنين صغيرين

وحينما لحث الفتاة كنتي ارتعدت رعبا وانقضت
على بطنها متهددة وغادرت الشاطئ ثم اختفت في
خيلة قصب هندي (بمبو)

وقد شاهد كنتي أحد رجاله يصوب بندقيته
إلى البطنين فاقض عليه ونزع سلاحه ولطمه لطمه
قوية. وقد انتهى الزاح على الشاطئ. وعاد كنتي
لينظف بندقيته

كان كتنشدرا لا يزال في عنفوان شبابه حينما
تقد زوجته، ولم تحده نفسه بالبحث عن عقيلة
جديدة، وانقطع لنفس الوحوش وصيد الطيور،
وكان عظيم القامة مشحوها، نشطا خفيف الحركة
حاد البصر ماهر في الرماية

ارتدى يوما ثياب الريف واسططب هيراسنخ
المضارع وشكتلال وخان صاحب الوسيق وميان
صاحب وكثيرا غيرهم
وفي شهر أجراها يانا ذهب كنتي إلى الصيد
في مستنقعات تيديجي بصحبة نفر ممن يحسنون
الرماية. ركب الصائدون وحاشيتهم وخدمهم
الكثيرون المكافون بلاء أحواض الاستحمام سلسلة
طويلة من القوارب. وقد قالت نساء القرية إنه لم
تتمكن واحدة منهن من الاستحمام أو حمل الماء إلى
دورهن طوال النهار لأن فرقة البنادق عكرت
سفو الأرض والأمواج، كما أن الموسيقىين لم
يستطيعوا النوم ليلة واحدة

وفي ذات صباح كان كنتي جالسا في مركبه
ينظف بندقيته المفضلة، وعلى حين غفلة أصابته رعدة
عند سماع صوت البط البري الذي لم يسمعه قط،
فرغ عينيه ولمح فتاة قروية تقترب من الشاطئ،
وقد ضمت إلى صدرها بطنين صغيرين، وكان التقدير
في هذا الوقت جافا تقريبا لأن الحشائش سدت

واللطف المشرقين على وجه الفتاة القروية . ثم حياه كتنى وقال له : « أيسمح لي سيدى بقليل من الماء فاقى شديداً الماش ؟ » فقال له الرجل بكل لطف وترحاب وأجلسه على اللقمة ثم هرج على المنزل وخرج ويده مريئة من النحاس وبها أصناف من الكمك وقدر كبير من البرز وبه ماء .

وحينا أكل وشرب وجامته البرهمنى أن يعرفه بنفسه فرفعه بإسمه واسم أبيه وعنوانه ، ثم قال عند انصرافه : « إننى أكون مسروراً جداً إذا استطعت أن أؤدى خدمة لسيدى » .

— إننى لا أسألك أية خدمة . أجب فإنى بارحى . « ولكن ما يشغلنى الآن » .

— وما هو ؟

إن الأمر يتعلق بابنتى التى شئت (فتبسم كتنى حينما فكر فى الوجه المصياى الذى شاهده) ولم أجد لها إلى الآن بلا كفواً ؛ وإن حصلت على هذه الأمانة أكون قد أويت دبنى أجمة للمسلم . إننى لا أعرف فى هذه البلاد حزبا ملائما ولا أستطيع أن أترك وظيفتى لأذهب للبحث عن زوج مناسب . — إنك يا سيدى إن استطعت أن تزورنى

فى سفينتى فانا نستطيع أن نتكلم فى شأن زواج ابنتك » ثم حياه كتنى ثانية وانصرف وقد كان بعض أتباعه الاستفسار عن هذه الأسرة فلم يجد إلا ثناء عاماً على جمالها وقضائهما .

وفى اللند حينما حضر البرهمنى لرد زيارة كتنى حياه أعظم فحبة ثم طلب يد ابنته ، فدهش البرهمنى لهذه السعادة التى كان يعلم بها — لأن كتنى فضلاً عن أنه من أسرة برهمنية عريقة فى النسب فانه ملك ثروة ضخمة — وطن الرجل أنه فى سلم فأعاد القول كالآلة : « أريد أن تزوج ابنتى ؟ »

— إذا تنازلت بالقبول

— أتتكلم عن صدقى ؟

ولقد جره حب التطلع إلى خيلة القصب الهندى التى اختفت فيها الفتاة فر عليها وتمداهما إلى أن قادمة قدماه إلى فناء بيت ميسور الحال ، ترى فى اليمينه مخازن الللال وفى اليسرة حظيرة نظيفة للبقر وفى طرفها خيلة من البنيق . وكانت الفتاة التى يبحث عنها جالسة وسط هذه الخيلة والدهع يتحدر من مآقيها ، وكانت تحاول أن تمتص من طرف ثوبها المبلل بعض قطرات فى مقدار بطلة جريئة . وكان بجانبها ستور رمادى اللون متكىء برجليه الأمانيتين على ركبتها ، وكان ينظر بهم إلى الطير من وقت لآخر حينما يقترب القط منه فدفعه بلطمة على خطمه كإذار منها .

وهذه الصورة الفتاة التى تظهر وسط النهار فى جو هادىء من فناء مزينة قد انطبعت فى قلب كتنى . وكانت اللعب التبادل بين الضوء والظل يعكس سوراً مرششة فوق ثوب الفتاة ، وعلى كسب بقرة تجتر وتدود عنها الباب بحركة بطيئة من رأسها أو من ذنبها بينما تهب ريح الشمال وتخلط صوتها الذى يشه خريف الماء بجفيف أوراق القصب الهندى .

وكان الفتاة التى حضرت فى الفجر إلى شاطئ النهر ملكة اللذابة وقد أظهرت الاهتمام بملكة البيت ، وقد أحس كتنى بأنه أشبه بلص فوجىء ويدها غضبتان بالدماء . وعلى حين غفلة سمع من البيت صوتاً ينادى : صدق (معناها بالبرية الرحيق الوجود فى بعض الأزهار) فهبت الفتاة فجأة وأمسكت يديها ودخلت مهرولة . فاعجب كتنى بهذا الاسم الطريف رجع كتنى إلى السفينة وأعطى بندقيته إلى رجلاه ثم ذهب إلى باب الممار الأصلي فوجد برهمنى فى منتصف الممر بوجه وديع وذقن معلومة جالساً فوق مقعد داخل البيت وهو يقرأ فى كتاب صلوات . وقد لاحظ كتنى فى ملاحظه المحبوبة الفكرة الطيبة

— بكل تأكيد

— ألا ترغب قبل كل شيء أن تراها وتحدّثها؟

فتظاهر كتنّي أنّه لا يعرفها وقال بكل بساطة :

— سنتنظر كشف الوجه في حفلة العرس ...

فأجابه الشيخ البرهمي بصوت متهدج من التأثر :

— إن ابنتي صدقني لمي في الحقيقة طيبة عارفة

بشؤون البيت ، وبما أنك قبلتها بكرم عظيم فهي

لا تسبب لك يوماً ما غل الأسف والتندم ! وهذه

أمانى أمهرضها عليك وأنا أباركك

وقد حدد الزواج في (ماغ) وأظهر كتنّي رغبته

في عدم تأجيله . وقد استعاروا للحفلة بيت مازومدار

البنّي بالأجر ، وفي الوقت المناسب حضر الخاطب

متمطياً فيله في موكب عظيم من الوسيقيين والأنباغ

يحملون في أيديهم المشاعل ثم ابتدأت الحفلة

وحينما نزع العروسان القناع الأحمر الثاني لآلام

شماثر كشف الوجه فقرس كتنّي في وجه عروسه

المتحجّ الناض الطرف ورأسها مكال بتاج الزفاف

وفوقه بحينة السندل ولم يستطع أن يعرف القروية

التي ما فتى شكها منطبقاً في ذهنه ، فتأثر وظن أن

ضباباً كثيفاً حال دون تحقيق منظوره

وبعد انتهاء الحفلة اجتمعت النساء في غرفة

العروس ... ذهبت عجوز منهن قائلة لكنّي هيا

اكتشف قناع عريسك . ولما نزع قناعها وجدها غير

التي كان يهدها ، فتهمغر بسرعة وكاد يمين من

الغضب والغيظ ، وظهر ضوء المصاييح أمام عينيه

ضليلاً وتصور أن الظلمات أغارت بظلالها على وجه

العروس ...

وأثارت نفسه ضد حبه وظن أنّه بدل العروس

بأختها . ولكنه بعد التأمل والتفكير تذكر أنّه لم يره

أية واحدة منهما وأن الخطأ واقع عليه نفسه ، وفضل

أن يمتنّ حاتمته وأخذ مجلسه متظاهراً بالسكون

والدعة . ولو استطاع أن يبلغ السمع لما تمكن من

إسعاد طمعه . لم يتحمل فرح هذه الجموع ولهموم ،

وكان يتمنى أن يتمتع بهذا السرور هو وجميع العالم

لمح على حين غفلة أن زوجه اقشمرت وكطمت

صرخة ، ثم شاهد أرنباً هارباً اصطدم برجل

عروسه وظهرت وراثة الفتاة التي شاهدها في

الشاطئ ، ثم أخذت أرنباها وطفقت تلاتفه بالسح

وهو فوق ذراعها وتتمتم له بتودد وعطف

صاح النساء قائلات : هاهي ذي البريئة . وأشرون

إليها بترك الترفة ، ولكنها لم تظهر عليها شيء وجلست

بدون اهتمام أمام العروسين وظلت تطيل فيهما النظر

بتطلع صياني . ثم هبت خادم وأمسكت بذراعها

لتبمدها عن هذه الترفة فاعترض كتنّي بشدة وصاح

فيها : « دعها وشأنها »

— « ما اسمك ؟ » فاهتمت الفتاة ذات اليمين وذات

اليسار ولم تجيب بكلمة . فأغرقت النساء في الضحك

عذ كتنّي إلى سؤاله : « هل كبرت بطنك ؟ »

فاستمرت الفتاة في عدم اهتمامها

ولما لم يس كتنّي من إجابتها سألهما بكل لطف

وعطف عن أخبار بطنها الجريحمة فاشتدت القهقهة

من الجميع وعددن ذلك نكتة مسلية

وانتهى الأمر بأن علم كتنّي أن تلك الفتاة

سماه بكاء ولا أنيس لها غير طيور القروية وحوياتها.

وكان من سبيل الاتفاق أن الفتاة ظهر عليها أن

تلي نداء من كانت تتادى صدحي .

فمك كتنّي تأثر جديد وعرف أن السيار الذي

أخفى عنه ضوء النهار قد أنزاح فتتنفس الصداة

كما أنه تخلص من كابوس وفر من مصيبة .

ثم نظر ثانية إلى عروسه ففرغ أخيراً حقيقة

المشاهدة لوجه العروس ، وتسلطت الأشمة الصادرة

من قلبه وأضواء المصاييح على وجه قريبته فتجلى

جماله الوضاء وتحقق أن بركة نايان قد أنمرت وأنت

باعتظم نتيجة .

تبرئين نفسك من الكذب بإسراءك فيه
— ماذا مما قلته كذباً ؟

— هل نسيت يا مزيق أنك كنت
قصصت على حادثة الخاتم الضائع قبل الآن
مجردة من هذا التزييق المسرعي ؟
وهنا تتخاذل فأهد قليلاً وتجاوب

زوجها في إخلاص :

— أقسم لك أن الحادثة كما قصصتها عليك ،
وإن كنت حين سردتها مرة أخرى قد اختلفت
شيئاً يسيراً فذاك مالا أرى منه بداً . وهل يستطيع
سرد حادثة دون تمويرها ؟

— نعم يستطيع

— وهل يمكن التحدث بمحدث دون أن يتخلله
كذب مطلقاً ؟

— نعم يمكن

— لا يمكن

— إنه ممكن من غير شك

وكذلك يتجمع الخلاف بين هذين الزوجين
ويدور الجدال حول هذا المحور وحده ، فينكر كل
منهما على صاحبه رأيه كلما بدرت بإدرة : وبينما هما
في نقاشهما — ذات يوم — اقترحت السيدة ناهد
على زوجها المحتمم في إثبات رأيه هذا الاقتراح :

— إلى أمهتك بأنى لن أ كذب بعد اليوم ،
ولكن وقأني بهذا العهد مرتبط بقبولك لما أشرت به
عليك ، وذلك أن تأخذ على نفسك ألا تكذب يوماً
واحداً مهما تكن الظروف

— أجل ، لك ما اشترطت

— على ألا تكذب فيه ولو اقتضته منك الحاجة
وتطلبه الأدب ، وألحى به عليك المواعى القاسرة

يَوْمًا وَلَحْدًا لِّلْخَيْبَةِ

مَرْجِعُكُمْ عَنِ الرَّيْثَانِيَّةِ
بِقَوْلِ الْأَرْبَعِ عَشَرَ لِّلْطَوِيلِ فِي السُّنَّةِ

كان الوراق التام سائداً بين « سرمد بك »
وبين زوجته السيدة « ناهد » ؛ وكانت حياتهما
صفواً كلياً إذا استثنينا أسراً واحداً كان لا يروق
السيد في زوجه الممزقة طالما حدثته نفسه بإعتراضها
فيه ويحملها على الكف عنه ، ألا وهو الكذب !!
إذ أن السيدة ناهد كانت ككثير من بنات جنسها
لا ترى بداً من تجسيم الحقائق وتوشيتها كما يشاء
خيالها ، وإذا ما أنصفناها أمكننا القول بأنها لم تكن
مفرقة فيه ، بل كانت طبيعتها تجنح بها إلى القليل
منه ، ونفى أن كذبها لم يكن متطوياً على مضرة ؟
أما زوجاً فقد كان على العكس منها لا يرضى في
أسر من أموره أن يتخلله نصيب من هذا الخيال .
فهو يسره جد السرور أن تسرد الوقائع وتذكر
الأشياء كما هي ، ولكن هذا لم يكن ليحمله يوماً
على تمنيف زوجه ، بل كان يكتفى — إذا ضاق به
صدره — أن يقول لها :

— ناهد ، أرجو ألا تكذبي وأنت طالة مقدار
ينفض لهذه الطريقة الكربة عندي

فتأخذ ناهد في الدفاع عن نفسها حينئذ في لغة
معتمة ، غير أن الطبيعة القلابة تسلك بها سبيل
الكذب فتنتظم أغانين منه مثبتة أنها ليست بكاذبة ،
فيمسج زوجها ويحين جنونه سائحاً :

ها هو ذا !! ما زلت تكذبين . ومن العجب أنك
ترجعت هذه الأتمصرة عن الكاتب التري ارجند أكرم

نسى الرجل حديثه مع زوجته وفرغت ذاكرته من كل ما دار بينهما
غربت شمس يوم الثلاثاء وأقبل مساء اليوم
التالي يحمل لسرمد بك عن غفلة، ولم يكن السكين
يدري أن اليوم للموعود هو يوم الأربعاء ذو التاريخ
القديم .

في مساء ذلك اليوم كان « نرى بك » أحد
أسدقائه الأفرين قد دعاه إلى طعام المشاء ؛ وكان
نرى بك تاجر تبغ قد أحب فتاة تدعى « شكوفة »
تشغل عنده في محل تجارته على الآلة الكاتبة ، ولم
يلت حتى اتخذ لنفسه منها خلية ، وما كان إلا أن
نما الحب بينهما واشتد حتى أثمر رأيا جديداً في نفس
نرى بك وهو أن يتخذ شكوفة زوجاً له

راقت له هذه الفكرة وأخذ الحب يزداد بين
الحبيبين حتى زالت الركابة واعت دواى التكلف
وإانت نفس شكوفة وانكشفت عما كانت تغطوي
عليه من نقص في الثرية وثلة في القوي ، وبدأ منها
ما يتناقى مع أصول العشرة ، وتضاد أمامه رأيه
في الزواج بشكوفة ولم يمد في نفسه شيء من ذلك .
وكان من جراء ما استقر عليه فكره أخيراً أن

تجافيا ثم افتراقا . انقضت أيام وقد ضرب المجر
بينهما حجاب وأخذ يشغل كامل الفتاة حتى نأت به
وسمعت عن أحبابه بما أصابها من العجز وفافت
من المرارة ، فرجست إلى خليلها مستسلمة خاضعة
غير مشترطة عليه شرطاً ولا متخذة عنده عهداً .

وكانت هذه المصالحة سبباً في إقامة اللأبة التي دعى
إليها سرمد بك إذ كان على علم بتفاصيل روايتها .
ولما كان نرى بك شديد الإلحاح في دعوه لسرمد
إذ قال له :

— لك ما شئت
— وألا تحاول تصوير الحديث ، ولا الطفرة
من موضوع إلى ما لا علاقة به ، وألا تنفصل
بالسكوت حين يجب الجواب عما تسأل عنه
— ليكن لك ما أردت
— ولا تكون في ذلك اليوم صادقاً لي غصب
بل للناس جميعاً !
— سأكون كذلك



— حسن جداً ، وإذن سأعرض أنا من
الكذب ! وأكبح نفسى عن الأخذ بهما تكن
الحال ، وانقضت الظروف . غير أنى أطلب منك
أن تخولى حق تعيين هذا اليوم وسيكون في أسبوعنا
هذا إن شاء الله !

أدت بسرمد بك عزيمته أن يقبل كل اقتراحات
زوجته غافلاً عن تدبر متبتها وتبين حقيقتها ، وراح
يشتم بضميره ويحلف بشرفه أن سير بوعده ويوفى
بوعده ، غير أنه لم يحض يومان على أثر ذلك حتى

قليلا في مساءه . وفي صباح هذا اليوم على إثر شربه
الشاي نهض وليس ثيابه ، وما كاد يتناول عصاه
وقيته حتى وقفت له السيدة ناهد بالباب تقول :
— أريد منك اليوم أن تبر بوعدي الذي
وعدتني به .

فلم يفهم - لهذه المفاجأة - ما يريد ، ولما سألتها :
— وما هو هذا الوعد ؟
— وعدي الذي قطعت على نفسي ألا تكذب

قط في يوم قد خولتني حتى تسينه
فأجابها وقد اعتره شيء من الارتباك :
— أجل ، سأفعل
— ستأخر الليلة قليلا . أليس كذلك ؟
— بلى

— هل ذلك لأنك في المكتب من الأعمال
ما يشغلك وبحول بيتك وبين البادية ؟
ابتلع ريقه ثم قال :
— لا ، بل لأن نرى دنانير المشاء

— هل ستتمشيان أنا الاثنين غصب ؟
ابتلع ريقه مرة أخرى وكأنه مقبل على مورد
الروت الأحمر

— ستكون شكوفة أيضا معنا
وكانت السيدة ناهد تعرف شيئا من علاقة
شكوفة بنرى لأن زوجها كان أنابها بحجبرها ، إلا أنه
غير لها الأمر وسور تلك العلاقة في صورة مشروعة
وأن نرى يرغب في الزواج من شكوفة . ثم لم يلبث
أن أخبرها بدول نرى عن الزواج بها بسد أن
شاهد فيها من الطيش والفرق ما جعله يزهد فيها
ويرغب عنها

— أناشدك الله أن تحيىء . واذكر أن شكوفة
تطلب حضورك حيا وقد أخبرتني أنها ربما لا تحضر
بمفردها .

— من سيكون هناك إذا ؟
— قد ذكرت أن لها صديقة بهية الطلعة واثمة
الجمال ستحيىء بها إن هي تمكنت من إقناعها . وكان
سرمد بك قد استثمر غمزا في كلام صاحبه فلم يجد
بنا من مراضته بقوله :

— يا عزيزي إنكما ستجلبان وتمرحان في صفو
هواكما ولا أحب في وجودي ممكا تمكيرا لهذا
الصفو . فأجابه نرى بك في مزاح يشوبه بعض الجد :
— أرجو ألا تكلف نفسك مشقة اللداورة
وأن تمنعها من هذه المألجة فإن شكوفة قد حدثتني
بكل شيء وأنتك - قبل الذي كان بيني وبينها -
كنت تنافسها وتطير حولها كالفرش - ومن يدري
لعل الهوى قد جمح بك في هذا الضمار أكثر مما
علمت .

— لقد أشققت أن يجمع بي الهوى فجمع بك
الظن إلى حد القصة ، وكان الأولى أن تسمو بمحبتك
وظنك من الاسفاف يائري .

— إن أقصى ما كان بيني وبينها أنى قبلها
وربت على خدوها وأومئت بشعرها . كان سرمد بك -
بدوامي أعماله - يتأخر أحيانا عند اللودة مساء إلى
بيته ، وكانت زوجته قد ألفت منه هذه الحال منذ
سنتين فلا تجد نفسها في حاجة إلى سؤاله عن السبب ،
ولا يجد هو داعيا لتلطيل تأخره ؛ غير أنه كان يكتفي
بإخبارها قبل هذا لثلا تنتظره في طعام المشاء .
وكذلك أخبرها قبل يوم الأربعاء بمزمه على التأخر

- وهل اصطالحا ؟
 الضمير موصوم بدم الشرف فأذهب ...
 — حذار يا ناهد ...
 — ألم تكن لك بهذه البنت علاقة ؟
 — كان هناك شيء قليل في الأيام الخالية !
 وبعد ما أخذ نومي يتجيب إليها كفتت فيها ولم
 يمد الآن يني وبينها علاقة ما .
 — إلى أي مدى بلغت رابلتكا ؟
 — أناشدك الله أن تكفني لأن ذلك يؤخرني
 عن عملي .
 — بربك قل الحق . هل أنت ترتبك لأنك
 قد تتأخر عن عملك ؟
 — لا ، بل لأن أسئلتك تضجرنى !
 — إذن ، قل لي وحدتي حتى تنهي إلى أي
 مدى بلغت معها ؟
 نبي جيده وقد تبيت نفسه واستولى عليه الملل
 ولكنه استمسك وقال :
 — كنت أحب بشعرها وأعانتها وأقبلها ،
 هذا كل ما هنالك .
 وكان حينئذ قد وضع قبضته على رأسه ومد يده
 إلى مزلاج الباب ولم يكذب بجره حتى قبضت زوجته
 على معصمه ، وراحتاها تلتهان كالنار وأظافرها
 الزهرقة تكاد تخترق حموقه وهي تقول : ...
 — لي سؤال أيضا . هل تجيء هناك امرأة
 أخرى هذا شكوة هذا الساء
 — لا أعلم . ولكن على ما قيل لي ربما تجيء !
 — ولن تجيء هذه ؟
 — لا أعلم لي بهذا . وربما كانت من أجلي
 ولكن أقسم لك أن ...
 — نعم
 وكان يحدق في الباب عساه يصادف فيه فرجة
 يستطيع أن يتسلل منها .
 — رويدك لا تستعجل . فإن أسئلتني لم تكن
 هل شكوة هذه كانت خطية انزى ؟
 — لا ...
 — فإذا كانت له إذن ؟
 وهنا ثارت ثورة سرمد :
 — إعلمي أنه ليس لنا أن نسبر أسرار الناس
 ولا سيما إذا كانت من هذا النوع الذي تنوصين فيه
 — لا تنس أنك وعدتني وعدا وفيا بأنك
 لا تكذب مهما تكن الظروف أو تقض الجمالة
 والأدب أو تلج عليك للهواحي ، وأنت إذا ما سئلت
 عن أمر لا تحققي ما تملبه عنه ، وأنت لا تحاول تحوير
 الحديث أو الطفرة فيه أو الانتقال منه أو التئصل
 بالسكوت حين يجب الجواب عما تسأل عنه . واذكر
 أنك أقسمت بضميرك وشرفك على الوفاء بكل هذا ،
 فأنت اليوم رهينة الوعد فلا حول لك ولا قوة .
 وهنا شمر سرمد بك بسقم الهوة التي هبط
 إليها وأسقط في يده فراخته نكبته ، وباعدت ما بينه
 وبين اطمئناؤه عنه .
 — هلا قلت ماذا كانت له إذن ؟
 — كانت خليلته !
 — من ذا الذي أعزها حتى زلت قدمها ؟
 — أف ! دعيني أذهب .
 — إذا كان يرضيك أن تذهب وأنت مسلوب

— تملكني الفواجس
— وهل هذا من شئون الأسرة ؟
— نعم ، ولكن أرجوك ألا تسألني سؤالاً
آخر وأن تتركني أذهب لكأن
— أستودعك الله

ترك صاحبه ، وصاحبه ينظر إليه من خلفه
وقد تملكه العجب وهو يسائل نفسه :
— ما باله قد تغيرت أخلاقه وتكرت حاله !!
— (ه قد أصبح وحاً !! وأيما وقاحة !!

لم يكده سمرد بك ينزل من الترام حتى واجهه
خاله الهرم ، وقد فاض قلب الشيخ شوقاً إلى ابن
أخته فتقاه بمحمان عظيم وأخذ يسأله في لهف :

— أهيأ أنت يا سمرد ؟؟ كيف حالك يا بني ؟
لماذا لم يجيئوا لزيارتنا ؟؟

— لا أعلم !! وما أنت ذا ترى أننا لم نجى !!
— وهل هناك ما يجوز بينك وبين هذا يا بني ؟
— لا

دهش الشيخ :
— أقول لا ؟ كيف ؟! كأنه لم يستفرك الشوق
إلى رؤية خاله أيضاً ؟؟

رفع سمرد صاحبه وهو يقول :
— لم يستفرك الشوق !
بهت الرجل وقال « وهو يصرخ من فرط
غضبه » :

— يا وقع . يا عديم الأدب . ألم تستح حين
تقول هذا الكلام الرذل الثقيل مواجهاً به خالك
الشيخ ؟

وكان الرجل آتئذ يبتش الأرض بمصاه وهو
يبتعد غاضباً مرتمساً

— لا أرى ضرورة للبين إذ قد سبق وأقسمت .
على أنني مؤمنة بكل ما تقول لعل أنك رجل أخو
ضمير وفو شرف !



— والآن من يعلم ماذا يساورك من الظنون ؟
إن هذه الأمور مع كونها عادية قد أحدثت فيك
من الانفصال مالا أستطيع تكييفه ...
فاطمته زوجه قائلة :

— حببك .. حببك ! .. لقد بلغت غاية
تستطيع معها أن تذهب !

خرج سمرد بك وكان مثله حينئذ كمثل من
نجما من تنكيل عا كم الارهاب في القرون الوسطى
وقد وصل إلى الشارع وهو لا يدري ماذا كان يريد
أن يعمل ، ثم بدا له أن يركب الترام . ولم يكده يقف
لانتظاره حتى تأبط ذراعه أحد أسدقائه القدماء
يسأله :

— كيف أنت يا عزيزي سمرد ؟

— لست طيباً !!

— لا بأس عليك ؟ هل أنت مريض ؟؟

— لا ...

— إذن ، ماذا بك ؟

جري سرمد في طلب خاله وهو يحاول الاستفغار — عندي
 مما بدر منه بقوله : — وهل بكم حاجة إلى هذا البائع مدة يومين
 — لا تؤاخذني يا خال ، لقد جئني على ما رأيت أو ثلاثة أيام ؟
 أنفي أقسمت ألا أقول إلا صدقا ! — لا
 فوقع هذا الكلام من نفس الرجل موقع الحطب — شكراً . انني سأعيده على أثر اليوم الثالث
 من النار وكان في نظره على حد المثل القائل : « عذر — أعلن أنك تقرضني خمسين جنياً ؟ أليس كذلك ؟
 أقبح من ذنب » — كلا ، أبداً !!
 ولما لم يكده سرمد يتم احتفاره حتى دار الرجل — لماذا ؟ (وكان هذا الاستفهام بصوت يشبه
 بنظره حوله وهو يشير إليه : (الصراخ)

— إنني لست
 مطمئناً إلى أنك تعيد
 هذا البائع
 أجاه صاحبه
 بصوت أشد من
 سابقه وقد غلبه
 الغضب وتلكه
 السخط :



أنظروا إلي عديم
 الأدب . هذا مازال
 يؤكد لي وقاحته
 ويزعم أنه كان
 يصدقني حديثه ..
 لا تقرب بعد هذا
 اليوم بابي ولا أريد
 منك أن تحضر
 جنازتي

— يا عزيزي ، إنك تستطيع ألا تقرضني ذلك
 ذلك ، ولكن ليس لك أن تعتدي على كرامتي
 وتهينني على غرار ما يفعل السفلة ومن لا خلق لهم
 — مصادرة . إنني أخذت اليوم على نفسي
 ألا أكذب فلذلك ...

وهو الشيخ لا يلوي على شيء
 وصل سرمد إلى مكتبه وقد مسه نسب ناه
 بإحاطة فأدفعه إزهاقاً ولم يكده بنفس الصمداء حتى
 سمع دق التليفون

أقبل التليفون وبعد قليل دخل الكاتب على
 سرمد بك في حجرة قاتلا :

— أو ... أو ...
 — سرمد بك ؟؟
 — نعم . فني أنت ؟؟

— جاء الشهد ياسيدي البك فهل تأذن لي أن
 أماطه ؟

— أنا (ناهي) بحث عنكم بضع ساعات فلم
 أجدهم . اسمع ... لي عندكم رجاء خاص

— كيف ؟
 — أقول له إنك ذهبت إلى أقرة .
 — لا يجوز اليوم أن تكذب .

— تفضل وقل
 — هل لديك خمسون جنياً ؟؟

— أى زوجتي المريضة ، لقد بان لي بجلاء
لا يقبل الشك أن الحق كان بجانبك وأنه يتصور كل
التصور بل يستحيل على الانسان أن يتم أمراً
خطيراً كان أو حقيراً دون أن يشوبه الكذب .
لا الصداقة ، ولا مصالح الأسرة ، حتى ولا المشرقة
ولا التجارة ، يمكن الانسان أن يفتضح فيها دون أن
يفتقر إلى الكذب !!

هأنذا أعذك ألا أعترض عليك فيما أنت منه
بسبيل ، وأسألك أن تصفحني ، ومع ما تلمع
بما طمعت عليه من حب الصدق فك منى أن تنفى
عن نفسك ذلك القيد وتكذبي ما شئت أن تكذبي !
عبد اللطيف أحمد

مؤلفات

الأستاذ محمد كامل حجاج

- ٤٠ بلاغة النرب جزءان (مختارات من صفوة
الأدب الفرنسي والانكليزي والألماني
والإيطالي مع تراجم الشعراء والكتاب)
٢٠ خواطر الخيال وإملاء الوجدان (مقترقات
في الأدب والنقد والفلسفة والموسيقى
والحيوان وبه روايتان تخيليتان)
١٨ نباتات الزينة المشبية (على بأحدى وتسعين
صورة فنية)
١٥ Les Plantes Herbacées (على بنفس
الصور السابقة)

الكتاب الأول والثاني في جيب للكتاب المعبرة
وكتب الزراعة تطلب من
شركة البذور المصرية بميدان ابراهيم باشا

— إذن يجب أن يعطى مثله للطلوب في حين
أنا لم نكلم منه شيئاً
— قل له ليس عندنا اليوم من النقد ما نستطيع
معه تسديد ما علينا .
— مهلاً يا سيدي البك ، ماذا نقول ؟ إن هذا
يرجى مركزنا رجا ويحدث في السوق المالى تأثيراً سيئاً
— ما الحيلة إذن ؟ إننا لا نستطيع اليوم أن
نكذب

لم يكذب الكاتب بخطو للخروج وهو يفكر
فيا أصاب البك اليوم حتى ناداه من وراءه ثم قال له :
— إستمع إلى ... إن أعصابي اليوم متوترة
جدا ولهذا أراى شديد الحاجة إلى تهدئة النفس
ونسكنها . فمن جاء يسأل عني قتل له : إني لست هنا .
— أصرح يا بك ...

— انتظر لا يناسب أن تقول ليس هنا خوف
أن أكون كاذباً ، قل له إنه لا يقابل أحداً
ولكنه استشعر خشوة هذا القول لأنه ليس
من اللائق أن يجيب ذاثره بهذه الجواب ، فسأل
الكاتب وقد ملكه الاضطراب واستولى عليه اليأس :
— ماذا يجب عمله الآن ؟ إن ... جزاها الله
شر الجزاء

أثنى الأوراق التي يديه على الأرض وهو خارج
وقد خُففت بأحداها قبضته وبالأخرى عصاه ، ولم
يلبث أن طفر من الثغرة إلى الخارج

كان المساء ، وإذا سرمد بك يتم بصوت خافت
مضمض وهو جاث على ركبتيه مطرق الرأس أمام
زوجته يقول :

المنفى

عن الإنجيل لفرقة
عالم الأستاذ عبد اللطيف الشار

منزله في حديقة البرتقال . ولما دخلنا
الزلزل الملة شرقاً على البحر خرج لاستقبالنا
رجل طويل القامة طويل الحجة . وبعد أن
سالت عليه طلبت أن يقبل ضيافتي ، فد إلى
يده وقال وهو يتسّم : « تفعل أيها السيد
أنت هنا في منزلك »

ثم قادني إلى غرفة خصصها لي . ووضع تحت
تصرف خادمًا . ورأيت من كرمه مادلني على حسن
تربيته . وقال وهو يتركني : « إننا سنتناول العشاء
في الطابق الأرضي بعد أن تسترخ وتغير ثيابك »
وتمشينا في غرفة تطل على البحر . وتكلمت
عن هذه الجهة الجميلة الثانية الفنية . فقال لي : « نم
هي جميلة غنية . ولكن لا يمكن أن يسر الانسان
في بلادهما كان جمالها وغناها ما دامت بعيدة من
وطنه الذي يحبه »

قلت : « أنت آسف على مفارقتك فرنسا ؟ »

فقال : « إنني آسف على مفارقتي باريس »

قلت : « إذن فلماذا لا تعود ؟ »

فقال : « إنني سأعود »

ثم أخذنا نتحدث عن باريس وعن شوارعها
الواسعة الطويلة . وكان كلامه عنها كلام من يعرفها
حق المعرفة . وذكر لي عدة أسماء لا ينساها من
زار الأحياء التي فيها مسارح الفودفيل في باريس
قال : « من الدين يقابلهم الانسان في تورينى
الآن ؟ »

قلت : « هم الذين كانوا فيها دائماً عددا من
مات منهم »

قلت ذلك ثم سكت فجاء لاني نظرت إليه نظرة
بشت في نفسي ذكرى . وأبدت أنني كنت رأيت
ولكن متى وأين ؟

وكان يبدو عليه التعب والحزن على الرغم من

لن أذكر اسم المكان ، ولن أذكر اسم بطل
القصة . أما الأول فهو بعيد جداً في جهة خصبة
حارة على شاطئ البحر . وقد كنا نسير بقرب ذلك
الشاطئ فترى عن يميننا مزارع القمح الخضراء وعن
يسارنا أمواج البحر التي تهتز تحت أشعة الشمس .
وكانت الأزاهير النضرة نابضة على حافة البحر مظلة على
مائه . وكان اليوم شديد الحر ولكن جوه زكي
العرف قد تشبع بروائح التربة الخصبة والأعشاب
والأزاهير والماء ، فكاننا كنا نستنشق مع الهواء
عير الحياة العطر

وقبل لنا إننا ستكون في المساء ضيوفاً على
رجيل فرنسي يقيم في وسط بستان البرتقال . ولم
أكن أعرف هذا الرجل ولا أعرف عنه سوى أنه
جاء إلى هذه الجهة منذ عشرة أعوام فاشترى أرضاً
واسعة جعل بعضها كرمه وبعضها ضرمعة برتقال
وسائرهما خصصه لزراعة القمح . وأقام من ذلك
العهد في أرضه يعمل كادحاً مجداً . وكان يزيد
نطاق أرضه اتساعاً كلما سر شهر أو عام فحصل على
ثروة واسعة همة لا تعرف الفتور

وكان جيرانه يقولون : إنه يستيقظ قبل الفجر
ويظل يعمل في حقله إلى مزيغ من الليل وجعل
نصب عينيه فكرة واحدة لا يمكن إرواء ظمئها ،
وهي فكرة الحصول على الثروة

وكانت الشمس قد غربت عندما وصلنا إلى

وكانت غرف النزل واسعة ولكنها تكاد تكون خالية من الأثاث وشكلها يدل على أنها لم تستعمل قط . وكان في إحدى هذه الغرف أوان وزجاجات خالية متروكة على الأرض . وقد علق على الحائط بندقيتان وقصبة لصيد السمك ، وبعض الفؤوس

وقد قال صاحب النزل وهو يربى هذه الأشياء للبعثرة : « أليس هذا النزل أشبه بسجون النفيين منه بالسكان ؟ »

وكنتم نحمل لو لم يقل ذلك أننى فى بعض الحوائث التى تباع بها السلع السمعة . وكان مما رأيته بين هذه السلع دوس شعر مما تستعمله السيدات لتثبيت التفتحات فوقفت أمامه وقد بدت على "علام الاستغراب، فوضعت مضيق يده على كتفى وقال : « إن هذا الدوس هو الشيء الوحيد الذى أحرص عليه فى هذا النزل — لا بل إن حرصى عليه يزيد عن حرصى على حياتى »

ففكرت لى أجد كلمة مناسبة أقولها فلم تسعنى المذاكرة إلا بقولى : « أظنك عانيت فى الحياة كثيراً بسبب امرأة » فقال : « إننى أعانى عالم يمانه أنسى إنسان . وإننى سأسألك عن اسم آخر ولكن إذا قلت لى إن صاحبه قد ماتت كما قلت لما سألتك عن استير فأتى سأقضى على حياتى فى هذا اليوم » ومضى فثبتت معه إلى غرفة أخرى وكانت الشمس قد غابت . ونظر إلى وقال : « هل جان دى لامور لا تزال على قيد الحياة ؟ »

قلت : « نعم والله » فقال : « وهل تعرفها ؟ » قلت : « نعم » فتردد لحظة ثم قال بلسان متلهم : « هل معرفتك لإماما إلى درجة تسقط التكلف ؟ » قلت : « لا » فقال : « حدثنى عنها »

قلت : « ولكن ليس عندي ما يستحق التحدث

علام القوة وسلاية العزم . وكانت لميته الطويلة متدلية إلى صدره . وكان يمسكها بيده أحياناً أثناء الكلام . وهو خفيف شعر الرأس غليظ الحاجبين كبير الشاربين وفي خديه يقع مملوء بالشعر ماحقة بلحيته

وكانت الشمس تقرب فيما وراء البحر الذى نطل عليه سحابة شامعا الذهبى إلى الشاطئ . وكان البرتقال الذهبى يمت رائحة قوية جداً فى جو هذا المساء

كان مضيقى لا ينظر إلا نحوى . وكان ينظر إلى "عمدوا" فى بصره . ثم وقع نظرى ونظره على صورة مملقة فى الحائط تمثل جهة فى شارع دروت فسألنى : « هل تعرف هذا الشارع ؟ »

قلت : نعم . فسألنى : « هل تعرف بوتريل ؟ »

قلت : « أعرفه حق المعرفة »

فقال : « هل تغير كثيراً ؟ »

قلت : « لا . بل لا يزال كما هو »

فقال : « وهل تعرف لاديدانى ؟ »

قلت : « وهذا أيضاً لم يزل كما كان »

فقال : « والنساء ؟ هل تعرفهن ؟ قل لى شيئاً عن سوزان فرز »

قلت : « إنها لا تزال كما كانت فى شرح الشباب »

فقال : « وصوفيا أستير ؟ »

قلت : « ماتت »

فقال : « مسكينة أستير .. هل .. هل تعرف .. »

ولكنه سكت فجأة وتغير لون وجهه وقال

بصوت غير صوته الأول : « كان خيراً ألا أتكلم

إنها ذكريات مؤلمة »

ثم وقف وكأنه يريد أن يشير اتجاه أفكاره

فسألنى هل أحب أن أזור بقية للنزل ؟

ثم سار قتبعتة

دافعا آخر إلى تقبيلها فحدثت يدي إليها لأحاطتها وأخضعها في نفس الحين . وقد كان في عينها غير الجمال قوة أخرى قاسية . ولعل هذا هو السبب ألا كبر لحي إياها وكان في نموها زيادة لا تبعث في النفس عاطفة غير الجنون

«ولقد سكرت واشتيت وجفت بحبها وعلمتها . ولما كنت أمشي معها في الطريق كانت تنظر إلى كل رجل تمر به نظرة كأنها بها تسلّم نفسها إليه؛ وكنت أشعر وأنا أسايرها أنها من متعلقات كل إنسان ، وأنها خلقت كذلك رغم أنفها ورغم أنقى ورغم أوف الناس جميعا

«أنهم يا عزيزي معنى ذلك ؟

«تستطيع إذا فهمته أن تتصور أى عذاب كنت أهنيه ؟

«لقد كنت أذهب معها إلى السرح أو إلى المعلم فأحس بأن نظرات الناس إليها عناق وتقبيل ؛ وكنت أعتقد أنى إذا غبت عنها جاء الناس جميعا ليجلسوا إليها . ولقد صرّت عشرة أعوام لم أرها فيها ولكن حبي لها لا يزال كما كان »

«وكان النظام قد اشتد في هذا الوقت وزاد تصاعد الروائح العطرة من حديقة البرتقال وسألته : «هل تريد أن تراها مرة أخرى ؟ »

«قال : «لئن أملك الآن ما يربو على الثمالة ألف فرنك . فمتىما تصل تروى إلى مليون فاني سأبيع كل شيء وأعود إلى باريس ويكفى من العمر بيد ذلك عام واحد أقضيه معها في أحلام رائحة كأعلاى السابعة

«قلت : «ثم ماذا ؟ » فقال : «ثم أودع الحياة مسرورا أو أطلب إليها أن تستخدمنى سائقا لسيارتها »

عبر اللطيف النشار

به سوى أنها من أجل اللابريسيات وأعهر من في الأوساط وهي تمشي كما تمشي الأميرات ، وهذا كل ما أعرفه عنها »

«قال : «هذه هي التي أحبها . وقد حاولت قتلها خمس مرات أو أكثر من هذا العدد . وحاولت هي قتل عيني بهذا الدبوس الذي رأيته الآن . أنظر إلى أثر الانحطام الذي تحت عيني اليسرى . إنه من أثر هذا الدبوس . وكان كلانا يجب الآخر ، وقد لا تكون على استعداد لفهم ذلك ، فإن الحب الشائع بين الناس حب بسيط . ولكن الحب القوي لا يتخلو من العنف . والمحزون من هذا النوع يبعد أحدهما الآخر ولكنه يتوق إلى قتله .

«وقد أهلكنى هذه الفتاة في ثلاثة أعوام أضمت في خلالها أربعة ملايين من الفرنكات غنا لا يتسامات حلوة ونظرات فتاة . وقد وجدت فيها شيئا لا يقبل الغدومة ، ولكن ما هو هذا الشيء ؟ لست أدري هل هو قوة عينها ؟ هل هو عنوة ابتسامها ؟ هل هو صوتها ؟ لقد عشت ثلاثة أعوام عانيت فيها من الآلام ما لم يمانه إنسان . وكانت تخدعنى وتخوننى لأشياء سوى الرغبة في خيانتى وخداعى ، فلما استكشفت ذلك وخاطبتها قالت لى : «هل نحن متزوجان ؟ » ولما تركتها وجئت إلى هنا استطعت أن أفهمها أكثر من قبل فعلى لا تستطيع أن تمشي دون أن تضحك »

قال ذلك ثم سكّت بشع دقائق استمر بعدها يقول : «فلما أفقت عليها آخر درهم قالت لى : «أنت ترى يا عزيزى أنى أحبك أكثر مما أحب أى إنسان آخر ، ولكننى أريد أن أعيش ولا أستطيع الحياة مع الفقر . ولذلك لا أرى بدا من أن نفرق »

ولقد وجدت من نفسى عندما سمعت ذلك

فصل الزريع بعد أن تجرى حركة طلاء
وتجديد واستمداد في المسرح
وكانت زهرة المانويلا تزين حدائق
الثلاث في ذلك الفصل
واشترك مستر بوينت في الحفلات
اشتراكا اعتاده لأنه كان يتاصر الفن مع

... ثم جاء الزريع

للطبيب الانجليزى دوروى بلاك
ترجمة الأستاذ فواد الطوخي

أنه لا يتذوق الموسيقى
وكان من الجائر عنده أن يسترق في النوم
وهو في قاعة للوسيقى كما ينাম في أي مكان آخر
ولكن منظر هذا الرائع جعله يتنبه إلى موسيقاها ..
كان شعرها ناعماً كالحرير الأسود، وجعلها يحاكي
زهرة المانويلا .

وهناك كان يجلس في الصف الأول ذلك الرجل
الموسيقى وهو يكاد يلهمها ببنيه التهاما فلهج ذلك
مستر بوينت وديت في نفسه عقارب النيرة ، وهو
الذي اعتاد أن يحصل على كل ما يريد بنقوده الكثيرة
فتزوجها في الكنيسة الانجليزية للقديس سنت
بارثليميو في يوم عاصف ... ورحلت الفرقة الموسيقية
تنقصها هلياً ، ولكن ماذا جرى لذلك الموسيقى
الذي اعتاد أن يجلس في الصف الأول ؟؟

كان مستر بوينت يجهل ذلك ، ومن الدهش
أن هلياً لم تكن تشمر به ، فضلاً عن أنها كانت
ساذجة لا تعرف الذكر ولا تنق بمواهبها الخاصة في
حين قد قالت كل ما كانت تعلم به من مجد ونفاز ،
فقد غص القصر بألوان الرّف والنم ... ففوق
منضدة ملابسها كان لها تلك القضيبان الخنزيرية التي
كثيراً ما رأيتها في نومها الهادئ وأحلامها الجميلة ..
ولما أخبرها بقيمتها الثالية - وكان حريصاً على
القول بأن كل شيء عنده لا قيمة له - توقفت

كان زواج مستر بوينت من هلياً موضوع
حديث القوم ، ولقد تضاربت الأقوال في هذا الشأن
لأن رجلاً في مثل ثروته ومقامه كان يستطيع أن
يتزوج بأحسن منها ، لأن هلياً لم تكن إلا موسيقية
في إحدى الفرق . وصحيح أنها كانت جميلة ولكن
جمالها لا يكفي .. أما هي فإنها كانت قاتمة بهذا القران
لأنه أنقذها من عملها الشاق المضني للتليل الأجر
ولقد نقلها إلى قصره الفخم الذي يشرف على غابة
من شجر الصفصاف ... وكان بعض العمال قد
اعتادوا أن يتخذوا في نهايتها ملجأ يأوون إليه في
الرياح

على أن مستر بوينت لم ينس أن رجلاً موسيقياً
غريباً ذا شعر طويل لبث ثلاث ليال متتالية يجلس
في الصف الأول بالمسرح ويحدها بنظرات حادة ،
وكانت صغيرة السن تميل إلى كل جبل كاللابس
البدية والأرائك الحربية والروائع المطرية فأثارتها
مستر بوينت كنسمة من السماء ، وأنقذها الله من
العمل في المطبخ بالنازل الرفيعة القديمة ، حيث كانت
تطهى طعامها بيديها - وطالما كانت تترع إلى الحب
ونظراً لصغر سنها فقد ظننت الحب سهلاً ،
وتوهمت كمادة الشابات أن الحب ... ماهو إلا

كاهن يلقى بكلمات سحرية فوق رأسها
وكان من عادة الفرقة الموسيقية أن تأتي في

نحنا مصنوعا من الخرف ، وقد اشتراه مستر بويوت
بثمان غال . التقط حطام النخال والكان وقال :

— يمكن تمويههما

ولما رحل إلى فينا لقضاء بعض أعماله اشترى
لها كانا آخر بشن بحس ، ليحل محل كانها المحطم ؟
فشكرته ووضعت الكنان في ركن من أركان حجرة
نومها . وعلى أثر ذلك .. تعجب عليها أن تسمعه لنا ،
فانظرت إليه بحمق ثم هزت رأسها باحتقار وسكنت
— لقد ماتت الموسيقى يا بويوت ! وهجيب أنك
مخاطبي كأن لك إلما بالمرز

كانت ملدا قبل زواجها قد تحولت مع فرقها
الموسيقية هنا وهناك واكتسبت شعورا وذوقا
خالسا ... أما اليوم وهي منممة في القصر بالفراش
الوزير والطعام الفاخر وشراب الغر (٨٧) الجيد فقد
أصبحت خشنة ... ولم يتسع المجال لمستر بويوت
لمبادلته الشهور ، لأنه لم يكن بينهما انسجام . وكثيرا
ما كان يرحل إلى لندن أو باريس أو فينا مباشرة
أعماله ، فيغيب عنها إلما

وكثيرا ما أقيمت في هذا القصر ولائم فاخرة
فلم يبق ذلك عن كآبتها شيئا

وذات يوم رحل بويوت وبصحبته خادمه وحفاة
في سيارته . فسلكت ملدا مسلكا جديدا ، وبدأت
تميش عيشة أخرى .. أغلقت القصر ودفنت ستائر
وأبسطته وطردت جميع الخدم ما عدا مارية وصيفتها
الخالصة التي كانت تشاطرها الحزن والأسى .
فقد حرت بتجربة قاسية ؛ إذ أحببت بحارا
واقترنت به ثم ضرب الدهر بينهما بضرباته ، فأست
لا تسلم من أمره شيئا . وانغذت من حجرة
نومها حجرة للجولس ، ووضعت على إحدى الموائد
موقدا للبتون لتنعى الطعام بيديها . كما كانت تفعل

أنفاسها وأمت قلقة ، فقالت له :

— وماذا تقول إذا تحطمت ؟

فهز رأسه وقال :

— يمكن أن تموض

وكان بويوت يعتقد أنه لا شيء في الدنيا
لا يمكن تمويهه ، ولا حزن لا ينسله الشراب
رقم (٨٧) . ووجهة نظره هذه يصعب على ملدا أن
تفهمها لأن الفنانين لا يقدرّون الحياة على هذا
الوجه . وظفر في الجو شيء جديد فقد كان مستر
بويوت يتحدث عن الحركات والنثبات في حين لم
يكن يدرى شيئا عن الموسيقى ، ولم يكن في وسعه
أن يترنم حتى بأنشودة الملك . جلس على أحد
المقاعد وقال لزوجته :

— أسمى يا ماززقي !!

فامتلات الحجرة بنفثات الموسيقى

— ظريف وجيل جدا ... ولكن أنترفين
أنشودة فيها نغم ؟؟
فوقست له أخرى

— إنه صوت شجي ما أحلاه بإلما . وشرب
بقدمه ضربة قوية

وفي الساء غنت له وكان صوت الكنان يزداد
عنوة ورفقة ، فنهض مستر بويوت وقال :

— حقا ... إنني لفي شوق لسباح هذا العن
أسمى ثانية يا ماززقي ملدا .. عزبك جيل حقا

وما لبثت أن أصبحت بالكاه ، ثم طوحت
بالكان بكل قواها في أحد أركان الحجرة ، أما
هو فلم يكن يعرف لذلك سببا .. وكثيرا ما خطر له
أنها عرضة للنوبات العصبية ، إذ أنه قد أمدّها بكل
ما تشتهي نفسها في هذا العالم ، وما كانت الخسارة
مقصورة على تحطيم آلامها الموسيقية ، ولكنها عند
ما ألقبت هشمت في طريقها تمثالا لاله الحب ؛ وكان

ثم نظرت مارية في المرأة فرأت جمالها السريع
الدول ووجهها الشاحب وقالت :-
— أخشى أن تكون في خطر ولو من أولئك
البعارة

ولم تكن لها بهم بأس القافلة من قبل ولكنها
أعارتها بعض الالتفات في هذا الربيع. وذهبت يوما
إلى غابة الصفصاف داخل الأعراس. وكانت القافلة
مرابطة فوق بساط من الزهر الينفسي اللون بين
ثنايا الأشجار. وانساب بجوارها جدول من الماء.
واسترسلت على النافذة سجوف قشبية. وتطلعت
هنا إلى حجرة الصفاح فلم يجد فيها شائبة، وقد
كسا الفراش المدود في بعض الجوانب لون قمرى
بديع فأدهشها أن يكون ساكنها صفحا بسيطا.
وحارت في أمر ذلك الرجل وماذا عسى أن يكون
ولذا لم يزر تلك البقاع إلا في فصل الربيع.

وأرسل مستر بوينت برقية في يوم الثلاثاء قال فيها
إنه سيتخلف في باريس أسبوعا نظرا لسوء حالة الجو.
وقد صدق بوينت قائلا أنه الجوق قد زجرت
طصفة في منتصف الليل فأخلت يعض أجزاء
السرير وشئت أدوات الخيام فكسرت وارتعت على
الأرض كدى الأطفال ... ونجا اللئس بأهوية
من الزوينة، أما الصليب المثبت على قمة الكتيفة
فقد سقط متحكما على الأرض، ولم يصب الاصر من
الضرر إلا قليل، وقد قصمت الأشجار الباسقة في
الحديقة كأنها كانت تشارك مع الجبن، وكسرت
النافورة الزهرية التي جاء بها مستر بوينت من فينا إلى
ثلاث قطع، وقد نكب الإله فينس الذي كان جالسا
على عرشه في قمة النافورة بهزة ألقته على الأرض
صريعا، فرقد يتدب حظه المأثر وهو لا يصدق ما قد
حدث. أما هذا فكانت موقفة بأن كل ما سيصنعه
زوجها بمجرد اطلاعه على تلك الحساير هو أنه يقول:

في أيامها السافرة. ومن المصعب أنها لم تهنر بمستر
بوينت إلا لتتخلص من تلك الحياة التي بدأت تمن
إليها، وما أحزنها إلا جملته بالموسيق فأنفى ذلك
إلى شعورها بالجود نحوه .. وكثيرا ما كانت تقول
في نفسها... لقد أشرق ضوء في ظلال حياتي
ولكني أطفأته.

وصرت أيام وأيام ومستر بوينت يزاد غنى ويزاد.
وحل الربيع مرة أخرى وظهر في السرح عمال
بدأوا يشتغلون في تنظيفه وطلائه وترتيبه وإصلاح
أدوات الحمام. وشخص مستر بوينت إلى باريس في
بعض أعماله.

ثم عاد الصفاح مع قافلته يحتل مكانه المهود
في الثابة بين أشجار الصفصاف، وفي كل عام كان
يأتي عند ما تفتح الزهور وكان يصطحب في كل
مرة كانه، ولم تكن هذا قد رآه من قبل وإنما كانت
تطل من النافذة من وقت لآخر على قافلته، فيروقا
ألوان ملابسهم الزاهية الجميلة. وكان وقتئذ مرابطا
في الطرف الثاني من الثابة .. ولحرارة الجو انتحى
ناحية الندير. وكان يوما مشمساً أزاحت فيه مارية
الستار عن نافذة سيدتها وأطلت على مقدمة القافلة
فأبصرت نارا تحترق، ودخاناً ينبعث في الجوف فيكسب
زرقته سودا. قالت: إنها لواقحة متناهية، ومعت
باستدعاء مدير الضيعة لولا أنها تذكرت أنه رحل
إلى سنت بريك لبشيع جنازة أمه وانفقت هذا
نحوها وقالت:

— دعيه إنه لا يؤذي أحدا
— ولكن إذا هبت الريح اندفع الدخان رأسا
إلى نافذة سيدتي
— ولكن دخان الخشب لن يقتلني
— ربما كان مجاراً، وتبي باسدي أن أي امرأة في
العالم لم تعلم من أذى أولئك البعارة

وأصلح بها الصدع ، فلما هبط قالت له ههنا :

— أشكرك ألف مرة على ما فعلت .. وأمرت
له بزجاجة من الصدر . وكانت قد جهزت في يدها
بعض النقود لتعطيلها ، ولكنها توقفت خشية ألا يقبلها
وخرجت ماربة وفي عينها نظرات سوداء ،
ولما وقع نظر الرجل على السكبان بدر بالقطاطه ومسح
النيار الذي كان عليه وقال :

— لعل سيدتي قد أغفلت للزف

— وكيف عرفت أنني أجيء الزف ؟

ونظرت إليه في حيرة وقلها يشتد في الخفقان
وقال : على أن السيدات الأسترطراطيات
لا يقتنين كإنا حقير أليضمن عليه ريشتهن . فأدارت
وجهها وقالت :

— لم أعد أوقع قدمايت للوسيقى

ثم أمسك بالسكبان مرة أخرى وقال :

— إن اللوسيقى نائمة ولن تموت ، أنسمعين لي
بالزف . ثم أخذ يوقع لحنا كانت هي تومه منذ
سنوات مضت في المسرح

— أين سمعت هذا المهور .. ؟ لقد عرفت من قبل

— إنه أحد الألحان الوطنية

ورفع الآلة ثانية ثم تقف بلحن مشج امتزجت
عذوبته بأشعة الشمس الشرقية

— أنت لست بصفاح ... وما اسمك ؟ ثم
ارتجف قلبها للمرة الثانية ... فقال :

— حقا أنا صفاح ... ألم تر سيدتي تاعندي
من أوان وأوعية ؟ وتلفت في الحجر بمنة ويسرة
فراقه منها بعض ما فيها من آثار الزف ثم نظر إلى
الحديقة فمز عليه أن يرى إله الحب فينس مذبحا
وملق على الأرض وقال بصوت كأنه يخاطب نفسه
ولا يخاطبها

— أي عصفور يمكنه أن ينفذ في القفص ؟

— يمكن توضيها

وتصدع سقف الزرفة على أثر ظهور ثقب في
قفزة ، فبدت أولا صغيرة ثم اتسعت حتى سارت بحجم
مجرة السيارة ، فصاحت ماربة ، وأخذت تضع تحت
هذه الفتحة ما يجمع عندها من أوان :

— يا لله ! ! ! أيجد هذا ومدير الضيعة غائبا
في مأتم والدته

سيدتي ... ماذا نصنع بهذا الشلال الفظيع
ونحن اصرأآن وحيدتان ، وهرعت إلى النافذة
لتصب إحدى الأواني الممتلئة بلأء ، ورأت المال
لا يزالون في مكانهم

— انظري يا سيدتي إني سأحضره ، فهو على

الأقل رجل ويستطيع الصعود إلى السقف ، أما أنا

فلا أستطيع لتخاضعي الدخول من الباب الصغير

المؤدي إليه وإذا سمعت أنت فان سيدتي لن يغفري

هذا الذنب ... غرجت تاركة وراءها تعليقات ههنا

الخاصة بوضع الأواني تحت هذا الشلال ، وبعد أن

رفت ههنا الألاء الرابع وقد فاض بلأء لتلقى به من

النافذة ... إذا بماربة قد عادت ومعها الصفاح وكان

مديد القامة ، يرتدى سروالا من الفانلا وسترة

موثوقة المرى حتى عنقه . فلما رآه علت لأول

وهلة أنه لم يكن من طبقة البهارة . وذكرت بما يشبه

الحلم أنها قد تعرفه وربما تكون قد صادفته في بعض

أحياء المدينة من غير أن تعلم شخصيته

وفي تلك الأثناء كانت ماربة تظالمه بالحالة وهي

بجانبه تشرح له الصدع بكل اهتمام ولو أنه لم يكن

سببا إلا أنه قال :

— أظن أن الصدع هو نتيجة ثقب في البالوعة

وأن في وسعي إصلاحه لو سمحت له السيدة بالصعود

ثم صعد فوجد قطعاً من الأغصان وبعض

الأخشاب المتناثرة التي ساقها الريح إليه فتناولها

— ماذا تعرف ؟

— « أغنية البعث » ولكنها لم تنته بعد ،

فلربما غنيتها كاملة في سبيحة يوم عيد الفصح . فهل
ستستمعين لها ؟ ثم نظرت إليه وقلها بخفق في عنف
فهل هي لا تزال عذراء تنظر هنا وهناك وتشد
الحب حائمة إلى أن تهتدي إلى قرار ؟

لم يكن في الأمر خيانة فانا كانت القصة قد
جرت في المدينة لمرورها جميع الناس منذ أمد بعيد ،
ولتحدثوا بشأنها في المسرح ... ولكن القصر كان
بيداً عن المدينة ولم تكن الأشجار الباسقة تروى
أخباراً . وحل الصيف في برتانيا فسمعت دقات
أجراس الكنائس والأغاني الجميلة ، وشوهدت
القبسات الجديدة ، وكست غابة الصفصاف الأزهار
والورود . وعاد مستر بونت من باريس

وفي ليلة العيد ذهبت هلا إلى الغابة ، فوجدت
التقاظة على أهبة الاستعداد للرحيل ، وكان الجواد
الكبير يرمي بجوار الورود ومتاقع الصفصاف ،
فسألت في وجل وخوف :

— ما هذه الجلبة ؟

— إن ... فترة أجازتي قد انتهت وفي كل ربيع
أعود إلى هنا لأمتع نظري بالشاهد التي ألقها في
صباي ، وطالما حلت بها في منأى . ولقد ظلمت
سيدتي إلى حقيقة أسرى فأنا لست بصفاة

— طبعا عرفت ذلك ولكن من أنت ؟

— ليس من شأن أن ألقى ضوءاً على هذا السؤال

إذا لم تعرف سيدتي من تلقاء نفسها
فجلست بجواره وقد أرنج عليها وكانت يجهش
بالبكاء الحار على تلك الليالي الطوال التي سوف تقضيها
في عزلة ووحدة بعيدة عنه ، حتى لا يضيء مصباح في
الغابة المرمية للوحشة الرهيبة ثم همست في أذنه :

— هل أراك ثانية ؟

وبعدها عادت مارية ويدها زباجة الحجر . ولما رأت
نفسها وحيدة مع سيدتها قالت :

— ما أشد وقاحته لاجترائه على لس كان
سيدتي ... حقاً كان يجب أن تعطيه بعض النقود
وتدعيه بتصرف في الحال حتى لا يتلصقاً فيتضج له
أنتنا امرأتان وحيدتان في هذا القصر . وأغلب الظن
أننا سنقتل في هذه الليلة في فراشنا . فقالت هلا
وهي ترفع رأسها إلى أعلى :

— على كل حال لند أدى لنا عملنا

ولكنها كانت تنظر إلى كاتها

وقال مستر بونت حينما جاء إلى قصره

— يسرنى أنك عدت إلى الزحف ... إن هذا
الجبل فكل سيدة لها هوايتها ، فأعزني في يا عززي
فوقمت له أنشودة ، ولما أتت على آخرها قال :

— إنني لأحس بالجملة تجري في ثنايا ثيابك .

ثم نفخ سيجارته وأضاف :

— أراك أكثر امتساعاً . فلقد عملت بتصيحتي .
ولقد عاهدت نفسي أن أعطيك كأساً من الشراب
(٨٧) مع قليل من البسكويت كل صباح

وما كان الحجر هو الذي أعاد اللون إلى وجهها
والبريق إلى عينيها ، وإنما كشفها للدهش أن
مواهبها الموسيقية لم تندثر رغم مرور الأعوام الطويلة
فهي لا تزال قادرة على المزف ولو أعوزها الران ..
ففي كل صباح كانت تقوم بالران في نافذتها أثناء
اشتغالها بأوعيته وأوانيه . وإذا أرخى الليل سدوله
خرجت من القصر وذهبت إليه فكان تارة يجب بمزفها
وأخرى ينتقدها ويظهر لها أغلاطاً جساماً وكثيراً
ما تناول كاه ولعب عليها بتضات ساحرة كانت تمك
عليها شموها فتذكر أيامها الثابتة التي قضتها تحت
ظلال الفن ثم تعود على نفسها باللاعة لأنها باعها
بميشة الترف والثراء فرحلت عنها السمادة ثم سألته :

— ومن يدري ؟

فلما تركته واقفاً هناك خيم الأمل على عينيه وهو يشيعها ، وحملت الخفافيش حول مصباحه ذى الضوء الخافت ، وقال :

— سأعزف لك فى الصباح « أغنية البيث »
وهي تؤدى لك رسالة وقد لا تؤدى

وجلس فى نافذتها وأسندت رأسها بيدها ...

واتصف الليل ... وانبت من النابت عزف سحرى

أخذ يجامع قلبها حتى حملها على البكاء قسراً ...

وجال بخاطرهما أنها ستصبح وحيدة رغم صغر سنهما

وتذكرت أنها ستصبح وحيدة خالقة بين أعضاء

فرقتها الموسيقية ؛ وأمامها فى السيف ذلك الرجل

تكاد عيناه تلتهما التهاماً فهضمت من مكانها وقالت :

— نعم . هذا هو الواقع . لقد عرفت الجواب

الآن ، ثم قالت :

— إنى قادمة

ولم تأخذ شيئاً ألبته معها مما قد أحضره مستر

پوينت ، وفى منتصف الطريق قابلت الخفاقة وقالت :

— قد تذكرت ... تذكرت ... !

وامتنعت صهوة الجواد بجوارده ثم لفها بنظارة

أحمر فسار بهم أركب بين صلصلة أوانيه وأوعيته ،

وبين صوت حوافر الجواد وهي تقطع الطريق الوعر

ولم يخرج حذيتهم عن السرح وملب التنس

وحفلات الشاي

وهما فى ذى قصة خيالة تعرض نفسها لختلف

الأحداث والتعليقات ... هى قصة فتاة هجرت

زوجها الأذى إلى الأبد لتتصل برجل بسيط أحبته

نعم ... فقد جلس الرجال المسكرون وسكان

المدينة إلى المصطافين يتحدثون بصوت خافت :

لقد كانت دائماً غريبة الأطوار .. لقد أخرجهم من

الغفر إلى النفى .. ومن فرقة الموسيقى إلى قصره الفخم

وبعد بضعة شهور كانت مارية تحزم بعض

مجلات قديمة كان قد أحضرها مستر پوينت معه

من فينا ، فاستلفت نظرها مقطوعات شائنة فى

الصحائف المصورة وعثرت على مسورة شمعية

لرجل ذى شعر أسود ضارب إلى البياض وقد انحصر

إلى الوراء تاركاً مكاناً خالاً بينه وبين جبهته العريضة

وكان يرتدى ملابس السهرة وعلى ركبته كان

هذا هو دارزيس الذى اعتاد أن يزور كل عام

فى زى سفاح ومنه قالته تلك البقاع التى قضى فيها

أوقات صباه وزهرة عمره ، وسوف يمزق أغنية فى

بودابست فى السيف ، وهي من أروع الأنشيد

التي تحاكي قلب الطبيعة ... وقد بلغت مهارة ذلك

الرجل للموسيقي مبتلاً عظيماً ، فطلعت على ما عداها

واكتشفت كل شيء أمامها ... فهرعت مارية إلى

مستر پوينت وقالت :

— ها هو ذا الرجل بعينه .. إنه ليس بصفاح

باسيدى ... سألتك بالله أن تنظر ... فتناول مستر

پوينت الورقة بيده النليظة وقال :

— أنشودة البيث ... ما سمعت بها قط ، خذنها

من وجعني ولن تمودى تذكرين اسمها أمى ثانية .

ولما بلغت الباب استعادها وقال :

— أبلى هنرى أن يأتيني بشراب (٧٧)

ثم نظر مستر پوينت إلى الحديقة فرأى القعد

الحجرى الذى كانت تجلس عليه هادياً فى الأيام الحارة

مشتتة بارتها بجوار نافورة فينس وهو التمثال الذى

أحضره من فينا ... ثم أخرج من غليونه عموداً

من المدخان وقال :

— يمكن تمويضها ...

« ططا »

نزار الطومنى

إرين - لو أتى طالبة ملاذ
لأخذت بملاذك ، ولكنني طالبة
سعادة ، وما يوصلني إليها السبيل الذي
تصفين

بولين - لا أدري أن زوجك
دوير كال جسم ، ولكنني أراك

تحدثينه بين مريضه نائرة ، فكيف تتوقعين أن
يروق لك ؟ إن دماغك يسكب نوماً على قلبك فانت
محيرة في أمرك

إرين - بالله يا بولين لا تحول الحقيقة التي
ألسها كل يوم إلى أشباح وأوهام . أفلا ترين أن
زوجهي كالحجر الصلب لا يتأثر بشيء ولا يشمر بشيء ؟
أما أنا فلا أشعر منه إلا بحس سيادته ، فكأنه لم يوجد
إلا ليكون حاكمي المطلق وسلطاني البارد المتبدد

بولين - (يتكلم) وهل يصح أن يحكمك
أحد ، أنت التي لم تخلي إلا للشعور ولحبة كل
شيء والاضطراب من كل شيء ، أنت التي تحمين
من نسمة وتموتين من لفحة

إرين - ما أدري بلوغ العروة في الرقي ،
وما أطلب من زوجي صفات أعظم الرجال . ولقد
كنت أراءه حقيراً فقيراً وأتبع بسببه لو أن فيه
أقل شعور بالحياة . لو أنه يفرح أو يحزن ، إذن
لكنت أرضه على هيكل روحي ، ولكن زوجي متم
فانه بذاته مصقع بشخصيته ، وباليته يكي مرة
واحدة لأسكب عليه كل ما أكتب من المطهر
والحنان في قلبي

بولين - أفأقضى لك إشعاره بطفلك عند ما
يثور بينكما اللعاص ؟

إرين - إنك لا تعرفينه ... إن أمثال هذا

الأغلاط

للكاتبة الفرنسية " بول هيرفيو "
بقلم الأستاذ علي محمد فارس

الفصل الأول

ينكشف الستار من قاعة مزينة بأفخر الرياش تلوح من
شرفها حديقة شتوية ، الوقت مساء وقد أثيرت القاعة
بنور منثيل

المشور الأول

(إرين وبولين أختان متحذتان وحالستان إلى خزان)
(بولين تتألمب أختها بهدوء الناصح وليرن تضطرب
ثم تلف ترع القاعة طولاً وعرضاً ، وفي الحديقة ثلاثة
رجال يدخنون)

بولين - ما هي شكايك من زوجك ؟
إرين - شكايك منه هي أنني لا أحبه
بولين - أمتدين إذا إعرهاضك عنه ذنباً عليه ؟
إرين - عشر سنوات صرت على وأنا أحاول
اختراق قلبه بحبي فما أجبت محاولتي غير جبوط آمالي
بولين - ما يدفع بك وبأمثالك إلى الثورة إلا
إعلان قانون الطلاق ، فسقيا لزمان المصنعات اللغات
المجاريات لخطهن في الحياة

إرين - لست ممن يحتزن الموت في الحياة
بولين - هلا وجدت من حياناتك نفسها
متنفذاً إلى الحياة ؟ إذا كان الله حرمك الولد فاحرمك
مباهج المجتمع . لك مسكن من أجل للساكن
تتبعين فيه فلا يزورك إلا زوجي وأنا ، فانتحي قاعتك
للاستقبال وافضي تيار العالم فانه يتفكك مما تولدته
لنفسك من أوصاف

بولين - لم أفهم ...

إرين - لا يسب عليك فهم ما أقول إذا أنت تذكرت ما قاله زوجك ونحن على الشاء حين كان ميشال دافرنه يقص علينا أسفاره في بلاد اليونان . أنا قال ليثبت حبه للأسفار : لو أنى أصبت بفقد عقيلتي وكنت لا أزال شابا ، فأنى أذهب سأمحا في تلك الأقطار .

أنا لاحظت على وجهك بلامات الرضى فكأنك كنت تؤيدن رأى زوجك وتجدين قوله طيبيا لا غبار عليه .

بولين - وأية غرابة ترين في هذا القول ؟

إرين - الحق أن لا غرابة في أن يفتكر الزوج سلفا في كيفية سلوانه لشريكه حياته إذا مات . وأقل غرابة من هذا أن يسلن الزوج رأيه بمحضرة زوجته وأن ترتاح الزوجة إلى مثل تلك الواقعة .

بولين - تذكرى أن الخطأ كامن في المبالغة يا عزيزتى .

إرين - أتعبدن اخلاصى مبالغة ... فما هو تقديرك لارضى للتبادل بين زوجين على تمثيل دور الزواج بالمخادعة والأكاذيب . لا ، إننى لن أرضى لنفسى يمثل هذا الشقاء يستتر وراء بوشاح الحب والاخلاص .

بولين - (وهى تنقسم بهيم) إذا كنت لم أنتبه لما قاله زوجى ، فاذلك إلا لأننى كنت مسترفة في التفرس بملاعك لأقرأ فيها تأثير ميشال دافرنه بفصاحته الخلاقية .

إرين - لم أفهم

بولين - أما أنا فقد فهمت كثيرا ... فوالله

الرجل لا يشورون ولا يحقنون لأنهم يرون الحق في جانبهم أبدا فلا تزعزع فتعهم بأنفسهم . ولبتك تنظرين إلى زوجى حين يفتق من رقاذه ، فانك لتسحين على سياته التصميم على إعلان حقوقه طوال النهار ؛ فهو يفرض حقه على الخدم وعلى الخليل وعلى الكلاب ولا يمكن أن يرتكب خطأ في أى أمر كان مع أى كان ... وما سمعته مرة يتحدث إلا وهو يسرد قصة يكون غيردها الخطي وهو الصيب .

بولين - ولكنه إذا وقف أمامك بمسبح الحق في جانبك على ما أرى

إرين - أنسيت حقوق الزوج ؟ إنه يلوح بها أبدا لفصل الخطاب بينى وبينه فإذا هو الصيب وأنا الخنطة .

بولين - إسمى يا إرين ، لقد كنت أنا الساعية في زواجك كما ست أى فزوجتى من قبل . وليس زوجى بأفضل من زوجك فهما غرسا دهان لكل منهما ثروة طائلة ولكل منهما ما تجبى الثروة على أصحابها من الكسل والجود . لقد قذف الآباء الطامعون المجاهدون في سبيل المال إلى الوجود بأمثال هؤلاء الأزواج الذين لا يخطر الزواج على بالهم إلا بعد أن تتحجر قلوبهم وتعمى رؤوسهم فيهرعون حينئذ إلى الأبدية ليختطفوا من مقاعدها فتيات الجمال والمال . تلك هى طريقة الزواج في هذا الزمان وليس لنا أن نبدلها . لقد اعترفت بالأمس الواقع ، لذلك ترينى على أنهم وفاق مع زوجى لأن حبنا متشابه متبادل ولا خيار في الواجب .

إرين - إذن أنت في عداد الزوجات اللواتي لا يتسكنن بأزواجهن إلا بقدر تمسك هؤلاء الأزواج بهن .

يتضح لك أنها ستعود إلى الزحف والسرور. تلك هي عادة أختك: إذا أنا اقتربت منها جعلها الكدر، وإذا ابتعدت عنها انبسطت نفسها وزال عن وجهها الغطوب.

بولين — خير لك أن تنظر في مداواة البلة من أن تتلهى بوصف أعراضها.

فرجان — ماذا تريد أن أفعل؟ لقد لاح لارين أن تستحسن هذه الطريقة، وما أنا بمضيع أوقاتي في حل الرموز.

بولين — إنا كانت هذه هي طريقتك أيضاً فلتخرق بينكما سائر إلى الاتساع

فرجان — يؤلنى ذلك. ولكن ما يهمنى شيء. إنا كان ضميري مرشحاً إلى طريقي. وهل لك أن تقولى لي ما هو قصورى تجاه إرين؟

بولين — أنت مقصر وبرهاني على قصورك أنك لم تنلها السعادة

فرجان — وهل تظن أختك أنني أنا سميذ بمشاهدتي سحتها الشاحبة القاتعة؟ كما زادتني تطوباً

زودتها هجرأ. لقد قررت أن ألو خارج بيتي إلى

أن يتوب رشد زوجتي إليها

بولين — وما يحل بإرين يا ترى أثناء هوك؟

فرجان — إنني أمتعها وقتاً للتبصر في أمورها

بولين — أريد إخضاعها بالنف؟

فرجان — إنها زوجتي وأنا أقيم عليها

بولين — هي لنفسها أولاً يا فرجان

فرجان — لقد اتخذتها زوجة لي لأوفر لها

الحياة الهنيئة، فقامت بواجبي، فأنا أطلبها إلا

بالهدوء والسكينة والهدأة التي يشتمع كل الناس بها

بولين — ليست إرين كمثل الناس

ما احتاجت أعصابك إلا القابلة بين جهل زوجك وعبقريه صديقك القديم

ارين — وإلى م. مذهين بهذا الفن؟

بولين — إلى أن هناك غمامة صيف ستنتفشع من قريب. أرى الرجال يستمدون للخروج من

الحديقة، ولعلهم قادمون إلينا فخير لك أن تتسلى وجهك فهو مكفهر وقد بدا الاضطراب في عينيك.

ارين — (توجه نحو باب الغرفة) بل خير لي أن أضع وجهاً مستمراً لأنك من الظهور أمام

الناس بالتصنع والخلع.

المشهد الثاني

بولين وفرجان زوج اارين

فرجان — لماذا تركتك امرأتي وحده؟

بولين — أفأأنت أنت لتقوم مقامها؟

فرجان — أنت لستأذنك في الخروج. إن حضرة السيو دافرنيه تقبل الوطأة على بفلسفته

وأخباره، ولهذا أجبته زوجك فرديتان يتدبر الأمر معه.

بولين — أنت تدعى الانشغال حين تخرج من البيت ولكنك لا تذهب إلا إلى النادي

فرجان — لقد تعود أسدقاء النادي الاجتماع فيه، وليس لهم أن يخلفوا وعدم.

بولين — أفلا يخطر لك بعض الأحيان أن هناك امرأة يجدر بك أن تهتم به؟ أفلا تفكر

فما يمكن أن يجول في غيلة زوجتك وأنت تسلمها إلى العزلة والانفراد؟

فرجان — أنا واثق من أنها على أحسن حال حين أأفرتها، أفأ رأيت اغتراب وجهها عند ما كنا على المشاء. دقت في ملاعها بد ذهابي فلسوف

المشهد الخامس

بولين ، إيرين ، فالانتون ، زوج بولين ، ميشال دافريه .
(يدخل الرجلان من الحديقة)

فالانتون — (مخاطباً ميشال) — إذا لم أتوصل
إلى إقناعك

ميشال — ولن تتمكن من زعزعة اعتقادي .
فالانتون — (موجهاً الخطاب إلى زوجته وأختها)
كنت أقتع صديق بوجود زواجه .

إيرين — ممن ؟

فالانتون — لم فصل إلى حد تعيين المروس ،
فقد كنت أقول لميشال : لقد بلغت الثلاثين وأنت
رجل مثقف ولك شهرة ومقام في الكلية ، فن
السهل عليك أن تجد مروساً ذات جمال ومال . وقد
صرت عليك أليم طويلة في باريس ولم أرك تفكر
لا في الاندفاع إلى المروس ولا في التسلل باللامى .
بولين — آه

فالانتون — إذا لست عاشقاً ، يا صديقي ، ولا
شيء يحول دون زواجك ، فما عليك إلا أن تصمم
على الزواج ثم تميل أبصارك فيمن حولك من
الفتيات حتى إذا اخترت إحداهن تفكر بمد
زواجك في خلق الحب بينك وبينها ، تلك هي القاعدة
ولا خير في العمل بسواها .

بولين لميشال — وبماذا أجبت على هذا النصيح ؟
ميشال — أما أنا فلا أرى في الوجود إلا ثلاث
حوادث هامة هي الولادة فالزواج فالوفاة . وكلها
متساوية تخضع لنظام واحد . فإذا كان الإنسان
لا ينجى الحياة غتاراً ولا يبارحها غتاراً فالزواج
لا يرسو أيضاً على الاختيار وهو منوال لادعوات الموت .
من منا لم يأت الحياة صاغراً ولن يبارحها صاغراً .

فرجان — إنني آسف لذلك ، فلا يلومن
الإنسان الشاذ غير نفسه . إنني لست مطالباً بالفرج
على القاعدة الثابتة . أريد أن أمتع بالحياة كما هي
وإيرين تغض أبصارها بالاستفراق والتفكير ، أما أنا
فأكره قرع الأوهام ولا أفهم ما هي الأنكار التي
يشغل الإنسان فيها دماغه إذا لم يتجه إلى تنظيم
حياته ؟ على أختك أن تصلح نفسها ومن واجبك
أن تدعيها إلى ذلك

بولين — كنت أحاول هذا الأمر منذ هنية
فرجان — وماذا كانت حجتها ضدى ؟
بولين — لم يكن لها من حجة عليك غير الحجة
التي تدلي بها أنت من فك

المشهد الثالث

بولين ، فرجان ، إيرين

(تدخل إيرين فيبدو عليها الاضطراب إذ ترى زوجها)
فرجان — (هما بولين) — أنظري ، تأملى (بصوت
عال) لقد عادت وفقتك فهأنذا أهرب (يظهر
الارتياح على وجه إيرين)
فرجان — تأملى واحكى ...
(ينسى فرجان مسلماً ويخرج)

المشهد الرابع

بولين ، إيرين

إيرين — لقد كنت أأامدار الحديث بينك وبينه
بولين — وما عساه يكون سوى ذلك ؟ لقد
أخذت لهجة الاعتدال في النصيح
إيرين — والنتيجة ؟

بولين — هي النتيجة نفسها التي توصلت إليها
تجاهلك .

فالاتون — أما أنا فلا أنهم من الزواج غير شرعيين شرعية الكنيسة والقانون اللدني .

ميشال — لا زواج حيث لا حب ولقد شاعت التقاليد أن تجسم الحب سلمة تسام وعملا يتفق عليه متقاعدان بموجب عهد . ولقد يكون مثل هذا الزواج راسياً على حتى الايجاب والقبول ولكنني أنكر عليه كونه أبا للولادة والورث .

بولين — لملك تملت هذه البداىء في مدرسة أتيينا ...

ميشال — بل تلمتها في مدرسة الحياة ، وأنت تترفين كيف قضيت حياتي .

فالاتون — أما كنت أول رفيق لأخت عقيلتي أيم طفولتها ؟

ميشال — لقد كان مسكنها قرب مسكني عند ما كان لي أب وأم ؛ وعند ما حرمني القتل الأب والأم قاسمت جارتي الصغيرة أمانيها .

(يدخل خادم ويقول ان مرة مدام فالاتون حاضرة أمام الباب)

فالاتون — (لخادم) حسن فلتنتظر (يخرج الخادم)

بولين ليشال — لقد كنت ضيقاً مثالي وأنت صغير ...

ميشال — تلك قسمي من الدنيا وما الضمف إلا إرث يتلقاه الأبناء عن الآباء .

ارين — ولكن ميشال كان سيء الطبع ميشال — لا أذكر أنني كنت سيء الطبع يا سيدتي .

ارين — أما أنا فأذكر كل ما كنت تحتكره لشكديري ؛ وعندما كنت أبكي كنت تعطب وجوهك وتذهب دون أن تبالي بقهرى .

لذلك أريد أن يكون الزواج تابعا للبداهة لا أثر فيه لتصنع الانسان وإرادته . أريد أن تكون كلمة الايجاب والقبول في الحب كلمة مقدسة تدفعها الطبيعة من مستودع أسرارها كما تدفع الطفل إلى الصراخ حين يستقبل النور ، وكما تدفع الحنصر إلى الأثين وهو يبارح الحياة .

ارين — إن الطبيعة تسود ولادتنا وموتنا ولكنني لا أراها تهتم كثيرا بزوجنا .

ميشال — طي ، إنها تهتم إذ أنها تفتح قلبنا لشخص واحد يتحصن الوجود فيه لدينا . تلك هي القوة التي تنور قلب الانسان مرغمانه أشبه القوى بالناموس الالهى الذى يفتح الأعين للنور وينمضها للقبور ...

بولين — ولكن الانسان غير في زواجه فهو يقدر ألا يزوج ، وهو غير في زواجه بلا حب حتى إنه لينزوج بالرغم من الحب

ميشال — ذلك لأن الطبيعة التي تستقر فيها ناموس الحياة والموت قد شادت أن تركز ناموس الزواج على قاعدة الشعور الخلقى فهي تنبه الانسان بواسطته متوسلة بأكية ثم تهيب به سيطرة موجعة اارين — ولكنهما مع ذلك لا تقوى على دفع الانسان عن الزواج الوافى لأحوال الأسر والمنفعة الشخصية .

ميشال — إذا نحن ترفضنا عن الطبيعة فلا نفلت من سيطرتها إلا إلى حين ، فهي تتحكم في الحياة من حيث لا ندرى ، فإذا لم يذهب الزواج بالرجل والمرأة إلى الحب عن طريق المودة والرحمة فإن الحب يربط أحد الزوجين أو كليهما برباط الزواج الحقيقي خارجا عن أنظمة الناس بالرغم من كل قاعدة مرعية

ميشال — لعل الصبيان هكذا يكون
(ينهض فالاتون مشيراً إلى زوجته بالدهاب)
فالاتون — (غاضباً لإرين) إننى أعتذر
لاضطرابى إلى الدهاب. لقد أنسى الصيد اليوم وعلى
أن أعود غداً إلى الصيد أيضاً
إرين — ولم نأخذ لنفسك راحة من هذا العناء؟
فالاتون — لو كان الصيد عملاً لوجب أن
تتخلله راحة ، ولكنه تسليية (يجهه فالاتون نحو
ميشال ويصاحه)
فالاتون — إلى الملتقى أيها الصديق
ميشال — (يقف هو أيضاً) وأنا أيضاً أريد
الدهاب فقد طالت زيارتى ، وما كنت لأطيلها لولا
أنها زيارة الوداع
إرين — زيارتوداع !
بولين — أنت مسافر إذا؟
ميشال — لقد عهد إلى بالقيام بدروس فى
أكسيا الصغرى
إرين — وما يوجب هذا الاسراع يا ترى؟
ميشال — أمور لها شأنها
(يجهه فالاتون وعقيله نحو الباب فخلعت بولين إلى ميشال)
بولين — وهل لك أن تزورنا قبل سفرك؟
ميشال — سأزورك ولا شك يا سيدتى
(ويقدم ميشال ليودع إرين فستوقفه بإشارة خفية)
المشهد السادس
(إرين ، ميشال)
إرين — ما هى هذه الأمور الهامة التى تستدعى
إسراعى بالسفر؟
ميشال — وددت لو أننى لم أئوه بها
إرين — كنت تفضل إذاً أن تطلعتا على سفرك
برسالة من بعيد؟

ميشال — دعى الشاب ولا تلوى
إرين — ما معنى هذه الألفاظ؟
ميشال — لقد سافرت للمرة الأولى أنلس
قوة أحكم بها نفسى ، وما عدت إلا لأتيقن عبث
محاوئى . عرفت أننى أسأت إلى نفسى بالرجوع ،
فهاذا آلود أسفارى
إرين — أفلا يحق لى أن أطلع على هذه الأسباب؟
ميشال — بل لاحق لأحد سواك فى معرفتها
إرين — آه !
ميشال — سيليى أجيئك
إرين — لم أعد أجسر على السؤال
ميشال — إنا كنت لا نجسرين فسأقدم أنا
على القول من نفسى
إن هذه الأسفار الطويلة التى ألقتها بين الأطلال
وبقايا الأزمنة النابرة جعلتنى عبداً لكل شىء حكم
عليه بالزوال لتبقى على الأرض آثاره . لتدع الحاضر ،
اتبعنى إذاً إلى مجاهل التذكار ، إذا شئت فلسوف
أقودك إلى منزله جميل تسوده الروعة كأنه أطلال
هياكل مندثرة
إرين — أدراك تعود إلى طرفتك القديمة
يا ميشال ، فما أنت ذا تريد تمذيبى كما كنت تفعل
وأنت صبي
ميشال — عند ما قفى عليك بالزواج ، كنت
أنت فى الثامنة عشرة وأنا فى العشرين . دخلت أنا
الكلية ، ودخلت أنت بيت فرجان . احتملت
القضاء كأنه عدل مصدرة مجهول ، وما أدرى
ما تكون المواظف فى قلب امهبة لم تتجاوز
الثامنة عشرة ، غير أننى أعرف ما يشمر به شاب
لم يتجاوز العشرين . تصودت أن أدراك بمد زواجك

التضحية ولا تقدم عليها ؟
 ميشال — ما كنت أعلم أنك تمانين التضحية
 لأقدم عليها

إرين — وأنا أيضاً ما عرفتها قبل اليوم
 ميشال — وما الذى غيرك وكشف لك
 سررتك يا إرين ؟

إرين — لقد طرحت نفسي تقاهم؟ وهما أناذى
 أراها متجلية أمامي بكل خفاياها وبكل خوفها من
 أن تفقدك يا ميشال
 (تجلس إرين على كرسيها وتغطى وجهها يديها
 وتستغمر في البكاء

إرين — لقد تعودت أن أحبك ملكاً لي ..
 وهأنذا أشعر أنك قطعة من قلبي فكيف أنسلخ
 بدون أن أقطع ألماً ؟

ميشال — عفوك يا إرين لقد آلتك . وقد
 كنت أحسب الألم مكتوباً على وحدي .

إرين — عدنى بأنك لن تسافر
 ميشال — وماذا يحل بنا يا ترى لو بقيت بقربك ؟

إرين — ليكن ما يكون . لينزل المستقبل على
 بكل ويلاؤه . إننى أرضى بها ولكننى لا أحتمل
 بهادك . كن لي ملاكاً حارساً يا ميشال . كن تمزيق
 في أحزاني . لبتك تعرف مقدار عذابى . لأنقلق
 يسدك نافذة الرجاء التى تذر أنوارها على لأول مرة
 في حياتي . لنكن مقترعين مقترعين . دعنى أراك
 وأسمعك . لا تبعد عني ، فنبقى كالأخوين نقتسم
 نصيبنا من الدهر ولكل قطعة من عذابنا الواحد .
 ميشال — أراك تقترين بقوى يا إرين .

إرين — أراى قوية أنا ، لأننى أعتقد القوتية .
 ميشال — أنت على ثقة من شرفي ، ولهذا تجدينني

صامتاً صاعراً إلى أن أنجلت في سرائري فصرقت أنى
 أحبك . عرفت أن السنين التى تواتت على وأنا
 بقربك قد حدثت من الوجد في قلبي ما يعدده .
 من عرف ماضي وما تراكم فيه من الهممات فهو
 على بينة من مستقبله ، وما كنت لأجهل ما في
 نفسي ، فأدركت أن القضاء جميل حبي وفقاً عليك
 دون من في الأرض من بنات حواء . قضى لى أن
 أحبك وقضى على أن أحرملك . اضطهدنى
 الزمان فهربت منه وفزعت إلى العمل من الغرام .
 وإذا ضاق مجال العمل من سلوانى هربت إلى الأسفار ،
 إلى المنى . سافرت منذ ثلاث سنوات إلى الشرق
 محاولاً إغراق بلائى في بحر أنواره ، حملت عيني
 وقد انطلمت عليها صورتك لمل شمع الآفاق في أجل
 بلاد الله يعمو جالك . ولكننى حلوت عينا وما أنا
 أعود إلى تلك البلاد مقترأ بشقائى ، ولكن للريض
 يتقلب على جنبه وفي الجنين مرض وآلام
 إرين — قف عند حد للمضى ودع الحاضر فلتن
 أبتك إذا سررت على سبيله

ميشال — لقد وقتت حيث يجب الوقوف فلن
 أزيد كلمة على ما قلت

إرين — (يد سكوت قصير) لا أفهم ما قلته
 عن الفرق بين عواطف الرجل وعواطف المرأة ،
 فهل للرجل أن يسلم بالانحداد والحرب . أما أنا
 فأرى أول واجب على الحب ألا يهرب من محبوبه
 ميشال — هل من برهان على قوة المحبة أشد
 من الحرب حين لا يجدى الاقتراب غير التآلم
 والويلات ؟

إرين — أفلا ترى أن القيام بالواجب في القرب
 أولى من السلوان في النوى ؟ أعلم أننى أعانى

أرفع من أن أخلط احتراي لك باحتقار مقامك .
ولكنك لا تعلمين ما يمكن أن يجرى في قلبي من
الدوافع التي تطلع أشرف نزاعاتي بقربك .
إيرين — لا أفهم ما تعني
ميشال — لا تنسى أن بقربك رجلا موسيك
وله الحق في التمتع بك كما يشاء .
إيرين — لست كرميا يا ميشال
ميشال — بل لست حجرا ، فالتيرة تقتلني قتلا
إيرين — اسكت
ميشال — إني إن أهرب فما هربني منك
فاندبا بكل مداها أضيق من أن تضع حاجزا بيني وبين
هذا الرجل الذي يسودك
إيرين — (بعد سكوت طويل) لقد شمعت بما
لك على . لا أقدر أن أكون لك قلن أكون لسواك
ميشال — أواه ... أقسمين بالحفاظة على هذا
المهد !
إيرين — نعم أقسم إذا بقيت بقربي وشجعتني
وحيثي ، فليسوف تقرأ كل يوم آيات الأمانة في
عيني . سوف أكون لنفسى
ميشال — (ياخذ يد إيرين فيقبلها) تشكرك
روحي من أعماقها يا إيرين
إيرين — عد إلى لأراك ، فقد رجعت اليوم
إلى الحياة
ميشال — وأنا اليوم قد بهتت من عالم الأموات
(يخرج ميشال من باب الحديقة)
المسرح السابع
(بعد أن تفتح إيرين حبيبا بنظرات الحب تعود تقتلني
على مقصدها ، ثم يخرج فرجان باب غرقه ويهزم بيده من
إيرين ويضع يده على الكتف)
فرجان — أمانة أنت ؟

الصيف خفيف هذا العام

لأن

شركة مصر للغزل والنسيج

تقدم لكم المنسوجات القطنية

الخفيفة على اختلاف أنواعها

معتدلة في أنماطها جميلة في ألوانها

فبادروا في اخذ طلباتكم

المشهد الأول

(فرجان وإيرين ، هو إلى خوان وأمامه كأس شاي يصرفها، وهي إلى الجهة المقابلة يارقة في مطالعة كتاب تحمله يدها . ينفذ فرجان بنقته ويهدم إلى إيرين فيأخذ الكتاب من يدها ويثقله)

فرجان - بالرغم مما أوصلني إليه من الرغبة من عبادتك ، لا أرى بداً من إطلاعي على أمور قورتها اضطراباً . لقد مضى الشهر وأنت تشكين الصداع واختلاج الأعصاب ، ويؤلى أن تحسلي مثل هذه الأوساب الوهمية وما خفيت عن أسبابها . غير أنني سأنتظر فرصة انتهاء أجل الإيجار لترك هذا القصر والخروج بك من باريس . إن هواءها لا يضر بك على ما أرى ، فهل لك ما تقولينه في هذا الشأن ؟

إيرين - لا

فرجان - لقد اخترت مسكنين في الضاحية لكل منهما حديثه ومناظره الرائعة ، وأبقيت لك حق الترتيب ، لأنك ستقيمين في البيت أكثر مما أقيم به أنا ، فإن أشغالي تضطرني إلى الحضور لباريس في كل يوم ، لذلك أرجو أن تقولي كلمتي في أقرب آت

إيرين - (هف بحة) قلت لك أن لا حق لي في إبداء الرأي في أي أمر كان ، فأنا أعتبر انحداداً مقصوماً ، وليس لنا أن نواجه المستقبل بنظرة واحدة فيما بعد . أنت تفضض وأنا أبغضك

فرجان - وهل من سبب لهذا البغض التبادل سواك ؟ لقد أخرجتني . غيري مسلحك غير طرقي
إيرين - وهل أمك تغير مسلحك معك ؟ إن ما أضر به لا أقدر على مقاومته

إيرين - لقد أزعجتني

فرجان - ما كنت أقصد هذا ، وما كنت طوعاً أنك باقية في القاعة وقد انطلقت النار في اللوقد . (ياخذ يدها يده) إن يدك باردتان كالتلج

إيرين - دعني

فرجان - ماذا طرأ عليك ؟

إيرين - أريد أن أبقى متفرقة

فرجان - ألوذ بك اضطراب أعصابك ؟

إيرين - نعم

فرجان - إنني أفضل أن تكون أعصابك في وودها؛ فأنك أجل ثائرة، منك مستسلمة للأمر

إيرين - أرجو أن تدعني وشأني

فرجان - لن أتركك

(يهدم فيطوق خصرها بإبراعه فثقت منه وتجنبه نحو

باب غربيها وفرجان يسير وراءها)

إيرين - إنك تدوس أذيال ثوبي

فرجان - (ينحي على أذنها) أريد أن أوصلك

إلى غرفتك

إيرين - لا ، إنني لا أريد

فرجان - إسمي

إيرين - لا ، لن أسمع

(تدخل الفرقة وتوصد الباب في وجه فرجان فيبقى

أمام الباب ينادي)

فرجان - إيرين ... إيرين ... إيرين ... آه ،

سوف نرى

الفصل الثاني

(يرتفع الستار عن الفرقة التي انكشف عنها في الفصل الأول غير أن المشهد يظهر في ضوء النهار بدلاً من ظهوره على نور الصباح)

المشهد الثالث

(إيرين ، بولين)

بولين — أفلا تزال أعصابك في هياجها ؟
إيرين — إنها ستزاد هياجاً من يوم إلى يوم ،
ومن ساعة إلى ساعة . إن مثل هذه الملل لا شفاء لها
بولين — تنزعي بالصبر يا إيرين
إيرين — وعلام أصبر ؟ لقد سمعت أمس تهديده ،
وها هوذا اليوم يعمل على تنفيذ أحكامه فقد أعلن لي
أنه سيأخذني من هنا . فهو يريد إلغائي في سجن
يكون هو السجن فيه
بولين — مسكينة يا إيرين !
إيرين — لقد وصلنا إلى حيث لا منفذ لنا إلا
بالطلاق أو ...

بولين — أو ماذا ؟ ...
إيرين — إلا الطلاق أو الموت .
بولين — بريك يا إيرين اسمعي .
إيرين — لقد قضى الأمر فكوني مي أو
فكوني على .

بولين — وهل أكون منك في مثل موقفك
إلا إذا كنت عليك ؟ ماذا تشكين من هذا الرجل
الذي ينحني أمام إرادتك ؟ أفلا بكفيك منه أنه
وهو زوجك لا يتمتع بحقوق الزوج منك ... أفلا
تريه يفضل الكثيرين ، فهو على الأقل لا يلجأ
إلى إغصابتك ، ولو كان سواء في موقفه لما أحبت
عن استعمال القوة لأزغلك ...

إيرين — اسمعي ، يا بولين ، على المرأة ألا
تضحي بنفسها لأحد .
بولين — ولكن الواجب يقتضي هذه التضحية
من كل امرأة فاضلة .

فرجان — إنك الآن على غير ما عهدت من قبل
إيرين — وهل كنت إلا ككل فتاة تزوج
مكرهة أحاول أن أخلق الحب خلقاً في فؤادي
فما أجدت عاقلتي شيئاً ؟ لقد كنت ألقى حبك
فريضة على قلبي كما يلقي الإيمان كرمها إلى الفكر دون
اقتناع به فما استفدت غير الشقاء والألام . أقسم
بالله أنني لن أقدر أن أحتاد على حبك احتياداً . لقد
تفحصت أحماق قلبي فلماذا أخدعك وأخدع نفسي
فرجان — (وهو يميز غيظاً) إن كل كلمة
خرجت من فمك إنما هي حث بسوءك وتحقير
لواحياتك

إيرين — لنكن كلاني ما نكون فلهما صرخة
مدوية في أعماق روحي

فرجان — لا أنهم ما تقصدين
إيرين — وأنا أيضاً لا أنهم ما تريد أنت
فرجان — ماذا تريين يا ترى ؟
إيرين — وأنت ما هي آمالك ؟
فرجان — أراك مجنونة ولكل دواء
إيرين — إذا رأيت مجنونة فكأن أنت عاقلة
على الأقل

المشهد الثاني

(إيرين ، فرجان ، بولين)

بولين — (تمخضت بدمعة) يا لله . ماذا جرى ،
أفلا يمكن أن تتفقا ؟

فرجان لبولين — سوف أتركك معها لتتحقق
أمرها وتعلم إلى أين بلغ بها الجنون . دعها تتكلم
فلن ما تقول لا جواب عليه

رجل مجهول . لقد مرت (أنا) الآن فأنا أعرف ما أريد وما لا أريد وما لا طاقة لي بأحبابه . إن في أعماق قوة تهب بي للانشقاق أو الموت .
بولين — أسكني بحق الله يا إرين . وبلاده كيف الخلاص ، وما العمل ؟
إرين — لقد كان أوان العمل . أنت زوجتي فليك اتقاضي الآن .

بولين — أنت إذا مصرة على عزيمك .
إرين — وهل بإمكانك أن أحول عنه ؟ إذ هي إلى زوجي وأعيدى عليه ما لا يريد الاسثناء إليه .
بولين — ولكن للطلاق شروطا ، يا إرين ، ولا يمكن المحكم به دون أسباب مبررة ثابتة .
إرين — إذا توافقنا على الاتفاق سهل أمامنا الوسائل . إذ هي إليه وقولي له كل ما تزين من خطورة الحالة . إن هذا الرجل يخشاك ولا أراك إلا مدركة ما يجب عليك القيام به تلافيا لأشد الاخطار .

المشهد الرابع

(إرين ، بولين ، خادم)

الخادم — إن السيد فافرنيه بالباب يستأذن في الدخول
إرين — ليتفضل

المشهد الخامس

(إرين ، بولين)

بولين — أي حديث سيدور بينكما يا ترى ؟ أهو طام بما يجري ؟

إرين — لا ، إنه لا يعرف شيئا

بولين — مسكينة أنت يا أختي .

(تهل إرين بولين وتخرج)

إرين — لا ، إنني أنكر العظمة والفضيلة على خفية تنبت في تربة الكره والاشترار .

بولين — إن الدين يقضي عليك بهذه الطاعة .
إرين — لا ، يا بولين ، إن الدين الراسي على التضحية بكل مبادئه السامية ، لا يقضي بمثل هذه التضحية الراسية على تدنيس القلب . إذا كان إنكار الذات فضيلة فما تدنيس الذات إلا رذيلة لا تنحط عنها رذيلة في الحياة . أفلا يعلمنا الدين أن الطهارة هي أقوى ما يترلف به مخلوق إلى الله ؟ وهل من الطهارة أن تستسلم المرأة بلا حجب لشهوات حيوان ؟ أهذا هو الزواج ؟ أيمكن أن يسمح الإنسان باسم الشريعة أقدس ما في الإنسانية تكاثرا وكذبا ورياء ؟ أيمكن للمرأة أن ترى في رجل هادم حياتها ونيرون قلبها ثم تقسم معه مرة الحياة والموت ؟ يا الله من هذا الناس ! والله من هذا المار ياصقه الناس بروح الوجود ولا ينجحون !

بولين — أنت شائعة يا إرين .

إرين — وما هو برهانك على ما تدعين ؟

بولين — إن البشع سلبى ، أما المحبة فأيجابية ؛ ولا يتقوه الإنسان بمثل ما تتقوه من به دون أن تحفره قوة إيجابية مستقرة في أعماق روحه .

إرين — هي افتراضك صحيحا أفلا ترين في الحلب قوة أشد من قوة البشع تهب به إلى الخلاص ؟
بولين — ولكن من يضمن وأنت على مثل هذا الجرد أنك لن تعاملي زوجك الثاني كما تعاملين زوجك الأول الآن ؟

إرين — لست أنا الآن تلك الفتاة التي تزوجت منذ عشر سنين ، هي غيري تلك المروس التي اقتلعت من مقعد دروسها اقتلاعا لتطرح على سرير

المشعر السادس

(إرين ، ميشال)

ميشال - أستطيعك الفؤ لأنى أتيد

إرين - لك عفىو يا ميشال، وقد كنت فى نى
من الحضور الآنميشال - وعدتك أن أبعدك ، وأقسمت
ألا أقرب منك ، ولكننى تمثلك ممذبة فأشفت
على نفسى ومهلك .إرين - أفأ تتوقع أن يدور القضاء دورة
ونحن مفترقان ؟ميشال - لقد صرت أحذر الآمال وأخاف
الأماني .إرين - لئن غبت عني فربما كنت فى فؤادى
وأبنا أنجبت بأنظارى أراك بيمينك الشاحب يتم
عن مرض نيك نحم على شفاؤه

ميشال - وهل لثل غرابى أن يشق ؟

إرين - أريد عمو ما ارتسم على وجهك من
شقاء ، أريدك سيدا تتنوق لذة الحياة يا ميشال .ميشال - وهل لإرادتك أن تهتم ما بيننا
من حوائل ؟إرين - قل لى ، يا سدينى ، أفلا ترى وأنا
غائبة منك مائة أمامك كما أراك أنا مائلا أبدا لىانىميشال - أجل إننى أراك . أراك فى غيبوبة
فكرى ، فتشاهدك بصيرنى بأجل مما يشاهدك
بصرى ، وأشمر أنك لى دون أن يدنس عرشنا
لثوم أو يحوم فوقنا ارتياب .إرين - يا لله ما أشبه روحك بروحى فكأن
تفكيرى إمتداد لتفكيرك ، أو كأننى شملة متبقةمن نورك . كلانا مترفع عن الدنيا طامع إلى الحق
الصرح

ميشال - أصبح ما تقولين ؟

إرين - اصغ إلى : إننى منذ زمان مديد
أفكر فى طريقة تجمع بيننا بلا لوم أمام الله والناس

ميشال - وكيف يكون هذا يا إرين ؟

إرين - إن القضاء يدور لنا أو علينا فى هذه
الساعة . إن أخنى تخاطب زوجى فى هذه اللحظة
لتطالبه بحرقى

ميشال - وهل تؤملين النجاح فى هذا المسى ؟

إرين - لا أعتقد أن هذا الرجل سيتمسك
بالبقاء مئ فى جحيم فأم الاضطرام

ميشال - لئنى أشاطرك الأمل يا إرين

إرين - عليك أن تسافر الآن إلى أن أعد
العدة للخطوة الأخيرة

ميشال - أقتضين على بالاتباعك منك الآن

إرين - أطلب إتمامك حتى تعود إلى بمد سنة
إذا أنا نجحت فى مسامى ، وإن أنا فشلت فجال

الأرض رحب والأمر لله

ميشال - ويلاه

إرين - إذا قضى علينا بفراق لا لقاء بعده ،
فاننا نلبس الحداد على حياتنا ونبقى ظاهرين أمامضميرنا فنثلك ومثل لا يتخذان الخدام سبيلا لسعادة
مكفوة

ميشال - أنت حياتى يا إرين

إرين - لإننى أواجه الحقيقة فلا أخدع نفسى
ميشال - ولكننى لن أطيق الفراق إلا علىذكرى وأمل ، فإلى عيني من نور عينيك وبدي من
حرارة يديك (يهدم إليها بحركة ملوفا الجوى فتراجع عنه)

فرجان لإرين - أهذا ما كانت تضمركل
آلامك العسية ، لأجل التوصل إلى هذه الحجة
كانت كل هذه المحاولات

إرين - أنت تعلم أنني ما اتخذت نجماك مرة
واحدة طريق الطماع والمداغة فما أخفيت منك
تمردى . لقد أعلنتك بكل مراحة أنني لأحبك!
والآن أكرر القول بأنني ضقت ذمعا بك وبجالي
ولا قبل لي بالاحتمال . أفأنا لنا أن تفك أغلالنا
ونضع حدا لهذا المذاب؟

فرجان - يا للفرابة أن تتصبي أنت المسئلة
ضلال القلب والتمرد على الشريعة والمغاف لتطلي مني
الرضوخ لك أنا المثل كرامة الأخلاق وقناعة
العادات وشرف المجتمع وحق الشرع؟
بولين - اسمع يا فرجان ، مالك وللاعتصام
بالبادى والشرائع ، فأنحن تناقشك في مواد القانون
فرجان - وفيم تناقشيني إذا؟

بولين - لقد حاولت من جهتي أن أمنع البركان
من الانفجار فلم أفلح
فرجان - أشكرك على هذه المحاولة

بولين - كن عادلا يا فرجان ، كن شفيقا ،
أؤوسل إليك باسم محبي لأخفى واعتباري لك أن
ترفع نفسك إلى أرق مراتب العظمة
فرجان - لقد حسن لدى أن تتخفك أخذك
واسطة بيني وبينها في هذا الأمر ، وأنا أجد من
حق ألا يتوسط أحد بيننا فيما لا يعني سواءا فالحديث
سيكون إذا بيني وبينها

إرين - لا ، يا بولين ، لا تنهني ، لا تتركيني
وحدى معه

فرجان - لا تخافى قلن أرفع يدي عليك

إرين - لا تدخل الاضطراب إلى نفسي .
لا تفقدنى الثقة بذاتي . إياك أن تقسد إيماني بعمرة
نفسى . إذا كان الدهر يقضى لنا في هذه الساعة ،
فلا تطلقها بوسمة ضيف أندم عليه في أى زمان .
دعنى أنا خطيتك يا ميشال

ميشال - أواه ، إننى أعبدك (ينح على جبينها
قبلة) أنا خطيتك الطليح لأمرك

إرين - لقد طالت زيارتك ، فاذهب الآن
ميشال - أأذهب دون أن أعلم ما قضى الله
في أمرنا؟

إرين - سأبذلك المحكم في حال صدوره
ميشال - ولكن من ضمنى لي أنك ستتمتعين
بحريتك بعد اليوم؟ أفأتحاذرين أن يمنك زوجك
من الخروج وأن يراقبك فلا تتمكنين من الكتابة إلى؟
إرين - (تهمس يديما إلى الحديقة) أدخل إلى
الحديقة وانتظر لي أن تعلم ما قدر لنا
(يجرى ميشال في الحديقة)

المشهد السابع

(إرين ، بولين)

بولين - أذهب ميشال من هنا ؟ لقد خفت
أن يدخل زوجك فيراه أو يلتقى به في البيت وهو
على ما هو عليه من هياج فلا نأمن سوء الماقبة

إرين - هو يرفض إذن ؟
بولين - سوف تسمعين حكمه من فمه هوأت

المشهد الثامن

(إرين ، بولين ، فرجان)

فرجان - أهذه هي المؤامرة الرائسة التي كنت
تدبرينها مع أخذك يا إرين

بولين - لم يكن من مؤامرة بيتنا

فأنت تريد أن أشطر شخصي إلى شطرين فأبيع
مطلقاً ومطلقاً ، فأضطر إلى بيع نصف بيتي
ونصف مفروشاتى وأن أفرغ نصف كيسي ، ثم
أذهب إلى المجتمع فلا أجد فيه غير نصف مقعد
ونصف استقبال ، وكل هذا لأجل النزول عند
إرادة أعصابك المحتلجة ، ولأنك لا تجد لذة في
عشرك . والله إنها لأسباب مضحكة مبكية ، ولن
تجد رجلين فيهما مسكة من عقل أو فنانك عليها
إرين - أما أنا فاني أكره التظاهر بشيء
الحقيقة وأحترق زواجاً يرسو على الخاتلة والنفاق ،
فاني حين أقول لك إن الزواج هو الشعور بالسعادة
من توليد السعادة في القرين لا أسمع منك غير كلمات
الشرف والهمود البزمة والافتاقات المسجلة ، وكل
ما هنالك من مضحكات ما أشبهها بالمبيكات
فرجان - لقد أردت أن تدي نفسك غريبة
في بيتي فأخذت الواحة سيلا للانشقاق عني ،
لذلك رأيت أن أطلك العاملة التي لا تستحقين
سواها . إن يندى اتفاقاً مسجلاً أنودك للروض
له بالرغم منك ، فأنا لا أشمر نحوك إلا بأمر واحد ،
وهو حق عليك

إرين - في الحياة حقوق وواجبات يا فرجان
وأنا أحترم كل شريعة تؤمن الانسان على ماله ولا
أبحث فيها ، ولكن الذي لا أنعمه بل أنمره عليه
هو القانون الذي يجعل الانسان ملكاً للانسان مثله
ويحكم المخلوق بالمخلوق ما دام فيه نسمة حياة
فرجان - إنك تنكرين الزواج وهو يرسو على
مبدأ احترام المقد وحياته من خلعب الأهواء

وقد توقعين إلى مثل هذه العاملة الخشنة تتخذينها
حجة على ، إذ هي يا بولين ، فأنا صاحب الأمر هنا
بولين - الله ما أقساك
بولين - (تقدم إلى إرين وتبها فائلة) اغفري لي
عجزي فما ادخرت جهداً في سبيل مرضاتك

المشهد التاسع

(إرين ، فرجان)

إرين - إلى أية دركة تريد ذنبي يا فرجان ؟
فرجان - لا أقصد إلا إعادة رشك إليك
إرين - لقد أبديت لك الأسباب التي توجب
فراقنا ، فإني الأسباب التي تدعوك إلى التمسك
بأفئدنا ؟ لاجحة لك إلا إذا ادعيت المشق وتظاهرت
بمحب مكدوب
فرجان - ما أدعي أنني أحبك لأنني لأحبك ،
ولكن لي عليك دعوى القتل على قاتله ، فأنت
مزقت حياتي تمزيقاً

إرين - إذا أنت طالب انتقام ، أنت تقضي
على بكفارة لا نهاية لآلامها

فرجان - إنني إن قصدت ذلك لا أكون
إلا مستفيداً فزاً من حقوق الضامة . ولكنني
لا أخرج بيرهاني من هذه المقدمة . لقد عقدنا يوم
زواجنا اتفاقاً وكلانا بصحة العقل والجسد وهذا
الاتفاق صحيح لا غبن فيه ولا تفرير وهو سالم من
شائبة الزور ، وبموجب هذا العقد أصبحت رجلاً
متزوجاً أي رجلاً مزدوجاً أدبياً ومادياً ، وقد تمت
من جهتي بكل تكاليف المقد بلا تردد ولا مخالفة ،
وأنت الآن تتقدمين بطلب على غاية من الترابية ،

لضربك يوماً ، ولم أقصر في تقديم ما يحتاجين إليه . لست زانياً ، ولم يصدر علي حكم بجرم وما من سبب غير هذه الأسباب يمكنك أن تتقدمي به أمام الحاكم ...

إرين - ولكنني أتمكن من جرك جراً إلى طلب الطلاق

فرجان - لن تستطيعي .

إرين - وإذا أنا أوقفك وفقاً لتخرج أنت فيه؟

فرجان - ولا هذا يجديك نفماً .

إرين - سوف ترى .

فرجان - وماذا أنت قاعلة يا ترى إذا أنا

أوصدت عليك الأبواب كلها ؟

إرين - أترك السجن وأهرب .

فرجان - إذا فررت من مسكنك أرسل

الجنود يقبضون عليك ويبعدونك إليه ...

إرين - وإذا قضيت أنا على نفسي وأصبحت

امرأة لا يجوز لرجل شريف أن يقبها عنده

فرجان - سوف أحركك .. يلذ لي ألا أريد

حريتك إليك . أنا حاكك حتى الموت وفي هذا

الحكم كل قوتي . القانون في جانبي ، فأنت في يدي

ولن تفلتي منها

إرين - ويلاه لقد مننت للنخاسة في جميع

الأنهار وأبطلت التجارة بالبديد . لقد قضى العقل

كل تمهيداً بدي ، ويمكن لمن نذر حياته . الله أن يتحرر

من نذوره ولا يمكن لامرأة أن تتحرر من عبوديتها

زوجها - أين الحرية في العالم ولما نزل فيه قوانين

إرين - لقد كان زمان هنا في هذه البلاد نفسها يمكن فيه لأحد الزوجين أن يحل الزواج بمجرد اختياره

فرجان - ومن قال لك هذا ؟

إرين - أحد المحامين

فرجان - وهل توصلت بالهوس إلى هذا الحد

إلى استفتاء المحامين ؟

إرين - لقد كان ذلك في أوائل القرن

التاسع عشر ، حين كان المجتمع يفوق مدينة اليوم

عظمة وتنظيماً ، لما أطلب إذا ما يزعم دعائم الكون .

إن قربنا أبغض قربته بالأسس ويفضض اليوم ولن

يحول عن بغضه غداً هو ذو حق صريح وعلى

الشريعة أن تحميه . لقد كان من الواجب أن يحترم

حق الانسان على نفسه لأنه يرسو على فطرة كل

نظرية ترد عنها غاشية متحطمة . أي شيء أسدق من

الماطفة وفي الماطفة كل الحياة ؟

فرجان - أحمده الله لأن شريعة هذا العصر

لا تميز الطلاق حتى ولو طلبه الطرفان بالتراضي

إرين - وما هي حاجة الطرفين إلى الشريعة

إذا اتفقا على الطلاق ؟ ان القانون لم يوضع لأقامة

عدل قائم بنفسه ، ولكنه ضروري لانصاف المظلوم

وأخذ حقه من ظالمه وماذا يفيد تشريع لا يمنع

النخاسة ويعطل الأغلال الجائرة ؟

فرجان - اتجهي إلى أي منفذ فالأبواب كلها

موصدة في وجهك .

إرين - لن أعزم خرجاً أنطلق منه .

فرجان - لا ، لن تجدي . أنا لم أرفع يدي

إرين — (ترعى على قديمة) الرحمة .. الرحمة ..
الرحمة ! أعتقدني ..

فرجان — إن إرادتي لا تنزعزع ، شدي
نفسك وأتبعي أوامري ، وسوف يأتي يوم تزول
فيه سكرتك فتشكريني لأنني صنتك من الضلال
وقدلت خطواتك على السبيل السوي .
(يخرج فرجان شامخاً بأفقه من الباب المؤدى إلى غرفته)

المشهد العاشر

(إرين وحدها ثم يدخل ميشال)
(تسقط إرين على ركبتيها وهي مضطحة ثم تلوح على
وجهها بشفة علامات التردد والعزم فتقف وتتجه نحو باب
الحديقة وتقتحمه متنادية : ميشال)

ميشال — (يهرع إلى إرين) مالك ... ماذا
جرى ؟

إرين — (ترتبى بين ذراعيه) أنت .. أنت ..
ها أنا ذى بين يديك

« يقدم » فيليكس فارس

تتمتع الانسان أن يكون مالكا لنفسه، ونفسه عطية
الله له .

فرجان — سوف تألفين هذه المبودية . لقد
قلت لك إننى أعمل على شفائك ، فسوف تبارح
باريس فيتسع لك المجال فى عزلاتك لتدبر أمرك
وتعديل مبادئك المتطرفة

إرين — أهذه هى كلتك الأخيرة ؟

فرجان — الكلمة التى لا كلمة بعدها .

إرين — (تضم يديها بحركة التوسل) لآلئ تكون
طاغياً ، أرحمنى ولا تدفعنى إلى الهاوية

فرجان — (يقدمه) أأرجوك أن تترفعى عن
مثل الحركات الصنيانية إذ لا فائدة منها . لقد مضى
زمن المتاد والثورة ، لقد قررت ما يجب إتخاذه
من وسائل وما أفرده لا مهرب له .

المجموعة الأولى للرواية

١٥٣٦ صفحة

فيها النص الكامل لكتاب اعترافات فنى
المصري لموسيه ، والأديبة لموميروش ، ومذكرات
نائب فى الأرواف لتوفيق الحكيم ، وثلاث مئترات حيات
كبيرة و ١١٦ قصة من روائع القصص بين
موضوعية ومنقولة .

الثمن ٣٤ قرشاً مجلد فى جزئين

و ٢٤ قرشاً بدون مجلد

خلاف أجرة البريد

مجموعات الرسالة

تباع مجموعات الرسالة مجلدة بالانعام الأتية

٥٠ السنة الأولى فى مجلد واحد

٧٠ كل من المبنوات الثانية والثالثة والرابعة

والخامسة فى مجلدين

وذلك عدا أجرة البريد وقدرها خمسة قروش

فى الداخل عشرة قروش فى السودان وعشرون

قرشاً فى الخارج عن كل مجلد

المقالة

مجلة أسبوعية للأدب والعلوم والفنون

مجلة الآداب الرفيعة والثقافة العالية

تصل الماضي بالحاضر وتربط الشرق بالغرب

على مدى وبصيرة

الرسالة : معبر باخلاص عن روح النهضة المصرية

الرسالة : تجمع على وحدة الثقافة أبناء البلاد العربية

الرسالة : تصور مظاهر العبقريّة للامة العربية

الرسالة : تسجل ظواهر التجديد في الآداب العربية

الرسالة : تحيي في النشء أساليب البلاغة العربية

بمجموعة أعدادها ديوان العرب المشترك ، وكتاب الشرق

الجديد ، وسجل الأدب الحديث ، ودائرة معارف عامة

١ -

الاعتماد المأخوذ من ثروة ، والغايى ما يساهم جنباً مصرية ، ولبلاد العربية بنصم ٢٠ ٪



صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

برل انشراك هي سنة
٣٠ في مصر والسودان
٥٠ في الممالك الأخرى
١ ثمن العدد الواحد

الادارة
شارع عبد العزيز رقم ٣٦
العتبة الخضراء - القاهرة
تليفون ٤٢٣٩٠ ، ٥٣٤٥٥

المروية

مجلة اسبوعية للفن والفكر والتاريخ

نصدر مؤقثاً في أول كل شهر وفي نصف

السنة الثانية

٧ شعبان سنة ١٣٥٧ - أول أكتوبر سنة ١٩٣٨

العدد ٤١



فهرس العدد

صفحة			
٩٠٦	الوصول	أفصوصة مصرية	يُعلم الأستاذ محمود بك خيرت
٩١٤	في جوف الليل	لشاعر الهند وفيلسوفها طاغور	يُعلم السيد غفرى شهاب البيدي ..
٩٢١	زهرة الجبل	للكاتب الايطالي جيوفاني دى نالفا	يُعلم الأستاذ محمد لطفي جمعة
٩٣٠	اللس الترمار	مترجمة عن الانجليزية	يُعلم الأستاذ عبدالمطيف النشار
٩٣٤	جنبة البحر	للكاتب الفرنسي جول ميتر	يُعلم الأديب السيد محمد الزاوي ..
٩٤٠	سارقة الأطفال	للكاتبين القصصيين إيركان وشاريان	يُعلم الأديب السيد صلاح الدين النجد
٩٤٥	فنان	للكاتب الايطالي أدريانو زوكولي	يُعلم الأديب محمد حسني
٩٥٣	الأغلال	للكاتب الفرنسي بول هرفيو	يُعلم الأستاذ فيليكس فارس

غيطه ويلمع الأقدار التي حكمت هذا الرجل فيه، وقد أخذت النار تنفذ إلى جسمه، وشرها يتقد في عينيه، والنفاس تريح بين أسابه المرتجفة حتى تشدده نفسه بأن يهوى بها على رأس الشيخ مناع ذلك المالك فيحطما لولا بقية

من رشد يذكر عندنا ما هو فيه من صرامة اليم والفاقة فهذا ثورة ويسود إلى عمله، حتى إذا ما انصرف الشيخ ألقى بنفسه على الأرض ساخطا وعاد إلى التفكير .

وكان رحمه من مراوغة الزراعة شديلا، فتركها وانخرط في سلك المال الذين يشتغلون في تطهير الترع وتقوية الجسور . ثم عدل عن هذا أيضاً وفكر في أن يشتري مقدارا كافيا من التبناك يمر به على هؤلاء المال وهو ينتقل في شتى البلدان التي يتكثرون فيها بسبب مشروعات الري الجديدة، حتى اجتمع لديه من المال قدر لا بأس به، فخدمته نفسه أن يزاحم صناديق المقاولين الذين يسهل إليهم في تنفيذ تلك المشروعات فتصبح وأصبح في رغد نسي من العيش . ولكن عطية (وقد اشتهر بطيبة الجشع) كان يطمع في أكثر من ذلك : في ضياع وقصور، وفي جاه يساعده على تحقيق أمانيه التي لا تقف عند حد والتي كان من أشهاها أن يقف يوما ما في وجة ذلك الشيخ ليسقى منه حساب ذلك الماضي القاسي .

وإذا كان عطية قد تعلم مبادئ الكتابة والقراءة وحفظ القرآن وقد وفق إلى جمع هذه الثروة فإن كل ذلك لم يثير من أخلاقه التي انبثت من الشر وانجبت للشر؛ وما كان أبوه إلا لصا خليرا، ولا أمه إلا امرأة سليطة اللسان شريرة . حتى إن

الوصف

أَقْصَوْصُهُ مَضْمُونِيَّة
بِسْمِ الْأَمْتَادِ مَجْدُوكَ خَيْرَتِ

بناحية (أبو الغرض) من قرى مديرية الحيزة رجل في العقد الرابع من ديد القامة نحيف الجسم خفيف الشارب، وقد مات أبواه وهو صغير فشب يعمل أحياراً في أطيان الملاك كثيره من قراء الفلاحين .

وكان هذا الرجل طموحا حسودا لا يتحدر إلى دكن غرضته اللقطة بسف النخيل والفض قبل أن يفكر في أحوال هؤلاء المحطوطيين الذين يستفيدون الزراع في فلاحه أراضهم وهم يقيمون في أحياء القاهرة هاتين مطمئتين فيملكه التيقظ ويغضب صدره عليهم بالحنطة

ينظر إلى تلك الترفة الظلمة الرطبة فيذكر ما لهم من القصور والضياع، ويتناول طعامه البسيط الحفير فيتمثل لسينه ما يتمون به من ألوان الطعام للشهى . ولا ينتقل في الصباح المبكر إلى الحقل وهو بعيد عن حدود القرية حتى يجبل إليه أنه يرى غرابهم الفخصة وخيلهم الطهمة يجري بهم وهم غارقون في النسيم .

وهكذا يدب البنفس في نفسه ويأخذ في التلو على تماكب الأيام . وبخاصة كلما زار الناحية صاحب الأرض التي يعمل فيها وهو يصيح في رجاله وفيه : « يظهر أنك كسلان يارجل، فمن الخير أن تلتفت لملكك وإلا طردتك »

وعند ذلك يكب بنفسه على الأرض وهو يكتلم

في العصر الحاضر، تند من أسمى المفاز في مثل هذه البحوث . ويتخلص رأيها في الزواج في كتاب قيم من بين ما كانت ترسل إليه :

القاهرة في ٢ فبراير سنة ١٩١١

عزيزي صادق

تسلنت كتابك نجب إلى المقام في تلك البلاد المحيية بجبالها الشاذة البيضاء مما جعلني أعجبك على اجتلاء مناظرها الساحرة . وكما كان لشرك مشاهد النزولين والمزحلقات فوق التلج من الأثر في نفسي حتى خيل لي أن أمم بالبران نحو هذه البروج لتشارك عيني في الاستمتاع بها مع عينيك الجليلتين .

وكم سرتي أيضا إقبالك على المدرس وأنت تشيد بطلاوة الموضوعات التي تتلقاها كما سرتي أنك من رأيي فيها أوجزه لك عن الزواج في العهد الحالي .

والواقع أن حجب الزاوية في الزواج السعيد هو الحب المتبادل بين الزوجين لأنهما متى امتزجت روحهما توحشت مصالحهما وامتنت من بينهما أسباب الشحنة والقلق . ومثل هذا الحب يقتضي اختلاطاً بين الجنسين، حتى إذا كانت في طبيعة كل منهما جاذبية نحو الآخر كامنة ظهرت وتمت . ثم إن آباءنا وأمهاتنا في عهد الحجاب كانوا يعتقدون مثل هذا الاختلاط وينفرون منه ، ولكن الواقع أن الرجل في ذلك العهد ما كانت لتقع عيناه إلا على زوجته . وكذلك المرأة ، فكانت علاقة الحب تتشأ بينهما بحكم هذه الصلة الضيقة واستمرارها . وكان يساعد على ذلك ما كان الناس عليه من كرم الخلق وإنكار الذات . فكان للزواج قديماً طابع رومى شفاف لا يتأثر بمنهيات المادة . أما في عصرنا الحاضر

عند السرى تبرا منه كما تبرا فيما مضى منها فكان من الدين حلت عليهم لمتهم واستوجبوا حقه

وانفق أن هذا الرجل الكريم كان ذات ليلة ماشاً إلى داره فحضر في جناح الظلام بعيدة تنوص في عنقه وفي صدره غفر صريخاً . وقد أقام هذا الحادث رجال الحفظ وأقدم ، وبإلزام من مشورهم فوق جانب من سور الحديقة على أثر كف ملوثة بالدم فأنهم لم يهتدوا إلى القاتل ولا إلى تلك اللذة . وقد رأوا أخيراً أن وقوع هذه الجريمة كان لجرد الانتقام فأنجبه خاطرهم إلى عطية الجحش لأنهم ابن أخيه وابن أبيه ... وقد قوى هذه القرينة اختفاؤه من أبو النمرس منسقط رأسه، فحكم عليه بالاعدام غيباً . ويظهر أن القاتل كان قلقاً قبل وقوع هذا الحادث، وأحسن ذلك أجله فأقام الشيخ متاع صديقه وسياً مختاراً على ولده صادق . وهكذا انتقل قصر مأملاًه التي في أبو النمرس إلى يد الشيخ فقام على إدارتها وعنى بتربية القاصر ، حتى إذا حصل على شهادتي الدراسة الابتدائية والثانوية — كما حصلت عليها وسيمه كريمة — أوفده إلى إحدى جامعات التجارة بسويسرا، كما خصصن لها أساتذة يحاضرونها في المار لإتمام ثقافتها

أما صادق فبقى صبوح الوجه حلو الثمائل، كما أن وسيمته فتاة جذابة رشيدة الحركات ، فكان من ذلك ومن ظروف اجتماعهما تحت سقف واحد أن وقعت من نفسه كما وقع من نفسها . وساعد على نحو هذه اللطافة الطيبة ما سبق في نية أبيها من أن يزوجه منها إكراماً لذكرى ذلك الصديق

وهكذا كانا يتكاثبان في رسائل تفيض تارة بالحب وتارة بأحوال المجتمع أو الزواج وما تطور إليه

الزواج إلا بها — ما دمت لا تفرح عن هذا الأساس قتل على الأسرة السلام

(رسمة)

وقد بلغ من حب الشيخ لابنته أنه كان لا يمرض لحريتها في الكتابة إلى خطيبها على أي نحو تراه وهو يملأها مثقفة هائلة رزينة حتى كانت دائماً البادية في عرض ما تكتب عليه . وكما كان يلتذ للموضوعات التي تخوضها والأسلوب الذي تصوغها فيه . وكثيراً ما كان يتناقشها وتناقشه وهي تعرف بخطبها إذا رآه على حق ولكنها ما كانت لترميه بالخطأ إذا اجتهد عن الصواب ، فيدرك هذا الأدب منها وهو ينظر إليها في حنان ورفق معجباً بشموخها متراً بها

وكان الشيخ قد جاوز الستين وهو يحيل بشر بالضعف فأقنعه الروايات التي أسأبه عن الحرية وأعجزه عن الاستمرار في إدارة ضارعه ومزارع سديقه حتى زارهم ذات ليلة رجل كان قد تعرف به في بعض مجالس جيرانه اتهمه عبد الرازق بك كسر في المقد الخامس من عمره ، ولكنه قوى بذل ملاحه على الخجل والشراسة ، إلا أنهما كانتا تحتفيان وراء حديثه اللطيف أو التكلف وبين خبات السبعة التي كان لا يفتر يحركها بين أسأبه

وكان الشيخ متاع بملك في أبو الخرس حوائى ماؤوخسين قدناً جيدة التربة، ومثلها لسديقه، إلا أنها ارتقت إلى مائتين بسد أن باع الشيخ منزله الذي لم تمد لصادق حاجة به لبعده عنه ففرض عليه هذا الزائر أن يستأجرها جميعاً . وكانت فرصة سانحة فلم يتردد الشيخ في إجابة هذا الطلب ، وقد قيل الرجل الشروط التي عرضها والقيمة التي قدرها كما

فقد قام منها سد متبوع بين الميرون والنور فلم يسد الزواج إلا صفقة بين طرفين لا يجمعهما ذلك الرباط المتقوى المتجانس وإغماهورباط من الصلحة في صورها المختلفة من مال أو جاه أو غيرهما . وهكذا يبيع الفتى شبابه لمن هي أكبر منه سنًا ليمش عالة عليها . وتسلم الفتاة في نفسها لا شيء إلا إشباع أهوائها ومطامعها . وكل ذلك تحت ستار من الشريعة التي ما كانت حمايتها لتغير ما يتفق مع النوااميس الطبيعية وعندى أن الفتاة التي تسقط لإطعام طفلها الجائع أو مساعدة أمها الهرمة البائسة لأكرم ألف مرة من تلك المنزلاء التي لا ترق إلى سرير الزوجية إلا لتناول المال الذي فوقه ترضى به شهوات زيتها وجنونها . ولذلك فكل غلالة تم على أساس بعيد عن تلك النوااميس ، ولا تقوم إلا على غاية غادية أو مطمع يدفع إليه حب الذات ، ليست في نظري إلا دماراً في أوسع معانيها وإن اخفت عنا حقيقتها تحت غلاف من عقد رسمي على يد مأذون

وكثيراً ما يتمدى هذا الاستهتار أشخاص الزوجين إلى آيهم وأهملهم فيضنون بهم على هياكل أعراضهم كأنهم من بعض السلع التي يتجرون بها لا يهمهم من أمرها أن يكون للشترى لها شيئاً أو شاباً . ولذلك أصبحنا اليوم أمام أزمة خطيرة قامت حائلًا دون تحقيق الناية للشريعة من الزواج وهي أن يكون طرفا شريكين متضامنين لمواجهة أعباء الحياة

وما دمت على هذا الاعتبار من المفالاة في المهور لمجرد التباهي، ومن سوء التدبير في اختيار الشريك الصالح، ومن البعد عن الروح الحقيقية التي لا يترعرع

وبين خطيبها - فتثور نفسه . ويتمنى لو أنها في يوم من الأيام تكون له فيزلها عن كبريائها ويخضعها لسلطانه .

وكانت هي أيضاً في خلال هذا السكوت تحمل هذا الخلق التريب الكره الذي يتم ظاهره عن باطن غامض خبيث . ثم تحدث نفسها كيف يطلع مثل هذا الرجل في أن يكون يوماً ما زوجاً . بل من هي تلك الفتاة التي تقبل أن تدفن شبابها بين ساعديه إلا إذا كانت على شاكلة : والطيون للطيئات ، والخبثون للخبثات

أما صادق الذي كان قد انتهى من دراسته فقد اضطر إلى البقاء في سويسرا نظراً لقيام الحرب العالمية الماضية . وكانت مدة الإيجار قد انتهت فاقطع المستأجر عن زيارته ، وجمدت وسيمه الله على هذه الفرصة التي من شأنها أن تنقطع سلته بأبيها

وكانت كتب صادق قد انقطعت عن وسيمه فأرجعت ذلك إلى صعوبة المواصلات بسبب الحرب العامة . ولكن كم كانت ذهشتها حين وصل إليها كتاب منه يشكو فيه ما حل به من الضيق ويلعن هذه الحرب التي كانت سيئاً في عدم وصول بقود إليه ... حتى باع ساعتها وخاتمها وبعض ملابسه وكتبه ليحفظ بضمنها القليل رमقه ...

ولكن الشيخ من عهد انتهاء المقد احتجب في غرفته وظهرت عليه آثار الهم وبواعت التفكير . ولقد كانت وسيمه فيا مضى إذا أقبلت عليه هزلها وأنس بها فأصبح إذا وقع نظره عليها اضطرب وأخذ يحدها وصوابه بيد ونظراته ساجدة ضالة . وهو مع ذلك يحاول أن يظهر أمامها في مظهره الطيب ، ولكن تكلفه ما كان ليخفى عليها وهي

أنه أبدى استمداه لمفع نصف إبحار المدة كلها معجلاً . وهكذا عاد إليه في اليوم الثاني ومعه صورتان من المقد ، أخذ يتلو عليه حتى إذا انتهى وقما عليها واحتفظ الشيخ بإحدهما وأودعها خزانته

وبحكم هذه العلة الجديدة كان عبد الرازق بك يزور الشيخ من وقت لآخر . وكثيراً ما كان يلتقي وسيمه وهي تطالع كتاباً أو تهبي رسالة أو تشتغل بالآلة في زركشة ، فيحادثها ويحييه ولكن بنير أن ترفع عينها فيه لأنها كانت إذا نظرت إليه تولاهما الفزع وشمرت بالحنف . وحاجباه الكتيفان يرتفان وينخفضان كلما تقلصت عضلات جبينه عندما يتكلم حتى لكأنهما من بعض تلك الكتل الحديدية التي يستعين بها الرياضيون في حركاتهم البدنية . ونحت كل حاجب منهما حفرة غائرة استقرت عند قاعها إحدى عينيه الصغيرتين وهما تبرزان وتختفيان وتوسع حداثهما وتضيغان بتأثير الحديث كأنهما عدستاهما تصوير شمسي تتحركان بتأثير ما ينمر المراثيات من الظلمة أو النور . وكان إذا ضحك انفجرت شفتاه النليظتان عن أسنان صفراء برز من بينها كالن كتابي الدثب . وفي موجات ضحكه ما يشبه قرقرة الماء في فتحة « للزرجلة » أو هدير الأمواج وهي ترتطم بمجوانب خليج ضيق وكان إذا نلس من تلتفها معه ساد سكوت طويل يتناول في خلاله هذه الفتاة الخلابة الشففة التمايلة التي تجرح دائماً عزته بسلوكها هذا معه ، وهو رجل غني جميل المندام في ثوبه الأفرنسي ، وساعته الذهبية وحذاءه اللامع ورياطر قوته الحريري وهو يتموج حول دوس من اللاؤلؤ الثمين رشقه فيه وكان قد علم بحكم اختلاطه بأبيها بالصلة التي بينها

— وهكذا ...

— وهكذا لم يكن تجليه لنصف الايجار وموافقته على كل شروط أليك إلا ليومه عقدرته من جهة، وليليه عن حقيقة ما يبتله من جهة أخرى. وهكذا سجل العقد وانتقل إلى اسمه التوكيف فأصبح المالك بغير منازع. ولو أن ما وقع اقتصر على ما كنا لمان الأحرار ولكنه تناول أطيان ذلك الفنى للسكين. وقد لوح هذا المجرم لأليك بأن المجلس الحسى قد يقف على مثل هذا التصرف فيقع تحت طائلة السئولية وتصبح سمته مضنة في أفواه الناس. ولله بهذا التلويح كان يحاول التوسط عليه ليقبل ماطلبه بشأنك. ولكنه رفض.

وعند ذلك انحدرت مدامها وقد أكبرت هذا الأب الرحيم الذى عز عليه أن يبيها بالرغم من هذا الذى أصبح فيه. وقد أدركت أيضاً سر انقطاع النقود عن خطيبها كما أدركت خطر الهاوية التى أصبحوا جميعاً عند حاقها فمزمت على مواجهة أيبها، ولكنها أسرع قبل ذلك فباعت ما كان لها من حلى وأضافت إلى غنى ما كانت قد اقتصدته ثم أرسلت بذلك كله إلى صادق وهى توصيه بالاقتصاد فى مثل ذلك الوقت الذى ارتفعت فيه أسعار الحاجات وأصبحت الأطيان يكاد إرادها لا يكتفى إلا بإصدارها وماعيلها من الأموال. وبعد ذلك اندفعت إلى غرفة أيبها

— أنت هنا ياوسيمة ؟

— نعم يا أبى

— لقد سادت سحى؛ و كم أتعبى لو أن ساعق

تحيين فاستريح من هذا المذاب

— بل تمش يا أبى. وستنجل هذه الشجرة

حيرى لا تفهم سبب هذا التنير الذى طرأ عليه على أنها لم يفتها أن تكشف سر آلامه بأسلوب غير محسوس، إلا أنه كان يملأ بالمرض وبشواغل الدنيا؛ فأذا ما سألته عن هذه التواغل عاد ففأها وهو يملأ ويرسل إليها نظرات دامية كأنه يتوسل بها عندها لتكف عن تضديه.

وعند ذلك رأت أن تلجأ إلى الجانب الايمن وهو أسوأ ولكنها ما كادت تخاطبها فى شأن أيبها حتى انهمرت دموعها وخفقها البكاء

— لانتلى يا ابنتى فتسجلى الأيام الباقية له بيد تلك الصدمة التى أصابته

— أية صدمة يا أبى ؟ وكيف لم أعلم بها ؟ تكلمى بالله. إن هذه الصدمة إذا كانت تتناولنى أنا أيضاً فقد أصبح من حق أن أقف عليها. وإذا كانت تقتصر عليه وحده فإنلى هذا الحق أيضاً لأنه أبى ...

— إن ذلك المتأجر الذى تمهيدته خاطبه فى شأنك

— فى شأنى أنا ؟ تريد أن يسمى للزواج منى ؟ ان أب لن يقبل ذلك. على انى لأرى فى ذلك ما يدعو إلى هذا الملم الذى أصبح فيه. فلم لم يمسق فى وجهه ولم لم يطرده ؟

— هيات ياوسيمة

— هيات ؟ إذن وراء هذا الطلب ما هو أمره ؟ لقد اتخذ أبوك عظهراً هذا الرجل بل هذا الشيطان. ولعلك تذكرين أن عقد الايجار كان لثلاث سنوات، فهذا المقد لم يجدد لانتهاها، ولكن لأن ذلك الرجل جملة عقد بيع وبسلامة نية أليك اكننى بأن يتلوه عليه ثم احتفظ بصورة من غير أن يطلع عليها.

مبلغاً من المال وبيعاً كهدي رأى من الواجب أن
يتقدم إليها على أثر ذلك القدر

إلا أنه بعد كل هذا يود فيشمر بالفارق بينها
وبينه من حيث الثقافة وكرم اللبث ، فكان كلام
بالتحدث إليها في شأن الفرض من هذا الزواج
ينحل عزمه ويقف لسانه في فمه . وهكذا مر شهر
واثنان . حتى إذا ضاقت نفسه أسك بأطراف
شجاعته ولح لها بفرضه ؛ فأرسلت تحفة ساحرة
ساحرة وهي تقول : لم هذه العجلة وقد أصبحت
لك ؟ ولكن الذي طلبه أدى إلى العسر والتهل
حتى أروض نفسي عليك فمتزوج وتأنف . أما
قبل ذلك فلا يكون للزواج إلا معنى واحد هو
الاعتصاب ولا أظن أن تنسك الرقيقة ... ترشاه
وعند ذلك يتلب عليه الحجل ويتعقر . وقد
خيل إليه مع ذلك أنها بدأت تجاهد نفسها لتتسنى
ذلك الذي كان أحق بها منه . وهكذا يمر شهران
آخران ...

وكانت أم صادق على أثر وفاة زوجها تقيم في
دار الشيخ وهي لا تجهل ما بين ابنته وولدها من
الصلة ، وأن النية كانت متجهة إلى زواجها منه ؛ فلما
رضى لها أبوها غيره انكسرت نفسها وغلب الحزن
عليها وهي شبيخة مضضعة تقضت نحبها . وكان في
ذلك فمحة جديدة تحول بين عبد الرازق بك
المتحرق وبين أمينة

ولكن وسيمة في خلال ليالي اللأثم طرق أذنها
عس بين بعض الزائرات من ذلك الزوج الذي
صارح أباهما بأنه لم يسبق له زواج مع أنه تزوج من
اثنين على التناوب مات إحداها مسمومة والأخرى
محروقة . وعند ذلك اضطربت نفسها واسودت الدنيا

إن شاء الله . ولكني أطلب إليك شيئاً أرجو
ألا ينصّبك

— وما هو يا ابنتي ؟
— أن تجيب ذلك الرجل إلى ما طلبه منك
بشأن
— أنا لو سيمة ؟
— نعم .
— ومن السبب أنك أنت التي تطلبين ذلك .
فلم ؟
— لأنتم

لم تقدم وسيمة على هذه التضحية إلا لتصون
أولاً سمعة أبيها التي تهدمها المستأجر بذلك التلويح ،
لأنه يحكم هذه الصلة لا يجرؤ على تنبيه المجلس ولو
من طريق غير مباشر . ولكن تبقى بعد ذلك أطياف
صادق التي يجب أن تعود له وما كان له يد في ضياعها .
هذا ما فكرت في توجيه جهودها إليه بعد أن
تفرض سلطانها على هذا الغاصب الباني الحقير

ومن غير شك أن سروره بتمام هذا الزواج كان
بشيراً بوقوف الحظ إلى جانبه وقد امتلأت يده من
تلك الفتاة الجميلة الجروح وأصبح سيد أبو الفرس
بتلك الأطياف الواسعة وما له من ثروة الخاصة

ولكنه مع ذلك يذكر ما بينه وبينها من التفاوت
في السن ، وأنها كانت غطوبة في ذى ربيع السبا
ونفرة الشباب ، فكان مجرد تسرب تلك الدهكرى إلى
خاطرهم يزجهم ويكدر عليه صفوه . ثم إنه قطع خط
الرجوع على تلك العلاقة بقدر زواجه منها .
ولكنه كان يريد أيضاً أن تنساها هي وأن ينصرف
قلبا إليه وحده ، فاشترى لها حلياً ثمينة ونفعها

وجدت أن إحداها خطاب مرسل من نفس ذلك القاتل وفي أسفله الرد عليه . وعند ذلك انتفضت مذمورة وكأنها استيقظت من حلم مزيج عتيف . لأنها رأت أن خط الخطاب لا يفتقر في شيء عن خط زوجها . إذن لم يكن ذلك القاتل غير هذا الذي تسكن معه وحدها في تلك الدار . وقد وجدت أيضاً في درج آخر مدية ذات حدين ملوثة بدم متجمد فكاد ينشئ عليها وقد ارتجف جسمها وزاغ بصرها ولكنها تحالكت نفسها وأطاعت كل شيء إلى مكانه وتلك السلسلة حيث وجدها .

وكانت فترة الأربعين قد انقضت ، وسيمود من سفره في مساء القدر ، وهو لا بد سيكرهما على تنفيذ ما يطلب منها بعد أن صبر عليها وفرغ صبره ، فلم تر إلا أن توقف مأمور القسم القريب على كل ما احدثت في كشفه

ولقد وقع الذي حسبته ، فلما ما كادت تستقبل زوجها حتى ضمها إلى صدره وهو يقول : هذه المرة لن يقبل منك أي عذر . غسي تلك الشهور الطوال التي حالت بينك وبينى . تعالى يا حبيبتي . ثم جلس إلى جانبها فوق منضدة بالترفة ، ولكنها ابتعدت عنه فاقترب هو منها قائلاً :

يظهر أنك لازلت تفكرين في ذلك الأبله الذي قطعت عليه سبيل كل أمل فيك . ثم لم لا يستمتع الكحول كالشبان بمحسنات الحياة ؟ ومع ذلك فهل يظهر شبابك . الفض إلا إلى جانب شيخوختي . أو يبدو رونق شمرك الفاحم إلا إذا جاوره هذا الشعر الأبيض الذي يكال رأسي ؟ اعلمي يا وسيمة

في عينيها ، لأنهما إما أن تكونا آتتا اللوت على شراسة هذا الرجل ، وإما أن يكون هو الذي قضى عليهما . وليس مثل هذا يبعد عليه وهو الذي ماتت نفسه قدس إلى أبها ذلك المقد المزور

ولكن الذي شغل بالها وأفزعها أنها ربما كان لها عنده مثل هذا التعصيب أيضاً . وعند ذلك تفكر في العودة إلى حجر أبها ثم تسمى في الطلاق على أية سورة : إلا أنها تعود فتصطدم بذلك النرض الذي نحت بنفسها من أجله وهي لو فعلت ذلك لفضت على كل ما هيأت نفسها له ومهدت لهذا الوحش سبيل الخروج ظافراً بما حصل عليه دون جزاء . فقد ذلك من غرورها وضاعف شهوة الانتقام فيها وقد أصبح عليها أن تنتم لا لأبويها وحبيبتها فحسب ولكن لبنات جنسها أيضاً .

فذلك رأت من حسن الرأي أن تأخذه بالطف والحيلة لتكشف حقيقته ، فلما عادت إلى داره وأثر الحزن ياد في عينيها هشت له فصره السرور وليس في ذلك دليلاً جديداً على تقدمها في طريق نسيان غريمه .

وتشاء القادر أن يسافر لشان من الشؤون وكان قد نسى سلسلة مفاتيحه ومن بينها مفتاح مكتبه فأسرعت فتفتش في أدراجها حتى وقع نظرها على حزمة من خطابات مرسله من بعض المغاولين بعنوان « عطية الجعش » وكانت تعلم أن هذا الرجل هو الذي حكر عليه لقتله والد حبيبها . فما الذي جعل هذه الرسائل تستقر في هذا المكتب ؟ وما هي العلاقة التي تربط زوجها بهذا الرجل ؟ وبينما هي في سبيل جرد ما بقي من تلك الرسائل

- وشرف النفس ؟
- لانسب لها منه ولا من الوجدان والرحمة وهذه الحرافات التي ينكرها كل من يريد أن يحيا .
- ولقد كان رجل القرون الفائرة اذا نازل خصمه ترك له السبق في الطعن ولو مات مدفوعا إلى ذلك بفروسية ذهب زمنها . وكان قرنى اذا سرعى ندم ويكافى . أما اليوم فقد يقتلني في الصباح وفي المساء ويقبل على الطعام والشراب والنساء كأن ماجرى لم يكن : هذه هي شريعة العصر الحاضر عصر المادة . وأخيرا ، فادمت زوجي فلا تناص لك منى
- بالقوة ؟
- بكل الوسائل . والآن لا أطلب عندك إلا كلمة واحدة ثم أولا .
- لا
- ولكنى لازلت أحتفظ بمعدة غير بكر ... لأنها جربت كيف يكون مصرع كل من يتحداها تغذى حذرك واعلى أنى قادر على أن أغيبها في صندوقك فألفحك ببنك الراحلين وإلا لا أكن أنا عبد الرازق بك تامر ...
- أو عطية الجحش
- مانا ؟ أوقفت على هذا أيضا ؟ إذن فلتذهبى فى أثرها .
- وعند ذلك انطلق إلى غرفة مكتبته ففرج رجال الشرطة من مكانهم . حتى إذا عاد والدية في يده أحاطوا به
- وهكذا نفذ حكم الاعدام وانتصر الحق .
- عمود مهيتر
(٧)
- أن أفساك الماطرة هي كزنى الذي يبيد إلى حرارة الحياة ، وأن سحر عينيك ليبت في عيني القابطين القوة والنور من جديد . فلم تقفني بيني وبين هذه السعادة ؟ تعالى يا حبيبتى . اقتربى منى
- ولكنها مع ذلك ازدادت بعد أن تم التفتت تسأله : — قل لي أولا أصبح أنك لم تزوج من قبل ؟ — لقد صارحت أبأك بهذا
- ولكن الناس يقولون إنك تزوجت من قبل بـاننتين
- كاذبون . وحتى لو صح هذا فإنا فيه ؟ — ولكنهم يقولون أيضا إن إحداهما ماتت مسمومة والأخرى عترقة
- ليكن كل هذا . ولكن اعلمي أن الحياة مرحلة قصيرة يجب أن نجتازها من طريق اللال والجاه والحب . وقد يندع الأعياء مظاهر القوى بالأسارى التي تشق جيبتي . وبهذه السبحة التي تحرك جياتها أصابعي . وما كانت الأولى إلا سطور دهان وتديري ، ولا الثانية إلا الجبل الذى أشد به على عنق كل من يقف في طريقى . وإنا كنت قد تزوجت باننتين فقتنا نحبهما على الصورة التي ذكرت فليس لأى كان حساب بشأنهما عندي
- وعذاب الضمير ؟
- ها . ها . وهل تريد أن يكون لمن يسي إلى مباح الحياة ضمير ؟ لم تكن الحياة في أى عصر إلا شملة تسمرها المصلحة ويذكها حب النفس . فلا تغنى أن رجل اليوم تنير من رجل الماضي فكلاهما واحد في البطن وإن اختلفت وسائل كل منهما

في جوف الليل

لشاعر الهند الفيلسوف طاغور
بسم السيد مخبري شهاب العبداني

أن اشتدت على وطأته وقرب ما بيني
وبين الموت، فاسترجعت حتى كاملة في
شهر أو بعض شهر...

« وكانت زوجتي .. خلال ذلك ..
لا تعرف الراحة معنى في لحظة من
لحظات الليل أو النهار، حتى لكأنها

كانت تدافع رسل الموت عن الاقتراب من الباب !
ودام ذلك منها لا تعلم شيئاً ولا تأخذها سنة من
الكري، ولا تفكر في شيء عرواي

« وكان الموت كمنهم خدع عن فريسته استلث
من بين فكيه فقيت عنه .. فلما غلب هذا الكلب،
أساب زوجتي بضربة قوية من رانته، فإذا هي بمد
قليل تضع طفلانيتها، وإذا دور عنايني بها قد حل ..
قال: « ولكن ذلك كان يسوؤها، فتصرخ قائلة:
— « إبتدوا بضوضائكم عن غرفتي هذه
إبتداء مرضات الله ... »

« .. كان يزعمها كل شيء ؟ فلو ذهبت إلى
غرفتها في الليل وقد اشتدت عليها الحى فأحرك الروحة
لأروحها وكأني أروح نفسي بها، تنبّه مزججة ..
« ولو أخرت موعد طمائي من أجلها يكون ذلك
مدعاة لنوسلات واستمطافات ترفضها إلى ..

« ... ولو ذهبت لأقدم لها أبسط ما أستطيع
من أمر خدمتها، جزاء ما صنعت بي، يكون ذلك
في نفسها أسوأ الواقع، فتصرخ قائلة ..

« ليس لرجل أن يضع كل هذا الضجيج !
« أظنك رأيت حديقة دارى حيث ينبت
أمامها نهر الكنج ... وهناك في ناحية الشمال كانت
تقوم غرفة نومها ومن حولها حديقة اتخذتها لنفسها

تكتنفها أشجار الحناء ؟ وقد كانت تلك البقعة من
الحديقة هي البقعة البسيطة المتواضعة، إذ لم تكن
تري في أصص الورد تلك الأسماء اللاتينية الطويلة

« دكتور ... دكتور »

استيقظت من نومي العميق في جوف الليل فزعاً
مذهولاً، فإذا أميرنا « دوخين بابو » ... فقدمت
له كرسياً بالياً أجاسته عليه، ونظرت إلى وجهه في
شيء من التلقن والاهتمام ... ثم ألقيت على الساعة
نظرة فإذا هي قد جاوزت منتصف الثالثة صباحاً .

قال « دوخين بابو » وقد علا وجهه شعوب
ظاهر، واتسمت عيناه :

— « إن أعراض الرض قد عادت إلى ،
ودواؤك ذاك لم يفدني في قليل ولا كثير »
فأجبتني في استحياء :

— « أخشى أن تكون عدت إلى الشراب
مرة أخرى »

فقال وقد بدا غضبه :

— « لقد أخطأت خطأ فاحشاً ... فليس هو
الشراب ... بل عليك أن تسمع القصة كاملة لتفهم
الأسباب الحقيقية »

وأدبرت السراج الذي كان يثقد في المشكاة
شاحباً باهتاً فأزداد ضوؤه قليلاً وتماهى منه الدخان؛
ثم أسبلت رفاي على كفتي وجلست على صندوق
أستمع قصة « دوخين بابو »
قال :

— « من نحو أربع سنين تخلصت أصبت بمرض
خطير كاد أن يودي بحياتي؛ ثم أبليت من مرضي بمد
(*) من كتاب « من روايات طاغور » الذي سيصدر قريباً

في غيابها يصبح مبتذلاً فأفها عندما أكون في حضرتها !!

«... إنك لتستطيع أن تمضي في الكلام حين تخالف في الرأي ؛ ولكن « الفسحة » لا تقرب بالحجة ولا تقابل بالبرهان ؛ وذلك ما يجعلني أقف بين يديها لا أنيس بشيء »

قال : « ثم ازداد ضوء القمر إشراقاً ، وصبح طائر من طيور « الكككو » طويلاً حتى ظن أنه مأخوذ أو أسابه من من الجنون ؛ فصبغت وأنا في مكان هادي لا أبدي حراكاً : كيف تبق « عروس الكككو » في مثل هذه الليلة قليلة الاهتمام كذلك ؟ » قال : « بعد أن لم تعد أنواع الأدوية زوجتي اقترح علينا الطبيب أن نبدل الهواء فأخذتها إلى « الله آباد »

وعند هذا الحد من الكلام توقفت «دوخين بابو» فجاءه وظل صامتاً ، ثم غص وجهي بنظرة أجالها فيه وبدأ يجيل الفكر ، وقد ألقى رأسه على يده ، فبقيت أنا الآخر كذلك صامتاً

وارتجف لب الصباح في المشكاة .. وارتفع في جوف الغرفة طنين البعوض وانحأ ؛ ثم إذا «دوخين بابو» يباغتنى يتبدد شمل السكون راجعاً إلى قصته ، فقال : « ما لي الكككو « هاران » زوجي طويلاً ثم قلت — من بعد ذلك — أن هذا المرض لا شفاء منه ، وأنه قد كتب على زوجتي السكينة أن تتحمل ذلك حتى نهاية حياتها !

« عندئذ قالت زوجتي : « إذا كان مرضي هذا لا يشفي ، وليس نعمة أمل بموت قريباً ، فلم تقضي أيامك مع هذا اليتيم الحى ؟ أتركني وأرجع إلى أعمالي » قال : « وكان دور شحني منها قد حل » لولا أنني لا أقوى على « الفهممة » مثلاً فأجبتها في حشمة يتطلبها موقعي ، مؤكداً أقول :

— ما دام في جسمي حياة ...

معلقة على أوتار الخشب كأعلام مزوقة خافتة ؛ بل كانت أنواع الياسين وزهور الليمون والورد هي التي تسود المكان

« وكانت تحت شجرة من أشجار « البُكُل » رخامة بيضاء اتخذتها زوجي مسكناً تنقل فيه مرة أو مرتين في النهار يوم كانت لها صحتها ونشاطها . وكانت هذه الرخامة أيضاً جلسها في أمسيات الصيف حين ينتهي عملها ، تطل منه على النهر فتري النادين والرائحين فيه دون أن يشعروا بوجودها !

« وفي ليلة مقمرة من ليالي نيسان (أبريل) أبدت زوجتي رغبة في الخروج إلى رخلتها تلك بعد رقاد دام أياماً في سرير المرض ، لتستبدل بمجر عرقها الخلفي جلسة في حديقته هذه ... نفلتها في عناية كبيرة ووضعها تحت الشجرة حيث تماطلت عليها بعض زهورها ، وأطل القمر من بين فروع الأشجار » « وقد كان السكون يشمل كل ما حولنا ، فلما نظرت إلي وجهها — وقد كانت إلى جاني تحت الظلال القامعة — واستنشيت عير الزهور ، تفرقت عيناى بالبعوض ، فدنوت منها وأخذت إحدى يديها النفثة الحارة بين يدي فلم تمنني ، ثم بعد أن جلست كذلك هادئة بدأ قلبي يخفق خفقاناً شديداً ؛ فقلت لها :

« لم أستطيع يوماً أنه أنسى هذا الحب ! » « نحككت زوجتي على أثر هذا ضحكة كان فيها بعض معاني الفرح والسرور ، وكان فيها بعض معاني الشك والارتباب ، وكان فيها أثر من التهمك البربر ! » « لم تقل ما يدل على أنها أجابت جواباً بيتاً ، ولكن ضحكها تلك التي أرسلتها كان من جملة معانيها أن ماقت ليس مقبولا مستغافاً ، بل ولا هي ترضاه ! » « ... لم يكن عندي من الشجاعة ما يمكنني من أن أحب زوجي حباً مجرداً عن الخوف من ضحكها الحادة تلك ؛ فكل ما أستطيع لما من الأحاديث

« إن هؤلاء الذين لا أمل في شفائهم يكون لهم الموت عتقا ... فهم ما داموا على قيد الحياة يقلقون أنفسهم ويشقون الآخرين ! » وهو قول مسموح به في الأحوال الاعتيادية « فأما أن يقال هذا وزوجتي على حالها تلك فتعي لا يستساخ ولا يجوز أن يذكر أبداً ؛ ولكني كنت أفترض في الأطباء قسوة القلب في مثل هذه الظروف فلا يبالون ما يقولون . »

قال : « وكنت يوماً جالساً بالقرب من إحدى المقاصير إذ غمت زوجتي تقول بشقة : يادكتور ! لم أراك جادا في إعطائي هذه الأدوية التي لا طائل فيها ؟ إن حياتي حين تكون مرضاً دائماً يكون من الخير أن تفكر في قتل بدلاً من معالجي ! » ثم سمعت الدكتور يقول لها : « عليك ألا تتحدثي بمثل هذا الحديث ! » . . . ومتى انصرف الطبيب ذهبت إلى غرفتها وألقيت بنفسي إلى جانبها، فقالت وهي تضرب ناسيتها بلفظ : « إن هذه الشرفة حارة ، فاذهب إلى زرعتك المتادة ، إذ لولا عنايتك بي في كل مساء لفقدت شبهة المشاء »

« وزرعتي للمتادة هذه منماها النعاب إلى دار الدكتور « هاران » . وقد كنت — أنا — الذي قلت إن بعض المتارين البسيطة ضرورية للصحة والشهية لتناول الطعام ، وأنا الآن جسد واثق من أنها كانت تتنازعني عن ذلك ! »

« : وقد كنت بليداً حقاً ، إذ ظننت مطمئناً إلى أنها كانت يومئذ غافلة عن هذا الخلد . » وهنا توقف « دوشين بابو » عن الكلام واعتمد برأسه على يديه وظل كذلك صامتاً رهة من الزمن ؛ ثم إنه قال : « أعطيت كوبة ماء » فناولته وشرب ثم استأنف الحديث .

قال : « وفي يوم من الأيام ابنت « مونوراما » ابنة الدكتور رغبة في رؤية زوجتي ، وما كان ذلك

فقاطعتني قائلة : « كفاك .. كفاك .. لست في حاجة إلى أن تقول أكثر من هذا ، لأن سماحي إليك تقولها يمت في نفسي الثورة .. ويجب إليها ترك الخيال ! » ... لست أدري أسارحت نفسي بهذا الذي أقول أم لم أسارحها به حينذاك ، ولكني أعلم الآن علم اليقين أنني كنت سباً من العناية بذلك الليل الذي لم يكن في شفائه رجاء

« ومن الواضح أن تكون اكتشفت مالي الخفي بالرغم من خدمتي لها ... »

« ... ما كنت أدرك يوم ذاك أنها كانت تستطيع أن تقرأني كما يقرأ الصغار كتب « قراءاتهم الأولية » الخالية من مقدد الكلمات ... ولكني الآن لا يزالني الشك في ذلك »

قال : « وكان الدكتور « هاران » من طائفتي التي أنشبت إليها ، وكانت لي في داره دعوة دأمة ليس لها انقطاع ... وبعد بضعة زيارات قمتني إلى ابنته « لم تكن ابنته متزوجة ، مع أنها كانت قد تجاوزت الخامسة عشرة ، وقد اعتذر عن هذا التأخر أبوها بدعوى أنه لم يجد من زوجها إياه من أبناء طائفته ؛ على أن الشائنة تقول إن سبب تأخرها هو مولعها بالوصوم بالمار ! »

« ولم تكن لها غلطة غير تلك ، وذلك ما جعلني أتحب إليها في شتى الموضوعات وأبحث وإياها ألواناً من الأسئلة والأحاديث إلى ساعة متأخرة من الليل قبل عودتي إلى الدار حيث كان يجب علي أن أقدم الدواء لزوجتي في الوقت المعلن له .. ولم يكن ليخفى علي زوجتي أنني كنت في دار الدكتور « هاران » ولكنها ما كانت تسألني مطلقاً عن سبب ذلك التأخر الطويل « ... كانت غرفة المريضة تتراءى لي موحشة مزجة فكنت لما أتناول من العناية زوجتي وأتناشى غالباً مواعيد دوائها . »

« ... وكان الطبيب قد اعتاد أن يقول لي أحياناً

« دخلت مونورا » النفقة وبدأت تسلم زوجتي قليلاً، وأنها لكذلك إذ جاء الدكتور بمود صريضة .. وكان قد جاء من الصيدلية معه زجاجتين من الدواء . فأخرجهما قائلاً لزوجتي :

— أنظري ! هذه القنينة الزرقاء للملح الحاريجي، وتلك للملح الباخلي . وكوني شديدة الحذر من أن تخلطي بين الاثنين فإن هذا سم زفاف ! ثم نهى أنا أيضاً ووسع الزجاجتين على اللشدة إلى جانبها ، فلما أراد أن ينصرف نادى ابنته لتذهب معه ، ولكنها أجابته قائلة :

— لم لأبقي يا أبي وليس هنا من يرعها ؟ !
فصرخت شجون زوجتي عند ما سمعت منها ذلك وأجابه قول :

— لا تزجي نفسك فإن عندي خادمة عجوزاً تصني بي كأمي .

قال : « وإن الطبيب لنصرف مع ابنته إذ نادته زوجتي قائلة :

— دكتور .. لقد طال جلوسه في هذه النفقة الضيقة اللأى بالأثاث . ألا تأخذه إلى الهواء الطلق ؟
فالتفت الدكتور نحوى وقال مخاطبتي :

— سأخذك إلى زهرة على ضافة النهر ، وبعد تردد وامتناع نزلت على طلبه .

.. ثم انصرفنا ، وكان الدكتور قد نبه زوجتي مرة أخرى إلى ضرورة التمييز بين الزجاجتين قبيل خروجنا « ... تناولت طماي ليتلند في دار الدكتور ؟
ثم رجعت إلى الدار متأخراً فإذا بي أرى زوجتي قد انتابها ألم شديد فساألها :

— هل اعتدت بك الألم ؟ !

« ... ولكنها لم تكن تقوى على الجواب فاكثفت بأارت نظرت في وجهي . وقد رأيت — حينذاك — أنفاسها تتردد في صدرها بمشقة وجهه شديد ، فأرسلت في طلب الدكتور .. »

ليرضيها تماماً . ولكن لم يكن لي عذر في الرضخ ، ولذلك جاءت إلي دارنا في المساء

« كان مرض زوجتي يومئذ قد تعاظم وجاوز المتاد ، وكان من عاداتها إذا اشتدت بها الرضخ أن تضطجع صامتة هادئة أو تقبض أسابها علامة ما تقاسبه من ألم النزاع ... »

« كنت جالساً بجانبها ، وكان يسود ما حولنا السكون ، ولم تكن قد انتست مني أن أغادرها ، إما لأن قوى الكلام فيها كانت قد خارت إلى هذا الحد ، أو لأنها كانت تستنصر الراحة في بقاى بجانبها أثناء زرعها ألؤل الشديد ! »

وكان مصباح النفط قد وضع بقرب الباب خشية أن يؤذى عينيها ، فكانت النفقة يسودها الظلام والسكون ولم يكن يسمع فيها غير حيرة تفرج بها كربها حين تخف عنها وطأة المرض لحظة أو بعض لحظة . »

قال : « وفي عين هذا الوقت كانت عجيء « مونورا » ووقوفها بالباب ، فكان الضوء ينعكس على وجهها فيجلوه واضحاً فاتفعت زوجتي وقبضت على يدي قائلة : —
« أوكي ؟ »

« وفي هذه الحال ، كان يفزعها أن ترى شخصاً غريباً يقف بجانبها ، فاذهاي تتساءل بهمسات تقول : « أوكي ؟ أوكي ؟ ! » فأجبتها في أول الأمر : لست أدري ! ولكني شمرت في اللحظة التالية كأن شخصاً ألذب بدني بالسياط فتداركت قائلة : ألا تملين بأنها ابنة الدكتور ؟ فاستدارت إلى رنفتني بنظرة لم أقومها على أن أحقق في وجهها ، ثم التفتت إلى اللتام الجديد قائلة بصوت ضميم : — أدخل .. ثم قالت لي : عجيء بالصباح .. »

« ... كنت بعد زواجى من مونوراما » كما حدثتها فى شيء مسترسلاً معها فى الحديث ومقتضى بنظرة وزينة قوية حتى ليخيل إلى أن فى ذهنها حتى بعض آثار الفك الذى ما كنت أقدر على أن أتفههما تماماً !

« وفى ذلك الوقت حينه.. بدأ هياى بالشراب ! » قال : « وفى أمسية من أمسيات الحريف الباكركنت أنجول مع « نوراما » فى بستاننا على ضفة النهر ، وكان الظلام حولنا يشمرأنا فى عالم خيالى ؛ والحدود لا يكره شيء حتى ولا انتفاض أجنحة الطيور المستترقة فى نومها العميق ، بل لم يكن على وجهى المشى الذى كنا نسير عليه غير ذوائب السنديان الأسترالى يحركها النسيم .

« وشعرت « مونوراما » بالتيب استولى عليها فاضطجعت على تلك الرخامة البيضاء متوسدة نديها وجلست — أما — بجانبها فكان ينجيل إلى أن للظلام الشامل قد تكاثف بعضه مع بعض حتى بدت رقعة السماء التى كنت أحرق فيها مكتظة بالنجوم ؛ وكان سرير بعض الحشرات تحت الأشجار يشبه تموج صوث رقيق فى طرف اللصمت السفلى .. »

قال : « وكنت ليلئذ قد شربت قليلاً فكان قلبي كان رقيقاً ، سريع التأثر ؛ فلما نظرت إلى « مونوراما » فى ثوبها الغضفاض ولونها للشاحب وكانت حينئذ تموداً رؤية الظلام — أيقظ ذلك الذى رأيت فى شوقاً لا يستطيع لسانى التعبير عنه . » قال : « وتبدت أطراف الأشجار بشتة فى مثل هيئة الحريق تملوها حافة البدر ملونة بلون غلات الحصاد مشرقة النور تساقط الضوء على ثوب المضطجعة الأبيض ، فما كان لى أن أمكك نفسى بعد ذلك . فاقتربت منها وأخذت يديها بين يدي وقلت لها : — « مونوراما » وزمعا كنت لا تصدقين ...

« وما كان الطبيب ليفهم سر هذا الألم أولاً ولكنه سألها :

— هل ازداد الألم عن قبل ؟ هل استعملت ذلك الدواء ؟

قال ذلك وتناول الزجاجة الزرقاء من مكانها على المنضدة فوجدما خالية !

... فسألها الطبيب فى ثورة وحنق ظاهرين :

— أو أخذت هذا العلاج خطأ ؟ هل فلت ؟ فإومات رأسها إشارة الالجاب !!

« ... فاما الطبيب فقد ركض ليحضر جهازاً خاصاً يستخرج الدم المستقر فى معدتها ؛ وأما أنا .. فقد سقطت كمن فقد الوعى .. »

قال : « وكما تحاول الأم الحنون أن تهدئ عن طفلها وطأة المرض فكذلك أراحت زوجى رأسى على صدرها ، ولبسات أسابها كانت تريد أن تبثى ما كان فى نفسها من الأفكار !

« .. كانت تلك اللسعات الخفيفة توحى إلى الصبر ، وتعنيى بخير تؤول إليه الأمور ، وتمزجى عن نفسها بأنها ستמות مرراحة سعيدة ، وذلك ماسيجلى سعيداً أنا أيضاً .. »

« .. ورجع الطبيب بآلته ولكن الآلام البرحة كانت قد أودت بحياتها ... »

ثم تناول جرعة من الماء وقال :

« ياله من حر شديد ! » ثم مشى إلى الشرفة ورجع ثم استدأر إليها ثم هاد منها .. كمن يريد أن يهرب من الحرفيستمعي عليه .. ثم جلس واستأنف حديثه من جديد .

وتبينت منه أنه لم يرد أن يطلنى على الطرف الأخير من القصة ولكن قوة خفية ساحرة منى سيطرت عليه فاجتذبت البقية منه اجتذاباً ، فقال :-

ولكني ... لن أستطيع برماً أنه أناسي منك هذا !
« وفي اللحظة التي بدأت بها هذا الكلام
تذكرت أني كنت قد قلت مثل هذا الشخص آخر
« وفي عين هذا الوقت جاء الصوت من بين ذوائب
الشجر والبدر النير ، ومن وراء ضفة الكنج البعيدة
— « هاها .. هاها ... هاها ! »
« رنة قهقهة تطوى الجو طيا ...
« لست أستطيع أن أقول أ كانت ضحكة قلب
محزون ، أم نوحاً شق عنان الغضاء ، ولكني عند
سماعها سقطت مني على
فلما أفتت وجدت نفسي في غرضي مضطجعا
على الفراش . فسألتني زوجتي قائلة : « ماذا حل
بك ؟! » فأجبتها في شيء من الاضطراب والفرع :
« ألم تسمي رنين القهقهة في السماء ؟! — هاها —
هاها — هاها ؟ » . فتبسمت زوجي قائلة :
— « قهقهة ؟! أين هذه القهقهة ؟ إن ما سمعته كان
أصوات طيور تطير ... إنك لسريع الفرع جدا ! »
« وعلت في اليوم التالي أن ما سمعت كان
نجيج سرب من الطير اعتادت أن تهاجر في مثل
هذا الفصل من كل عام إلى الجنوب ... ثم لما أمسى
المساء رجعت إلى وساوس تارة أخرى ، تخيل إلى
أن السماء ترن بقهقهة طالية تمزق جلاب السكون
لأقل داع ... وكان من ذلك أني لم أستطع أن أكم
« مونوراما » بكلمة واحدة عند ما تخيم جيوش
الظلام ...

« وقررت أن أهرج حديثي إلى رحلة في
النهر مضطجعا مني « مونوراما » وأزلت رباح
(نوفر) الفارسة كل غوافي فليئت أياما متبطلا
سعيدا ، ثم نادونا « الكنج » مجتازين نهر « خوري »
حتى وصلنا إلى « بادما » (١)
« ... كان هذا النهر ممتدا في البطاح كشمان
مستغرق في رقدة شتوية عميقة ، وكانت في ناحية
الشمال منه تدرأ شواطئ الرمل للقاحلة الوحيدة
منقطة في وهج الشمس ؛ وفي ناحية تقوم أحراج
المعبية (المانجو) كأشجارها في امتدادها واقعة في انفرجاق
ذلك النهر الجنون الذي كان بين الفينة والفينة يتقلب
في نومه على أرض الشواطئ المفطرة فيملاشقوقها
بجزر ولد (٢) ظاهرين
« فلما وجدنا مكانا مناسباً رسوت بالقارب
على الشاطئ »

قال : « وسرنا فأوغنا في السير مبتدئين من
القارب ، وكان الشفق الذهبي يتضائل شيئاً فشيئاً
فبرزت السماء طالحة بنور البدر النقي ، فسمعت
وقد كان ذلك النور يعلل الغضاء الرحيب الفصيح
ويتساقط على الرمال البيضاء بفيضه اللثاني —
شعرت كأننا نحن الاثنان منفردان نتجول في عالم
الخيال على غير قصد .

« كانت « مونوراما » ترتدي ليلتها شالا أحمر
سيلته على رأسها وكتفها مبدية وجهها فقط ،
فأخذت يدي بين يديها وقد اشتد الهدوء حتى
صار جلالاً لا يكره شيء
فقلت لنفسي في اشتياق :
— أحق أن في العالم جمالاً يتسع في غير هذا
الغضاء الرحيب تحت السماء لقلبين عرفا الحب جديداً ؟
« ثم خيل لي أن ليس عندنا دار ناوي
إليها ، فنمضي سائرين كذلك ممسكين يداً بيد ،
متحدرين من كل الوائيق والتقاليد في هذه الطريق

(١) أسماء أنهار في جهة الهند الشرق من الهند والمعروف
منها الأول والأخير

(٢) القدم : صوت وقع القدم ، وهو للناس المطابق
لكلمة الانجليزية Thud

ما كنت سمعت من قبل صوتاً نافذاً خلفاً؟ ولا
كنت ظننت أن مثل هذا الصوت في الوجود !
وعلى أنه لو كانت في جحمتي نساء غير متناهية ولا
محدودة لما استطاع ذلك الصوت — مهما أوغل في
رحلته — أن يبرح ذهني ..
قال : « وأخيراً ، وحين جاوز الأمر حدَّ
الاحتمال فكرت أني لن أستطيع أن أنام مالم أظني
السراج . وما كان أسرعني حين أطفأته فإذا أنا
أسمع قريباً من كافي في جوف الظلام ذلك الصوت
البحوح قائلاً :

— أوكي ؟ أوكي ؟ أوكي ؟ ! »

« فلفظت قلبي يخفق على وقع هذه الكلمات
وبدا يستعيد بالتدرج السؤال — أوكي .. أوكي ..
أوكي ؟ — .. وفي هذات الليل ، ومن وسط الغارب
ابتدأت ساعتي المستديرة تردد السؤال : — أوكي ؟
أوكي ؟ أوكي ؟ — بصراحة مشيرة بمقارنها إلى
« مونوداما » ..

كان وهو يقص على هذا يتمتع لونه امتناع
وجوه الأموات ويتضاءل سوه ، فقلت له وانمأ
يدي على منكبيه : « إشرّب قليلاً من الماء » ،
وخفق لمب الصباح ثم انطلقاً ، فوصل أدنى صوت
غراب ينطق ، وصغير قبرة صفراء ، وصلصلة جملة
كان يجرها الثيران ...

وكانت أمارات « دوخين بابو » الرتيسة على
وجهه قد تثيرت فلم يبق في نفسه من آثار الفزع
شيء ، ذلك بأنه قصص على ما قص متأثراً بخوف
خيالي ، مخدوماً بسحر الليل ، فتظاهرت بتأنيبه
على ذلك الخوف حتى أربطته غضبي عليه ، وانطلق
فوراً وخرج تصعبه السلامة !

فقرى شهاب العيسى

التي لانعرف نهايتها تحت البدر

« ووصلنا بعد التطواف إلى بركة ماء تكتنفها
رُبي الزمال من أطرافها ، وكانت أشعة القمر تخترق
« قلب البركة » كسيف وامض ، فوقفتنا هناك سامعتين
ونظرت « مونوداما » في وجعي متطلعة . وكان الشال
قد انحصر من رأسها فاحتجيت عليها ؛ وقبلتها وإذا ذلك
جاء من حيث لا أعرف خلال ذلك الصمت في تلك
الصخور النائية صوت يقول ثلاثاً في نغمة هادئة صبية .
— أوكي ؟ أوكي ؟ أوكي ؟

« فترجعت إلى الورداء . وفزعت ذلك زوجي »

قال : « وفي اللحظة التالية تأكدت — أنا
وزوجتي — من أن الصوت لم يكن صوت بشر
ولا ملاك ، بل كان صوت طير دُعر من مجيء
القادمين في هذه الساعة التأخرة من الليل !
» ثم ناب إلينا رشداً فرجعنا إلى الغارب
بأسرع ما استطعنا وأوتينا إلى المضاجع ، وسرعان
ما استولى الرقاد على « مونوداما » قال : « وفي الظلام
المهيب شبه لي أن شخصاً قد وقف بجانب السرير
مشيراً بأصبعه القليظة إلى الناعمة وبهمسة سألني قائلاً :
— أوكي ؟ أوكي ؟ أوكي ؟ ! »

« فقممت مسرعاً وأشملت السراج فإذا الشبكة
تفرغ في الهواء وإذا الغارب تحرك الأماواج
« وقد جمد القلب في عروق ، وتعبب العرق
غزيراً عند ماسك مسمعي رنين الضحكة — هاها
هاها — يتردد سدنا بين سجنف الظللاء متجولة
في النهر ، بين ضفافه الرملية في الجانب الآخر ، ثم
سائمة على مدن المقاطعة الناعمة وقراها ؛ طائفة
بلا انقطاع على أنظار الأرض جماء ؛ ثم طفقت
تتضاءل في الفضاء غير التناهي حتى تستدق
تدريجاً فإذا هي كمرأس الابرّة في استنداقها !

زَهْدُ الْجَبَلِ

لِلْكَاتِبِ جِيُو فَا نِي دِي نَا فَا
بِقَلَمِ الْأَسَازِجِ سَمْدُطْنِي خُجْصَة

أردت يوما أن أصدق في جبل النظر
الجبل فهداني بعض العارفين إلى دليل
يأخذ بيدي أو أقضي أثره إننا بلطنا جهة
لا يأمن فيها السائر غاطر الوحدة. وكان
الدليل شيخا بلغ المقد السابع من عمره
وقد ترك كل حول في صفحة جبينه

سطرا، كما سلب كل م من موم الحياة من
عمره شطرا.

وكان كث اللحية مهيب النظر حديد البصر
كأنه من جوارح الطير، سهول الخلقه قليل الكلام،
وكان اسمه جيوفاني وقد علمت أنه قضى أربعين عاما
يدل للسائحين في جبال الأب إلى أن بلغ من الكبر
عتيا وأمسى عاجزا عن تسليق شوامخ الجبال الممتمة
بالجليد طول العام بفضل البردة في تلك القرية ليقضي
في ظلالها أيامه الأخيرة.

ثم صار سامتا وهو يحبس الأرض قبل أن
يطأها بهراوة مدية وأنا أتبع له من ظله، فإذا عبر
قناة عبرتها، وإذا اخترق غابة مرقت فيها؛ وكنا كلما
أوغلنا وعلونا مصمدين لأن لنا منظر جديد تنبسط
له النفس. فشهدنا حقولا يبيت فيها النرجس النض
فيحمل النسيم إلينا عطرها على أجنحته فنكاد نتمل
من السبق. ثم بلطنا غابة سوداء تلامس أشجارها
الباسقة مناكب النعام، وتناطح أغصانها الشائخة
عنان السماء، ولو كانت في سهول الهند لأمت عرين
الأساد ومكن النور، ولو كانت ياريس الفاتنة خلق
الفرنسيون منها «غاب بولونيا» تشرق فيه الشمس
والأقمار، وتسرح في مجاهله التواني والخور، ولكنها
هنا كغيرها من غابات سويسرا لا ترى فيها إلا أنهارا
مشمسا وليلا مغمرا، ولا تغوها إلا رائحة الأزهار
(٢)

لما بلغت قرية مورجان نزلت بفندق «رأس الجبل»
وقد أطلق هذا الاسم على الفندق نسبة إلى جبل شهير
هناك في قمته صورة رأس غنيفة. وأهل القرية
يروون فيها الأخبار ويتناقلون الأساطير. أما القصة
ذاتها وهي إحدى قرى مقاطعة فاليه فهي راقدة في
حوض الروادي كأنها وديعة نائمة في يد عادة حسناء
يحرسها أحد الجبابرة. وكان الناظر يرى عن يمينه
جبالا آخر اسمه المنظر الجبل؛ وما أغرب التفاوت
بين الجبلين؛ فإن المنظر الجبل كان كأنه كتلة من
الزهر الدائم لكثرة ما فيه من الأشجار الخضراء
والأجاث المتفتحة والأدغال القائمة. وقدر ما كان
جبل رأس الجبل حجريا قاحلا كان جبل النظر
الجبل خصبا غضا. فكأنما يرى الناظر إليهما مثال
الخير ومثال الشر قد اجتمعا معا، كان جبل
النظر الجبل تتسلقه الأبقار لترعى السكلا الذي
ينمو بغير غرس وهي تتبع في مرعاها ذكرا ضخما
من أفرادهما قد علق صاحبه بمنقه جرسا ليسترشد
به التليط، وذلك النعل المرشد لا يضل ولا يتيه في
ذهابه ويحيته وسعوده وهبوطه. أما الناظر إلى
جبل رأس الجبل فما كان يستبين إلا عرجا خيفا
يمتد إلى قمته بدبيب الوجل، وقبدر ما كانت طريق
جبل الجبل وعرة ومبالكها عذوبة بالمال كانت
سبل المنظر الجبل سهلة واضحة يبينها الطفل.

نهار لتحصيل الرزق وإنبات ولها، وما زالت المرأة تعمل وتدأب وحول يمين وحول يمين، حتى شب الولد وخفت عن أمه المجوز أنفاله، فكان يرى النعم ويصطاد الأراب البرية ويحتطب ويحسن إلى تلك الأم التي قضت أيامها في تربيتها . وفي يوم من الأيام خرج الفقى إلى القرية يبيع فيها صوف الخراف وخرجت الأم من الكوخ وجلست على ضفة النهر وإذا بها ترى صبية جميلة لا يستر بدنها إلا أطمار بالية تبكي وقد سترت وجهها بكفها ، كما سترت جدائل شعرها كتنفها؟ وكانت بهية الطلعة رغمًا من فاقها البادية وحزنها المبيق . فلما أن بصرت بالمرأة مالت نحوها وجلست على مقربة منها وزاد شهيتهما وعلا صوت اتحاجنها ، فتحركت عاطفة الحنان في قلب المرأة وسألها ما يبكيها ثم ضمتهما إلى صدرها فاطمأنت الفتاة وسكنت طمسة نفسها وقالت : ليس لي أب ولا أم . وكنت أعيش مع « الراعى الصغير » يطعمني القديد ويسقيني الحليب ، ومنذ أمس ذهب عني وغاب ، فأخذت أبحث عنه وأناديه فلم أعتز به حتى نلت هذا المكان . فقالت لها الأم : أترىين بهذا الكوخ مسكنًا وبى أمًا وبولدى أخًا ؟ فبكت الفتاة ولم تحر جوابًا . وكان سكوتها أفصح بيان فضمتها المرأة إلى صدرها وقبلتها في جبينها وأمسكتها وأدخلتها كوخها وأطعمتها من جوعها وأمنتها من خوفها وألبستها ثيابًا بسيطة نظيفة وطيبت خاطرها وأعدت لها مكانًا على المائدة ومرقدًا يجوار مرقدها وفرحت بها . ولما أن عاد الولد عشية قالت له أمه إنه رزق في غيبته أخًا قاصمه الخير والصبر . ففرح

ولا يسمع بجوانبها إلا خرير الماء وتفريد الأطيار . فلما أن توسلنا الغابة وصلنا إلى نهر قوى الانحدار شديد التيار ولكن ماءه صاف كمين الديك، وهومن عبدة أنهاره يطغى على ضفتيه كأنه ينازع اليابسة ليضمها، فسألته عن اسم هذا النهر فقال نهر الجباز؛ ولما رأني قد ارتست لرؤيته قال لي إنه الآن بالنسبة له في وقت فيضانه كالجل والدنب . فانه إذا انهمرت الأمطار في منتصف الربيع وغاب الجليد في جبال الجنوب حيث يوجد النبع اندفعت أمواه هذا النهر بقوة تفوق قوة نهر الرن عند فيضانه، وعند ذلك يطغى على الضفتين ويطمر الأرض على مسيرة نصف ميل ويحمل في طريقه كل مايوقه من أحجار وجذوع أشجار ورمم بالية وأوكار طيور جوارحة وأفاع مناسبة وذئاب غاوية، وبالجملة لا يفر من طغيانه جاد ولا نبات ولا حيوان . فلما أن توسلنا الأجمة رأيت آثار أشجار ملتفة فأعته كأنها دعائم أعز من عمد الرمس وأرفع من مسلة كايوطره وأكبر . فقلت لصاحبي الدليل : ماهذا الذي أرى : أمبدأ أقامه القدماء يتوسلون به إلى أدبائ الغابة وآلهة الهواء؟ قال : كلا إنما تلك الأشجار هي بقايا كوخ عتيق له حديث يمد من أساطير الأولين . قلت . هل لك أن تجود على هذا الحديث فأشكر فضلك . قال : إذن هيا بنا نجلس على يمد من ذلك النهر . فوقع نظرنا على مضبة خضراء مقصدنا إليها وأخذنا مكاننا منها وبدأ الدليل حديثه قال :

كان في هذا المكان كوخ لامرأة مات زوجها وخلف لها ولداً وقطيماً من النعم فكانت تعمل ليل

الفتى بها وسماها « زهرة الجبل » وقضى ثلاثتهم
 المزمع الأول من الليل ساهرين ، وقد استأنست
 البنت بمد وحشيتها وأطابت عليهما تنقأ من قصتها .
 وكان الفتى ينظر إلى « زهرة الجبل » نظر المقتون
 بجمالها ، ولا أصبح انصرف الولد كمادة وأخذت
 زهرة الجبل ، وقد اطأنت ، تحمل من المجوز عبء
 حياتها الزلية . ولا عاد الفتى أخذت تحاده بلطف
 وهو يداعبها والأم تسر بذلك وتبيحه لأنها أملت
 أن تنشأ في قلبها عاطفة الحب ، فتدري بيتها أهلا
 بنسلهما قبل موتها . وقد دبت في الكوخ وما حوله
 حياة جديدة يحول تلك الزهرة الشريفة . وزاد
 نشاط الفتى وصار يصيب في الصيد المرمى أكثر
 مما كان ، ويربح في بيع الحليب والصوف والحطب
 أضعاف ربحه الأول . وكان كلما ذهب إلى القرية عاد
 إلى زهرة الجبل بهدية كندبل من حرير أو عقد من
 خرز أو خاتم من معدن ، وهي تقبلها بفرح عظيم
 ولا تكتم عنه سرورها

وفي يوم ما انحدر الفتى إلى القرية ثم عاد وجلس
 مطرقاً كأنه يفكر في أمر شاغل فلم يداعب زهرة
 الجبل ولم يمرها التفاهة الذي تعودته ، فسأله أمه عن
 سبب انشغاله ، فقال إنه رأي في القرية راعياً كان
 يعرفه منذ بضعة أعوام فلم يعترف عليه لوهلة
 الأولى لما يبدو عليه من علامات الفتى واليسار .
 فلما سألته عن مصدر ثروته أجابه أنه تجتم أخطار
 السفر إلى الدنيا الجديدة التي تنبت أرضها ذهباً
 وتعلم لجينا ، أتى وضع الرجل فيها قدمه أو كفه
 لتي مالا ينتظره كأن أمنا الأرض تركت لكل منا

إدنا يطالب به في تلك البلاد المجدبة ، فأقام بها بضعة
 سنين وأحرز من المال ما أحرز ، وأنه ما عاد إلا زائراً
 وسوف يرجع إلى بلاد المال والحرية فيوالى العمل
 حتى يملك نهراً يسفائه أو منجها بدقائه . فلما رأى
 الأم مشغول البال يكاد الحسد يأكل قلبه وجب
 المال يملك نفسه نظرت إليه نظرة استعطاف ، ونظرت
 إلى زهرة الجبل وكانت صامتة ، وكأن نفسها
 الطاهرة النقية قد أشرفت على المستقبل الهيب ،
 فقالت الأم بمد طول السكوت وقد جالت الصمغ
 في عينها : إنني ياولدى لا أعورك عن السفر فسافر
 إن شئت في طلب المال إن كنت لا تنزع ببشفتنا .
 وكأنما لم يدرك الولد أن في هذا الكلام ما فيه من
 الاستعطاف . وكان حب المال ، والطمع في تحميق
 آمال مهمة قد أعياء عن حب الوالدة وأنسياء كل
 ما قلست في سبيل تربيته ، فلم يشأ أن يجيب نداءها
 وكانت تظن أنه سيقب بجانبها في شيخوختها ولكن
 محبتها وكرامتها أبنا عليها أن تلح وقد علمت بفطرتها
 وخبرتها أن الشباب إذا تلقى بأمنية لا يتحول عن
 تحقيقها . أما زهرة الجبل فقد أدركت كل معنى

ما دار من الحديث بين الأم وولدها ولكنها
 لم تستطع الكلام بل لم تكن تدري ماذا يجب أن
 تقول ولكنها أدركت أن ساداتها فارقتها ، فأخذت
 تبكي بكاء مكثاً ولكن هذا لم يلب من جود الفتى
 ولم يحرك من عواطفه ساكتاً . فانه في اليوم التالي
 تأهب للسفر وترك المرأيتين رهن الوحدة والوجل .
 سافر الفتى وبقيت الأم وزهرة الجبل وقد
 أراحتهما من عناء الحياة وحلت عنها عبء العمل .

وكانت المرأة إذا ذكرت ولها ضمت الفتاة إلى صدرها، وإذا نأقت نفسها للحديث عنه حدثتها، وإن دأها ألم البمد إلى البكاء بكت واستبكتها .
أرسل الفتى خطاباً يصف فيه أموال رحلته وصعوبة الحياة على القادم وشدة الصدمة الأولى التي تصيب كل مهاجر . فكانت المرأة تقرأ وتبكي وتقبل الجواب حيناً وحيناً تغمه على قلبها كأنه جزء من ولها . ثم جاء كتاب آخر يبينها بأنه مريض وطريح الفراش، وأن أمه في الآراء بل في الحياة ضيف ومجن فيه إلى عيشته الهادة في الكوخ الجبل ويذكر الجلوس على شفة النهر ويحدث بجمال زهرة الجبل . فزاد قلق المرأة وذهب هناؤها وترعرت أركان صبرها لبمد ولها، وزعم الحزن والبكاء حتى ابيضت عيناها، وذلك ألم الفراق عليها قلبها وهي لا تعلم إلى أي مكان تيمت بخطابها ولا تدري كيف تستقدمه من الدنيا الجديدة . وكانت تتخيلها لجمالها طال آخر غير دنيوى .

ذهب الصيف وأقبل الخريف وأخذت أوراق الشجر تنساق ذابحة، وبدأ النهار يقصر والليل يطول والغيوم تتلبد والأمطار تهطل، وتكمل الوحدة وينقطع السبل على المارة وتزعم الأم وزهرة الجبل الكوخ أشهراً شمرت المرأة بأعطاط قواها وامتنعت عن اللذائذ وعجزت عن أهون الأعمال وقل كلامها، فكانت زهرة الجبل تراد بها عناية كلاً رأت شدة وطأة المرض عليها وتغضى البالي ساهرة تبكي تارة وترقب وجه الزائدة طوراً .
ذهب الخريف وأقبل الشتاء فاشتد الضيف

وفي ليلة من ليالى القرف العنيف كانت العواصف ترأر والرياح ترجح كأنها وحوش سحينة - نهضت الأم من فراشها وضمت زهرة الجبل إلى صدرها وسألها عن ولها ثم طلبت شربة ماء فأسرت زهرة الجبل إلى الاء وعادت به إلى الأم العطشى فإذا هي لا تسكلم، فدفنت منها ونهتها فلم تنهه، فمسحت جبينها بيدها فإذا هو بارد عليه قطرات من عرق الزرع الأخير . ولم تكن زهرة الجبل تعرف ما هو الموت فظننها نائمة وأرادت ألا تثقلها فبقيت ساهرة يجانها ولكنها كانت تشمر بما لم تمارسه فيما مضى من البالي: سكون شامل ووحشة لم تمتدها . كانت الأم تنام ساعة وتستيقظ أخرى . أما هذه الليلة فتندما نامت لم تستيقظ . لم تر زهرة الجبل قبل هذه

ولن نسمع فسألته: أولو عاد ولها من الدنيا الجديدة
تبقى صامته !

أجاب الراي: لو انتقلت الدنيا الجديدة بأسرها
إلى هنا فأتها لن تعود إلى حالها لأن الحياة فارقتها
فقالته: هل هذا القراق أبدي يبنى وبينها؟ فاجاب
الراي: لا أعلم. فسكنت الزهرة، ثم طرحت نفسها
على صدر الراقدة واندفعت تبكي وتحتلج حتى بلغت
وجه الراقدة وصدرها. يكأها وجاشت بنفسها
عواطف الحب والحنان والألم والذكرى. ثم إن
الفتى أنهضها وقال لها: لا بد من دفنها. فلم تفهم. ولما
ذكر لها حالة الجسم الانساني وسرعة فساده

وواجب الأحياء نحو أجابهم الذين كانوا بالأس
مثلهم امتثلت وطلبت إليه أن يخط لها مضجعا في
الكوخ حيث رقدت، فقال لها هذا لا يكون ولا بد
أن يحفر قبرها في مكان خال، فأشارت إلى الشجرة
التي جلست في ظلها يوم لقائها بالأم على شفة النهر
وأخذ الفتى فأسا وحفر لحدا في ظل الشجرة .
وكانت زهرة الجبل ماشية بجانب أمها تكلمها وتبكي
وليس هناك من يشهد ذلك النظير الريب إلا الطبيعة
والراي الصغير ، أما الطبيعة فجامدة صامته غشوم
عمياء وهي التي أوجبت، وهي التي أعدمت، وهي التي
تخلق وتفيد ، وأما الراي الصغير فقد علمه شقاء
الحياة معنى ألم الموت وقلة الحياة

دفنت الأم بعد أن كفنها الراي بأوراق الشجر
وكأثما الخلق الذي سول له أن يترك الطفلة فيامضي
دعاه الآن إلى تركها وحيدة بعد الذي رأى ، فقال
لها الفتى وهو جاهد : أستودعك الله يا زهرة الجبل .

الزرة إنسانا يموت ، فلم تعرف الموت. رأت أمها هذي
بالأس راقدة وعلى وجهها علامات الألم مما ألم
بجسمها من الضعف وبقلها من الحزن ، والبلبة
رأت وجهها ساكنا هادئا كأنه امرأة صافية وعلى
شفثها ابتسامة جميلة ولكنها خفيفة — هي ابتسامة
الفراق .

كانت زهرة الجبل منتظرة للمصباح بفارغ الصبر
لعل الراقدة تنهض بعد هذا الصمت الطويل
فبيل الفجر سكنت الماصفة وجفت ما في السماء
وأطلقت ديانا سراح وحوش الريح فأفلتت إلى الوادي

كل شيء في الطبيعة تبدل وكل ساكن متحرك
إلا تلك الأم الراقدة فأتها مازالت راقدة لا تنهض .
نفرجت زهرة الجبل إلى ظاهر الكوخ لملها تجد الفتى
حائداً من رحلته فيشاركها في إيقاف والده . وإنها
لكذلك وإذا بها ترى فتى أشعث أغبر قد تلغى بفروء
فلما دنا منها تبينته فإذا هو « الراي الصغير » الذي
أضلته فيما مضى من أيامها فبهتت لبقائه وسرت
برؤيته وسألته عن حاله فطلب منها خبزا وحلييا
فأدخلته إلى الكوخ وقدمت إليه طعاما وشرابا ،
وكان سرورها به عظيما لأنها تمكنت من رد جميل
لمن أحسن إليها وصنع بها معروفا ، ثم خانت منه
الثقة فأرأتى للزرة راقدة . وإذ رآته ملاعها أقشمر
وهرته رعدة الخوف ، وتبينت زهرة الجبل منه
ذلك فسأته ، فلم يخف منها أنها ميتة . وإذ كانت
لاشرف معنى الموت أخذت تسأله فقال إنها قد دت
الحياة والحس فلن تنهض ولن تتكلم ولن تبصر

وكان الفتاة لم توجس بمدحها ، ولم تبين مغبتها
ووجدتها فلم ترد على أن سأله أمأدت أنت إلى أمك ؟
فأجاب : لا أم لي ولا والد .

قالت : أين تذهب إذن ؟

أجاب : أطلب رزقا تبسب الميمن وعرق الميمن .

قالت : إبن هنا وارب الأختام وسد الطير ريثا
يسود أخى

فقبل الفتى لا كريعا ولا مجيبا سؤلها ، وإنما
تبين في المكاتب رزقا فلم يجد بأسا في البقاء ،
وطاشا مما : هو يقوم بكل ما يقوم به الرجال من
أعمال الزرع والرعاية والصيد وتحويل مجرى النهر
إذا طغى على الكوخ ، وتقويم جدرانها إذا انقضت
من شدة السيل الجارف ، ويضطر إلى القرية يبيع فيها
الحليب والصوف ، وزهرة الجبل تمد الطعام وتنسل
الثياب وتبكي على قبر أمها وقد فارقتها الوحشة
الأولى وذهب تدير للزلزل بما في نفسها .

وفي أحد أيام الربيع إذ أخذت الطيور في
التفريد وظهر زهر البنفسج في أثناء الثياب وتجعد
شباب الطبيعة ونهضت الأرض من رقدتها بمد
الشتاء قال الراعى الصغير : ألا تأتين معي بأزهر أريك
إحدى العجائب ؟ قالت : أين ؟ قال : عند تلك الشجرة
وأشار بيده ، فاطلعا حتى تمبت الفتاة وقالت له : أين
الشجرة ؟ قال هناك وأشار بيده ، وكانت تبدو عليه
سيا الاضطراب والحيرة ، فسارا حتى كل قنماها
وقالت له أن تلك الشجرة ؟ فوقف أمامها وقال لها
ألا ترين أمامك تلك الشجرة التي تظلك بفرعها
بعد أن رويتها بمحك ؟ ألا ترين أمامك الشجرة
تحمل طوقا دانية ، وقد أن لها أن تبكى ؟ ألا ترين

تلك الشجرة التي خلقت وخلقت لك ؟

فبهت الفتاة وارتجفت وقالت له : كلا لا أرى .
فتفتح الفتى ذراعيه وقال لها : أنا تلك الشجرة . فلم
تتكلم ولم تتحرك ، وأخذت تنظر إلى الأفق كأنها
تنتظر من الطبيعة أن توحى إليها جوابا . فلما ارتج
عليها مالت سوب الكوخ وسار خلفها الراعى الصغير
وهو لا يدري ماذا يجوز في صدر زهرة الجبل .
أندرك الحب أم لا تندرك ؟ وهل تريد رجلا لها أم
هي لا تفهم ذلك المعنى ؟

ولما بلتا الكوخ رأت زهرة الجبل شخصا
كأنها لم تره من قبل وإلى جانبه شاة مربية المنظر
وقد لبسا ثيابا غريبة ، فن حذاء يصل إلى ركبتيه ،
إلى قبعة مزخرفة بطيور مينة على رأس المرأة ، وكان
الرجل خشنا وحشى البصيرة فابتدرا بقوله ولم
يسلم : أين صاحبة الكوخ ؟

فأجابت زهرة الجبل : إنها راقدة

قال : ألا توقظينها ؟

قالت : إنها لا تستيقظ من رقادها

قال : وأين هي ؟

قالت : هناك في ظل تلك الشجرة

فنظر إلى صاحبته ثم نظر إلى الراعى الصغير ،
وقد بقى هذا صامتا متشاكما من هذه الوفدة الغير
للتظرة — ثم تحول الرجل إلى زهرة الجبل وقال
لها : ألمت أنت تلك الفتاة الوحشية التي اتخذت لك
ربة الكوخ بنتا لها منذ ثلاث سنين ؟

قالت : بلى

قال : ومن يكون هذا ؟ وأشار إلى الراعى

بطرف سوط كان في يده . أجابت : هو الراعى

والصغير الذي دفن أي بعد أن كفنها بأوراق الشجر وهو يقاسمني متاعب الحياة والقرية
ثم شمرت كأنها تتذكر الصوت واليمينين والقائمة فقالت له : ألسنت برنار أختي ؟ ثم أقبلت عليه تريد تقبيله فدفعها عنه بعنف وقال : ألا تتجملين من هذه السيدة ؟ ولكن خبريني متى كان زواجكما . فلم تجب لأنها لم تدرك سؤاله ولأنها منذ دفعها قال : ألم نذهب إلى الكنيسة قبل غزالة هذا الرجل . فظلت على سكوتها لأنها لم تكن تدري من كل ذلك شيئاً . قال : إذن أنا تيمشان بنير وابط شرعي . لقد عشنا في الأرض الجديدة وعرفنا أخلاق الأمم ، فأنت وهذا الفتى في عرف الفضيلة آثمان . كيف جاز لك أيها الفاسدان أنت تدفنا قبر أمنا الطاهر بجرمكما ! . ثم أخذ يتبادل مع رفيقته ذات القبعة المريشة حديثاً بلسان لانهممة زهرة الجبل ولا الراعي ، ثم استمر في خطبته وقال : إن هذا الكوخ كوختنا وجنتنا نبني الإقامة فيه ، فسيرا في سبيلكما وكفناكما منا هذا الاحسان ، فإنا نطلق سراحكما ولا نريد أن نودعكما ظلام السجون . ثم خاطب رفيقته ، والتفت إلى السكيتين يترجم ، قال إنها تقول : يا لمار ، أفي هذا المكان الجليل ، وفي تلك البقعة الطاهرة تقترنان إنما كهذا ! ثم قصد قبر أمه وجثا أمامه ، وكذلك فلت الأمريكية ، وقال : عفواً يا أماه إذا كان هذان الأثمان قد أساما إليك في غيبتنا ولم يرعيا لك حرمة . أما زهرة الجبل فقد بدت عليها حيرة شديدة ، وكأنها تنهت إلى ما في هذه الأقوال والأفعال من سوء المعنى والحرمان ،

وقد رت ماسميتها من الشقاء بالبدن عن هذا المكان . ولما نهض برنار ورفيقته وقد نظرا إليهما نظرة الكره والطرده واه بذلك في وجه تلك السكينة ، حاجت زهرة الجبل ووقفت في وجهه كأنني أسد غضبي تقول له : كيف تريد أن تنصرف وأنا التي سهرت بجانب أي أشهراً وعنت بها ليلاً ونهاراً حتى نامت النوم الأخير ، وأنا التي غرست هذا الزرع ورعيت القطيع ، وهذا الفتى هو الذي حول مجرى النهر وشاد جدار الكوخ الذي أراد أن يتقضى ببدن طنى عليه الماء ، وهو الذي حفر لأى مرقدتها في ظل تلك الشجرة ! ألا ترى أنت وهذه المرأة المبرقة أنني قضيت ثلاث سنين في الخدمة والعمل وهذا الراعي الصغير لم يلجأ إلى الراحة إلا خلسة لنكسب قوتنا ! لقد عدنا من أرض الأحلام بالمال فأذهبنا وشيدا لكما كوختنا غير هذا واشترينا قطيعاً غير قطيعنا . فقال برنار : إنك لاشك متوهة ، ولو علمت أنك تنكرين الجبل ما تركت أي قرية لخيااتك . ثم حدثته رفيقته قالت : ومن يدرينا كيف ماتت هذه الأم للسكينة وأنت بعيد عنها ولم تدرك زهرة الجبل معنى هذا السؤال وإلا لا فترست تلك الأمريكية الفاسدة القلب التي حاولت أن تنسب إليها أفعال الجرائم

أما برنار فقد أخرج من جيبه ساعة ونظر فيها وقال إن لم تنصرا لساعتكما من كوختنا وأرضنا . استجدنا رجال الشرطة والقضاء لينتازا بكما ، فقالت زهرة الجبل : نحن لا تنصرف . فسار برنار ورفيقته في سبيل القرية ودخلت زهرة الكوخ وبأثرت

والشرطي وخلفهما الراعى وقد شيعتهم الأميريكية
بضحكة عالية

فلما بلنا القرية لفتت زهرة الجبل الأنظار ببراءة
زيها وما يبدو عليها من علائم البداوة والجفوة

وخشونة الظهر واللبس . ولما مثلت بين يدي رئيس
الشرطة سألتها عن اسميها ولقبهما وسنهما

وسماتهما ومسكنهما وهل جرى أذى ، فلم يجبرا جوابا .
فسأل الشرطي عن حالهما فأبدي له مازأى وسمع ، ثم

تقدمت اليه زهرة الجبل وهي ملوثة بالأمل في المدل
الانسانى ، وروت له كل ما جرى لها ، وكان أثناء ذلك

ينظر اليها تارة ممجبا بجمالها وبساطة نفسها وبطولتها ،
وطورا مستخفا بشأنها وساخرا من دعواها . فلما

أن فرغت سألها عن عقود للكلية ، فلم تقدم ولم
تؤخر . ففطر اليها ثم أصدر حكمه بأن القانون

لا يطبقها على (الدين حقا) وانها لم « تضع يداه »
بسبب صحيح ، وأن حكمه (نهائى لا يستأنف)

ونصح لها ألا تعود إلى الكوخ لئلا يضطر إلى
حبسها . والأولى لها ولرفيقها أن يبحثا عن عمل أو

يفارقا المقاطعة لئلا ياملهما معاملة المتشردين وأنه
يمهلها أربعا وعشرين ساعة ، ثم أمر الشرطي

بطردها . ففرجا ، وقد غابت الشمس ، أما زهرة
الجبل فانها ما كادت تخرج من غرفة الضابط وتخطو

حتبة باب (دار المدلول القانون) خارجة حتى تركت
الراعى الصغير الذي لم يتبين فيه أخا ولا سديقا ينفذ

وسارت على وجهها وحدها حتى خرجت من القرية ،
وما زالت تقودها قدماها رغم إرادتها حتى بلغت

مكانا يطل على الكوخ ، فلزمته كلما نظرت إليه حسنت

عملها كمادتها . ولكن الراعى كان بادى الحزن
والوجع ، ولم ينتقل من مكانه كأنه ينتظر حدثا

فاجبا . ولم يغب ظنه فانه لم يكد يجيل ميزان النهار
حتى عاد القادمان ومعهما شرطي من القرية ، فلما

دنا من الكوخ أسرع الراعى إلى زهرة الجبل
وأففى إليها بما يكون من وراء المصيان . والتريب

أن نفسه لم تحده بفكرة المقاومة التى تتلهم مع حالة
الفناء النفسية . وفي ظني أن التقليل الذي عرفه من

الحياة المدنية ترك نفسه فريسة الخوف من القانون
ورجائه الذين يتناول المدل الوهمي . ولكن زهرة

الجبل لم تتبأ بقوله إلى أن أبجل الشرطي وطلب إليها
بلهجة الأمر أن تتأخر الكوخ ، وأن تتخلى عنه

للسكة وأنها إن امتنعت أرغما بالقوة ، فأخذت
للمسكنة تحمكه إليه برواية تاريخ حياتها ، وما كان

من شأنها منذ تبنتها الأم الراقدة تحت ظل الشجرة .
وكاد الشرطي يشفق عليها لأنه لم يرحل إلى أمريكا

ولم يقف على قواعد المدينة الحديثة . فلما رآه برنار
يوشك أن يصف حيال قصة زهرة الجبل قال له : أيها

الشرطي لست قاضيا ، قم بأجيبك . فقال الشرطي
للفنائة إن رئيس الشرطة لاشك ينصرها إن هي

طرحت فيه شكواها واستنصرته في بلواها . وكانت
زهرة الجبل كالقعدة المجروعة فخرجت من الكوخ

هاشجة لم تحمل شيئا من متاعها إما شتا وإما اعتقادا
منها بأنها بلا ريب عاتدة ، فتقدم برنار إلى الكوخ

وعاد بخزقتها وحليها الملوحة ، وبينها ما كان قد
أهداه إليها وقذف بكل ذلك في النهر . وبهذا أضاف

الأذى إلى الهامة وزاد الملين بلة . سارت الفنائة

ثم علكتها عواطف النيط والملقت لسا كنيه، وكانت أيام الريح الأولى قد فكت أغلال الجليد من رؤوس الجبال ودفعت بالياه المكرة والأشجار المتناثرة في مجرى النهر لمدانا ينداء الفيضان ففاشت زهرة الجبل أياها في النابة كنياتها الأولى، وكانت ثقتان من عمر التفاح والقطن البري على ما فيها من غضاضة وصرارة، وتروى ظمأها من ماء ذلك النهر الذي صحت عزيمتها على أن يكون فيه إطفاء لنار عاطفة الانتقام التي ولتها نظرات للشقاء والكراهة التي ذاقته فيها رأت. ولما مضت عليها أيام أصبحت كبعض الوحوش التي تسكن الأدغال، وتغير مظهرها كأنها لا يهدأ بها إلا أن تنتقم من عدوها. وكانت إذا تنفس الفجر وتفرجت وجنة الأفق بأرجوان الصباح وخشيت أن تصادف برنارا ورفيقته أو غلت في النابة وأمنت وكأن خشخشة أردية البوح ومطارفه، ووسوسة أوشعة النبات وملاحفه، وانحدار المياه وهديرها، وهبوب الرياح وصريرها، أصوات تبيت في نفس زهرة الجبل حب الانتقام. ولم يكن خفقان النسيم وهتاف الطير بصوته الرخيم، ولا تغريد البلبل بالترنيم والتنسيم، لتيقو البنت الموتورة عن الانتقام. حتى إذا جن الليل وأقبل الظلام سكنت الفتاة إلى مكان منفرد في غيابة النابة أو اختفت في أغوار الأجمة، فلما أن توسط الريح وأقبل الفيضان نهضت زهرة الجبل خفية في السحر والطبيعة نائمة، ودنت من شفة النهر من مكان يشرف على الكوخ وأخذت تحفر يممض الأغصان مجرى سنيكاً يشبه التدبير لتحويل ماء النهر. وما زالت تعمل في الحفر والماء يندفع بقوة

انحدار السيل حتى اتسعت الثغرة ثم أخذت تنقل حجارة كبيرة إلى وسط النهر لتكون سدّاً فكانت. وكاد يندفع النهر بمائه إلى حيث حفرته له زهرة الجبل، وزاده انهياراً وجود الكوخ في وهددة منخفضة. ولما أن رأت فيضان النهر فاض السرور في جوانحها وشاع الطرب في فؤادها وهنأت نفسها على أنها فازت يفتيها، وقضت على عدوها وعدوتها. ولما لكذلك وإذا الماء كالطوفان يطمر الكوخ ويصره ويغمره، ويترك جذوع الأشجار وبهاك سكاكه، وأخذت جدرانها التي أقامها الراعي الصغير تتداعى ثم تنفض، وعلت الأصوات بالاستئانة ولم يلبث الكوخ أن تهشم على من فيه، وجرفته الأمواه بمد أن أعرقتهما؛ والفتاة تنظر إلى الخراب الذي صنمته يدها وهي تعتقد أنها أفلت ميزان العدل وأنها اقتصت لنفسها بمن أذلها وطردها. وكان الصبح قد تنفس وثر النور في الشرق ياقوتاً من أشعة الشمس، فرأت زهرة الجبل قبر أمها وقد نبش الطوفان قبلت جيفتها على سطح الماء وقد هراها الفساد وصرمت أمامها مسرعة كأنها سقيفة تمخر عباب بحر الأبدية؛ فلم تلق الفتاة رؤيتها وظنت أنها أسادت إليها بانهاك حرمتها فألقت بنفسها وراها واستشهدت في سبيل الدنوب الذي تخليت عنها جتته على من أحسن إليها. وهكذا ابتلع النهر أربع جثث عاشوا جميعاً على شفتيه، وماتوا بين حافتيه، وهذا باسم القانون والعدل فلما فرغ الدليل من حديثه كانت الشمس قد أذنت بالمغيب فعدنا إلى القرية

وعودى إذا شئت فانظري لصاً من أشهر
المصوص» وقال : «أنت الوغد الذى يدعو به
بالهوق ؟»

فابتسم الصم وقال : «نم أنا الهوق
ولكننى لست وقعداً»

وكان الهوق فى الخامسة والثلاثين مهبب

الظلمة يحمل وقاره رجال البوليس على رفع أيديهم
بالسلام عند ما يرونه . وكانت ثيابه مخمئة وصوته ينع
على السيطرة والنفوذ ، وقال له صاحب المنزل :
«ابقى أنت» ثم مشى نحو آلة التليفون جلس الصم
أمام المنضدة ووضع رجلاً على رجل كأنه يجالس فى
منزله أو كأنه ضيف كريم

وطلب صاحب المنزل قسم بوليس «لايم
ستريت» فقال الصم : «بل اطلب قسم بوليس
(واردور) فهو أقرب مكاناً ونحن نأيمون له»

قال صاحب المنزل : «كما تريد» وطلب القسم
الذى أعار به الهوق ، ثم قال فى سماعه التليفون .
«من ؟» مفضش البوليس ؟ أرسل بعض جنودك
الآن . أنا السيد برايدون برتون — شارع كودبرى
رقم ١٦٢ — عندي لص . الأمر لا يدعو إلى محلة
شديدة فإن استطيع الانتظار حتى يحضر الجنود»
ثم أتى السيد برتون بالسماعة والتفت إلى الصم
الجالس أمام المنضدة وقال : «مرحباً بك !» فقال
الهوق : «إننى أعلم منك بأقسام البوليس وأنا أفضل
عن ذلك أحب قسم واردور فإن سجنه من السجن
الجديدة النظيفة» فقال السيد : «إننى لم أر لصاً
أرد منك . ما مقدار العقوبة التى تنظن أنه سيحكم
عليك بها ؟» ففكر الهوق لحظة ثم قال : «خمس
أعوام لأنهم سيسجنوننى مدة سابقة بسبب حكم

الصم الثرى البار

عز الانكليزية
بقلم الأستاذ عبد الطيف النشار

لما أضيفت الثرفة فجاء صم الصم بالخطر ،
وكان هذا الصم يلقب بين أصحابه بلقب الهوق لجرأته
على اقتحام المنازل والحسن ظلمته وهيبته . وقد قضى
أكثر من عشرة أعوام فى خاطراته دون أن يستقل
مرة واحدة . لكن الخوف يترى أجراً المصوص
عند وقوع الخطر

وكان البيت مكوناً من طابقين : أما الأول فهو
إدارة جريدة . وأما الثانى فهو مسكن رجل من
الأغنياء كان مسافراً وكان البيت خالياً من السكان
فجاء هذا الهوق ليسرقه على هذا الاعتقاد

لكنه لما دخل من النافذة وجد الثرفة مظلمة
ورأى فى وسطها منضدة وشم رائحة فأدرك أن فى
المنزل سكاناً لأن الرائحة هى رائحة ويسكى . وكانت
الزجاجة موجودة على المنضدة وبجانها كأس وزجاجة
من العسودا . ولما كانت النافذة لا تزال مفتوحة
فقد تردد الهوق وهم بالعودة . ولكن فى هذه اللحظة
أضيفت الثرفة ووقف عند الباب رجل فى يده
مسدس وهو يقول : «من هذا ؟»

فأجابه الصم : «خسنى، استمتع البوليس»
قال صاحب المنزل : «سأفعل» وفى نفس
اللحظة دخلت سيدة فاخفت وراء صاحب المنزل
وسألت : «ما هذا ؟»
فقال صاحب المنزل : «إذهبي فاردي للمطف

مستحيل - لكن البوليس تأخر كثيراً
وكان إيداعه هذه الملاحظة بمناسبة هي أن
الساعة دقت الثانية بعد منتصف الليل . وقد نظر
إليها اللص وأبدى تعجبه من ارتفاع صوتها حينما
تدق دقة مزججة مع أنها من أعلى طراز . فلم يجبه
السير على هذه الملاحظة ولكن سأله : « ما اسم
الجواد الآخر ؟ »

قال الهوق : « ليس من حق أن أخبرك لأن
مصدر على يتعلق بمحادثة غرامية بين رجل أعزب
وبين امرأة متزوجة . ولو أخبرتك باسم الجواد
فقد تعرف هذه المرأة . وأرى بما يتناقى مع شرف
الكبار من اللصوص أن يفعلوا ذلك . لقد كنت
أسرق منزلاً لأحد الأغنياء فوجدته مستيقظاً وبمه
امرأة فاضطرت إلى الاختباء وسمعت الحديث الذى
دار بينهما وهو عن التديير الذى تم لتشيير الجواد
الرايح . وقد كان هذا التديير لمصلحة الرجل
وبواسطة تلك المرأة »

وهنا دخلت اللادى برتون وقد دهشت عندما
وجدت زوجها والاص يتحادثان كأنهما صديقان
ووجدت اللص جالساً مطمئناً . وزادت دهشتها
عندما وقف اللص ووقف زوجها للترحاب بها عند
الدخول . وقالت لزوجها : « ما الذى فعلت ؟ ألم
تستدع البوليس ؟ »

فتناول اللص كرسياً وأشار إليها بالجلوس
فجلست وهي في نهاية العهشة مما تراه .

وقال السير : « اسمى ما يقوله الهوق . لقد
أخبرتني بأن الزم تثير في نادى السباق ولن يتال

لم يتفد . وقد كنت في الواقع لا أريد دخول هذا
المنزل بل المنزل المجاور وهو نادى السباق »

مضت بعد هذا فترة في صمت ثم قال السير
وهو يشير إلى زجاجة الويسكى : « اشرب كأساً
إذا شئت »

فشرب وشكره ومضت فترة صمت أخرى .
ثم قال السير برتون : « ولكن لماذا كنت تريد أن
تدخل في نادى السباق ؟ »

فقال الهوق بلهجة تنم على الوثوق التام :
« لقد كنت أعلم من قبل باسم الجواد الذى سيربح
في السباق المقبل » فابتسم السير وقال : « أنا
كذلك أعلم »

فهز الهوق رأسه وقال : « أنت غطيت فقد
تغير الزم على منح الجائزة لجوادك : « وايت لادى »
الذى كنت تعتقد حتى هذه اللحظة أنه صاحب
الجائزة »

فامتنع وجه السير لما رآه يصرح باسم الجواد
وصاحبه . وقد كانت الحقيقة أن التديير جرى من
قبل في النادي على أن يتال هذا الجواد الجائزة »

ثم قال اللص : « وكنت قد اشترت أوراقاً
للمراهنة على جوادك ، ولكنني بشتها واشترت بمائة
وخمسين جنبها أوراقاً أخرى على الجواد الآخر لى
أربح خمسة آلاف جنيه وحملت أسدقائى من اللصوص
على مثل ذلك »

وكانت لهجة الثقة التى يتكلم بها اللص داعية
السير برتون على تكرار الابتسام وقال : « لكنه من
المحتمل أن تخسر » فقال الهوق : « إن هذا

اللادى إلى اللص وقالت : « أرجو أن تصارحنى الآن، أليس المنزل الذى سمعت فيه هذا الحديث هو منزل اللورد آرثر جريفزلى ؟ »

قال : « نعم ولكن ما يدريك ذلك ؟ »
قالت اللادى : « دع هذا التجامل فإنى أنا السيدة التى كانت هناك . ألم تكن تلك الليلة ليلة الأرباء ؟ »

قال اللص : « آئت مجنونة حتى تتمرقى أمام مثل بئس هذا الاعتراف ؟ لكن سرك على كل حال مصون فى قلب يكتم الأسرار وقد كانت الليلة ليلة السبت وكانت للمرأة امرأة غيرك »

وقد كان اللص يحسب هذا القول مطمئناً لها ولكنه أخطأ فان هذا القول لم يزد لها إلا انزعاجاً . وألحت عليه أن يخبرها باسم المرأة الأخرى .

وقالت إنها لا تهتم لنفسها ولا تنبأ بالسر ولكنها تهتم لأن اللورد يدعو إلى منزله امرأة غيرها . وأخفت قلن وتسب وتقسم أنه لن يكون بينها وبين اللورد علاقة »

وفى أثناء الحديث حاد السير برتون وقال إن الذى كان يدق الجرس هو رجل البوليس وإنه صرفه بأكذوبة اخترعها وإنه يرجو من الدوق أن يخبره باسم الجواد الآخر

قال الدوق : « لا تنسب نفسك فإنى لا أسمع بذكر حديث يؤدى إلى معرفة المرأة » فقال السير « حبيب والله أن يأتى لص فى الساعة الثانية بعد منتصف الليل ليقى علينا درساً فى الأخلاق . قل وسأعطيك ما تريد من المال » فأبدى اللص علامته الاستمزاز

الجائزة جوادنا « وايت لادى »
ف نظرت اللادى فى حيرة إلى اللص وقالت :
« ما هو الجواد الأخير ؟ »

فقال : « لا تسألينى فإن القصة تمس شرف إحدى السيدات . وقد كنت منذ أسبوع أسرق بيت رجل غنى فجلست فى غرفة الاستقبال . وكان فى غرفة النوم سيدة متزوجة تتآمر مع الرجل على موضوع السباق »

ولاحظ الدوق ارتباك السيدة مما يدق نظراتها وصوتها . ولكن السير كان بطيء للملاحظة فلم يدرك شيئاً من ذلك .

وقالت اللادى : « وهل رأيت السيدة ؟ »
فقال : « لقد لحقتها » فقال السير برتون :
« هل هى زوجته ؟ »

قال : « كلا وقد قلت الآن إنها متزوجة »
قالت اللادى : « ولماذا لم تظهر نفسك ؟ »
فلاحظ السير على زوجته هذه الملاحظة : « كيف يستطيع إظهار نفسه ويترضى للاعتقال ؟ »

فقلت : « إنه ما كان من الممكن أن يقتل ما دامت المرأة التى معه متزوجة »
قال الدوق بأباه وترفع : « إننى لا أستغل الأسرار ولا أبيع بسوء السمعة »

استمر اللص فى مرد ما سمعه عن تغيير الجواد الرابع فاستثار اهتمام السير لأنه وثق من صدق ما يسمع لما فيه من التفاصيل عن شئون النادي وفى أثناء الكلام دق الجرس فاستأذن السير من اللص وذهب إلى الباب . وفى أثناء غيبته التفتت

الفصول والغايات

للفيلسوف الشاعر الطنب

أبي العلاء المعري

طرفة من روائع الأدب العربي في طريقتة،
وفي أسلوبه، وفي مبادئه . وهو الذي قال فيه
نأقذو أبي العلاء إنه طارح به القرآن . ظل
طول هذه النرون مقفوداً حتى طبع لأول مرة
في القاهرة وسدر منذ قليل

صححه وشرحه وطبعه الأستاذ

محمود حسن زكاني

عنه ثلاثون قرشاً غير أجرة البريد

ويطلب بالجملة من إدارة مجلة الرسالة

وبيع في جميع المكاتب الشهيرة

رفائيل

لشاعر الحب والجمال لامرئين

مترجمة بقلم

أحمد حسن الزيات

تطلب من لجنة التأليف والترجمة والنشر

ومن إدارة « الرسالة »

النسخ ١٢ قرشاً

وقالت السيدة لزوجها : ليس مما يتفق مع
مكاثك أن تسام مثل هذا الرجل على ما أنعمك
أنه سر .

ولكنها رأت إصرار زوجها وتثبت الدوق
وضاق صدرها بسر هاو شمعت بأنها أخرجت فقالت :
« ان الرجل النني الذي يتحدث عنه هو المورِد
آرثر جريفزلى والجلود الرابع جواده »

وقف الدوق مضطرباً وقال : « هذا سر ختته »
ولكن اللادى خرجت بأكية متمردة وقدمتها
رعدة المضطرب فتبها زوجها . ووقف اللص
وحده وهو نادم على إفساء السر أكثر من ندمه على
أنه سارق

وبعد ساعة عاد السير برتون وهو أصغر الوجه
خائر القوى وقال : « إن اللادى اعترفت لى بالحقيقة
كلها وحى ترجو مكافأة على إطلاق حريتك الليلة أن
تسرق لها الخطابات النني كتبتها إلى المورِد آرثر » .
فوعده الدوق بذلك

وفي الليلة التالية كان المورِد آرثر في حجرة
مدير البوليس السرى ليساعده على استكشاف جريمة
قال المدير : « ما هو الشيء السروق ؟ » فقال :
« رزمة من الخطابات يظهر أن اللص حبسها أودا
مالية »

فقال مدير البوليس : « وما فائدة البحث عنها ؟
إن اللص سيمزقها كما كنت تفعل لو أعيدت إليك »
لكن مدير البوليس كان غططاً فان اللص أخذها
ليردها إلى اللادى برتون وقد نال في مقابل ذلك
جائزة هاجر بها من إنجلترا إلى أمريكا وترك مهنته
الدنيئة

عبد اللطيف النشار

« أيها الناس هلموا ! فاصروا بنا
رجل إلا سحر الشفاء له ، وألعب حسه ،
فانتقل إلى عالم الخلد مسروراً ، عالم بما
لم يكن يعلم في الحياة الأولى ... »
« نحن نعلم ما على الأرض جميعاً ،
إن هي إلا أننا ... »

جَنِينُ الْبَحْرِ
للكاتب الفرنسي "جول ميشير"
بمترجمة السيدة محمد العزاوي

ثم استنوبن جالسات على صيد الكهف يلوحن
بأيديهن فرحاً وطرباً ، مستبشرات بالقادمين
النازلين ... أهلاً وسهلاً !
وكانت أسوانهن رقيقة ناعمة . يلفها ريح البحر
الحلوة فيزيد من غموضها وجلالها ... يخالطها البحر
بسحره وسلطانه فيجذب نحوها السامع كما يجذب
النار الفراش ...

واسطرح أوديسيوس على السارية بوثقه .
وطفق يجذبه وينجيه عنه في بأس وقوة ، ثم يدعو
رجاله أن يفكوا وثاقه . ولكن الرجال أحكموا
الوثاق ثانية ، وشده من جديد . وطن «أوفرثون»
أحد أهوانه . أن ذلك الشفاء الذي هز رب الحكمة
والجد فصارح الأغلال من أجله - لابد أن يكون
جيلاً ساحراً وليس بكثير أن يموت المرء من أجله
فانتزع الشمع عن صاحبه فسمع الشفاء قائماً هو في
لجة البحر وقاموس التبعج ، يصارع اليم المتدافع
وبجاءه الموج المهادد ... ساجداً إلى «السرينات»
الصادحات . وحزن السفر لما رأوا ، وعز
عليهم أن يتركوا أحلام اليم سيداً أو للجنات غناً ؛
ولكن أوديسيوس - من فوق - دعاهم بنظرة راحية
أن واصلوا السير علناً نبرح المكان فننجز من
بلاء عظيم

احتسبت الريح عنها إذ هي تمحاذي الشاطئ من
جزيرة «جن البحر» فلم يمد أحد يده للريح
عواء ولا عويلاً ، أو يسمع الموج هديرًا ولا هزماً ،
أو يدرك في اليم عوجاً ولا أمناً ؛ فهو الآن هادي
سادر ، تنفجر الرعدة من جوانبه ، وتنبع الوحشة
من نواحيه . وإذا رأى الركب مارأى من عت
البحر وبأسه طوى للشرع للسارية ثم استكانوا
لقد كان أوديسيوس ومحبه . فقد أحقوا
نيتون الجبار ، فأرسل عليهم الرياح عذاباً فعي
عاصفة قاصفة ، لا تبق ولا تنز . وألب عليهم البحر
عقاباً فهو يحمس لا يستعيد ولا يلين . . . لكن كان
البحر لهم بلاء ، وأي بلاء ! وقد استعذبوها في
سبيل رائيها كما !

واستمع أوديسيوس لما نصحت به «سيرس»
الماشقة ، فمجن الشمع ، وصبه في صاحبه حجاباً
كثيفاً ، وفي آذان محبه فهم سم لا يسمعون .
وشده الرجال - كما أمر - إلى السارية بمجال
غلاظ شدداد ، ثم طفقوا يزمحون من السفينة زيد
البحر الناضب

وكانت جنيات البحر يشهدن تقدم السفينة
- من كهفن - بصبر وشفق . حتى إذا ما دخلت
السفينة مجال السمع بدأن الغناء :

من غناء عزرائيل البحر الحسن . ولكن لن يتم لي
سعد أو طيب لي نفس إلا أن أموت على يدك
أنت من دون أخواتك جماء !

نجحلت حين الثانية من دهشة واستغراب ،
منكرة عليه ثبات جناحه وهذوه نفسه ، إذ لم تمتد
أن تري وجهاً من وجوه ضحاياها الكثير يمر من
الرغبة ويعرب من العزم مثلاً عبر هذا وأهرب .
لقد كانت ميون ضحاياها لا تشف إلا عن فزع
ورعب ميت . إلا حين ينهكما التيب فهي شاحصة
لا تطرف ، أو يسمها المول فهي جاحظة لا تبصر .
فما ليني هذا الرجل يلعب فيهما بريق العزم وشو
التفكير ؟

فاستدارت الجنية لأخواتها وقالت آصرة :

— تحلفن فإن الغريب غنيمة !

وأطاعتها الجنيات الآخر . فرما كان لها عين
نفوذ وسطوة ، أو في قلوبهن حب وحظوة . أو ربما
كان ذاك جرياً على عرف تواضعن في عليه قسمة
الضحايا . فانفردت بالأغربى تسأله عن اسمه وخبره
فلما قص عليها منه ذكراً قالت :

— فديتك يا أوفريون ! لقد علقناك وما أظنها
إلا المرة الأولى إذ أصرح فيها بالحب وأستعمر الهوي !
فسألها الأغربق :

— وأنت ما اسمك يا عروس ؟

— ليكوسيا !

أما الجنيات الآخر فقد تركن المتحايين بميثان
في سلام ودعة . وليل ذلك كان جرياً على العرف
الذي تواضعن عليه ، والذي لا نعلم من أمره شيئاً .
وكان بداخل الكهف مرجح خصب نه يتوسم

وسبح أوفريون بما أوتي من قوة المضل ،
فقد كانت الرغبة الملحة تهتك صدره ، وتدفع شهوة
السباع فيسابق الريح إلى الصوت سيقاً

وكانت المياه اللامعة تدلف في وهج الشمس ،
آمنة إلى كهف بالشاطئ القريب ؟ والجنيات السبع
قد اجتمعن على وسيدته صادحات فرحات

وليس بخاف أن الجنيات غريبات التكوين ؟
فهن إلى ما يلي المصور أبقار كواعب ، نجيلات
المصور ، مريبات الصدور . وهن طويولات النحور
حور الميون ؟ يملو الجبين منهن شعر غزير أسفر
كأنه سبائك الذهب ... وكانت أسنانهن مشدودة
منضدة في أفواه واسعة ركبت في وجوه بريئة
ضاحكة كوجوه الأطفال . أما ما بعد المصور
فتكسوه حراشيف نائمة تملوها نفوس لامة . ويمكن
للداني منهن أن يرى أذيالهن — ذات الألوان
الرائمة — تبصيص في الماء تهاً وبعياً

ولما اقترب منهن سكن الجوف فلا غناء ولا صدى ،
ثم توائبن عليه توائب الدئب على عمل وديع . ومحن
سبحات المعيان المنفضة ؟ وجذبته إلى داخل
الكهف المغم ، فتضون عنه الثياب ، ثم طرحته
على تل من عظام وجاجم ؟ إذ كان من دأب هؤلاء
الجنيات أن يلتصقن من حطمت سفائنهم على شفاف
الصخور البارزة في قاموس البحر ليمتصن دماءهم
بشفاههن اللس المكتنزة

والآن ترادى لأوفريون أن إحدا من أقوى
سحراً من أخواتها الآخر وأشد فتنة : فيسألهما
تثمان ما لا تشع ميون أخواتها من حنان وعطف
فولاهما وجهه ثم قال :

— إنني لأموت سعيداً بعد أن سمعت ما أطربني

النفوس .. وصحيح ما قالت، فإن الكلمات التي تشين بها والتي يسمعا أوفريون صباح مساء — لم تكن تدل على شيء محدود، بل كانت تثير في النفس ما يثيره جمال الشروق وجمال الغروب؛ وكانت تستمد قوة السحر من حنان أصواتهن الذي يأسر القلب البشري ويسطله من الحكمة والمزم وقد وضع ذلك لأفريون وضوحاً ..

ولم تكن ليكوسيا غافلة عن أحزان حبيبها المرز، فكانت تنمشه بقبالات حارة، وكانت تلفقه إذ هو ينوح في البحر إعياء لأنها كانت أوفى منه قواماً وألين عضلاً. وقد تبهه ظهرها صهوة يمتطيها إذا كده التصب. ولكنها كانت تنبسطه — إذا ما كادها في الرج الخفيف — على جوارحه الماهرة التي لم يكن لها منها إلا ساعدان مجفوان لا يفتنيانها كثيراً إذ هي تسيره، وذيل يوقها إذ هي تشائه، واستشمرت قصور عقلها وذكاء عقله، وأحسنت فوق ذلك — بنقصها رغم الخلود، وكاله رغم الفناء. لقد كانت تعلم أن عقله يفي مالا يفي عقلها من عوالم غريبة لا تعرف عنها قليلاً أو كثيراً، فكانت تنبسطه وتحسده لكل ذلك ثم ودت لو كانت بشراً سوياً.

وأخذ أوفريون على ما تده أن يسلها ما لم تحط به، وبهها عما تفعل أفساراً وصوراً. ولكنه تبين الفشل سريعاً. فقد كانت لا تستطيع أن تصور ما يقول أو تفقه له معنى. وكيف تفهم وهي تسمع ألفاظاً للمرة الأولى ثم كيف تفهم وهي لم تتخذ غير البحر مقاماً ومستقراً

ويدت له الحياة ثقيلة نوماً: فقد زال عن ليكوسيا روعة الجديد وبهجته، وتولى عنها سحر التامض وجماله. ثم ... ثم هي جنية لا تنفي

من ماء معين؛ كان أوفريون يروي منه غلة الظلماء بعد أن يشتد يطم السمك السمين.

ولم تفارقه ليكوسيا بعد ذلك أبداً: فهما يسبحان حتى تكمل سواعدهما وتبين قوامهما. وهما الآن يسبح الموج وبعد حين على الأعراف؛ وهما يجنب الشط طوراً وفي القاموس أطواراً. تضمه إلى صدرها بينهما في الوشل، وتنفذ إلى صدره — بعد أن ترقى شفاف الصخر النافثة — فكأنها سهم مرشاش. حقاً لقد كادتا سعيدتين تحت ضوء الشمس المشرقة. وكثيراً ما داعبا الحيتان في عودتهما إلى الكهف الوقور.

وإذا جن الليل نامت الجنيات على الشاطئء ناركات أظلمن في الماء. أما أوفريون فكان ينام بالرج في أحضان ربة البحر ليكوسيا. ولم تكن أحضانها بذات دفء فيلتبس فيها ملاذاً من البرد وماوى.

وكادتا قليلاً ما يتحدان. إذ لم تكن تعلم ليكوسيا من الكلام إلا بما سمحت به إقامتها بشاطئء البحر الأبيض المتوسط. فهي تستطيع أن تسمى «السماء» و«البحر» و«الشمس» و«القمر» و«النجوم» كلا باسمه؛ وأن تسمى الفخوز قاطبة والسمك كافة. وهي تستطيع أن تقول إني «أرى» و«أسمع» و«أشوق»، وإني «أريد» و«أمل» و«أفعل». وكان هذا كل مالها من لغة.

وسألهما أفريون يوماً «كنتن تشينين — حين سمعت غناء كن من الفلك السريع — بلم مالا يعلم البشر. فهل لك أن تربيه يا ليكوسيا؟»

ولكنها أفهمته بأن ما ذهبن إليه في أغانيهن باطل، لا يقصدن به إلا الكيد وإثارة التطلع في

علم أفريون بذلك حزن واستخنى . وأبجن أن
الحب الذى مى قلبها عاجز أن يهبه الحنان خاصة
تيمزه . وأبجن — كذلك — أن اللطف والحنان
قد اختص بهما القلب البشرى دون المالىن

ليس بخاف أن جنياى البحر ينشقن الهواء فى
البر والبحر على السواء . وقد سرت تلك اللزة إلى
أفريون بمد أن هذبها قوانين البشرية ، فهو يستطيع
الصوم عن الهواء تحت الماء أكثر مما يستطيع
غواص مجيد . وكان أحب اللهو إليه أن ينوص
بقاع البحر بين مروج المرجان والمشب الجميل ،
وأن يهيم بينها متمجبا لها ، فى حيرة من أمرها :
أهى أزهار أم أحجار أم حيوان يشمر ويرى !

وقد عثر يوما بقاع البحر على فلك عظم ووجد
بين ألواحها ودرسه صحافا من ذهب وأوانى من خزف
بديع . ووجد أكوابا وأبريق ، وقد رآ من ذهب
فى صندوق متين . وعثر على جواهر وفلاذ ونطقا
من حرير وصرايا وأساور من فضة ثم عدة لوحات
نحاك الطيعة الساحرة

واستعان على إخراجها ليكوسيا ، فكانت خيز
معين . وقد حلى جيدها الماثل بقلادة وطفاء
القوايب والأهداب ، وذراعها بأساور من فضة ،
وطوق خصرها المتيق بطلاق من حرير ، ثم ثبت
فى يدها امرأة صافية

وملا قلب ليكوسيا الفرح إذ ترى صورتها
الجميلة فى مرآة صافية . وطلق أفريون يفسر لها
ما استمعى عليها فهمه ، وشرح لها ما تتله اللوحات
من مناظر الطيعة . فبدأت ليكوسيا تفهم العالم
الذى حاول أفريون أن يهبها عنه فكرة ضلة . لقد

(٥)

الانى شيئا ؟ فلا هو من أصلها ولا هى من طبيئته
ولا هى واجدة فيه ما تريعى ، ولا هو واجد لميسها
ما يشئى ... وران على قلبه الحزن . أنى يأتى عليها
دهر تدري فيه قترجمه ، أو تقلب إنسا قسملده
وتمينه ؟ أو يأتى عليه حين ينقلب فيه إلى جنى
فينسى آله وصحبه ، ويستريح من الجوى والحنين ؟
ولج به الحنين إلى الوطن فتبره تثيرا ... فى
الليل يتناهبجع فى أحضان ربة البحر تسبج أفكاره
وراء البحر إلى عالم البشر . فيصير بين الخيال
الواهم أنهارا وغابا ، وجنات وحقولا . ويصير مدنا
وخلقا كثيرا ... ويرى الجوارى النشآت فى البحر
كالأعلام ، والرايات على الشواطىء كالأطواد ..
وينطف بصره بشتة إلى المواخير غصت بالمريدين
السكارى ... ثم الآن فى شغل فكهمون : أمامهم
خمر عتيق لذة للشارين ، تنهادى بينهم اللانبات
النشاورى منثبات ضاحكات مداعبات باحات ؛
ينضدن على شعورهن اللامعة زهرا ناضرا وجيلا .
هن — دون شك — دقيقات الخصور ، فنجيات
الأثونة مشمرات الصدور ... مرهفات التوام ...
دقيقات السواعد والأقدام ... و ... إلى آخر
ما يصوره خيال المروم

وحدث أن مر بالمكان فلك منكود جذبه
سحر الصوت وترجيع الصدى فاستوى الفلك على
صخور قريبة . وهرمت إليه الجنباى هادرات
صاحبات . واقهضن على ركبه — وقد أنشبن
فيهم أنيابهن القاطمة — يتمسعن دماء الركبة .
وتخلفن ليكوسيا عن أخواتها فلم تشاركهن اللثناء
أو اللثناء . وما كان ذلك ميلا عن الطيعة أو عزوفا
عن الطعام ، ولكن جمالة لأوفريون الجيب . ولا

التلاحقة للمهورة .. وسبقها أفريون في المسير فنادته:
— أفريون ! إن الأرض سحب سيرها شديد
حرها . وقد حلتك قاحلى بدورك .

وما كان له أن يتخلى عنها فلا حياء يسمح ،
ولا المروءة ترضى . فساد وحملها فطوقته بزراعيها ،
بيننا ذيلها يثير خلفهما عثيراً وترايباً .

وتسابل المرق على وجهه المكثود ، وناء تحت
حمله ، فوهت أعصابه وتمردت نفسه على ذلك الخلق
الذى يحمل ... وهجب لنفسه إذ يصطحبها ! فبالله
ماذا يفعل بشك السمكة الخفى بين الناس ... ! ولم
يكن منه إلا أن طرحها بعيداً عنه ، وعداً نحو
للمدينة مسرعاً . فأعولت ليكوسيا :

— أفريون ! أفريون الحبيب !
لقد كان التوصل يائساً حزناً ، تحرك له قلب
أفريون فساد وهو يقول :

— ألا فاصبرى يا ليكوسيا ! فاني عائد بصد
حين بصرية قلنا للمدينة

— لا ! لا ! إلى موقنة بأنك لن تمود ... إنك
لم تمد بحبى لأنى لا أحكي الأنا فى شىء . وما
ذاك ذنبى ! ألا فاذكر نعمتى عليك يا أفريون إذ
أنت إلى اليوم حى ... أتريد بعد ذلك فنانى وموتى !
يا لك من جحود ... آه لو تعلم عظيم التضحية ...
إن الآلهة قد نضت عني ثوب الخلل لأنى علقتك !
وضمت إليها يدىها إذ تفيض السموع من عينها
للمرة الأولى !

— أفريون ! عطفك على !
— عطفك ! عطفك ! ما نطقت بشك الكلمة
من قبل !

— ذلك لأنى لم «أنا» حياً أو شقاء . أصغ
إلى ! إلى موقنة بأنى حل : يؤوك ، إلا إذا استوتبت
إنسانة تؤنسك وتؤس جراحك . وما أجد عنى

ألفته عالماً غريباً جذاباً . فقالت برنة الأسى ولهجة
الحزن : « وودعت لو فهمت ما فى الأرض جيماً .
ولكن لن تنفى الوعدة ، فإنا إلا ربة بحر قدر
عليها ينتبون ألا تبرحه . »

فدار بمخلد أفريون أن يستقل تلك الحسرة .
فزين لها الرحيل إلى الأرض ، وحرصها على هجر
البحر الصاحب إلى البرالوادع ... فهو ينزها بالوعود
الغلابة والأمانى الباسمة ، وهو يحذنها عن أشجار
وأطيار ، ورياض وبساتين — أنشأها له خياله
الخالق . وهو أخيراً يقص عليها من أخبار الناس كل
طريف ... وما ذلك إلا ليهرب من جزيرة « جن
البحر » وينقلب إلى أهله مسروراً :

— لو تستطيعين السير معى يا ليكوسيا لركبنا
الوج إلى بلد يدعى « أئتنا » لا يبعد عنا إلا سبوح
ثلاث ليال .
— ولكنى لا أستطيع أن أعيش على البر ،
أو أمضى زماناً .

— سوف أعينك على أحرك : فاذا كنا بالبلد
الأمين سأنيك بصرية كاحدى ما أريدك فى اللوحات
فتقلنا إلى حيث تهوين الدهاب . وسوف نحيا
فى نعيم بما نحمل من ذهب وفير وخير كثير ...
ولم يسح لها بما يكن فؤاده من شقى الأمور ..
ولم يكن سبوح ثلاث ليال يعجز ربة البحر ،
ولكنه كان على أفريون بلاء عظيم . وعلى أية حال فقد
وسلا الأرض ، وهبطا شاطأ غيرذى أهل ولا زرع .
ولم تكن المدينة تتمد عنه طويلاً ، إذ كانت
تترادى على أبواب الأفق ، ولكن الطريق إليها
كان وعراً متنباً . وظنق أفريون يحنف على نفسه
من ورق الشجر ما كساه كساء مقبولاً .

وسأرتة الجنية يديها فرقة مرحة . ولكن السير
مالبت أن ألهما وأفاها والحر مالبت أن خنق أنفاسها

عظفت على إحدى فتاتي - ربة البحر ليكوسيا -
وكنت من سؤلك قاب قوسين أو أدنى ... لقد
أحب كل منكأ أعاء وأعلى مقامه . وإني بكأ
لفرحة طروب؛ وإن لكأ عندى أحسن الجزاء فالتساه
في واحد مما أرى ... أنا مستطيمة - باليكوسيا -
أن أعو - قبل أن أسرك - ما تخلف بقلبك من
ذكر هذا الأدنى . وأنا - بأفرون - زعيمة بأن
أهبك هيئة الحوت مبقية لك على روحك الأدنى
وعقلك . كي تبش مع ربة البحر وغداً سعيداً ...
ولكني أفضل أن أهبك السعادة كأ ترغبان ...
والآن باليكوسيا! أنضو عنك ثوب الخلد ثم تيشين
في دنياه إلى حين ؟

— يقيناً ! فإني الخلد من غناء !

— لا شكر لك ولا أجر !

— آه ! مولائي ! لأجل بك الصبح وأولى ! كنت
أحدث عن نفسي !

— لا تتريب عليك الآن . فإني أنهم ما تقولين
جيداً . والآن ! أنصبحين آدمية ؟

— نعم !

— إذن فكوني بشراً سوياً !

ولسها برعها الرشيق فاذا هي امرأة تسمى .

— والآن يا فتاتي ! أسرعي إلى تلك الراهبة في
ذلك الدبر القريب واسألها إزاراً وبرداً ثم سيري
خلف فتاك ولا تمصي له امرأة ...

وعقل الفرح لسانهما ، وعطل الدهول حواسهما
فأ استطاعا شكرأ ولا وجوداً ...

وانفعل العاشقان .. وابتسمت لهما إذ يودعانه .

ولكن ما أمر يستما .. بأسمه حزينة مشفقة !

لقد خامرها الشك فيها وهبت من سعادتهما .

السيد محمد العزاري

حالي هذه حولا ... على أن ما رأيت من مالك
أفرغني وأرعيني فلا يحزنك أمرى ... ولا تبشس
إذ أعود ليم مرة أخرى ، فأسير سيرتي الأولى
مع أخواتي القاسيات

— القاسيات ! أني لك تلك اللفظة الأخرى !

— واحسرتنا ! لقد علمتي أنت معناها !

ولم يقب الرجل على ما قالت كلاماً . بل حملها
بين ذراعيه وعاد إلى الشاطئ شديدي أسى كاسني
بال . وابتسمت له ليكوسيا من بين الدموع
الواكفة فقادها الرجل إلى الشاطئ بلوعة اللودع
وجوى العاشق المشفق

— وداعاً يا صاحبي !

— آه ! لو وهبك الإله من لذه أقدماً !

— حسن يا صاحبي ! فليس لي أقدام ، ولا

أود أن يكون . فإني بها من حاجة في هذا البحر
البحي . سوف أنسى كل شيء أو أحاول .. وسوف
أسير سيرتي الأولى . وإن قدر لي أن أذكرك بين

الماء والسبأ فيا لصمدي وهنأني ! ولكني سأشفق
على نفسي خشية أن يحطمها الهوى ... وسأشفق
عليها مرة أخرى ... فما أشد خوفي أن أطرح بمد
أن يسخط على نيتيون الأعلى

وبكي أفرون بكاء صرا . وصاح بها :

— كوني كما شاء نيتيون الطاغية ! ولكن

تمالي ! تمالي نكنن كأ شئنا وشاء لنا الهوى !

وما كان أفرون إلا أحن وعجولا . وما منه
أن يأتي حماقته إلا « زيتيس » الوداعة ! وقالت
لها إذ تستوي في جلال الآلهة :

— لقد سرفي أمر كأ وأطربني ، وإني لمجبة

بكأسوا ، فأنت باليكوسيا قد أكرمت مثوى فارس
صنديد ، ظاهر ولهي آخيلوس بن بيلوس إذ هو
بشار الحرب صال . وأنت - يا أفرون - قد

ثم ينخفض أخرى حتى ما تجمع منه
سوى زفرات تصمد ، وأنت ترسل ،
ومجعة تمزق الصدر وتلب الحشا ،
وحق لا يمالك الناظر إليها من الرءاء
لها والاشفاق عليها ، فيقدم لها من
الطعام ما تأكله ، ويجود عليها من الخرق
المزقة بما تلبسه . مسكينة ! لقد
كانت القلوب تنفطر حزناً لمنظرها
وتتصدع أسى ، وكان نداؤها
لابنها حزناً يا كيكا ، يستدعي
الرحمة ويستدر الشؤون .

ولم تكن كريستين وحيدة
في هذا المصاب ، إذ فقد كثير
من الأشراف أبناءهم ، ولقد
حاولوا عيشاً معرفة أوتراك
الصمصم الذين يشكلون الأنساب

إنما ما جاء الليل وابتلع الكون ، وأقمرت الشوارع .
وعلى الرغم مما بذله هؤلاء الأشراف من جهد ، وما
أفقوا من مال ، فإن السارقين بقوا مجهولين
لا يعرف مقرهم ولا يهتدي إليه .

ففي إحدى أماسى أكتوبر من تلك السنة ،
جلست كريستين إلى عين ماء ، بعد أن طافت المدينة
وزارت الأحياء . وقد قف شعرها الرماذى ، واغبر
وجهما الشاب الكئيب ، وأخذت تنظر حولها
بسينين تأهتين تارة ، وترق يبصرها الحائز إلى النساء
أخرى .. كأنها تسأل الأرض والسما والكون من
وليدما المفقود . وكانت الخدامات يأتين إلى التبص
ليملأن جرارهن وبرجين بجلا ، لا يقفن كما تبين
ليتحدثن بما يقع لمن في الليل أو النهار من حوادث ،

سارقو الليل

للكاتبين القصصيين " إريك كان وشاتران " .
بتأليف السيد كمال الدين النجدي

تصريف

إريك كان وشاتران أديان فرنسيان
كثيران ، أصدرتا ما ، كثيراً من
الروايات والأفاميس التاريخية . وقد
اشتهرا بأسلوبهما الذي تطلب عليه
السهولة في التعبير ، والدقة في
الوصف .

وقد أجادا في وصف عادات أهل
الأزاس الأقدمين ، ومن أشهر
مؤلفاتها : الصديق فريتر ، مدام
تيريز وغيرها

في سنة ١٨٧٠ ، كان يرى
في مدينة « مايناس » ، امرأة
شاحبة الجسم قارحة القد ، قد
لصب خدأها ، وسهت ميناها
ونال منها السقم والغشا ، تضل
في الشوارع ، وتظوف الأحياء
وتتعمق بصوت غاقت حزين :
دويش ... دويش ... أين أنت
ياولدى ! ..

كانت تسمى « كريستين » .

وكانت سورة الجنون التصل والألم المائم . فقدت
عقلها بعد أن اختطفوا منها طفلها الصغير قبل طبعين
وحى تنزه في شارع « القوارب الثلاثة » في عتمة
الليل الماسبة . فصاحت آتذ وعذت ، ثم أعولت
وأذت ، ثم غشت عنه في كل مكان .. حتى في
البحر المضطرب العميق ، وسألت عنه من رآه ،
من أطفال وولدان .. ولكنها ، وآسفا ، لم تجد
له أثر في البحر ، ولم يجدتها عنه إنسان ..

من ذلك اليوم . لم تتمتع كريستين بالميش أبداً .
أصبحت لا تنأ أرض دارها التي سارت رهناء الليل
إلا قليلا ، ولا تفوق ميناها المدمور كان طعم النوم
إلا غرارا . فعلى هائمة على وجهها في الشوارع
والطرقات . تنادى ابنها بصوت يرتفع تارة فيرعب ،

ورأته في غرقته ، وفي يده قنح من الشاي ، فقالت له وهي تبكي :

— سيدى الرئيس .. لقد عرفت سارقة الأطفال .. اسرع ياسيدى واصغ إلى .. وكان رئيس الشرطة ذا قلب كالجسارة أو أشد قسوة ، وكان ضيق الصدر متبرماً بالناس ، يحب الإخلاص إلى الراحة إذا أسدف الليل وأكل الطعام . فأزجه صراى هذه الجنونة فتنادى بها مقتطاً :

— يا إلهى ! ألا أستريح لحظة واحدة طوال النهار ؟ أرايتم بالله خلوق أنسى منى أو أشقى ؟ .. ماذا تريدن منى .. ؟ لم تركتموها تدخل .. ؟

— آه ياسيدى ! تسأل إن كان هناك خلوق أنسى منك .. أنظر إلى .. أنظر إلى ياسيدى .. هه .. أما مجنونة ؟ .. لقد كنت ذلك قبل أعوام .. اما الآن . هه .. هه .. لقد رأيتها ياسيدى تحمل طفلاً .. أقسم لك .. آه أين أنت يا دويش .. يا ولدى ..

— عليك وعلى طفلك ، وعلى السارقة اللعنة . اعزبى عن وجهى .. حقاً إنك مزجة . هانس .. أطرده هذه المرأة .. اسرع .. يا هانس اسرع ! فجاء الخادم وحياً الرئيس فقال له :

— أطرده هذه المرأة . وغداً سأطلب زجها في السجن .. هيا أخرجها .

عندئذ راحت كريستين تضعك .. وتهمقه وتفتى .. فجاء إليها الخادم وقد امتلأت نفسه شفقة عليها وقال :

— هيا يا كريستين .. هيا .. تعالى واخرجى . وعاودها الجنون .. فخرجت تنادى : دويش دويش أين أنت يا ولدى ! ..

وما يسمعه من أخبار ، وكانت الجنونة سامة واجبة . لا تتحرك ولا تتكلم . وكان الطير يرش رشاً خفيفاً . وقد بدأ الظلام يضر الشوارع ويظلل الممر .

ودقت الساعة السابعة . فلم تتحرك كريستين ، بل راحت تجمجم : دويش .. أين أنت يا دويش .. وفجأة انمعت عينها ، وتقلص جسمها ، وتطاول عنقها وأخذت تنظر ... إلى امرأة كانت تمر في الجانب الثانى من الشارع ، وقد انفتحت شوب فضفاض وحملت بين يديها في قطعة من قماش شيئاً يلبط ويحرك ، ويقفز يريد الخلاص

وكان منظر المرأة يثير في النفس الشك والريب وكانت تمدو كسارق يريد الاختفاء عن الأعين . فاعترت كريستين هزة خفيفة .. فراحت ترتجف وتتمتم كالت مبهمة غريبة . ثم قفزت فجأة وانطلقت تمدو في أثر المرأة وتنادي بصوت مرعب : السارق السارق ... اقتبضوا عليه .. اقتبضوا عليه ! .. ولكنها ما كادت تلتحق بها حتى اختفت المرأة فجأة .. كأنها ابتلعها الأرض !

هناك .. وقتت كريستين تبكي .. لقد كانت تعرف مقر ابنها . ولكن .. ولكن وآأسفاه ، اختفت السارقة في هذا الظلام الرهيب ، وساد السكون .. فلا صوت إلا خرير الشلال المتساقط البعيد .

وراحت الجنونة تلطم على وجهها ، وفي صدرها كلام تجمجمه كأنه أزيز القدر ، وفي فمهاها وميض يربع ويخيف ، ثم عادت أدراجها ، وصرت بشارع القوارب الثلاثة وهي تبايل كالسكران ، واجتازت ساحة غوتمبرغ وقصدت إلى مقر رئيس الشرطة .

يطلب ابنه منك ... آه يا ...
 — هدى روعك يا مولاي ... لقد كانت هنا
 منذ دقائق ... امرأة مجنونة ... اسمها كريستين
 لقد قالت لي .. إنني أذكر .. نعم ، هانس .. هانس
 وجاء الخادم فقال له الرئيس :
 — فلق عن كريستين
 — إنها لا تزال هنا يا سيدي
 — دعها إذن تدخل
 — اجلس يا مولاي الكونت ... اجلس
 ودخلت كريستين فقال رئيس الشرطة :

— مولاي ... لقد فقدت هذه المرأة ولها
 منذ عامين ... وقدنت بعد ذلك عقلها ...
 ودرأ الدمع في عيني الكونت وقال :
 — ثم ماذا ؟
 — لقد جاءت إلي وقالت ... لي ...
 — تكلم ماذا قالت لك ؟
 — قالت لي إنها رأت امرأة تحمل طفلا
 — وأين هذه المرأة ؟
 — لقد حسب أنها تهذي فطردها ...
 — طردها ... !

— نعم ... نعم ... حبيت ...
 فاغتاظ الكونت وثار وصاح :
 — يا لك من ... إنك تبيع السارقين .. آه !
 أنا مارأيت رجلا أسفك منك وجهك .. إنك ليان ..
 حذار مني ... لأن لم تجد لي وهي لأقتلك ، ثم
 لأمتلئ بك ، ولأطرحك إلى الكلاب ... !
 وترك رئيس الشرطة يرتجف خوفاً وفرقا ،
 وقال لكريستين :

وفي الوقت الذي راحت المجنونة تنادي طفلها ،
 كانت مركبة رئيس الحرس الامبراطوري تجرى
 في شارع « إريستين » ثم تتوجه نحو مقر صاحب
 الشرطة
 وترك الكونت رئيس الحرس مركبته وقصد
 دار الرئيس بلباسه الرسمي الأخاذ ، وكان في الخامسة
 والثلاثين من عمره ، أشقر اللحية والشعر ، آناه الله
 بسطة في الجسم وقسوة في الطبع . فرأته كريستين
 فضحكت منه ، ثم دخل على رئيس الشرطة غياه
 وقال له :

— سيدي رئيس الشرطة ! إن حراسك
 كبالي متقاعدون . منذ عشرين دقيقة وقفت
 مركبتك أمام باب الكنيسة الكبرى قرأيت
 الكونتيس م ... ، فكرت طفلي في المركبة وجئت
 لأستقبلها ، ولما عدت إلى المركبة لم أجد طفلي ...
 لقد حاولت أن أعرف السارق ولكنني فشلت ، لقد
 تبست من معرفتهم ... لقد تبست !
 وسكت الكونت ، وجفف دمتين عرقيتين
 انحدرتا على خديه ... وتحنن رئيس الشرطة وأراد
 أن يؤجل أمر البحث عن الطفل إلى اللند .. ولكن
 الكونت قال :

— إنني سأنتقم ... إن عليك أن تحضر لي
 وادي ... وإن عليك أن تسهر على راحة الناس ..
 إنك مهمل ... حذار ... حذار ... مني ، أسمع ؟
 وكان العرق يتصبب من جبين رئيس الشرطة
 على الوجع من البرد القارس ، فقال له :

— إنه الولد الناصر يا مولاي ... ماذا تريد
 مني أن أفعل ... إن السارقين مهرة جداً ... وإنهم لـ ..
 — ماذا أريد أن تفعل ...؟ أهذا جوابك لأب

الأرض مرة ، وينشر عليها رداءً رقيقاً من الحزن صرات ... وجأة انطلقت المجنونة كالسهم ... إلى أحد الشوارع ... تنبها الكونت ... وكادت أن تختفي عنه ، ثم اختفت ، وضاعت في الظلام وحار الكونت في أمره ، ثم رأى نوراً يظهر تارة ، ثم يختفي من ثقب في زاوية الشارع ، كان مصدره نفق في الأرض ، فتقدم نحوه ، فرأى كريستين واقفة نثني ... فلما رأت الكونت نادت : هنا بيت السارقة ... لقد رأيتهما الآن ... إنها هنا ، فبرقت هينا الكونت ... ونار ثأره وحطم باب الدار ودخل ووراءه كريستين

ودت الساعة الثالثة بعد منتصف الليل في كنيسة القديس إنياس وسمع الكونت وقع أقدام ، ثم بكاء طفل ، كأنها سلط عليه المذابح ... ثم رأى مجزاً محدودة الظهر ... في غرفة صغيرة ... تدحج طفلاً ... لم يبينه ، فجنى جنونه ، وقعد وعيه ... وقفز نحوها ولكنه تدرج سريماً إلى هوة عميقة مظلمة ... ! وتنهت المرأة ... وانطلق الصياح ... وساد الظلام في الدار ... فراح المجنونة تنادى بأبنها دويش ، وراح الكونت يتنادى طفله الصغير ... وراحت المجوز تهقه وتضحك

وسمعت أصوات تصدر من الدار ... واشتد اللغط ... والمجنونة تنادى ، والكونت يصيح ، والمجوز يجيب

— انتظروا قليلاً ... سأعطيك ما تريدون ...

أولادكم ... أليس كذلك ؟

أخرجوا يا ... هيا وإلا ألحقكم بهم ... وأشعل الصياح ... وتقدمت المجوز ...

— أيتها المرأة ... أجيبي ... أين رأيت السارقة ؟

— دويش ... دويش ... لقد قتله

— لكن أين السارقة ؟

— واحسرتاه ! إنهم قتله ... نعم قتله ... وركت الكونت ينظر إليها ، وانشئت راجمة من حيث أنت وهي تبكي وتنادي : دويش ... دويش ... أين أنت يا ولدي ؟ ...

وهب الكونت ليلحق بها فناداه رئيس الشرطة — سيدي الكونت ...

— صه يا ...

وراحت المجنونة تمدد وهي تتمم ألفاظاً سقيمة الجرس ، غريبة المعنى ، والكونت يتبعها ويقول لنفسه : — لقد ضاع الولد ، وخاب الأمل ... إن هذه المرأة لا تدري ما تفعل ولكن ... من يدى ليل شعورها انطى بقودها نحو مكان السارقة فلا تبها إذن على أن أتخذ الطفل وأرجه إلى

مضى الكونت في طريقه يتبع خطوات كريستين . وكان يراها على الرغم من الظلام الدامس والضباب الكثيف الذي غمر المدينة ، ويسمع أبنها وزفراتها على الرغم من الهواء السكران النائح . ووهن الليل ... ثم عسس ، وما زالت كريستين تمشي ... لقد طافت حول المدينة والكونت وراءها تدفع الأمانى ، وتقوده عاطفة الأبوة الحارة ، ووصلت إلى النبع الذي تركته لتلحق بالسارقة عند ما كان الليل طفلاً ... وكانت تتمتع كلمات تبت في النفس الحزن والكآبة . وأظلت الدنيا في عبي الأب المنجوع ... فراح يدعو به . وكان القمر يظهر من وراء النجوم تارة ويختفي أخرى ، فيغير

لم يستغف الكونت من غشيقته إلا في صباح الغد
فوجد نفسه في قصره بين الخدم والحراس ...
إذ ألقته المرأة في زقاق بعيد عن دارها بعد أن
أشبعته طمناً بالدى . فنقله الممس إلى قصره بعد
أن عرفوه

وعلمت آنثى أن تلك المرأة كانت تبيع اللحم !
تخطف الأطفال ... وتذبحهم ، ثم تبيع لحومهم
للطرية للناس يساعدها أربع نساء في دارها
وفي تلك الليلة اختفت سارقة الأطفال ... ولم
تظهر بعد ذلك اليوم أبداً ...

ترى ماذا يبق في المرأة إذا جردتها من عاطفة
الأموعة ، وجب الأطفال ؟ ...

صمدح الربيع المحمدي

« دمشق »

فرأىها المجنونة فوثبت إليها ... ولكن ... مسكينة
لقد اجتذبتها المجوز إليها ثم أحوط عليها بطننة
تركها تن في الأرض وتصبح

وقام الكونت ... فتألب عليه جمع من النساء
لم يدر من أين آتين ، ألقطن الأرض ، أم أرسلتهن
السباء ... وجرد الكونت سيفه وضرب إحداهن
ففررن ... فتبع المجوز ... واقتحم إحدى الغرف
وهناك سقط مشياً عليه لا يحس ولا يرى ...

لقد رأى ابنه مذبحاً ... نعم مذبحاً يا قارئ
ورأى رأسه يتدحرج في أرض الغرفة ، وأبصر
يديه وقدميه ، وقد غرق جسمه ، وسال هنا وهناك
دمه ، وأبصر الجناح والرؤوس معلقة على جدران
الغرفة ، والفؤوس والدى مبعثرة في جوانبها ...
آه ! يا للوحشة ! ويا للفظاعة !

الصيف خفيف هذا العام

لان

شركة مصر للغزل والنسيج

تقدم لكم المنسوجات القطنية

الخفيفة على اختلاف انواعها

جميلة في ألوانها

معتدلة في أثمانها

فبادروا في اخذ طلباتكم

فَتَايَان

للكاتب الإيطالي "أدريانو زوكولي"
بمترجم الأديب محمد حبيبي

كان هذا شأن الكونتس ، أما أنا
فأني أقسم أنت الرجل ناعش. تلك
الكنيسة قط ، بل إن بصره لم يقع
عليها حتى من بعيد ، وفي مقدوري أن
أحلف غير حاث أنه لا يدري أين موقع
ذلك الجبل

لقد عرفت أرتورو منذ أمد بعيد فعرفت فيه
الكذب ، وكان يكذب على الكونتس
ولكن لماذا يكذب ؟

لله يسوؤه أن يعرف عنه أنه لم يصعد مونت
سان فوستو ، أو لله يستروح تسليمة في مجرد قوله
« نعم » بينما قد يقول الآخرون « كلا » ، ثم هو
يسرد قصة ولا ريب متى أجاب « بنم »
إن الرجل أستاذ كبير في فن اختلاق الأكاذيب ،
ولم يفقه إلا لام كله ، فيعرف الالبسامة التي تم عن
شيء بينما يكون الفكر منصرفاً إلى شيء آخر ، كما
يعرف أصول القصة الملققة التي ينبغي أن ترتجل
ارتجالاً في برهة قصيرة إذا استدعى اللقاع فجأة إقحام
الموقف ، أو إخفاء بعض الظروف ، أو القضاء على
شبهات وريب

وإنك لتراه وهو يكذب ثابت الجفان هادي
النفس وعلى وجهه الناعم الموردة أثر السوءاء والحزن
كأن الصدق الذي يلقبه يجمسه بعض الجهد ، وكأنه
لا يقضي به إلا إلى خلاصته ومن يثق بهم ، وما نعى
بصدقه إلا الأحاديث التي يتكبرها من العدم ونسبها
عن الكذب

ولأرتورو سوت منسجم هادي دائماً ،
وتنظرات صريحة فيها ما يدرك بنظرات النساء ،
وليس فيه أهداب وطف ، وما واسعتان وتبان عن

قالت الكونتس :

— هل شاهدت الكنيسة الصغيرة المشيدة
على ذروة مونت سان فوستو ؟

فأجابها أرتورو أندولني بسرعة محيية قائلاً :
— أجل يا كونتس ، زرتها منذ ثلاث سنوات
غيرت ، وهي بديمة جداً ، وإلى لأذكر أن قدي
زلقت في منتصف الطريق أثناء صعودي فسقطت
إلى جانب الماء اللندقي هناك وأصيبت ركبتي برض
فاستدعيت الطبيب في اليوم التالي ، وإنه لطبيب
نطاسي لا نظيره ، وقد جالني بأسلوب غريب ..
وعند ذلك أنشأ أرتورو بفيض في الحديث ،
فروى سيرة الطبيب ، والوسائل التي يعمد إليها في
علاج الرضوض ، ثم خرج من ذلك إلى ذكر بعض
أزهار مدينة كان قد اقتطفها من سفح مونت
سان فوستو

وهكذا سقط موضوع الكنيسة الصغيرة من
الحديث ذى الشجون

وفي الواقع أن الكونتس عراها بعض العنوش
لما ذكر الماء اللندقي ، غير أنها ظنت أنه ربما كان
هناك ماء منهر منذ ثلاث سنوات ثم غير طريقه
فسلك مسرباً آخر . وعلى أية حال فقد كانت تمنى
إلى القصة الصغيرة وتبسم وعلى وجهها أمارات
الرضا

تباين الأولى وتخالفا ، وقد بيد بد شهر أو عام
أ كاذبه كما رواها لكل واحد دون أن يحرم منها
حرفا

وقد خيل إلى بادى ذي بدء أن الرجل يستعين
بذكره بدون فيها أعظم رهاقه وأكبر أ كاذبه
ويثبت فيها أيضا أسماء نحاياه ، غير أنى ما لبثت أن
أبست هذا الرأي . لأنه لو عمد إلى ما تحبته وتوهمته
لما وسعت خرافاته المجلدات مهما كثرت ، إذن
فالأمر الذى لا رقى إليه شك أنه يطبع كل كذبة
يرسلها على صفحات عقله ونهايك به من طبع
لا يحصى كرا الأحوام

وإذا اتفق وذكرته مثلا بألوان القصص الخرافية
التي حباني بها وحدي في غضون سني صداقتنا
الطويلة لما أعجزه أن يمد على مسمى رغم الأوامر
التي تصرمت أول أ كذوبة أعجفتي بها ..

ثم هو في غنى بعد عن أن يتذكر دائما كل
شيء بمخافيره فلو تصادف أن تمر في حديث له
فانه يبادر إلى إصلاح ما أفسد بمهارة لا يناد يصدقها
العقل ، وهكذا ينشل نفسه من نفسه ويخلف السامع
مشدوها فاعرا فاه

ولم تعرف زوجة ارتورو (ثم ان لارتورو
زوجة ... ألا يمكنك أن تصورها ؟ ...) إلما من
امراة مسكينة) من أمور بلها إلا ما يطيب له هو
أن يطلها عليه كأن يخبرها بقصة يحسوها بالافراق
في المبالغة ، أو يروي لها حكاية مضحكة أو أي شيء
آخر ، إلا الصدق ...

سافر ارتورو مرة إلى روما فلما آب اتفق أن
سأله زوجه عن رأى هناك فذكر أسماء عديدة
من جعلها اسم الكونت سيجارجي

ذكاء صاحبهما في الاختراع والتأليف ، وتظنران
إليك باقتاع لطيف يسلم من نفسك أي شك يقوم
وتكاد ابتسامته أن تكون مهمة غامضة إلا
أن التيب ظاهر فيها ، وراها فترى التوسل وطلب
المونة والتماس الموافقة

وبذلك الصوت ، وتلك النظرات ، وهذه
الابتسامات استمان ارتورو على الكذب كما استمان
أيضا بذلك الجمال البارع الرائع الذي أفرغته عليه
الطبيعة إفراغا

وقد دأب على الكذب نيفاً وثلاثين سنة بلا
وجل ولا فتور وكأنه مكلف بأداء واجب مقدس .
ويكذب في العظم من الأمور وفي الصغير منها ، إما
رغبة في الكذب كما سمعت من حديثه مع الكونتس ،
أو تظاهرا بالورع والتقوى ، أو إشباعا لرغبة سيئة ،
أو اضطلاعا بالزمام اجباى ، أو لجرد التقرير
والإيقاع بالتبر

ثم إن الطبيعة حبته نعمة تميته على ما هو بسيله
دوما ، وإنى أرى هذه النعمة من أزم الأشياء له ،
وهي ذاكرة هائلة عظيمة

وإن الذكرة الرواية التي يستخدمها الناس في
شؤون حياتهم لا يمدحا ارتورو شيئا ذا قيمة إن لم
تكن مميته له ومسمفة في ميدان الكذب

وبفضل هذه اللوحة النادرة جداً والثيرة
للحسد يفصل ارتورو المعجائب ويأتى بالدهش
للمستغرب

ومن أمثال ذلك أنه يلد له ويطلب في بعض
الأحيان أن يخبر أئاماً مختلفين بأ كاذب مختلفة
تدور جميعها على أمر واحد معين ، ثم هو يخترع
لكل فرد منهم تفصيلات يرويها للآخر على صورة

أن تنفهم تماماً مارواه أولاً وأخيراً لتبين عليك أن
تنفذ خلال ذلك التيه من التفصيلات والجزئيات
والحوادث ... وهذه خطة حسنة ومراد مرهم
فلا يسلك إلا الرضا بالتسليم ، وقد تبهم نفسك
بأنك لم تفهم أقواله جيداً كما ألقى الفنان في روعك
إذن هو ما أراد التوضيح والتفسير بل التمييز
والإرهاق ...

وقد يكذب لطبيع روحه الخيالية أو مزاجه
التقلب الغريب الأطوار

خرج ذات صباح للترويض غير أنه بدل أن
يمود مساء أو بعد موهن من الليل انقطع عن بيته
وأهله ثلاثة أيام سوياً

وليس في غياب ثلاثة أيام ضرر عظيم ، بل
وليس ثمة ما يمنع الثائب عن الاعتراف بالسبب
الذي غيبه عن بيته ، وأى إنسان يمكنه أن يعلن في
صراحة كيف قضى أيام غيبته ، إلا أن أدورو
ليس بالرجل العادي فلا تطلب منه ما تطلب من سواء
وأدورو أكبر وأعظم من أن يدع تلك
الفرصة تمر دون أن يطلق لخياله الغضب اللتان
ويصوغ سلسلة من الحوادث المعقدة وإن لم تقع قط
وارجل أدورو كذبة بارعة بدون أن يجهد
فكره فكان مثله في ذلك مثل الفنان القدير الذي
يخرج في زمن قصير أبداع الطرائف وأثنى القطع
الفنية التي لا يتأتى للفنانين الآخرين إخراج مثلها
إلا بعد عناء ومشقة تطول أعواماً

طلع على أهله بأنه اشتبك في مبارزة ، وعمل
غيابه الطويل بقوله إن تسوية المسائل المتصلة بالشرف
ليست من الأمور الهينة التي تتأجل بسرعة في سر
ويقضي فيها بدون روية واهتمام عظيم ... ثم لا بد

وفي مساء نفس اليوم ، وكنا على الطعام مع
آخرين اتفق أن قال في كلامه :

— وهل تملين أن سجارجي كان هناك أيضاً ؟
فقاطعته زوجته بقولها :

— ولكن أليس سجارجي في روما كما قلت ؟
فقال من فوره :

— هذا هو أخوه ، وأنت تعرفينه أيضاً

— لا يا عزيزي

— لا ، بل تعرفينه يا عزيزي

وجرت بعد ذلك مناقشة قصيرة جهدت
السيدة المسكينة خلالها أن تذكر سجارجي الآخر
الذي زعم بعلمها أنها تعرفه أيضاً ، ولم تطرح على
زوجها سؤالاً يحدد حيرتها ففاتها فرصة الاهتداء
إلى الحقيقة

وكننت من جملة الجالسين إلى اللائدة فسألت
نفسى بقول : ترى أى الرجلين موجود في هذه
الحياة الدنيا ، سجارجي روما أم سجارجي ميلان ؟
ولماذا اخترع أدورو وجود واحد في العاصمة وآخر
في مدينة ؟

إننا جميعاً نعلم علم اليقين أن ليس في العالم كله
سوى واحد يدعى كونت سجارجي ، ولكن أين
هو الآن ، أفي روما أم في ميلان ؟ .. وظل السر في
بطن الكذاب الأعظم

وإذا ضبط أدورو في أكذوبة أو أخرج فانه
لا يتردد برهة في سوق البراهين على أنك غلط ،
وأنت لم تفهمه كما يجب ، وربما يتواضع ويقول إنه
لم يوضح حديثه جيداً ولذلك ثبت الشك فيه
ولأجل أن يبر في وضوح وجلاء عما يقعده
يعد إلى تشييد قصة أخرى حول قصته فانا أردت

إلى شيء فقد صرحت مع اليهود على دورها ولم أزل
بالشرفين على تحريرها حتى استخلصت منهم وعدا
بالأبشرف شيء . أجل لن يقولوا كلمة واحدة ،
وستصدر الصحف غدا وليس في واحدة منها كلمة
عن البارزة . وأتوسل إليكم أنتم أيضا أن تصونوا
سري ، وإني ما بثنتكم إياه إلا لأن المرء الكريم
لا يضر شيئا دون أهله وناسه ... وأنصرح إليكم
ألا تستمروا سري على نحو ما !

فبادر السامعون إلى رفع أصابعهم إلى شفاههم
ووقفوا جامدين وكأنهم يتألمون . وجعل ارتورو
يتصفح وجوههم وجها وجها ثم ابتسم وأوى إلى
فراشه ... ياله من فتان !

ولم تشر صحف الصباح إلى البارزة ... وكان
ارتورو قد أسر باقتناع كل الصحف ، فلما جرى له
بها راح يقلب طرفه فيها باهتمام كبير ، وهذا وأهله
حواله وقد علقوا أنفاسهم من فرط التلق
ولا كلمة واحدة ...

لقد بر الصحفيون بوعدهم ...
وأجل ارتورو يصره فيها حوله وعلى فمه مثل
تلك الابتسامة التي أجلاها أمس ، وقد اقتربا
رأى التلق صرعا على وجوه ذوي

وقال بينه وبين نفسه : حبنا الأهل البررة ،
لقد ابتلوا جميعا الكذبة ، إلها من مزحة !
وليس ارتورو دائما بالرجل الفاضل المحب للنظام
إذ قد تصادفه حال يكشف فيها عن مثل برائن
الأسد ، وذلك حين لا يكون مازحا أو متهمكا في
حديث سدها الثرابة ولحنه التهويل ! ثم تواجهه
حاجة قد أوجبتها ضرورة ملحة من ضرورات
حياته اليومية

قبل البارزة من اختيار الميدان واختخاب السلاح
والمواقفة على الشروط

وقد بارد فجر منزله ...
ولكن ماذا يجري له هو ؟
لم يصب ولا بخدش خفيف ، أدبه وأدبه ،
وانظر إليه من كل ناحية ... لم يصب ولا بخدش
خفيف ...

وتم كل شيء على أحسن ما اشتغى ورام ، وقد
طن بسيفه ذراع غريمه طنة جبلته الآن طرح
الفراس ...

ويصبح أحد أقارب ثالا :
إلها من حادثة ! آجازه بمكانك ، ولكن لماذا ؟
وكان ارتورو لم يفكر بعد ذلك في اختلاق سبب
البارزة ، والرء لا يارز رغبة في أن يرى جسده
مشحنا بالجراح ... وكان القصاص الأعظم لم يقدر
أثناء الكلام هذا السؤال بل ولم يدخله في حسابه ،
وإن كان من المقول والمتنظر أن ياتي السؤال
وسمع ارتورو السؤال دون أن تهتز له شعرة ،
ولم يزد على أن ابتسم ابتسامة الحذر الأريب ، ثم
ألقى نظرة لطيفة متوسلة فأدركوا جميعا ما شاء
أن يدركوه

إن من أسباب البارزات أسبابا لا نفشى ...
إنه شرف امرأة .. أو إنه فضيحة امرأة (والشرف
والفضيحة كلمتان مترادفتان في بعض الأحوال)
وقال قريب آخر له ولع بالملق :

— سنشرب أنباء الفضيحة إذ سنشرب
الصحف كل المسألة من أنلها إلى إلها ...
فقاطعه ارتورو بقوله :
— أنت تهنى ، سترى أن الصحف لن تشير

وتمر ثلاثة أيام ويقول أرتورو لزوجته :

— إن روستي رجل غريب الأطوار ، فالبته اليوم فاقطع من وقتي ساعة أفتأها في الحديث عن الصور !

وتتلقى ثمانية أيام لا يحرك الرجل فيها لسانه باسم صاحبه ، ثم يقول :

— آه تذكرت ! أقول على ذكر ذلك : إن روستي يعتقد أني أفهم أصول الرسم الحديث ، وأكبر ظني أن حوارنا أخيراً جله يرى هذا الأثر في ، ثم هو يزعم أن نصائحى سوف تنفعه فمما عطفها ويعر أسبوعان في صمت

ثم يقول الفنان لزوجته :

— آه تذكرت ما أنسيت أن أطلبك عليه، إن روستي مسافر إلى باريس

ويعسك أرتورو عن ذكر صاحبه أسبوعاً وبعثى ذات مساء إلى دار لانتشيل بصحبة امرأته ، ولجأة يحكي إنساناً غير منظور قسأه لزوجته بقولها :

— من هذا الذى تحببه ؟

فيرد عليها بقوله :

— إنه روستي ، أتودين أن أقدمه إليك ، سامضى إليه وأحضره ؟ فتجيب السيدة قائلة :

— كلا

فيتهم أرتورو ، وكان يتوقع ما أجابت به ، ثم يقول :

— عرض روستي على اقتراحا سخيفاً : إنه يبتنى أن أرافقه إلى باريس ليستأنس برأى عند شراء الصور

ويطول الصمت ثلاثة أيام ثم يشكلم الفنان عن صاحبه فيقول :

وإنك لتراه إذا ركب ذلك المركب متاهباً في صبر وجلادة لتنفيذ أية مكيدة وتدبير أية خطة ، ويفعل ذلك قبل وقوع الأمر بأشهر

وقد يلقن في حديثه كلمة اليوم ، ويدس أخرى غداً ، وثالثة بعد أسبوعين ، وهذا شأنه إذا ما أراد أن « يخلق الجو » على حد تسميره ، حتى إذا ما بصر بالثمرة وقد أبيضت وحن طافها لا يكلف نفسه أكثر من أن يمز الفرع هزة خفيفة فهوى الثمرة بين قدميه كيف يستطيع أن يشخص إلى باريس ليشهد افتتاح « الصالون » الحديث دون أن تصطحبه زوجته النيور ؟

إن سافرت معه فستمنه ولاريب من التلواف طويلا في مدينة تصل المابد وتفن الزاهد

ولكنه سافر

وسافر بمفرده

وكيف ؟

بفضل العمل في هدوء وصبر قرابة ستة أشهر ، العمل في اخلاق قصة من قصصه للآلوفة

وإني إذا حاولت أن أسرد ما حاكه ودبره في غضون نصف عام لما اتسع المقام ، ولعلك أراين في حل من أن أذكر الخلاصة كما يذكرونها في برامج دور السينما

يعترف أورتو إلى السنيور كارلو روستي ويقول لوجه ذات يوم إنه تعرف أخيراً إلى السنيور كارلو روستي أحد تجار الصور ، ثم يعسك عن ذكر اسم صاحبه الجديد خمسة أيام

ثم يقول :

— آه ، هل تملين أني التقيت بروستي صباح

اليوم ؟

أذنيه ، أتريدن أن أجعل من نفسى أخوة بالكت هنا على حين أن الجميع ينتظرون رؤية الصور التى سأنصح روستى بشرائها ؟ وبعد فليحت باريس فى طرف الأرض الآخر ... النساء ؟ لم أفهم ربك وضحي ما ترمعن إليه .. إن النساء أشباه فى كل مكان. ألا توجد نساء هنا أيضاً ؟ وبلى على روستى لقد

مكر بى واحتال على إلا أنها آخر حيلة أيضاً وتأذن المرأة لبيلها بالسفر فيستقل القطار بمفرده وأين روستى ؟

تقدم بيوم ليلقى النظرة الأولى السريعة على صور « الصالون » ...

وسافر أرتورو إلى باريس حيث مكث شهراً ، وأود أن تستقد أنه لم يكن فى باريس بمفرده ... كما رأيته فى القطار ...

وأرتورو وإن كان قد دبر الخرافة المضحكة بحقق ومهارة إلا أنها انتهت بتأساة ...

أسرف الفنان فى القوموع أنه لم يفقه أن يكتب إلى زوجته صراخاً ويذكر لها ما ابتاعه صاحبه من صور والنصائح القيمة التى أسداها ، إلا أن الزوجة المسكينة ساورها القلق واتابها المواجس والمخاوف وإذا ما خلا المرء بنفسه قد يرانيه الانسجام فى التفكير بل وقد يصل إلى السداد فى الرأى فيقع على الحقيقة

ولما عاد أرتورو من رحلته راحه من زوجته أنها جابته بقولها :

— أشتهى أن أتعرف إلى روستى العظيم . فيتأملها ثم يقول :

— ولكنك رفضت أن أقدمه إليك فى اللهى —
— نعم غير أنى راقية الآن فى التعرف إليه

— لا أكتفك أنى برمتى روستى وضقت به ذرعاً ، لم يمد يشفه سوى الافضاء إلى كل من يقابله بأن مسافر معه إلى باريس لأطونه فى اختيار الصور ، وزعم أنى نقاد وأن لى ثقافة فنية تمت على الحسد. وغير أسبوع ولا حديث من روستى ثم يقول ارتورو لزوجته :

— آه يا عزيزتى ، حقا انى لم أعد أطيق أن احتمل فوق ما احتملت . إن الجميع يتحدثون عن باريس . وعن مرضها ، وعن روستى ، وعن سفرى معه ، يجب أن أعترف لك يا عزيزتى بأنى قد أرى بالبله إن مكثت هنا . من الواجب على أن أسافر ولكن انظرى ما انتهيت إليه بهذا ذاك الحار ، أسبوعان ؟ ! لماذا ؟ يكفى أسبوع واحد ، أو أربعة أيام فقط ، بل انى أراها كثيرة . سأسافر لأكتفى نفسى مؤونة فضول الناس ولأنتهى مقالة من قد يقول عنى إنى أسرف فى الحديث وأخطئ فيه خطئ عشواء

ثم لا يذكر صاحبه ولا يذكر باريس أربابا وعشرين ساعة

ثم يضرب الضربة الفاصلة

لقد انتهى من « خلق الجو »

يقول لاسرأته :

— نعم ، أشهد أنى أكثر الناس سخطا على تلك السألة ، ولكن من كان يتصور يا عزيزتى ان أقول ذاك التاجر سترغمنى يوماً على ركوب البحر إلى باريس ؟ هدلى من غضبك أيتها الزوجة الصغيرة !

سأذهب ثم أعود من فورى ، آه ، لو قدمنى ، فى المستقبل صاحب إلى تاجر صور ولكنه فوق

وكان اردورودرفي في عهد الفرس والتحصيل
وسلم أني أضعه جيداً وذلك اختصني بأسراره
وذكر في لهجة تقطر سخرية القصة بأكلها
ثم ختمها بقوله :

— وكان الخطر عظيماً ، وكيف أقدم إلي زوجتي
صديقاً ما ضل إلا في غيبي . لا أنكر أني أشرت
إليه في اللهي ذات مساء فبر أني كنت أحبي الهواء ،
ولا أنكر أيضاً أني عرضت على زوجتي أن أقدمه
إليها ولو أنها قبلت لفدت حول القاعد دورة ثم
رجعت إليها أقول إنه غادر دار التمثيل في نفس
الوقت الذي رأيته فيه . وما وحر الموقف وصعبه
ما وضعته زوجتي من عقبات في طريقي ، وكانت
لا تقتر عن ذكر روستي ، وتساألني عنه دائماً حتى
لغشيت من فرط إلحاحها أن يتنهي بي الأمر إلى
أن أعتقد أنه موجود حقاً في هذه الدنيا . ولما رأيت
للضرورة قضي بأن أشع للأمر حداً قتلته ،
وها أنت خاتراتي قادمة من مقبرة بمد أن واريته التراب
ثم أخرج من أحد جيوبه ورقة ذات حواش
سود وقال :

— وهذا نبأ نسيه ، وقد وصل إلى بالويد
أمس ، ولا أكتفك أنه سقط على سقوف الصاغة ؛
وقد أثر الصاب في زوجتي أيضاً فهي حزينة واجمة .
ولما رأته نوعي على صاحبي في اليومين الماضيين
جملت تمطف على وتواسيني وتنمرني بشفتيها .
سألتك بالله أن تحبها عن روستي الممكنين إذا
ما زرتها لأنه لا حديث لنا اليوم في منزلنا إلا عنه ...
فضحككت وقلت :

— أنت مهرج كبير

فقال بلهجة الماتية :

— لاشك أن صديقي سهر ويطرب ، ياه
من صديق عزيز ، إنه رجل ذكي مهذب ، وهو
ذو حرص وبصيرة وستشاهدين منه ما يسرك
ومع أنه لفظ أقواله هذه وعلى شفثيه ابتسامته
المادة المألوفة ، غير أنه كان بعيداً عن المهدوء
والاستقرار . إنه ما واجه قط مثل هذا الخطر الدائم
الرعب . لقد أصبح زاماً عليه أن يفرد يوماً يدبر
فيه الخلل الذي ينقذه من ورطته
وقد أجاد التدبير وأقنعه بصبره المعروف عنه
والذي دونه صبر القطط

وبعد مرور أيام قلائل على ذلك الحديث مرض
روستي ، وانقضى بعض الوقت ولم لا يعرفون
ما دهاه ، وذهب الأطباء في مرضه فرقا ، وأخيراً
استفحل الباء فممن نفسه وكشف عن سره . إنها
الزائدة السوداء ، المرض الرقيق السامى ، وخشى
الأطباء التهاب البريتون . وارتحنته لك ياروستي !
أهكذا تسمى حليف الأوجاع والأسقام وأنت في
ميمة الصبا وشرح الشباب ، وأنت الصديق الودي
للفاضل ؟ من كان يصدق ذلك أثناء المرض في
باريس ؟ كان روستي شفاء الله يناقش إخوانه في
الفنون ، ويعمل سحابة يومه مهمة وحساس ...

وبينا أنا أأم بالخروج ذات صباح إذ دخل على
اردورودوروني في لباس الحداد فصحت إذ بصرت به :

— آه ، من أين قدمت ؟

فأجابني بقوله :

— من جنازة روستي المسكين ، لقد توفي

أول من أمس ...

— من ؟

— روستي كاجير الصور

يتك يوماً عن الكنيسة الصغيرة المشيدة فوق مونت سان فوستو؟ حسن، نصحت الكونتس السيد الإنجليزي بأن يزورني لأزوده ببعض المعلومات عن الكنيسة وعن أقصر طريق للوصول إليها وأمسك عن الحديث برهة، ثم انفجر ضاحكاً وقال:

— لو استطاع ذلك السيد الإنجليزي الاهتداء إلى طريقه فوق التل بفضل إرشاداتي لمدته عبقرياً في فن تخطيط الأرض وخرج وأنا أسمع رنين نعلتيه يندى في البهو، كان فرحاً مسروراً!

لقد خدع زوجته وسيدخدم السيد الإنجليزي كما خدع الكونتس، ولله خدعي أنا أيضاً بتلك القصة الصغيرة عن الكونتس والسيد الإنجليزي إن أحداً لن يعرف الحقيقة أبداً...
محمد مني

اقرأ:

توفيق الحكيم

في كتبه الثلاثة الجديدة:

هجر الشيطان

ثمن النسخة ٨ قروش

نحت شمس الفكر

ثمن النسخة ١٠ قروش

لمسح حياة مصر

ثمن النسخة ١٥ قرشا

تطلب من جميع المكتبات الفهية

— يجب ألا تضحك

ثم جلس وأشعل سيجارة واسترجع يقول:
— نعم يجب ألا تضحك، إن موت روستي السكين خسارة فادحة منيت بها، ولقد كنت أؤخره لرحلات أخرى هامة قد تترى إلى الهند. والآن وقد فقدته فاني لأدري كيف أشخص إلى الهند مثلاً

— متى أزمعت السفر إلى الهند فاعليك سوى أن تختار شخصية مهراجا فقال في جمة ورزاة:

— رأي صائب. إنني أري فيك بعض الحصافة ولكن أمدك بأنني سوف أضع المهراجا في بلاده بعد انتهاء السياحة إذ ليس من الوفاء للأصدقاء أن أقتل كل من يطوف معي

ثم وقف وقال بعد أن استأذن في الانصراف:
— يجب أن أذهب لأتناول الشداء ولأبدل ثيابي هذه بأخرى. لا تنس أن تذكر زوجي ولو كلمة واحدة عن روستي السكين، وسأكون ممتناً لك جداً... إلى اللقاء، ليس لدى من الوقت إلا ما يكفي لتناول وجبة الظهر وتغيير الثياب إذ سيزورني سيد الإنجليزي في الساعة الثالثة...

فقاطعته بقول:

— لا فائدة من اختراع الأكاذيب أمأي، إنني لا أصدقك

— لا، لا، أقسم أنني منتظر في الساعة الثالثة قدوم ذاك الإنجليزي

وتكلم في لهجة المحتج الصادق ثم قال:

— والكونتس فيورا هي التي نصحت السيد الإنجليزي بأن يزورني. ألا تذكر أننا تحدثنا في

فرجان - بل كنت بواجب نحوها هي
لأنني وقتها السقوط وحفظها من التدهور
في زمن كانت فيه على شفير الهاوية لاضطراب
أعصابها، والحق يقال أنني مرتاح إلى ما فعلت
ولست بنادم على ما أبدت من حزم وشدة .
لقد أعادت العزلة السكنية إلى زوجتي، ومنذ
أصبحت أما تغيرت أطوارها وأدركت معنى الحياة

فهي راضية بما قسم لها

فالانتون - وهل يبقى من خلاف في زواج
صرت عليه عشرون سنة ؟ إن الحرم يلي السكنية
على كل شيء

فرجان - ولكن المصاعب لا تزول من الزواج
حتى بعد مضي خمسين سنة ، فانا اليوم تجاه مشكل
جديد يجب على أن أستعمل الشدة في حله

فالانتون - سمود إذن إلى اللساعة القديمة
فرجان - لا بد من ذلك فان السالة تملق

بتعليم ولدتا ريفيه وامرأتى تقاومنى

فالانتون - إذا كان لا بد لكما من المراك
فأرجو إرجاء اللواقع إلى نهاية الصيف أى إلى أن
أذهب مع زوجتي من بيتكم

فرجان - ليت هذا الأرجاء ممكنا ، فان اليوم
مبدا دخول التلاميذ إلى المدرسة ، وقد قررت
إدخال ريتا إلى مدرسة تبعد خمسة عشر ميلا من
هنا وأوجبت أن يكون هذا المساء بين أقرانه فيها .
وبما أنني أعرف طباع إرين فقد أرادت توفير الحلق
عليها مقدما ، لذلك سترى نفسها أمام أسواق هذا
المساء .

فالانتون - أنت إذا ترغها إرغاما ولم تسألها
رأبها

الأغلايك

للكاتبة الفرنسية " بول هينريو"
بقلم الأستاذ فليشكس فارس

الفصل الثالث

(ينكشف الستار من فاعة في قصر من قصور ضاحية
باريس ، للقاعة بابان ومخرج يؤدي إلى حديقة)

المشهر المأول

فرجان . وفالانتون

(فرجان منهمك في ترتيب الكتب على رفوف كبيرة ،
فيدخل فالانتون ويديه شبكة صيد)

فالانتون - أعمئك شاغل عن مرافقتي إلى الصيد؟
فرجان - ألا ترى يا صديقي ، أنني لا أتكف
عن العمل كأنني سيدة بيت . لقد مضت عشر
سنوات على انتقالنا إلى هذا القصر ولم أتمكن من
جعل إرين تهتم بأى عمل

فالانتون - وهل هي جاءت عن طيبة خاطر
إلى هذا القصر لنطالها بالاهتمام بترتيبه ؟

فرجان - وهل يبقى الإنسان عشر سنوات
مكرها ؟

فالانتون - (وهو يلهو بترتيب شبابه) إذا
أكرهت المرأة مرة فلن ترضى أبدا

فرجان - ليس في حياة زوجتي ما يبرر سوء
الظن بها ولعل هذا الاحمال طيبة فيها ، لست أشكو
منها . وقد اتفقتي المهد الذي اضطرت فيه إلى
سوقها بيد من حديد

فالانتون - وهكذا كنت بواجبك نحو نفسك
على ما تستقد

فرجان - ولماذا أظلمها على أصر أنا واثق من
ونفسها له ، فإذا ما ساحت هذا الماء أكون وفرت
عليها صباح شهر

فالاتون - (يستعد للغروج يشكته) إن
المصافرة على وشك المحبوب . فماذا ذاهب
فرجان - أي نوع من الأسماك تضطاد ؟
فالاتون - كل نوع أتمكن من اصطاده
فرجان - ولكن ماهي الأسماك التي تقع
في شبائك ؟

فالاتون - لا يقع فيها شيء
فرجان - أنت تجهل صنمك يا عزيزي
فالاتون - لا بل هي الأسماك تجهل صنمها ،
فهي ككل شيء في هذه البلاد تتلعى بالتفكير
مستغرقة في أحزانها فلا تدنو من الشباك
(يقول هذا ويخرج)

المشهد الثاني

فرجان . ثم إرين وبولين
(تدخل الرأتان من باب الخديفة وعلى وجه إرين
دلائل الحرمان وقد لب برأسها القريب ، وبولين تحمل طائفة
من الأزهار)

بولين - لقد أنهكتنا التعب
فرجان - إلى أين اتجهتا بهذه الزهرة ؟

بولين - ذهبتا إلى الحرج ومنته إلى اللرج
ثم أردنا الخروج من السليج للدخول إلى المزرعة
فرجان - (متنبهاً) ولكن السليج يمنع المرور
بولين - لقد كان السليج غروباً فوألجناه ،
وكانت هناك امرأة تنسل على شاطئه وهي التي
خرفت السليج

فرجان - إنها لواقحة (إلى إرين) ولماذا قلت
لهذه المرأة ؟

إرين - سألتها عن صحة ابنها
فرجان - وبعد ؟

إرين - أعطيتها دراهم لتشتري أدوية له
فرجان - (ياخذ قبعة ويجه إلى الباب) أما أنا
فسأعلمها كيف تخرق السليج مرة أخرى
بولين - ويلا! ما خطر لي أن المسألة ستتهدى
على هذه الصورة . بالله يا فرجان لا ترعب هذه المرأة
المسكينة

فرجان - ولماذا أجازت لنفسها خرق سياجي
ودخول أملاكي ؟

بولين - أفأ تصيبك اللطافة بمحقوقك دائماً
يا فرجان ؟

فرجان - لو كان كل الناس على شاكتي
يعرفون ما لهم ويدافعون عن حقوقهم لكنت الدنيا
على غير ما هي عليه الآن (يخرج)

المشهد الثالث

إرين . بولين

ولين - كان يجب عليك أن تردى زوجك
عما يقصد

إرين - إنه يفعل ما يريد وليس لي أن أقف
في وجهه .

بولين - أنت الآن كما كنت من قبل ، تمر
الأيام ملقبة بنبارها على لك ، وقلبك ذك القلب
للقديم لا يتحول عن موافقه

إرين - ولني يتحول
بولين - يتجمل لي أن الواسف قد سكنت
بينك وبين زوجك

إرين - لم يعد ما يوجب التضال بيننا إلا أصر
واحد أحاذر وقومه

بولين - وما هو هذا الأمر يا ترى ؟

إيرين - مسألة تعليم رينه

بولين - أظنه يستغرب مزيج انعطافك على

ولذلك يا إيرين

إيرين - إنني أكاد أعيده . لقد نصبت بحوق

من أجل حياته ، ولولاه لما كنت أدرج على القبراء

بل كنت مدرجة تحت أطباقيها . إنني من أجل هذا

الطفل أعيش وهو وحده يربطني بهذه الدنيا ، فليس

لي في الحياة إلا حياة الوامية ونفسي الصغيرة للفكرة

التي أحسبها مركبة من أنبي وأوجاعي فأنا لا أطيع

الابتعاد عن رينه . وكيف أسلم تذكاري ونصيتي

ودموعي لأيدي الملحن ، لأيدي الثرياء ؟

بولين - وهل فأنحك فرجان بالأمر ؟

إيرين - لقد تحدثت إلي بشأن تعليم ابنه مراراً ،

وإذ شعر بما يحتاج ضميري فهم أن حياتي مملقة

بشعر الولد الصغير ، وقد مضى زمن دخول الكتلانة

إلى المدارس هذه السنة ولم يرجع إلى حديثه وإذا

هو عاد إلى نتمته لأفقي في وجهه وقفة اللبوة تدافع

من شبلها

بولين - مسكينة أنت يا إيرين ! أنت لا تحين

إلا بحياة ابنك ، وقد قضى عليك ألا تكوني لنفسك

ومع هذا فأنك ما كنت لتصلين إلى حالة أسعد من

حالك اليوم لو أنك أتيت السبيل الذي استهوئك

عجته من قبل

إيرين - من يدرى ؟

بولين - لا ، يا إيرين ، لو أن حظك تابع

إرادتك لكنت اليوم رازحة تحت وقر أشجانك ،

قد وقر القضاء عليك أعظم ما يقع على قلب رقيق

كقلبك

إيرين - لا أفهم ما تعنين

بولين - ويلاه ، ما كان أغثناني عن إعادة هذه

القد كرى إليك !

إيرين - تكلمي يا بولين

بولين - قولي لي الآن ، أفا كنت مصممة على

الافتراق بميشال فافرنيه

إيرين - (تضح بوجهها) لقد أكون

فكرت في هذا

بولين - أفا كنت أصبت بأشد الضربات لو

تم لك ما أردت

إيرين - كان علي أن أطلب هذه السادة

وأحصل عليها ، وما كان سيقع بعد ذلك فليس

من شأني

بولين - لا ، يا إيرين ، لو كنت اقرنت بميشال

لكنت اليوم على أسوأ حال . أقرين من السهل على

المرأة أن ترتفع مع رجل إلى ذروة السعادة ثم تسقط

منها بقشة وهو ميت بين ذراعها ؟

إيرين - لو أنني تزوجت به لما مات ... لكنت

شفيته بقبالات غرامي ، ورددت عنه سهام الموت .

لكنت منمت عنه الباء برد الشقاء عنه في حياته .

النفرة المؤلمة . لكنت وقيته كل إفراط بما أعلم

(وتغنى صوتها كأنها تهمس همساً) وما لست أعلم

بولين - كان ميشال مصدوراً وابن مصدود

إيرين - اسكني

بولين - مالك ، يا إيرين ؟

إيرين - (تنادى عسا بصوتها) لاشيء يا بولين

إنها فكرة للوث المروع ... ويلاه من التذكار لماذا

تعيدني إلى ؟

إرين - لماذا ؟

فرجان - لأن الولد قد بلغ الماشرة من عمره ،
وحين يبلغ الولد هذه السن ترتفع عنه سلطة الأم .
لقد أقيمت دينته تحت سلطتك حتى اليوم لأن الأطفال
يحتاجون إلى الحنان ، أما وقد خرج دينه من طور
الطفولة فهو بحاجة إلى غير الاشفاق والتدليل
إرين - إذا كنت ترى تربيتي غير واقية له
الآن فاستقدم له مملكا يعطيه الدروس في البيت

فرجان - ليس الولد يحتاجا إلى العلم فقط
لنستقدم له مملكا يعطيه الدروس في البيت ، فهو
بحاجة أيضا إلى تقوية نفسه والاعتماد عليها ، هو
بحاجة إلى المناظرة والاجتهاد والطاعة ، وكل هذه
أمور لا يعلمها الولد إلا في المدرسة

إرين - ويلاه ! لقد عدنا إلى معالجة أمر
لا أطيق ذكره . ألم أقل لك يا فرجان إنك نجيت على
حياة دينته إذا أنت حرمته حنوي

فرجان - دعي هذه الأوهام يا إرين فإن حبك
لدينه سيكون علة شقاؤه ، فأنت أضعف من أن
تتولى تقويته وتهذيبه

إرين - وأنت تريد أن تبتاع له قساوة الثرياء
ويلاه ! أطلب للقساوة لهذا الطفل الصغير الذي
يهدده الفناء حتى تحت جناحي ، هذا الطفل الذي
لا ينال إلا مرهقا وأسمع سمائه المنقطع في الليل
وأجفف يدي عرقه البارد ...

فرجان - تبالئين في تدليل ابنك يا إرين
فتجلبطينه مرصفاً ولن يشقى إلا حين يمشي كباقي
أبناء الناس

إرين - إن ابني لن يبارحني
فرجان - إن ابني سيكون مثلي فليس هو

المشهد الرابع

(إرين ، بولين ، دينه)

(دينه ابن عمر سنوات ، يدخل بلهفة وينطرح على أمه)
دينه - أمي ... أمي ...

إرين - (فاحمة ذراعها لابنها) دينه .. يا حيايتي ..
يا ملاكي الصغير تمال أقبلك (تبهله) دعني أنظر
إلى دلائل الصحة على وجهك فقد صرت قويا
وصرت شيطانا

دينه - وعدني أبي أن يأخذني معه إلى النزهة
إرين - لا أسمع لك بالغروج مع أي كان بدوني
دينه - أواه ...

إرين - ماذا فعلت يا دينه حتى بليت أبوابك
عرقا وقد كنت تكتب مع مملتك ؟

المشهد الخامس

(إرين ، بولين ، دينه ، فرجان)

(يدخل فرجان فيسمع البشارة الأخيرة)

فرجان - هذا يدل على تمرد السيو دينه فإن
مملته لا تقدر على ضبطه

إرين - يجب أن تغير كل أبوابك

فرجان - (يهز كضيقه) ما شاء الله

بولين - (تأخذ دينه بيده وتودعه) تمال مي
فسوف أوبخك توبيخ اللمة فلا أعصحك ولا أبكيك .
(تخرج بولين مع دينه)

المشهد السادس

(إرين ، فرجان)

فرجان - (وهو يتردد) على أن أحدث إليك
بشأن تعليم دينه

إرين - وما يدعوك إلى ذلك اليوم ؟

فرجان - لأن الأمر لا يحتمل التأخير

فرجان - إيه ، ماذا تقولين ؟
 إرين - جينا نحاول تنفيذ أمرك ، فاني
 سأقومك إلى النهاية
 فرجان - إذا لم يبق سوى العمل ، تفضل
 بإعداد أبواب رينه
 إرين - ولماذا ؟
 فرجان - لأنني سأذهب به إلى المدرسة
 إرين - آهجر ؟
 فرجان - سيكون الولد بعد ساعة واحدة
 حيث أريد أن يكون
 إرين - ولن يكون هذا ، لأنني سأحبي ولدي
 ولن أدعه يموت حتى أموت قبله
 فرجان - لقد عادت إليك أعراض مرضك
 القديم ، ولكنني سأستعمل سلطة الأب لأشفيك
 كما استعملت سلطة الزوج فيما مضى
 إرين - خير لك ألا تذكرني بما فعلت ... لقد
 كان انتصاراً باهراً ... وهذا الانتصار جدير بإعجابك
 لقد أحنيت رأسي ولكن قلبي لم يزل متمرداً ، ومنذ
 أحنيت جبيني أمامك وفرت على نفسي أن أنظر
 إليك وجهاً لوجه . أما الآن فماذا أفعل أرفع الرأس
 لأنظر إليك ؟ ليست الزوجة من تتمرد اليوم ، إن
 الأم هي المتمردة وما يقف بوجه الأم إلا قوة من
 السماء ... !
 فرجان - أنت مقترعة بحقوق الأمومة بإسديني
 إرين - لست أعلم بحقوق الأم من الأمهات
 يا سيدي ، إننا نعلم هذه الحقوق علماً أوفى وأصدق
 من علم أي مشرع أنك . لأن الله يكتب هذه الحقوق
 يوماً فيوماً مع نعو الجنين في أحشائنا

خيراً مئى . وأنا عندما بلغت سنه كنت دخلت
 المدرسة منذ سنتين . وسوف يأتي رينه إلى البيت
 يوم الأحد من كل أسبوع ولك أن تذهبي لمشاهدته
 على قدر ما تسمح قوة خيولنا
 إرين - أكرر لك القول إن رينه مريض ،
 وجباه رهن طريقة ميشته . أنا أعلم هذا وقد أثبت
 الأطباء ظنوني وغاوفي
 فرجان - ومن هم هؤلاء الأطباء ؟
 إرين - كل الأطباء الذين تسنى إستشارتهم
 فرجان - وقد استشرت الأطباء دون علمي
 إرين - نعم
 فرجان - ما أشد جنوني ، وما قال لك هؤلاء
 المدحلون عن صحة الولد ؟
 إرين - (باضطراب) قالوا إنه ...
 فرجان - ماذا ؟
 إرين - قالوا إن لمحتني وحدها أن تقيبه
 الموت ، فلي أن أداريه وأنظم ميشته بكل دقة
 فرجان - ما معنى هذا ؟ إن لكل مرض اسماً
 فما هو اسم مرض رينه يا ترى ؟
 إرين - أواه ، لك تصديقي ، دعني ، أفأترى
 نوعي واضطرابي ؟
 فرجان - أراك تخضعين اعتقاداً لأعصابك
 كما أخطمت لها حياتك ، ولكم وصفت للأطباء
 من حالة ابنك ما شامت لك الأوهام ، فقالوا لك
 ماتريدن أنت لا ما يقرر العلم . إنني والحمد لله ذميمة
 كالجديد ولست أنت مريضة ليحي . ولما مسلولاً ...
 وسوف تري كيف تتحسن صحته بعد أن يقضى
 السنة في المدرسة
 إرين - إنه لن يقضى فيها يوماً واحداً

إرين - وهل أجمل ما تهتف به أحشائي ؟

فرجان - إنك تكذبين ... إنك تلجئين إلى

آخر وسيلة يبتدعها حنانك . قولي ... اعترفي ...
تكلمي ...

إرين - إذا كنت تطلب ما يقنصك فأليك
البرهان ، وليكن ما تريد . تذكر الآن . تذكر
أنني أوصدت بابي في وجهك منذ عشر سنوات حين
كنت حاكى وجلادى وما عدت إليك بعدها إلا
مرغمة على أحباتك ؟ فافهم الآن

فرجان - ماذا ... ؟

إرين - لو كنت ممن يفكرون لأدركت أن

المرأة لا يملكها إلا من يملك قلبها

فرجان - (وهو يرتش) ويلاه ... لقد فهمت

إرين - لقد احتفظت بسرى في ذلك الزمان

واحتملك لأخذ حياة ولدى ، ولأجل إقاده اليوم

أيضاً أرفع النقاب وأدفع بك إلى الوداد

فرجان - (يهجم عليها وهو يمين فيضاً) يا لشقية

الجانية !

إرين - (تهرع إلى الجرس) إذا أنت مددت

يدك ، دعوت خدامك

فرجان - ويلاه ... أبعد الخيانة فضيحة وبعد

المار شتار ؟

إرين - تلك هي نتيجة مبادئك الفاسدة

وقوانينك المضحكة ، لقد جررتني قسراً إلى الكذب

ثم إلى السقوط ، أنت هو المذنب وأنا لا أغتر لك

جنايتك

فرجان - من كان هذا الرجل ؟

إرين - لقد يكون ممن تعرفهم

فرجان - قولي ، اعترفي ، من هو هذا الرجل ؟

فرجان - أنا صاحب الحق وسوف أفتح بحق

باسم القانون

إرين - ويلاه من هذه الكلمة المروعة ، لقد

حطمت حياتي باسم القانون ، وباسم القانون أيضاً تريد

قتل طفلي بين يدي . ما أنت الآن أمامي إلا ما كنت

منذ عشر سنين جلاد الانسانية وأقاتلها باسم العدالة

المضللة ، فأنت تسأل الحق بيدك لقتل الانسانية

وهيئة باردة كالتلج وقلبك متصلب كالصخر

فرجان - قولي ما تشائين إنني حر في التصرف

بولدى كما أشاء

إرين - أفليس بوسى أن أقول لك كلمة تردعك

عن منازعتي ولدى ؟

فرجان - إن الولد لأبيه . هكذا ينص القانون

إرين - لقد كذب القانون

فرجان - بل أنت تكذبين

إرين - لا ... لا ... لست كاذبة

فرجان - إذعبي وأعدى حوائج ربه

إرين - اسمع ، توقف

فرجان - (وهو يتجه نحو الباب) أنا ذاهب

لأعد العربة ، سوف نافر الآن

إرين - (حائلة بينه وبين الباب) أشهد أمام الله

أن هذا الولد هو لى وحلى

فرجان - (يدهم يده) هو لى أولاً لأننى أبوه

إرين - (تصرخ بصوت حائل) لا ، أنت لست

أباه ... !

فرجان - (يدير وجهه بينة) ماذا ؟ هل طرأ

عليك جنون ؟

إرين - لا بل أنا عمرة نقاب القوي والخداع

فرجان - ماذا قلت ؟ ألتبرين ما تقولين ؟

فرجان - وكيف ذلك أيها المرأة؟
 إرين - لن يذهب بك اللوم إلى الانتقام من
 طفل ضعيف
 فرجان - مالى ولضعفه
 إرين - ما أقدمت على الاعتراف إلا لأننى
 أعتقد بأن ليس على وجه الأرض رجل يدهى الفدىن
 ويقتال الأطفال مهما تمسك بالشرية وتمزق بالقوانين
 فرجان - وإنا أنا جعلت الشرائع والقوانين
 الآن ...

المشهد السابع

(فرجان ، إرين ، رينه)

إرين - رينه يا لله
 رينه - (يجه راكتنا نحو فرجان) أنا نذهب
 إلى التنزه يا أبى ؟
 فرجان - اسكت
 إرين - (تجنب ولما إليها) اسكت ...
 اسكت ...

فرجان - أخرجه لتتم حديثنا
 إرين - (إلى رينه) اذهب وانتظرى عند خالتك
 رينه - لماذا يبكى أبى ، وهو لا يبكى أبداً ؟
 إرين - اذهب يا ولدى ... اذهب
 رينه - لماذا لا تبكين الآن ، وأنت تبكين دائماً ؟
 إرين - أواه يا عزيزى ، لقد فقت دموعى
 (يخرج رينه)

المشهد الثامن

(إرين ، فرجان)

فرجان - لقد أصبح هذا الولد لك وحده
 الآن ، فاقبلى به ما تريدن ، لقد قلت حقاً ... إننى
 لن أستطيع تصديقه ، وأكاد لا أجد القوة الكافية

إرين - أبداً ...
 فرجان - وهل جاء إلى هنا ؟
 إرين - إلى مكان قريب من هنا
 فرجان - لا أنهم كيف توصلت إلى الاجتماع ؟
 إرين - ولا أنا أنهم أيضاً
 فرجان - وهل تكرر اجتماعك به ؟
 إرين - ما يهيك هذا ؟
 فرجان - أفلا يزال يجتمع بك
 إرين - (يحاول إخفاء حزنها) لا ، فانه ذهب منذ
 زمان طويل إلى سفر بعيد ... ولن يعود
 فرجان - أفلا ترين من الجناية أن يحصل ابن
 غيرى اسمى أنا وأن أكون مكرهاً على النظر إليه
 كأنه ولدى
 إرين - هذا ما ورد فى الشريعة التى مكتبتك
 من البقاء زوجاً لى بالرغم منى وبالرغم من الأرض
 والسماء .
 فرجان - ما كنت لأرتكب بمفاهك أيها
 المرأة ، عرفت أنك عدوة لى ولكن (تخفف زفراته)
 ولكننى ما عرفت أنك امرأة سافطة لا شرف لها
 إرين - لكل سلاحه يا سيدى . لقد حاربنى
 بكل قوتك غاربتك بكل ضعفى ...
 فرجان - لقد كنت أفاع من حق العرمع
 إرين - ولكنك نسيت أن العليمة حقوقاً
 أقوى من حقوقك

فرجان - (وقد ظهر اللوم على وجهه) لقد
 دفعتك القبط إلى الافرار ، فماذا عرر من كل
 واجب نحو ابنتك ، غير أننى لم أزل صاحب الحق
 والسلطان عليه فليسوف أستعمل قوتي
 إرين - لا ، بل أنت أعجز من أن تستعمل
 سلطانك بيد هذا الاعتراف

فرجان - وهل أنت منكرة هذا الانوار؟
 إرين - أطلب أن أتعف به عليك أمام الناس
 وأشهره على ملا الأثهاد؟
 فرجان - (يتهد ويكي) ولكن كيف
 أميش وأنت أمانى؟
 إرين - لقد احتملت هذا فيما مضى فاحتمله
 أنت الآن . كلانا مرتبط بالآخر وما ربطته حماوة
 الناس لا تقدر قوة على حله . هذه هي الشرية ...
 لقد شمرت بوقرها طويلا وحدي وقد آن لك أن
 تساعدني على حملها
 فرجان - أليس من عدل على الأرض؟
 إرين - طي ، هناك عدالة وهي حمل الشقاء
 بالمساواة؟
 فرجان - وما هي هذه المساواة وأنت جرمية وأنا بريء؟
 إرين - لا بريء ولا مجرم هنا ... كلانا شق
 وحيث يسود للشقاء تسود المساواة
 (انتهى)
 فيليكس فارس

لقتل عجبى له ... (يتغص بشدة) خذيه من هنا ،
 اذهبى به إلى حيث تريدن
 إرين - لا ، لن أذهب من هنا
 فرجان - وكيف يمكنك البقاء؟
 إرين - سأبقى من أجل رينيه ، فما أرفض بأن
 أطرد وأهان . إن لهذا الطفل حقاً أن يقيم في
 المجتمع أديكاً ومادياً فهو ابن الشرية ...
 فرجان - سأكرهك على الذهاب
 إرين - لن تستطيع
 فرجان - لقد طلبت الطلاق أنت فيما مضى ،
 فهأنذا أطلبه اليوم
 إرين - لقد رفضت أنت أمس وأنا أرفض
 اليوم . لم يد لي من مستقبل وقد تلاشت آمالي .
 فأنا أبحثى كل تنبير وكل جهد . لقد غلت إرادتي
 فلسوف أبقى على ما أنا حيث أنا
 فرجان - أفترض أن أحتملك احتمالا؟
 إرين - لا برهان لديك غير اعترافي ، فليك
 أن تحتمل

المجموعة الأولى للرواية

١٥٣٦ صفحة

فيها النظم الكامل لكتاب اعترافات في
 المصريوسيه ، والأذينة لثوميروس ، ومذكرات
 نائب في الأديان لتوفيق الحكيم ، وثلاث مسرحيات
 كبيرة و ١١٦ قصة من روائع القصص بين
 موضوعية ومنقولة .

الثمن ٣٤ قرشاً مجلدة في جزئين
 و ٢٤ قرشاً بدون مجلدة
 خلاص أجرة البريد

مجموعات الرسالة

تباع مجموعات الرسالة مجلدة بالأسعار الآتية

٥٠ السنة الأولى في مجلد واحد

٧٠ كل من السنوات الثانية والثالثة والرابعة

والخامسة في مجلدين

وذلك عند أجرة البريد وقدرها خمسة قروش
 في الداخل عشرة قروش في السودان وعشرون
 قرشاً في الخارج عن كل مجلد

المقالة

مجلة أسبوعية للأدب والعلوم والفنون

مجلة الآداب الرفيعة والثقافة العالية

تعلم الماضي بالحاضر وتربط الشرق بالغرب

على مدى وبصيرة

المقالة : تعبر باخلاص عن روح النهضة المصرية

المقالة : تجمع على وحدة الثقافة أبناء البلاد العربية

المقالة : تصور مظاهر العمومية للامة العربية

المقالة : تسجل ظواهر التجديد في الآداب العربية

المقالة : تحيي في النفس اماليب البلاغة العربية

مجموعة اعدادها ديوان العرب المشترك ، وكتاب الشرق

الجديد ، وسجل الادب الحديث ، ودائرة معارف عامة

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المستول
احمد حسن الزيات

برل امسترك عم سنة
٣٥ في مصر والسودان
٥٠ في الممالك الأخرى
١ عن العدد الواحد

الوزارة

شارع عبد العزيز رقم ٣٩
التيبة الخضراء - القاهرة
تليفون ٤٢٣٩٠ ، ٣٤٥٥

الحرورية

مجلة أسبوعية للقصص والبرائح

نصدر مؤقثاً في أول كل شهر وفي نصف

السنة الثانية

٢٢ شعبان سنة ١٣٥٧ - ١٥ أكتوبر سنة ١٩٣٨

العدد ٤٢



فهرس العدن

صفحة			
٩٦٢	عاشقة الأحذية	أقصصة مصرية	بقلم الأستاذ محمود بك خيرت
٩٦٧	مركبة على مروس	الكاتب الفرنسي جوستاف جيغروا	بقلم الأستاذ عبد لطفي جمعة
٩٧٨	التكامل في الزواج	مترجمة عن الإنجليزية	بقلم الأستاذ عبداللطيف النشار
٩٨٥	النار المقدسة	الكاتب الإنجليزي ولتر سكوت	بقلم الأستاذ عبد كامل حجاج
٩٩٠	الثلاثة الزاهدون	الفيلسوف الروسي ليوتو لستوي	بقلم السيد غري شهاب السيد
٩٩٥	تحت ظلال الشجر	الكاتب الإنجليزي فرنسيس ينج	بقلم الأستاذ فؤاد الطوشي
٩٩٨	مبتور الساقين	الكاتب الفرنسي جي دي موباسان	بقلم الأديب السيد كمال الحريري
١٠٠٢	الفرار	الكاتب الإنجليزي هولوى هورن	بقلم الأديب عمود السيد شعبان
١٠٠٧	حاجى بابا أصفهانى	الكاتب الإنجليزي جيمز مور	بقلم الأستاذ عبد اللطيف النشار

عاشقته الحزينة

أفصوصة مصرية
بملم الأستاذة محمد بك حسان

ونسيمه . وكان يقسم لها بأنه لن تطيب
له الحياة إلا بها ، ولن يتزوج في حياته
من سواها ، حتى إذا أقلت زمام عقنها من
بدها وزلت قدسها أثار لها ظهوره
وأنكرها واخفق من عينها

ولقد أحست بعد أشهر يجنيها يتحرك
في أحشائها غشيت أن يفتضح أمرها وأسرهت إلى
شقيقتها بحجة قضاء فصل الصيف عندها ، فاكترت
لها تلك البار لتضع خلعها فيها إلى أن تم الأمر على
الصورة التي سررت بنا

وقد يلوح غريباً أن (إحسان) تلك الفتاة البائسة
الرفيقة يهون عليها أن تحذف بهذا الطفل البريء
الضعيف وهو غمرة حشاشتها إلى هذا المسير المجهول ،
وأن يتحجر قلبها إلى حد ألا تدرك عليه عيناها
دومة واحدة وهي تسلمه لأختها . ولكنها في الواقع
كانت لاتزال تحت سلطان ذلك الموقف الرهيب
الذي أقل ما فيه أنه كان يجر عليها وحلى أسرتها
عار الأبد . حتى إذا مضى شهر على بدها عنها وقد
هدأت أعصابها من تأثير الجرح الذي كان استولى
عليها استيقظت في نفسها عاطفة الأمومة الصارخة
فانطلقت دموعها من عينيها غزيرة حارة ، وأخذت
ترجع باللاعة على طيشها وتسرعها وترى أن ذلك
البار الذي خشيت أنه كان أمون عليها من أن تبث
بطفلها مثل ذلك السبت الأثيم . ألم بك ولها ؟
ألم بك قطعة منها ؟ لقد أصبح بينها وبينه بعد ذلك
حجاب قاس ، فز يد أمامها تقمره بنظراتها وتندوه
بمخائنها وتضمه إلى صدرها الهاني وهي تهز يديها

في صباح يوم مبكر كانت سيدة محجبة تقطع
طرقات الاسكندرية بخطى مسرعة وقلها يدق
وجسمها يرتجف ، حتى إذا بلغت نافذة اللبأ أخذت
تنظف حولها ، فلما لم تر أحداً يتمقبها أخرجت من
إزارها طفلاً حديث الولادة ووضمته على الحامل
المتبث عند قاعدة النافذة ثم دقت الجرس ، وبعد لحظة
استدت بدران فانقطاه ثم اخفئتا . وعند ذلك اطمان
قلها وعلدت أدراجها

وكان البار سيدة منطرحة فوق سريرها وعلى
وجهها أثر الشحوب والضعف ؛ فلما أقبلت عليها تلك
السيدة المحجبة سألتها في لفقة ، فقالت : انتهى الأمر
على أحسن حال وأصبح إلى جانب أطفال اللبأ .
وعندئذ سرى عنها وشمعت كأن حلا ثقيل كان
يضغط على صدرها قد ارتفع وزال

وكانت هالكة السيدتان شقيقتين من أسرة
عريقة ، إحداهما وهي التي كانت تحمل الطفل متروجة
من أحد أميان الاسكندرية ، أما أختها فتقيم مع
أبويها بالقاهرة ولم يسبق لها عهد بزواج ؛ إلا أن فني
من قتيانها وقع نظره عليها فأولع بها وأخذ بطاردها
ويؤود لها وينفخ من روح غوايته فيها ، وهو كلما
تلاقيا يفتح أمام عينيها آفاقاً جديدة مشرقة بالحلم

الأجرامات التي اعتاد للجبأ اتخاذها نجوم، فهدتها إلى أربعة عشر طفلاً سمى بهم في أيام غلظة، منهم خمسة في اليوم الذي حلت أختها منبرها إليهم فيه. فلما تأملتهم وجدت من بينهم اثنين بشرتهما سمراء ولكنها لم تعرف ولدها من بين الثلاثة الباقين، لأن الأطفال على أثر ولادتهم يكونون أشبه بقطع حية من اللحم يصعب تمييز بعضها عن بعض، إذ يكون الشبه بينهم وبين ذويهم لا يزال بعيداً، فهم في ذلك مثلهم كمثل الصورة السالبة أول ما يبدو منها عند التطهير خلوطاً أولية يتلوها شيئاً فشيئاً أنصاف ظلال فظلال كاملة وعند ذلك يكون الشبه قد تم واستقر

ولا تسلم عن الصدمة التي أصابتها في تلك اللحظة التي علقت كل آمالها عليها وهي أمام ولدها وليست أمامه، فلبت خائرة حائرة بين هؤلاء الأطفال الثلاثة ولا سيما أن اثنين منهم عيونهما زرقاء كعيني طفلها فأيهما هو الذي حملت به ووضعت وقامت وستقاسي عذاب الدنيا ومزارتها فيه؟ إنها أصبحت أمّاً لكيها، فما إن تأخضها ممّا وإما أن تدعها. على أنها علمت أن هذا الأمل بعيد أيضاً وأن من دونه مباحث ونجريات وتحقيقات يسير من جديد تلك الفضيحة التي أمتت شرها وتخلّصت منها، ولذلك استأذنت وانصرفت وهي حزينة باكية كثيرة الحجوم

وكان أبواها طاعنين في السن تفلتت في جسمهما الأمراض قضيا مجهما، ولذلك انتقلت

وتناحيه. لقد حُرمت لغة إرضاعه، ولغة الاستماع إلى صباحه، ولغة النظر إليه وهو يجبو وعشى، ولغة أول كلمة تخرج من بين شفتيه اللتين في حمة الرجلان: أي!

أما هو فقد أصبح يتدفع إلى غير صدرها ويرتضع غير ثديها، وما كان الرضعات إلا أجيرات يمين ليهن ولكنهن لا يمين الحنان، فاهن إلا أمهات صناعيات.

كانت إحسان لذلك لا يمتض لها جفن ولا يهنا لها طعام ولا شراب. تمر صوته بيمينها في كل لحظة من لحظات النهار، وتراه في أحلامها كأنه بمساعدته الصغيرين إليها ويتدفع إلى صدرها وكأنه يمايتها. حتى إذا ما استيقظت يوماً من الأيام كان حزنها قد بلغ غايته فانطلقت نحو اللجأ وقد وطنت نفسها على أن تمود به.

وقبل أن تأخذ في سبيل ما اعزمته حملت معها كثيراً من الحلوى والأقشعة لتتقدم بها كهدية لأطفال اللجأ، وقد رُحِبَ بمقدمها سيدها ورجله وقبولوا تلك الهدية منها مع التقدير والشكر. وهكذا أخذت تطوف بالترف وتنفق أولئك اليتامى الذين كثر في وجوههم الحظ لعلها تثر من بينهم على طفلها ولكنها لم توفق

ومن الطبيعي أنها كانت تتحاشى أن تبوح بالمرض الذي جابت من أجله إلا إذا تمكنت من الاعتناء إليه، فلما يئست أخذت تستفسر من رئيسة اللجأ عن حديثي الولادة الجدد وعن

وأخيراً بعد أن مضى على ذلك الحادث
ثمانى عشرة سنة عوّلت لأخر مرة على أن تقصد
إلى محرم بك ، حتى إذا لم تثر عليه فيه ثرمت
دارها واستسلمت لعمومها

ولقد عثرت في ذلك الحى على حانوت بجانبيه
خلف الزجاج أحذية مصقوفة للسيدات والرجال
والأطفال ولكنها لم تجد به أحداً فلبثت لحظة ثم
همت بالانصراف عنه إلى غيره ، ولكن دافعا من
نفسها استوقفتها . وفي تلك اللحظة رأت في الجانوب
المقابل للحانوت فتى يسرع نحوها ، فلما رآها دهش
وأخذ يسائل نفسه أين سبق له رؤية هذه السيدة .
ثم تذكر أنها كثيرا ما كانت تزور اللجأ وتحسن
إلى أطفاله ، وعند ذلك شعر بالسرور يتمشى في نفسه
فقال لها : « خيرا يا هاتم » . وما كادت عينها
تقمان عليه حتى انتفض جسمها وخفق قلبها
فاندفعت إلى داخل الحانوت وطلبت إليه حذاءين
من نوع تلك الأحذية التي رأتها

وعند ذلك تناول شريطا من الجلد قريبا منه
وشرح في قياس قدميها وهو يقول : إنك ستسرين
كثيراً من أحذيتنا يا سيدتي . فأننا مع جودة
الجلود التي قطعها منها وصراعة البقة في تفصيلها
لا تجري خلف الريح الكثير لكي نكسب ثقة
الناس فينا وإقبالهم علينا . وكانت في خلال حديثه
تنظر إليه من طرف خفي فأخذت تسأله :

— هل لك زمن طويل في هذا الحانوت ؟

— ست سنوات يا سيدتي كنت حاملا

إلى الاسكندرية لتعيش فيها على مقربة من أخيها
بعد ثمانى عشرة سنة

كانت إحسان في مولتها الجديد تشغل نفسها
بالطالمة وتقتضى كثيراً من وقتها في الاحسان
إلى الفقراء كما أنها لانسى زيارة اللجأ وحمل الهدايا
إليه . وحى كلا قصده وقفت عند بابها خاشعة كأنها
أمام ضريح يفهم في جوفه رقات سخايا الأقدار
والخطوط

وكان من النظم الثبته في اللجأ أن كل لقيط
يأنس فيه القدرة على التعلم والاستمداد له يلقنه
مبادئ القراءة والكتابة ثم يخصه لحرفة من
الحرف تساعد فيا بعد على تحمل أعباء الحياة ،
وكان من نصيب ذئبك الطفيلين المنشابين صناعة
الأحذية

وكم كانت لوعتها حين ذهبت إلى اللجأ في يوم
من الأيام فلم تجد بها ، لأنها بإرواح بعد أن أصبحا
قادرين على العيش بعيدا عنه . ثم كانت مفاجأة
قاسية وقد كان هذا المكان قبلها يقيم فلذة كبدها
بين أركانها . أما الآن فقد أصبح أمامه هذا الثفر
الفسيح المترى الأطراف فكيف تجده وكيف
تهتدى إليه ؟

ولقد ظلت إحسان سنوات تجوب أزقة
وطرقاته وعينها إلى الحوانيت والخازن ، حتى
إذا وجدت من بينها مصنع أحذية أسرع
إليه ، ولكن سرعان ما تركه يائسة حزينة ولم تجد
طلبها فيه

الجديد كلفته بأرساله إلى منزلها فحملها إليها بنفسه، وكانت قد شبت لطفام الشاء فدعته إلى مشاركتها فيه فقبل ولكن بعد تردد منه وإلحاح منها . وبعد أن انتهيا أخذت تتحدث إليه :

— لك لا تجهل من هي التي دفعت بك إلى ذلك اللجأ ؟

— وهل كان هذا ممكنا بإسديتي وقد كنت وقتئذ مشدودا في قاطي حديث الولادة ؟ إننا معاشر القضاة لا نعرف لنا أباً ولا أمّاً . وكل ما نعرفه عن أنفسنا أننا من نفايات الخلق لفظنا المجتمع وأصبحنا من طينة غير طينة الناس . وكثيرا ما كان يزور اللجأ سيدات ممن أولادهن فأنظر إليهم والأسى يرتجى والدموع تتساقب في عيني . أما سبب هذا الصبر الذي كان من نصيبنا فلم لا يخفى عليك يا سيدتي . إننا لم تكن غير غمرة ملوثة من غمار الزنا والمطارة . إن لنا أمهات، ولكن أولئك المرضعات في عيني خير منهن لأنهن يموئن علينا ذلك اللبن الذي حرمنا من إياه . ومع ذلك فقد كنا أحوج إلى لبن آخر لا نجد عند أولئك المرضعات . كنا أحوج إلى الحنان، لبـن الروح، ولكن حيل بيتنا وبيتته . وفوق ذلك كان علينا أن نشقى لنكفر عن خطيئات أمهاتنا

— ومن يدريك أن أمك الآن تبكي بمدك وتبحث عنك ؟

ولم تبحث عنى يا سيدتي الطيبة وأنا لا أعرفها ولن تهترجوارسى لها ؟ لقد قطعت على طريق

فيه أما الآن فقد أصبح الماتوت لى — ومن الذى عنى بتعليمك هذه الصناعة . أبوك ؟

وعند ذلك أرسل زفرة طويلة ثم قال : لا يسديتي إنما هو اللجأ . . . وكـم كانت المرارة التي أحسها عند ذكر هذه الكلمة ! على أنها قابلت هذه الزفرة بأخرى مثلها احتبست في فـها ، ولم يمد يداورها شك في أن هذا الذى هو أحد ذينك الطفلين اللذين كانت تزورها في اللجأ ، وأنه ولدها وكل ملاعه تشير إلى ملامح أبيه من عينيـه إلى أنفه إلى فـه وإلى ثبرات صوته

وكان قد طلب في غنى الحفادين مائة وخمسين قرشاً فدفعت إليه جنيـهين في سبيل أن يبدل فيهما كل فنه وعنايته، ثم انصرف وهو يكاد يرقص طرباً وقد حصل على إيجار الشهر المتأخر عليه فلم يمد يضايقه للمالك بسية

وبعد عشرين يوما طوت إليه لاستلام الحفادين وأوصته بالشروع في حذاء ناك من نموذج آخر . وهكذا كانت لا يمر شهر إلا وتوصيه بأعداد حفادين جديدين حتى أنه كان يقول في نفسه : لو أن هذه السيدة تستمر على ذلك فلن أتمرض يوما ما إلى مضايقة مالك الماتوت بسبب الإيجار . كما أنه وجيرانه كانوا يستفرون أمر هذه السيدة وولها بالأحذية إلى هذا الحد ، حتى لقد أطلقوا عليها اسم « عاشقة الأحذية »

وفي يوم من الأيام بعد أن انتهى من حذاءها

المودة إليها وسهت السبل أمامي لانكارها ونسيانها. كم كنت أود لو أنها أبتت على فأجل عارها وأغفر زلتها والعصمة لله وحده، ولكنها أبتت على حتى ذلك فباعدت بينها وبينى، وأغلقت فؤادها من دونى فخرمنى نصيبى عنده من نعمة الحق الذى غرسته فيه يد الله. وما تغرى يسخطها عني أو اجتماعها بي؟ إننى يومئذ أجد أمي، ولكننى لا أجد ذلك الحنان الذى كنت فى حاجة إليه عندها وأنا طفل لا حول لى ولا حيلة. بل إننى لأخشى أن أذهب إلى أبعد من هذا لأن اللبغا إذا كان قد فك تلك الأغلال التى وضعتها فى يدي فأن على واجبا آخر وهو أن أحطم هذه الأغلال وأحطمها معها..

وعند ذلك صرخت إحسان قائلة: كفى يا حسن غسبي من المذاب ما تحملته ثمانى عشرة سنة وأنا لا يهدأ لى جنب ولا يطرف جفنى، غمض حتى إذا اعتدبت إلى حانوتك كان لى منه بعض السارى وأنا أعيش بين هذه الأخذية التى لم يكن لى حاجة بها، وإنما لأنها تحمل أثر أسابك. إننى أمك ...

ثم سقطت منشبا عليها. فأصرح نحوها يتضح وجهها بالماء وينفضها ثم أقبل على جنبها بقبله وهو يهيم فى أذنها والبكاء يكاد يخرج منه:

ساعينى يا أمي ! محمود خيرت

المجموعة الأولى للرواية

١٥٣٦ صفحة

فيها للنص الكامل لكتاب اعترافات فنى المصر لوسيه، والأنيصة لموميروش، ومذكرات نائب فى الأرياف لتوفيق الحكيم، وثلاث سير حيات كبيرة و ١١٦ قصة من روائع القصص بين موضوعة ومنقولة.

الكتاب ٣٤ قرشاً مجلدة فى جزئين
و ٢٤ قرشاً بدون تجليد
خلاف أجرة البريد

مجموعات الرسالة

تباع مجموعات الرسالة مجلدة بالاسم بالاسم

٥٠ السنة الأولى فى مجلد واحد

٧٠ كل من السنوات الثانية والثالثة والرابعة والخامسة فى مجلدين

وذلك عند أجرة البريد وقدرها خمسة قروش فى الداخل وعشرة قروش فى السودان وعشرون قوشاً فى الخارج عن كل مجلد

المنجدة على ظهرها النحى . فلما رآه
ضحكت وقالت له : حذار أن تكون
« البجعة » قد لحكت . والبجعة صاحبة
الدكان مدام كرنك دولاك السمينة
الضخمة التي تقطعها وتبنيها وتهدنها
ووهبها نصف ما تملك لتكون بائة لها

عند الزواج . ولكن ليوني كانت
تبغضها وتغشاه وتخدع عليها
وتشكو قيود العفة والحذر التي
فرضتها عليها لتصونها من أخطار
الحياة .

فاقيم شارل وقال : كلا !
إنها مشغولة بمحاسبة بعض
عملاتها وصمتها تنف الكتب
كزولو وتهمة بأنه ألهم سبع
فلاطز ولا يدفع إلا ثمن أربع ،
وقد جعلت عينها وهي تقول
له : تأكل السحت في بطناك أيها
المنكبوت الضئيل وتزاد نحولا .

كلا أدخلت بطناك فطائر الخنثى : أ لا أتثبتك
وقضت لك ستاديق دكاي وتشاغلث عنك بنزلى ..
إن عين الناجر لا تمنض .

فضحكت ليوني وألقت يجسمها الناعم اللين بين
يدي شارل هامة :

— قبله الصباح يا حبيبي ، متى أغادر ذلك المحر
الخطير ، لأبقى لك طول حياتي .. فضمها الفتي
إلى صدره بمنف الرغبة ، وقبلها في وجنتها وفها
وعينها ونحرها ، وكانت تتوسج من لذته وهو يلثم فاهها ،
ويكاد يفرس أطرافه في كنفها ، فلما أفاقت من

مَعْرَكَةُ عَلِيٍّ وَرُوسِ

للكاتب الفرسى محمد توفيق الحكيم
بيت الأندلس نازحاً بطون جعنة

تعريف بالقصة

جوستاف جيروا فماس فرنسي
قدير ، اشتهر بالقصة القصيرة
والسرحدات الموقفة وهو يدرس في
هذه القصة خلق بين الشباب
والفتيات في مدينة من أمهرق مدن
فرنسا ، اشتهرت بالجمال وحب
الاستمتاع في هدوء وغموض وهي
ليون وقد كفف القناع عن عفة
الفتاة وبجور المرأة ، وشع النجار .
وقد قيل عند نصرها إنها رمزية
تحلل هسية الألمان ذوى الميرون
وقوة الإرادة ، فترام لا يترددون
أبداً دون تحقيق أمانهم مهما كلفهم
ذلك من القوة على الآخرين وهي
تنفل إلى الحرية للمرة الأولى لقراء
الرواية فسي تحوز رضام

في شارع چارت الذي
يتفرع من شارع رامباردينه
يجي بباش بمدينة ليون الزاهرة
ذات الشوارع الضيقة والجسور
الفسحة والكنايس الشاحنة ،
حانوت صانع الأثاث إرمان
موتون .

في صباح يوم الأربعاء
السابق لعيد البنتكوت نادى
المعلم موتون صبيه شارل شارلز
وكان عاملاً ألمانيا من ستراسبورج :
« أي شارل ! إذهب إلى
دار مدام ديوم ، فاتها ستطليح

كرسياً « لوى كاتوز » يحتاج إلى التجهيز وقد خبرتها
أني مرسلك اليوم فامض على محل « فضى شارل
في شاته وهو يصفر ، حتى إذا مر بدكان الحلوى
الواجه لدار معلم موسيو موتون مال إليه وانفلت
من الباب الصغير ، حيث كانت صديقته الصغيرة
ليوني تمنع قطعاً من الشكولاته في وماء معدني
كبير ، وكانت ليوني غضة بضة مثل لحظة القشدة ،
وكانت عارية الذراعين والنحر والصدر إلى منبت
الهدين ، لضرورة العمل ، وقد انزوت بمزرقصير
لا يصل إلى منتصف الساق ، وقد انسدت صفاتها

— لا أشق بطنك ، فلت في حاجة إلى تكبير
جو دكاني بما تأكل . اعزب عن عيني ! صباح الخير
أيها الشاب ، لا عليك ، فإني أشرح مع موسيو كنزلو
كما دق لأدخل عليه السرور فيحسن هضم ما أكل ،
فأرتج على شارل الذي دار بينه في الدكان كن يبحث
عن شيء ، فقالت :

— أظنك تبحث عن ليوني . إنها خرجت منذ
الصباح لتشتري مؤونة للشوكولاته التي نمدتها لميد
البنسكوت . كيف حال مملك ؟ إن لدى مقمداً
قد عايرت تنجيده خير تنجيد وأخته فهو من تراث
المرحوم زوجي ، وهنا تبلت عينها بالدموع ،
فتنظرت إلى كنزلو الكنتي الذي مازال واقفاً مسموراً
وقد قيده الحبل ، وقالت :

— بيد المصير يوسيو كنزلو ، شرفنا لتأكل
ما يحلو لك من شطائر اليابان المحشوة بالقشدة
ومُشرقة في روم جامايكا الشقيق . فابتسم كنزلو وقال
— وعد الحردن عليه ، إلى اللقاء بدمام دولاك
أوريفوار أيها الشاب ، بالله من مزاح !

وخرج كالنفار الصلوح ، يتعامل على ساقيه
التنحيلتين ، ويكشف عن صلصة حمراء كباطن القلي
المصنوعة من نحاس فيردان ، فضحك شارل ملء
شدقيه واثفتت البجعة إليه ، وقالت :

— أدخل ، أدخل أيها الشاب . ودع عنك
مارأيت وسمعت بيني وبين هذا الحمار الذي يحمل
أسفاراً . وإليك أنت تنقل حرقاً بما سمعت
إلى ليوني أو غيرها ، لأنني أفكر في تزويجها من
ابن هذا الكنتي الشقيق ، لأنهم أغنياء ، وأحب قبل
الزفاف أن أخضع سماها بالإذلال والإرهاب ، حتى
إننا تصاهرنا كان هذا الكنتي أطوع لي من كبي

غشية الحب السريع الفاجيء ، ملأت فيه
بالشوكولاته المحشوة باللوز والبندق والجوز المسم ،
ونولته علبه من الورق اللقوي ملائى باللبس الفاخر
الذي يصنع خصبياً لميد البنسكوت . وقالت له :
عليك أن تخرج في حذر ثم تدخل على البجعة بيد
لحظة لتأكد أنها لم ترك . فغس العلبه في جيبه
وانسلّ وسار قدماً وهو يصفر أنثاماً من أوبرا
لوهنجرن ، سمها والثغفها من غناء ويدز التينور (١)
الشهير . فلما دنا من عتبة الحلوانية انحنى وجهاً
وكان كنزلو لا يزال مستطفاً لطر الشتام الذي
ينال على رأسه من سماء مدام كرنك دولاك

— يا ذيل الخنوص ، يا جسيمة الرءاء ! يا جرد
الحوائت ! مادمت لأعك عن الفطائر السبع ، فليمر
تسارع إلى ابتلاعها ؟ وكان وجه الكنتي مصفراً
كالكرم الصيني وهو يقول :

— مدام كرنك . أقسم لك بسانت فورفير !
أنها أربع فطائر فقط لم تزد . إنني بطيء المنع .
أسألي الكنتور مويسيه طيب عائلتي . شق بطني
إن شئت ، ولكن كني بحق المذراء عن تقريري أمام
الجمهور .

فكانت له : إن كنت تستحي حقاً من الجمهور
فلم تصنع في إخفاء ما لا يليق بكرامتك في الملاينة ؟
ألم تعد شيئاً من الكتب التي تسمم بها عقول القراء ؟
ألا أيها وبال عليك مادامت تؤدي بك إلى تلك
المجاعة التي لا تجد لها سداً إلا من بضاعة أرملة يائسة
مثل . فقال الكنتي مبهلاً متوسلاً :

— شق بطني !

فأجاب: سي الحلواني، أعني الحلبانية «البجبة»
مدام كرنك دولاك. وأخرج من جيبه علبة اللبس
قائلاً:

— ولما كانت طاعتها أن تبعث إلى خيرة عملاتها
بمئات من اللبس الفاخر الذي تصنعه خصيصاً
لبيد البتكتوت. ومد يده بالعلبة فتناولتها الفتاة
وفتحها فقال: تنوق يا أنسي، تنوق فان نجاح
علتنا قائم على مبدأ «من ذاق حرف» وهو شمارنا.
«ذوق وفارني». فتناولت الفتاة بيناتها في رشفة
قائمة ملبسة ووضعتها بين شفتيها الرجائيتين ثم افتر
ثنها عن ابتسامه زادتها في نظر الصبي حسناً على
حسبها

وقالت: هل نضع لك ثمناً لهذه العلبة؟

فضحك قائلاً: هذه هدية وعينة...

فقلت: شكرًا لك وسأضع عمي بشره الحلو
من محكم. وحث بموارة الباب فاستدرك شارل قائلاً:
— عفواً. وأمرًا آخر نسيت

— وهو؟

— إنني أيضاً سي النجيد موسيو أورمان موتون
أعني أنني أزالول مهنتين بل ثلاثاً

فابتسمت الفتاة وقالت بين مصدقة ومكذبة:

— يا لك من في ذي صناعات عدة!

— الحياة تقتضي الجهاد في سبيل العيش. إنني
منجذ في الصباح، وحلواني بعد الغروب. فصدقته
الفتاة وأشفقت عليه وسأته:

— أريد شيئاً من متاع المنزل أم جئت بمينة
أخرى من الأثاث الجديد؟

فأجاب مداعباً: ويهل في المنزل شيء هو أحلى
وأعشى من ذلك المتاع الذي أراه الآن مانلاً أمامي؟

ليين؟ وضحكت فبانت أسنانها المخططة وقالت:

— أعلم أن موسيو كابوش عمدة المدينة،
أمر بتعوير محضر مخالفة ضدي لأنني أطلقت اسم
محافظ مقاطعة السين على هذا الكلب الأمين!
ولكن فطيرة ضخمة مشبعة بالبردة ومحمشة بالكز
أخذت أنفاس كوميسير البوليس كالبان. وحث
محضر المخالفة كالوأنك أرسلت خطاباً لبريد الحلو
والمداينة نفسد أحسن التعم. فضحك شارل من
حديث المرأة المزوج بالبلادة وقال لها:

— أفهم جيداً أن «الفليك» «ياعون بأبض
الأعنان».

— آه الفليك ^(١) يلم من غول ذباب!
لو كانت ليوني هناك أنتك طم تلك الشوكولاته
الفاخرة. ولكن غداً لناظرها قريب... واللبس
الفاخر هدية البتكتوت. فابتسم شارل وهو يحس
طم الشوكولاته في فمه، ويذكر قبلات الفتاة.

ومد يده إلى جيبه ليتأكد أن علبة اللبس
الفاخر لم تنادر، ولم تنفذ إليها عين تلك التاجرة
الماكورة. وقال: شكرًا لك سلفاً وأمرًا سيبتك
لأثقل ذلك القمعد المزج، وأدار ظهره وهو يصفر،
حتى إذا بلغ دار السيدة ديورم، فتحت له الباب
فتاة في الثامنة عشرة ولما أبصرت الغلام الألفاني
الأهيف الجليل فتحت عينها وحدثت فيه دهشة
وعجبا، وعراه هو من الدهشة لحسبها ما عراها، فحدث
فيها وقد ذهل عما كان يجب عليه من نزع ثلثه
تجبة واحتراباً فوق شاحص البصر إلى نظرة
جالها ثم أقامت هي قبله فقالت له: من أنت؟

والأ ناديت عني وإنها لشديدة على أمثالك السهترين
فأسرع شارل المهبوط في سلم الباب وقال :
— أرجو أن تكون عمتك بخير أيضاً
فلما بلغ أسفل المرح قال :

— وإني لا أعلم كيف احتفظت ببلبة اللبس
ورفضت ملاطفتي . ولكنه لم يسمع سوى صفة
الباب وراءه

وسار قدماً وهو يُصَفِّر ، إلى أن بلغ المنزل
رقم ٥ شارع بواساك حيث كانت مدام جاكبيه
مشوقته تنتظره ، ففتحت له الباب هاشة باشة فقد
كان القفي حبيب قلبها في غيبة زوجها الضخم في
معمل الساعات في مونشا إحدني قرى النهر التي
شيدت فيها مصانع الآلات الدقيقة ، وكانت المرأة
آمنة عودة الزوج طول النهار . فنقلت الأبواب
وأزلت الكرسي عن كاهل مشوقها ، وكانت امرأة
قصيرة القامة ذات عاسن وقتنة تدفع إلى الصبي
نمن غرامه السرى كل ما تدخره نفقة البيت
وما تسرقه من كيس زوجها أثناء غطيطه

ولم تكن تصبر عن لقاء شارل يوماً واحداً
فكان يلعب عاطفته بين أحضان ليوني ، ليطفي
ناره عند جاكبيه القصيرة البادة . وسرعان ما خلعت
عنه ثيابه وألبسته ثياب التفضل من سوان زوجها
وسدت له مائدة راحاً زاخرة بالججاج الشوي
— يوليه دوديه دي ريش — ^(١) وسلك الرن
القلي ، ولحم جل حنيد بحر ، وحمص أخضر بالزبد
والسكر وصرى الشمش التي كانت تبيد منها —

(١) نوع من السجق الناعم يخن أهل ليون تريجه وطويه

فصربت الفتاة بقدمها غضباً واغتيالاً من
جراة القفي وقتها ، واحمر وجهها قليلاً ، فأدرك شارل
أنها من الصنف الذي يكره الداجبة وتذكر أحضان
حبيته الواتية ليوني الذي ألهمت وجهه منذ هنيهة
بحر أنفاسها ، فبعا صورة الحب السريع من ذهنه
وزاده غيظ الفتاة المائلة أمامه نادياً في مداعبتها فقال :
— إذا كان في متاعك خلل أو فساد تريدني
إصلاحه فأعلمي أن متاع الفتيات ليس مما نفي
بإصلاحه ، فأطلي لمتاعك مصلحاً آخر ، وإنا جئنا
ههنا بأمر ملى الحلواني . وسلمت إليك هديته ،
ثم بأمر ملى المنجد اللوسيو أرمان موتون لأجعل
إليه من مدام ديلورم كرسياً كانت خبرته أنها في
حاجة إلى تجديده ، فأين هو ؟

فصبت الفتاة رأسها في أنفة وكبرياء وفتحت
له الباب وسمت به إلى قاعة الاستقبال ثم أومأت
إلي كرسي فيه خرق دون أن تنبس ببنت شفة ،
ففحص شارل الكرسي بدقة ، ثم حله على عاتقه
وسار إلى الباب ، حتى إذا بلته التفت وراءه ونظر
إلى الفتاة وقال :

— خيراً ؟

فقلت بكبرياء : ما ذا تريد ؟

فأجابها شارل بإقسامه ممنونة أجاجه عليها
بإحمرار وجنتها ثم قال :

— إني بخير والحمد لله وأرجو أن تكوني بخير
أيضاً . فضحكت الفتاة ضحكاً غائبة عالية وقالت :
— إنك أطرف حلواني وأبسط من رأيت من
المجهدن في حياتي . أول لك أن تذهب في الحال

بيت عشيقته يجعل الكرمى وعاد إلى الدكان فلم يجد
معلمه الذى ذهب إلى أهله يتمطي بهد طول انتظار
العصى ، فوضع شارل الكرمى فى غرفة الأمتة
المختلة واستأنف عمله فى صرح وهو يصفر كمادة .
فرت بذهنه صور شقى مما شغل خياله منذ الصباح ؛
فها هى ذى ليونى قبله وتنفضه بالهدايا ثم البجعة ،
والكتبي الشيرة ، ثم الفتاة التى تهدته بسمتها . .
ثم المرأة الناضجة التى أطعمته ومنمته وأعدت له
الكسوة والزهرة على حساب بلها وبئها .

ولكن عاسن الفتاة الثانية جمعت تترامى لعين
خياله ، وكان وجهها فنا يحمل دلائل الدلال والتهيه
وأيات الزهو والكبرياء ، وقد لده الفتى أثناء هذه
التخييلات ما كان يبدو على ذلك الوجه من البسوس
عند سماع أهازيجها التى كانت تمدحها الفتاة ضرباً
من الاجترار على مقامها السائى من سبى حلوانى
أو سبى منجد حقير مثله كما وهمت وقومت . فأكل
إصلاح ما بيده فى ظرف ساعة ومضى إلى الخزن
لاختيار النطمة التالية . وكان تمت عدة أمتة قد
لهج أصحابها وألحوا فى سرعة إصلاحها ، ولكن
شارل ضرب عن جميعها صفحاً وأخذ الكرمى
المخروق غملة إلى مائدة شغل . ولم يكن فى نيته أن
يبدأ بإصلاحه ولكنه تلهذ بمجرد النظر إليه من
أجل الحسناء ذات الوجه الملبح المابس . وبينما هو
يتأمل المرق الذى به ويستفط على لوائه ، أخذت
عينه ورقة صغيرة كانت قد سقطت فى الثقب الذى
فى ظهر الكرمى فتناولها فافا بها حوالة مالية
بشيرة آلاف فرنك تصرف لحاملها ، فأخذها

واعترضت له عن بعض القطير المحشو بلحم الخنزير
وشحمه . فأكل الفتى أكلة الشره وشرب من نبيذ
جراف الذهبى حتى روى وشبع واستمد للقبولة
فسألته — أين كنت ياروى ؟

أجاب — فى العمل ، العمل الشاق المضى

قلت — هل كنت تفكر فى ؟

قال — طيباً ؛ وفى من سواك أفكر ؟

قلت — أنت معبودى ، وجبك المنيف غذاء

حياتى — أين تقضى أجازة البنتكوت ؟

قال — هنا فى ليون ، ما لم تجئ أسرق

شوقاً إلى !

قلت — لقد أعددت لك مفاجأة سارة فخلصت
على إذن من البغل زوجى ، لأزور أهلى فى هوت
سافوا ، وفى الحق أعددت تذكريين لنذهب معاً إلى
قرية « إيل يارب » فنصرح أياماً ونتمم الحب . وقد
ادخرت مائة فرنك تنفقها معاً فى فسحتنا الرقبة
قال : كيف أسافر وأنا لا أملك غير هذه
الثياب الرثة والذى لا يرسل إلى مالا غنا منه أن
ارمان موتون يندق على النسيم ويدفع لى من ثروة
قارون . فأطرق جاكبيه الولهامة ثم قالت :

— لقد فكرت فى ذلك أيضاً ، فأعددت لك
بدلة كاملة من صنع لاييل جاردينيير ، أخذتها على
حساب زوجى وأصلحتها على قياسك عند طرازي
يمهلنى فى شارع جامبنا ، فلا يشك فى غايبى من
تصغير ساقى سزاويلاتها ، وتوسيع أكامها ، فانك
أعرض صدرأ من الرجل وأقصر قامة .

وبعد النظر بثلاث ساعات خرج شارل من

وذهب . فضحكت المرأة وقالت : انتظر ! ثم حدثت فرحة بالثياب الجديدة وحملت من صندوق زوجها وهو ساعاتي وسائغ كل ما طلب ، وألحت عليه أن يلبس اللؤلؤ ويضع على نفسه من متاع زوجها معلقة نفسها بفسيانها ما أودع من مصوغ . فتأني شارل هنية ثم فعل فبدأ ببناء السراة ذوى العز والتمسة وسارع إلى تركها وأعدأ إياها بالمود خمداء عند كمادته . وفي سرعة البرق بلغ مقر « سوسيتيه جنرال » وهو مصرف قوي لرجال الأعمال ، فرحبوا به ، وأبرز لهم الحوالة ، فصرفوا له قيمتها ، وهرضوا عليه أن يحتفظوا بها لحسابه لقاء دفتر صكوك يحمل المال دمين إشارة وتوقيمه، فقبل بعد أن قبض مئة فرنك وهي تمثل مرتبه عند المنجد شهرين وعاد إلى بيته فخلع الرداء الجديد وليس ثياب للعمل وقصد إلى مقهى تونون ليشرب فنجاناً من القهوة . وأخرج الرسالة التي وجدها مع الحوالة في خرق الكرسي فإذا فيها

عزيزتي روزموند

ليت شعري كيف أتر في حستك هذا الأمر البالغ ! ماذا أحدثت لأحاطك في حشاي من الجراح والأوساب ؟ وما الذي قالته عينك لقلبي فأجاب ؟ هل نلتقي في يوم الأربعاء المقبل بعد ظهره ، في عين المكان والأوان الذين تلاقينا فيهما أكفأ قائم بمحدثك المنب ؟

الخلص

مروم

فقطب شارل جبينه ووضع الرسالة في جيبه . ولما عاد إلى الدكان استمر منقطعاً وفي صفيده ،

هادئاً وأعاد تلاوتها وهو لا يصدق نظره ثم وضعها في جيبه ثم بدا له غلاف رسالة معنونة بالعنوان الآتي « المناجم الزئبقية جولد نبرج وشركاؤه - المدير جورج دي ساكس » نفسها هي الأخرى في جيبه وآمن بأن الدهر يتسم له حتى في الغربة . وفي تلك اللحظة عاد موسيو أرمان موتون متجسماً ، فلما رآه انفجرت به بأفزع السباب على تلاعبه بوقته وتركه في انتظاره بدون غداء إلى ما بعد الظهر بساعتين في سبيل حمل كرسي غروق. فوقف شارل باسماً وقال له :

— على رسلك يا مملى . إن قلت عذري خباً وكرامة ، وإلا فوفر لي بقية أجرى وسرحني بأحسان أحمد لك حسن المشرة . نجت نر غضب المنجد وقال : أتركني بإشارل وقد علمتك خبر ماني للصنعة ؟ قال : إني منصرف ؟ لأن حياة المنجدين لا تزوقي . قال : لا عليك ، فمذرة . قال شارل : سأصرف ساعة حتى يصفودي بعد كدوره ، السلام عليك . وخرج لا يلوي على شيء حتى بلغ بيت جانيه وكانت لا تزال كلية من أثر عناقه ، حالة بما كان بينها وبينه من حلو الفرام فتفتحت له وقالت :

— إني قدسية ! فقد اشتبهتكم تشاربني الشاي وتقاسمتي تلك الكمكة المحشوة بالزبيب والفتسق . فنزل على إرادتها ومزج الأقداح بالتقبيل والمداعبة ، حتى استلانت له فهض ينظر في المرأة ثم قال لها : إني مسافر إلى قريتي حياً . ففجست المرأة وذهلت . فقال : لقد بلغت حال من الرأفة ما يجعل كل من يراني يحتقرني فلا بد لي من ثياب قشية وساعة وسلسلة وأزوار ودبابيس من فضة

دار عمي ؟ فنظر شارل لقاء المعلم فوجده مكبا على شيء يصلحه غافلا عنهما فقال : انني منذ حملته على كاهلي لم أره . ولم ألتقه فضضل بأخذه ان شئت أو غصه إن أردت . ثم عاد إلى عمله . فقالت بكبرياء وعظمة : انه خطاب لا أكثر ولا أقل فأعطينيه . فقال : انتظري لحظة ، ودخل إلى غرفة الخزن وعاد يحمل الكرسي بعد أن دس الخطاب في الخرق أحرق ما يكون ، ووضع يده فأخرج التلاف واستبقاه في يده فقالت : اعطني الرسالة . ففزع رأسه نفيا وإياه فقالت : إنا آيت تسليم هذا الخطاب شكوتك إلى مدام ديورم عمي

فقال شارل بنبات ورزاة : وإنا سلمته اليك فسأبلغ الأمر إلى مسامع عمته مدام ديورم . ولم يكذب قوله هذا حتى راعه وآله ما أبصر من شدة اسفرار الفتاة وامتناع لونها . فالتفت إلى مسيو موتون مسلمه وقال :

— إن السيدة الصغيرة تريد أن أراقبها إلى دارها لتطعنني على شيء من أكله وسأعود بعد برهة قصيرة . ففزع المعلم رأسه موافقة دون أن يرفعه عن عمله .

وغادر شارل الدكان تبعية الفتاة مستكينته متواضعة ، فلما بلغ زقاق جواوي فيثرو كانت الشمس قد أذنت بالنروب وقف وواجه الفتاة وكان يشرف عليها بمقدار قدم لطول قامته . وقال لها : إياك أن تحاولي انتزاع الرسالة من يدي ثلثا تحدث فضيحة شتاء أمام المارة ، وتطلي بذلك على سوء نيتك فتدعي بالبقية الباقية من احتراي وعطني عليك . فأومأت برأسها علامة الرضى وهي تكاد تنفجر غيظا من تحمكه ، ففتح الرسالة وقرأها بصوت عال كن

ولحن لومنجرن الذي كان يكرده ، فلقبه المعلم موتون بالترحاب وقال له :

— ما يرضيك بإشارل فأنا كقيل ينفذه . أجاب « أن تزيد راتبتي إلى مائة وخمسين فرنكا في الشهر ، وأن تدفع لي مقدما مرتب شهرين لأصلح من شأنى ، وأن تمنحني أجازة ثلاثة أيام أفضيها في تريض خاطري » وهو يسلّم أنها شروط قاسية لن يرضخ لها المعلم لبخله وشدة حرصه ، ولكنه جعلها مباحكة ليصرفه مستغنيا عن خدمته . فتهد موتون وقال : إنها لأدنى من شروط سيدان التي أملاها ييسارك على وطننا . . . ولكنني أقبلها . ثم دفع له ما طلب لأنه كان يتوهم أن يزوجه من ابنته لورا ويترك له التجار والمصنع ، لينعم آخر حياته بالراحة والنسي واستمرار اسمه مطلقا بأعلى الدكان حرصا على شهرته وعملاته . ولكنه يضرر ذلك ولا يوح به ، لثلا يفسد أخلاق عامله الذي يجعل منشأه .

فعاد شارل إلى عمله في كرسي آخر وترك القعد المحروق ينش من خرمه ، ودس فيه وثيقة المالىو وثيقة المحوى بعد أن نال حظها منهما وسهلا له بداية المركة ليفوز بمروره .

وبعد لحظة ظهرت الفتاة الحسنة البسوس في حبة الدكان ، فقال له المعلم :

— شارل ! هذه ابنة شقيق مدام ديورم تريد أن تكلمك كلمة . فاحتفظ شارل بثباته ، وهو الفاجر الواثق من نفسه الخبير بأخلاق النساء . وكانت الفتاة مرتبكة مضطربة يذهب لونها ويحيى فقالت لفتي :

— أظنك قد . . . أريد أن أقول لك هل عثرت على شيء في الكرسي الذي أخذه اليوم من

قالت لهوى تحرق الأدم: إنك لفظ غليظ القلب.
أعطني الرسالة من فضلك. أنها ملكي لأملكك.

— فقال شارل شفارز: إني أستملحك
وأستظرفك وإني ممجيب بمحاسنك، وسأبى يوم
تبلين فيه حقيقة مقصدي، وهو إصصال النفع إليك
ورد الأذى عنك؛ فأنا خشيت عمتك إلى هذا الحد
قالى أملكك ألا أوصل الرسالة إليها أبداً ولكنى
أذهب منك إلى أقرب أنسام الشرطة، وهناك
أسلم الرسالة. فنصبت الفتاة قائمتها وقذفت الفتى
الألانى بنظرة حشمت فيها كل ما تستطيمه طبيعتها
من اليئساض والكراهية وانطلقت في سبيلها دون
أن تقوه بكلمة أخرى. فراقها وحك رأسه، ولكنه
لم يلبث أن سرت إلي وجهه دلائل المزم والاسرار
التي قد ورثه أهل جرومانيا قاطبة عن أجدادهم القدماء،
فضى توأ إلى القنصلية الألمانية بشارع كي دي رتو
وقال إنه يريد لقاء القنصل لتتو واللحظة، فألبث
أن خرج إليه القنصل من مكتبه الخاص فدنا
منه شارل وأسر إليه كلمة في أذنه، فأجابه القنصل:
كلا فأخرج شارل من جيبه رسالة وأعطاهم القنصل
تقرأها الشاتي بروية وأعادها إلى شارل وقال
« لا بأس! »

عند ذلك ذهب شارل إلى مكتب شركة المناجم
الزئبقية. جورج دى ساكس وشركاؤه، فقال صبي
المكتب لشارل: المسيو جورج دى ساكس ليس
ههنا، ولعلك واجده في قهوة ريش في الشارع
المجاور. فضى شارل إلى القهوة وعقد محبة مع
التادل فأخفجه بكأس من الراح وألفظه بلفيفة من تبغ
الزاس وأقبل عليه بمحاذنه في حالة القلقس وأخطار
الحرب الرقبة وأسوار الحرير وسواك القنصل

يقع نظره عليها لأول وهلة. ثم قال مستهتما:

— اسم حضرتك روزموند؟ قالت مغضبة
ليس هذا من شأنك. فقال مبتسما: إذا كنت تأين
أن يجيبى عن سؤالى هذا فسامح الجواب من
حشرة عمتك. قالت: اسمى روزموند. فرنا إليها
بنظرات لينة رقيقة ملوؤها الحب والطرب وقد أذهله
ما هو فيه من اللذة عن مشاهدة ماسينج وجهها إذ
ذاك من حمرة النيط والرجل. ثم قال:

— إذن اعلى يروزموند أنى لست بمطيك
هذه الرسالة. كلا لا تلبسى ولا تطلي جيبك
ولا تظلى أنى من قبيل ذلك الفتى جورج صاحب
الرسالة. ومهما يكن جورج هذا فانه وغد خميس
وكذاب أشرف وما خطابه إلا أنفك وبهتان. سأبحث
عنه فأنتظر نفسى أى أمرى هو، هل يصلح أن يكون
زوجاً لشاك. لا تأوخذنى في فضولى وتطغى على
أسراوك فأنى مدفوع بأقوى عوامل النفس إلى
الاهتمام بشأنك؛ فأنا وجدته كفتوا لك — ولا
إخاله — فسامعته له عن سوء ظنى ثم أحضر حفلة
زفافك بشباب قشية وهدية من الحارنى .. ولكن
هاتفاً يهتف بى من أحماق نفسى أنه وغد خميس
ونذل جيان وأحق فيى. كذلك شعورى وهو
شعور صادق قد ورثته عن أبى. فدمي وتنفيذ
خطي وإمضاء عريقى فأنك إن حاولت منى
فسأذهب توأ لمنتك وأقدم لها الرسالة قائلاً إني
عثرت عليها في الكرمى. فلم يكن من الفتاة إلا
أنها شرعت تبكى وتنحب وعزق مندبها بشتاياها
الجليلة من شدة القهر والنيط والعجز عن الانتقام
فقال لها: لا تؤذى عينيك الجلجلىين بالبكاء فوقك
المدراء فأعطيت إلى إيلامك وإبذاء مواطنك

دعوه والتمس منه ساعة لتبديل ثيابه وتواعدها على القاء في نفس القهوة التي اجتمعا بها . وعاد شارل متطرباً مجلواً متحلياً بطرباً وابتغى عليه نعمة مشوقته مدام جاكيه وبئها وهو بئها . فانتقلا إلى المطعم في سيارة جورج ، وقيل فراحهما من الطعام خبره دى ساكس أنه مستعد أن يقدم إليه كل ماله من الزئبق بأسامره الأسيلة وأدرف قوله « أى ميرشارل ! إنك أحب إلي من أن أربح من وزائك أدنى شيء وبودي ألا أأفرك أبداً . فهل لك في الركوب معي الليلة للزفة فاني أعرف فتاتين لاتأين أن تصحبا فنقضي معهما برهة من الزمن . ففعبا للزفة مع الفتاتين وكاتتا مليحتين ، ثم اقترح شارل أثناء الزفة الذهاب إلى دار الصور المتحركة ولكن دى ساكس هز رأسه نفياً وحس في أذن شارل عند أول فرصة قاتلا :

— لا اقترح أدنى شيء من هذا القبول فاني أعرف فتاتين أخريين أفضل أن نأخذنا إلى دار السينما ، لأنهما ألبين بذلك المكان وأبهر للعيون في الضوء وأمتع لنا في حلقة الظلام . وكذلك ذهبنا إلى دار السينما ووفى دى ساكس بوعده فاستحضر الفتاتين . وتقيب شارل عن مكان عمله المتجد ثلاثة أيام قضاه مع صديقه الزئبق رئيس شركة الزئبق . وفي كل ساعة يقدم له هذا الصديق فتاة جديدة ، وكل ساعة يزداد شغفاً بشارل الذي نسي ليونى وجاكيه وازداد تعلقاً بروزموند . وقد سهل على شارل أن يستكشف السر في ميل الفتات إلى صديقه ، وذلك أن جورج دى ساكس كان ملقاً متهللاً لا تفارق شغفته إقباسمة البشر ولا ينطق في أساور وجهه نود البشاشة مع كثرة اللقي والتلهوق

ثم شرع يستفهم منه عن أسماء اللاعين بالورق ، وكانوا جالسين بناحية من المكان فكان من حمام التادل جورج دى ساكس ، فآذا به كما كان قدصوره شارل في غيخته تماماً — صئير نحيف حسن الهيئة ولكنه ضئيف البنية أصفر الوجه . وقال التادل : إن موسيو جورج هذا على ضعفه ونحوه وصفرته زير لفاء عريق وله على الفتات سلطان عظيم ، فمن يزاغن عليه ويهاغن . إنه غنى .. وخداغ . وانتظر شارل حتى فرغ جورج من اللعب والمصاراة لأنه ميم الحظ في الورق ، حسن البخت في النساء ^(١) . ثم استنداه ووقف به ناحية وقال له :

جئت من ستراسبورج ومازلت أبحث عن صئف جيد من الزئبق الأندلسي ، أرسله هناك ، وإني أعلم أن ليس من اللاتق أن أبتك بطلي هذا في مثل هذا المكان ولكني لا آتي هنا كل يوم وقد . فقال جورج يباشاة التاجر وحفاوة التري للستريد : عفواً ياسيدي ، أنا في خدمة عملائي في كل آن ومكان ، تغفل بالجلوس ، ماذا تشرب ؟ لا بد أن تكون أليفة كروم الراين قد أوحتك ، إني أشرها بلذة . ثم تناقشا ملياً في الزئبق وأسماره ونفقات شحته ونسبة «العمولة» ، وقال شارل إنه سينظر في الأمر ثم يجبره بالنتيجة فيما بعد . وقد أساء شارل وآذاه وآله أنه بدأ يشرب شيء من الليل إلى جورج والاستئناس به واستظرافه ، وأن جورج بدأ كذلك يظهر مثل هذه الماطفة نحوه وقال جورج دى ساكس :

— حيناً لوتشينا البليعماً ، إني أعرف معلماً شهيراً بمجودة دجاجة وحسن نبيذه . فقبل شارل

وردت على مدام ديورم عمة الفتاة روزموند رسالة جئلت قلبها في بينها مهاداً عدة ثم قالت : لا أنهم ما ذا في هذه الرسالة فإن أسرة برادنبور تدعونا إلى الفداء بسد ما نسونا زمناً طويلاً ، وقد دعوا أيضاً القنصل الأتاني وجميع أصحابهم القدام . في أي حلة تنهين إلى المأدبة ياروزموند ؟

قالت مدام برادنبور : ما أشد فرحتي بك ياروزموند ! لم تكوني آخر عهدي بك إلا طفلة ضئيلة . هاك قنصل ألمانيا ياروزموند يذوب شوقاً لرؤيتك ، وهاك موسيو شارل شفارتز . فممس شارل في أذن الفتاة قائلاً :

— سأرد إليك الرسالة متى شئت . فطلت الفتاة شفتها تلك المطة الجلوة الموهودة وعيس تلك العيسة المستملحة وقال شارل : إن الرسالة ليست متى الآن ولكن متى رسالة أخرى من البنى كتب لك الأولى فبدا الغضب على وجه الفتاة . وقالت :

— لا أدري لماذا أنت هنا الآن ؟ ولا يهمني تهديد صبي حلواني أو صبي منجد وضيع . ولكن إذا كنت تحسب أن من الشرف واللزوة أن تدخل في شؤوني وتقاتل رجلاً من الناس لتخليه فترغمه على أن يكتب لي رسالة سفه وخسة وذميمة فأسمح لي أن أخبرك أنك رجل شاذ غريب الأطوار . فقال شارل :

— أقاتل رجلاً ؟ أريدن موسيو جورج دى ساكس ؟ عجباً لك ! إني أعشق الرجل . وهنا تدخل القنصل فجأة فصاح إلى عمة روزموند :

— أي مدام ديورم ! ما رأيك في هذا الفتى (يريد شارل) إن أباه من أغنى تجار الأخشاب في

والاطراء ، وكانت له خيلة إلى أنفاج كل واحدة أنها خيلته ومشوقته دون غيرها . فقال صرة لشارل : إني لا أدخل من النساء ساعة ، وإني لأجدي مدفوعاً إلى منازلهن اندفاعاً إلى الأكل والشرب ، لا أستطيع الامتناع عن الأولى إلا إذا أطقمت الامتناع عن الثانية .

فقال شارل : ولكن ماذا تمنع إذا تزوجت وفر قراك ؟ لحقني جورج في وجه شارل قائلاً : أتزوج ؟ إني متزوج ، ألم تعلم بذلك ؟ لقد مضت زوجتي إلى قرية مونيان لتزور أمها وسأقدمك إليها عند عودتها . وإن لها زمرة من الأتراب الحسان والصواحب الغواني كأهبن الربرب أو سرب الما لايزان يمحمن حول دارنا يرفرفن علينا . فقهقه شارل ضاحكاً ثم أمعن في الشراب فقدم إلى دى ساكس الرسالة التي كان وجدها في الكرسي فقرأها جورج وشرع يمسح جبينه بيده كالذي يحاول أن يذكر شيئاً قد نسيه ثم قال :

لقد نسيت اسمها ولقبها . خبرني كيف حصلت على هذه الرسالة ؟ فأدرك شارل قوة اهتمامه بشأن روزموند وذهوله البتة عن كل ماحدث بينه وبينها . وسأله جورج : ولكن كيف وجدت الرسالة ؟ قال شارل : سأخبرك في وقت آخر ، ولكني أطلب إليك الآن أن تكتب لها رسالة أخرى وتمططي إليها لأوصيها إليها فأرسلها رهاً عقده في مسألة مسلمية ، أتوافق على ذلك ؟ فقال جورج وهو يتربع : ولم لا يصدقني ؟ وسيان عندي أن أقول لها إنها أحب الناس إلى أو أقول لها 'بدا لك وعليك الفداء . هم أمل على ماشاء أيها الأتاني الطريف .

أنه سبب سادتي وعلّة وجودي. فضجكت روموند وقالت: وسأحتفظ أنا كذلك ببلية من اللبس التي يصنع لمبد بنتكوت

ودما شارل إلى حفلة زفافه «البجعة» وليوني والنجدو جاكبيه والكتبي كنزولو وجورج دي ساكس وقدم لكل منهم هدية لائقة، ولما كان ألمانيا فاجراً قادراً على الفهر والحيلة فقد أرضى كل من مدعوه بهمة في أذنه فقتنوا من مودة بوموده، ما عدا الحبة الفتنة جاكبيه البادة الشفراء التي وقتت أن زفافه سيحرمها غرامه. فعمس في أذنها:

— لا تنسى أننا سنقضى معاً أجازة البنتكوت محمد لطفي جمعة

الثابة السوداء وأشهرهم في بلاد الراس وقد أراد أن يصقل ابنه ويسلمه فن التنجيد لضرورة تجارته، ولكن شارل أنف أن يزاول هذه الهمة في وطنه، ولذا قدم إلى هذا البلد فأخفى نفسه في دكانة منجد ستاع، ولكنها مستورة عن الأنظار حيث يأمن ألا يستر عليه أحد. وبينما هو كذلك إذا به قد خرج بشتة من جحره فاقبض على وسألي المونة في مسالة غرامية اعتاداً على ما يبنى وبين أبيه من الصداقة والمودة فغبربى يا مدام ديورم رأيك في الفنى وفيما يرى إليه ويطلع

فبغت على مدام ديورم دلائل الحيرة والارتباك، ولكن مسيو براد نبور رب البيت وصاحب المادية شاهد ماظهر إذذاك على وجه روموند من شواهد السرور والفرح في احمرار وجنتها ووميض عينيها وبريق ثمرها فأخرج مفتاحاً من جيبه وأعطاه لخازن الراح وقال:

— هات لنا أجود ما لديك من السلاف نشره في نخب المروسين

فألت مدام ديورم بشارل جانباً وقالت: أصارحك بأن بائة روز موند وهى حوالة بشرة آلاف فرنك قد فقدت منى — وبطل السمع عينيها — وكانت كل ما تركه شقيق لكريمته فما حيلتي؟

فأخرج شارل من جيبه حوالة باسم روز موند على مصرف سوسيتيه جنرال بأن يوفروا لها بأسمها مبلغ ثلاثين ألف فرنك تقدماً فقلت المجوز:

— سيدى! فقال لها: لقد وجدت البائة في خرق الكرسي المبارك الذي لا يزال عند مملى أرمان موتون وقد آليت على نفسى ألا يصلحه أحد سواي وسأحتفظ به حتى يراه أولادنا فيملوا

مؤلفات

الأستاذ محمد كامل حجاج

٤٠ بلاغة العرب جزءان (مختارات من صفوة

الأدب الفرنسى والانكليزى والألماني والايطالى مع تراجم الشعراء والكتاب)

٢٠ خواطر الخيال وإملاء الوجدان (مترقات في الأدب والنقد والفلسفة والموسيقى والحايوان وه روايتان تمثيلتان)

١٨ نباتات الزينة المشبية (على إحدى وتسعين سورة فنية)

١٥ Les Plantes Herbacées (على بنفس

الصور السابقة)

الكتاب الأول والثاني في جميع المكاتب المنيرة

وكتب الزراعة تطلب من

شركة البزور المصرية بميدان إبراهيم باشا

التكافؤ في الزواج

مترجم من الإنجليزية

بقلم الأستاذ عبد اللطيف النشار

قالت مونا: « إنني أكره الكلام بهذه العبارة فأنتك بها تحاول إغماصني أني مغرورة بالنفي » فقال : « إنك لست بالنفي مغرورة . ولو كنت كذلك لا قبلت الزواج مني . ولكن الواقع أن الأسابيع القليلة الماضية دلت على أن

مهد خطبتنا لن ندوم »

قالت : « إنني أفضل عدم المناقشة في هذا الموضوع . وقد وعدت أبي ببقاءه الليلة في المجلس وقد آكد للوعد وسأقتضه بكل رأي »

قالت ذلك ولكنها لم تتحرك من مكانها ولم يتحرك روى كذلك . وفي كلامها صامتاً مدة من الزمن . وكان هذا الموضوع أهم من أن يمهله أو أن يحاسبه برأى دون ترو . وكانت مونا تشر في أعماق نفسها بأن فيا يقوله روى شيئاً كثيراً من الصدق

ومونا هذه هي وحيدة السير فيليب مارتز ولم تعرف قط مامنى الاحتياج إلى شيء من الأشياء وكانت دائماً مالكة حريتها التامة في قصر أبيها في ويمبلدون . وكان من عادتها أن تسوق عربتها بنفسها وتتبع من الثياب والماعطف مايجوز عند المطالبة بضمنه كل الآباء ، ولكن السير فيليب كان واخر النفي وكان لا يرضى على ابنته بشيء . . .

وكان روى من هواة التمثيل وهو يشغل أوقات فراغه بتأليف روايات للسرور وعيئلهام مع جماعة من أصحابه الهواة . وفي يوم من الأيام احتاج الى سيدة لتمثل دور الأميرة فوقع الاختيار على مونا لأنها بطبيعتها تمثل هذا الدور في غير ما تكلف وقبلت مونا ذلك أولاً لأنها تحب التمثيل ، وثانياً لأن هذه فرصة سانحة لشراء ثياب جديدة . ولما كان

كانت الساعة الثالثة بعد الظهر ولم يبق إلا دقائق على الموعد عند ما التفتت « مونا » من نافذة الشرب الى هي جالسة فيه وهو في البناء المواجه لشار البرلمان وهي تنتظر مجيء « روى »

وكانت « مونا » غطوية « لوى » منذ ستة أشهر وكان الحب متبادلاً بينهما . لكن الخطبة لم تطلن بعد ولم يوافق عليها أهلها إلى الآن . وكان لابد للفئة من إثارة حرب شواء بدارها قبل أن يوافقوا على هذه الخطبة . ولقد نشبت المواقف الأولى ولكن على غير طائل .

وجاء روى في موعده ودار الحديث فقال : « من البت أن تتجادل فاني مع اعتقادي بأنك أنت الفتاة التي خلقت لي فاني أرى كلامنا ينسب إلى دنيا غير التي ينسب إليها الآخر »

قالت مونا : « لست أفهم ما تعنيه » فقال : « إنني رجل فقير أشتغل كاتباً في مصرف ولا يزيد إيرادى على مائة جنيه في العام ، وأنت بنت عضو البرلمان تنفق مثل هذا المبلغ في أقل من أسبوع ، وأنت تلبسين من أغلى الثياب وتقيمين في شارع « بونستريت » ، وأنا ألبس من أرخصها وأقيم في « شارع ستراند » ، وأنت تسافرين في السيارة إلى أبعد المسافات وأنا قد أمشي أحياناً لأنى لا أملك أجرة الإبرام .

اعتاده قبل الزواج . والحقيقة بإسديقي روى أن
مونا بلها وإنك على ما يظهر لست أفضل منها .

اختضب وجه روى احمرراً، ولكن ذلك لم يكن
لاستياءه من أن يخاطب بلفظ أبه بل لأنه لم يكن
يتوقع أن يتكلم أحد من مونا بمثل هذا اللسان
وخرج روى من عنده وهو نائس، ولكن مونا
نفسها أهضت الموقف، فقد قالت لأنها وتلك ألفت
السير فيليب أنها راضية في الزواج من روى وأنها هي
التي اختارته، وأن أيها إذا اعترض على ذلك فأنها لن
تصغح عنه، فقير السير فيليب خجلته وقال لابنته :
« إذا كانت سعادتك مرتبطة بمحض هذا الشاب
فاني وأمك نكف عن ممارستنا، فانا نريد أن تكوني
سعيدة . ولك الحق في أن تختاري لنفسك، ولكني
أريد أمراً واحداً إذا وعدتني به تركت للماض،
وهو أن يمتنع الكلام بتأنا عن أمر الزواج مدة عام
وفي العام القبل تزوجين »

وكان في لهجة النائبدة لم تستطع الفتاة فهمها،
فقطعت على نفسها العهد الذي طلبه . ولم تكن مونا
متعجبة بالزواج اكتفاء بأنها غطوبة خطيبة علية
لروي وأنها تذهب معه إلى كل مكان مبكرة أو
متأخرة وهي تمد شريكته في كل مجتمع

ولما اجتمع السير فيليب وزوجه لأول مرة
بعد ذلك أشعل السير سيجارة وقال وهو يراقب
دخانها : « لو أننا عارضنا هذين الأبلهين فأنهما يظنان
نفسهما من الشهداء . ومن المحتمل أن يتزوجا على
الزغم منا . ولذلك وجب علينا أن نأخذهما بالحيلة
وأنا واثق من أن كلا منهما سيميل من الآخر قبل
انقضاء ستة أشهر . إن مونا لا تحب إلا الأشياء
النالية الثمينة وهذا الخاطب الفقير لا يستطيع أن يفي

روى من أبعد الناس عن الثأني في الثياب فانه مثل
دور سائق سيارة للأمية .

وكانت الرواية تجعل هذه الأميرة تتلهج بحب
هذا السائق، فلم تكتف مونا بحبه على السرح فقط
بل أحبته في الحياة الحقيقية، فأحبها روى كذلك،
وتبادلا اليهود والمواثيق وشعر كل منهما بأنه
لايستطيع الحياة دون الآخر . وكأنا يتقابلان دائماً
ويقرآن كتباً متوافقة ويفكران تفكيراً مشتركاً
ويستشفان نفساً واحداً . وفي الحفلات الراقصة
يرقصان معاً . ومايكاد يعنى يوم واحد لا يتقابلان فيه
ولما ذهب روى إلى السير فيليب ليمرض عليه
تروجه من ابنته تلقاه بالضحك والبشاشة لأن عهد
الكبرياء والنظرسة في حياة هذا النائب قد أهضى
منذ ستين .

قدم اليه النائب لفافة تينغ وقال : « إنني لأعجب
من حبك لمونا فهي جميلة، ولكني بغض النظر عن
موافقتي أو عدم موافقتي باعتباري أيأ فلا أشير
عليك إذا عدتني صديقاً بأن تزوج منها، فان الزوج
الذي يستريح الى حياته معها هو الذي يتفق عليها
أربعة أو خمسة آلاف جنيه في العام .

هبط قلب روى « بنطين أو ثلاثة » على حد
تمبير سماسرة البورصة وأدرك أن السير فيليب لم
يقبل إلا الحقيقة، ولكنه أجاب : « إن مونا تعرف
أن فقير ولكنها لم تمر هذه المسألة شيئاً من
الانتفات »

فقال للنائب : إن مونا كالأدوزة، فهي لا تعرف
معنى الافتقار الى المال، وهي لا تعرف كيف تطبخ
الحساء وأرى أن الزوج الذي يناسها هو الذي
يستطيع أن يجعلها تبتسئ على نفس النظام الذي

روى بالثيرة . ولم يكن هذا الشمر خالياً من اللبررات فان مونا كانت تدعى دائماً أن لها حرية التصرف في كل شيء . وكانت تقول : « ليس معنى خطبتنا أن نهبز كل أسدقائنا القداماء . وفضلاً عن ذلك فان هانسون يختلف من غيره وقد كان يبرفنى من عهد الطفولة »

وكان « هانسون ميدواى » أكبر من روى بشتر سنوات وهو من أغنى التجار ، ولا أحد لاستمداده في تذيير الأموال وهو يقدم لونا من الهدايا مائس يملك ثمنه روى ، وكان يهزأ بفقر صاحبه هذا

كانت صداقتها له امتحاناً مؤلماً لروى ولكنه لم يكن يجد سبباً حقيقياً للشكوى لأن مونا لا تستر بشيء في العالم مثل امتزازها بالصدق والأمانة . وكانت تقول له : « يجب ألا تهتم بشيء فان هانسون ليس له مكانة في قلبي ولكنى أسر من الخروج معه لجرد القو والتسلية .

ولكن روى كان شديد التذمر فلما ألح في مراجعتها قالت : « إذا أردت فسح الخطبة فان الأمر كله في يدك »

ولم تكن تمنى ما تقول ولكنها أرادت إظهاره طامعاً مهيئاً فلم يستطع تناوله وامتنت شهوته للطعام وقال بلهجة تدل على الغضب أكثر من دلالتها على الود : « إننى لا أريد أن أفسخ الخطبة ولكنى أريد أن أتزوج منك ، غير أن السعادة لا يمكن أن تكون على هذا النوال »

قالت : « ماذا تريد أن أفضل ؟ أجلس على المقاعد الخشبية في أعلى للسرح لكى أقنصك بأنى أميل إليك ؟ »

عطالها . ولذلك انتظر أن يتشاجرا في أقرب الأوقات »

لم تبه زوجته ووضعت مروحتها بين وجهها وبين الصباغ : إما لكى تستر ما يبدو على عينيها من اللام ، وإما لكى تحمى عينيها من الضوء

وكانت تقول في نفسها : « هل يجوز للتقدمين في السن استخدام تجاريمهم بمثل هذه الوسيلة ؟ لكنه ربما كان فيليب محقاً وربما تشاجرت مونا وروى . ولكنى أفضل أن ترسو سفينتهما عند الشاطئ في أماكن من الخطر بقاها في وسط البحر مدة طويلة .

وصرت الأيام وانتشع أن رأى السير فيليب كان رأياً سديداً

جلست مونا وروى أمام المنضدة التى يتناولان عليها الشاى وكلاهما يتجنب النظر إلى وجه الآخر . ولكن هذا التجنب كان خطأ منهما فلأنه نظر إليها لأدرك أن المموج تتجمع في عينيها بالرغم من دلائه صوتها على الغضب . ولو أنها نظرت إليه لراأت رغم غيرة وثقله أنه لا يزال يحبها ، ولا يزال هذا الحب ماسكاً كل قلبه

لكن المصائب التى وجبت أمامهما كانت أشد مما يتوقن ، فإذا ما ذهبوا إلى المسرح لم تسترح مونا إلى العربة لأنها اعتادت ركوب السيارات النخمة ، ولم يسترح كذلك روى لأنه يفضل السير على قدميه أو ركوب « الامتوبيس » . وكانت مونا تحب الملاهى وتمتدأ أهم شغل لها في الحياة فهي المدرسة الوحيدة التى تتعلم فيها ؛ أما روى فانه يمد الملاهى تسلية مؤقتة لتخفيف من أعباء العمل اليومي وكانت هناك علة أخرى للمتاعب هي شعور

في هذا الشرب على هذه النضدة في الساعة الرابعة من يوم ٢٣ ابريل من العام المقبل فاذا لم تأت فاني أعرف ما ذا تننيه بتخلفك »

ثم أحست رأسها أمامه بشكل كتمت فيه عواطفها وجبرحت عواطفه وقالت : « وداعاً بالنسبة للحاضر »

ولقد يظن القارئ أن مدة عام لا تحدث أي تغيير ...

— ٢ —

في شهر ابريل التالي كان روى جالساً في الفندق عند شاطئ البحر والأمواج الهائجة تتحطم على الصخور تحت نوافذ هذا الفندق، وجاء الخادم يستأذنه في احضار الشاي فأمره باحضاره وسأله هل وردت باسمه خطابات !

فأجلب بأن له خطاباً في غرفته ثم ذهب ليأتي به وعاد ، فلما وقع نظر روى عليه عربة رعشة لأن عنوانه بخط مونا وكانت هذه أول مرة رأي فيها خطها منذ عام .

ولقد حدث في هذا العام من الحوادث فوق ما كان ينتظره حين اقترح هذا الاقتراح بمشرب الشاي أمام البرلمان .

على أثر المقابلة الأخيرة نُقل روى إلى فرخ جديد صغير أنشئ « لبنك في بعض النواحي . وكان عدد زملائه في هذا الفرع قليلاً . وفي أحد الأيام صادف أن وجد روى وحيداً في ذلك المكان فدخل عليه رجلان مقننان يحمل أحدهما مسدساً .

ولقد أرادوا ضموا الروايات السينائية أن يجلسوا من يقع في مثل هذه الحالة من التهديد . يرفع يديه مستسلماً لأن أكثرنا يفضل ذلك في مثل هذه الحالة .

فسكت روى وقالت : « إذا لم يكن لديك مال تستطيع إنفاقه فهذه ليست غلطى فان غيرك يستطيع بسهولة أن يحصل على ثروة »

كان هذا الجواب قاسياً ولكنه لم يستثر روى فأجابه بهدوء : « إن بعض الناس يحصلون على الثروة بسهولة ولكنني لست واحداً منهم ، والأفضل يامونا أن نفترق مدة عام ليفكر كلانا في الأمر بوية » فقالت : « كما تشاء »

وكان جوابها بغير تردد ، ولو أنها شعرت بأن حرارة قلبها تهبط إلى درجة الصفر . وقال : « إنني أعرف على أية حال ستكون مشاعري عند انتهاء هذا العام ، فاني سأظل راغباً في الزواج منك ، ولكن ربما استطعت أن أحصل على شيء من المال فتكون حياتنا أقرب إلى السعادة منها الآن »

ثم أطرق ، ولو أنه استطاع قراءة أفكاره في هذا الحين لوجد أنها تريد أن تقول : « لا حاجة إلى الافتراق يا روى فاني لا أريد أن أكون قاسية » لكن الكلمات التالية جعلت التوفيق مستحيلاً إذ قال : « إذا كنت لاتزالين تميلين إلي فربما كانت فتنة هانسون ميدواي غير قابلة للقاومة »

فأخذت الفتاة قفازيها وقالت وهي تقول : « أريد مقابلة أبي الآن ، فاذا سمحت فاني أريد أن أدفع لنفسى ثمن الشاي »

فقال وقد احمر وجهه : « لا أظنك تريدین أن تمثلي شيئاً كهذا . ألا تريدین مقابلة مرة أخرى » فأجابته : « نعم بعد عام من اللند » فتبين طول المسافة وقال : « ألا يكون ثلاثة أشهر ؟ »

فالت : « كلا فأنت اقترحت جعل اللدة عاماً وهذه فكرة صائبة . لا تنس هذا للوعد فاسألتك

ولكن ذلك كان مستحيلاً بالنسبة لروى فإنه لم يظهر شيئاً من الأتراج بل نظر الى ماوراء الذى يهدده وقال : « قيد يديه بإضابط البوليس . أسرع باعتقاله »

« عزيزى روى

لقد سررت عندما علمت بخبر عودتك، ولكن الوعد الذى اتفقنا عليه منذ عام يصبح ألا ينظر إليه نظرة جدية ؛ فان أسررت فانى سأحافظ عليه وإن كنت أفضل المكس. وإننى أنعمى لك كل خير
المختصة : مرنا

تأوه روى تأوه الألم، وكان فى حياته المأساة قد اعتاد مقابلة الآلام منتظرة أو غير منتظرة فلم يجد مفاجأة أشد على نفسه من هذا الخطاب . وقد كان وقياً لمونا بالقول وبالفضل منذ اقترعا، وكان يعتقد أنها أيضاً وقيّة له. وهاهى ذى لمجة خطابه تدل على السأم، فعى بلا شك استعاضت عنه برجل آخر . ولكن هل فى ذلك ما يدعو إلى الهشة ؟ إن العالم قد تقدم وضار فى الامكان أن ينسى الرء من يحبه وأن يجب سواء بأسرع مما يستطيع وضع حذاء وتزع حذاء .
وجلس إلى المائدة فكتب :

« عزيزى مونا :

إننى آسف على انتهاء قصتنا على هذا الشكل ، ولكنى لا ألومك فلك مطلق الحرية - وأعنى لك حسن الحظ

المختص : روى

— ٣ —

لم يكتب بكتابة الخطاب وإرساله على هذا الشكل . ولكنه عزم على أن يتنهد من المدينة فى يوم ٢٣ إبريل حتى لا تضيق إرادته فيذهب فى الموعد . ولما كان اليوم قريباً فقد حصل من رئيسه

ولكن ذلك كان مستحيلاً بالنسبة لروى فإنه لم يظهر شيئاً من الأتراج بل نظر الى ماوراء الذى يهدده وقال : « قيد يديه بإضابط البوليس . أسرع باعتقاله »
فالتفت المعتدى إلى الوراء ، وفى أقل من لح البصر ضربه روى على ظهر رأسه قبضة للشفة التى على مكتبه فلاذ زميله بالفرار وتبعه الآخر ، فطارده روى وتمكن من القبض عليهما ودلا على سائر أفراد العصابة .

وكافأ المصرف روى على « ذكائه وحضور ذهنه » بجعله رئيساً آخر وزيادة راتبه مائة جنيه. ولكن روى بدلا من أن يشكر رئيسه على ذلك ويذهب أظهر عدم اهتمامه . وكان موجوداً بجانب الرئيس صديق له من تجار اللباس فاستأذن الرئيس وعرض على روى أن يخدمه به براتب قدره ٧٠٠٠ جنيه فى العام . وقال إن المهمة التى يراد من أجلها تستدعى سفره الى أمريكا بالجواهر وأن حياته قد تعرض للخطر فى بعض الاسفار . وقال رئيس للمصرف لروى إنه لا ينصح له بقبول هذه الخدمة . ولكن روى قبلها بشير تردد . وفى الاسبوع التالى كان فى الطريق الى أمريكا .

ولما انتهت مهمته فى الولايات المتحدة تلقى برقية بالذهاب إلى جنوب أمريكا . وما كاد ينتهى إليها حتى أرسل إلى جزر المحيط الهادى . وها هو ذا الآن يعود إلى انكلترا وقد زيد أجره إلى ألف جنيه فى العام مع أنه لم يمس عليه غير عام واحد .

وجلس روى ناظراً إلى البحر وفى يده خطاب مونا . وكانت الأسفار الطويلة قد شحنت من عزمته وقوت إرادته . واكتسب صوته لمجة الأسر

وكان قد بقي شيء قليل على حلول الساعة الرابعة
ففق الجرس ليدفع الحساب . وجاءت خادمة الشرب
ولتفت اليها روى فانما هي مونا . . .

وهكذا تقابلا في نفس اللومع ولكن عن
غير قصد .

قال : « مونا ! ماذا حدث في البالم حتى
أصبحت خادمة مشرب ؟ »

قالت : « أشكر لك المني في موعدهك . ولقد
قدمت لك ولصديقك الشاي منذ ساعة ، وكنت
أظن أنك ستصرف دون أن تعرفني »

وأراد أن يبق عليها السؤال مرة أخرى لتجيبه
عن سبب مجيئها إلى هنا ، فدخل « زيون » آخر
واضطروا روى إلى الصمت على أمل أن تمود الفتاة إليه
ولكنه تبين أنها لا تريد أن تمود وأنها خادمة
حقاً في هذا المكان . وسمم على معرفة الحقيقة
فذهب إلى أمين الخزنة ودفع النقود وسأل متى
ينلق للشرب فقيل له في الساعة السابعة .

وخرج فجلس في مكان آخر راقب منه الباب
وهو يقول إن مونا ستكون لي الآن أولاً تكون
لي أبداً الدهر .

وأخيراً أغلق الباب وخرج بعض الخادومات .
ولكن مونا لم تخرج فقال في نفسه وهو يبتسم : لعلها
تأخرت توقفاً منها أن أكون في انتظارها »

ثم خرجت فقابلها وقال : « لا بد لي من
التحدث معك يدمونا فما معنى هذا ؟ »

ف نظرت إليه طويلاً وقالت : « ليس عندي
ما أقوله . لقد كتبت لك بأن أفضل عدم مجيئك

على أجازة قدرها أسبوعان . وذهب إلى الريف محاولاً
نسيان المدينة ومن فيها

وفي يوم ٢٣ إبريل وصلت إليه برقية يدعو
فيها رئيسه إلى الحضور لأمر هام فسافر إلى لوندرا
ووجد رئيسه في انتظاره بالمطبة . ومضى معه
الرئيس في الطريق قائلاً إنه يريد مخاطبته في شأن
هام . ولم يزل يسير به حتى وصلا إلى نفس الشرب
المهود أمام البرلمان . وكانت الساعة الثالثة إذ ذاك
وهذه مصادفة من المصادفات التي تقع في الحياة
الحقيقية أكثر من وقوعها في القصص .

جلس روى في هذا الفندق وهو يقول إنه
لا ضرر في ذلك فإن مونا لن تأتي . ولكنه مع
تأكيد نفسه بأنها لن تأتي فقد كان في أعماق
قلبه يمتنى مجيئها . وكان يمتنى لو يمكن التوفيق لأنه
قددها بسبب الثيرة . ولم يكن بينهما وبينه منازعات .
وكان يتساءل : أي الناس هو الذي حبت قلبها بمد
روى ؟ هل هو هانسون ميدواي ؟

وعندما خطر اسمه ياله قلب حاجبيه ولدهه
الشعور بالثيرة مرة أخرى . ولم يسطه جليسه
السير جون فرصة طويلة للتفكير فانه كان في هذه
الآنثناء يشرح له المشروع الجديد وهو أن يعمل عمله
في إدارة العمل بلوندرا لأنه سيسافر إلى الخارج
رعاية لصحة زوجته ، وقد تكون إقامته في الخارج
دائمة . ثم أخرج السير جون ساعته فجاء وقال إنه
سيغيب الآن قليلاً لاضطراره إلى مقابلة وزير
المستعمرات .

ومضى تاركاً روى وحده على نفس النضدة .

ولكن لا أعرف ماذا جعلك تأتي «
وأصر على أن تروي له قصتها فقالت إن أبيها
أنفلس وترك مجلس النواب لأن هانسون كان نصاباً
وجره إلى خسائر مالية نشأ عنها الإفلاس ثم تركه .
وكان روى بسفي وهو متأثر ثم قال : هل أنت
مخطوبة يا مونا ؟
فقالت : « لا »
قال : « إذن فلنبداً عهداً من جديد »
فقالت : « كلا ! لقد طلبت اليك عدم الجهد »
حتى لا تستثير الذاكرة المؤلمة . واني لمرورة من
مركزى الحاضر وان كان الأجبر فيه قليلا »
فلم يبالك نفسه من الانقسام لأن مونا المتأثرة
المرهقة ليست هي التي تعيش معيشة الخادمة مسرورة

راضية وقال : « كل ما فات قد مات . وستزوج
بأسرع ما تستطيعين فإن تحبين أن نسكن ؟ لقد
أصبحت الآن في حالة حسنة
قالت : « مستحيل يا روى فاني لما كنت غنية
وكنت أنت لا تملك شيئاً بلغ من حماقتي أنني ...
ثم سكنت وأذرفت من حينها الموع
وبدأت البكاء تحطروء ثم اشتد البكاء على حين فجأة
فاستدعى سيارة وطلب إليها أن تركب فقالت :
« إلى أين ؟ أنت لا تعرف أين أقيم »
وركبت وأسرت السيارة فقال روى على سؤالها:
« ليس هنا مهماً فقد أصرت السائق بأن يستمردون
أن يقف حتى أحصل منك على وعد بالزواج »
عبد اللطيف النشار

الطائرة

أسرع وألطف وسيلة للسفر من مصر إلى العراق
وبالعكس

عن طريق فلسطين

سافروا بالسلامة على طائرات

(شركة مصر للطيران)

خصم ١٠ ٪ على تذكرة الاياب دائماً

الاستعلامات وحجز التذاكر من أي مكتب سياحة أو من مركز الشركة بالمناظرة

عزة حيناً تمر ببيوت الزرود الصلدة
والأعلام الفزقة التي يتكون منها
أبكت هذا القصر الذي بنى في عهد
الاقطاميات .

وعلى حين غفلة سمع وقع أقدام
سريمة على السلم وكأنه يرتد ، ثم

فتح الباب بنصف وظهر جتبار رئيس اصطبلات
البارون والزعبد باد على وجهه وهروا إلى منضدة
سيده وهو يصيح :

— سيدى سيدى إن شيطاناً فى الاصطبل .
— مامنى هذا الجنون ؟ ثم وقف البارون واستاء
من هذه المقاطعة .

— إتنى أكون فى حل من مقابلة غضبك إن كنت
أقول غير الحق ، وإن أبوليون . . .

ثم سكت لحظة
— تكلم أيها الأحمق فإن الزعبد قد أقفدك صوابك !
هل أصاب جوادى مرض أو وقع له حادث ؟
وكل ما استطاع أن يتفوه به أن كرر (أبوليون) !
— وإذا كان (أبوليون) موجوداً فلا داعى لكل
هذا الفزع

— إن الشيطان بجانب أبوليون
— يالك من مثوة . ما الذى ذهب بمجناك . إن
رجلاً مثلك ولدوا ليقوموا بمخدمتنا يجب عليهم أن
يتقبلوا على كل صعوبة . ثم قام واتجه إلى الاصطبلات
وكانت فى الطرف الأخير من القصر وبها خمسون
جواداً لسباق من كرام الخيل مربوطة على سفن
وبجانب كل جواد أسلحة الهجوم والقتال بحالة
جيدة . دخل البارون وخلفه خادمان وهو دهش
من هذه الاستغاثة الثرية وسار بين سقى الخيل إلى
(٤)

النار المقدسة

للكائنات الأخرى ولأنه يكون
بقلم الأستاذ محمد كاظم الخراساني

ولو أنت بارون أنت أرنهم كانوا يهتمون أباً
عن جد بالسلام الروحية إلا أنهم كباقي النبلاء
الأثمان حريون مولون بالصيد . تلك الصفات
كانت ممثلة فى البارون هرمن دارنهم جد آن
دوجيرستين لأنها ومن كان يفخر بأنه يملك أغنى
الاصطبلات وأكرم جواد لسباق فى ألمانيا ، وإلى
أترك وصفه وأكتفى بالقول بأنه أسود كالسبع
(حجر كريم أسود) وليس به شعرة واحدة بيضاء
لا فى وجهه ولا فى أرجله . ولهذا السبب ولكونه
حاد الطبع أتهام صاحبه (أبوليون) هذا مما زاد
الاشاعة القائمة عن ديت أرنهم تأكيداً لأن البارون
أطلق اسم أحد الشياطين على جواده .

وفى ذات يوم من نوفمبر ذهب البارون إلى
الناية ليصطاد ولم يرجع إلا عند ما خيم الظلام ولم
يجد شيئاً جديداً فى القصر أو زائراً غريباً . لأن
البارونات ما كانوا يقابلون فى قصورهم غير من
يتوسمون فيه العلم والمعرفة ليزيدوا معلوماتهم .

كان البارون جالساً وحده فى بهوه ويسده
كتاب لا يستطيع هو أو غيره أن يقرأ حروفه ،
وكانت يده الأخرى متكئة على مائدة من الرخام
وعليها زجاجة من نبيذ توكي ، وفى آخر هذه الغرفة
يرى حاجب واقفاً وقفة احترام ، وقد ساد السكون
ولم يسمع غير زفيف زياح الليل كأنها تنن بنفمة

شاهدوا زيه الغريب كثيراً مثل ما فزع منه جسابر حينما رآه في الاصطبل دون أن يعلم من أين دخل .
وحينما أدخله البارون إلى البهو وتلقاه بترحاب واحترام . وقد لاحظ في ضوء المشاعل أنه رجل طويل القامة يلبس ثياباً أسبوية أى قفطاناً أسود كالذى يلبسه الأرمن وقلنسوة مرصبة عليها عمامة سوداء من صوف اسطراخان ، وكانت ملابسه جميعها سوداء ، وقد تدلت على صدره لحية بيضاء فزادت وضوحاً وسط هذا السواد ، وبوسطه حزام من حرير أسود علق به خنجرًا وسيفًا قصيرًا مقوسًا في غمد من الفضة ، وكان متعلجًا بمخاطم من الياقوت كبير الحجم تتلألأ منه أشعة لطيفة . ثم قدم له البارون الحلوى والمربطات فقال له :

— لا أستطيع أن أكر لقمعة أو أضع قطعة من الماء فوق شفتي إلا بعد حضور التمتع أمام بابك .
ثم أمر البارون بإيقاد المصابيح وزيادة عدد للمشاعل ثم قال لجميع رجاله : إذهبوا لتسترجموا .
ولبت وحده مع الغريب .

وفي منتصف الليل ترعزت أبواب القصر ، وسمع لها صوت كصوت الأصاير الموحج ، وسمع صائح يقول : أسلموا إلى أسيرى دانيشمند بن علي . ثم سمع بواب القصر صوت نافذة فتفتح وعرف صوت سيده وهو يخاطب الصائح النذير وكان الليل حالكا فلم يستطع أن يميز أحد التكميين ، وكان الحديث بينهما بلغة غير مفهومة .

وبعد نحس دقائق استأنف الصائح حديثه باللفة الألمانية قائلا :
— إذن أوجل تنفيذ حتى سنة . ووبما بشرط أن أفتد الواجب وألا ترفض بعد ذلك أو تمارض في تنفيذه .

ومن هذا اليوم استقر الفارسي في قصر أرهم

أن اقترب من جواده المفضل الذى كان في طرف الاصطبل فلم يسهل الجواد ولم يحرك رأسه ولم يضرب برجليه كما دته حينما كان يبير عن فرجه بمقدم سيده ، بل اكتفى بالآتين كأنه يستنبت بسيده . رفع هرمن مشعله ، فوجد رجلا كبيرا متكئا بيده على كتف الجواد

— من أنت ؟ وماذا تصنع هنا ؟
— أبحث عن ملجأ وضيفة ، أنوسل إليك يكف جوادك وفرند سيفك ، جعلهما الله لك عوناً على التشدائد !

— إنك إذن من إخوان النار المقدسة ، ولا أستطيع أن أرفض طلبك احتراماً لذهب السحرة القنسى . إنك تطلب حمايتي خوفاً منى ، ولاية مدة ؟
— خوفاً من الدين سيبحثون عني هنا قبل صباح الديك ، لمدة سنة ويوم تبدأ من هذه الساعة .

إن قسمي وشرقي لا يسمعان لى بالرفض ، وسأجيبك ، وسيكون قصرى مأواك وستجلس إلى مائدتي وتشرّب نبيذى ، كما أنك يجب عليك أن تحترم أوامر زرادشت إذ قال : « فليعلم القوى الضعيف » كما قال أيضاً : « فليعلم الحكيم من هو أقل منه علماً » .

إننى القوى وستكون في حماي ، وأنت الحكيم ويجب عليك أن تعلم الأسرار الخفية

— أريد أن تظهر على حساب خادمك ، وإذا كان دانيشمند يرف شيئاً يفيد هرمن فإن تملياه تكون كتمليم الوالد لولده

— أخرج إذن من مخبئك ، وإلى أقسم بالنار المقدسة التى تيمى بدون إسماد أرضى وبالأخاء الذى يسود بيتنا ، وكنت جوادى ، وفرند سبى لأخيكنا هنا ووبما بقدر ما تسمح به سلطاني .

خرج الغريب من الاصطبل ولم يدهش الدين

إلا لتلميعك فانك ستعبر مع سيفك وفرسك
وتكون آخر سلافة بيتك من المذكور، وستحدث
لك مصائب أخرى لأن هذا الزواج لا ينتج منه
نتيجة سديدة.

— سه فاتهم راقبونا .

ولما أتم دانيشمنده إقامته في القصر خرج منه
راكبا جوادا كالسباح وودعه البارون والأسف
ملء فؤاده، فطمأنه الحكيم وقال له بصوت منخفض
سمع منه هذه الجملة :

— ستكون على مقربة منك وقت ظهور أشعة
الشمس الأولى فاعطف عليها ولكن لا تورد
في عطفك .

ثم سافر بعد هذه الكلمات، ولم ير بعد هذا
اليوم، ولم يتحدث عنه أحد في ضواحي القصر.

وخلافا لمادة جلس في البهو الكبير ولم يدخل
المكتبة ولا العمل الذي حصره المجتمع فيه
بمصاحبة أستاذه . وبعد ما فصل وجهه وأصلح من
هندامه انتظر إلى أن ظهرت أشعة الشمس ودخل
معمله وخلفه أحد الخدم فوقف على الباب لحظة
وفكر في صرف خادمه، وتردد في فتح الباب ثم
صمم على الدخول كمن ينتظر أن يرى شيئا غريبا .
وحينما دخل وخلفه وراءه دهش من المفاجأة
الغريبة التي واجهها بشيء من الدهر لأنها وإن
كانت عجيبة ولكنها محبوبة لمر الناظرين .

لم ير البارون الصباح الفضي على قاعدته بل
شاهد مكانه عادة فتاة صرندية حلة فارسية قرصية
اللون جلوسه الرأس كستانية الشعر وقد عقدته
بشريط أزرق وثبتته بأعلى جبينها بمشبك ذهبي
يزينه فصن عيّن من عين (١) الشمس للتلميع
الألوان وكان يمسك بين أوتاهلونا أحمر كالنار .

ولم يتدبأ به، وقد ركز لوجه وعمله في مكتبة القصر
ومعمل البارون الذي يشغل منه فيه عدة ساعات
متتالية .

لم يجد سكان القصر في سيرة الساحر الفارسي
نبأ يلام عليه ولكنهم لاحظوا أنه لم يجر بشيء
من شوائبه الدينية كما أنه لم يحضر أية حفلة دينية .
وفضلا عن ذلك كان دانيشمنده مواظبا على صلاته
الفردية وقد صنع مصباحا من الفضة بشكل بدیع
ووضعه على مامود صغير من الرمرمر وقش على قاعدته
سطورا أشبه بالهيروغليفي، ولم يعلم أحد إلا البارون
بأى مادة كان يندي هذا المصباح لأن لجه كان
تقيا جدا يفوق أنواع القرب المروفة بعد الشمس .

وقد لاحظوا على الغريب أنه في غاية الحشمة
والشدّة، كثير الصوم والصمت لا يحدث إلا البارون
عند الضرورة، كان كريما لا يوزنه المال فذلك
احترمه الخدم دون خوف .

أعقب الربيع الشتاء وأتى ببلده الصيف فتفتحت
أزهاره ثم أقبل الخريف بثاره فضنبت وتماطلت
وكان بالعمل حاجب يساعد البارون عند الحاجة
إليه وقد سمع الفارسي يقول للبارون :

— يمحسن يابن أن تعني إلى أقوال لأن
الدروس التي ألقيتها عليك تنتهي الآن، ولا سلطة
فوق الأرض تستطيع أن تؤخر طويلا ما قدر على .
— وا أسفاه يا أستاذي ! أيجوز أن أحرم
دروسك حينما أحتاج إليك لتضمني فوق ذروة
معبد الحكمة !

— لانياس يا ولدي فستقوم أبني بأعمال
دراستك حتى تبلغ الثمانية، وستحضر هنا لهذا
الغرض . ولكن تذكر جيدا أنك إذا أردت أن
تخلد اسمك وجب عليك أن تحفظها عندك كمساعدة
لتلميعك . وإن كان جالها ينسبك أنها ما خصصت

(١) جبر كرم يسمى بالفرنسية Opale

عليها الناس اسم الحساء الفارسية . فكانت الكونتيس ولستيقن لا تفارق البارون حينما يتلقى دروسه من هذه الفتاة التي حلت محل الساحر الشيخ، فكان يدرس معها في المكتبة أو في المعمل. وكانت أعمالها غريبة جداً، كانت ترحب بها بعض الأحيان البارون، وكانت المللة لا تقبل مطلقاً أن تعمل شيئاً محرماً بل كان عليها لا يتعدى الحلال للشروع. كان أسقف بمرج يد حكيماً عظيماً في مثل هذه المواد فزار قصر أرنهم ذات يوم ليقيم على مبالغ ماوصل اليه علم الفتاة هرميون التي ذاع صيتها في جميع البلاد التي يرونها الزين . وحينما دارت بينهما المناقشة تحقق من تبحرها في علوم الدين وقال إنها دكتور في التوحيد تلبس ثياب راقصة شرقية، وإنه كان يعتقد أن ما قيل في شأن هذه الفتاة مبالغ فيه فتعقّق أنه لا يبالغ نصف حقيقة فعلها .

وهذه الشهادة التي لا يبرح قد وضعت حداً للإشاعات السيئة التي دارت حول الحساء الأجنبية حتى حازت أخيراً عطف الجميع . وقد حصل تطور جديد في مقابلات المللة وتليدها فكانت دائماً يتحفظ واحتياطي ولم تقتصر على المكتبة والمعمل . فكانا ينشدان الوو والتسلية في الحدائق والصيد في البر والبحر ويحييان الليل في الرقص .

كانت هذه الفتاة حلوة الشاكل فتاة شائقة الحديث حادة الذكاء في منتهي اللطف والوداعة والكرم، وقد وزعت على صديقاتها كثيراً من الحلى كانت بارعة في الرقص لغتها ومهارتها فلا يعترها أى تعب مهما طال الرقص حتى أن أشهر الراقصين لا يستطيع أن يجارها .

وحيثما كانت تجدها نفسها في الرقص أو الرياضة ويثور دغداها كانوا يزعمون أن فصح عين الشمس

كانت هذه الفتاة متوسطة القامة ممشوقة القيد باعتدال وجمال ورشاقة، تلبس سراويل فضفاضة ربطت أطرافها في كسبها، صغيرة الرجلين، وترى تحت طيات ثوبها ذراعان ويدان آتية في الجمال والانسجام، وكانت سحنتها تدل على النشاط وقوة التعبير وحدة الذكاء، ولها عينان سوداوان يملوهما حجابان انتظم قوساهما وتزججت أطرافهما، وفم صغير وشفتان قرمزيان علامهما الابتسام الخفيف كأنهما توشكان أن تتلفظا بالقول .

ويظن لأول وهلة أن الكرسي الذي كانت واقفة فوقه لا يستطيع أن يحمل حملاً جسدياً ولكنها كانت عليه في غاية الطمأنينة والخفة كمصفور حطم من الجو على فروع وردة . وحينما دخلت أشعة الشمس الأولى من النافذة المواجهة لهذا الكرسي زادت هذا التمثال الحلى بهاء وجمالاً، وكانت ساكنة كالمرمر، ولم تظهر أنها لمحت حضور البارون إلا بسرعة تنفسها واحمرار خديها وابتسامها الساحر الهادئ .

لم يكن البارون يتوقع أن يصادف مثل هذا الجمال الفتان فانهبر عند مشاهدتها ولبث لحظة ساكن الحركة، وأراد أن يحسن مقابلة زائرة فتقدم إليها بإسقاط ذراعيه ليساعدها على النزول ولكنها لم تقبل منه غير مساعدة يده وقفزت بكل خفة على الأرض كأنها من الكائنات الجوية ثم قالت :

— لقد بحثت طويلاً للأرض الذي تلقينته ويجب أن تثق أنك ستجد مني مملكة جادة، وأمل أن أرى فيك التليذ الجهد التيقظ .

وبعد حضور هذه النافذة الفتاة حصل تنوير عظيم في قصر أرنهم . قبلت إحدى السيدات وهي ابنة كونت من أقارب البارون أخنى عليها الدهر أن تشرف على خدام القصر، وتليد الشبهة التي يلصقها به الناس من وجود هذه الفتاة التي أطلق

ولمستين تصدر منها إشارات قلق وحيرة، ولما انتفضت الجماعة من حوله اقتربت منه وقالت له :
كن بصيراً ولا تعمل شيئاً فيه مجازفة، واعلم أن فص
عين الشمس فيه سر عظيم غريب .

— هل أنت أيضاً حقا ؟

وفي هذه الآونة دخلت البارونة ووجهها شاحب
من النفاس فسلمت على الدعوين ثم أقبلت البارون ورجا
منها أن تدعو الحضور للذهاب إلى الكنيسة وكان
الصبي محملاً على حفة فاخرة تحملها أربع فتيات .

ولما دخل البارون الكنيسة غمس أسببه في ماء
المعمودية ودهن جبين البارونة وأراد أن يفند اقترانه
البارونة ستيفيلد بطريقة غير طاهرة فأسقط نقطة
من أسببه على الفص فأنفجر منه لهب متوهج

كالشهب الساقطة وقد دللناه وأصبح كالخصاء ؛
وسقطت في الحال البارونة على رخام الكنيسة وهي
تن أيتها شديداً من الألم . دغر الدعويون من هذا

للشهد وحملوا البارونة إلى غرفتها . وفي هذه الفترة
القصيرة حصل تغير عظيم في ملامحها وضمت نبضها
ثم رجعت منهم أن يتركوها مع زوجها ، ثم جلس
بجانها ساعة وخرج وأقفل الباب بالقفل ورجع
إلى الكنيسة وركع بكل الخشوع أمام المحراب ساعة

وحينما أقبل الأطباء طلبت الكونتيس ولسمتين
من البارون مفتاح اللقفة فناولها إياه قائلاً : لا فائدة
من أي إسعاف ؛ وطلب منها أن ينادي القصر المتخلفون
ولما فتحو اللقفة لم يجدوا في السرير غير حفة

من رماد كاللي يتخلف من إحراق ورقة . وعندئذ
أعلنوا الجنائزة وأقاموا للشماثر الدينية .

وبعد ثلاث سنين ، وفي نفس هذا اليوم توفي
البارون ودفن في ضريح الكنيسة بالقصر ودفن معه
سيفه وخوذته وترسه وكان آخر الأكرام من أسرته .

محمد لعل مجاهد

الذي زين مشبك شعرها ولا يفارقتها بتظاير منه
شرر وألسنة من نار . وقد لاحظ عليها خادمها
أنها حينما كانت تغضب يحمر هذا الفص العجيب
كأنه يقاسمها تأثرها ، وكانت تتجنب أن تلبه بالاء .

ولم تمنع هذه الأتوبيل البارون من اقترانه بهذه
الفتاة الجذابة وقضاء شهر الزفاف على أنغم شكل . وعاش
الزوجان في هناءة وسعادة . وبعد عام ولدت بنتاً أسمتها
سبيل كاسم والدة البارون ، ثم حددوا ميماد حفلة
للتعميد حين تنأثل الوالدة للشفاء . ثم دعى الناس من
كل فج وازدهم القصر بالأفواج .

وكانت بين الدعوات سيدة مجوز تدعى البارونة
ستيفيلد اشتهرت في كل مكان بفضول غريب
وصلف وقحة ؛ ولم تمنع عليها بضعة أيام في القصر
حتى جمعت لها خادماتها كل الإشاعات التي ذاعت في
القصر عن البارونة هرميون .

وفي صباح اليوم المحدد للتعديد والناس مجتمعون
في البهو ينتظرون ربقة القصر ليذهبوا إلى الكنيسة
شجر خلاف بين البارونة التي سبق الكلام عليها
وبين الكونتيس ولسمتين لأسبقية اللقاع فحكوا
البارون ليفصل بينهما فحكم لصالح الكونتيس .
ففضبت البارونة وأصرمت بإحضار جوادها في الحال
ثم ركبت هي وأنباعها وقالت :

— إنني أترك قصراً لا تقبل مسيحية صالحة
أن تدخله . أغادر قصراً صاحبه ساحر وصاحبته
شيطانة تخشى أن تبل جبينها بالاء المبارك .

ثم تقدم البارون بضع خطوات وقال : أها الفرنسيان
والنبله ! هل فيكم من يشهر سيفه ليذكي كذب
البارونة الفاضح الذي تنأياه ضد زوجي وقريني .
رفض الجميع أن يدافع أحد منهم عن اقترانه
البارونة ستيفيلد وأعلنوا أنه كذب وادعاء .

وبينا كان البارون يتكلم كانت الكونتيس

وانحنوا له ، فقال الأسقف :
 — لا تزعموا أنفسكم أيها الأصدقاء
 فاجتث لا تكون سبب ذلك لكم ؛ إنما
 اجتث كي أمتنع ما كان يقوله هذا
 الرجل الطيب
 فأجابه أشجع الواقفين وكان ناجراً :

— إنه كان يقص علينا نبأ « الزاهدين » !
 — وأى الزاهدين عنيث ؟ !
 قال ذلك وذهب إلى جانب السفينة واتخذ مجلسه
 على صندوق كان هناك
 ثم قال :

— خبروني عنهم ؛ أحب أن أعرف خبرهم
 وإلى مَ كنتم تشيرون ؟ !
 فأجابه الرجل :

— أرى تلك الجزيرة الصغيرة هناك ؟
 — وأشار بيده ذات اليمين — إنها الجزيرة التي
 يبيت فيها أولئك الزاهدون الذين خصصوا أعمارهم
 لاقتاد أنفسهم !

— ولكن أين الجزيرة ؟ ! إني لا أرى شيئاً !
 — هناك إذا تقضت قاتبت أنجاه يدى ...
 أرى تلك السحابة الصغيرة ؟ انظر ما تحبها إلى اليسار
 قليلاً . تلك البقعة الداكنة هي الجزيرة

ونظر الأسقف في جد إلى حيث كان الرجل
 يشير ، ولكن عينيه الضميفتين ما كانتا ترىان غير
 اللاه يعكس أشعة الشمس

— لا أستطيع أن أراها ، ولكن من أولئك
 الزهاد الذين يتحدثون عنهم ؟
 فأجابه صياد السمك :

— إنهم رجال مقلسون . انصت لي أخبارهم

الثلاثون الزاهدون^(١)

للفيلسوف الروماني "ليونولس تروبي"
 بقلم السيد فيدي شهاب السعيد

كان الجو لطيفاً رافقاً ، والريح رخاء طيبة ؛
 وكانت السفينة تجرى بركبها في اطمئنان وسلام ..
 وكان في جملة الحجاج إلى دير « شلوتسك » أسقف
 قدم من « أركنجيل » لزيارة ذلك الدير

وكان الركاب قد انتشروا على ظهر السفينة
 فبعضهم قد اضطجع ، وبعضهم جلس للأكل ،
 وآخرون منهم قد اجتمعوا بزجون فراغهم بالحديث .
 أما الأسقف فكان قد نزل إلى ظهر السفينة وظل
 يخطر بين جماعات الركاب ، إلى أن استرعت نظره
 منهم جماعة ملتفة حول سياد^(٢) من سيادى السماء
 وهو يحذهم ويشير إلى مكان في البحر ... ووقف
 الأسقف ومد بصره إلى حيث كان يشير ذلك الرجل
 فما وجد شيئاً غير مياه البحر تضطرب تحت أشعة
 الشمس ، ودنا الأسقف من الحدث عليه يسمع شيئاً
 ولكن ما إن رآه هذا حتى دفع قبمته احتراماً
 وانقطع عن الكلام ، فرغ الآخرون قبياتهم أيضاً

(*) هذه القصة وقصص أخرى جعلها مترجمها إلى
 الانكليزية على أنها يضى ما يرويه سكان مقاطعة « الفولجا »
 في روسيا من قصص شعبية ، تبين نفسياتهم الخالصة من
 التكلف والبغى . وكان « تولستوى » قد ألف أحوال
 أولئك السكان فأخرج هذه الأسطورة منها دون أن يزيد
 عليها شيئاً أو يخفف منها شيئاً ، أو يخيف عليها شيئاً
 من عنده (للترجم)

(١) لصياد السمك اسم عربي وهو «الركن» فلواستعمله
 الكتاب واضطلحوا فيما بينهم عليه لشاع استعماله بين القراء

منذ أمد بعيد . غير أنى لم أحظ بملاقاهم إلا إلى ما قبل طليح

ثم قص الصياد كيف كان أمره معهم حين ضل في إحدى الليالي ، فقفذه اللوج إلى جزيرتهم دون أن يدري . فلما أصبح الصباح وارتاد نواحي الجزيرة أبصر كوخاً من الطين ، ورأى فيه شيخاً طاعناً في السن قد وقف بالقرب منه ، ثم خرج اثنان آخران من الكوخ وبعد أن أطموه وجففوا أمتنته من الماء ساعدوه على إصلاح قارب المظلم وهنا سأل الأسقف :

— وكانوا يشبهون ما ذا ؟

— كان أحدهم صغير الجرم ، منحني الظهر ، يرتدى ما يرتديه الكهان ، وكان طاعناً في السن إلى حد كبير ، إذ ما أظنه إلا قد جاوز المائة من عمره حتى أن شعر لحيته كان قد خالطته الخضرة الفاتحة من شدة الكبر ، وكان إلى ذلك يسمًا وضاء الوجه ، كأن وجهه وجه ملك من ملائكة السماء . أما الثاني فكان أطول من صاحبه قامة ، وكان طاعناً في السن أيضاً ، وعليه رداء خلق مما يلبس الفلاحون ، ولحيته كبيرة قد ضربت إلى الصفرة من شدة البياض ، وقبل أن أمد لهذا الشيخ الثاني يد المساعدة انقلب إلى قاربه غملاً . كأن لم يكن قارباً ضخماً بل دلوأ صغيراً مما يعمل به الماء ، وكان هذا الآخر حنوناً شقيقاً . أما الثالث فكان طويلًا أيضاً ذا لحية بيضاء كالثلج ، قد امتلئت وتشمبت حتى وصلت إلى ركبتيه ؟ وكان متجهماً الوجه طبعاً ، يحاجين غليظين مشرفين على وجهه . وقد لف حول يده من الوسط حصيراً فسأله الأسقف قائلاً :

— وهل تمحدثوا إليكم بشئ ؟

كانوا في أغلب الوقت لا يتيسون بينت شفة ، وإن نطقوا — وقليلًا ما يفعلون — اقتضبوا الكلام فيما بينهم ... إن أحدهم ليرى الآخرين بنظرة واحدة فما أسرع ما يدرك هذان الآخران قصد صاحبهما !

وقد سألت أطولهم : هل كانوا قد استوطنوا الجزيرة من أمد بعيد ؟ فبس وغغم شيئاً كالغضب ولكن أكرم أخذ يده بين يديه وابشمت فسكن أثر الطويل وأجابني الأخير بهذه الكلمات :

— « إن الرحمة والفران لن فوقنا ! »

وكانت السفينة اقتربت من الجزيرة حينئذ قليلاً ، فقال للتاجر الذي بدأ الأسقف الكلام — أول الأمر — :

— أنظروا يا صاحب السيادة — إن الجزيرة لتبدو الآن واضحة ، قال ذلك وأشار بيده نحوها . ونظر الأسقف فأبصر بقعة دكناء حقاً . — كانت الجزيرة — وبعد أن أطال إليها النظر غادر مكانه وذهب إلى من ييده « سكان السفينة » فقال له :

— ما تلك الجزيرة ؟

— ليس لتلك الجزيرة اسم ، وفي عرض البحر مثلها كثير .

— أحق أن فيها زاهدين قد خلصوا إلى إنقاذ أنفسهم ؟

— إنه ليقال كذلك — يا صاحب السيادة — ولكني لا أدري حظ هذا القول من الصحة ؟ وكثيراً ما زعم سيادو السمك أنهم شاهدوم ، ولا ريب في أن ما يقولون محض تحريض وتلفيق !

الأسقف ، وبعد أن مد فيه هذا بصره رأى الرجال الثلاثة — الطويل ، فالأوسط ، فالقصير المنحنى الظهر ، وقد وقفوا على الساحل متناكسين بأيديهم . وهنا التفت الريان إلى الأسقف قائلاً :

— إن السفينة لا يمكنها أن تتقدم إلى أكثر من هذا يا صاحب السيادة فتفضلوا فاركبوا زورقاً يوصلكم إليها إن شئتم ، بينما نرسو هنا في انتظاركم وأتيت للرساة ، وأزل الشراع ، فسمت من ذلك — السفينة حركة اهتزت لها ، ثم سكن اضطرابها فأزل إلى البحر قارب ركبته بعض الملاحين وهبط الأسقف إليه معهم وأخذ مكانه فيه . ثم جذف الرجال تجرى بهم الزورق سريعاً نحو الجزيرة ، ولما وصلوا إلى ممر بين الصخور رأوا الشيوخ الثلاثة : طويلهم بحصيره التي التفت بها ، ثم الذي يليه في ثوب خلق من أبواب الفلاحين ، ثم أقصرهم ، وأصغرهم حجماً : محني الظهر كبيراً ، وقد لبس ثوباً مما يريد به النساك وكان بعضهم ممسكاً بأيدي بعض .

وتقدم للملاحون من الشاطئ واقتربوا منه ، فربطوا القارب به بينما صعد الأسقف إلى البر . وانحنى له الشيوخ الثلاثة ، فحياهم بمثل تحييمهم وقال يخاطبهم :

— لقد تراءى إلى أنكم رجال أتقياء ، تمشون هنا لتخليص أنفسكم وإخوانكم الناس بالاضرع إلى سيدنا المسيح . . وأما خادم غير ذي بال من خدمه دعني العناية الإلهية إلى إرشاد عباده ، وقد نجحت لأراكم وأعلمكم ما أستطيع أيضاً . . فتبادل الرجال الثلاثة النظر بينهم وابتسموا ولكنهم ثمروا جانب الصمت . ثم قال الأسقف :

— أريد أن أزل إلى تلك الجزيرة وأرى أولئك الرجال ، فكيف السبيل إلى ذلك ؟

— إن السفينة لا تستطيع أن ترسو بجانب الجزيرة ، غير أنك تستطيعون الذهاب إليها في قارب ، وغير من هذا أن تكلموا الريان في الموضوع وأرسل في طلب الريان جاء . فقال له الأسقف :

— أريد أن أرى أولئك الزهاد ، أفلا يمكنني الخروج إلى أرضهم ؟

وحاول الريان أن يقنعه بالمداول عن فكرته قائلاً : — أجل ، إن ذلك في الإمكان ، ولكنه يقتضينا وقتاً جديداً طويلاً ولو تجاسرت لقلت لسيادتك إن أولئك الشيوخ لا يستحقون كل هذا العطف منك عليهم . إنهم مجانين خرفون ، لا يكون مما يقال لهم شيئاً ولا يفهمون ، ثم إنهم لا يزيدون كلمة على الأسماك التي في البحر — إن كان للأسمالك حديث — غير أن الأسقف بقي مصراً على رأيه ، مقررًا أن يرام ، وتهد أن يوضحهم عن كل ما يحضرون . فلم يكن مما أراد به ، وصدرت الأوامر إلى الملاحين بتوجيه السفينة إلى ناحية الجزيرة ، وانحذت لذلك التدابير ... وجرى بالكسرى فوضع في صدر السفينة ليكون مجلس الأسقف عليه يرقب الجزيرة . وكان الركاب جميعهم قد تجهزوا هناك فكان ذوو البصر الحسود منهم يرونها وصخورها ، ثم الكوخ الذي فيها ، حتى استطاع أحد الشاهدين أخيراً أن يبرر الرجال الثلاثة أنفسهم .

وإذ ذاك جاء الريان منتظراً وبعد أن مد فيه بصره سلمه إلى الأسقف قائلاً :

أولئك هم حقاً ! قد وقفوا على الساحل .. هناك إلى يمين تلك الصخرة الكبيرة قليلاً . وسلم النظار إلى

فأباد أولهم الجلبة الثانية صحيحة ولكن الثانية تلمس بها، أما الثالث فقد أخطأ، إن الشر كان قد نما حول فيه بحيث ما كان يستطيع أن يقول شيئاً بوضوح. وصاحبه الذي قبله: فقد كانت السنين الطويلة أسقطت كل أسنانه بحيث لم يكن في مقدوره أن يعضغ طعاماً أو أن يقول شيئاً إلا غشمة لاثنين ١١.

وأعاد الأسقف الكلمات ثانية فكررها بعده الزهاد... ثم إنه جلس على سخرة كانت هناك حبال الثلاثة الذين كانوا يرقبون فيه، ما يصدر من قول إلا أبادوه.. وعمل الأسقف طيلة ذلك النهار، يقول الكلمة... المرة والمرة... والعشرين والثلاثين، بل ربما قالها المرة المائة أو تزيد، فيميدها الشيوخ الثلاثة بعده فاذأ أخطأوا أعاد عليهم وأصرم بأعادة الكلمة من جديد.

ولم ينادهم الأسقف حتى عليهم كل صلوات الله بحيث أصبحوا قادرين على إعادتها بأنفسهم — لا كما بدأوا يسيدونها بعد سماعها من فيه — وكان أول من تملها وتمكن من إعادتها بنفسه: أوسطهم، فكان الأسقف يأمره بأعادة تلاوتها مراراً حتى تملها أخيراً منه الاثنان الآخران... وكان الغلام قد جثم على المكان وطلع القمر يريق أغشته على مياه البحر حين أوشك الأسقف أن ينادي الزهادين إلى السفينة؛ فسجد له الشيوخ شاكرين، فأنهضهم وقبلهم واحداً بعد واحد، وحثهم على اتباع تلاميذه في أداء الصلوات؛ ثم استقل القارب إلى السفينة. وكان وهو في القارب متجهاً إلى السفينة تنطق آفاته أصوات الثلاثة مرتفعة في هدوء بالتراتب التي عليهم، ثم انقضت أصواتهم عنه حين بلغ

— خيروني ما أنتم فاعلون لا أعاذ أنفسكم، وكيف تخدمون الإله على هذه الجزيرة؟؟ فنظر أوسطهم إلى الكبير وتنفس الصعداء. فأنقسم الأخير وقال يخاطب الأسقف:

— لا ندري كيف نخدم «الرب» إنما نحن نخدم أنفسنا ونتمهدها

— وكيف تصلون لله؟

— إنما نصل هكذا:

«أنتم ثلاثة

» ونحن ثلاثة.

» فارحمونا! »

ولما قال الشيخ ذلك رفع الثلاثة أبصارهم إلى السماء وكرروا الجلبة فنبسب الأسقف.

— إنكم على ما أرى قد مبسبتم عن «الثالث المقدس» ولكنكم لا تؤدبون صلواتكم على الوجه الصحيح؛ وأراكم أيها الأحمية تسمعون إلى إرضاء بارئكم ولكنكم تجهلون الوسيلة إليه. فصاروا أعلمكم طريقة الله التي أوصى عباده باتباعها فيما أنزل من كتب وأسفار مقدسة. وبدأ الأسقف يشرح للزهاد كيف جاء المسيح هادياً للناس، ثم خدشهم شيئاً عن «الأب والابن والروح القدس» فقال:

— وقد نزل «السيد الأبن» إلى الأرض لينقذ الانسان، وعلينا أن نصل هكذا. أصنوا ثم أعيدوا يدي ما أقول:

— يا أبانا...

فقال أولهم «يا أبانا» وقال الثاني مثل قول الأول ثم أعاد الثالث قوليهما.

— الذي في السماء...

جداً فما أسرع ما أدركتنا؟ لا، ليست هذه مركباً
إذ ليس لها شراع — ولكنها مع ذلك جادة في اقتفاء
أثرنا! — ولا هي من الطير ولا الأسماك؟ ثم إنها
أكبر من رجل! وأنى لرجل أن يترلق على الماء
في وسط البحر؟

ونهض الأسقف فغير «مدير الدفة في السفينة»
— أنظر إلى هناك. ما ذاك يا صاحبي؟ أي
شيء هو؟

... إنه يرى الزهاد الثلاثة يركضون على الماء
وضاحة وجوههم، مشرقة ظلماتهم وقاربوا السفينة
حتى لكأنها قد وقفت عن السير!
ونظر الزبان فترك إدارة السفينة مذموراً:

— يا إلهي ... أولئك هم ثلاثتهم يركضون
خلفنا كما لو كان وجه الماء أرضاً صلبة! وسمعه
الركاب ضرعوا وبجهرهوا حوله ... ما ذا برون؟
إن الزهاد ثلاثتهم قد أقبلوا وأبدى بعضهم تحسك
بعضاً ... فأشاروا إلى السفينة أن تقف، وقبل أن
تتمكن السفينة من التوقف عن السير وسالوا إليها
ورفضوا رؤوسهم قائلين بصوت واحد:

— لقد أنسينا تلميحكم يا عبد الله. إنا منذ أن
تلمعنا بدأنا بتكراره، ولكن سقطت منا كلمة ...
ثم إنا نسيناه كله الآن فلمنا تارة أخرى!

فأتبعه الأسقف إليهم وأنحى يخاطبهم:

— إن الله ليتقبل صلواتكم التي كنتم تتوجهون
بها إليه! ليس لي أن أعلمكم شيئاً، بل صلوا من
أجلنا نحن اللذين!

وأنحى لهم، فرجعوا من حيث أتوا ...

واختفوا عن النظر، ولم يبق من آثارهم غير
شعاع كان آتياً من حيث اختفوا حتى أشرق
ضوء النهار! فبصر شهاب السيف

السفينة، وأما منظرم في ضوء القمر فكان يينا
واضحاً يستطيع أن يستجليه بوضوح ويسر. ذاك
أقصرهم قد وقف في الوسط والاثنان الآخران قد
وقف أحدهما من يمينه والآخر عن يساره.

وما أن وصل الأسقف السفينة حتى رفعت شراعها
وأقلت، فهبّت الريح رحية، واستأنفت السير.
... جلس الأسقف في مؤخرة السفينة بقرب
«سكانها» يراقب الجزيرة التي أقبلوا منها ... كان
يرى — أول الأمر — الزهاد الثلاثة ثم اختفى
منظرم عنه، فابقى غير الجزيرة ولكن هذه اختفت
أيضاً فلم يبق أمامه غير البحر تضطرب أمواجه تحت
أشعة القمر.

وأوى الحجاج إلى فرشهم فغلا ظهر السفينة
إلا من الهدوء التام؛ أما الأسقف فلم تكن في نفسه
إلى النوم حاجة، ولكنه ظل حيث كان يحدق
في البحر، في المكان الذي اختفت فيه من خاطره
الجزيرة، مفكراً في أولئك للشيوخ الثلاثة ... لقد
كانوا ممتنعين مما علمهم؛ فشكر الله على أن أرسله
ليهدى أمثال هؤلاء لثقاة البردة!

ظل الأسقف جالساً في مكانه كذلك يشكر
في هذا ومثله يحدق في تلك الناحية التي ظلم منظر
الجزيرة فيها وضوء القمر يتلألأ أمام عينه يداعب
أمواج البحر هذه صرة وتلك صرة، وإله كذلك إذ
بصر فجأة بشيء أبيض مشرف يظهر على موقع قراء
البدر من البحر ... أترأه طيراً من طيور الماء؟ أم
هو شراع إحدى الراكب الصغيرة؟ وأثبتت الأسقف
فيه بصره ما يحوله عنه ... لا بد أن يكون شراع
إحدى السفن الصغيرة تجرى وراءها، ولكن أراها
تليمتا سريعاً، لقد كانت منذ لحظة بعيدة، بعيدة

تحت ظلال الشجر

للكاتبة الإنجليزية « فرنسيس بيكن »
بتأليف الأستاذ فؤاد الطوحيات

سحرة قسطنطيون إلى كائنات صماء
كقطع الأحجار التي تكتنفكم ، وتقيب
الشمس الأفريقية وراء الأفق خنسيون
من الوجود ، وتكاون قننون فيما
حولكم من نجاد ووحاد ، وإذا البحر
من بعيد يكشف عن صفحة من الجين ،

وإذا الجبال تترامى منعبراتها بما يكسوها من
الورد القاني ، وإذا السماء فوقنا تقيه زرقها
الصافية الأديم ، وتوغل في الارتفاع طبقات
بعضها فوق بعض ، وتحسبون بالأرض المافقة
من تحتكم تحمد حرارتها شيئاً فشيئاً ، وتومض
الأفاق قبس من الوهج الأحمر وهي تتلقى آخر
أشعة من ضوء الشمس للتحصن ، ثم تقبض عنكم
النشبة قسطنطيون وتعودون إلى الحياة ، وتعودون
وترحلون وتهبطون وتعلون ؛ وإذا الليل يهيمن
على الطبيعة وبعد ظلاله فوق أرجائها ، فترحلون إلى
كوكب جديد . فما هي ذي صفحة السماء تتلأأ في
جنباتها شموع النجوم ، وما هي سفوح الجبال يلمع
وراءها بریق أبيض يبدو حلقة السواد وظلمات
الليل البهم ، ويزداد الضوء لماناً وظهوراً حتى يترعب
القمير في كبد السماء وتهب نسائم الليل فتتمش
أرواحكم بما تحمل من عبير الورد وأريج الأزهار ..
تلك الطبيعة رمتها ، بمجمرها وقرها وبحارها وجبالها
إنما هي ملك أيمانكم .

وما كم قصتي ، هي قصة رجل وامرأة ...
وامرأة أخرى . وسأنتقل بكم إلى مكانهما في سفح
الجليل حيث صعدا . أما الرجل فتقوى البنية متملء
الجسم مليح الوجه ، هولاندي النبات .. والمرأة
في مستقبل العمر وريمان العبا وفرط الحسن والجبال.
وقف كلاهما على سفح الجبل ، وأشغل الرجل
ناراً في كهف مخشوش الجوانب ، وكانت المرأة

كوسارد يروي القصة ... وكوسارد رجل
طويل القامة ، جميل الوجه ، مقتول الساعدين ،
عريض الكتفين ، ينبعث من فطره بریق يغلب
اللب ، ويمجى في عروق دم هندي ، ولقد جاء مع
والده إلى إفريقيا وبصحبتهما واحد ومائة من الهنود
لينافس بهم عملاً يقوم به واحد ومائة من الأعرابي
ورحل كوسارد إلى إنجلترا ، وأقام فيها ردحا
من الزمن ثم رجع إلى إفريقيا وأحاط به يوما جماعة
من الهنود ومحدثوا إليه في مختلف المسائل ثم نهض
ملجان وسأله أن يظالمهم يمسض المناصرات ، وألج
في الطلب وألحف ، وأهاب به إخوانه أن يسكت ،
وأوقفوا الجلبة حتى ينصتوا في هدوء لقصة كوسارد
سأتلو على مسامعكم قصة لا يجد فيها ملجان
المثل الأعلى للقصة التي تصبو نفسه إليها ولكنها
شائقة متممة ، وسأذهب بكم إلى منطقة من الأرض
جرداء موحشة ليس فيها إنس ولا جان ، فتبصرون
عند الأفق مزارع خضراء ، تتخللها حدائق غناء ،
وتسيرون وعلى يمينكم غلاة تتنحي بكم إلى غدير
صاحب ، وعلى يساركم جبال زرقاء خلوا من التلوج ،
فالوقت صيف ، والشمس شديدة وهاجة محرق
الجلد وتذيق التلج وقد آذنت بالزروب ، وبدأ الليل
يرخي سدوله . فتقفون سامتين خاشعين بعد
ما اتهمت آثار الحياة وضجيج الحركة ، ولا يبقى
أمانكم إلا لجلال الطبيعة وروعها ، فلا يسكنكم إلا
التسبيح لله على ما خلق وأبدع ثم تطيف بكم غلاة

دعهم يذهبون في سبيل هذه الليلة الساحرة ، وفي سبيل الرجل الوحيد الذى أحبه . . . أحبه .

وكانت ولماة مفتونة به إلى حد الجنون ، تذبها لسة ، وزوعها نظرة فذنهاها أحلام ، وجسدها الحبيب . وتعدر عليها أن تحده في أمر ، إذ كانت زفراتها تصاعد تباعاً بقوة من صدرها فأذناها منه وداعب شعرها وحس : — أنت لا تحبيني !

— كلا ! إني أحبك

— قبلها في عينيها ولها وعاقها ، فنشيتها غبطة عميقة من الهيام ، فصعدت إلى وجهه وطبعت عليه قبلة ضخمة ولدها ما يشبه الأحلام ، ثم تنهت فأفاق وتوجعت إلى صوابها ، وصرمت بخاطرها صورة من ذكريات ماضية فوجت وخجلت ووجلّت ، وامتد خيالها إلى أبهى ، فرأته يدخن غليوناً ، وإلى أسفا فوجدتها تحيك لها مطلقاً ، فنفرت وتباعدت عنه وأدبرت وجهها إلى ناحية أخرى ، فدهش وسار نحوها يستطفها ، ثم ذهب إلى الكهف وأخذ يحرك النار المشتعلة ، أما هي فأنشأت ترقب الأفق والسماء ، وإذا بكوكبة جديدة من النجوم تبرز في الجوى وتسيطر على سائر الأجرام السماوية فتزيدها رواء وبهاء ، وأنصت فسمعت خشخشة ورأت شيئاً يتحرك . . شيئاً مظلماً غريباً قد خرجت وشبهت ونهضت ، فأبصرت مبعودها واقفاً ممكاً بمصممه فتمتمت

— حية . . . لا . . . ليست حية

— لا . . . بل هي حية حقاً

— لم أر شيئاً كهذا في حياتي . . . لا . . . رأيت ما يشبهها في حداثي الحيوانات .

وساد سكون رهيب . . . ثم طعته قائلة

— ماذا تسع ؟ بل ماذا أفعل . . . وارتجفت وحارت في أمرها ، ودقت بدايد ، وغارت قواها وهالما الموقف حتى صمقت

وبدا يتنص مصممه فأقبلت نحوه فتتها ، ثم

جافة الخلق ، غمل الرجل في كفيه ماء من ينبوع وتقدم إليها فروت ظمأها ثم وضعت رأسها فوق يديه كأنها تحاول إخفاء نفسها عنه ، وكان صدرها مغمياً بالشجون والخواطر المحتبسة ، فأطلقت لها اللتان وطفقت تبكي والدموع تنهمر من عينيها فوق يديه فهذا روعها وطيب خاطرها وسألها :

— ماذا يريك يا حبيبي . . . أخافيني ؟

— كلا ، كلا . . . لست خائفة

وظهرت في خلال دموعها ابتسامة ، وداعبت شعرها ، ونظرت إليه بدلال ورشاقة ، ثم عاقلته وعلقت ففترت منه وابتعدت عنه ، وقالت :

— هذه غاطرة صروعة

— ما الحب إلا غاطرات

— ولكنى كذبت في قولى في الفندق ، ومنذ شهرين فقط لم أكن أعرفك وأجك ، ولا أدري كيف جرى ذلك ، ولم جئت إلى هنا ؟ وماذا يظن والى أين ؟ هل يظنان أنني أعيش على سفح جبل ؟ ومع من ؟ مع رجل متزوج ويستحيل أن يطلق زوجته . . . ولماذا لم أعرفك قبل زواجك ؟

— أنظري يا عزيزتى ! لقد صنعت القهوة ، فيها نطهى طعام المشاء .

وجلسا يشربان القهوة ، وكانت لعيدة . وخرجت الحشرات من تقوئها تنمت ، وتمايلت الأشجار ، واستوت النجوم والضاءة في السماء وهبت نبات فيحاء وساورتها الموم ، وقالت بصوت غير مسموع لنفسها :

— هي أن أختي جانت إلى هنا . . . هي أن أحد الناس رأى . . . هي أن زوجته تفقدته فلم يجده وحضرت تبحث عنه . . . هي . . . هي

وداعب شعرها فحمرت يده ، وتملكها السرور واتكأت عليه وقالت :

— دعهم يذهبون إلى حيث يشاءون . . . فاشأمهم بنا . . . نحن في إفريقيا المحبوبة الرائعة . .

وتدحرجت فوق الأحجار حتى بلغت الأرض وسارت
على غير هدى في ليل إفريقيا الظلم وهنا قاطعه سلاجان:
— يلوح لي أن هذا المولدى بمن يأخذون
من الأشياء أطيبها نجيب. فاقترضه كوسارد:

— كلا أنت غشفي

— يظهر أنك تزوجتها يا كوسارد فاني أعرف
نهاية أمثال هذه الفتيات

— كلا، لم أتزوجها، وهي تعيش عيشة رغدة

— ولكن أظنك أخبرتنا أنها غضبت وتركته

في الجبل

— نعم ولكنه لحق بها

وعرج على مركبة بجواره ولم تكن تتوقع مجيئه
بل أخذت تسير عند انبثاق الفجر هائجة على وجهها
دون مال أو متاع، حيرى لانوى على شيء وفي رأسها
حلقة فندق كانت تالفة فيه وقدمها تسوقها إليه

فأشاحت بوجهها عنه لأنها كانت غاضبة حاققة،

وتحدث إليها فلم تجب، وأمرها أن تبقى في الفندق

فأذعنت للأمر على كره منها إذ لم يكن لديها سبيل

آخر، وطد هو إلى الجبل وقضى سحابة يومه

يفكر، ويفكر طويلا، فقد التفت على ظلال

زوجته.. تلك الزوجة الفاتنة للرحلة التي هجرها

ولكنها لم تكن لتأسف على تركه لو نالت حقوقها

المالية كاملة. ثم كتب خطاب استقالة من وظيفته،

وأخذ يحصر أملاكه ليديعها، ويجمع أمواله من

المصارف استمداً أكرهه مع مبدوءه إلى أرض أخرى

وفي تلك الليلة كانت زوجته في صرختها وبجائها

رجل نمل، وانطلقت تندو بهما في نفس الطريق

الزودية إلى الجبل، وأضيت أنوار السيارة، فلمح هرمنس

زوجته بطرف عينه فجعل ولكنه ابتسم وقال:

لقد أصبحت الآن أختي.. أختي الصغيرة الظرفية..

غادة فاتنة هيفاء.. أليس كذلك؟ فوار الطرمي

انهالت على يده الجريحة وأمطرها وابلا من القبل
وهي ولمى خاتمة حامية القلب فقال لها:

— إذعني إلى الكوخ القائم في أسفل الجبل،
واطلبني العونة من صاحبه فسنده تراق ودواء.

فشت مسرعة في المر في طريقها إليه، ولكنها

ما لبثت أن توقفت وفكرت في اقتضاح أسرها لأن

الرجل سيلم كاسيلم أولاده، ثم ماذا يكون حالها مع

أبيها وأنها، فمادت واسترسلت في التفكير فتوهمت

أن الرجل سيموت... سيموت في الكهف، وستبقى

وحيدة على الجبل حتى مطلع الفجر، فصرخت

صرخة مدوية فزع منها الطيور في أوكارها فخرجت

تقوم حول الجبل. أما هو فغاطها في لجة حامية

— إما أنك تحبيني أولا. لو كنت تحبيني

لهدبت توا إلى الكوخ

فصاحت وهرعت بحموه وعاقلته وقلبت له وقالت:

— إني ذاهبة.. إني ذاهبة.. وأخذت تندو

في المر فتأداها فوقت:

— تعالى

— كلا، سأذهب لثلاث تضيع الفرصة

— تعالى.. تعالى.. فقد كنت أعالج النار عند

ما اقتربت منك وهرولت إليها فوجدتها من النوع

الذي لا يؤذى، فتركها تنحني في طريقها، وقد

اخترعت فكرة الذئبة لأخبر مبلغك لي، فأبقت

أنك تحبيني حقاً.. فتعالى.. تعالى إلى.. وضما

وقبلها قبلات حارة في شفت وشوق.

أما هي فاسترجعت وتفرقت وصرحت على وجهها

سحابة من الغضب والسخط والتوت أسابها من

شدة الحق ثم واجهته في كبرياء وأقفة

— إني أكرهك.. أكرهك لنمداك إلى

أبها الوحش المفترس. واستدارت وأخذت تهبط

الجبل غير مكترثة بصيحاته وتوسلاته، فوثبت وانزلت

أشياء ملفوفة بأوراق بعضها أسود
وبعضها أصفر. حتى اذا وضعتها في رف
للقطار الواحدة بجانب الأخرى ،
قال لسيده :
كل شيء مد لك يا سيدي : فني
هذه السرور الجملة أشياء :

السكر والملبس ، والتمية ، والطبل ، والبندقية ،
وأخيراً القطيرة الدسمة
— حسن جداً يا ولدي .
— أتمنى لك سفرأ ميمونا يا سيدي
— شكراً « يا ولورن » وأنا أتمنى لك صحة
موفورة . ثم غادر الخادم القطار بعد أن أغلق على
سيده باب النرفة .

كان رفيق في السفر في الثالثة والثلاثين من
عمره تقريباً ، على رغم أن شعره وخطأ كثره الشيب ؛
وكان حسن البزة والشارة غليظ الشارب تيد عليه
الفراشة والقوة واكتناز اللحم . فبعد أن استقر
ومسح جبينه وراح ينفث في الهواء دخان سيجاره
رمقى بنظرة هادة ثم قال :

— لعل دخان سيجاري يزجك يا سيدي ؟
— قف لك ؛ كلا ، ولكن ما كنت أنطق حتى
دعشت . ذلك أن هذين السنتين وذلك الصوت
وحق هذه السحنة لم تكن غريبة عني . نعم كنت
أعرضها ولكن أين . . ومتى ؟ وفي الحق لقد بدا لي
أني لاقيت هذا الشاب وكلته وضمنت على يديه
ولكن ذلك كان بعيداً حتى لقد ضاع في ضباب
كثيف يُخيل للفكر منه أنه يتلس ذكريات الماضي
ويقيمها كأنها الأطياف المارة الهاربة . كان هو
أيضاً يحدسني بنظره ويغرس في وجهي متعرفاً .

مَبْتَوُّ السَّافِرِينَ

لَكَارِيتِ الْفَرْسِي جِي دِي مُوَيَايَان
بَعْلُ الْأَذِينِ السَّيِّدِ كَالِ الْهَرَبِي

جرت لي هذه الحادثة سنة ١٨٨٢ وكنت
مسافراً في القطار ومزمعاً الأزواء بنفسى في
إحدى غرفه ، حين افتتح بابها وصمت صوتاً
يقول لآخر :

— خذ حذرك من الزلل يا سيدي ، فقد بلغنا
ملتقى الخطوط « القصص » ثم إن مررتي القطار
مرتفع .

فأجاب صوت آخر :

— لا تخف يا ولورن فساأحمد على مقبض عكازي
ثم ظهر لي رأس مستور بقبعة مستديرة وبدان
تعلق بهما سيران من جلد ، أخذتا تمتدلتان
وقسدتان إلى جاني باب القطار . ثم رفعتا بهوادة
وبيطه جسماً بديناً بمض الشيء . سمعت لوقع أقدامه
الخشبية تقرأ على مررتي القطار . وحين هم الرجل
بالخول إلى غرفتي أبصرت نهاية بطلونه التراخي
فبرزت لي من خلاله رجل خشبية سوداء لم تلبث أن
لحقت بها أختها ، فملت أن رفيقي مبتور الساقين .
ثم برز لي من وراءه رجل آخر راح يقول له :

— هل أنت مرتاح في جلستك يا سيدي ؟

— نعم يا ولدي

— وإذن فهلكُ سرورك وهذا عكازك . وهنا

أبصرت غلاماً تبدو في سحته مافرج جدي قديم
يصمد إلي مهاجناً حاملاً له بين ذراعيه كلمة من

مسرحتها : ثم أخذت ظلال النسيان تنحسر عن
ذاكرتي شيئاً فشيئاً . وإذا بها تنضو وتستدير بها
المسالك فيطالعني من خلال سطورها الممحوه وجهه
فتاة مليحة ، وإذا بسمايرن في سمي ويجري على لساني :
الآنسة « ماندا » . . لقد ذكرت كل شيء الآن . .
وفي الحق لقد كانت قصة غرام تلك التي نسيها
أولاً . كانت تلك الفتاة تحب هذا الرجل حين التقت
به ، وكان الناس يتحدثون عن زواجهما المنتظر
القريب الذي كان يفجر بتنايع الفرح والسعادة في
قلب صاحبتنا الضابط .

وهنا صوبت بصري إلى الصرد الموضوعة على
الرف فوق رأس الضابط الكسحج . فإذا بها تهتز
وتضطرب من حركة القطار ، وإذا بي كأني أسمع
الآن صوت الخادم يقول لسيده :

كل شيء مُد لك يا سيدي . ففي هذه الصرد
الخمسة أشياء : السكر ، واللبس ، والبنديقه ، والطبل
وأخيراً الفطيرة الدسمة . وتألقت في لحظة بخاطري
رواية لهذا الكسحج الذي أراه أمامي : رواية تشبه
الشبه كله جميع ما كنت قرأته في القصص أو رأيته
في السارح ، وذلك إما أن يتزوج الخاطيب ذو الساعه
خطيبته السليمة أو لا . وإذا كان هذا
الضابط البثور السابق قد وجد خطيبته بعد الحرب
فوهبت نفسها له رغم مصيبتها بساقيه . تخطت كل
هذا جيداً وفي بساطة ، ثم عرض لي فجأة اقتراض
آخر أشبه بالحق وأقرب إلى الواقع المنتظر . أيكون
الرجل قد تزوج من فتاته قبل الحرب وقبل المفاجئة
الآلمية بساقيه ؟ أتكون العيبه المسكينه احتسبت
الله في مصيبتها فيه وخضعت لشئته القدر القاسي ،
فهي تستقبل مكرهه هذا الكسحج الذي غادرها

كأنها داخله من التشكك بمرقني مثل ماداخلي .
وتضايق نظراناً من هذه الملاقاة الملهة فاقرة . على
أنه لم تمض إلا ثوانٍ حتى مادا وتلاقيا ثانية بتأثير
حب الكشف والاستطلاع . وابتدرته أنا قائلاً :
— يا لله يا سيدي . ألا ترى أنه يحسن بنا بدلا
من أن يسارق كل منا صاحبه النظر أن نبحت مما
عن المكان والزمان اللذين تمارقنا فيهما أول مرة ؟
فأجاب بلطف :
— إنك لحق يا سيدي . وهنا سميت له نفسى
قلت :

— إنى أدعى القاضي هنري « بونكاير » يتردد
برهة ثم قال بين غائمة بضباب الذكرى وصوت
من يحضر ذهنه كي يستذكر شيئاً عني عليه الزمن :
— آه . . ذكرتك تماماً . فقد سادتك في
« بوانسل » وكان ذلك منذ اثني عشر عاماً قبل
الحرب المشؤمة . .

— نعم يا سيدي . . . أوه . . . وإذا فانت
اليوتنان قاليه ؟

— نعم بعينه ، ثم أمبعت الكباين « قاليه »
قبيل اليوم الذي فقدت فيه ساقى الاثنين بإساية
فضيلة من قبلة حربية .

وهنا حدث كل منا في صاحبه من جديد بعد
هذا التمارف . وتجل في خاطري هذه الساعه منظر
ذلك الشاب الجميل اللطيف الذي كان ملء العين
والفؤاد بلباقته وخفته وجماله . ولكن وراء هذه
الصورة النامضة الملقوفة بضباب النسيان ، كانت
تطفو على ذاكرتي قصة لهذا الشاب ، كنت أعرفها
وأنسيها الآن ، ولكني لم أنس أنها قصة جنابة
الحوادث مفرية رغم قصرها لأن الحب لب على

خطيتك تزوجت موسيو ... موسيو ... فلفظ الضابط في سكون هذا الاسم :

— موسيو فلوريل ، أليس كذلك ؟

— نعم هو بعينه . وأذكر أيضاً أنني سمعت في ذلك الحين قصة فاجتكت ، ونظرت إليه من جانب عيني فأذا بالدم يتدفق في وجهه أحمر قانياً ، ثم إذا به يجيئني في حية ونشاط مثل من يدافع عن قضية ضاعت له سابقاً وفرط في حقها وهو يريد الآن تعبير موقفه فقال :

— لقد كان من أعظم الخطايا بل والألم أن يذكرنا أسمى اسم خطيتي « ماندا » بعد إذ أُبْتُ من الحرب بدون ساقين ، وبالأأسف ، لم يكن يوسى أن أقبل دون ألم وتقرع ضمير أن تصيح « ماندا » امرأة . أترى ذلك يكون ممكناً ؟

حين يتزوج المرء يا سدي لا يفعل ذلك كي يتباهى على الناس بأمرأة جميلة فتاة ! إنما يفعل كي يبيش بجانبها ويتصل بها طوال الأيام والساعات وال دقائق والثواني . فإذا كان الزوجُ مثلي كثلة شوهاء مبتورة فانه بزواجه من فتاة ريانة للشباب يكون قد حكر عليها بالألم المض وقصرها على حياة الناقصة المخطئة حتى الموت . أنا أنهم وأعدر بل وأعجب بجميع التضحيات ، ولكن حين يكون لها حدود تنتهي إليها . لهذا فإنا أسئلك من نفسي أن تحرر فتاةً جميلة نفسها لأجل من كل ما تنهق إليه جوارحها ونفسها من سعادة وملاذ وأحلام لعبها ولجسدها أيضاً ، كل ذلك كي يقال عنها إنها عفيفة طريفة كريمة . ثم كيف أطلبُ منها هذا وأنا نفسي حين أسمع على أرض العار وقع مكازي وأنا أشتي وأحجل ، أنا نفسي

ملء العين ملاحه وسلامة قبل الحرب ، وآب إليها بساقين خشيتين وجسم ناقص لا يتحرك إلا على عكازين ؟ أترى سيداً أم مثلاً ؟ ! وقامت بنفسى رغبة لا تقاوم في الاستسلام عن قصة زواجه والاستفسار على الأقل من النقط المهمة التي أستطيع أن أبصر على ضوءها ما يود هو إخفاؤه عني أو ما لا يمكنه الانقضاء به . ورخت أكله بأحدث شق ، بينا عيناى مثبتتان على الصرور الملقوفة التي وضعها خادمه على رف القطار ثم استنجنحت من عتولها أن له امرأة وطفلين : أما السكر واللبس فلاصرأه ، وأما الفمية فلعنته ، وأما الطبل والبندقية فطفله ، وأما الفطيرة الدسمة فله هو ؟ وجأة قلت له :

— لملك أب لمائلة يا سيدي ؟؟

— كلا .

فشمرت بشيء من الخجل والربكة لهذا السؤال كأنني ارتكبت ما لا يتفق وحسن العشرة . لهذا عقيبتُ :

— مذنرة يا سيدي لقد ظننت ذلك مما سبق إلى غمي من قول خادمك وإشارته إلى هذه الأسباب . وأنت تعلم أن المرء قد لا يملك أذنه حتى ولو لم يرد ذلك . فافتقره عن بسمة راضية ثم قال :

— وما قولك أنني لست متزوجاً ؟

وهنا بدت على دلائل الاستدكار والتأمل ، ثم قلت فجأة :

— أوه ! إن ما تقوله الحق ، فحين تعرفت بك كنت حافداً خطيتك على الأنسة ماندا فإنا أظن ؟

— نعم يا سيدي إن ذا كرتك جيدة جداً . فاجترأت ونابت :

وأذكر أيضاً أنني سمعت أن الأنسة ماندا

— نهارك سعيد يا قاليه . فأجاب صاحبي الضابط .
— سعد نهارك « يا فلوريل » . وكان خلف
الرجل امرأة الجميلة تبسم له أيضا وهي ترسل
التحيات الحارة من كفها المستورتين بقفازين .
ويمانها طفلة صغيرة كانت تلعب من الفرج والابتهاج
ببقاء صاحبي الضابط ويمانها الآخر صبيان صغيران
كأنما يتناولان بشفت ونهم العليل والبندقية وقد
برزا من طرف الصرير التي تسلمها أبوهم فلوريل
وحين هبط الضابط إلى إفرز الحطة أسرع
إليه الأطفال فهاهوه في عجة وألفة وشوق . ثم
أخذت المائدة تطرقها إلى الزلزل ، وفي أثناء الطريق
أخذت الطفلة تسند بكفها اليانة الغضة مسند مكاز
الضابط للكسيح وقد فاض وجهها بماء الابتهاج
والطيبة والحببة البريرة
كحال الحبري

حين أسمع هذا الصوت الذي يشبه وقع أقدام
البغال يمشي في نفس الحلق فأود خلق خادى .
وهل تظن أنه يمكن أن يقبل الزوج من امرأة أن
تتسامح في شيء هو نفسه لا يتفكره لنفسه ،
ثم أتمدق وتصور أن ساق الخشيتين هاتين
جيلتان في النظر فانتنان للمين ؟ وسكت وسكت
فما عساي مجيبه ؟ إن كلامه الصدق فهل يوسى
أن أومه أو أخطئه . ثم سأله فجأة :

— هل للمدام فلوريل خطيتك الزوجية أولاد ؟
— نعم ، طفلة وصبيان ، ولهمؤلاء الأطفال
ما أحمل من لمب في هذه الصرير كهدية . إنها وزوجها
طيبان . . وكان الفطار في هذا الوقت يصعد ملتحق
خطوط « سانت جرمان » ثم يمضي تحت الأضاق
التناقية في الحطة . ثم يقف . وعزمت على تقديم ذراعي
نكارة الضابط للكسيح كي يستعين عليها في النزول من
الفطار لولا أن يدين امتد يده من باب الفطار المنطق لمساعدته

اقرأ :

توفيق الحكيم

في كتبه الثلاثة الجديدة :

هذه الشيطان

تحت النسخة ٧ قروش

تحت شمس الفكر

تحت النسخة ٨ قروش

أربع مائة مصرية

تحت النسخة ١٠ قرشا

تطلب من جميع المكتبات الشهيرة

وحى بغداد

صور وجدانية وأدبية واجتماعية

بقلم الدكتور زكي مبارك

تطلب من المكتبات الشهيرة

وتمن النسخة عشرة قروش

الفيلان

لِلنَّكَاسَةِ الْإِجَارَى "هُوَارَى هُورَى"
عَلَّمَ الْأَرَبُ مَجُودَ السَّيِّدِ شَيْخَانِ

من صراخه ، وما تفرق من قوة يباه
وحدة لسانه ، وقال : « إنه لمن الخير
لي ولك يا سيدى أن أسدقك القول .
إن الجرح الذى أصاب زوجك خطير
مهلك ... وإنى لأخشى أن يكون
هذا آخر عهدنا بالندى وأول عهدنا

بالآخرة ... ؛ لقد كاد هلاكها أن يكون حقيقة
ملوسة واقعة ، وأكبر ظنى يا سيدى أنه لم يبق لها
الآن نصيب من النجاة أو حظ من الحياة ! »

— « لله الشكر يا سيدى ... ؛ ولكن
ألا يمكننى أن أراها الآن ؟ »

— « أوه ! ... على ... ولكنها الساعة غالية
عن وعيها لفرط ما تقاسى من شدة الألم ، وبرز
ما تسانى من هول المفاجئة ! »

ودخل ليراها فإذا بها وحيدة فى حجرة خاصة
مضادة ، قد ارتدى كل ما فيها حلة بيضاء كسائر
ما فى ذلك البناء الريب . وكانت عيناها مفتوحتين ؛
أما وجهها فهادى لا يتألم ، صامت لا يتكلم ، ساكن
لا حراك فيه ولا أنين به ، كأنها قد وكلت به
ملائكة الصمت ففعلت لسانه ، وأخذت يباه ،
وشلت حركته ... حتى ظن الرجل لأول وهلة
أنها قد قضت

وانحنى عليها وأداها : « يا ماري ! » ؛ ولكنها
— واحصرها — قد أخفت ظنه فلم تتحرك

وقضت المرضة مقعدا السير (بول) واقترحت
عليه أن يجلس فشكرها ؛ ثم وقفت — وقد قبضت
بيدها على مصم الرضعة تجس نبضها — ناظرة
إلى وجه الرجل التجهم وهو يتأمل بنظره الحائرة

ما كاد السير (بول كاتكارت) يصل إلى
المستشفى حتى كان الليل قد قارب أن ينتصف ؛
فقلبت غير قليل — والتفت يعلأ جوانب نفسه
وعملك مدارك حسه — فى البهو الريب الريب
يقرب متلهفاً مقدم المرضة ، فلما وافته سالها :
« ألم تحسن صحبتها بعد ؟ »

وأجاب الفتاة فى صوت خافت هادى حزين :
« إنه ليؤسفنى ويكرهينى يا سيدى أن أعترف لك بأن
صحبتا قد ساءت كثيراً .. وإنها لتماي الساعة أشد
حالات المرض ؛ فهل تود أن تراقبني لتراها ؟ »

... وتبع الرجل الفتاة وحى تسير فى البهو
الفسيح ذى اللون الأبيض الناصع وقد انبثت من
من جنباته رائحة الخوض الطهور ... وما كانت
تقف عند باب من أبواب غرفه حتى خرج منها
رجل يوحى إليك منظره ومظهره أنه طبيب
وقضت المرضة قائلة : « ها هو ذا السير
(بول كاتكارت) يا دكتور (يارو) ! »

وتصلف الرجلان ...

وقال السير (بول) فى صوت هادى رزين
متزن : « إننى أريد أن أعرف منك الأمر على
حقيقته ؛ فهل تسمح بذلك يا دكتور ؟ »

وعقل التردد لسان الطبيب برهة من الزمن فزعم
الصمت ... ثم جمع ما تشقت من شجاعته ، وما تبعد

ولكن... ولكن في هذه اللحظة. ساحت
الراة الجريحة هائقة : « بوى ! »
... لقد كان هذا الاسم أول كلمة صحيحة
كاملة فاحت بها السكنى ، وأول لفظة جلية واضحة
فهمت عنها

وسأل الرجل الممرضة في صوت هادئ: الثبرات
« ألم تهف بهذا الاسم من قبل ؟ »
وأجابت الفتاة في كثير من التردد والحيرة
والارتباك : « إننى ... إننى لم أكن أفهم عنها
ما تقول ، وما استطعت أن أتبين شيئاً من حديثها
قبل الآن »

ولكن الرجل لم يصدقها فيما قالت ... فقد
كان في تردها الواضح ، وتلثمها اللبث ، وشروء
فكرها ما يرجح أنها كاذبة فيما تقول

... في هذه اللحظة دخل جراح المستشفى
وهو شاب لم يكتمل بندق ، وكان الناظر إليه يلحظ
في حركاته شيئاً من الاضطراب ، أكبر الفتن أنه
نتيجة لوجوده في حضرة الرجل العظيم النابه السير
(بول كاركوت)

وجس الجراح نبض الريبة ثم قال : « إن
نبض عروقها ضعيف بطيء ولكنه بالرغم من كل
ذلك منتظم ... »

ولم يدعه السير (بول) يمرسل في حديثه
وإنما سأله : « هل ستبقى معها الآن ؟ »

— « ما زال باب الحياة مفتوحاً أمامها وإنك
لتعرف ذلك بإسدى .. ولكن مرضها عضال ،
وجرحها بليغ ، وإننى أخشى عليها ... »

الزائفة وجه زوجها الصامت ، وقد جلّه يياض
رهيب وهي مستلقية على فراشها ؛ وحجت من هذا
الوجه الهادى الجليل الذى لاتعرف الرحمة سيلا إلى
نظراته للتفاسية ...

... وملاً المكان صمت رهيب كصمت
القبور ، وسكون موحش كسكون الموتى ؛ ثم ...
ثم دوى على حين غرة صوت الرجل يخاطب الممرضة :
« إن نبأ هذه الفاجعة لم يصلنى إلا منذ قليل ...
فانى لم أنسل رسالة المستشفى إلا بعد عودى إلى الدار » .
— « لقد قتلت زوجك إلى المستشفى في
الساعة الثامنة » .

— « فإل أستطيع أن أستنج من هذا
أن الحادث قد وقع قبل ذلك بقليل ؟ »
— « نعم »

ونظرت إليها المرأة الراقدة على فراش المرض
نظرة غاضبة غائبة كأنها قد أزعجها جرس
كلامها ومحبس حديثها ... وصرت على شفيتها
كانت مقطعات مبهمات لم تدركها الفتاة لأنها
لم تسمعها ، ولم يفهمها الرجل لأنه لم يبينها ، فأنهى
إلى الأمام وأرهف نغمه عليه بى شيئاً مما تقول
— « إننى لم أستطع أن أفهم كلامها » .

— « إنها غائبة عن وعيها منذ حين وما أفقت
بمد ... فهل لك أن تذهب فتجلس في حجرة
الانتظار حتى يرسل عنها ما ألم بها من سوء فيعود
إليها رشحها ؟ »

وما سمع السير (بول) هذا حتى نظر إلى الفتاة
نظرة فيها شيء من الحدة والغضب ، وشيء من
الشك والريب ، ثم قال لها : « لا ... أشكرك ! »

وماعدت الفتاة الحقيقة فيما قالت ؟ فقد كان (بوني) - كما يسم السير (بول) نفسه - رساماً تعرفه اليدى (كاتكرات) ، وما كانت تنفل عن دعوته إلى كثير من حفلاتها وولائمها ؛ وهو شاب في مقتبل العمر أصغر سناً من اليدى (كاتكرات) نفسها ، وإن كانت في الخامسة والعشرين من عمرها عندما أدرکها الردى ، بينما كان زوجها قد جاوز الخمسين في ذلك الحين .

وجلس السير بول في سيارته متجهماً الوجه وقال يئاساً نفسه : « بوني ؟ .. لقد كانت تود أن تراه ... فيجب أن يتم لها ما أرادت ... يجب أن أحقق رغبتها ... يجب أن أجيب رجاءها فلا أعصى لها أمراً ! » .

وما خيب (السير بول) طوال عمره حاجة لها أو رد لها مطلباً ؛ وليس ما تريده الآن غير مطلب يسير لو قيس بما اعتاد أن يجيب من رغائها ؛ وقفت السيارة الفخمة أمام دار السير (بول) الأنيقة ، فهبط البائق منها ، وسأل سيده إن كان في حاجة إليه فيبقى ، أم في غنى عنه فينصرف . وأجابه السيد العظيم وهو يحاول أن يكون أكثر هدوءاً وجلداً وقوة : « هذا يكفي ... اذهب إلى فراشك . إننى لا أريد أن يزعمنى أحد ! » .



ما مضت نصف ساعة على هذا الحديث حتى كان السير (بول) قد أعد عدته للخروج ، فارتدى سترة خشنة التنسيج اعتاد أن يرتبها في الريف ووضع فوق رأسه قبعة ، ثم مضى وحيداً في ظلة الليل العاصية إلى حيث يقطن (بوني) وإن كان بينه

كان الطبيب صادقاً فيما قال ، فأمضت ساعة على هذا الحديث حتى أغلقت المسكنة جفنها ، وأسالت روحها لبارئها

... وأتم الطبيب حديثه مخاطباً السير (بول) : « إننى أخشى أن أفرد لك يا سيدى أن الأمر قد خرج من يدي ... لقد حُسم القضاء ، وماتت المسكنة ، وانتهى كل شيء ! »

وحسب الرجل العظيم وافقاً دون أن يتيسر بذات شفة ؛ ثم ألقى نظرة طويلة على ذات الوجه الأبيض المسجاة على فراش الموت ، وقال وهو يبرح للفرقة : « والأآن ... سأذهب ! »

وما كاد الرجل يخرج حتى تمم الطبيب : « ياله من زائر ثقيل ! »

وصاحت المرضة في ثورة وغضب : « ثقيل ؟ ! هذا الرجل المسكين .. هذا الرجل الطاهر ... أقم امدده بمونك والحظظة بمنايتك » . ثم وقفت ناظرة هي الأخرى إلى ذلك الجسد الهامد الممدد فوق الحشايا ؛ وقالت في صوت مرتفع : « إننى لأعجب من يكون (بوني) لآرى ! »

— « بوني ؟ » .

— « لقد كان هذا الاسم حديثها ونحوها .. وأشهد أنى صامت منها هتافاً غيره مذ رأيتها » .

— « من المحتمل أن يكون هذا الاسم الذى اعتادت أن تطلقه على قريبها السير (بول) لتدله به » .

وهزت المرضة رأسها قائلة : « لقد رأيتها بيسى عندما هفت بألمه به .. إنه لم يكن هو ! »

كلمات الزائر تصل إلى قرارة نفسه حتى أذمته
المصيبة المفاجئة فأنشأ أطفاله في اللنضة التي إلى
جانبه ثم نظر إلى ضيفه نظرة تحمل بين ثناياها أظف
الوحشية والجبنون ...

— « مات ؟ مات (سينثيا) ؟ »

— « لقد قضت منذ ساعة . »

— « ولكن .. يا إلهي ! ولكن .. ماذا
حدث لها أيها الرجل ؟ »

— « لقد سدمتها سيارة .. وقضت دون
أن تفيق من غشية الواقعة . »

وقفز الزسام واقفاً على حين غرة ، كأنه وحش
هم يريد أن يقض على قريبته ، وأخذ يصرخ
ويهنئ كالموتى .. « سينثيا .. ماتت .. ما .. »
ثم ارتجى فجأة فوق مقعده ، متجنباً إلى الأمام نظراً
بسينين لاجتبان إلى الحائط الجديب .

ولم يشفق (كائكارث) على الرجل ولم يرق
له فضي في حديثه : « ولقد كان اسمك آخر كلمة
قالت بها .. اسمك أنت .. أنت وحدك ! »

وأعاد الشاب الداهل الكلمة الرهيبة : « ماتت »
ثم أطبق شفثيه وأسكت لسانه كأنما أفرغه أن تنطق
هذه الكلمة المدمرة مسمنيه أو تمر على شفثيه

ومضى السير (بول) في حديثه غير مكترث
بما أصاب ضيفه ، أو أيلاً حدث له : لقد سألت
عنك كثيراً ... ولدتك ... وأرسلت في طلبك ..
وكانت تريد أن تراك ... وأشهد أنها لم تنفل عن
ذكرك لحظة ... وإنك ودي لها من إليها ...
فصلم بنا !!

وبين مسكنه طريق طوله ميل . وسأرا الرجل مسرع
الخطى بالزغم من رطوبة الجو وحلّة الظلام ...
لقد ذهب ذات مرة مع زوجته إلى (الاستوديو)
الذي يعمل فيه (بوني) فلم يكن من الصعب عليه أن
يهتدي إليه وحده هذه المرة ...

كان (الاستوديو) غارقاً في ظلام رهيب
موحش كما توقع السير (بول) ؛ ولكنه ما كاد
يدق الجرس حتى أضيئت الأنوار وافتتح الباب ..
ولما رأى الزسام وجه زائره ملكته المهشة من
هذه الزورة المفاجئة في تلك الساعة المتأخرة من الليل !
وقال (كائكارث) — وكان أكثر هدوءاً
من ضيفه — في صوت هادئ متدد « إلهيؤسفي
أن أزعجك ! »

— « إنني لم أكن نائماً . تفضل فادخل !
تفضل ؛ إنني لم أرك من قبل في مثل هذه الساعة ؟ »
وتابع السير (بول) ضيفه بين جدران
(الاستوديو) وكان يرتدى فوق منامته مغطاً
حريراً أسود اللون مما يلبسه الرسامون والفنانون .
وقال صاحب الدار لضيفه وهو ينظر إليه نظرة
فاحصة وقد خيم عليهما صمت موحش وسكون :
« ماذا وراك ؟ . هل أصابك مكروه ؟ هل (سينثيا)
بغير ؟ »

— « هل تمنى زوجي (اليدي كائكارث) ؟ »
— « أجل ! ... أجل ... هل هي بغير ؟ »
وأجاب السير (بول) في صوت وحشي قاتل :
« لقد ماتت ! »

كان هذا النبأ المفاجئ صدمة قوية لم يتحملها
الشاب ، وهزة عنيفة لم يقو عليها جلده ، وما كادت

الفصول والغايات

للفيلسوف الشاعر الكاتب

أبي العلاء المعري

— طريقة من روائع الأدب العربي في طريقته،
وفي أسلوبه، وفي معانيه. وهو الذي قال فيه
ناقدو أبي العلاء إنه عارض به القرآن. ظل
طول هذه القرون مفقوداً حتى طبع لأول مرة
في القاهرة وسدر منذ قليل

صححه وشرحه وطبعه الأستاذ

محمد موسى زنائي

ثمنه ثلاثون قرشاً غير أجرة البريد
ويطلب بالجملة من إدارة مجلة الرسالة
ويباع في جميع الكنائس الشهيرة

رفائيل

لشاعر الحب والجمال لامرئين

مترجمة بقلم

أحمد حسن الزيات

تطلب من لجنة التأليف والترجمة والنشر

ومن إدارة «الرسالة»

العدد ١٢ قرشاً

ومرغ الشاب : « نادني ؟ .. تقول إنها
نادني .. وطلبتني ؟ .. وأرادت أن تراني ؟ .. هل
أنت متأكد ؟ .. أقول حقاً ؟! أحمداً ما تقول ؟! »
ولم يستطع (كائنا كارت) أن يجيب عن شيء
من ذلك كله ؟ فقد جفَّت شفاهه وتقلصت أفراسه
عليهما ثم غم في صوت خافت : « نعم » ؛ وأطبق
بعد ذلك راحتيه كأنما يسحق بينهما شيئاً
— « كانت تحبني ... تحبني ... أنا ... »

ليني عرفت ذلك من قبل ! آه ... آه لو عرفت !
يا إلهي ... يا من تسمى نفسك عادلاً راحياً ... ليني
يا إلهي قد عرفت قبل الساعة أنها تحبني ... ليني !
ولم يتأكل (كائنا كارت) نفسه فصاح به :
« أنت ... ألم تكن تعرف ذلك ؟ ! »

— « آه ... إنني ما عرفت هذا قبل اليوم ؟
والأخذتها منك أيها الأحمق للفرور ... يا من
لأرحم ... إنه ليهون علي أن أسأل عذاب السعير
من أن أفكر فيها مقبلة معك ... معك أنت ...
وهي التي أحببتني أنا وحدي ... أنا وحدي أيها
القاسي ... ولكن ما عرفت ! »

وغطى الشاب وجهه براحته ثم تكبكب على
نفسه وأخذ يميل من جهة إلى جهة ويهتز بهتة ويسيرة
كأنه مستو لا يمي أو غيول لا يعقل ... غير
عابى بهن معه ! !

... ونظر السير (بول) لحظة إليه ؛ ثم ... ثم
وَلَّى هارباً دون أن يشمر به الرجل ... وأغلق الباب
ورماه في هدوء وسكون !

« الاسكتندره » محمد السيد شمسان

الرواية الأخرى . وكلا الكتاين مقروء
في كل اللغات . وفي اعتقادنا أن مشاركتنا
مئات الآلاف من القراء من أبناء اللغات
الأخرى في مطالعته أجدي علينا من إغفال
ما كتب عنا وليس يظفه غيرنا إذا نحن
أغفلناه . وأسأل الله أن يوفقنا نحن
العراقيين إلى سعة في الصدور لا تخرج
سها من عهد نأله ، وإلى ثقة بالأنفس
والمطشان إلى القسوة فلا تخفى على أعيننا
من رأى الغير فيها ، وإلى احترام العربية وحب
للسرفة ، فلا نكره سماع ما يخالف رأينا ولا
نميل إلى الجهل بما نحن أولو الناس بأن نلهم
الترجم

الفصل الأول

نشأة حاجي بابا ونشأته

كان أبي واسمه كربلائي حسن من أشهر حلاق
أسفهان . وقد تزوج وهو لا يزال في السابعة عشرة
من بنت رجل بدال كان جاراً له في حانوته ، ولكن
للصلة بين الزوجين لم تكن سميعة ، لأن زوجته لم
تلد ذمها . وقد جلبت له خفة اليد في حمل المولى
شهرة واسعة وعدداً كبيراً من « الزبائن » معظمهم
من التجار الأغنياء . وبعد أن مارس ستانته عشرين
عاماً استطاع أن يتزوج من سيدة أخرى ضمها إلى
زوجته الأولى في بيت واحد

وكانت الزوجة الثانية بنت سيرة غيرة كان
أبي يسمى به أكثر من عنايته بسائر « الزبائن » فلم
يتردد في قبول خطبته عند ما طلب الزواج من ابنته
وفي الأيام الأولى من عهد زواجه زأى زوجته
الأولى ستنبه بما تبديه من غروب الذيرة ، وأحب
أن يستريح منها وأن يظهر لصوره الجديد أنه صالح
تقياً فأخذ زوجته الثانية وذهب لزيارة مشهد الحسين

حاجي بابا أصفهانى

الكتاين الانجليزية هي "جهنم مؤبر"
بقلم الأستاذ عبد الكريم الطيفي النشار

مقدمة المترجم

لؤيت هذه القصة قصة أخرى عنوانها حاجي
بابا في انكلترا ، وقد قرأها قراء « الرواية » .
والصمتان مضى على نشرها أكثر من مائة عام . ولم
يكن من أهمها مؤلفها إلا تصوير حالة واقعة
في عصره لا في إيران وحدها ، بل وفي الشرق
عامة . وسيمر للتصوير للشرق بمخبرهم
وعاشهم الأقدم من العراقيين أن الرجل لم يكن
متجنباً على الشرق ولا متشاكاً على التاريخ . فما من
شك في أن الشرق كان منذ مائة عام ذا عيوب
وذا منات . وما تخفى بطلاننا وأبطالنا من عهد
نهضنا إلا بقدر ما سموا بنا من الحالة التي سبقت
هذه النهضة . وما تخفى بطلاننا وبدنسنا
إلا لما فيها من الناصر التي ساعدت على رفضنا
إلى المستوى الذي نحن فيه بعد أن وصلنا منذ قرن
من الزمان إلى ما كنا عليه

على أن الصورة التي رسمها هذا الكاتب لفضلنا
عن صحتها ليست زرية ، فقد بين المؤلف فيها
عناصر من القوة أشار إليها في الفصل الأول من
كتاب حاجي بابا في انكلترا . وقد قرأه قراء
الرواية حيث قال : إن الاعتزاز بالنفس والاستمالة
في المحافظة على الكرامة من أخس صفات
الإيرانيين ، وإنه لو أنشئت إلى ذلك علم صحيح
لما ساهمت أمة في الحياة . وقال إن غرضه لفت
نظر العراقيين إلى عيوبهم ، وإن لكل أمة عيوبها
وعيوبها . وقد قد بلاده نفسها « انكلترا »
في كتابه السالف من وجهة النظر الشرقية

أما كتاب اليوم فقد للشرق من وجهة النظر
الغربية . وقد كان المؤلف سفيراً لبريطانيا في طهران
حين وضع الرواية الحاضرة ، ثم أقام في بلاده الموضع

الحية فقد كنت أعرف للتدليك والتكليس في
الجمام على الطريقتين التركية والمهندية، فقد كان ذلك
من واجب الحلاقين في عصرى . ولكننى كنت أمتاز
بخفة اليد ولطف الحركة . ولقد أحسن إلى معلى
النفيع بتلقيبى شعراً كثيراً من دواوين شعرائنا
الفارسيين كالسمدى وحافظ الشيرازى وغيرهما، وكان
سوقى عذباً وإلقائى جميلاً؛ وكنت أجهل محادثاتى
بالاستشهاد بيت أو بيتين مما جعلنى رفيقاً أنيساً
لائقاً كل الباقية لسماعتى . وأقول في غير غرور إن
حامى بابا كان فريداً بين الشبان في سلامة البوق
وامتناع الجليس

وكان حانوت أبى بالتقرب من أكبر خان في
الدينة وهو المعروف بخان الشام، وهو عملة التجار
من الأجانب والقيمين . وقد كان أكثرهم يزوره
ويجزل له الطعام عبة في ابنه، وكان أحدم وهو
كاجر بشدادى يصغر على أن أخلق له دون سائر المال
في الحانوت ويقدمنى حتى على أبى . وكان يحدثنى
باللغة التركية التى تملت مبادئها في العهد الأخير،
وقد شوقنى إلى زيارة البلدان المختلفة بما ذكره لى
عن جهالها حتى نشأ بنفسى حب عظيم للسياسة . ثم
خلعته ممكان كاتب، وكنت جديراً بأن أملاً هذا
السكان وأنا أمتاز عن سائر الكتبة بأننى حلاق،
فرض على أن أدخل في خدمته فقبلت حياً في
السياسة ولكى أتمم التجارة، ولأن الراتب الذى
هرضه على كان راتباً عظيماً . ولا عرضت عزمى هذا
على أبى وجد فى بطنى عنه خسارة كبيرة عليه
لخاؤلى إقناعى بالدول عن ذلك وقال : إن هذه
الأسفار ممثلة بالتعاب والأخطار . ولكنه لما علم
بقدر الراتب وبالنتج الذى أوجوه في مستقبل،

في كربلاء . وفى أثناء الطريق حملت في منه . وقد
كان مروراً قبل هذه الزيارة باسم « حسن الحلاق »
فلما زار ذلك الشهيد دعى باسم « الحاج حسن »
لأن الشيعيين في البلاد الفارسية يلقبون بهذا اللقب
من زار قبر على أو أحد ولديه وإن كان سائر المسلمين
يقصرونه على من زار الشهيد النبوى . وقد دعيت
أنا أيضاً بلقب الحاج وإن كنت لم أحج في كبرى
لأننى كنت في بطن أى وعى تؤدى هذه الزيارة .
وقد أفاضنى هذا اللقب احتراماً كبيراً بين الناس
ترك أبى حانوته في مدة غيابى لأكبر عامل
عنده . ولا استأنف عمله زاد الاقبال عليه، لأن حجه
زاده شهرة فزاد إقبال التدينين عليه عامة والتجار
منهم خاصة

ويظهر أنه كان في عزم أبى أن ينشأ على هذه
الحرفة، ولكنه أرسلنى إلى المكتب لأتمم مبادئ
الدين . وكانت حرفته لاستمرار من التلم كل الذى
تملت، ولكن فقيه المكتب كان يحببى لأن أبى كان
يحلق شعره مرة في كل أسبوع بشير مقابل . وكان
يكرمه لتدينه وورعه . ووجد النفيع فضلاً عن
ذلك مبدى إلى التلم فسلمنى القراءة والكتابة . ولم يمض
طمان حتى كنت أعرف اللغة العربية وأحفظ القرآن
وأحسن الكتابة بها وباللغة الفارسية . وكنت في أوقات
فراغى أجلس بمحانوت أبى وأتمم الحلاقة في رؤوس
الصبايين وروضة الجمال . ولقد عفبت كثيراً منهم
في أول الأمر

ولكن لما بلغت السادسة عشرة من عمرى
صار من المصعب أن تعرف في أى الأمرين كنت
أكثر نبوغاً، أى المكتب طالبا أم في السوق حلاقاً .
وعلى مرفقى حلاقة الرأس وتنظيف الأذن وقص

وكان الوعد الذى سئلف فيه القافلة في أوائل الربيع فاستندوا للسفر، واشترى السيد لنفسه بثلة قوية واشترى لوكي فرساً أحل عليه من زرجيته وموقداً وزمزمة للساء وصندوقاً لفحم الزرجيلة وثيابي. واشترى للسيد الذى يقوم في خدمته بواجب الطباخ بثلاً يحمل عليه معه سجادة وأدوات الطبخ، واشترى للخادم بثلاً ثالثاً يحمل عليه معه ثياب السيد وزاد السفر وسائر الأمتعة

وفي اليوم السابق على السفر وضع السيد بعض ماله في قماش ملفوف على عمامة وخاطه عليها وكان لا يطلع على هذا السر أحد غيري. ووضع سائر الأموال داخل لحاف وخاطه أيضاً على هذه الطريقة وكانت القافلة عند ما استعدت للسير مكونة من خمسة بشل وفرس ومائتي جمل أكثرها يحمل متاجر من شمال فارس، وكان عدلها لجال مائة وخمسين من التجار والخدم، ولكن فيهم بعض التتبعين الذين لم يكن لهم غرض من هذا السفر غير زيارة قبر الامام على الرضا في مشهد. وبهم صارت للقافلة هيئة دينية

وكان كل رجال القافلة مسلحين. وكان سيدي الذي اعتاد أن يدير وجهه خوفاً كلما أطلق غدارته، ويصفر وجهه حينما يرى السيف مجرداً من نصله؟ كان هذا السيد يعمل في نطاقه غدارة كبيرة مقوسة وسيفاً موهجاً مطلقاً على جنبه، وكان صدره كله مغلف بالخرطوش. وكان في نطاقه غير الغدارة مسدسان وخنجر. وكان من رمح ومع البند سيف وبندقية قديمة بنير ذلك

زكناً بساعة الفجر من ضاحية في شمال أصفهان. وكان يقود القافلة جاويز تمينه الحكومة

ورأى أنه من المحتمل أن أسير غنياً مثل هذا التاجر وافق على سفرى ومنحنى بركته ومنحنى كذلك سندوقاً من اللواصى وأدوات الحلالة وكان حزن أى شديداً على بدي لأنها تخاف على من الأخطار وتكره أن أكون خادماً لرجل سؤر مع أننا من الشيعة؛ وبين الطائفتين في إيران عداوة قوية قديمة. ولكنها لما رأت إصرارى وتبينت أضرائى أهدت إلى صندوقاً من الكسك وأهدت إلى كذلك حقاً من الرمم قالت إنه يشفى جميع الأمراض، وأوصنى بالآألفت إلى الباب عند سفرى لكي أعود سليماً. وهذه عقيدة عترمة عند الشيعيين

الفصل الثاني

مرمر حاجي بابا - محاربة لوكراو. وقرره في لوكراو كان اسم هذا التاجر عثمان أنا، وكان يريد السفر لشراء جلود من بخاري ويبيعها بدم ذلك في الأستانة. وكان عثمان أنا قصير القامة ضخيم الحجة كبير الرأس أغني الأتف متفخه كبير الحجة أسودها

وكان يحافظ على صلواته ولم يترك زرع الخلف والجوارب عند الوضوء حتى في أشد أيام البرد محافظة منه على السنة مع أنه كان يستطيع مسح الخلف في هذه الحلالة. وكان يكره الشيعة إلى حد الموت، ولكنه كان يتبنى ذلك كل الاخفاء في مدة وجوده بالبلاد الفارسية. وكان أكبر ميوله متجهاً إلى الكسب، ولم يتم قط قبل أن يستوفى من أن أمواله في مكان أمين. وكان يرفه عن نفسه بالتدخين المستمر ويشرب النبيذ سراً وإن كان يلعن المجاهرين بشره ويمد ذلك قسماً كبيراً فيهم

هاجت قافلة قبل قيامنا بعد قصير فجردتها مما معها وأمرت الأقوياء من رجالها لاستخدامهم في الحرب. ومن أجل هذا السبب كان كثيرون من رجالنا وأخصمهم سيدي عثمان شديدي الخوف من مواصلة السير إلى مشهد، ولكن ماسحه عن رخص أعان الجلود فيها وغلاؤها في الأكسنة أغراء بالتغلب على المخاطر حياً في الكسب.

وكان جاويز القافلة ورجاله يجمعون من طهران وما حولها من أرادوا الانضمام إلى قافلتنا، وقد كان عددهم كثيراً فقرحنا بهم لمرقتنا بحسامة الخطر الذي ستصادفه

وكان هذا الجاويز معروفاً مسبقاً في الطريق بين طهران ومشهد وذلك لما اشتهر به من الشجاعة فقد قطع رأس رجل تركاني وجده ميتاً في الطريق. وكانت ظلمته خوفاً لأنه طویل القامة عريض الكتفين متجهج الوجه في ذقنه الكبيرة العظام شمرات فلال طويلة على شكل لحية. وعلى صدره درع وفوق رأسه خوذة ذات سلاسل حديدية تتدلى فوق كتفيه وإلى جنبه سيف وفي نطاقه مسدس وفي يده رمح طويل يده لانتقاء الخطر. وكان يفاخر كثيراً بقوة ويحدث باحتقار عن التتركان حتى كان سيدي يظمن إلى السير بالقرب منه والانضواء تحت لوائه

وكان موعد رحيلنا بعد أسبوع من التبرؤ. وبعد أن أدبنا في المسجد صلاة الجمعة ذهبنا إلى قرية «الشيخ عبد العظيم» حيث تجتمع القافلة وتبدأ بالسير في اليوم التالي.

وكان الطريق مقفراً جديداً لا يسر السير ولا يشرح القلب. وكنا كلما اقتربنا من قرية أولقينا

ومعه جنود يساعدونه، وكانت مهمته أن يرشد عن الطريق وأن يحدد الأسفار التي يشتري بها المسافرون ما يحتاجون إليه من المدن التي يرون بها ويحدد ساعات السفر والإقامة ويقض التنازلات بين المسافرين وبين أوقات الصلاة.

أعلن هذا الجاويز السفر بصيحة طلبة أنبها جنوده بدي طبولهم النحاسية. وعلى الرغم من أن المسافرين كانوا جميعاً يحملون السلاح فيظهر أنهم كانوا جميعاً مثل سيدي عثمان أناساً مسالين لا يعرفون كيف يستعملون سلاحهم.

وقد سرني من هذا النظراً كان جديداً على. وكنت أصرح بجوادى الذى لم أركب جواداً من قبله، وكان سيدي يفتاظن ذلك، وقد نهى إلى أن الجواد لا يستطيع أن يقطع مسافة الطريق كلها إذا أتبعته في أثباتها بالركض وإظهار الفروسية.

ولم يمض إلا وقت قصير حتى عرفت كل المسافرين وصرت حياً إليهم جميعاً؛ وقد حلفت لأكثرهم بعد اليوم الأول من السفر. ولا حاجة بي إلى القول بأن كنت في هذا السفر مبته سرور وأنس لسيدي؛ وكنت بين مرحلة ومرحلة أريح جسمه المكثود بالتدليك والاستحمام وبمسارحة حتى وصلنا إلى طهران دون أن يحدث عائق جدي في طريق القافلة.

وقد بقينا بهذه المدينة عشرة أيام لنرجع المطايا ولكي يزيد عددها، وكان أشد أجزاء الطريق خطراً هو الذى نحن مقبلون عليه بعد مفاددة المدينة، لأن به جماعة من متمردى الأكراد، بينهم وبين جنود الشيخاء حرب مستمرة، وكان من عاداتهم قطع الطريق والاعارة على القوافل لسلب ما فيها من الثروة، وقد

جماعة في الطريق بإدنام التحية الإسلامية ودقت الطبول وكانت جبل أحاديثنا عن التركان وعلى الرغم من اتفاق آرائنا على أنهم أعداء أشداء فقد كنا كبار الأمل في أنه لا يستطيع عدد الثنبل على عدداً الكبير ومظهرنا الذي يثر، وكنا نصيح عندما نركب في قوم : « باسم الله ! من هؤلاء الكلاب الذي تطعمهم أنفسهم في منابلقنا ؟ » وكان كنانا يتبارى في إظهار شجاعته، وكان سيدي يفاخر — وأستانه تصطك من الخوف — بما كان يفعله لوهوجت القافلة. ولوسسته إذ ذاك لظننت أنه لم يفعل شيئاً طول عمره غير عارية التركان وقتيلهم . وقد سمع الجاويش هذه الأقوال ؛ وكان شديد الحرص على أن يوصف وحده من بين رجال القافلة بالشجاعة فقال وهو يقتل شاريه حتى يكاد يلس بطرفهما أذنيه : « لا يتكلم إنسان عن التركان حتى يرام، ولا يتكلم أحد عن الأسد حتى ينجو من بين غلبه . ولقد صدق السيد حين قال : « لا يسل أحد من الخوف في يوم المركة حتى ولو كان ذراعاه ذراعى أسد وجسمه جسم فيل »

لكن سيدي عثمان أفا كان كبير الأمل في السلامة لأنه سقى كسائر الأتراك والتركمان، ولم يكن يعتمد عند لقاءهم على سيفه أو غدارته وإنما كان يعتمد على قطعة من الفاش الأخضر يلف بها عمامته . وهذا اللون عند الأتراك علامة على أن المرء من السلالة النبوية بعكس اللون عند الفارسيين ولم يكن سيدي من الأشراف في الحقيقة وإنما هو سلاح يلجأ إليه عند الضرورة

سرا على هذا المنوال عدة أيام ثم أخبرنا الجاويش بلهجة الرجل اللطيف الذي يلقى خبراً

هائماً أننا أصبحنا الآن في أرض التركان وأوصانا بأن نستمد للدفاع عن أنفسنا دفاع البائسين وبأن تتجمع القافلة فلا يتمد عنها أحد ولا يفرد بنفسه فريق . فكان أول شيء فطسيدي أن ربط بتدقيته وسيفه وغدارته ولها بين الحفائب وادعى أنه مريض وأقنع عن عزمه السابق على الاشتراك في القتال . ولما نفسه بعباده وظهرت على وجهه علام البؤس والتماسة وصار لا يتقطع عن الاستفشار والتوبة، واستمد الملاة القدر الكتوب عليه وزرع من نفسه فكرة الاحتياء بالجاويش لأن الأخير ترك المبالاة بقوة وصار يزعم أن مه « حجاباً » بقي القافلة شرور الاختداء ويدفع عنهم سهام التركان وكان بعض الفتيان في القافلة يباهون بقوتهم ويحتالون فوق خيولهم إما لإظهار الشجاعة وإما ليحتفظوا بها في أنفسهم . وأخيراً وقنا فيما كنا نخشاه وسمنا طلقات النيران ودوت في آذاننا أصوات وحشية، فاعترانا القلق جميعاً من مسافرين وركائب وتجمنا بدافع الخوف فصرنا كتلة واحدة كما يتجمع سرب من الطير عند رؤية العقبان . .

ولكن لما ظهر أمامنا فريق من التركان تثيرت الحال فتفرقنا وفر بعضنا بمنة يوسرة واستسلم البعض ومنهم سيدي عثمان فصاروا يصيحون : « يا الله ! يا رسول الله ! يا أولياء الله ! لقد هلكنا ! لقد همتنا ! » وروى البعض ما على فرسه من المتاجر ليخفف محله ويستطيع الجرى ثم ركض به . وأصابنا وأبل من النهماء ثم انقض علينا أعداؤنا ولم نغض إلا دقائق حتى صرنا في أسرهم

وكان الجاويش من أوائل الهادين فلم نره ولم نسمع كخبراً منذ تجمنا طلقات الرصاص . ولما اطمان

جماعة في الطريق بإدنام التحية الإسلامية ودقت الطبول وكانت جبل أحاديثنا عن التركان وعلى الرغم من اتفاق آرائنا على أنهم أعداء أشداء فقد كنا كبار الأمل في أنه لا يستطيع عدد الثنبل على عدداً الكبير ومظهرنا الذي يثر، وكنا نصيح عندما نركب في قوم : « باسم الله ! من هؤلاء الكلاب الذي تطعمهم أنفسهم في منابلقنا ؟ » وكان كنانا يتبارى في إظهار شجاعته، وكان سيدي يفاخر — وأستانه تصطك من الخوف — بما كان يفعله لوهوجت القافلة. ولوسسته إذ ذاك لظننت أنه لم يفعل شيئاً طول عمره غير عارية التركان وقتيلهم . وقد سمع الجاويش هذه الأقوال ؛ وكان شديد الحرص على أن يوصف وحده من بين رجال القافلة بالشجاعة فقال وهو يقتل شاريه حتى يكاد يلس بطرفهما أذنيه : « لا يتكلم إنسان عن التركان حتى يرام، ولا يتكلم أحد عن الأسد حتى ينجو من بين غلبه . ولقد صدق السيد حين قال : « لا يسل أحد من الخوف في يوم المركة حتى ولو كان ذراعاه ذراعى أسد وجسمه جسم فيل »

لكن سيدي عثمان أفا كان كبير الأمل في السلامة لأنه سقى كسائر الأتراك والتركمان، ولم يكن يعتمد عند لقاءهم على سيفه أو غدارته وإنما كان يعتمد على قطعة من الفاش الأخضر يلف بها عمامته . وهذا اللون عند الأتراك علامة على أن المرء من السلالة النبوية بعكس اللون عند الفارسيين ولم يكن سيدي من الأشراف في الحقيقة وإنما هو سلاح يلجأ إليه عند الضرورة

سرا على هذا المنوال عدة أيام ثم أخبرنا الجاويش بلهجة الرجل اللطيف الذي يلقى خبراً

كان قليل النظير في القوة والشجاعة، وكانت خيامه على حافة بحري يجري بهاء متحدر من التلال الجاورة، وكان على سفح تلك التلال حشائش خضراء ترمى بها الماشية

وقد أخذ بعض أقراننا إلى داخلية البلاد وقسموا بين قبائل التركان التي تسكن في هذه المنطقة. وحينما ظهرنا في المسكرا توجهت إلينا جميع السيون لتزانا، وقوبل الذي كنا من نصيبه بتحيات عالية تدل على أنه له زمامة عليهم، ونبهتنا كلاب الرعي التي خصص بمضها لحراستنا، وكانت زوجة هذا الزعيم مقيمة في خيمة من خيامه، وكان لثمان طيلسان أخضر يكسبه مائة، فلما رآه تلك الزوجة أعجبها فأخذته منه ولم يبق على رأسه غير القلاووق وهو نوع مستطيل من العمامم يحفظ فيه أمواله وقد طلبته الزوجة أيضاً لتقطعه وتضمه تحت هودج الجل. ولما أعطاه إياها أخذته وألقته في جانب من جوانب الخيمة وقد حاول أن يحتفظ به ولكن عينا ذهب محاولته. وأعطى بدلاً منه قطاء للرأس كان يلبسه رجل مات من الأسرى وهو مصنوع من جلد شاة وقد مات هذا الأسير من حزنه لما تلقاه من سوء الماملة

وكان هذا الأسير مكلفاً بخدمة الجلال، فلما مات أراد التركاني أن يضمه مكانه، ولم يكن مسموحاً لي إلى ذلك الوقت بمغادرة الخيمة، وكان العمل الذي

كلفت به منذ وصلت هو تحويل اللبن إلى جبن وقد أقام الزعيم حفلة ابتهاج بتجاء الحملة على القافلة فأولم للكبار من أعوانه وذبح البانج، وكان معظم هؤلاء الأعوان من الذين اشتركوا في مهاجنتنا

التركاني إلى أنهم لن يجدوا مقاومة وضموهم إليهم على المتاجر فسلبوا. وكان سيدي قد اختفى بين الحفائب الطروحة على الأرض منتظراً ما سيسيه فاستكشف مكانه تركاني ضمخ الجفة مرعب الهيئة فأخذ عثمان يتوسل إليه ويضرب بكل الألفاظ المائلة على الدل والخضوع فأكراً أنه من أتباع أبي بكر ومهر لاهنا شيمة على. ولكن شيئاً من ذلك لم يفده حتى أظهر له قماش المامة الخضراء فصف عن حياته ولم يبق على شيء من متاجره وإنما ترك له ما عليه من ملابسه وترك له حقيبة ثيابي لأنها لا تستحق أن تسرق، وكان فرحى شديداً حين ترك لي أيضاً صندوق اللواشي

وبعد أن أخذ التركان ملأ أرادوا أن يأخذوه أسروا بضمتنا وأطلقوا سراح البعض، وكنت من بعض الأسرى الذين ربطت أعينهم وشدوا إلى ظهور الخيل. وبعد سفر يوم على هذه الطريقة تركونا في كهف

وفي اليوم التالي رفضوا الأربطة عن عيوننا فوجدنا أنفسنا في جمة لا يرفها غير التركان، واستأنفنا السير حتى وصلنا إلى سهل ملؤه بالخيام السود وبه عدد وافر من الأغنام واللواشي المملوكة لأعدائنا

الفصل الثالث

التركاه - اللواشي

لما انقسم التركان الأسرى كان من حسن حظي أنني كنت وسيدي عثمان أغنام نصيب رجل واحد هو اللص السفاح الذي سبقت الإشارة إليه وكان اسمه «أسلان سلطان» يعني سيد الأسود، وقد

اجتمع الرجال في خيمة والده في خيمة أخرى ، فقدمت للرجال أطباق الأرز وعليها قطع اللحم ، وبعد أن أكلوا حتى شبعوا قتلوا الأطباق إلى خيمة النساء فأكلن ، ثم نقل ما بقي بها لراحة الجبال فالتهموا بشراة حتى امتلأت بطونهم ، ثم جاء لنا والكلاب بالبقايا الأخيرة وقد كنت أنتظر وقت مجيئها بصبر نافذ ، لأن الجوع قد نال مني ، وكان ما ذهبت منذ أسرت ناضجا يسيرا ولكن في أثناء انتظارى تلك الفضلات جاءت إلى خادمة في السر بطبق عجلوز بالأرز وبقطعة كبيرة من اللحم وقالت : إن التي أرسلته هي زوجة الزعيم وأنها تملط على وتأسرنى بأن أتشجع وقضى الرجال النهار في التذخين وفي سرد حوادثهم . وقضاه النساء في الفناء على الطنبور . أما أنا وسيدى عثان فقد كنا في حالتنا هذه وقلب كل منا مغمم بالأحزان . لكن تشجيع زوجة الزعيم وإرسالها إلى الطعام قد جعلنا نحيا ليسبح في الأجواء وتسلت كثيرا عن مصابي . ولم تكن كذلك حالة رفيق الذي ضاق صدره وغلب عليه الحزن ، وكنت أحاول مواساته بتلك الجملة التي تخفف عن كل المسلمين أحزانهم ، وهي « الله كريم » . فكان يقول : « الله كريم ، الله كريم ، ولكنك لم تفقد شيئا ، وأنا فقدت كل شيء »

الفصل الرابع

اتقاه الزعماء وأمرارهم في مظنرا

وكان من أهم أغراضى أن أحصل على عمامة سيدى عثان وهي التي فيها أمواله وهي لقاء في جانب من جوانب خيمة السيدة . وكنت أريد الحصول عليها دون أن أثير أقل ريبة . لا أعرف في المسكر أنني حلاق وجد لي فيه أصدقاء ، وكنت أعتقد أن العطف الذي وجدته من زوجة الزعيم سيزداد . ولكن مضت أيام طويلة لم تزد فيها تلك العلاقة على نظرة حنان منها ونظرة شكر مني . ولكن الحلاقين في البلاد الفارسية كانوا يزاولون بعض الأعمال الطبية مثل خلع الأسنان

وفي اعتقادي أنه لم يحزن على شيء كما حزن على ضياع الكسب الذي كان ينتظره من شراء الحارث . وأنه كان يقطع وقته في عد الأموال التي كان يقدر كسبها ولم يكسبها

على أننا افترقا بعد وقت قليل فذهب عثان إلى الجبل لرى خسين جلال ، وهدم الزعيم يقطع أذنيه وأنفه إنا فقد واحدا منها ، وبأن يقطع من قوة نحن الجبل الذي يموت : وإظهارا لعطف على عثان

وفي اعتقادي أنه لم يحزن على شيء كما حزن على ضياع الكسب الذي كان ينتظره من شراء الحارث . وأنه كان يقطع وقته في عد الأموال التي كان يقدر كسبها ولم يكسبها

على أننا افترقا بعد وقت قليل فذهب عثان إلى الجبل لرى خسين جلال ، وهدم الزعيم يقطع أذنيه وأنفه إنا فقد واحدا منها ، وبأن يقطع من قوة نحن الجبل الذي يموت : وإظهارا لعطف على عثان

على أننا افترقا بعد وقت قليل فذهب عثان إلى الجبل لرى خسين جلال ، وهدم الزعيم يقطع أذنيه وأنفه إنا فقد واحدا منها ، وبأن يقطع من قوة نحن الجبل الذي يموت : وإظهارا لعطف على عثان

مؤذيا لها وستكون عليها نعمة ذلك. فجاءت بتلك العمامة ولا وضعت اللوصى على ذراعها ورأت نظرات القلق في العيون المتطلعة إليها بدا عليها الخوف وخفت أذا أيضا ألا أستطيع أخذ العمامة لهذا السبب، قلت إن رفضها لا يفيد، لأن الحجابة ضرورية لها. واستشهدت بالنجم وافق الكل على تعضيد رأيي فتجللت وتمحلت وخزة اللوصى. وقلت: إنه يجب أن يترك الهم الذي سكب منها فلا يقربه أحد غيري ويجب إخراجه من الخيمة ووضعه في مكان غير معرض للشمس لأن هذا ضروري لصحتها

فسمح لي بأخذ العمامة وفيها الهم وانتظرت إلى الليل ثم فتقت القماش وأخرجت ما فيه من المال وهو خمسون قطعة ذهبية وأخفيت بها ثم أخفيت العمامة أيضا. وفي الصباح أخبرت السيدة بأنني فعلت ما تقضي به أصول الصنعة فدفت الهم بأمانه حتى لا يسبها في المستقبل حادث مكروه، فأظفرت الاقتناع بهذا القول وكافأني بطبق من اللحم طبخته يدها وآخر من الأرز ولا صار في يدي المال تذكرت صاحبي الأول الذي قدر عليه أن يقضى حياته في شقاء وليس يشغل فكره غير عد الأموال التي قددها والتي كان ينتظر أن يكسبها فلم يوفق إلى ذلك، وذكرت إكرامه لي فصممت على أن أحفظ له ماله. ولكنني بعد ذلك أخفيت أنا قش هذا الرأي فقلت إلى المدول عنه وقلت في نفسي: «لولا حيلتي التي توصلت إليها بذلك لآسأ لا أمكن الوصول إلى هذا المال، فضلا عن ذلك فإن سيدى عثان لن يستفيد من هذا المال وهو في عمله الجديد من ربح الأبل في الجبل» وقد كان من اللقد عليه أن يفقد هذا المال ومن القسوم لي أن أنه. واعتبرت نفسي مالا كشرعيا لهذا المبلغ الذي لا أرى أي قانون يقضى على يده. ولكن نفسي حدثني في الوقت نفسه بأن أرسل إليه نصف الذي أرسل

وجبر العظام والحجامة والسكى ومعالجة الجراح، وقد وجدت زوجة الزعيم نفسها في حاجة إلى أن يمتجم فأرسلت إلى تساني: هل لي معرفة بالحجامة؟ فأجبت على الفور بأنها من صناعتي التي أحسنها كل الاحسان. وقام بعض رجال القبيلة بأعمال فلكية ونصبوا الأسطرلاب وقرروا أن الوقت المناسب لها هو الصباح القليل.

وفي تلك الساعة المباركة قدمت إلى خيمة السيدة فوجدتها هناك تنتظرنني بصبر فأنفذ. ولم تكن من السيدات اللواتي يزعمهن رؤية السلاح في يد ضيف مثل وهى مفرطة في السمع كالتساء اللواتي يحمن الأثر على النقيض من أذواق الفارسين فاتهم لا ينجون من النساء غير الهيفاء الرشيق، ولذلك لم يلائم جمالها ذوقي، فضلا عن ذلك فأنني أعيش تحت حكم الظالم «أسلان سلطان» ولو وصل إلى عليه أى شيء عني لا كان عقابي أقل من الموت. ولقد كان التفاتها إلى عثاني، وكان خدامها ينظرون إلى نظرتهم إلى الرجل الكبير النفوذ ويملقني، وقبل أن أبدأ عمل الحجامة جسست فيها فوجده شديدا المضطربا، ودرت بلعظي في أرجاء الخيمة لأرى إله يسكب فيه الهم التخلف عن الحجامة فوجدت آتية عثينة من البورد وطلبها، ولكن زوجة الزعيم أبت وقالت إنها هي التي تشرب منها فاتفاحت أن يؤتي بالعمامة التي كانت لسيدى السالف عثان أنا

تفقدت السيدة تلك العمامة فلم تجدتها وقالت لها الزوجة الأخرى إنها أخذتها وإنها أصبحت لها، وقام خلاف بين الزوجتين خشيت أن يصل إلى مسمع الزعيم فيدق عظام الزوجتين ولكن النجم تدخل في الأمر فقال للزوجة الثانية أنه لا ينبغي أن يساء إلى من ستحتجهم وإلا كان ذلك

وكان دليلنا في هذه الرحلة هو الزعيم نفسه ، لأن خبرته بالطريق أعظم من خبرة أى رجل سواء . وقد اعتمدوا على " في إرشادهم في طريق المدينة ولكن البعض منهم اعترضوا على ذلك وقالوا إنه لا يصح الاعتماد على رجل فضلا عن أنه أسير فهو من أهل البلاد المراد غزوها وليس بهمه شيء كما بهمه الفرار ويسلمنا نقشة شديدة تقرر أن أقودهم في أصفهان على شرط أن يركب فارسان بجني أحدهما من بينى والآخر

عن يسارى ، فإذا رأينا منى ماريهما تلاقى في الحال . ولما تم الاتفاق على ذلك أعد التركان خيولهم

وألبسوا ثوبا من ثيابهم المصنوعة من جلد الغزال ووضعوا على رؤسهم عمامة من فرو النمر وأعطوني رحما طويلا وريطوا في جوادى كيسا من النعنع والخبز والبيض . وكنت في مدة الأسر قد تموت الصبر على الجوع والنوم على الأرض فصرمت مثل سائر رفاقي الذين لا يعلم أحد في الصبر وتعمل المشقات وحرصت على إطفاء ما منى من اللال وقلت

لسيدي القديم إنه إذا أمكنني فداؤه أو حمل الزعيم على فك أسره فاني سأفضل ذلك في الفرسة الأولى . فقال لي إنه لا يفكر فيه أحد ، ولا يقبل أن

يفتديه أحد ، فإنه سيد بان نال ممتلكاته ، ووجهة لا بد أن تكون تزوجت من رجل آخر وإن لم يبق بنفسه أمل ، ولكنه رجوني رجاء واحدا هو أن أسأل له عن أسنار الجلود في الآستانة

وهنا قام بينى وبين ضميرى نزاع جدى بشأن ما منى من اللال قتل إن حفظه منى خير له وليس له أى أمل ، في النتيجة بينى وساطتى ، وإذا فردت ومنى مال خير من فرادى ممدما

وحده المنجم ساعة - فرما وكانت الليل فركبنا ، وكان عدد الضباط عشرين بما فهم أنا والزعيم أسلان ، وكنا جميعا تركب جيادا أعطهم من خير جياد القارة الآسيوية . وكانت الليلة مقمرة ومحن

إلى من اللحم بواسطة الطفل الذى يساعده والذى كان يذهب كل يوم إلى الرضى والذى وعدت بالأسر يا كل شيئا منه ، وقد كنت أشك في صدق هذا الوعد . ولكن لم يكن في وسى أن أركن إلى غيره وكان من الميث أن أحول غير ذلك

الفصل الخامس

ما منى بابا بصير لصا

مضى على أكثر من عام وأنا في أسر التركان فاكسب ثقة لأحد لها من الزعيم وصار يستشيرني في كل أعمالها الخاصة وفي الأعمال التى تتعلق بقبيلته ؛ ورأى أنه يمكن الاعتماد على في كل شيء فقول على استصعاب في غزوانه إلى بلاد الفرس ، وهذه الثقة تهيئ لي الفرصة للفرار . ولكنه إلى ذلك الوقت لم يكن يسمح لي بالذهاب وحدى إلى ما يبدل الرضى . وكنت أجهل الطرق المغفرة الصخرية الواقعة بيننا وبين فارس فراءت أن عاولة الفرار عبث لا يفيد . وقد حاول بعض الأسرى أن يفرأ فهلك فريق منهم في الصحراء واضطر الفريق الآخر إلى العودة إلى ساداتهم الذين زادوا في الإساءة إليهم ، قتل في نفسى

إنه لا داعى إلى التجبيل بالفرار . ويجب أن أجعل منى مقصودا في هذه الفرسة على دراسة الطريق ، فانا لم أتمكن من الحرب عند وصولنا إلى فارس فاني أكون قد عرفت الطريق إليها وأهرب في أى وقت أشاء ومن عادة التركان أن يحصلوا غزواتهم في فصل الربيع لأنه يكون لديهم إذ ذاك غذاء وافر للماشية ويكونون واقفين من مقابلة قوافل في الطريق . وكان ذلك الموعد قريبا فجمع أسلان سلطان شيوخ القبائل ورؤساء المائة ورؤساء العشرة والمهرة من المصوص وأحسنوا يدبرون الخطة لنزو البلاد الفارسية . وقد اجتمعت كلاتهم على غزو مدينة

أصفهان في الليل وهذه المدينة شهيرة بنى مجارها .

حتى وصلنا إلى الخان وقد كنت أعرفه وأعرف كل جزء فيه لجواره حاتوت أبي، فاشترت إلى أحماني بالوتوف وذايت البواب باسمه بأن يفتح الباب وكان اسم هذا البواب على محمد فتح البواب وهو بين النوم واليقظة وقال لارأى كثرتنا: ما هذا الوكب؟ ما هذا الوكب؟

قلت: «نحن آتون من بندا» قال البواب: «بندا؟ هل تريد أن تسخر مني؟» قلت: «لقد جئنا من بندا بالأس» ثم لمارأيه مرنا بآقت «أنا حامي بيا بن الحاج حسن الحلاق وقد ذهبت مع عثمان أنا كما نعلم إلى بندا وعدت ضروداً بالأخبار» قال: «هل أنت حامي بيا الذي كان يملأ لي؟» مرحباً بك، لقد ظل مكانك غالياً مدة طويلة.

ثم أوقد شمة فرأينا حجرة فسيحة بها أمتة التجار. ولما رأى أحماني ذلك عزموا على اختطاف بعض أغنياء التجار لأن أحدهم يستطيع أن يقتدى نفسه بأكثر مما تستطيع نحن حله من التاجر ولأن اختطافنا لإمام يكفنا من الشقات والأخطار ما يكفنا تقل هذه التاجر

وقبل أن نحدث شجة في المكان اختطف زملائي ثلاثة من التجار المتحفين بالطيالب الحربية التوسدين السجاجيد الفارسية وأردفهم على ظهور الخيل. وفي ذلك الوقت دخلت الفرقة التي كنت أعرف أن صاحب الخان يحفظ فيها أموال الضيوف فانقلبت الصندوق وجريت، وكان ذلك الصندوق مفتوحاً وبه عدد من الأكياس المتفاوتة الأحجام نخبأت في ثيابي أكبر كيس منها، ولم تكذب نخرج من الخان حتى استيقظ جميع من فيه وهاجوا، وكان البواب إذ ذاك مكتوف اليدين غائب الرشمن الخوف، ولم نكد نصل إلى صربط خيولنا حتى كانت المدينة قد هاجت كذلك وخرج الشهبان من رجالها يمشون عنا.

«يتيم» عبر اللطيف النشار

مسلحون بالسلح الكامل، وقد كنت أشعر بأن لم أخلق لأكون عارباً وإن كان في مقدوري أن أتصنع حالة الحارين من البساة حتى يظن أحماني أنني لست أقل شجاعة من رستم وهو أشجع بطل في تاريخ فارس. ولكنني كنت بين وبين نفسي أجزع من حلول يوم التجربة الذي تتضح فيه حقيقي.

ولما سرنا في الصحراء مدة اختلفت طبيعة الأرض ووجدنا تلالاً نسلقناها، وهنا ظهرت معرفة أصلان بالطريق، فقد كان مثله في البر كمثل الريان في البحر له في معرفة الطرق ما ليس يسهل على غيره عمله وكنا نسير بالليل ونستريح بالهار حتى قطعنا أربعمائة وعشرين ميلاً فوجدنا أنفسنا على أبواب أصفهان وصار الأمر متوقفاً على أكثر من أي إنسان، لأنه لم يكن فيهم حتى ولا الزعيم نفسه من يبرق طرق المدينة كما أعرفها وكانوا يريدون دخولها من شارع كبير فيها ليس عليه باب وفي هذا الشارع خان الشام وهو محط رحال التجار ويستحيل أن يخرج من أموال كثيرة ومتاجر، وكان في نيتنا ألا نحدث هياجاً ولا شجياً متى استعطينا إلى ذلك سبيلاً بل نأخذ ما نصل أيدينا إليه والناس نأمنون ونمود قبل أن يستيقظوا إلى مسكرنا

هكذا كانت خطتهم. ولكنني وجدتها منطوية على كثير من الأخطار، والأمل في مجامها قليل فنهتهم عنها، فنظر إلى الزعيم نظرة ملؤها الزم وقال: «افتح عينيك يا حامي بيا فانا لسنا أطفالاً وليس أمرنا لئباً. إنني أقسم إذا لم تسلك معنا مسلحاً حسناً بأن أحرقك حياً»

ثم أمرني بأن أسير بجوادي بالقرب منه وأمر وغداً آخر بأن يسير بجاني الآخر. ثم تقدمنا نحن الثلاثة سائر الحلة فدخلنا في الجزء غير المأهول من المدينة، فوجدنا المنازل الخرية ودخلنا فربطنا جيادنا ومشينا على أقدامنا دون أن نحدث هرجاً



صاحب المجلة ومديرها
وردئيس تحريرها المشول
احمد حسن الزيات

برل انستراك على سنة
٣٠ في مصر والسودان
٥٠ في الممالك الأخرى
١ عن البلد الواحد

الوزارة
دار الرسالة بشارع المبدولى رقم ٣٤
مابدين - القاهرة
تليفون ٤٢٣٩٠ ، ٥٣٤٥٥

الرسالة

مجلة أسبوعية لتقصص ولانديج

تصدر مؤقتاً في أول كل شهر وفي نصف

السنة الثانية

٩ رمضان سنة ١٣٥٧ - أول نوفمبر سنة ١٩٣٨

العدد ٤٣



فهرس العدس

صفحة	
١٠١٨	المجنون أفصوة مصرية بقلم الأستاذ محمود بك خيرت ...
١٠٢٤	سحر بابل أفصوة شرقية بقلم الأستاذ دريخ خشبة ...
١٠٣٠	خسة أعوام في عذاب مترجمة عن الانجليزية بقلم الأستاذ عبداللطيف النصار ...
١٠٣٧	المريدان لكاتب الفرنسي جوستاف جيفروا بقلم الأستاذ محمد لطفي جمعة ...
١٠٤٤	وقائع مارثان ولديك لكاتب الانجليزية ولتر سكوت بقلم الأستاذ محمد كامل حجاج ...
١٠٤٩	انتقام رقيب لكاتب الفرنسي أونوريه دي بلزاك بقلم الأديب عبدالوهاب مصطفي بحلاق ...
١٠٥٥	فتاة مصر أفصوة مصرية بقلم الأديب نجيب محفوظ ...
١٠٥١	حاجى بابا أصهانى لكاتب الانجليزية جيمس مور بقلم الأستاذ عبد اللطيف النصار ..

تفسيراً لتأليب الحياة ...

ولكن كيف نوفق إلى
اختيار هذا الرفيق والقلب عميق
يميد النور هبات أن يرتفع
الحجاب عنه فتكشف ما ضمت
ظلماته من غتلف الشهوات
والأهواء ؟

المُجَنَّبُونَ

اقصُوصُهُ مَصْرِيَّةٌ
بقلم الأستاذ محمود بك خيرت

ولقد أمكن للملاء أن يضموا للكرة الأرضية
خطوط الأطوال والعرض فأمكن لهم أن يهتدوا
إلى أجزاء الدنيا المريضة الواسعة، ولكن يجر الزواج
الشاسع المتتالي الأطراف لم يظفر يوماً بمثل هذه
الخطوط نسج بها قرار القلوب وما اندفن في
أغوارها من معاني الخير والشر وأسباب الاستقرار
والانهيار .

نعم إن اختلاط الجسدين وتمازجها قد يساعد
على الإلمام بأخلاقيهما ولكنه في الحقيقة إلمام ناقص
لأن كلا منهما يجتهد في كتمان عيوبه ويتكلف
التظاهر في ثوب من محامد الصفات ليست فيه وقد
تعمى القلوب أيضاً من جمال الصفات بجمال القدرات
« وعين الرضى عن كل عيب كيلة » .

على أن من الناس ذوى البصيرة النافذة من
اعتادت عيونهم تحليل النفوس والنفوذ إليها
فيستخلصون أسرار قلوب الناس من سكنهم
وحركتهم وحلهم وغضبهم ومن سرورهم وأحزانهم
ومن أساليبهم في أحاديثهم لأن كل ذلك ينشر من
حولهم شبه موجات تحمل في ذواتها الدقة أترا
محسوساً من تلك الأسرار .

وقد كانت « جلوس » من هذا القبيل حديدة

لا مناص من الزواج لأنه ركن العمران
وسمادة الأسرة . ولا يخفى في أن أول الأسباب
الحافزة إليه جمال التكوين لأنه مطمح الشباب
والباب الذي ينفذ منه الحب، ولكن الجمال والشباب
لا يدومان إلا كما تقوم الزهرة الناضرة، حتى أن
للرأة لتلجأ إلى كل الوسائل استبقاء أثر حسنها
الولوى . وكذلك الرجل، فكان مما لا يد منه أن
يسد هذا الفراغ عاطفة غير عاطفة الحب تستقر
بها هذه العلاقة وتستمر .

نعم إن الزواج في العصر الحاضر امتد كثيراً
عن معناه الروحاني الذي كان هناء البيت، لانصراف
الناس إلى المادة واختناهم بريقها، إلا أن المقلد
منهم ما زالوا يحسبون للزواج حساباً كبيراً لأن
عليه مستقبلهم ومستقبل أبنائهم وبناتهم

وإذا كان ليس بضرير أن اللاحقين يرون غرق
السفن بأعينهم ثم يمدون إلى البحر وأخطاره لأنه
مادة حياتهم ومصدر رزقهم فإن من غير المستغرب
أيضاً أن الفتيان الذين ينضمون جنون الشباب إلى
تحطم سفن الزوجية على مخور غوايتهم يمدون
إلى ركوبها لأنهم مضطرون بحكم التاموس الطبيعي
إلى التفكير في الرفيق الصالح من طريق الزواج

تحتل به وتحدث إليه حتى آلت بأسول الزراعة الشتوية والمصيفية وأنواع المحصولات وطرق رى الألبان وتسميدها وبذرها وغرس عقل أشجار النافكة فيها ومواعيد جمع الفطن وحصاد الللال وتقليم الأشجار وتقليمها في مشاتهاOLF فساتل النخيل بالخيش أو الحصير لوثابتها من أشعة الشمس إلى غير ذلك

كانت تحيط بكل هذا علماً وعملًا لأنها كانت كلما قصدت إلى شين مع أبيها تمر بالحقول وتجلس عند السواقي وتزور الأجران وتنطلق إلى زرائب الماشية وحظائر المواب وتشرى على حلب الأبقار وترى المداخن وخلايا النحل حتى أن الفلاحين كانوا يدهشون من إقبال هذه الفتاة الناعمة على مثل هذه الشؤون الخشنة

ولقد مر على زواج جلين وصادق نصف عام كانت السعادة فيه تظلهما بظلالها والهناء يرغرف بجناحيه من فوتهما وهو يذهب كل يوم إلى عمله بينما تقوم هي على شؤون البيت ، وكان إذا جاء الليل يقضيان شطراً منه في الحوار والمطالمة ، وإذا حضر الشيخ إبراهيم أشركنه معها في التحدث إليه لتدرجه على مثل هذه الأمور التي يجملها كما أنها كانت ترافقه إلى شين أحياناً ليكون ما ألم به ثابتاً من طريق عمل

وكان الفلاحون يستقبلونها فرحين وقد اصطفوا على جانبي الطريق ، وهي تحميمهم وتوزع ابتساماتها عليهم وتسألهم عن صغارهم ثم توزع عليهم ما حلت لهم معها من الهدايا والخلوى . وهي تقدم من كل ذلك أن تمد زوجها للأشراف بنفسه يوماً من الأيام

الذكاء بصيرة بمواقب الأمور حتى أنها لما خطبها « كمال » رفضت يده بمجرد نظرها إليه والاستماع إلى حديثه مع أنه فتى سري جميل . ولكنها قبلت يد آخر ليس بالجميل ولا باليسم وهو مع ذلك رقيق الحال

وقد كانت هذه الفتاة فوق ما هي عليه من أسباب الفتنة ولباقة الشبائل على جانب عظيم من بمد النظر وسداد الرأى تبحث عن كمال السرية قبل جمال الصورة وتنتظر إلى الزواج نظرة التي تريد الحياة إلى جانب رفيق يقدرها ومحبها ، وقد قرأت في سنانة خطيبها الثاني مادة أولية يسهل عليها تكيفها بحيث تتفق مع طبيعتها وطبعها

ومن أبرز صفات هذه الفتاة أنها لا تجارى فتيات عصرها فيما يسمينه حشائث للندبة فكان من أفضى الأشياء إليها الشدة لأنه يضمنط على صدرها وأمسائها فيؤثر في حركة التنفس ويوق عملية الهضم ؛ وإنما كانت تكتفى عنه بمزام لين خفيف لا يؤذيها ، وعن أربطة الجوارب التي تمنع سريان الدم إلى قدمها بعشيك يصل طرف جوربها بطرف سروالها . وكانت تنفر أيضاً من الساحيق والأدهان والأصباغ لأنها تلف البشرة وتذهب بحامس الوجه وشتان ما بين الملاحاة الطبيعية والملاحاة المجلوبة ، كما أنها كانت تمقت كشف صدرها وساعديها لأن ذلك يمرضها لتثيرات الجو والأمراض ولا يثمر غير الفتنة والآنم ، وما تبخرت اللفة إلا من فتحات الأكمام القصيرة

وكان لأسرة جلين ألبان فسيحة بشين الفناظر يباشر شؤونها ناظر كان كلما هبط إلى القاهرة

ما كان يتأخر إلى منتصف الليل وإلى ما بعده .
وأحياناً كان يقضى سواد الليل بيمداً فيها ...

وكان كمال لا تخفى عليه خافية من أحوال
صديقه يستدوجه إلى الكشف عنها في حديث
أغاذ ظاهره من رباطه محبوب بما ينمقه له من
حديث الأخلاص وصداقة الصنم

وكان خالياً يقضى أكثر وقته بين الكؤوس
والنوائى على خلاف صادق الذى لم يكن أول
عهد له بل إلى عند صدر زوجته وهى لا تبسطه
إلا بالتدريج لتبقيه به، فكان حبها له كاللح في
الطعام قليله يصلح وكثيره يفسد . ثم إنه كان في
وسمه أن يستزبد منه أو يحسن تقوقه ولكنه كان
كالمازف على آلة يجهلها ولم تحزن أصابعه عليها
فأوترها لا تخرج من النغم ما تطرب له أذناه .

وكان كمال يلس هذا الضيف فيه فأتخذ منه
خبرة لما هيا نفسه الشريفة له من وسائل الكيد .
وهكذا أبده عن زوجته على الصورة التى ذكرناها
وهو يشجسه شيئاً فشيئاً على السهر ويدفقه إلى
الشراب ثم إلى غشيان مجالس الساقطات من النساء
وعند ذلك يحيل إليه أنه عثر على ذلك النغم الذى
أخطأ أصابعه في البيت فيمنع في الرذيلة دون حاجة
إلى إصا ز جديد من ذلك الصديق المنسود .

ولقد فكر صادق فيما ينمقه على هذا السبيل ،
وكان قد أهدى إلى زوجته خاتماً من ماس في صدر
زواجه فعمد إلى أخذه بحجة سياغة ذهبه على ابتكار
حديث . وهكذا باعه، ولكنه يستر عنه كإن المصلحة
قررت فصله لتكرر انقطاعه وتراخيه في عمله
أما جلوس فقد أحست من أول ليلة تأخر فيها

على هذه الشؤون لاسياً وأن مرتبه من الحكومة
ما كان يتجاوز تسعة جنيهات

وكان كل هذا يبلغ مسام كمال فتثور نفسه
ويأكله الحقد على صادق الذى امتلأت يده بهذه
السعادة من دونه وهو لا ينسى ذلك اليوم الذى
رفضت جلوس يده فيه فيعز في نفسه أنها تبيمه
لتشتري ود ذلك النغم الذى ما كان ليطاؤه في اللال
أو الجمال . ولذلك قرر في نفسه أن ينتقم بالسي
إلى إفساد هذا الزواج مهما كلفه من الجهد .

وإذا كان الطريق إلى ذلك يقضى بالإنجاء نحو
المرأة لضيقها ولأنها خلقت لتحب وتتم ، ولكنه
يرى من أخلاق جلوس وسلافة عودها ماصرفه
جها إلى زوجها زيله من أيام المدرسة لأنه ساذج
سلم التنية فهو خير مطية يصل بها إلى غرضه ؛
فيفسده عليها حتى لا يبق لها منه إلا جثة تتحرك
أقترت من تلك الروح التى تحاول إعطائها شكل
القالب الذى فكرت فيه . وكل ما كان عليه أن
يهم له هو إحكام المكيدة التى يدبرها لأن المقدرة
في منه ليست في الضربة الشديدة ولكن في الضربة
الشديدة التى تصيب .



وكان صادق إذا خرج للرياضة في المساء
لا يتأخر عن الساعة الثامنة ليتناول المشاء معها .
ولكنها شمرت في الأيام الأخيرة أنه كان يرجع بمد
تلك الساعة . وكان إذا سأله في ذلك يدعى أنه
تأخر مع إخوانه لأن الحديث كان يلهمهم بشير أن
يتنبهوا ثم يمدها بأنه سوف لا يتأخر بمد ذلك ،
ولكنه مع هذا يستمر في تخلفه ، بل إنه كثيراً

أما جلوس فلم يساورها شك في أن كمال هو الذى أقصد ما بينها وبينه وما تراحم اللتان على أمر مستور إلا كشفه . وكانت لا تزال تذكر رفضها الزواج منه وأنه كثيراً ما حاول الاتصال بها وهى تحقره وتعرض عنه . ثم تعود فتذكر زوجها وخفتة التى جرت إلى الاساءة إليها وإلى نفسه . ولكنها كانت مع ذلك تاتمس له العذر وقد استغل ذلك الشيطان سلامة قلبه وحسن طويته

وكان على أثر ما انتهى أمره إليه ثم سريره وقد أصابته حمى شديدة عصفت بسقته حتى أوصى الطبيب بالحذر من إثارة أعصابه لأن الحالة التى أصبح فيها تنذر بشورة عنيقة مقبلة فهو بحاجة إلى السكون والراحة وفيهما سلامة محققة تحول دون وقوع تلك الثورة التى قد تكون سيئاً في شفاؤه كما قد تكون القاسية على حياته . ولما قامت جلوس بنفسها عليه خير قيام وهى تبسم له وتتعاضى لومه وتشجعه وتواسيه

وكان صادق في فترات رشده يسحب بهذه الزوجة التى أخذ صديقه يحذره منها ويرمى بها ليس فيها ، وهو يقول في نفسه إذا كانت على ما وصف فلم عنايتها هذه وإشفاقها عليه ؟

وكانت جلوس إذا خذت إلى نفسها تتناول ذكرى ذلك المجرم الذى كاد يقضى عليه وهى حيرى لهذه الوسيلة الدينية التى لجأ إليها والنرض الذى كان يحاول النفوذ إليه منها . ثم تقول إن زوجها صديقه من الصغر ولم يفعل معه ما يوجب أن ينقلب عليه بمثل تلك التوسدة التى لا ذنب له فيها وقد كانت بالمعكس أولى منه بانتقامه فلم وجهه إليه ولم يوجهه

بالخطر الذى يهدق به وبها . وكانت غير مطمئنة إلى ما كان يسوقه لها من وجوه المذرة فأوعزت إلى أخيها بمراقبته . وهكذا وقفت على حركاته يوماً فيوماً كأنما كانت تقع على سرأى منها ، حتى إذا ما علمت بأمر بيع الخاتم وقرار المصلحة ، أحست الهاوية التى عند قدميه وضرورة العمل لرحلته عنها لأن من أعظم الأخطاء المجلة قبل الامكان والثانى بعد الفرسة

وكان صادق كلما أراد كمال أن يتقدم به خطوة إلى الأمام في الطريق الذى دفعه إليه يحاسب نفسه ويوازن بينها وبين نفس زوجته فيندم على ما أساء إليها وفرط في حقها ويقوم في خاطره أن يسارع في الاعتراف لها وطلب غفرانها وهى التى فضلته على غيره وآثرته على غيره . فلما شعر كمال بأن نعمة أخذ يستيقظ وأن صوت ضيقه يتأدى أسرع إلى خفق هذه العاطفة التى ظن أنه قضى عليها وانتهى منها فشرع يوسوس له بأن امرأته ما كانت لتجبه وإنما أرادته ليكون زوجاً ... وكفى . وإلا فمن هي تلك التى يتقدم لها من الخطاب من يفضلونه في كل نواحي الحياة من حسن وغنى وجاه فتعرض عنهم إليه إلا إذا كان لها غرض محجوب . ثم لم تجبمه بنظر الزاغة ليلقنه مبادئها مع أنه موظف ؟ بل لم يفرض عليه الرحيل إلى شين في أيام العطلة التى كان أولى بقضائها إلى جانبها ؟ نعم إنها لم تتخلف عن مرافقته إليها إلا مرة واحدة . ولكنه في المستقبل لن تقوم له حجة في اصطحابها ، وهى زوجة عملها في البيت وهو رجل من شأنه الحركة والسرى . وهكذا ضاعف غناؤه وتسم ظنونه فجرفه التيار ..

هذه السرعة للدهشة وإلى جانبه كثر من كنوز
الحسن ... وثمره شبيه لا تطلب غير الحب ...
ولكنه على ما يبدو لى جامد الشعور أو ينقصه كثير
من سلامة اللوق وإلا لخرّ ساجدا بين قدميك
ولجل لك من قلبه عراباً يبدك فيه . وعلى كل
حال فلك تدرकिन الآن أنك لم تحصى الاختيار
وأن حسابك أخطأ برفضك بدي وإيثارك إياه على ..
(تسمع فى خلال ذلك حركة فى الغرفة المجاورة ولكنه
يستتر فى حديثه)

ولكنك ...

— ولكنى لم أعطى فى حسابي يوماً ولاخطر
يألى أن أئدم على اختياره . وقد كان عفّ السان .
ظاهر الثوب سليم الضمير . ولكن الأصدقاء ...
قرناء السوء هم الذين جروه إلى هذا الدرك . ومن
التغريب أنك تدعى صداقته وتبأى بها ولكنك لم
تعمل عملاً يدل على تبادل عواملها بينك وبينه

— ومن أدراك أننى لم أعرضه نصيحى وأحذره
من عاقبة ضلّاه . ولكن مالنا ولكل هذا وقد
قضى الأمر فلم تفكرين فيه ولا تفكرين فى
مستقبلك أنت . إنك يا جلوس لا تعلمين مقدار
الحب الذى فى قلبى لك والمذاب الذى أعانته فىك ...
ولو أن هذا المذاب كان إن يوم أو يومين
لاحتملك ولقضيت على سبيه . ولكنه قديم ، قديم
يا جلوس ، من ذلك اليوم الذى تقدمت فيه إليك
فأعرضت عى وحطمت قلبى . وكم حاولت أن أجد
السييل إليك فأرى الأبواب موصدة فى وجهى
حتى إذا سافر إلى شين يوماً من الأيام بنير أن

إليها . وعند ذلك يترشح الانتفاء شيئاً فشيئاً عن
هذا المسمى الذى ظللاً حترها . وهو أنه أراد من
إفساد زوجها أن يسوئه فى عينيها فينصرف عنه
قلبا وهكذا يتخلو بها الجو . وترتب على ذلك أنه
لا بد إذن من عودته إليها لتنفيذ تلك القنابة السافرة
بمد أن مد لها بذلك التمهيد الجهنمى ولذلك انتظرت
بقدم ثابتة

— لقد حرّ مرضه فى قلبى فأسرفت
لأطمئن عليه

— لا عرابية فى ذلك . وأنت سديقه ... الجيم
— ولكنى سمعت يا هاتم بأنه جبن

— ... تقريبا . ولذلك فنتحن لمحرص كل
المحرص على راحته

— وهل تظنين أنه سيشفى ؟

— ولم لا ؟

— ولكن مثل هذه الحالة قل أن تعجز سيديها
إلى الشفاء لأننى علمت من طبيبه أنه على باب ثورة
عتيقة قد تصف به

— وقد تشفيه ...

— ربما . ومع ذلك فالذى يشغلنى كثيراً
هو أنت أيها السكينة . لأنه إذا ذهب فقد استراح
وإذا شقى فلن يكون نصيبك منه غير المذاب .
فما الذى بقى لك الآن منه وقد انصرف إلى ملاذه
الذى انتمس فيها وهو يقضى لياليه بعيداً عنك بين
أحضان النساء وأكواب الشراب . من كان يظن
أن هذا الرجل الوديع يهوى إلى هذا التحدّر بمثل

إلى هنا وأنت آمن بمنوتى آمن بمنوتى
مالك سكت . تكلم يا محبوب . تكلم يا أنس .
تكلم يا جامد ... ولكنك لا تجرؤ لأننى نمت بأذى
ورأيت بينى

نم أنا الآن بمنوتى فاحذر جنوتى ، وإننى كتب
على الموت ولكن بيد أن أجركم كاسه ييدى
وعند ذلك صرخ صرخة هائلة ، ثم أطلق على
عنته يديه القويتين فلم يتركه إلا مبتأ
وكانت هى الثورة السنيقة التى أشار إليها
الطبيب ... ولكنه شئ !

محمد خيرت

تراقبه قلت فى نفسى لقد سحنت الفرصة . ولكنى
لم أكن أوفر حظا فرغضت مقابلتي وأغلق بابك
من دونى ...

وعند ذلك يفتح الباب على مصراعيه وينطلق
منه المريض وقد احقن وجهه واقدعت ميناءه وكان
وافر الجسم قوي البنية فماد السكوت وهو يذرع
الثرفة طولا وعرضا ثم وقف أمام صديقه والحى
تصهره والغضب برجه :

— أنت هنا ؟ سرقت يا « محبوب » أهلا
وسهلا يا « أنس » أليس كذلك يا « جامد » ؟
إننى أريد على سبيلك نفس الكلمات التى كنت
تستقبلنى بها فى مجالس شرابك وفجورك وأنت تدفع
الكأس إلى فى والنساء إلى صدرى وأنت هناك
تحسن لي القبيح وتبيع فى معنى الحسن لأنك
تريد أن أعرف كيف أسامر المصر . أما هنا ففى
ذلك أنك كنت تحمضى النصح وتحذرنى من عاقبة
الضلال . أليس كذلك ؟ ومن السجيب أنك كنت
تتمتع عن زيارتي بحجة أنك خطيت امرأتى من
قبلى وأن أدب السلوك ودقة الموقف يحولان دون
ذلك ، فإذا جاء الآن بك وأنت الذى كنت تحاول
هذه الزيارة من قبل فى غيبتي ... لقد كنت أسمى حين
وقتت من صداقتك وأحسنت ظنى فيك . وما جرى
إلى طريق النوايا إلا أنت ، ولا حول إنساذى إلا
أنت ، ولا طمن هذه السيدة الطاهرة فى عفتها إلا
أنت ؟ فلما أفلت آخر سهم من جيبك وبلنت
الأمول من غائبك ، جئت إلى هنا تسلس كالص
تسرق امرأتى بيد أن سرقت صوابى وعقلي . جئت

مؤلفات

الأستاذ محمد كامل حجاج

- ٤٠ بلاغة العرب جزءان (مختارات من صغوة
الأدب الفرنسى والانكليزى والألمانى
والإيطالى مع تراجم الشعراء والكتاب)
٢٠ خواطر الخيال وإملاء الوجدان (متفرقات
فى الأدب والنقد والفلسفة والموسيقى
والحيوان وبه روايتان تمثيليتان)
١٨ نباتات الزينة المشبية (على باحدى وتسعين
صورة فنية)
١٥ Les Plantes Herbacées (على بنفس
الصورة للسابقة)

الكتاب الأول والثانى فى جيب الكتائب المهيبة
وكتب الزراعة تطلب من
شركة البذور المصرية بميدان ابراهيم باشا

إلا الشيطان فيقبل الشجر فينثر عليه
من دُطْبِهِ، ثم يمضي تبارك الله فيكون
في منارسه

وكان النسوة من جميع القرى
الجاورة يقبلن إلى كوخ الشيخ فيلصقن
به حتى يتأذّن فيشفي مرضاهن
ويذهب أوصابهن ، وهو في كل ذلك

لا يتجشم شيئاً ، إلا رقية ينفثها في أذن المريض
أو للريضة ، أو تيممة يُنمّم حروفها الربكة بماه
البصل ثم يملها في جيد النادة أو ظهر النقي الأجرد
فيهرول سلباً معافى بإذن الله

وكان معروفاً مع ذلك بالتيقن والصلاح ، ولم يكن
أحد يعرف غرامه بالجر ، ولا ولوعه بالوسيقى ،
ولا سيا الناي . وكان فوزان حصبياً حازماً ، فكان

يستعين على هذين بالكتمان

ركب إذن في الزورق ومعه نايه وزجاجة ، ثم
م ، فهممته حوله أطيان الملوك النسر والغنية
الصيّد من أبناء بابل ... وتسم القمر الساهر
وأخذ يسطع بشدة فوق الهامة المكورة والعباءة
البيضاء ... وفي وسط الفرات ، بدأ الشيخ أن
يشبه بالملك يختنصر فرقه الجاديف وأوقف الزورق

ثم جنب القدم وضع الزجاجاة في فمه حتى ارتوى .
وما هي إلا لحظة حتى استدار رأسه وبرّق القمر

في عينيه ، وامتلاً النهر حوله بالجننيات الجميلات
ومع ذلك كله لم يصب سوابب الشيخ ، ولم يضع
من حله شيء ، بل م مرة أخرى بالزورق فزل
به حتى بلغ شاطئ بابل فنزل فيه ، ومعه الناي
والزجاجاة

سِحْرُ بَابِلَ

اقصص صنفه شرقية
بقلم الأستاذ دريخشة

كان القمر الساهر يسكب دُؤْب فضته على
أطلال بابل الناعة فوق عُدْوَة الفرات الشرقية ،
حينما خرج الشيخ فوزان من كوخه الجاتم فوق
العدوة الغربية ، ميماسطر الرفا الساكن ، ليركب
في الزورق الذي اعتاد أن يحمله في هرائس الليالي
الغربية القمرية إلى عنداء حمورابي^(١) الراقدة تحت
أضنات الزمان

وكان الليل البابلي الرائع مفعماً بالذكريات ،
وكان في كل حبة من لُجَيْن القمر اللتثر في
صفحة الفرات طيف من أطيان البابليين والأشوريين
والأكاديين والكلدان يسبح خلف الزورق ،
أو يرقص فوق السكّان ، أو يحملي في عُرّة
للشيخ فوزان ... هذا الشيخ المجيب الذي ائتمن
به الشعب ، وانصرفت إليه أمثلة الخلق ، وسعرت
بمؤارقه قلوب الناس

لقد كان الشيخ فوزان يلبس بالأفامى السامة
ذوات القرون فا نصيبه ، وما تلحق به أذى ، وكان
يرسل النظرة الحادة من عينيه الصارمتين فيحرك
بها الصخر عن موضعه ، ويولوي بها أعتة البواب
في يبرها ... وكمن مرة تتمم بكلمات لا يفهمها

(١) حمورابي مؤسس مجد بابل وصاحب مجموعة القوانين
التاريخية

لحب أوزق يبيت من بدنيهما ، وَشَرَّ دَكِير
يتقدح من عيونهما وبمخبرهما

وتبسم فوزان مع ذاك ... وحسب أن ما رأي
وما سمع إن هو إلا نهاويل مما تصنع الخمر برؤوس
المنمورين ... ثم أراد أن ينصرف ، فالتفت بعباده ،
وجعل يابيه وزجاجته ... وما كاد يخطو خطوتين حتى
سمع أحد الشبهين يقول وهو يبكي : « يابيه ! يابيه !
تبت إليك ، ونمت على ما قلت ، وإلا تنفّر لي
أكن من المالكين ! » . ثم سمع الآخر يقول :
« يارب ! وست رحمتك كل شيء فكيف تنصّب بما
حملتنا ؟ اللهم لقد أَعَذَرْنَا الناس تخف عنا ! »

تخافت فوزان بالحديث إلى نفسه : « ما هذا ؟
ماذا أسمع ؟ بالله لأعودن وليكون لي مع هذين
حديث ... أبداً ما صنعت الخمر في مثل هذا أبداً ! »
وطد إلى مكانه ، وهذا من روعه ، ثم حياً
الشبهين بحجة الإسلام فرداها وأحسنها ، وطدا
إلى ما كانا فيه من شجور وشكو

— نَشَدْتُكَ يَا إِلَهِي أَنْ تَقْصَا عَنِّي
قَصَّتْكَ !

— مُعَذِّبُ ابْنِ آدَمَ مِنْ حَيْثُ قَلَمْتُ ... فَمَا
أَنْتَ وَمَا نَحْنُ فِيهِ !

— لقد سمعت أحداً يتوب إلى الله ويستغفره ،
وسمعت الآخر يستعبه ، فما ذاك أياكما الله وخفف
عنكما !

ونظر إليه الذي سمع يستعبد الله فتأفف ثم قال :
— اذهب لحاك الله يا مفتون ...

— مفتون ...؟ لا والله ما أنا بذلك !

وسرى بين الأطلال الشاخصة حتى بلغ آثار
البرج الكبير فغلق عباءته ، وفرشها فوق حجر عظيم
من حجارة الرمر الملقى هناك ، ثم جلس يحتسى
النسطف الأخيرة الباقية في الزجاجية
وتناول يابيه ، وطقق بفتح فيه ... وتخليل له
أن المدينة البينة قد انتفضت تحت الترى وهبت
من سباتها الطويل ، وأرهفت آذانها تسمع
وتتطرب ، فلا الشيخ والفتى ، ولم يبال أن
تضج رفات الموتى البابليين

ثم سكت قليلاً ، وتوارى القمر الساخر وراء
سحابة رقيقة فشاعت في الوجود رهبة طارئة ،
وأسكت القمراء أنفاسها ، ثم ما هي إلا لحظة حتى
رجفت الزجاجية تحت بابل فتأملت أولادها واهزت
جوانبها وتفتقت عن كل حيار عنيد

وظن فوزان أنه يحلم ففرك عينيه وحلق في
الآثار المضطربة أمامه ، لكنه رآها ترقص رأى
العين ، فأيقن أنه البلاء من الله ، فتشهد وسبح
باسم ربه ، وندم على ما عصى أمر الخالق من مفاخرة
بنت الحان في مثل ذلك المكان ، الذي لم يكن يصلح
إلا للعبة والادّكار ، والتفكر في أمر هذه الدنيا
الفانية التي تضج أحياناً بصولة الأشراء وجبروت
اللوك ، ثم ينفذ الأشراء واللوك إلى أعماق رموسها
فهم في بطونها حديث مروي وذكر صامعات

ثم انشق بطن بابل فجأة ، فصعد منه جداران
عظيمان حلق بينهما شبحان هائلان ذوا أجنحة
مثنى وثلاث ، وقد ربطت أقدامهما بأسراسر من
نار ، وتدل الرأسان العظيمان إلى أسفل ، وجعل

- وما تلك يمينك يا رجل ؟
 — هذه ... ؟ ... هذه زجاجة !
 — ألق بها وأنج بنفسك يا مسكين !
 — وماذا عليّ منها أياك الله ؟ !
 — عليك منها ما تراءا الآن فيه يا غبول !
 — لست أفهم !
 — أياكما شرب صاحبه : أنت أم الزجاجة ؟
 ألق بها وتب إلى الله ، وآل على نفسك ألا تعارضا قط ، واصلح الله على أن رأيتنا في هذا المذاب بسببها اكسرها يا أنس خلق الله ؟
 — ولكن ...
 — ياربنا أتنا بك ، ونعمننا على خطايانا ...
 آه ؟ وأحرقه !
 — ألا تذكران لي من أننا أتاكما الله وخفف عنكما ؟
 — إذهب .. إضع بها أيها الخامس قسّيسحتك الله !
 — ولكن ... من أننا ؟
 — لن تصدق إذا ذكرناك !
 — وكيف ؟
 — إذن ... نحن مَلَكَان !
 — من ملائكة الله ؟
 — جامل وغبي ... وهل لنير الله ملائكة يا أَحْيَيْق ؟
 — وبم طردك الله من سماه ؟
 — بهذه التي في يمينك !
 — وى ! والله لا ذفها بعد اليوم أبداً ، ولكنكما
- ملكان يا صاحبي ، فكيف شربنا هذا الام ؟
 — لك قصة طويلة فامض عنا هداك الله ،
 وغلنا فيها نحن فيه من ذاك البلاد
 — لا والله لا أفضل حتى أسمع منك ، لأروى المسلمين لهم يهتدون
 — ومن المسلمون هداك الله ؟
 — المسلمون ! ألا تعرفان من المسلمون وأنتا مع ذاك تذكران أنكما ملكان من ملائكة الله ؟
 — يا أخانا إنا ما نزلنا إلى الأرض إلا في زمان إدريس عليه السلام ، ونحن في ذاك المذاب منذ ذاك الأوان !
 — وعجبا ! إذن فاعلم أن المسلمين هم أمة محمد صلى الله عليه وسلم !
 — أوقد بعت محمد ؟
 — بعت محمد واشترى الاسلام في الشرقين والغربين !
 — ومنذ كم بعت محمد رضوان الله عليه ؟
 — منذ ثلاثة عشر قرناً
 — ياربنا لك الحمد ... إذن لن يطول عنا بنا !
 — ولىه ؟
 — لأننا كنا نعرف ونحن في السماء أن محمداً لا يرسل إلا في آخر الزمان
 — صلى الله على محمد وعلى آله وسلم
 — أفأنت مسلم من أمة محمد يا أخانا ؟
 — مسلم وابن مسلم والله الحمد
 — وهذه الزجاجة ؟ ألم يهتك محمد عن الحجر ؟
 — لا حول ولا قوة إلا بالله ! نهانا الله

فلا تكفر ، فيتملون منها ما يفرقون به بين الرب
وزوجه ، ومام بضاربن به من أحد إلا باذن الله ،
ويتملون ما يضرهم ولا ينفعهم ، ولقد علموا لمن
اشتراه ماله في الآخرة من خلاق ، ولئس ما شروا
به أنفسهم لو كانوا يعلمون « صدق الله العظيم

— صدق الله العظيم يا أخانا المسلم ... صدقت
يا الله ! صدقت ياربنا ! اللهم فرج كربنا واقبل توبتنا
واغفر ذنوبنا واعف عنا يا أرحم الراحمين !

واستخرط الملاك في البكاء . فتنتظر فوزان
حتى قاء ، ثم سألها :

— نشدتك الله إذن إلا ما أخبرتني بما وقع
لكما ، مما استوجب طردكما من السماء ، وكتب
لكما سوء فاك المال !

— أعلم يا أخانا أن اللاتمة^(١) لما رأوا ما يصعد
إلى السماء من أعمال بني آدم الخبيثة وذنوبهم الكثيرة
وذلك في زمن إدريس عليه السلام ، عيروهم بذلك
وأنكروا عليهم ، وقالوا لله سبحانه : هؤلاء الذين
جعلهم خلفاء في الأرض واخترتهم فهم يصعدونك
فقال تعالى : لو أنزلناكم إلى الأرض وركبت فيكم
ماركبت فيهم لنتلهم مثل ما فعلوا . قالوا : سبحانه !
ربنا ما كان ينبغي لنا أن نصيبك . قال الله سبحانه .
اختاروا إذن ثلاثة من خياكم . وأسأف علينا !
الهم لا حول ولا قوة إلا بك يا رب !

قال ذلك وتقصد المرق من بدنه كاهل ، ثم
أن أنينا مؤلما وقال :

— ولسوء ظالي وطالع أخى ماروت اختارنا

من الغر في كتابه الكريم !

— وفيهم شريك الغر أيها الفاسق إذن ؟

— عفا الله عني يا صاحبي ، لقد كنت أقول
إنها أهون المهرمات !!

— وى ! لقد وقع المسلمون فيها وقعنا فيه
يا هاروت !!

— أجل ! لقد قالوا ما كنا يا صاحبي ماروت !

وشده فوزان حينما سمع الملكين يتناديان بهذين
الاسمين ، وسرت في جسمه قشمية باردة أبردمن
قشمية اللوت ، ثم لم يملك إلا أن ركب أمامها
وطفق يكي ويضرع ويطلب الصفح والنفرة

— يا هنا أنت مسلم وترك لغير الله سبحانه ؟
وخجل فوزان فانتصب واقفاً ثم قال :

— أنا هاروت وماروت حقاً يا صاحبي ؟

— أجل أنا هاروت وهنا أخى ماروت

— ويلكما ! ! لقد ذكركما الله في كتابه إلى

عند !

— ذكرنا الله في القرآن ؟ وعشرك الله ما هنا

قال سبحانه ؟

— قال تعالى : « ولما جاءهم رسول من عند
الله مصدق لما منهم بئذ فريق من الدين أوتوا
الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون
واتبعوا ما تنزل الشياطين على ملك سليمان وما كفر
سليمان ولكن الشياطين كفروا ، يعلمون للناس
السحر وما أنزل على الملكين زيابل هاروت وماروت ،
وما يعلمان من أحد حتى يقولوا إنا نحن فتنه

— لا عليك قتل !

— اختصمت إلينا يوماً امرأة مفتان يقال لها ناهيد^(١) ، فأكدنا نراها حتى أخذت بقلبينا ... ف... فراودناها عن نفسها فأبت وانصرفت ؛ ثم حدث في اليوم الثاني فضلنا مثل ذلك فقالت : لا ! إلا أن تعيدا ما أعيد ، وتصليا لهذا الصنم ، وتقتلا خصمي الذي شكوت إليكما ، وتشربا مني من هذه الخمر . قتلنا لها : لا سبيل إلى هذه الأشياء فإن الله قد نهانا عنها . فانصرفت ثم عادت في اليوم الثالث ومعهما قلع من الخمر ، وفي نفسها من الليل إلينا ما فيها ، فراودناها فأبت ، وعرضت علينا ما قالت بالأمس ... فغظرت إلى أخي ماروت ونظر أخي ماروت إلى ، وقلت له وقال لي ، ثم قلنا : إن الصلاة لغير الله أمر عظيم ، وقتل النفس أمر عظيم كذلك وأهون الثلاثة شرب الخمر ، فشربت لا هنيئا ، وشرب أخي ... وشاعت فينا حُبَّيْها فطمس الله بصائرنا ، وارتكبنا كل الآكام التي نهينا عنها !

ولما بلغ هاروت من القول هذا الحد أخذته برحاء العذاب فصرخ وصرخ ماروت مثله ، ولبثا في ألم وتبريح ساعة كان فوزان يصل من أجلهما أنتاءها ، فلما قاما وصل هاروت حديثه فقال :

— أرايت يا أخانا ما صنعت الخمر بنا ؟ لقد قتلنا مثلك إنها أهون الشرور غسوناها فأوقمتنا في جميع الشرور ، فاحذرنا ، ولنتكن لك فينا أسوة — إي وربي لن أنذرها بعد البلية قط . ولكن

اللائكة واختاروا ثلثنا لنا أخانا عزيرائيل . وكنا ثلثنا من أتى اللائكة وأكثرم ورعا ، بيد أن عزيرائيل كان أحصف منا وأكيس ، فكتب الله له السلامة ، وكتب علينا الشقاء فبؤنا بهذا الخزي الذي ترى !

— لست أفهم بإهاروت فأفصح خفف الله عنك ! — سأذكر لك فلا تمجل ... أوه ، النار تدب في مزوق قالم غفراً وتغفيعا ! — خفف الله عنك بإهاروت ؟

— لا كتب الله مثلاً لك بإصح ! .. أقول : ثم إن الله سبحانه ركب فينا الشهوة اللعنة التي ركبها فيكم يا بني آدم ، وأهبطنا إلى الأرض ، وأمرنا أن نحكم بين الناس بالحق ، ونهانا عن الشرك والقتل بغير الحق ، والزنا ، وشرب الخمر .. فأما عزيرائيل فإنه لما وقعت الشهوة في قلبه استقال ربه ، وسأله أن يرفعه إلى السماء فأقاله ورفعه ، وسجد أربعين سنة ، ثم رفع رأسه ، ولم يزل بعد ذلك مطاطئاً رأسه حياء من الله تعالى ... ألا ما أحمده ! ألا ما أحمده !

— وأنتا بإهاروت ، ماذا أصابكما ؟ — كل شئ وكل شر يخطر أو لا يخطر على قلوبكم أيها البشر ! لقد لبثنا شهراً أو نحوهم نحكم بين الناس بالعدل ، فأنا أسيئنا ، ذكرنا اسم الله الأعظم وصعدنا إلى السماء . ثم اخفنا بعد ذلك ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ! — وكيف ؟

— لقد ما أخجل أن أذكر لك !

(١) هي فيثوس اليونانية . وناهيد هو اسمها الفارسي . والزهرة اسمها العربي .

وقول لهم : (إنما نحن فتنة) ، يريد أنهم ما كانوا يسمعون ، وهل سمع الناس إلى ما أتاهم على رسل الله ؟
— كلا والله إلا الأولون ولكن يا صاحبي ،

نشدتكما الله إلا ما علمنا في مما علمك الله ؟

— آه يا هالك ! وأنت مع ذاك تحفظ كتاب الله وقد رأيت ما نحن فيه ؟

— علماني نشدتكما الله !

— كلا ! بل أنت تشدنا الشيطان ! إذن

تجلس نملك ما يقسم الله به ظهرك في الدنيا والآخرة ...

وما كاد يفعل حتى زلزلت بابل وزلزالها ومادت أحجارها ، وأطبقت الأرض على هاروت وماروت . وفرك الشيخ فوزان عينيه وهو ينظر إلى القمر ، ثم قبض على الزجاجة وخطب بها رأس تمثال قهشمت وأخذ ناله فخطمه ، وعاد إلى زورقه ، وتوضأ من الفرات وصلى لله ، وأقسم ليكون أذكى خلق الله ، وأن يهجر الحجر والسحر ... وقد فعل

دريش فشبته

حدثني عفا الله عنك يا هاروت ، كيف آل أمرك إلى ما أرى ؟

— حاولنا أن نصعد إلى السماء بعد إذ أعتنا إعتنا فلم تطلوعنا أجنحتنا ... وحقت علينا لعنة الله بما زيننا وعبدنا صنم ناهيد وقتلنا رجلا منكمر رأيا ونحن نصنع أولئك غفشتنا أن يشهد علينا فيفضحنا ، كما نأمن نسينا أن الله كان معنا وهو بكل شيء محيط !
— ثم ...

— ثم شق علينا ما حل بنا ، وكان إدريس نبي الله على مقربة منا فتوجهنا إليه ، وقتلنا له : يا إدريس : إنا رأيناك يصمد لك من العبادة مثل ما يصمد لجميع أهل الأرض فاشفع لنا إلى الله ... وشفع لنا إدريس ، وجاءه الوحي يختيرنا بين عذاب الدنيا يحمله ونصير عليه ، وبين عذاب الآخرة يكون سرمداً ... فأقرنا عذاب الدنيا لأنه ينتهي ، ولأنه أخف وأهون

— أو هذا الذي تمنى به أخف من عذاب الآخرة وأهون ؟

— وماذا رأيت من عذابنا ؟ أو اه لو رأيتنا نضرب بسيطا زبانية كزبانية جهنم ، أو لو رأيتنا نرجم بحجارة مسومة وشواظ من نحاس !
— ولناعيد يا هاروت ! ماذا كان من أمرها بعد ذاك ؟

— واأسفاه ! لقد علمناها الاسم الأعظم فصمدت به إلى السماء فسحقا الله كوكبا كلما غرب انشق بطن بابل علينا كما ترى !

— خفف الله عنك يا صاحبي وعفا عنك ... ولكنكنا كنا تملان الناس السحر ، فما ذاك أنابك الله ؟

— كنا نفعل ، وكنا نحذر الناس مما نعلمهم

نحب الطبع :

حياة الرافعي

للاستاذ محمد سعيد العريان

الاشتراك فيه قبل الطبع ١٠ قروش تدفع إلى

إدارة الرسالة ، أو إلى المؤلف بمنوانه :

شبرا مصر . شارع مسرة رقم ٦

نمن الكتاب بعد الطبع ١٥ قرشا

خمسة أعوام في عذاب

عن الانكليزية

بقلم الأستاذ عبد اللطيف النشار

وكانت تلك الخادم تستدعي زميلتها
ليسمع ثلاثين مثل هذا الوعيد . وقد
فهم جميعاً علة الخلاف بين الزوجين
فلما مات الرجل انتظروا أن تكشف
الوصية لمن عن جلية أمر الخلاف .
وقد كانت دهشتهم عظيمة عند ما جاء
الحق وتبين أن الوصية تحرم ابنه من

الليث وتطلي الزوجة ألقى جنيته في كل عام وهي
كل إرادته طول حياته

وكان من الطبيعي أن تشر الزوجة بالراحه
والاطمئنان عند ما صارت مالكة لهذا الإراد .

وزالت الحزازة التي كانت تشر بها أيام حياته . وبعد
يومين من الوفاة جلست أمام مكتبها تكتب الردود

على التنازى . وقد فرغت سريعاً من هذا الواجب
ثم أخذت تغلب أوراق زوجها وهي لازال مبهمة .

ولكنها لم تكده تقرأ اثني عشر سطراً حتى قطبت
وعمرتها رعشة ، لأن الذي كانت تقرأه إنما هو النص

الأخير لوصية زوجها ؟ وهو يحرمها كل شيء
ويهب تركته كلها لابنه . وكان تاريخ هذا النص

قبل أسبوع واحد من الوفاة ، وعلى الوصية توقيعات
شهود من الأحياء . بغلغت تفكر فيما سيؤول إليه

أمرها لأن البقية الباقية من ذلك العمر ستكون
حياة قمر مدقع . ولذلك كان الإغراء الذي تجدد

نفسها تحت تأثيره قوياً جداً ، فهو ليس بين الشرف
وبين انعدامه ، ولكن بين الثنى وبين الفقر . وكان

ممرها إذ ذاك خصبين عاماً وهي لا تستطيع الكسب
بوجه من الوجوه . ورأت أنه إذا لم يكن أحد

ليذبح أمر هذه الوصية فلماذا لا نلزم الصمت ؟

وحلت الوصية في يدها ومشت إلى الموقد ولكنها
وجدته خالياً . وكانت من قبل ذاهلة عن ذلك وعن

ليس في وسع إنسان مهما يكن شعوره بالفضل
وبالترفع أن يفاخر بأنه لا يبيأ بالبريات وبدوافع
الشرف أو بأنه يحقرها . فالإنسان لا يعرف كم تنفیر
نفسه تحت أحكام الوثرات

وإني لأروى على سبيل الاستشهاد على صدق هذه
الفنطرة القضية الآتية التي سمعتها من أحد رجال
البوليس السرى في لوندرا

ماتت زوجة تاجر غني لم يكن له إلا ولد واحد
فتزوج من أرملة في منتصف العمر . وكان ابنه

شاباً فلم يرض عن هذه الزوجة . وكان يشتغل في
غير المدينة التي فيها أبوه فامتنع عن مهادنته بعد

هذا الزواج . ولكن الأب كان راضياً بهذا الثمن
وهو غضب ابنه في مقابل تلذذه هو واستمتاعه مدة

للعام الذي بدأ بالزواج وانتهى بوفاته

ولأسباب لم تظهر قط كان الجزء الأخير
من هذا العام كله رية وسوء ظن ودسائس في

هذا البيت ، لأن الخدم الثلاث كن يرتبن في مقاصد
الزوجة . وكانت أقدمهن وقد قضت في خدمة

المنزل بضمة أعوام تمد نفسها في موضع الجلوس
على كل أعمال الزوجة . وقد كانت تنصت فسمعت

زوجها يتوعددها عدة مرات بأن يشير الوصية
ويحذف منها اسمها بتاتاً . فكانت تجيبه بأنها

تجد الفقر أخف عبثاً من مباشرته على وفرة غناه .

الأمر فأذعنت . ومن ذلك اليوم أصبحت الخادم
هى السيدة الحقيقية فى المنزل ، وبدأت بطرد سائر
الخدم واختارت آخرين . وكان ثانى عمل أنه
أن أحضرت ابنها إلى المنزل وأطلقت عليه لقب
السكرتير لتلك الأرملة فكان يلازمها فى الصباح
وفى المساء

صارت الحياة مؤلفة فى نظر السيدة لأنها أصبحت
تشمع بمد إخفاء الوصية بأنها ارتكبت جريمة منكورة
وبأنها يتفادها مع الخادم قد وضعت نفسها فى مركز
ذليل . ولكنها احتملت حالها خمة أعوام فى صمت ؛
وفى بدء العام السادس ذهب الخدم ليقدموا الشاي
إلى كبيرتهم التى يعرفون أنها السيدة الحقيقية فمادوا
بصرخون ويمتلئون أنها ماتت

وظنت الأرملة أن الحظ عاد إلى الاقسام ؛
ولكن سرعان ما أخفق أملها لما أسررت ابن تلك
الخادم بأن يترك خدمتها فتترك لها وهدها بإظهار
الوصية .

ولما رأت أن حالة القلب ستبقى كما هى بل ستزداد
لأن خضوعها لهذا الرجل سيكون أشد إيلاها
لنفسها من خضوعها لأمه - لما رأت ذلك ملكها
اليأس وذهبت إلى إدارة البوليس . ولكن جعلها
بالقانون جعل رجل البوليس يضحك منها لأن
الوصية التى تخشى شرها قد بطل مقولها بمد وفاة
ابن زوجها عن غير وارث وأصبحت هى من تدير
الوفاة مالكة للترك .

كانت إذن فى الأعوام الثلاثة الأخيرة تقبل
القل خشية من ظهور وصية تجعلها هى الثغرة
بالسال .

أن الليل كان قد انتصف . وكادت تمزق الوصية
ولكن الخادم فى هذه اللحظة دخلت ووقفت واجمة
فسألها : « ماذا تريدين ؟ »

ابتسمت الخادم ولم تجبها فقالت : « ما الذى
تتبنين ؟ »

قالت الخادم : « أراك ياميدنى الآن منزجة
كأنك قد رأيت جنياً »

فحاولت المرأة أن تضحك ولكنها لم تستطع .
وقبل أن تتحرك أية حركة كانت الخادم قد اختلطت
من يدها الورقة التى سترتها فى فقر مدفع فصرخت
تلك صرخة يأس ، وحاولت أن تسترد الوصية

وعلى الرغم من التفاوت فى السن فإن الخادم
كانت أقوى الرأتين فاستطاعت التئلب على سيفتها .
وتلت الوصية فى هدأة ثم قالت بمد الفراغ من ذلك :
« لقد فهمت الآن »

قالت الأرملة : « لقد وجدت هذه الورقة
منذ دقيقة قط وأردت أن ... » فقالت الخادم
مقاطعة : « أردت أن تحرقها لو كان فى اللوقد نار »
ثم مضت فترة صمت قالت بمدها الخادم :
من حسن حظك أننى أكره السر ولهم ابن سيدى
المرحوم فأنا سلكت مسلكاً حكيماً فانه لن يعلم
أحد بأمر هذه الوصية »

سمعت المرأة هذه الكلمات فالتجست صدرها
لأنها كانت شديدة الخوف من الفقر ، فاستدعت
الخادم وأجلسها بجانبها وعرضت عليها اقسام الثروة
بينهما وأن تدفع لها ألف جنيه مقدماً .

فلسا تم الاتفاق على ذلك قالت الأرملة :
« والوصية ؟ هل تمزقيها ؟ » فقالت الخادم : « كلا بل
ستبقى معى إلى الأبد »
ورأت الأرملة أن خادمها لا تقبل المناقشة فى

الشركيات

للكاتب الفرنسي جوستاف جيفروا
بقلم الأستاذ محمد لطفي جمعة

وبدا كثرل حياء البخل التي
شرعها حواء وسلفه الصالح ، فكان
يتنازع زوجته رغبة النسل ، ويلجأ
إلى شتى الحيل ، خشية أن يرزقا
أولاداً يهلكون الحرث والبضاعة ،
ولكنه مع كل ذلك رزق منها بولدين :

فتى وفاته . فلما شابا قليلاً بشت بهما أمهما —
التي احتفظت في عقد الزواج بحق التفريق بين
البائنة وصميم المال الموروث — إلى مقاطعة
لوسرن بسويسرا ، ليتقفا في خفاء عن والدهما الذي
كان يقتله لهم لو علم أنهما يتكلمان مائتي فرنك
كل شهر وهو ممن عجلدين من أمهات كتب الطب
الحديث ... ولأجل أن تصون الأم روح زوجها
البخل من التلف أخبرته أنهما يعيشان حالة على
أقارب لها فألتجعت صدره ونام مطمئناً على ما لغيره ،
تلك الليلة . وفي أحد الأيام من فصل الربيع صمد
جورج كثرل الصغير مع أخته لورا إلى أعلى البرج
القائم وسط قصر لوسرن ، للمرة الأولى منذ أن
قدما من بلدهما إلى تلك البقعة الجميلة الفاتنة ، فذهل
لما رآه من بساط سندس يحيط بالقصر من كل
ناحية ، تليه حشبات ووهاد ، من ناحية ، وثلاث
من الناحية الأخرى ، فصاح بأخته الصغيرة لورا قائلاً :
— أخته الصغيرة ! أخته الصغيرة ! تأمل

الأرض حولنا

وكانت حاسة الجمال قوية في الطفلين ، وكان
الولد على خلاف والده وجده نجماً للكتب يقرأها
ومحصلها إلى فراشه وعلى مائدة طعامه وفيه بها .
فأجابته أخته لورا وكانت تحب الجمال في كل شيء :
— إنها جد كبيرة تلك الأرض يا أخي الصغير

تزوج كثرلوا الكنتي في شارع فيكتور هيجو
بمدينة ليون من أديلابيد مانجوت ، وقبض بائنة
قدرها مائة ألف فرنك ووضع يده على المكتبة .
وكان مسيو مانجوت والده المروس من أغنى الوراقين
وأشهرهم ، يصغر في الطبوعات القديمة ، ويحترق
كتب للتعليم المقررة في الجامعات والقبسية ، وكانت
ابنته أديلابيد وهي وحيدة ، على جانب من الجمال
والرشاقة وهي وارثته دون منازع ، فلم يجترأ لها
سوى صبي كثرلوا ، الذي حقق بيع الكتب ،
دون أن يفتح واحداً منها ، ولم يحظر ياله بما أن
يستطلع السر في إقبال الشيب والشبان على شراء
تلك الأوراق الخزومة المنلفة بمبالغ طائلة ، فكان
يحصد سيده ويسخر من جمهور القارئ ، إلى أن
شب وأدرك أمور الحياة ، فأخذ ينال في الأمان ،
ومحسن البضاعة للهواة ومدعى القراء والطلاب
حق وثق سيده بمهارته وأمانته ، فأطمعه وكساه
ودعاه إلى داره وقدمه إلى بنته وزوجته ، ثم عقد
على الصبي والبنبة وخلف التجارة وزح إلى قرية
شاربونير ، حيث ابنتي قصرآ ؛ وبدأ يعيش عيشة
راخية بين الأزهار والكتب النادرة ، يقلب صفحاتها
ولا يدرى ما فيها ، ويصرها لرائحة مكتسباً غفر
اقتنائها .. إلى أن مات وعلى صدره نسخة ثمينة من
المهد القديم .

الصبي من قولها ، ففتر فاه وصاح بها عذراً ...
وكان جليلاً في خوفه وتهديده

— لقد أمرتنا « ماما » ألا نخرج منفردين ،
فكيف بنا نجسر على الذهاب إلى أقصى الممورة ؟
فصرخت فيه لورا : ما أنت فلا تريد أن تذهب معي
ومع ذلك فأنا لا أجرؤ على فتح الأرض ، ولا أطلع
في الوصول إلى أقصى الممورة مثلك . سأذهب
وحدى إلى هناك ، وبدرت من الطفل ضحكة
سخرية زادت في حدة الفتاة فنادت من أعماق قلبها :
إنضحك ما شاء لك الضحك ! فسأذهب
وحدى أكشف عن المياه الهادة الودمية وأرى
حورياتها الجميلة ، بينما تجلس أنت في عقر الحمار
تلاعب البنية الصغيرة كطفلة يائسة ؛ وكأنما ألغيت
هذه الكلمات نفس الطفل الصغير ، وأدركت فيه
روح الحساسة ، فصاح صيحة الرائق : فلنذهب إلى
البحيرة ولنحفظنا الحوريات !

وفي أوائل اليوم التالي بدأ أن آوت المربية إلى
حجرتها هرع الطفل إلى أخته وناداهما قائلاً : هيا
بنا ! هيا بنا ! فأجابته فزعة :
إلى أين ؟ فأجابها وهو يمينها لثقبه رغم تخمها :
« صه صه ! سأنذهب إلى البحيرة ... »

— ولكن كيف نذهب بعيداً دون إذن ؟
انظر إلى حذائي الحريري الناعم ! هل يجوز أن
نذهب ؟ ثم تراها تمانع وهو يصر ، ألم تمتعه بالأس
عند ما أشفق من البهاب معها ؟ ألم تمتع بالطفلة
اليائسة تلمو بيمينها ؟ وإنه يكيل لها الآن الكيل
(٢)

فقال جورج : لقد أخبرني أستاذي بذلك ولكن
صريتي أدهاش قالت لي أنظر بنفسك قبل أن
تصدق ، الاختبار مقدم على السماع والقرأة . وقالت
الفتاة لورا : ما أفسى أن يكون العالم كبيراً جداً
هكذا ، فقد يضل المرء سبيله أو يتفصل عن أحبائه ،
إنني أحب أمي وأشتاق إليها . ولكن أبي ... ماذا
أقول ؟ لم لا يسأل عنا ولا يزورنا ؟

فتجاهل الولد ذكر أبيهما وأجاب : ما أبعج أن
يكون العالم متسعاً فسيح الأرجاء ، فيستطيع الإنسان
أن ينافس ويبحث عما وراء الأفق ويقارن بين ما يقرأ
في الكتب وبين عالم الحقيقة ، ووراء هذه الألوان
البنفسجية ! أخشى لورا ! إنني سأفتح كل هذه الجبال
وأصل إلى نهاية هذه الدنيا ...

— وما هذه الحجارة اللثائية بجانب الربة
الخضراء ! فقهقه أخوها قائلاً : هذه منازل يا أختاه ،
أفلا تعلمين حدود لوسرن ؟
فسألته في سذاجة :

— وما هذا الجرى الذي ينساب كالأنفوان ؟
— إنه النهر ! أنظر إلى الجسر الحجري الجميل !
وقبل أن يتم كلامه قالت وهي تشير نحو الأفق :
— أحي أحي ! أنظر ، أنظر ما هذا الذي
يُضيء في جانب الجبال الزرقاء كمسحقة من البلور
الأزرق ؟ فأجاب : هي البحيرة التي حدثتنا عنها
صريتتنا ادتيقاس ، عذرة إيانا من ماها الخطر
الجميل ومن الحور الحضان — هرائس الماء —
اللاتي يسكنن في خفاياها ويحفظن الأطفال . فأجابته
في تصميم وحزم : فلنذهب إليها ! وكأنما ارتفع

سكون رهيب ، وصرخت الطفلة « لقد فقدت حذاءي ، حذاءي الحريري الناعم ، فكيف أواسل السير بقدم حافية ؟ وتلفتت خلفها فظهرت قلاع لوسرن من بعيد كمنقطة سوداء بين السحاب والنجم فارتاعت الطفلة ، وصاحت واجفة :

رواء ! سوف نأكلنا الدناب العاتية ، وسوف تموت أمتنا من القوعة والأسى علينا . فضحك جورج وهو يقدم لها حذاءها الذي انقلعه في غفلة منها .

— لا تخشى ياساً يا أختي الصغيرة ! ! سنمود ثانية قبل هجوم الليل . . قالى الأمام ! هيا !

وعاد بعد بضع سنين إلى ليون ، وأظهر جورج نجابة في الدرس والفهم أدعشت المارفين ببجمل أيه وغباؤه وبلاذته ، وعقلوا ذلك بالرجى في قانون الوراثة ، فقد تفوق الفتى في الآداب والفلسفة ونظم الشعر حدثاً ، وأمسى موضع ثقة أساتذته وإعجاب رفاقه ، وظهر نبوغ لورا في الموسيقى . فلما شباعن الطوق وأدى جورج الخلمة للمسكرة ، ماتت الأم ، فوضع الوالد البخل الجاهل يده على التركة ، وأظهر من الشح في النفقة والتعليم ما قطع على الفتى وأخته طريق العلم والتثقيف . وحتم كزله على ولديه أن يلازماه في المكتبة للبيع والشراء ولقاء العملاء ، فكانا يألفان أن يرأما زملاؤهما في الدرس أو يتحصرا الأساندة على نبوغ جورج وجمال لورا اللذين يريد الوالد وأدما بين جدران المكتبة الصيقة المظلة في ظلال بوائك شارع

صرتين ، والاصابع ساعين ؟ فلنذهب منه ، رضخت أم لم ترشح ، وافقت أو لم توافق ! ووافقت الطفلة في تحفظ قاتلة : فلنذهب من طريق غير طريق القرية ، خوفاً من أن يرأنا أحد فقموه العاتية

وتولى أخوها الفرح والايضاح « سنتبع في سيرنا طريق « جرشن » الذي يدور حول القرية من الناحية الأخرى »

وسارا في طريقهما بيئاً أخذت الصغيرة تجمع زهر البنفسج الساحر ، وزهر الثالوث من أبيض وأحمر ، تريد صنع باقة جميلة تهديها إلى حوريات البحيرة ، وشاركها أخوها في نشاط واهتمام وقد زال خوفه وحذره

وأجهدت الفتاة نفسها في المسير إلى أن وقعت إعياء وقالت : أختي إني عطشانة ! فأجابها وهو يلمت : وأنا كذلك ، غير أن النهر مازال بعيداً ولا أرى في هذه الجهة مجرى ولا نيساً

— والآل ما العمل ؟

وما زالا في حيرتهما حتى رأيا فلاحاً قد أقبل من بُعد ، يحمل سلةً مملوءة من الثوب الأحمر الشهي ، وإشاده حسن حظهما أن يكون مع الفتاة جنبه ذهباً ذو برق يخطف البصر ، وأن يرضى الرجل إعطاهما بعض الثوب في مقابل الأسفر الزمان . وسار الطفلان يتمنان بالتهام الحبيبات الحمراء البديسة ويقبآن البذور ذات اللون وذات الشبال ، وأخذت أشعة الشمس الذهبية تميل وراء الأفق البعيد ، بيئاً أخذ التسم الطليل يهب مداعباً شعر الفتاة في رقعة وفي حنان . وسار الطفلان يحوطهما

فأما لبس الصوف والقفو اليوم فهو غير جائز فقال
العميد : ولم ؟ قال الوراق كزولو وهو رجيح
غبطاً من سرف الشيخ ويودلو يصجر عليه لسنه ؟
ولكنه كظم غبطه لأن غبار آخر الصيف يتداخله
ويستكن في خله ، فإذا نزل المطر ، وندى الهواء
وابتل كل شيء ، ابتل ذلك الغبار ، وإنما الغبار
تراب ، إلا أنه لباب التراب ، وهو ملح يقبض
عليه القفو والصوف فيأكلهما أكل الأرضة ويسمل
فيهما عمل السوس في الخشب والصدأ في الحديد !
فضحك العميد كايبر ، ونظر حوله وقال وهو يسرع
إلى الطريق :

— حقا إنك لم تتجر في كتب العلم عبثا ...
له ما أوسعك ! أنت وإستير فسرارهان ! لهذا
أعلمت تلميع ولحك وتثقيب ابتك ..؟

فبرز جورج لآيه بده أن انصرف العميد وقال :

— ملنا دهاك يا والدى حتى تترض للناس في

أخص شؤونهم ؟ أحمم عليه الدفء بتيابه وخي

ملكه وقد عثقت وبيت كما شارف صاحبها على

الملاك ؟ وأنت الذي تخشى البرد وتسطك أسنانك

في مقبيل الشتاء ؟ فقال الراهب : أنا أخشى البرد ؟

حذا البرد من طقس ونعم الشتاء من فصل ، فانه

يحفظ رائحة الطعام الباث ولا يحمض فيه التبيذ ،

إن ترك مفتوحا ، ولا يفسد فيه حرق أن يبقى أياما ،

وتطرح الحكومة مداف للناس في الطريق ويشيع

بيع القسطل الساخن وهو أرخص غذاء وأده

وأسهله ، ولا بساكن للناس عن تصميرك في الثقة

إذا لم تذهب إلى ملعب الأوبرا ، محتجا بدها الفاصل

فيكتور هيجو . ولم يكن كزولو يشمر بشيء من
ذلك ، بل كان أبخل من خلق الله وأخيث من
خلق الله ، وكان له في البخل كلام مقول ، ومنطق
موزون ، ومبادئ ثابتة ، فقد رأى موسيو كايبر
حميد كاية الحقوق مرة في أكتوبر وقد بكر البرد
شيئا ، والعميد شيخ كبير طاعن في السن ، فلبس
كساء له مبطنا بفراء خفيف ، قد نيل منه ، بعد
أن صاحب لابسه عشرين عاما .

وكان اقتطع عن شراء الكتب فلا يضير الوراق

أن يهيج فيه غريزة الحرص على المال فقال له :

« عم صباحا ياسيدى العميد ! ما أفضى السرف

بالمال العالم ، وأصبح التبذير بالحسب ! ما ظننت أن

أن الاحالة على الماش والانتحاب من حياة الجامعة

يبلغ بك ما أرى ! فدهش العميد السابق وقال :

وأى شيء أنكرت منا منذ اليوم يا موسيو كزولو ؟

وما كان هذا قواك فينا بالأمس . فقال :

— ليسك هذا الكساء قبل أوانه ، فقال

العميد : « قد حدث من البرد بمقداره ولو كان

هذا البرد الحادث في يوليو أو أغسطس لكان إباننا

لهذا للمطف ، فليست فصول السنة بأوراق التقويم

تسرف ، ولا بتواريخ الأيام تقاس ، ولكنها بشمور

الأذكاء الذين خلفهم الله وسواهم بنير ريش ولا

لُبد ، ولا جلود سمكة كالنصور أو السباع » قال

كزولو : « إن كان ذلك كما تقول ، فأجعل بدل هذا

المطف الثمين المبطن بالقفو كساء أسم ، لا يمتدحه

البرد ، بثلاثين فرنكا من مستودع » ألف صنف »

فانه يقوم هذا المقام ، وتكون قد خرجت من الخطأ

الفنون الحديثة وعلى حرمي حجر من مستنق
« شارتييه » كان شاب جالساً على المقعد الطويل
ينتفض من البرد ويتلوى من السخبة وكأنه يمانى
سكرات الموت ، يكاد شفاف قلبه بتمزق ، وكانت
أطرافه تذب ، وقد علت الصفرة وجهه والزرقة
أغافره ، وأحس بأن عظام يده تفتت ، وكان للبرد
شديداً في ذلك المساء من شهر ديسمبر فصرى إلى
ذهنه الداهل خاطر سريع .

— ماذا لم يدركنى الموت منذ ساعات ، بل
منذ أيام وأشهر طوال ؟ أفى الانسان تلك الحيوية
القاهرة ؟ أم إن الأعمار محدودة كما يقول مارك
أوريل في تأملاته ... ؟ وهل الخط المائر يتغير
ويتبدل بتبدل حركات النجوم ، كما يزعم إبيكتيت ؟
ألا إن الخط السعيد لن يدركنى ولو أطلق ساقيه
الريح ! إن نهايتى قريبة ... وعلى غرة منه وهو
ساجع في أحلام شقائه ، لا يذكر الماضى ، ولا يملك
أن يمرض حواذيه ، ولا يرى شعاعاً من نور
المستقبل ، وينتظر انسداد الليل ليعتمد على خشبة
المقعد لعلها تكون الرقعة الأخيرة ، سمع وقع أقدام
مقبلة نحوه فبشر نفسه بمقدم الشرطى الذى سيقوده
حياً إلى قويمسير البوليس ، ففرقة السجن الفائقة ،
قال السجن أحب إليه من الحرية ، لأن الحكومة
أشفق عليه من القدر ، ودأ منه سواد وصوت
ولكنه لم يرفع رأسه ليتبينهما وسمع صاحب الصوت
يقول :

— هل تتألم من الجوع والبرد ؟

قال : البرد والجوع من شأن من يشكوهما

والزكام والسعال ورغبة الكن ، وتداف الكنائس بأنايب
البخار فلا نشعر بالصقيع أيام الأحد ونستغنى عن
مساكنة الفخامين ، ومشاحنة الحالين ، ولا نحتاج
أبداً إلى الخشب والورق ، وفي الشتاء أفتح في المران
على الجوع ، فلا أشعر أثناء الربيع بالسغب فن صبر
من الطعام شهراً بارداً ، استطاع أن يصبر بقية
أشهر السنة .

قال هذا وهو يفرك يديه متلهلاً كمن اتصر
في معركة .

ولما طالت المزية على هذا البخيل ، خطب
لنفسه مدام دولاك الحلوانية التى كانت تقض الطرف
عن اختلاس فطارتها ، فيا كل منها سبياً ولا يحاسب
إلا على أربع ، تريد أول الأمر مصاهرته ، فبادر
إلى خطبتها آملاً أن يلهمها لها وفطارتها ، فلا يفتقر
ولا يجوع في ظل تلك الأرملة الدسمة . فلما غضب
الولدان من زيجة أبيهما وتخيلاً أن هذه البرديس
السمجة ستحل محل أمهما أنكرا على أبيهما فسلته ،
فباح الأثاث بالزاد وانتقل إلى بيت زوجته الجديدة
وفرض لوديه نفقة ضئيلة ، فلم يطيقا العيشة ولم
يجرأ على محاسناته أو مقاضاته ، واحتفيا من وجهه ،
واتخذ كل منهما سبيلاً في الأرض هرباً وقد قرعهما
الفقر والقسوة ، بعد أن جمعتا الثروة والحنان ،
وحمل الفتى بعض كتبه وثيابه وحملت الفتاة حليها
للمروءة وحليها وقبائرها ولم يسأل أحدهما الآخر
أن يولى وجهه .. فغرب البهر بينهما .

في حديقة لوكسمبرج على مقربة من متحف

— هل البرد شديد ؟

أجاب صاحب الصوت : نعم وإنه لشتاء قاس .
قال : « يخيل إلى أنني سمعت رجلاً يقول : « حينما
البرد من طقس ، ونعم الشتاء من فصل ، فإنه يحفظ
رائحة الطعام ، ولا يمحض فيه النبيذ إن ترك مفتوحاً
ولا يفسد فيه مرق إن بقي أياماً ، وتطرح الحكومة ...
أختاه هذا هو حذاؤك الحريري الناعم ... » . ولم
يكمل كلامه بل سقط على الأرض ، فظنه الحسن
ميتاً فحمله على ظهره إلى أقرب سيارة ، وهو يحس
نبضه ، ويفرك صدره ... وقطع الشاب عينه بعد
ساعتين وهو يحس بالدفء والحياة ورائحة الطعام
تهب على وجهه ، فطلب إليه أحد الخدم أن يدخل
الحمام قبل الطعام ، وأن يترك ثيابه ليلبس سواها
جديدة ؛ ولما أكل ونام وتيقظ لم يسأله أحد عن شخصه
وتركوه أياماً حتى استعاد قوته ونشاطه وعرضوا
عليه أن يتلم سنة من الصناعات الرقيقة كالنصير
أو الموسيقى أو إحدى الحرف النافعة كصنع الأثاث
أو التسعج الراق ، فاختار التصوير واجتهد في
إتقانه ، ولكنه كان يقضى معظم وقته في المكتبة
ويحمل كتباً لا يفارقها ، وبعثوا حاولوا أن يقصوه
عن القراءة حتى يحسن منه فيرجع منه ما يسهل على
هوايته . وكانت أيام الشتاء قد ولت وعاد الربيع
بازهاره وأطيابه ، وعاد الشباب إلى كتبهم وأشجاره ،
إلى أن انتهز فرصة ، فاستأذن في الخروج ، ولم يمد
إلى المار ، بل عاد إلى حياة التشرد حياة مفارقة
طليقة من كل قيد وأخذ له مجلساً ومقرراً في يارك
مونسو على مقربة من شمال جي دي موبسان ، ذلك

وحده ، فذهب عنى بسلام أو اقتبس على إن كنت
شرطيّاً ، فأنى متشرد لا مال لي ولا سنة ولا
مأوى ، أو اتركني أذهب إلى جحيم إن كنت قسيساً
فأجلب صاحب الصوت ، وهو يلمسه بلطف
بيد كريمة :

— لست شرطيّاً ، ولست قسيساً ، ولكنني
أستطيع أن أتفك من الجوع والبرد والالم والوحدة
فنحن أفراد جمية البر بالطرداء ، نجوس خلال
الحدائق السامة ، ونغرق تحت الجسور ، فنفرح بهم
ونصنهم ما استطعنا . وليس البر من صلب مالي ،
ولكنه بعض الدين الذي في أعناق المجتمع يمدده
لكم أقساطاً ضئيلة على أيدينا ، فهل تقبل ما أعرضه
عليك وتمنيى على أداء واجبي نحوك دون أن أسألك
عن شخصك أو أسل بلائك ؟

فأحس الشاب بأنه مقود إلى صاحب الصوت
المهادي واليد الطيفة الكريمة ، ولكن البرد والجوع
قد أتلغا أعصابه ، حتى غشيت بصره سحابة ،
واختلج صوته في حنجرتة ، وخاتته رجلاه وهو
يحاول النهوض ليتبع الحسن مستسلماً ، فأى بلاء
يخشاه بعد الذي هو فيه ؟ وما خوف النريق من
البلبل ، والمحترق من مستنصر الشر ؟ فلا حذر
اليوم ولا وجل ، ولا رضى ولا أمن ، فقد استوى
لديه الماء والخشب ، واللبغض والمحبة ، وتكافأت في
عينه محاسن الدنيا ومساوئها !

فلما نهض ارتجف وكاد يقع على الأرض ،
فأسندته يد كريمة . فقال الشاب كمن يفيق من
غيبوبة :

بيداً جداً تتبع رجلاً في خطواته وتسال نفسها عن وفاته وخيالاته ، أم مهجورة في مضجعا ، أم منتظرة حبيبها ، أم يائسة من لقاءه ، أم قاتبة بعد أن اكتوت بتار الحب اللاذعة ؟

فكان الشاب يجلس حيال هذا التمثال في وقت الأسيل وبين يديه كتاب ، وفي لحظة يستمرض حياته ويمار في مصيره ، ولكنه كان يقضى النهار متسكماً لا عمل له . كل ما يملأ ذهنه تلك الطيور المشرقة المتقلقة بمخافة أجنحتها بين الأغصان ، ثم مناظر الطبيعة في موسم الربيع الساحر ، في تلك المدينة الباهرة الجمال . وكان أحياناً يقصد إلى بعض التناطح والمكاتب فيسلك فيها بعض ساعات النهار ثم جاء الصيف ومر سريعاً ... ثم جاء الخريف وعادت السهابة إلى الوجوم والتلبذ بالنجوم وبدأت أمطار باريس تهطل مدرارا ، والبرد يتضاعف ويصعب أفكاره بالسواد . أين يجد حياة تقيه متاعب الشتاء ... خطر له أن يبيع الكتب القديمة على ضفة النهر ... وأثناء تفكيره كتب قصة من حياة طفلين ، ونظم قصيدة في حنان الأم وبث بهما إلى جريدة «المانان» لأنه تقادح بإعجابهما ، أليس كل الخير والبركة والبشاشة في البكور والبكور في الصباح ؟

وجعل عنوانه مكتب البريد بشارع بونيه ، لقرىه من بستان مونسو ، حيث تمثال مؤلفه المحبوب . ولكن الجريدة لم تستجب له ، ولم يشر أعدادها بانتظام إلى قصته وقصيدته . وضافت الدنيا في عينيه من جديد ، ونظم على أنه ترك بيت المحسنين الآن أشقوى أول مرة وخجل أن يترك بهم ،

الكاتب الذي أحبه في صفه فكان يأنس إلى تمثال أقيم هناك لتخذيذ ذكرى ذلك الكاتب الذي شفى بقرائة كتبه في عهد عهد الشقاء من ذاكرته ، ولم يقو على عو روح هذا الكاتب من لوح نواذه المنصب ، فقد صنع له التال صورة امرأة من نساء باريس في آخر الزمن ، ونهاية هذا العصر ، مضطجعة على « شيزلونج » ومتكئة برأسها الجليل الذي يشبه رؤوس عصافير الجنة ، على معصمها القاتن ، وفي يدها الأخرى كتاب كانت تقرأ ولله « قصة حياة ^(١) » وإلى جوارها محمود من الرمر نصبا في أعلاه تمثال جدي موبسان في الأربعين من عمره ، وهي السن التي مات فيها نزيل مسحة دوكتور بلاتش ، وقد كان هذا التمثال في أول أيام الربيع مدعاة لتفكير الشاب وتأمله ، فان المرأة الراقدة في بقعة النعسان ، وإن كانت من الرمر اللون ، إلا أنها طافقة بشرات الماني ، التي لا يدركها إلا من تذوق حياة باريس ووقف على الصورة السجينة التي أودعها المؤلف كتبه ، سواء أ كانت القصص الطوال أم الروايات القصص ، أم النوازل الصغيرة « النائية ^(٢) » « امرأة في مقبيل العمر وروعة الجدل عليها كل مظاهر الفتنة والجيرة أمام لنز الحب والحياة ، وكأنها تطلب حل هذا اللغز ، من ذلك الكاتب الذي قلب فيه أجفانها أثناء قلب صفحاته ، قرأ بعينها وعقلها وقلها ، هناك

(١) قصة Une vie من أشهر كتبه

(٢) Histoire gauloise قصة فيها مجاعة وخلاعة لسة إلى بلاد « الغال »

يقصد إلى المقعد الذي تمود أن يجلس عليه ، بل أخذ سمته إلى ناحية قصوي وأخرج القنينة من جيبه ، كانت كنفادورة العطر التي يقوح منها ريح الموت للريح . ونظر حوله فلم يجد حياً طافلاً سواء ، غير أنه لمح طائراً صغيراً يبني عشه في أنصاف الشجر فضحك ضحكة عالية وهو آمن ألا يسمعه أحد وقال : حتى سنار الطير مسخرة للحياة ، تلمس رزقها وجرة الماء وتبني عشها ذرة فذرة وقلامة قفلا ، وتفتي وتشتق وتضع الحب كما تلتقط الحب ، وتستهدف لحصاة الطفل ، وتبل الصائد ، ومتقار الجوارح ومغالبه ، وأغفار القطع الجائع ، لتبييض وترقد على ستارها حتى تفرخ وترتاش ... أما الانسان العاقل الطموح إلى الحياة ، المدرك لفتائق الدنيا ، المتطلع لأسرارها ، يبتل ويجوع ويريد ويظأ ويأس وهو آمن . دني لم يصنعوا قانوناً يضمن لنا الحياة كما ضمنت أنت الحياة لهذا الطائر ؟ لقد تركته طليقاً وتركوك في أقفاص ضيقة أتراك تحاسبني وتساألني عن تلك الثمالة من عمرى .. ولكن إذا كانت هناك بقية فلم مكنت لي ثمراء هذا الهواء ، وأعدتني للموت هادئاً في ذلك المكان المهجور ، وسط المدينة الصاخبة ؟ إن قليلاً من اللحم وطعامهم وثيابهم ونارهم ، يدعني غائلة الردى الذي حبيته إلى : ألهذا ولدتى أى الحنون وأرضعتني وخافت على عادية الملاك طفلاً وفقى وإفناً ؟ ترى كم فنى مثلى في موقف هذا بين يديك في تلك اللحظة الدهشة . وما قصصهم ؟ وما هى طريق المسيح التي وُصفت بالمذاب وهو يحمل عليه ؟ هل كانت خشبته أثقل على كاهله من خشبتي التي لا يراها أحد ، ولكنى أشعر ببسبها ؟

ولله نسي مقبرم ، فهل يترك نفسه للموت البطيء وكان في العام النازر أقرب إليه من جبل الوريد لولا أن أدركه الله . فلى يتحمل الآلام القديمة من جديد ، فلا بد له من الخلاص من الحياة ، فاستجدى ثمن سم سائل في زجاجة صغيرة ، استجدى امرأة شابة ، ظنها ذاهية إلى موعد غرام ، والمرأة أكرم ما تكون عند ما تقصد إلى لقاء الحبيب ، فمطلقتها أرق وقلها ألين وأدوم ، وهو شاب في مقتبل العمر ، لا يزال به أثر للجمال ظاهر ، وبقية من نعمة مفارقة فأخذ الصدقة ، ليدهسها غمماً للترع ثم القبر المجهول ، إن رُخامة « اللورج »^(١) أحسن على ضلوعه من البرد والجوع ومن هذه المدينة ذات الجمال والأضواء بل أحسن عليه من أبيه . ولما ظفر بالسلم عادتهللاً ، لأنه سبقضى على آلامه إلى الأبد ، وفي لحظة ذهن لامة تذكر آياتاً لثيرجيل :

إنما أشرقت النفس الحزينة على الموت

تجردت من همومها واستشرت

سوف يكسر الموت اللواتى أغلأها

ولا يهمنها أن تخرج مختارة أو مرغمة

فأنها تمبر القنطرة في طرفة عين

هبود القنطرة بالنار أو بالأماء

بالخنجر أو بالسلم الزفاف . إن المين لن ترى ،

والأذن لن تسمع ، والفعل لن يذكر ، هبود

للقنطرة .

فكرها وترنم بها ، وكأنه يقرؤها في كتاب

قديم في ركن مكتبة خفية في شارع مظلم ،

في مدينة قائمة ، فمن هو وما هى المدينة ؟

ذهب إلى الحديقة — يارك مونصو — ولم

ساعات طويلة قبل أن يعود إليه رشده، وتفتح عينيه
 فإذا به في غرفة مشرقة وإلى جانبه امرأة في ريمان
 الشباب تحنو عليه وترماه ... وقد حملته إلى سرير
 نظيف وفراش ناعم وأشعلت ناراً وجلبت له طعاماً
 ونيبذاً وأزهاراً بأنيّة. فشمها بالحياة تماوده. وحرف
 أنها طملة في أحد غازن الكتب، وأنها كانت في
 الحديقة بانتظار حبيبها الذي أخلف مواعده فرأت
 إلقاءه خيراً من الصبر على صديق متباطيء، فهل
 أخطأت؟ نعم أخطأت ولكنني أحببتك منذ
 رأيتك، وغفرت لك ذنب إقصائي عن الموت الذي
 كنت أنشده.

وقبلها وضعا إلى صدره. وشم بأن قوة
 تجذبه إليها، ولكنها مانعت، لأنها لا تزال مرتبطة
 بالآخر الذي كانت تنتظره، فتقاطعه أولاً، بصراحة
 لا تعرف المواربة. مستعجبة إلى الحديقة فتلقاه
 وتودعه، وهي لن تلتن له بعد اليوم، وإن كان
 جديراً بشكرها لأنه يسر لها إلقاء حياة الرجل الذي
 أحبته، فواقها وصحبها إلى سور البستان، وشهد
 خلال أعواد الحديد والأغصان موقفها. فانه لم
 يزد على دقائق مدودة

قالت له في رفق: إن ما كان يبتنا قد انتهى.
 وللمضى لا يعود، وداعاً.

وعادت إليه قرحة مسرورة كمن وضعت حملاً
 عن كبتها. فقال لها: أهدئه السرعة تقطعن حبال
 الود، وتدفن غير بأصكيات ذكريات الهوى؟
 فضحكت وقالت: هو ضئي الله بدل الهرم ديناراً،
 فانك أنبل وأشجع وقد سمعت مناجاتك كلها قبل

هأنذا أقصد إلى المولجونا طائفاً، وليس ورأى
 حواريون يكون ولا جنود يجزوني بأنيّة رماهم
 ولانساء من الأهل والماءدات يندبني. هأنذا أصنع
 خلاصى يدي، ولكن أسمه بخطيئة حارة، لأنها
 تعد من شقوتي. غداً يقرأون بنامصرى، ساموت
 مجهولا ويقولون شريد قضى المجهول لا يمت لأحد
 بصله، ولن تذرف عين على جسدى المارى دمة
 واحدة. ألا وداعاً أيها الحزن الدائم وأيتها المخاوف
 من برد الساعة الزابئة، وأيها الجوع القارص
 وأيها الكريات النامضة. سيفوز حتى ضيف
 عاجز، بالاتصار على الطبيعة وعلى قوة التقدر،
 سأعوى بجمرة واحدة أعواماً طويلة من الشقاء
 الرقب. وسأدخ في لحظة غفران ذنوب لم ترتكب
 وسأخلص نفساً، وكأني أخلص النفوس جميعاً..
 إلهي! إلهي! لماذا تركتني؟

ثم رفع يده بإزجاجة، فتجرع نصف ما فيها
 وإذا بصرخة مدوية، أقعدته بقية رشده، فلم يتم
 شرب منيته وأرخص يده. ترى من صاحب هذا
 الصوت المشنوم الذي أسعد عليه جمال تلك اللحظة
 الزائفة؟ من ذا الذي تدخل متطفلاً بين الموت
 وبينه؟ من يكون ذلك الثقيل الذي لم يدرك جمال
 للبرهة الهيبه اللعنة؟ من قطع تلك المهادنة بينه
 وبين ربه الذي يصنى إليه في حنان ورحمة ويسد
 الملاذلة لاستقباله؟ أو.. في غضب وثقمة ويأمر
 الشياطين ليجروه إلى سقر. هل كان داني الجيبرى
 كاذباً إذ وصف مذنب المتحرين في تلك الموزة؟
 ثم أغضض عينيه وراح في غيبوبة مظلمة. ومضت

أما القصاص فلها حساب آخر وإن شئت فاسحب من الصيرف قطعاً على المحاسبة ، ولكن ألف فرنك لنضمن تمانتك فذهل من كرامة الرجل ، وأراد أن يشمره بجاعه فقال له :

— إني أقبل لأسرك ، فلتستبحر الحاجة إلى المال فقال الرئيس : إن اسم كزولو ليس غريباً على . أتصرف صاحب مكتبة شهيرة بهذا الاسم في مدينة ليون ؟

فقال جورج كزولو — إذ لم يكن سواء — أنا ابن صاحب المكتبة بينما . .

فقال الصحفي : إني آسف لما أصاب واليك ، ولا أحب أن أحرك ألامك وقد نشرنا فيه منذ عام بشيء من التفصيل وأعفلنا ذيل الحادثة خشية ذيرعها .

— قاتني هذا الدد . . . وإن كنت

— فبعت الرئيس في طلبه وقدمه متلفاً ، فطواه جورج وشكر الرئيس وودعه وصر بالخزافة ليقبض القسط الموعود ، ثم قصد إلى مقهى ونشر الصحيفة . وعلم وهو بين الفرح والألم أن والده مات فجأة عقيب مشاجرة بينه وبين زوجته ، قاتمت بدس السم له في فسطاط دسمة ، وأثبت الدكتور لوكار إمام الخبراء في الطب الشرعي أن في أمعائه أثاراً من زرنينج ، فهاج الرأي العام ونسبوا بدمام لا فارح جديدة ، فاعتقلت الحوانية — مدام كزولو حالا وهي مدام دولاك سابقاً ، فغتموا تركته وجردوا ثروته . وإذا بها تربي على ربح مليون ، وأنكرت للتهمة أن له ودية ، ولكن الجيران شهدوا بحياة وارين من صلبه ولكنهما غابا غيبة منقطعة وللهما يطلبان العلم في بلاد ثانية ولم ينههما

أن ترفع يدك بالسم إلى فك ، وكنت موزعة بين الثالثة والرابعة ، وبين الخوف على حيائك والخوف منك . وحسبتك في أول الأمر شاعراً مجنوناً ، إلى أن ذكرت سيدنا المسيح ، واستغفرت لله من المصيبة ، فأيقنت أنك يائس ولكن خشيت أن أزحجك ، فلما رأيت السم يسيل بين شفتيك خاطرت بعمري في سبيل عمرك . ستميش وتنجح وتقوز فأنت للشقاء خلقت .. وعادا إلى غرفتكما . فالفاهما عاصرة بالكتب التي تشتريها وتستعيرها وبأوراق الموسيقى التي تجيد عزفها فأخذ يقرأ ويأكل وينام وينتظرها وهي تدأب وتعمل وتوفر له مطالبه ، ولا تتألم ولا تضجر كأنها أم فرشت فألمت ولم تسأله عن اسمه ولا سمته ، وهو كذلك لم يسألها ، فلو أنهما افترقا وافقد كل صاحبه لا اجتدى إليه أيد الدهر . وإذ عادت ذات مساء وكانت تحمل رغيفاً متلفاً في جريدة قديمة ، لمح اسمه فكلم عنها الأمر ، ثم تناول الوريقة الباقية وقرأها . . . هذه قصته منشورة ، فابستم . وفي الصباح ذهب إلى مكتب البريد فاذا مكاتب تنتظره ، وكأها تدعوه إلى لقاء رئيس التحرير لأمر مهم ، فلم يستطع أن يخفى عنها رغبته في الذهاب إلى إدارة الجريدة فمئنت بثيابه ومنظوره فراح متمشياً مطراً ، فلما تقدم إلى رئيس التحرير ، رحب به وقال له : بهمناً أن تسام في تحرير جريدتنا التي سرها نشر قصتك وقصيدتك ، ولا ريب أنك كنت تتجول في الأقطار تجمع مادة لكاتبك وهذا الذي دعا إلى إبطائك في تلبية دعوتنا . إنك من غول كتابنا الطموزين ، ولما غنى ، تعمل لأجل الفن ، ولكننا لا نقبل مساهمة بنير أجر . سندفع لك مائة فرنك عن القصة الواحدة مؤثماً

— أخى جورج . لا تحاول البحث عني عينا

فانى عرفتك بصوتك وملاصك منذ الرحلة الأولى
ولكني لم أرد أن أجثك بما وصلنا إليه من الشقاء .
أما أنك لم تعرفني، فلأن الأمل قد أثر في ذاكرتك .
لقد ذهت أكثر عما ذهت ، ولما لم أسالك عن
نفسك شيئا . لقد شهدت طاري، وعلمت من حياتي
ما لا يسمع لي بقلبك إذا عرفتني . أما شقيقتك
لورا البائسة . لقد مات والدنا بيد تلك المجوز التي
اختارها بعد أمنا ، وترك ثروة طائلة ، ولكنني
لا أجزؤ على الذهاب لإثبات وراثتي دونك وأفضل
للوت الآن على مواجهتك ، بعد أن علمت أنني
سقطت في أحضان رجل لم تربطني به رابطة الزواج
أنا التي أنبستني أي نانا حسنا، ولم يمين على عليك
الإلجنون أبيتا الذي في الأرض . استود إلى عرفتني
فلا نجدني وسوف أخفي في باريس إلى أن أغادرها
إلى بقعة مجهولة . إنني أحمل على كاهلي الصليب الذي
تركته في حديقة مونسو . لكل مناصبيته . ولكنني
لن أقتل نفسي، لأنني لا أزال مؤمنة . لقد أحببتني
وخدمتك نفسك بإلحاد في فراشي خليلا وأنت
لا تمل أنك أحمى . لملي أعطاك إذ لم أسارك في
الساعة الأولى . ولكنني خفت عليك أثر الصدمة ،
وأنت ضعيف محتاج إلى العناية والمهدوء . إنني فتية
صحيحة البدن وسأجد رزقي كذلك المصفور الذي
وصفته وأنت على شفا الماوية . لقد كان نبش عني
نتيجة إتهادك ، فهل أأندم أن كنت سبب نجاتك ؟
سوف ألقط حسي، وأحاول أن أبني عني دون أن
يصيدني سائدا ما كر . سأعزدا بكية وأذرف دموعا
ساخنة على فراقتا اللرة بعد المرة . إصمغ عني
واغفر لي ، فاني لم أقصد إلى تدنيس شرفك عامدة ،

نسي أيهما . فهذه الثروة تروتهما . ولا كان قاتل
للورث لا يرث في حكم القانون ، فقد أصبحا يتبر
ضراسم ، لأن الوصية التي ضبعت في الأوراق ،
أصمت لنوا ولم تعد المرأة إلا دليل لإثبات عليها
ولا تقدر على نفيه . فابقت عيناها بالمعوج وهو يقرأ الخبر
الطويل وتذكر طفولته وأخته وأمه . ولكن أين هما ؟
هل هو في حلم أم في حقيقة . وهل كان في
عنداء الأغنياء عندما كاد يوت من الجوع والبرد .
ما أوسع ياربي رحمتك وما أعجب تدبيرك وأحكمه .
وهذه الفتاة الثرية التي أعذتني ترى ما يتربها
من جنون الفرح إذا علمت أنها لم تقدر متشردا
ولا طريدا ولا وضيما ، بل أعذت غنيا شريفا
يجب للشر والأدب ، كان وأخته خيبة البخل
وجنون الذهب ، وكأنا ذوى مواهب كاملة قضى
عليها لوم الحياة . نهض جورج كثرلوا فاشترى أزهارا
وثيابا وأطعمة دسمة وحلبا ولم يقرب الحلوى ،
وأتخذ مقعده في سيارة نخمة . وقال : سأزوج
منها اليوم ، وسنبحت عن شقيقتي معا . لشد
ما يكون فرحنا جميعا عندما ننود معا إلى ليون ،
ونفتح أبواب المكتبة . ثم لا نعرض على ثياب
الناس ولا نتخف فصل الشتاء اللدون ، سوف
نقضى السيف في لوسرن لنرى القصر والحصن
والبحيرة والجبل . وسوف نبني لأمتنا قبرا فخما ،
ونشهد بما حكمة المرأة المجرمة . وثبت وراثتنا ، بأهل
ما يكون . أيمكن أن يتجاهلنا أحد ؟

ولما بلغ البيت دفع أجر السيارة بسخاء ، وانتهب
درجات السلم حتى وصل إلى باب الغرفة فوجده
مغلقا ، وقد علقت بأعلام رسالة مغلقة ففحصها
وهو يلثم

— أذكر سياحتنا في الجبل والبحيرة ؟ . كنت وأنا
 أنهدك أذ كرهما دائماً ، وأبكي أثناء نومك ، وطلالا
 همت أن أوقظك قائلة : جوج ! أخى الصنير ...
 تلك لورا التي نكلكم ... ولكن شجاعتي كانت
 تخونني ...

وفي تلك اللحظة فتح الباب وخرجت سيده
 مكتهلة ، وهي مالكة الغرفة المهجورة وساجبة العمار
 كلها وقالت :

— سيدى ! إن الآنسة قد سافرت ولم تترك
 عنوانها ، ولم تذكر شيئاً يهتدى به إليها
 — حسن ، لقد قرأت خطابها ، تفضل بقبول
 هديتها إليك فقد أوصتني أن أشكرك على ما رأت
 من لطفك أثناء إقامتها لديك ...

فأقبضت المرأة وقالت : تفضل واسترح قليلا
 من عناء المشتري والسماوة . فدخل مسح عرقه ،
 وأخذت المرأة الأزهار والهدايا وصفتها في أما كن
 لائقة دون أن تمس غلافها ثم سألته : هل كنتما
 حازمين على الزواج ؟

أجاب : كلا ، أى زواج ؟ أفى بلاد الزوج نحن
 أم في الهند الصينية ، أم أن الحضارة تتقهقر ؟

— ولم يولدنى إلا يتزوج عن عشق غير الزوج
 وهند الصين ؟

— إنها شقيقتي ياسيدى من أبى وأمى
 — شقيقتك ؟ أه لقد فهمت شئمة

ولم تركنتك على غير سودة ، كأنها تفر من
 ضيقهم ، وأدراك مذهبها لا تنكر قرابتها ، ولا
 تأخذها بلاعة

— وكيف أنكر قرابتها وقد ألفت حياتي
 من موت مؤكدة ؟ ولكنى في الحق لم أعرضها للوهلة
 الأولى وإن هي مرضت

— لعلها خشيت عتاباً أو ملاماً ..

— وأبى عتاب يكون بين شقيقين فرق بينهما
 الدهر ثم اجتمعا على إحسان أحدهما إلى الآخر
 إحساناً لا ينسى .

— إذأ ما يعني في لغة المصر الحديث « سوء
 نظام » وإنه للفظ حلال للسعد .

— وأبى أن أجدها لأركع تحت قدميها ،
 شاكرًا مستغفرًا ؟ ألا تملين ياسيدى ، بالله عليك ،
 مظنة من مظان وجودها ؟ أحب أن أودعها ولو
 شامت مفارقتي ، مستحيل أن أقدها هكذا .

فأغرورقت عينا المجوز بالدموع وقالت :

— ربما ! ثم خرجت من الغرفة فأتروك
 جورج ملياً ثم سمع وقع أقدام فرغ فرغ رأسه ليرى
 من القبل عليه .

فأذا بلورا نفسها غاشمة ملاحظة الرأس ، فأقبل
 عليها يقبلها ويحتضنها ويشرها بالسعادة بشرط
 ألا يذكر أحدهما كلمة عن الماضى القريب أو البعيد ،
 فسا جهمما الله لتفرق بينهما الذكرى . فابتهجت
 ووافقت ودخلت المجوز تبكي من الفرح وقد جمت
 ثملهما بعد أن طنا أن لا تلاقى بعد الساعة ، وقالت وهي
 تنسج بدموعها : أنا التي استقيبتها إلى أن تعود ،
 وقلت لها : انتظري حتى أمتحنه ، فإن جفا أو قسا ،
 فمع السلامة ، وإن سحن ولا ن فهو بك أولى وأنا
 بالكأ أحق ، ووعدتني أن تبقى الغرفة لما دامات
 ياديس

— وأنت أيضاً لنا ، فلن نفارقك بعد اليوم
 فقد كان بيتك دار النعمة والبركة ، والرجاء بعد
 القنوط ، ولا معنى للحياة مع اليأس

محمد لطفي محمد

أذكر سياحتنا في الجبل والبحيرة ؟ . كنت وأنا
 أنهدك أذ كرهما دائماً ، وأبكي أثناء نومك ، وطلالا
 همت أن أوقظك قائلة : جوج ! أخى الصنير ...
 تلك لورا التي نكلكم ... ولكن شجاعتي كانت
 تخونني ...

وفي تلك اللحظة فتح الباب وخرجت سيده
 مكتهلة ، وهي مالكة الغرفة المهجورة وساجبة العمار
 كلها وقالت :

— سيدى ! إن الآنسة قد سافرت ولم تترك
 عنوانها ، ولم تذكر شيئاً يهتدى به إليها
 — حسن ، لقد قرأت خطابها ، تفضل بقبول
 هديتها إليك فقد أوصتني أن أشكرك على ما رأت
 من لطفك أثناء إقامتها لديك ...

فأقبضت المرأة وقالت : تفضل واسترح قليلا
 من عناء المشتري والسماوة . فدخل مسح عرقه ،
 وأخذت المرأة الأزهار والهدايا وصفتها في أما كن
 لائقة دون أن تمس غلافها ثم سألته : هل كنتما
 حازمين على الزواج ؟

أجاب : كلا ، أى زواج ؟ أفى بلاد الزوج نحن
 أم في الهند الصينية ، أم أن الحضارة تتقهقر ؟

— ولم يولدنى إلا يتزوج عن عشق غير الزوج
 وهند الصين ؟

— إنها شقيقتي ياسيدى من أبى وأمى
 — شقيقتك ؟ أه لقد فهمت شئمة

ولم تركنتك على غير سودة ، كأنها تفر من
 ضيقهم ، وأدراك مذهبها لا تنكر قرابتها ، ولا
 تأخذها بلاعة

— وكيف أنكر قرابتها وقد ألفت حياتي
 من موت مؤكدة ؟ ولكنى في الحق لم أعرضها للوهلة
 الأولى وإن هي مرضت

يظنونهم بأن يتجنبوا الاختلاط
بشيطان هرّس بشكل مباشر أو غير
مباشر

وَقَالِ عَمَّا أَثَارَ وَلَيْلِي

لَكَاتِبُ الشَّهْرِ وَلِزْكَوْت
بِقَلَمِ الْأَوْسَازِ مَحَلِّ كَامِلِ حَيَاةٍ

إن المشاهدين والممثلين في المسرح
الآنّي كانوا ثلاثة فتيان يحبّطون
ويحولون أحطابهم إلى غم ، وكانوا

عائدين إلى كوخهم ، وكان حديثهم دائماً حول شيطان
هرّس وعن الراهب الذي كان يلحن هذا الشيطان
الوديع المسالم فرجه الأهلون بالحصى والحجارة
قائلين ٤ : اذهب لثأرك لتلحن الشياطين في بلاد
غير بلادنا ، ثم جرم الحديث إلى أن الذين يربطون
علاقتهم بهذا الشيطان تكون آخرتهم مشؤومة
واستشهدوا بمجواد السباق الأسود الذي منحه شيطان
هرّس إلى الفارس أ كبرت دورا بتوالده والذى
بفضله حاز قصب السبق في سباق يرم ولكنه سقط
في الهاوية بسيدته ولم يبل أحد بخبرهما إلى الآن

كان ماركان أصغر إخوة الحطاطين الذين سبق
ذكرهم بخلاف أخويه الأكبر والأوسط في الاعتقاد
بالشيطان ، وكان جسوراً جريئاً ماهراً في جميع
الأعمال التي يقوم بها الجيليون وكان مقدماً في
كل عمل يطلب منه أعمال المجازفة أو القوة وكان
يضحك من حياء أخويه ويسلق الجبال بكل
سهولة وخفة .

قال لأخويه وهو يجاورهما : لا تقصا على هذه
الخرافات فإن الشيطان طيب وهو يمشي بيننا
كأحد الفلاحين ، وكان يتسلق الصخور ويجوب
الجبال كأنه يسطاد أو يرمي للرمز ، ولما كان يحب
غابات هرّس ومناظرها الطبيعية الخلابة فلا يتأتى
أن يكون عديم الاهتمام بحظ ساكنها .

إن الوحشة التي سادت غابات هرّس بالمانيا
ولا سيما الجبال المسماة بلوكيرج أوبرو كنبرج قد
جملت من هذه الأخيرة مسرحاً ممتازاً للأفانيس
التي تسرد فيها أخبار السحرة والجن والشياطين
والخيالات . وأغلب سكان هاه للقاطنة حطاون
أو عمال في الناجم . وهذا النوع من اللبشة قد
جعلهم يمتدّون بالخرافات ويمزجون الحوادث الطبيعية
إلى السحر والجن والشياطين

ومن الحكايات التي ذاعت في هذه البلاد
للتوحشة والتي يشاع فيها أن غابة هرّس يسكنها
شيطان ويصورونه بشكل عملاق أدى متوج الرأس
وبوسطه حزام من أوراق البوط ويده شجرة
صنوبر قلت من الأرض يجنونها . وزعم كثير
من الناس أنهم شاهدوه مراراً في أطراف واد
صغير يثنّره فيه أو في سفح الجبل . وهذا الزعم
مقبول عندهم ولكن المصر الحاضر لا يقبله ويمزوه
إلى خداع النظر

وكانوا يمتدّون في المصور القديمة أن هذا
الشيطان كان يتاجر مع بني الإنسان . ويقال في قتاليد
تلك البلاد السابقة إنه كان يتدخل في أعمال الناس
فتقوده أهواؤه تارة إلى الخير وطوراً إلى الشر ، كما
أنه لوحظ أن منحه تكون مع الشر مشؤومة
وكانت الشمس يشيرون على أتباعهم وم

الامر أن يدعو أخويه ولكنه رأى أن أخاه الصغير يخالفهم في الرأي وأنه لا يستطيع أن يوقف جورج دون أن يقتل مارتن ، ثم ظن أن مارآه ربما كان نتيجة وهم أوجده الحديث الذي دار بينهم من الشيطان . وقد ظن أنه لا يستطيع أن يعمل شيئاً أحسن من الصلاة وأن ينتظر يقتل وفتح هذه الشهادة . وبعد ما استمرت النار وتوهجت ثم انطلقت شيئاً فشيئاً وخيم الظلام لبث مضطرباً مدة نوبته مما شاهده .

حل جورج محل ما كس الذي ذهب لينام بدوره فشاهد النار التي رآها أخوه ، وكان حول النيران أشخاص تصدر منهم إشارات كأنهم يقيمون حفلة رضية

ولو أن جورج كان أشد غلظة من أخيه الأكبر ولكنه كان جريئاً مقداماً ، وقد صمم أن يقترب من هذه الحفلة ليخترها فاجتاز قناة صغيرة تجرى في هذا الوادي واقترب من النار حتى أسى على رمية سهم منها فوجدتها متأججة كما كانت

وكانت الأشخاص المحيطون بها أشبه بالأشباح التي تراها في أحلامنا ولأول وهلة تحقّق أن هؤلاء ليسوا من أهل الدنيا وقد رأى بينهم حلقاً هائلًا بيده شجرة صنوبر قلت بمجنورها كان يستعين بها البملاق في إسمار النار ولم يكن عليه من اللباس غير كاج وحزام من أوراق البلوط . ولما عرف جورج شيطان هرّس هلع فؤاده لأنه كان طبق الصورة التي كان يتحدث بها الرعاة والصيداؤون الذين رآهم يجولون في الجبال فرجع ممنا في الحرب وبعد قليل من التفكير وخ نفسه على هذا الجبن وقرأ ضمرا آمن الزبور : « فتبارك جميع الأمم الآلهة »

وحينا يكون خبيثاً شقيّاً متلكماً فكيف يكون تصرفه مع من ينتقمون بتمتعه دون أن يشهدوا له بأى تعهد ؟ وحينا تورّد غمك في السبك لديره بلز فاك الشيخ الذي لا يفوه لسانه إلا بالتجديف ، أفلا تفضل أن تأخذ منه تلودك ولا تأخذها من القسيس ؟ فليست إذن منح هذا الشيطان التي ترزك للأخطار ولكن سوء استعمالها والتصرف فيها . أما أنا فانه إن ظهر لي في هذه الساعة سواء أكان باسمًا أو عابسا فأنى أستمر في حفر الأرض قبل أن يبرح مكانه ، وسأحسن التصرف في نعمته التي يمن بها على وأمل أن أكون في حماية ورعاية فرد أقوى منه .

فأجابه الأخ الأكبر بأن اللعاب الذي يتال بطريق غير مشروع يندر أن يتصرف فيه صاحبه على أحسن وأفضل وجه . فرد عليه مارتن : إننى إذا امتلكت جميع كنوز هرّس فان ذلك لا يشير شيئاً في طباعى وصفاتى .

فقال له ما كس : يلزمك أن تتكلم باحتراس وتحفظ حيناً تخوض في مثل هذا الموضوع . وأراد أن يحول الحديث إلى موضوع آخر وانتقل إلى صيد الدياب الذي سيشرع فيه . وقد استمر بينهم الحديث إلى أن وصلوا إلى كوخهم اللقائم على سفح أكمة بواد ضيق بجبال يروكنبرج ، ثم حلوا محل أختهم في مراقبة تحضير اللحم وكانوا يتناوبون مراقبة اللحم فينم اثنتان ويراقت الثالث .

كانت نوبة ما كس والديك فسهر الساعتين الأوليين وقد دهش حيناً شاهد على أكمة أمام كوخهم وحولها أشخاصاً كثيرين يدورون وتصدر منهم إشارات غريبة . ففكر في بادية

ليؤدبوا هؤلاء الجريئين ولكنه حينما شاهد إشارات
الشفيعين حول النار كأنهم يعملون عملاً غير فكره
واستنتج أن هذه حادثة غير حقيقية - مهما كانوا
رجالاً أو شياطين ومهما كان شغلهم سأذهب إليهم
أسألم جنوة من النار أضرهم بها التنوير . ورفض
أن يوقف أخويه وخشى أن يحول استحياء أخويه
دون مقصدهم تناول رعباً مما يصطادون به المدينة
وذهب وحده ليحصل حداً لهذه الواقعة

سار بشجاعة نفوق شجاعة أخيه جورج
واجتاز القناة ثم صعد الأكمة وتقدم صوب هذه
الجماعة وعرف أن الرجل الذي يتزعمها ليس إلا
شيطان هرمنس فأصابته رعدة كانت الأولى في حياته
ولكنه تذكر أنه طالما تمنى هذه الفرصة السانحة
فلذلك تجلبت شجاعته، فتقدم نحو النيران بثبات
وجرأة فظهر له أن هؤلاء ظهرت عليهم ملامح
غريبة خارقة للعادة وقابلوه بشحك متواصل وقع
في أذنه مزججاً عنيفاً

- من أنت ؟ سأله المملق وقد ظهرت على
سحته الدمية ملامح الغضب والشدّة

- أنا ماركن ولديك النصحام، وقد أجاب بكل
جرأة وبسالة ، ومن أنت يا هنا ؟

- أنا ملك الجبال والناجم . وكيف تجاسرت
على تمكير أسراى ؟

- قد أتيت لأطلب جنوة نار لأوقد بها تنويرى
ثم سأله بكل جرأة : وما هى الأسرار التى تحتفل
بها هنا ؟

- فرد عليه الشيطان مازحاً : إننا نحفل
بقران هرمنس بالتنين الأسود ، فعيا خذ النار
واذهب لشانك فإ من خلقو بطليل فينا النظر
إلا وبهك

وأخذ طريق الأكمة حيث شاهد النار ولكنه دهش
حينما لم يجد لنار أترأ

أضاء الفجر بأشعة الضئيلة ذاك الوادى ،
ولاحظ جورج أن جبينه ينضغ حرقاً ، يارداً وقف
شعر رأسه من الفزع ووصل وهو يرتد إلى المكان
الذى شاهد فيه النار وكان به شجرة بلوط كبيرة
كانت تظهر كأنها وسط النيران فلم يجد أثر أقدام،
ولاحظ أن البكلاً والأزهار البرية لم تحس ولم يهشم
منها شئ وكانت أوراق البلاوط غضلة بقطر الندى
رئع إلى كوخه وهو يرتد من الهول وفكر
مثل أخيه الأكبر وصمم ألا يتفوه بشئ مما رآه
خوفاً من أن يشير فيه تطلبا تصعبه المجازفة

جاء موعد صبرة مارتان عند صباح الديك مؤذنا
برحيل الليل واقترب الفجر . اختبر استثمار التنوير
الذى يجوز فوقه الفجر فوجده ضيقاً لأن مشاهدة
جورج للشيطان وما حاق به من الملع أنسياء واجبه
من مراقبة النيران فأراد أن يتأذى أخويه ولكنه
رأى ما في ذم حميق فمالج النار وحده ولكن الأخشاب
التي استعمالها كانت رطبة خضراء واتبعى الأمر
بأن خبت النيران . طفق يمدو باحثاً عن حطب
جانب ولما رجع وجدها قد انطفأت وكان هذا
حادثاً جلالاً يقدم حمل يوم . أخذ يقبح زنده فلم
يفلق لأنه تشعب بالرطوبة . فلم يجد مناصاً من استدعاء
أخويه واج على حين غفلة سبوا مفاجئاً في الكوخ
فتفتح الباب فآذا هى الظاهرة العجيبة التى أذهلت
أخويه ما كس وجودج

ظن في يادي* الأمر أن الوهار هاوسرس الدين
كانوا معهم في شجار مستمر لما اتباهم من غيرة
الصناعة قد أغاروا على أرضهم في التابة ليسرقوا
ما وصلت إليه أيديهم ، ففكر في إيقاف أخويه

المظالم الذين في جواره . ولشجاعته في الحرب وخصومة أعدائه لم يزل منه أعداؤه الذين كانوا يحسدونه على علوه التجأ إلى غروره العاني . لم يلبث مارتان ولديك أن أظهر قدرة جديدة تدل على أن قليلاً من الناس من ينظر في عواقب ما تنتجه الثروة المفاجئة ، إذ ظهرت عيوبه التي أخفاها الفقر ، ففسدت أخلاقه ، وأصبحت الأهواء تجر بعضها ، فأبغض شيطان البخل شيطان الكبرياء ، واستعان الاضطهاد بالقسوة والوحشية

استمر مارتان في غيه وجرائه فخذ عليه الناس من سرقة وقراءة لكونهم رأوا رجلاً سافلاً عاجزاً ونفذ فيهم قوانين الانطاعيات بقسوة مهينة انكشفت عيوبه وأصبح محمقاً حتى من رجال الدين الذين كانوا يلقبونه بشريك الشياطين والساحر لأن ثروته فضحت بأساليب جهنمية ولم يمنح جزءاً صغيراً منها إلى الكنيسة حتى يبارك في باقي ثروته . وقد حصلت له حادثة كانت سيئاً في سقوطه

أقام دوق برونويك ، وهو الحاكم ، برجاساً ودعا إليه نبلاء الألمان ، وكان مارتان ولديك متقلداً أغفر الأسلحة مصحوباً بأخويه متبوعاً بمجاشية كبيرة العدد والعدد . وقد ساقته وقاحته لأن يظهر وسط الفرسان النبلاء وأن يطلب منهم أن يدخل في المشارة ، فارتفع ألف صوت قائلين : لا نستطيع أن نتحمل اختلاط غمام الفرسان النبلاء في حلبة ألعاب القروسية ؛ فاقطع مارتان وغاب صوابه واستل سيفه وضرب الفارس الذي عارضه في دخوله إلى المشارة ، وشهر مائة فارس سيوفهم في الحال لمعاقبة هذه الجريمة ، فدافع ولديك دفاع الأسود ثم قبض عليه في النهاية وحوكم أمام ماريشالات البريس ،

أنشأ مارتان ستان معه في قطعة كبيرة من الخشب ملهبة وعاد بها إلى كوخه وسط ضحك مستمر وقهقهة عالية دوى صوتها في الوادي ثم وضعا وسط الأعطاب الجافة ليوقد تنوره ، ورغماً من جهده المتواصل وكبره الكبير انطفأت الخشبة المستمرة . ثم التفت إلى النار الموهودة فرأها مازالت مستمرة فوق الأكمة فظن أن الشيطان أراد أن يلصق منه دوراً فعاودته جرأته وصمم أن يعود إلى الأكمة ليأخذ جذوة أخرى فأخذها دون أن يصادف أية معارضة ولكنه لم يلقح في إشعالها كالمرّة الأولى وأراد أن يجرب المرّة الثالثة فأخذ قطعة كبيرة وذهب فسمع الصوت يخاطبه : حذار أن تصود للمرّة الرابعة

حاول أن يسمر النار ويذل كل جهده ولكنه أخفق . يئس وقطع الأمل وارتدى على سريره القدي اتخذ من أوراق الأشجار وقرر أن ينتظر إلى الصباح ليطلع أخويه على جميع ما حصل له فنام من التعب واضطرب فكره . استيقظ في الصباح على أصوات الفرح والدهش وصراخ أخويه فانهما حيناً شاهداً التنور خامداً أخذوا يخرجان الخشب منه ويمالجان إيقاده فوجدوا في الرماد ثلاث سبائك ضخمة فرقا في الحال أنها من الذهب الخالص

ولما حدثهما مارتان عن الكيفية التي بها أصبحت هذه الثروة في حوزتهم هدأت أعصابهم لأن ما رآه فيها مضى جملهما يقان بمحدث أخيهما ولا يشكان فيه ، وقد سولت لهما تقاسما أن يشاطرا أخاهما هذه الثروة

اعتبر مارتان نفسه رئيس الأسرة واشترى ضياعاً وغلات وبني قصرًا عظيمًا وحصل على رءات الشرف ومتع نفس الامتيازات التي تمنح لبارونات

في غابة صنوبر على قاعة الطريق ، فتلقاها راهب
بالترحاب وكان حافي القدم طويل البعن ، ولم يش
مارتان غير الوقت اللازم لاعترافه لأنه لم يسترف منذ
أقبلت عليه النجم التجانية مع أن مارتان كان يساعد
التوغاء على رجم هذا الراهب المسكين وطرده من
قبة مور حنبرودت قبل هذا التاريخ بثلاثة أعوام .
ويظن أن هذه الأحوام التي أقبلت فيها السمادة بكل
تسامح كان لها ارتباط خفي بالرحلات الثلاث التي
ذهب إليها مارتان ليرى النار الثرية

ثم دفن مارتان في البر وترهب أخواه إلى أن
واقما الأجل المحتوم ، وبقيت أرض مارتان حقل
ولم يقل أن يمسا أحد إلى أن وضع يده عليها
الامبراطور ولم يقترب الخطابون ولا عمال الناجم
من أطلال القصر معتقدين أنه أصبح مأوى للشياطين
وقد جعل مارتان وديك من نفسه مثلاً
للمصاب التي يستهدف لها كل من حصل على ثروة
بطريقة غير مشروعة ثم أساء التصرف فيها

محمد فاضل ميمباغ

وحى بغداد

صور وجدانية وأدبية واجتماعية

بفلم الدكتور زكي مبارك

يطلب من المكتبات الشهيرة

وتعن النسخة عشرة قروش

وحكم عليه بقطع يمينه وتجريده من ألقاب النبلاء
وأن يطرد من المدينة

وحينما جرد من سلاحه وتقد فيه الحكم ترك
للرماع قانيوا هذه الضحية البائسة التي جنى عليها
الطمع وطفقوا يسبون صائحين : « أيتها الساحر
الظالم » وانهاروا عليه بأفطع الشتائم وأشنع الاهانات
فتركته حاشيته وولت الأدبار . ثم أقبل أخواه
وخلصاه من أيدي التوغاء ، ولما شقوا غليل انتقامهم
منه تركوه حيناً رأوه مشرفاً على الانحاء من فقد
دمه وتمذييه ، وقد قسا عليه أعداؤه حتى أنهم لم
يسمحوا بنقله إلا على حربة غم من التي كان يشتغل
عليها حيناً كان غاماً غرضه أخواه على حزمة من
قش فوق العربة وأراد أن ينقله إلى مكان أمين
قبل أن يريح الموت من آلامه

ولما سارت أسرة ولديك بهذه الطريقة المزرقة
واقتربا من بلادهم الأصلية رأوا من بعد في الضيق
الواقع بين الجبال شخصاً يتقدم بحوم ظنوه في يدي
الأمر شيخاً هماً ولكنه كلما كان يقترب ظهرت
قائمه المائلة ثم اختفت عبادة من كتفيه واستحالت
عصاه إلى شجرة صنوبر قلعت بيمينورها ، ثم ظهر
أمام أعينهم شيطان مرئس فارتمدوا من الهول ،
وحينما وقف أمام العربة التي حملوا عليها أخاهما ظهرت
على ملاحه هيئة أمير محترق ، ثم قال بحسب ودهاء
لما رآه : « كيف وجدت النار التي أشعلها نحيي ؟ »
وما أتم قوله حتى جمد الدم في عروقهما من الخوف
ولكن الجريح طوذه نشاطه وقوته ونهض ولوح
بقبضة يده الباقية مهدداً الشيطان ؛ وما كان من
هذا المين إلا أن فهقه بنهك وخبت ، ثم اختفى
عن السيون

تملك الفزع الأخوين ، ثم انجها نحو دير قائم

انْتِقَامٌ رَهَيْبٌ

لِلْكَاتِبِ الْفَرَنْسِيِّ أُوغُورِي دِي لِيْزَالْ
بِقَلَمِ الْأَدِيبِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ مَصْطَفَى بَحْلَقْ

كثير الأكل، وقد أهيى منه حسن
أدبه ووداعته، وملت إليه كثيرًا وإن
يكن لا يكاد يفتح قاه للسلام أكثر
من بضعة ساعات في اليوم، وكان من
الحال أن يفتح أحد باب الحديث
والسرمر معه، وإذا كله أحد لا يجيب،

وكان يتلو سواها كل يوم كما ينبغي ويذهب إلى
الكنيسة بانتظام، وفي المساء كان يمشي في الجبال ويدين
خرائب القصور، ولم يكن له من تسمية سوى ذلك
وقد علمت أن إسبانيا مملوءة بالجبال واليمن فلا يجب
في أن ينشدها هنا. وكان منذبهه أسره قد اعتاد أن
يرجع إلى المنزل في ساعة متأخرة من الليل ولما
لم أكن ألق عليه إذا غاب، وكان يأخذ معه مفتاح
الباب فلا يحس به أحد حين عودته. ثم أخبرني
أحد الخدم أنه رأى يسبح في النهر في ناحية منزلة
فبادرت إلى تحذيره من مواطن الخطر بالنهر حتى
لا يفرق. ولكن جاء يوم لم يمد فيه أصلاً، ثم انقضت
أيام أخرى دون أن يعود وقد بحث زوجي عنه
طويلاً، وكان وقتئذ لم يمت بعد فشر على نياحه وراه
حجر كبير عند أعلى النهر، وأبنا أنه غرق. ولما
فتحتنا درجة في الثغرة الخاصة به وجدنا خمسين
قطعة ذهبية إسبانية وحلياً من الأساس ومنها
مكتوب منه يومى بها لنا في حالة عدم عودته، ولم
يكن أحد قد رأى زوجي وهو يرجع بالثياب لأنه
كان قد ذهب في ساعة مبكرة قبل الفجر للبحث
عن الشريف الأسباني ولما حرقنا تلك الثياب
وأخذنا النقود والحلى تبناً لنذك الوصية وأعلمنا
الحفاظة أن الأسير هرب وقد أرسل وكيل المحافظة
جميع الشرطة للبحث عنه ومطاردة، ولكنهم بالطبع
(٥)

على بعد مائة متر تقريباً من بلدة فندوم على حدود
إقليم الأوار توجد دار كبيرة عاطفة بأسوار عالية
وقد قامت وحدها بعيدة عن جميع البور الأخرى
وتبنيها حديقة واسعة جفت الآن نباتها وغطي
التراب دروبها وزاد منظرها من ضمة القدم والوحشة
البادية على النار، ولم يكن يفتح لها باب ولا يطرقتها
طارق، وقد علمت أنها قد أغلقت هكذا وخلت من
السكان منذ عشر سنين، وإنما أحدث صبية الناحية
فتحات في السور ترى منها جوانب من داخل الدار
وقد قصت على صاحبة المنزل الذى نزلته قصة
لا شك أنها سبق أن حككتا لسواى من التزلاء
قالت :

« حين أرسل الأمباطور أسرى الحرب
من الأسبانيين وغيرهم إلى هذه البلدة أزلت الحكومة
عندى واحداً منهم . وقد أخذت عليه كلمة الشرف
ألا يفر، ومع ذلك كان عليه أن يقدم نفسه كل
يوم إلى وكيل المحافظة وكان من أشرف الأسبانيين
واسمه ينتهى بأوس وديا، وهو يشابه كلتي بوردجوس
دى فيريديا، واسمه الصحيح مدون في دفتري، ولم
يكن طويل القامة، وكانت بداه رقيقين يمشي بهما
ويخصهما بفرشة كأه سيدة حسنة . وكانت نياحه
أحسن ما مر على وقد تمل أى غسلت ثياب أحرار
وأشراف لا يحصى لهم عدد. ولم يكن ذلك الشاب

لك تلك السيدة شيئاً نسيخين به ؟

— بلى . ولكن عملي هنا لا يضابقني أيتها
فهمت أنها لا تريد الكلام عن سيدتها السابقة
ومن ثم زاد اهتمامي بكشف ذلك السر الخفي . وفي
صباح الئد قلت لها دون مقدمة :

— نبشئ بكل ماترفينه عن مدام دي ميريه

— لا تسألني مثل هذا السؤال . .

ولكني أصررت على سؤالها وكنت قد كسبت
ودها فقالت لي :

— حسن ، مادمت تلخ في معرفة القصة فاني
سأقصها عليك ولكن ينبغي لك أن تمدني بأن
تكتنهما عن جميع الناس

— أجل ، أعدك بذلك بشرف العصوص وم
أكثر الناس عافظة على الوجود . ولو أني أردت
هنا أن أئين فصاحتها وهي تقص على قصة مدام
دي ميريه لاحتجت إلى مجلد كامل ولذا سألخصها
هنا بإيجاز :

« كانت الزفة الخاصة بـ مدام دي ميريه في دار
زوجها الكونت بالطبقة السفلى ويتبعها دولا ب كبير
مبنى في الجدار لحفظ ثيابها ، وقبل ثلاثة أشهر من
ذلك الحادث الريب الذي أدى إلى إغلاق الدار
وهجرها كانت مدام دي ميريه متعرفة الصحة
فتركها زوجها وحدها في جناحها الخاص بها واحتل
جناحها آخر في الطبقة العليا . واتفق أنه عامين ناديه
ليلاً بعد ساعتين من مواعده المتداد وكانت زوجته
نحسبه في البيت راقداً في فراشه ، ولكن الكونت
كان يتحدث مع أعضاء النادي في الشؤون السياسية
وقضى وقتاً طويلاً في البليارد وقد خسر فيه أربعين
فرنكاً ، وهو مبلغ كبير بالنسبة لبلدة فتدوم حيث
يدخر الأهالي ثرودهم وحيث تقل الملاهي ووجوه

لم يجدوه ، وكان الرحوم زوجي يستد أنه انتحر
غرقاً . ولكني لا أعتقد ذلك بل إنني أرجح أن
يكون ذلك الشاب السكين علاقة بقصة مدام
دي ميريه فقد أخبرني روزالي أن الصليب الذي
كانت سيدتها تلك تحتفظ به وتحرص عليه كان من
الأبنوس والفضة وهو الذي دفن معها طبقاً لوصيتها
وقد جاء الشاب الاسباني إلينا ومعه أيضاً صليب
من الأبنوس والفضة ولكني لم أره معه بعد ذلك .
والآن ألا تتفقد أن لي الحق في أن أحتفظ بالنقود
والخلى التي تركها لنا ذلك الشاب الاسباني ؟ »

قلت لها :

— بالتأكيد . ولكن ألم تسأل روزالي عن
معلوماتها بهذا الصدد ؟

— سألتها ولكنها تكتم كل ما تلمه ويبدولي
أنها تعرف أشياء ولكنها لا تهولها . ثم تركتني
صاحبة المنزل ومكثت أفكر فيما قالت لي وقد دلفي
إلها م خفي على أن بين هذا الحديث وتلك النار
المهجورة صلة متينة ، ولما عرفت أن أكتشف ذلك
السر الذي تكتنمه روزالي فقد كانت وصيفة لـ مدام
دي ميريه زوجة صاحب الدار المهجورة قبل أن
تشتغل خادمة بالزل فقلت لها ذات مساء :

— روزالي !

— نعم

— أأنت متزوجة ؟

— فضحكت وأجابت :

— في استعلا مني أن أجد كثيراً من الرجال
إذا خطر لي أن أشفي بالزواج

— إنك جميلة ذكية ومثلك لا ينقصها المحبون ،
ولكن خبريني يـ روزالي لماذا اشتغلت بهذا المنزل
بعد أن تركت خدمة مدام دي ميريه ؟ ألم تخلف

ذهبت روزالى وحى فى الحقيقة لم تذهب بعيداً لأنها
وقفت فى الردهة تستمع موقف الكونت أمام زوجها.
وقال لها بجفاء :

— مدام ! يوجد أحد فى خدمتك ؟

— كلا ياسيدي !

ولم يصدقها، ولكنه رآها فى تلك اللحظة أبعد
وأطهر ما تكون، وقام ليفتح باب الدولاب ولكنها
تناولت يده وقالت بصوت يدل على التأثر والأسف :
— إذا لم تجد أحداً بالداخل فلا تنس أن ذلك
يكون آخر العهد بيتنا

وكان اطمئنانها وتأثرها باعثين له على الندم
لارتياحه بها فقال لها :

— كلا .. لن أدخل، فسواء كان هذا أو ذاك
فانه مؤد إلى اقتراننا . اسمي إلى أعرف أنك أمينة
طاهرة وأن حياتك حياة قديسة ولن ترتكبي ذنباً
خالفاً لاتخاذ نفسك

ف نظرت إليه نظرة التساؤل فاستطرد يقول :
— تناولى هذا الصليب وأقسمى لى أمام الله
أنه لا يوجد أحد غتبيء هناك ؟ وعندئذ أسدقك
ولا أفتح الباب

فأسكت مدام دى ميريه بالصليب وقالت :

— أقسم

— ارفى صوتك وقولى : « أقسم أمام الله
أنه لا يوجد أحد غتبيء بهذا الدولاب

— فكردت هذا القسم بهدوء

— حسن

وبعد أن سكنت برهة أمسك بصليب من
الأنبوس مطعم بالفضة وقال :

— إلى لم أر هذه اللعبة الجميلة من قبل

— لقد وجدتني فى عمل دوقينييه وكان قد
اشترأها من راهب أسباني حين من الأسرى

الاتفاق ، وكان الكونت قد اعتاد فى المدة الأخيرة
أن يسأل روزالى عند عودته ليلاً عما إذا كانت
زوجه قد آوت إلى فراشها فكان جوابها دائماً
بالاجاب فيذهب الكونت توكاً إلى خدمه بأدى الرضا
عن نفسه، ولكنه فى تلك الليلة خطر له أن يقصد
إلى خدم زوجه ليخبرها بما مئ به من الخسارة فى
لعب البليارد ويلتمس منها العزاء ، وكان قد رآها
عند تناول المشاء فى أحسن ثيابها وفتحتها قبل ذهابه
إلى النادى فخطر له أنها قد شفت من مرضها وأن
دور النقه قد زادها جمالا، وكان على عادة الأزواج
بطيئاً فى إدراك ذلك

وبدلاً من أن يتأذى روزالى للسؤال عن زوجه
ذهب إلى خدمه على ضوء الصباح الذى وضعه على
السلم وسمع وقع خطواته فى الردهة، وفى اللحظة التى
أدار فيها أكره الباب خيل إليه أنه يسمع صوت
باب الدولاب الداخل وهو يفتق، ولكنه لما دخل
الغرفة وجد مدام دى ميريه وحدها أمام المرأة وقد
خطر له أولاً أن روزالى بداخل الدولاب ولكنه
طرده هذا الخاطر وحل محله ارتياح شديد، ونظر إلى
زوجه فرأى عليها دلائل اللقلق وقالت له بصوتها
الرفيق البادى للتأثر :

— « لقد تأخرت الليلة ! »

فلم يجب لأن روزالى دخلت فى تلك اللحظة،
وأخذ يذرع الشرفة ذهاباً وحيثة وهو مطبق
الذراعين وقد ثارت بنفسه عاصفة كان يكتظمها جسد
المستطاع ، وبينما كانت روزالى تساعد على خلع
ثيابها قالت لزوجه :

— « سمعت أخباراً سيئة أم أن بك مرضاً ؟ »

فظل ساكناً

وعندئذ أمرت روزالى بالانصراف

وقد دلها منظر زوجها على شر مستطير ، فلما

الاسبانيون ليلة فندوم في العام الماضي

فل يقل الكونت شيئاً وأعد الصليب إلى موضعه
ودق الجرس فجاءت روزالي مسرعة فقال لها :

— اسمي ، إنني أعلم أن البناء جورفلو يعني
الزواج بك وأنتك تتمنينه زوجاً لك ولكن الفقر
هو المائق الوحيد ، فهيا أسرعي واتقي به ومعه
أدواته وعدده وليبرهن على براعته في البناء . وحذار
أن توقلي أي أحد في النار ، وسأكافئه بما يننيه
وعليك ألا تحدثي أي صوت وإلا ...

وهنا عيسى فبانت كل قسوته ، ولما ذهبت
ناداها وقال :

— إليك مفتاحي السري

ثم نادي جان الحونزي وكان في تلك الساعة
يلب بالورق مع رفاقه الخدم فأمره الكونت بأن
ياوي الجميع إلى فرائشهم ... ثم قال لجان همساً :

— حين ينام الجميع تعال وأخبرني

ولما انتهى من الأدلاء بهذه الأوامر عاد
إلى زوجته فأخذ يحسها عن خسارة في لب البليارد
وعن أمور أخرى عادية ، حتى إذا عادت روزالي
وجدتهما جالسين مما يغير حال

وكان للكونت قد أصلح في العهد الأخير جميع
سقوف الغرف التي بالطبقة السفلى وجاء لهذا الغرض
بمقدار وافر من الجص من باريس وقد أمل أن يبيع
الباقى منه بعد سد حاجة الترميمات فيجد له سراً
حالياً في البلدة ، وقد أوحى إليه ذلك بفكرة في هذه
ال لحظة وبمد حين جاءت روزالي وقالت للكونت
بصوت خافت :

— سيدي ، لقد جاء جورفلو

فصاح بها قائلاً :

— أدخله إلى هنا

ولما رأت مدام دي ميريه ذلك البناء شحبه

لون وجهها ثم قال له الكونت :

— يا جورفلو ، إذهب وانت بطوب وافر يكني
لسد باب هذا المولاب ، فإذا انتهيت من ذلك طليت
البناء بالجص

ثم قال لروزالي وجورفلو بعد أن انتهى بهما
ناحية :

— اسمع يا جورفلو ستنام هذه الليلة ، وفي التند
أعطيك جواز سفر إلى بلدة في الخارج أدلك عليها ،
وستمكث عشر سنين بهذه البلدة بشرط أن تكون
في نفس المملكة ، وستسافر أولاً إلى باريس حيث
تنتظر قدوى ، وسأعطيك أولاً ستة آلاف فرنك
لأجل سفرك ، وفي باريس أعطيك مهدياً على ستة
آلاف أخرى سوف تسلمها عند عودتك بعد انقضاء
السنوات المشر بشرط أن تكون قد نفذت كل
شروطي ، وهذا هو عن كتمانك لا تمطه هذه الليلة .
أما أنت يا روزالي فاني سأعطيك يوم زواجك
عشرة آلاف فرنك بشرط أن تزوجي بجورفلو ،
ولكن إذا كنت تريدن الزواج فيجب أن تحسكي
لسانك وإلا فلا زواج ولا صداق !

وفي تلك اللحظة فادت مدام دي ميريه وصيفتها
لتصلح لها شعرها

وكان الكونت يروح ويحيى وهو يراقب زوجه
ووصيفتها والبناء ، ولكن دون أن يبدى شيئاً من
المواجس التي تختلج في نفسه ... وانتهزت مدام
دي ميريه فرصة اشتغال البناء بتفريغ الطوب
ووجود الكونت في الطرف الآخر من الغرفة فقات
لروزالي :

— لك مني ألف فرنك كل سنة إذا قلت
لجورفلو سراً أن يترك طوباً مفككاً في أسفل البناء
ثم قالت بصوت مرتفع :

— إذهبي وساعدي

ثم نبي عليها . هيا اتيني بالأدوات
وسارحت مدام دي ميريه إلى العمل مهمة فائنة
وأخذت تريل جانباً من الطوب وإذا بها ترى
الكونت يمود ثانية ويدخل الغرفة دون أن تنبيهه
وكان قد اكتفى بالكتابة إلى المحافظة بسدد جواز
السفر وبث رسولا إلى الجوهري دوفينية
ولاريب أن الكونت قد تنبأ بما ترومه زوجة فأراد
أن يوقها في الفخ

وما كادت مدام دي ميريه ترى زوجها يدخل
ويأغتها على ذلك الشكل حتى أغمى عليها فقال
لزوجاى :

— ضى السيدة فى سررها

وبعد برهة جاء الجوهري دوفينية فأطلمه
الكونت على ذلك الصليب وقال له :

— هل اشتريت هذا الصليب من رجل أسباني
مر بهذه البلية ؟

— كلا

— حسن أشكرك

ونظر إلى زوجته وهي راقدة نظرة تجلى فيها الحقد
ثم أمر بأن تمد وجبات طعامه فى غرفة المدام .

وقال لجان وهو يأمره بملاحظة ذلك

— لأن السيدة مريضة ولن أترك غرفتها حتى
تشفى من مرضها

وقد مكث فى غرفتها عشرين يوماً ، وفى الأيام
الأولى منها كانت تسمع أصوات بداخل الخوان حتى
كادت مدام دي ميريه تتوسل إلى زوجها أن ينفذ
حبسها السجن بذلك السجن الرهيب فكان
الكونت يسبقها بقوله :

— لقد أقسمت على الصليب أنه لا يوجد أحد
بداخل المولاب !

عبر الراهب مصطفى بمحونه

وكان الكونت ومامدى ميريه ساكتين طوال
الوقت بينما أخذ جورنفلو يسد الباب بالبناء ، وقد
أراد الكونت ذلك الصمت حتى لا يطلع زوجته
فرصة لأن تقول كلمة ذات معنى ؛ أما هي فقد
رأت أن تسكت إما بدافع الكبرياء أو بعد النظر
ولما تم بناء نصف الحائط انتهز البناء الماكر
فرصة عدم التفات الكونت فضرب بأذنه على لوح
زجاج بداخل الباب الذى يسده بالبناء وقصده من
ذلك أن يخبر مدام دي ميريه بأن وصيفتها أخبرت
وأنه موافق عليه وفى تلك اللحظة بدا الجميع —
مامدا الكونت الذى كان وجهه إلى الناحية المقابلة —
وجه رجل أميل إلى السمرة وكان جاحظ العينين
رتسم الرعب فى ملاحه وقبل أن يلتفت الكونت
أشارت مدام دي ميريه إلى ذلك الرجل إشارة
ممنها الأمل

وعند الساعة الرابعة من الصباح تم البناء وسد
باب الخوان فبعت الكونت البناء إلى الخوذى
جان لينام عنده ولما هو فى غرفة زوجته
ولما استيقظ فى صباح اليوم قال لها دون
اكتراث :

— يجب أن أذهب إلى المحافظة لأجل جواز
السفر .

ووضع قبضته على رأسه ومضى ثلاث خطوات
ولكن ظهر عليه أنه غير قصده فتناول الصليب
الأبنوس وعندئذ كادت مدام دي ميريه تصيح من
الفرح وقالت لنفسها :

— لاشك أنه ذاهب إلى دوفينية

ولم يكذب ينادى المار حتى كادت وصيفتها
وقالت لها :

— هيا على عجل ، لقد رأيت كيف ترك جورنفلو
طوبياً مفككاً علينا الآن أن نحدث الفتنة المطلوبة

الفصول والغايات

للفيلسوف الشاعر الطالب

أبي العلاء المعري

طرفة من روائع الأدب العربي في
طريقته، وفي أسلوبه، وفي معانيه .
وهو الذي قال فيه ناقصو أبي العلاء
إنه عارض به القرآن . ظل طول هذه
القرون مفقوداً حتى طبع لأول مرة
في القاهرة وسدر منذ قليل

صححه وشرحه وطبعه الأستاذ

محمود حسن زياتي

ثمنه ثلاثون قرشاً غير أجرة البريد
ويطلب بالجملة من إعادة مجلة الرسالة
ويباع في جميع المكتبات الشهيرة

رفائيل

لشاعر الحب والجمال لامرئين

مترجمة بقلم

أحمد حسن الزيات

تطلب من لجنة التأليف والترجمة والنشر
ومن إعادة « الرسالة »

العدد ١٢ قرشاً

مصنع القرش طربوش غزال الصوت



تحذير للجمهور

اتصل بإدارة المصنع ان بعض محلات الطربوش تعرض للبيع طربوش أجنبية باسم
طربوش القرش المصري . كما أنها تعلن عن بيع طربوش القرش بغير أسعارها المحددة .
ولما كان هذا العمل مضراً بسمعة الطربوش المصري عدائنا في ذلك نقبل على المشتري وحملته على
شراء بضاعة غير صفتها الحقيقية .

لذلك ترى إدارة المصنع من واجبها أن تحذر الجمهور من ذلك وتنبههم إلى أن جميع
طربوش المصنع مخومة بختمين : الأول ختم طربوش القرش الأسود . وهو الختم الأوسط أعلاه
والثاني ختم الصنف وهو يمين نوع الطربوش كما هو في الأقسام الأخرى المبينة أعلاه
والمرحومين كل مشتري يدق في شخص هذه العلامات عند عرض الأصناف وقت الشراء
إذ ليس طربوش القرش في الوقت الحاضر أصناف أخرى خلاف لأصناف المبينة أعلاه
كما أن الأسعار محددة .

طربوش القرش

مصنوع بأكمله في مصر وبأيدي مصرية
صناعة مصرية صيمة

فَنَاءُ الْعَصْرِ

أَقْصُوصٌ مِصْرِيَّةٌ
بِقَلَمِ الْأَدِيبِ نَجِيبِ مُحَمَّدٍ

ميزته سجاياه الجميلة عن جبهة أمثاله
من الشبان، فهو لا يشرب الخمر ولا
يرقص ولا يدخن ولا ينازل الطالبات
والملمات. ويتجنب الملاهي حتى البريء
منها، فلم يعرف عنه أنه اختلف مرة
إلى السينما ولا دخل المسرح إلا مرة

واحدة ليشاهد رواية يوليو قصير التي كانت
مقررة حينذاك على طلبة البكالوريا، وهو في حياته
العامة والخاصة كالمايد القانت لا يعرف طريقاً
سوى طريق الجامعة أو الجامع، ولا يطمئن إلى مكان
غير البيت والمكتبة، وقد وهب حياته جميعاً للوالد
وما كنت أتقبل على حياته لو أنه قدر لها أن
تسير في مجراها المألوف... لأنه يصح أن يقال فيه
ما قيل عن الفيلسوف كانط من أنه لا حياة له.
وحسبك أن تعرف تاريخ يوم من أيام حياته الموزع
بين العبادة والدراسة لكي تعرف حياته جميعاً...
ولكن قدر لحياة غير ما أراد لها ووقع له ما لم يدر
في خلق إنسان...

كان يقم منذ هبوطه إلى القاهرة في الجزيرة في
بيت من البيوت المدة لسكنى الطلبة، وكان يسكن
البيت المجاور له حمام شرعي مزومت، فلبثت نوافذ
الجزيرة التي تواجه حجرتها منقطة هذه الأعوام كأن
لا حياة بها، وانتقل الهوى أخيراً إلى مسكن جديد
خل مكانه موظف حكومي وأسرته ودبت في البيت
حياة جديدة وفتحت نوافذ الجزيرة على مصرعها
وتتمت بعد طول الحرمان بنور الشمس وطيب الهواء
ولم يفث الشاب ملاحظة التطور الجديد ولكنه
لم يلق إليه بالا. وإنه ليجلس إلى مكتبته ذات يوم
يكتب بعض المحاضرات سمع ضحكة رقيقة، فالتفت

هو شاب جميل الصورة طاهر النفس، فاضل
الخلق، له دين وسمو وعفة وحياء، يحفظ القرآن
ويستلهمه القول والعمل، ويقم الصلاة زلي وتقوى،
ويؤتي الزكاة طاعة ورحمة، ويصوم رمضان تديناً
وتطهراً. ومن جطلع على يافته يجد سورة صادقة
لظاهره، وقد وهب الله ضميراً يحاسبه على الخطورة
الجسيمة حسابه على العمل المحسوس، ويضرم في
نفسه حماساً وشوقاً إلى الثقل الأعلى

وقد تسألني أيها القاري: هل هذا الذي نرى
أحد أشبال الاسلام الذين جاهدوا مع النبي الأمين؟
فأقول لك: كلا... هو من شباب العصر الحاضر،
وقد تهرز رأسك بالمعشاش الذي اهتدى إلى حقيقة
المسألة وتقول: «لا ريب أنه من أبناء الريف
الطاهر الذي لم تلوثه حياة الحضر» فأقول لك: إنه
من المقيمين في القاهرة منذ ثمان سنوات على أقل
تقدير، وإنه طالب بكلية الحقوق، وإنه إلى هنا وذاك
من أسرة صعيدية معروفة كريمة المتمد موفورة الثراء
عظيمة الجاه فلا يمنعه من الاستمرار لو أرادته فقر
ولا غرورة. وقد يأخذك المعجب وتسد بك الحيرة
ويداخلك بعض الشك في أنني لم أتوخ البقرة في
وصفه، أو أنني أغض الطرف عن بعض نقائصه
غض من يزي هوساً، ولكنني أؤكد لك أنني
لم أجاز في نشته قوة الحق، وأنه شاب فاضل حقاً

أن تفرض نفسها على تفكيره سحابة يومه ...
ولدى عودته إلى مكتبه عمراً شعر بمحبته
إلى النافذة كما فلت بالأس ولكن أقسم ألا يبرها
أى انتباه وألا يبحث بقسمه مهما كانت الظروف
والأحوال؛ إلا أن جهداً كبيراً بما كان يصرفه في
القراءة يذله في تركيز الانتباه وتجنب المحذور ...
وبالفرم من فاك المجهود الجبار قد طرق أذنيه صوتها
وهي تتكلم بصوت رخم يجمل من أنه الأحاديث
أحياناً رقيقة، ولم يبق له إلا قول معنى، ولكن لم تنب
عنه حلالة الصوت ... ترى من تحدث ... ولكن
ماله هو ومن تحدثه ... فتحدث من نشاء ...
أو فتحدث نفسها كالجائنين ... المهم أن يصم أذنيه
عن صوتها الخبيث ... يا للشيطانة ... إنها لا تقع
بهذا الحديث فتضحك ضحكها الرقيقة الطرية اللطيفة،
وأفقه إنها لتضحك لا بدافع السرور أو الطرب
ولكن إيقاظاً للعواطف والشهوات ... فكيف
السييل إلى فهم الرومانى والشرمة وسط هذه
الافاعة الجنونية المضطربة ...؟

ومضت أيام كثيرة وأصبح وهي لا تكف
عن أحاديثها الرقيقة وضحكها اللطيفة وهو جلد
كالجبار صارم كالصخر يجاهد نفسه بمجاهدة عنيفة
ويكبث عواطفه كبتاً لا هوادة فيه، ولكن الفتاة
لم تستسلم للقنوط بل لجأت إلى طريقة شيطانية فأتت
بطفل صغير وحمله بين يديها ومضت تداعبه وتلاعبه
وتقبله قبلات حارة يرى سداها في حجرته وتقول له
بصوت مسموع « يا حبيبي ... قبلنى ... أصطنى
شفتيك المذبتين ... مالك لا تنظر إلى ... أنظر إلى
حيبتك ... ألا تحبى ... ألا يروقك وجهى ...
أنظر إلى يا حبيبي ... »

إلى الحجرة المواجهة له بحركة عكسية فلمحت عيناه
« صورة أنثوية » ثم رد رأسه إلى الأوراق الموضوعة
على مكتبه بسرعة البرق فلم يعرف من صاحبة الصورة
إلا جنبها، أمالونها وشكها فلم تلتقط منهما عيناً ما
أثر وما كان ينبغي له ... ومضى يكتب عاضراً له إلا
أنه كان يحرك عينيّه — ورأسه ثابت — ناحية
النافذة كلما مضت فترة من الوقت فيلحظ الصورة
الأنثوية النامضة في مكانها من النافذة لا يرم، حتى
أخذ السحب من ملازماتها لوقتاً — الغالية من
الحياة — واشتد به السحب فرفع رأسه ورأى فتاة
تطالع في كتاب وكأنها أحست بحركته فهمت
برفع رأسها ولكنه رد رأسه إلى موضعه الأول
بسرعة وقد احتاجه الحياة والنضب وهمس لنفسه:
« عسى ألا تكون رائتى » وبات ليلته غير راض
عن نفسه لأنه صرف ثوانى من وقته الثمين في غير
ما يرضى الله ...

وفي صباح اليوم التالى وكان يرتدى ملابسه؛
لاحظ منه الفتاة — لا يدري كيف — إلى نافذة
جارتها فراكها تطل منها في مطف اللدرسة الأزرق
الجميل وعلى رأسها قبعة صغيرة أنيقة فالتفت عيناها
فسراً، وسحب عينيّه — كالعادة — بسرعة فلم
يدرك حسن هاتين العينين ولكنه — وآسفاه —
أجس بهما. وغادر البيت ساخطاً غاضباً يفكر
في وسيلة يقطع بها دابر هذا الشر المباحث ... ولكن
كيف ... إنه لا يستطيع أن ينتقل إلى حجرة
أخرى فإن جميع حجرات البيت مأهولة بالطلبة ...
ولا يستطيع أن يخلق نافذة حجرة دواماً فهذا
فوق ما يحتمل ... وجعل يفكر في أمر الفتاة
ساخطاً غاضباً لا عناء، ولكنها على كل حال استطاعت

غناء جميل لقد غنى بإنجته كما يشق بأعماء
مشاهير المشاق في الروايات الثنائية الخالصة . . .
ولقد سما اسمه على أجنحة ذلك الصوت المذهب إلى
طبقات الفضاء البالية يتنافس بحاسن الطبيعة حسنها
وجملها لقد أتى ذلك النداء على البقية الباقية
من عزمه فتخاذل وتضعف ولم يشق عنه عزيمه
ولا لإيمانه فتبلا وطال ليله ولكنه لم ينم
كيشار . وطرح على نفسه هذا السؤال أكثر من
مرة « هل الحب فضيلة ؟ ! إن ما يسمونه حبا
وما هو إلا عث وقيل ووعود كاذبة، رذيلة منكرة؛
أما تلك الجاذبية النفسية التي يهتدى بها الانسان
إلى شريكته في الحياة فهي الحب وهي الفضيلة، ولقد
أحب النبي الكريم الشفيدة خديجة، ثم أحب مرة
أخرى السيدة عائشة أم المؤمنين، وما كان في الحالتين
إلا كامل الخلق كما وصفه الله تعالى فالحب
بالرذيلة التي تخفى مقارفتها، وما عليه من بأس في
أن يحب جاره التي أجبرته على حبا وهكذا
جمل يهون وقع المصاب على نفسه ويبرده أمام
ضميره ليطمئن نفسه المذفورة للهالك وفي
الصباح قام من نومه نشيطا متبهجا رغم تقلبه
وتسبده وارتدى ثيابه ببنائه لم يلق إليها بالا من
قبل، وكان يختلس من النافذة نظرات ييمتها
الرجاء ويردها التهب، ولكنه ألفاها خالية، ولم يبق
شيء يوقه عن الذهاب إلى السكينة ولكن كبر
عليه أن يذهب قبل أن يتزود بنظرة من وجهها
الأسمر الجليل ولكن النافذة ظلت خالية
كالنم الفارخ الذي غاب عنه دره التضيد
ولم يربدا من الذهاب فذهب كشيئا محسورا ورجع
مثلهما جزوعا، وانتظر على حرقه وشوق، ولكن لم

فكان يصني إلى مناجلتها بقلب مرعوف كجناح
طير ذبيح، والهم يتصاعد إلى رأسه فيخضب وجهه
وينفض بقوة في أذنيه ويستسلم إلى الاستناء استسلام
المجاهد اليأس أضاءه الجهاد والعزم، ولا يلبث أن
تتجلى في عينيه نظرة حزن عميق ويهتف من أعماق
قلبه المذهب: « ربه . . . اغفر لي ذنبي وهبني من لدنك
قوة » . . . ولكنها كانت ترداد جراءة على مرور
الأيام حتى كان يصلي عصر يوم فوقفت خلف النافذة
تدبر للنظر إليه وتقول ضاحكة: « إدع لي » وتقول
أيضا: « الله يهديك ويفتح عليك » فلما أن رآته
يركع ليختم الصلاة أخذت تقرأ التحيات معه كلمة
كلمة . . . فاضطرب واستحيا . . . ربه . . . لقد جنح
فكره إليها وهو بين يدي الله . وانفتل من الصلاة
حزينا كئيبا وارتدى على مقعده وجعل يتلو الآية
الكرمية: « فاذا قرأت القرآن فاستمع له من الشيطان
الرجيم، إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى
رهبهم يتوكلون » وكأن الآية للشرقة أمدته بقوة
غريبة فاتفض قائما بزم كالحديد وسار إلى النافذة
وفي عزيمه أن يلقها بشدة وعنق . . . وقرأت الفتاة
عزمه في تقطيعه جبينه ففتفت به بدلال جميل
« إخص يا قدرى . . . »

وانخلخ قلبه في صدره ورفع بصره إليها وهو
لا يدري، فامتلاّت عيناه من وجهها الأسمر البدرى
وهو في غيوبة الدهشة والذهول وجفت
يداه من مس النافذة فماد إلى مكانه كمن يسير في
حلم كيف عرفت اسمه ؟ كيف ؟ . . .
ولسنا نأذنه ؟ ما أجل صوتها
وما أجل اسمه في صوتها إنه لم يتاد هذا
النداء من قبل وما هو بالنداء، إن هو إلا

ظافراً وتجلت في عينيها نظرة الجون والبسب
 فيا للشيطانة . ولم تنفع وقها سدى ، فأشارت يدها
 إلى نفسها وإليه ثم إلى الشارع ، فاضطرب وتغير
 وأشار إلى الشارع مستفهما منكراً فهزت منكبيها
 ببساطة وأحنت رأسها كأنها تقول « ولم لا ؟ »

فازداد حيرة لأنه يرى أن « الزنديق ذو » باب
 من أبواب الحب المحرم لا الحب الفاضل فوقف
 متردداً لا يأتي حراً كالكلبها هزت يدها هزة عصيبة
 تستعته . . . فأسرع إلى بدلته وارتداه ووضع
 الطربوش على رأسه بناية قاتمة وهبط السلم إلى
 الطريق لا يلوى على شيء ، فرأها تسير على بعد أمتار
 منهقبها كالكلب الأمين ، حتى بلغا سدان الجزيرة
 وانحرفت إلى اليسار في طريق الأهرام وهو في
 أثرها يتلفت بين الحين والحين بعنة ويسرة . . .
 وانتهت إلى محطة الترام ووقفت ، فوقف على بعد منها
 قريب مضطرباً حائراً بحر الوجه — فالتفت إليه
 وابتمت ابتسامة مشجعة قابضت ابتسامة ذاهلة
 ولم يدرك ماذا يصنع ، فلم تر بداً من أن تتقدم إليه وتعد
 إليه يدها وقول بركة : « بونجور » فد إليها يده
 كالتحاف ورد عليها وهو لا يدري مايقول « بونجور
 مسبو » وهم بالالتفات في حوله ولكنها همست في
 أذنه ضاحكة « الثبات » وجاء الترام رقم ١٤ فصعدت
 إليه وسعد خلفها واتخذت مقعداً منفرداً وذهب بهما
 في طريق الأهرام — وفي أثناء الطريق لاحظت
 ارتباكاً فساتنه بركة . . .

— مالك ؟ فقال بصوت ضعيف

— لاشيء مطلقاً . . . إلى أين نحن ذاهبان ؟

— ستعلم بعد حين

— وماذا عسى أن يقولوا في البيت ؟

ير لها أترأ ولا سمع صوتاً تذهب وجاء ، وجاء وذهب
 وقام وقعد ، وقعد وقام ، وجعل يقلب في أوراقه وكتبه
 بدون وحى ، ودلف إلى نافذة حجرته واستند إليها
 وانتظر وانتظر ثم انتظر حتى ضاق به الصدر
 وكنتت الأنفاس وحتى ود لو يصرخ بأعلى صوته
 أو يسير شوطاً كبيراً بغير هدى ، ومضى ذلك
 اليوم غير محسوب من العمر فلا ذوق للطعام في فمه ،
 ولا معنى للرومانى في عقله ، ولا أمل للصلاة في قلبه . .
 ولا سبيل للنوم إلى جفنيه لقد مات ذلك
 اليوم الأخير

وفي صباح اليوم الثانى وكان الجملة
 — رأها كما كان يراها — فبعلت على قلبه طمأنينة
 سعيدة ، وفرح فرح ذلك الإنسان الذى رد إليه
 نور الأبصار بعد ظلام العمى ورفع نظره إليها بعد
 تردد واستحياء ، ولكنه أحس بخيبة لأنه رأها
 تنظر في كتاب بين يديها غير ملفتة إليه فأقام
 إليها النظر ولكن لم يبد منها ما يشعر بأنها أحست
 بوجوده ، فأقتربت من النافذة وسمل سماعاً خفيفاً
 فنظرت إليه نظرة غريبة لا حياة فيها كأنها تراه
 لأول مرة ثم عدت إلى النظر في كتابها . بالشيطان !
 ماذا حدث ؟ أى حى بذاتها أم هذه أخرى تشبهها ؟
 مالها هكذا جامدة وما الهامى إلى هذا الفتور ؟ وفيم
 كانت إذا مطاردتها له وإلحاحها عليه وتنبيهها باسمه ؟ !
 أناسات هذا كله بين يوم وليلة غل الزهد مكان الرغبة
 والجفاء مكان المودة ؟ ورأها تلتق الكتاب وتعديسها
 إلى مصرامى النافذة تريد إغلاقها فانسى نفسه وحياءه
 ووضع يديه إليها بتضرع وقال : « كلا . . . »
 فتوقفت ونظرت إليه نظرة شديدة إلى حين . . .
 ثم لم تبالك نفسها فانفجرت ضاحكة غمخاً مكتوماً

تدبم النظر إلى وجهه لأتحول حينها عنه ؟ قالت
عليها نظرة على عجل أبصر بها حسنها للفنان وأثقة
مليسا البالغة ، ولم يد يد يحتمل نظرتها الفاحصة
فسلط رأسه إلى نافذة الترام وأرسل بإظربه إلى
الحقول المترامية يميل نيتها الأخضر القصير مع دبح
نوفبر الخفيفة الباردة وقلب وجهه في السماء كأنه
يشاهد زرقها الباهتة التي انتشرت عليها الكتيبان
من السحاب بنفسها أبيض متوهج كالقطن
للندوف ، والبيض مظلم داكن كالخنان . والحق أنه
ما كان يرى إلا الصورة التي انتزعها عيناه من
وجهها الأسمر الجليل واحتفظت بها متشبثة جشمة .
ثم حول رأسه إليها فوجدتها ما تزال ترنو إليه
بسيدها المسليتين الجذابتين ... رياه ... وأكوت
الحديث مرة أخرى فسألته :

— أرى أنك طالب ... أليس كذلك ؟

— نعم

— بأي كلية ؟

— الحقوق

— آه ... وفي أي سنة ؟

— السنة النهائية

فبدأ على وجهها الارتياح وطدت إلى الصمت
وكانت تنظر إلى الطريق كل دقيقة وأخرى ، وكأنها
أصابته هفتها فقامت واقفة وهي تقول له : « هم »
ولم يكن الترام قد بلغ نهاية مرحلته إلى الأهرام
فصحب قدرى ولكنه تبهما مستسلما إلى مقهى قريب
من المحطة ، واحتازت به المكان إلى حديقة خلفية
صغيرة المساحة أنيقة التنسيق يحيم عليها سكوت
شامل وهلدو عميق ويوسى جوها بالخيال والحلم ،
فأنحذا مكانهما تحت ظل شجرة وارقة ولم يكن

فأرته كتاب الطبيعة للدارس الثانوية التي
كان ييدها وقالت ساحكة :

— يقولون إنى إذا كر عند إحدى زميلاتي
فصحك قدرى وقد أحس بأنه ينبغي أن يقول
شيئا ليثبت وجوده كما يقولون فسألها :

— كيف عرفت اسمي ؟

— هذا أمر بسيط . سمعت شخصا يتادبك
ماذا يقول بعد ذلك ؟ إنه لا يجد مايقوله ! وقد
سألته هي بتدل :

— هل تعرف اسمي ؟ ..

— كلا ...

— ولم لم تسألني عنه ؟ ..

— ! ! ! !

— إسمي لولو

— إسم جميل

— حقاً ؟

— جداً

— مبرسى

— ولكن هل هو اسم عربي ؟

— نعم

— ولكنى لم أسمع به من قبل

فصحكك دهشة وقالت :

— لولو تعذيل ليلي

— آه ...

قالت له ومازاد إلا دهشة :

— أنت ساذج جداً يا قدرى

ما أحلى اسمه في فها ! وما أحلاها هي ! وما
أحلى الدنيا في وجودها
وسكنت من الكلام حيناً فسكت طبعاً وكانت

الشاب ، ومن منا الفتاة ؟ أما هي فسأته :
— لماذا جفوتني طويلا . . . أليس قلبك خاليا ؟
وحضره جواب عن أنه غايه في الجراة وآية
في الفزل فتردد عن قوله هنيهة ولكنه ذكر كلامها
المسود فجمع أطراف شجاعته وقال :

— كان قلبي خاليا

— والآن ؟

أنف لها ، ألا تكفيها الاشارة ؟ وماذا يستطيع أن
يقول زيادة على ما قال ؟ ولكنها خافت من حيرته فقالت :

— وقبل ذلك ألم تحب أبدا ؟

— أنا ... ؟ أبدا

— أشباب وجمال وجفاف ؟

— ولم لا ؟

— ولكن ما قيمة الحياة بنير الحب ؟

— قيمتها بنير الحب أنها حياة غصب

— هذين ما تقول ... فأزمن الذي لا يخفق

قلبي فيه بالحب لا أعد من حياتي

— يا سلام !

— أنت إما سافج غرير أو ما كر داهية

— لا شأن لي بالكر والهاء ... ولكن هل

أحببت كثيرا ؟

— طالما أبحث عن الحب ... إني أحب الحب ...

ولئن شئت في الواقع فما أشبه في الخيال فاني أخلق

حببي خلقا وأما به بالشر ... ألا تلم أني شاعرة ؟

ثم أتفتي بشمري لأني موسيقية أيضا ...

— شعر وموسيقى ...

— نعم ... ولكني أحب الفن للحب لا للفن ...

وكم أعنى لو يتحقق خيالي يوما وتتفتح حياتي تحت

بالحديقة سوى زوجين مثلهما في الجانب المقابل لها
وجاء النادل يسي فطلبت ليل يدون استئذانه
« شويين ييرة » دهش للطلب واستأذ قلبه رجبا ...

كيف يشرب خرا حمرة ؟ وم بالإحتجاج ولكنه
لم يجسر عليه فسكت وهو كظيم ... وكان مبيل

للفكر يسأل نفسه : كيف عرفت هذا المقهى للنزل
البعيد ؟ ومتى عرفتته ؟ من الذي صحبها إليه أول مرة ؟

فانه من المستحيل أن يكون مجيئها اليوم إليه لأول
مرة ... يالها من فتاة غريبة الأطوار ... غايه في

المسادة والجراة ... أنظر إليها كيف تجلس واضحة
رجلا على رجل وساقها بادية حتى الركبة ... وانظر

كيف تفتح مقدم مطعها عن صدر ناهد فيلوح
نظيها من وراء ستار النستان الرقيق كتفتحين آن

أوان جنهما ...

وانتبه من أنكاره إليها وهي تقول :

— أنت لا تكاد تبرح حبرتك إلا حين

تذهب إلى السكينة ... وفيما عدا ذلك فأنت لا تفارق

مكتبك على الاطلاق ... لقد عجبت لشأنك وقلت

لنفسى : ياله من شاب ليس كالشبان ... ثم رأيتك

لا تبالي بي ... فأقسمت

وكان الباق مفهوما فلم تكمل حديثها وضحكت

ضحكة الطافير ثم عادت تقول :

— لا تظن أن إصرارى — الذي لا شك

أدهشك — كان محض عناد أو رغبة في الفوز ، فالحق

أن وجهك الجليل أثر في نفسى تأثيرا محببا من

أول نظرة

فقلبه الحياء وخضب الاحمرار وجهه وتصبب

المرق من جبينه وقال لنفسه : ويلاه ! من منا

« قد مر على الكلام بالليل ولكني غلص ..
أى نم أنا غلص وصادق ولست كأحد من الشبان
الذين تمنين ... أنا لا أخضع قساة وأمكر بها كي
أحظى منها قبلة ثم أفر هارباً ... »

فضحكت وقالت وهي تشير يدها « أنظر »
فنظر إلى ما تشير إليه فرأى الزوجين الجالسين
تجاههما يتماقتان فبدأ على وجهه التضب وقال :

— هذا شاب هايت من تمنين
— ما الذى جعلك تصارع إلى هذا الحكة ؟
— ألا تريته يقبل فتاة ؟

— ولم لا يقبلها إذا كان مجها ؟
— فقال بشئ من الحدة :

— الحب الطاهر يترفع عن هذا البعث
فقال بدلال وما تزال يدها على يده :
— هنا لك قبلات طاهرة بريئة
— وما الفرق بين القبلة البريئة وغير البريئة ؟
فأدنت وجهها من وجهه وهست قائلة :

— القبلة البريئة تنال بشير فضول أعين بلا ضم
ولا عناق

ورأى فيها دائماً كأنه يقول له « قبلى » فمرت
به لحظة رهيبة ... ونظر إليها في حياء وارتياك
لا يدري كيف ينال هذه القبلة البريئة ، وكان كلما
مرت فأنية ازداد إحجاماً ، حتى سمى ما وقع
أقدام ، فتراجعت الفتاة وقد احتشنت الدم بوجهها ،
وتنهت هو ارتياحاً ، وجاء النادل بالجملة ثم اخفق
ثانية ، ورفقت الشوب وهي تقول « صحتك » فارتد
سريعاً إلى حالة الارتياك والحياء ، ولكن تردده هذه
المرة لم يطل لأنه أشفق من أن يجرح شعورها مرة
أخرى فرفض « الشوب » وتجرع رشقة ثم رده

شماغ الحب ، إن قلبى يمدنى بأنى بت على خفقة
قلب من أمنيقي

فناوده الحياء الشديد واستولى عليه الارتباك
وجعل ينظر إلى غطاء النضدة كأنما يشاهد الصور
الطرز بها ، فكرت تداعبه وتقول وهي تنهد :

— بهذا حدثنى قلبى وأرجو ألا يكذبني ...
وذلك جدت في طلابك لتطمئن نفسى
فابتسم وقال :

— إذا فأنا تحت التجربة ؟
— هو ما تقول ... ألا تقرنى على ما فعلت ؟
أما أنا فاني مقتنعة بأنى ما تنكبت جادة الصواب ،
فهذا هو السبيل الوحيد إلى « الحياة الزوجية »
السعيدة ... !

وحيرته تلك الجسارة التي لم يسمع بمثلاها من
قبل وعجب كيف أنها تخلص إلى فرضها غير مكترحة
للحياء أو التردد كالسهم الذى يتفد إلى القلب من
خلل المرح اللتين ، ورأى ألا يحجل للنجمل سلطاناً
على نفسه خشية أن تقتحمه عينها وأراد أن يخوض
الموضوع بجرأة تماثل جرأتها فقال :

— صدقت يا ليلي ...
ولكن سرعان ما غلبه التردد فقلبه ولم يزد على
قوله حرفاً ، وشاهدت حيرته فقالت :

« أراك تنجم من الكلام ، على أن هذا ميعن
على ، وكمن شاب يجيد تزويق الأحاديث وقلبه من
الأخلاص خال ... أنا أبحت من القلب الذى
يخلص لي ... »

فالت ذلك ووضعت يدها على يده فانتفضت انتفاضة
سرت إلى جسمها وبلغ ريقه مرتين وقال بجرادة
ووجد :

وقد بدا على وجهه الاستمزاز ؟ فسألته :

— ألا تمجيك ؟ فقال :

— إنها مرة كريهة

— ألم تذهبا من قبل ؟

— أبداً !

— حقاً إنك شاب عجيب ! لست كأحد من

شباب العصر

— وهل تدمع العين بهؤلاء الشبان ؟

— إن أمرهم مشهور

وصمت يفكر ملياً ، فساورة بعض الشكوك ،
وتبقت به صيدته فسألها :

— ألم تمرق أحداً منهم ؟

فباغتها السؤال ، ولكنها كانت تؤمن بأنه
لا يمكن أن تخفى حقيقتها إلى الأبد فقالت بإخلاص
« إصغ إلى يا قدرى ... أنا لا أحب أن نبداً حياتنا
مما بالكذب والراء وما دمت تريد أن تعلم فاعلم أنى
عرفت شبانا كثيرين ... »

فأكفهر وجهه وأظلمت عيناه وسألها بصوت
قار :

— وكيف حدث ذلك ؟

— كما يحدث عادة ؟ إذ ليس التعارف من
الصوبة بالمكان الذى تراءى، وكنت أذهب إلى الغداء
تفرد بى آمال قلبى فى الحب فأتى خداماً ورواء
ووعوداً كاذبة فأرجع أنثر فى أذبال الغيبة والتفنونط
فأزادوا كفهراً وجهه وتصلبت عضلاته
وساورة الشكوك فسألها :

— ألم يزل واحد منهم قبلة بريئة ؟

— لماذا تنبش الماضى ؟

— كيف لا ؟ ما الحاضر وما المستقبل إلا امتداد

للماضى

— كنت أبحث عن خالة قلبى المنشودة

— لم لم تنتظريها حتى تأتاك هى دون ثلوث ؟

— ثلوث ؟ ماذا تستطيع أن تنال قبلة من

طهارة قلبى ونفسى ؟ لا تكن كالجامدين الذين

ينظرون إلينا نظرة الجشع والأناية فيود الواحد

منهم لويلطو ويمبث كيف يشاء على أن تنتظره عروسه

خلف الستائر لاعسها يد كائها لؤلؤة فى قوقعة . .

ينبى أن نحتلى بقسطنا من الحرية ، والحرية معنى

سام . ولا ننظر أنى حقاء ، نجيل إلى الجاهل أن الحرية

هى الاستهتار ، كلا ، هى عندى الخلاص الإلهى للعقل

والشعور كى أرى بمقتلى وأشعر بقلبي ، فانا أحببت

فانى أحب قلبى عن حب صادق لا عن اضطراب

أو تسلية أو ياس . كم من فتيات يجدن أنفسهن

فى بيوت رجال لا يدرين كيف ذهبن إليها فيروضن

أنفسهن على الرضا ترويض الأسير نفسه على القل

ويشن حياة بهيمية تتحكم فيها ضرورات الحياة

وحاجات الجسد ... كلا ، ليس هذا الزواج الذى

أريد . . أنا أريد زواجاً تلنعم فيه الروحان التتحام

الجسمين . . فيكون اتحاداً خيراً حثاباً لهما المنة

للشريعة السامية . .

— لا أنكر ما فى كلامك من الرواجه والحق ،

ولكن السبيل الذى تتجهين لايسلم رواده من رذاذ

يلوث السمسة .

— ليس ذلك لميب فيه ولكن لأننا لم ننتد

عليه . . فلا نجعل لمس الناس فوق ما يستحق من

— أواه يا قدرى ... كم أنا فرحة .. وكـم أجد
رغبة ملحة في الفناء ... ماذا نحب أن أسمك دوراً؟
لبد الوهاب؟

فهز رأسه بفتور، فقالت ضاحكة :
— إنك كئيابة الرجال يصبون أم كلثوم

— ولا هذه، فقالت بدهشة :

— ألا نحب الفناء؟

— أحب أن أسمح صالح عبد الحى

— إليه !

فقلن لانكارها وسألها :

— هل تمدين هذا تنافراً بين روحينا؟

فقالت تهدي روعه :

— كلا يا عزيزى، إن ماما وبابا في شقاق دائم

بسبب عبد الوهاب وأم كلثوم، ولكنهما زوجان

سيمدان ... إلى أسفة لأن لا أحفظ أحوار صالح

عبد الحى ولكني سأغنى لك « افرح يا قلبي ... »

وغنبت بصوت غنبت أطربه وأسكره وما زالت

تراوح بين الحديث والفناء وحافى دنيا لانصرف الزمان

والسكان حتى حانت العودة فنادا واقتربا على موعد

جديد ...

وحين خلا إلى نفسه صاح : ربه أى فتاة !

لقد بدأه بالتأزلة ... ودمته صراحة إلى تقبيل

فهما ... وذكرت الحب والزواج وصارخته بماضيهما

الحافل، وماوت وهى تمد نفسها مرتبطة معه بميثاق

أبدى ! انتهى الأمر، فأحب وخطب وعاهد بالزعم

من أنهم لن ينطق بجملة واحدة مفيدة ! فأى فتاة هي !؟

هذه واحدة، أما الأخرى فهى ابنة عمه الحاج اسماعيل

الاعتبار، وأذكر أن مثل إذا وهبت قلبها فأنما تهبه
عن حب يصعد للمواصف فى أمن على الحياة
الزوجية ممن تسمونها « فتاة البيت » أو « النورية
التي لا تعرف من الدنيا شيئاً ..

وبدا على وجهه الارتباك والانتباض فتولاهما
الخوف والقلق وقالت بشيء من الانفصال :

— ماذا بهم للماضى أو كلام الناس إذا وجدنى
منذ الساعة طاهرة خلصة حتى الموت ؟ لاتصغ إلى
وسوسة نفسك وكن مثلى جسوراً واقترع التقاليد
للسخيفة لتغوز بالسعادة ..

هل تبينى بشمن بخص ؟

وكان مستغرقاً في تفكيره فلم ينتبه إلى سؤالها
الضارح فاشتد انفعالها وسألته :

— هل تبينى يا قدرى بشمن بخص ؟

فهز رأسه وهو لا يدري وقال لها :

— كلا .. ما فكرت في هذا قط

— إذا فعل أطمئن إليك ؟

— كل الاملتان

— وهل أحزى نفسى عن طول عذابى بأن

تبعى لم يضع هباء وأنى وجدت أخيراً نالى للشودة ؟

— أرجو أن أكون كذلك

— وإنك لكذلك، وما هو ذا قلنى دليل بيت

في نفسى العائنة والاستسلام بما لم أعهد فيه

من قبل ... كم أنا فرحة يا قدرى ... إنك لم تقل

لى أحبك ولم أقف لك ولكن كلانا يتصرف حاله بالحب

وبأننا تهادنا عليه إلى الأبد، أليس كذلك ؟

— نعم ... نعم ...

وقال ساخراً « أرى هذه المرأة التي تسير إلى جانب زوجها ... ؟ كانت وكانت، وكنت وكنت .. » ولكنه على تردده وخوفه لم يكابر في الحق فاعترف فيما بينه وبين نفسه بأنه يحبها حباً لم يحبه أحداً وأنه يهيم بها هيماً ...

إن في قلبه حباً قوياً يروسه على النزول على حكم زمانه، وإن في نفسه لتراتاً من التقاليد الفاشية يصده عن قسفة العصر الحديث، وهو بينهما موزع لا يدري أين المستقر، وبعثاً حاول أن يخلص من شكوكه وهواجسه، وما زال يقدر ويقدر دون أن يهتدى إلى رأى أو يقر على عزم ...

يجب حفظ

حافظ تاجر القمح الشهير بجرها التي يمد زواجه منها — لدى والديه على الأقل — أمراً مفروغاً منه على الطريقة الصيدية، الحق أن ليلي عت من قلبه كل أثر لابنة عمه، وأمثالها ولكن نفسه لم تطمئن إليها، ولم يكن قدرى متلق القلب ولا متمصبا بل كان ذكياً حاد الذكاء لا تحجب التقاليد نور الحق عن عينيه، فقدر مالفئة من الدكام والباقة والرشاقة وأجعب بروجها الحساسة التي تلي نداء الشر والوسيقى والنقاء، ولكن لم يشرب قلبه الاطمئنان فكان كمن يسحب يدين غير دينه دون أن توانيه الشجاعة على الدخول في الدين الجديد ...

وجعل يقول لنفسه: ماذا يكون حال لو تزوجتها وركأوا واحد من أسدقائها القدماء قال على صاحبه

الطائرة

اسرع والطف وسيلة للسفر من مصر إلى العراق
وبالعكس

عن طريق فلسطين

سافروا بالسلامة على طائرات

(شركة مصر للطيران)

نخمس ١٠٪ على تذكرة الاياب دائماً

الاستعلامات وجيز التذاكر من أي مكتب سياحة أو من مركز الشركة بالمناظرة

حاجي بابا اصفهاني

لکھنؤ الائنڈیہ جہن موز
بقلم الأستاذ عبد اللطيف الشار

(تابع)

وكان الضباط والجنود وهم أكثر الفارسيين
كلاماً وأقلام جرأة يصيحون: «أقتلهم! اضربوهم!
اعتقلوهم!» ولكن أحداً من هؤلاء الصائحين
لم يفعل شيئاً ليمنع العدو النثير. وأطلقت بعض
طلقات نوحاً فلم يسبب أحداً لحسن الحظ إصابة
جدية. وذلك بسبب الغلام

وفي أثناء هذه الحركة حدثتني نفسي بأن أترك
المعصوم وأختي في مكان أفر منه في الصباح.
ولكن رأيت بسند تفكير قليل أن ذلك يؤدي إلى
اعتقال وعما كنتي لأن الثياب التي علي تدل على
اشتراك مع التركان في هذه النزوة. وليت الأمر
يقصر على الاعتقال والمحاكمة بل إن أهل المدينة
يمزقوني إرباً إرباً رأوني قبل أن أجد فرصة لشرح
حالي لهم

ورأيت وأنا أجري في الطريق حاوت أبي
فتذكرت أبي السعيدة. ولم أستطع منع نفسي من
التربت قليلاً والاتفاتت إليه بعد أن غادرته.

وشعرت في هذا الحين بيد تمسكني من ذراعي
ورأيت أسلان سلطان عابس الوجه يهدني بالقتل
إذا لم أرحن على أبي أهل الثقة التي أولانها، فلاجل
أن أظهر له وفائي هاجمت رجلاً فارسياً كان قد
خرج ليرى سبب الهياج وقتل له إنه إذا لم يقبضنا
أسيراً فاني أقتله

فصاح الرجل متوسلاً بقبر الحسين
وقبر عمر وروح أبي أن أتركه

ولاحضت صوته تأملت في وجهه فانا
هو أبي، ولا بد أن يكون غرضه الأول
من الخروج إلى الطريق في هذا الوقت
هو إنقاذ ما بحاتوه من أيدي المعصوم

ولم يكن بذلك الحانوت غير ستة مناديل وأربعة
كراسي وسندوق من اللواصي وضابون وسجاد
ولما عرفت أنه أبي تركت لجنته التي كنت قابضاً
عليها وسمعت بأن أجري على عادة الفارسيين في احترام
آبائهم فاقبل يده وأقف أمامه منتظراً أوامره،
ولكنني رأيت أنني لو فعلت ذلك لفضيت على حياتي
وحياة فتظاهرت بأنني أضربه ووجهت ضرابي
إلى سرج جواذي وقال متمتاً: لو كان ابني حاجي بابا
موجوداً لما عولت هذه العاملة»

فألتفتي هذه الكلمة أشد الألم وقلت لأسلان
باللغة التركية: هذا الرجل لا يفيدنا بشيء لأنه
حلاق»

ثم تركته ودكضت مع أسلان

الفصل السادس -

التفكير مع الأسرى وتوزيع الأسعوب

لما وصلنا إلى مكان بعيد عن المدينة نزلنا من
الخيول لتريحها ونستريح ولم ينس أصحابي أن يسرقوا
جلاً في جملة ما سرقوه فذهبوه وشووه واقتسمناه
بيننا، وكان أول شيء فعلناه بعد ذلك هو التحقيق
مع الأسرى لنعرف ماذا استفدناه من أسرم. وكان
الأول طويل النامة نحيل الجسم يبلغ الخمسين من
العمر حاد النظرات يادي عظام الوجنتين خفيف
(٧)

وإعطائه ثوباً من سلع النعم . ثم جرى بالرجل القصير
السمين وسألناه :

« ما اسمك وما صناعتك ؟ »

« أنا قاض فقير »

« وكيف تلبس هذه الثياب إذا كنت
فقيراً ؟ اعترف بأنك غني وإلا فصلنا رأسك عن
جثتك . إن كل القضاة أغنياء فصناعتهم تجارة رابحة »
قال القاضي الأسير : « أنا قاضي مدينة جالادون
وقد جئت إلى أمنهان بأمر من الحاكم لأدفع
الضريبة عن ضراحي »

فقال أعلان سلطان : « وأين هي الأموال
التي جئت لتدفعها ؟ »

أجاب القاضي : « ليس معي أموال لأن الجراد
أثلف زراعتي في هذا العام ولم يكن ماء الري كافياً »
فقال الزعيم : « هذا القاضي يقدر بضمن كبير
وإذا كان عادلاً فإن الفلاحين يودون أن يعود إليهم .
أما إذا لم يكن كذلك فإن قيمته لا تقدر بدينار
(وهو أضعف عملة في فارس) احتفظوا به فقد يكون
انتفاعنا به أكثر من انتفاعنا من أي تاجر غني .

ولنتظر الآن ما قيمة الرجل الثالث »

واتجه أعلان سلطان إلى الرجل الثالث وقال :

« من أنت وما صناعتك ؟ » فقال الرجل بلهجة

المعتز بنفسه : « صناعتي فراش »

فصاحت الأصوات من كل جانب : « هذا
كذاب ! هذا كذاب ! ويستحيل أن يكون
فراشاً . أنت تاجر وإذا أسردت على كذبك فانتا
سنتفكك »

ولكن الرجل أسر على قوله فصرخوه حتى
اعترف بأنه كاجر

الحمية يبدو عليه التفكير . وكانت ثيابه ثينة دالة
على الثنى

وكان الرجل الثاني قصيراً سميناً يمتلي الوجه
بالمهوية تدل هيئته وثيابه على أنه من كبار الموظفين
وهو يبلغ الخامسة والثلاثين من العمر

وكان الرجل الثالث قوى الجسم متجهج الوجه
تدل هيئته على القوة والصلاية

أعلمنا هؤلاء الأسرى ما بقي من طعامنا ، ثم
دعونا واحداً بعد واحد منهم واستجوبناه عن
صناعته وسركره في الحياة . ولما لم يكن أحد من
زملائى يعرف اللغة الفارسية فقد تمت بحممة الترجمة
وكان الذى يلقى الأسئلة هو أعلان سلطان . وسألنا
الأسير الأول :

« من أنت ؟ »

فقال بلهجة للمستسلم : « أنا ياسادق رجل
فقير ليس لي سركر في الحياة »

« ما صناعتك ؟ »

« أنا شاعر ولمت أحسن أى عمل من

الأعمال »

قال أعلان وهو يظهر الاستمراز عند ما سمع
هذه الصنعة : « شاعر ! وماذا نستفيد بالشعر ؟
إن نمك لا يقدر عندنا بشرة قروش . إن الشعراء
فقراء ولا يقبل أحد أن يقتديهم من الأسر لأنه
لا نفع فيهم »

ثم قال : « ولكن إذا كنت شاعراً فن أن
جاءتك هذه الثياب الثينة ؟ »

فقال الشاعر : هذه خبطة أجازني بها أمير
شيراز على قصيدة مدحته بها

فأمر أعلان سلطان بترع هذه الثياب عنه

بعضهم مباسم ذهبية وقدم البمض علبة فضية أو طيلساناً أو غير ذلك من الأشياء القليلة الثمن . ولما جاء دوري قدمت الصندوق المملوء بأكياس الذهب وكنت قد راجعت عقل وخشيت أن يوجد من الكيس الذي خبأته فوضته بالصندوق مكتفياً بما اعتقدت أنهم سيمضحونه لي من الأسلاب لكن طاش فآلى فآتهم قابولي بالتصفيق وامتحوني وأنتوا على . ولكنهم لم يسطوني شيئاً رغم إلحاحي الشديد

قال أصلاً عند ما قدمت إليه الصندوق : « أحسن يا حبي . أحسن كل الاحسان . لقد أصبحت تركانيك صادقاً وليس في وسع أحدنا أن يقل خيراً مما فعلت »

ولما انتهى كل واحد من إطرائي قال الزعيم : « إنني سأبتلاك يا حبي بما وسأقيم لك خيمة وحدك وأزوجك من إحدى إبناتي وأعطيك قطيعاً من النعم وسأدعو إلى عربك جميع المسكر »

لم يكن شأن هذه الكلمات إلا أن تزيد من تصميي على الفرار في الفرصة الأولى . ولما طلبت إعطائي نصيباً من الأسلاب قيل لي : « إذا قلت كلمة أخرى فأننا سنقطع رأسك »

فسكت مكرهاً ثم انقسموها بينهم فحدثت منازعات كادت تؤدي إلى سفك الدم لولا أن واحداً منهم قال : « لماذا نختم كذا وكذا وبيننا قاضٍ ! تماوا تترك الأمر لحكمه »

فجئ بالقاضي الأسير ليكون حكامين المصوص الذين يختصمون على توزيع أمواله لأن أكثر المبروق كان مملوكاً له

ولكنني وأنا أكثر منهم معرفة بأحوال الناس رأيت من هيئة الرجل أنه قد لا يكون تاجراً وأنه ربما كان صادقاً فيما يقول ، فحاولت إقناعهم بذلك ولكنهم زجروني وحاول بعضهم أن يضربني فاضطرت إلى السكوت . وتداول أصحابي بعد ذلك فيما يجب أن يفعلوه بالثلاثة الأسرى ، فقال البمض إنه يحسن إبقاء القاضي وقتل الشاعر والفراش ، ورأى البمض إبقاء القاضي طمعاً في فديته واسترقاق الفراش . واجتمعت كلمة الفريقين على قتل الشاعر

وقد أخذتني الرأفة بهذا الرجل الذي كانت هيئته تدل على أنه كبير الأهمية وعلى أنه غني بالرغم من ادعائه الفقر فقلت لأصحابي : « ما أهول الناطلة التي تريدون ارتكابها ! تقتلون شاعراً ؟ ألا تمزقون أن الشمراد قد يكونون من أغنى الناس وأنهم جيماء قادرون على الوصول إلى النني متى اتجهت ميولهم إليه لأن كبهم من غرات عقولهم ؟ ألم تسموا عن الملك الذي كان يعطي الشاعر مثقالاً من الذهب من كل بيت يقوله ؟ أليس الشاء الحال يميز الطعابا على قصائد الدبح ؟ ومن يدري لعل الشاعر الأسير عندنا الآن هو شاعر الملك »

قال أحد المصوص : « إذا كان الأمر كذلك فليكتب لنا قصيدة في الحال وإذا لم نجح بكل بيت منها مثقالاً فأننا نقتله »

فقال الجميع : « قل لنا شعراً وإلا قطعنا لسانك »

وأخيراً قرر أن يبق الثلاثة الأسرى ثم بدأوا يقتسمون بينهم الأسلاب ، فحدثنا أصلاً وجئنا حوله وسأل كلامنا عما سرقه فقدم إليه

الفصل السابع

تاريخ الشاعر عسك

هدانا من نفس الطريق الذي أتينا منه . وكان
منظر الشاعر منذ أسرته مؤثراً شخصيته ببطى
وقد أوضحت غرورى بأن أصبح فى حيايتى رجل
من رجال الأدب فى وقت محته . ونجحت فى تولى
الرقابة عليه عتجاً بأنى سأعنه على نظم الشعر

وصرت أنكلم معه باللغة الفارسية التى لا يفهمها
أحد من التركان وقد أمست جانبى وأمن جانبى
فأعربت له عن رغبتى فى القرار وأظهرت له استعدادى
لأداء أية خدمة له . وقد ظهر عليه السرور حين
سمع كئانى الرقبة حيث كان لا ينتظر إلا معاملة
خشنة . ولما اكتسبت ثقته بهذه الوسيلة أخذ
يحدثنى بحرية عن نفسه وشئونهِ وقد كان كما ظننت
شاعراً للملك

وكان لقبه الرسمى « ملك الشعراء » وكان
حائداً من شيراز (حيث أرسله الشاه فى مهمة) إلى
طهران وصراً بأصمهان ليلة وقوعه فى أسراً .

ولقطع السافة فى الطريق للشاق طلبت إليه
أن يحدثنى بقصته بعد أن حدثته بقمى فروى لى
تاريخه كما سأذكره متوخياً ذكر الأنفاظه . قال :

« ولدت فى مدينة كerman واسمى عسكراً وكان
أبى حاكماً على المدينة فى عهد الملك الخمى « أنا محمد
شاه » وبالرغم من كثرة المعاسن التى كان يراد بها
عزل أبى فإنه كان من القوة بحيث تنلب على كل
أعدائه . وبقي فى منصبه حتى مات موتاً هادئاً فى
عهد الشاه الحالى وورثت عنه عشرة آلاف تومان .
(نحو ستة آلاف جنيه) وكنت فى صغرى منهمكاً
فى الدراسة حتى بلغت السادسة عشرة من العمر

فأصبحت من أكثر الناس استظهاراً للشعر . وكان
ديوان حافظ الشيرازى مما حفظته عن ظهر قلب .
وصرت أقرض الشعر بسهولة بحجية حتى اشتهرت
بأنى أستطيع أن أجعل كل كلامى منظوماً . ولم
أترك موضوعاً إلا وكنت فيه ، فكنت عن لى لى
ومجنونها ونظمت قصائد كثيرة على لسان البلب
يناجى بها الوردة ، وفى مختلف الرأى والأغراض .
وفى ذلك الوقت كان الشاه يحارب « صادق خان »
وهو زعيم كان يطالب بالرش .

وقاد الشاه جنوده بشخصه لفناء الانتصار
على هذا الثائر فكنت قصائد كثيرة فى مدح الشاه
وتشجيع جنوده على الحرب وجعلت فى بعض هذه
القصائد كلاماً على لسان رسم أشهر الفرسان فى
تاريخ بلادنا وجئت بالمدانى البديعة التى سهل حفظها
وكثر تداولها ، ومن هذه المدانى قولى إنه لاحق
لجنود صادق خان فى التظلم من الشاه لأنه وإن كان
تقلهم إلا أنه جعل رؤوسهم عالية برفعها إلى السماء .
وقد سمع جلالة الشاه هذا القول فى جملة ما سمعه من
مدائعى فطرب وأمر بنصب أعمدة توضع فوقها
رؤوس الثائرين تصديقاً لما قلته .

وأكرمتنى أكبر إكرام يمكن أن يناله شاعر
وذلك بأن ملأنى دراً فى وسط جمع حاشد من
كبراء القوة ورجال البلاط والوزراء والحكام .
وكان هذا أول باب لرفعتى فقد عرفت بعد ذلك فى
الحاشية وجعلت شاعر الملك وكلفت بالكتابة عن
كل الحوادث . وقلت للشاه إن الشاعر الفردوسى
وضع كتاباً لتخليد ذكرى جده وسمى كتابه
« شاه نامه » أى تاريخ الملوك وإن ذلك الشاه أذن
بأنى يقدم الكتاب باسمه وكافأ صاحبه عليه .

وكتبت قصيدة أمدح بها الملك وأغار فأرأ مضاعفاً
من وزير المالية، وكان كل بيت فيها محتملاً معنيين
أحدهما في مدح الملك والآخر في ذم الوزير .

وكانت فضلاً عن الشعر الذي تفوقت في صناعته
تفوقاً عظيماً ، على جانب كبير من المعرفة بالليكنات
فاختترت آلات نالت إعجاباً شديداً في القصر الملكي
واختترت كذلك نوعاً من الورق وآخر من الحبر
وبعض أنواع الثياب . وقد تركت الشعر مدة كنت
في خلالها أشتغل باختراع أقشة تنقى من التي
نستوردها من أوروبا . فطلبني الشاه وأمرني بأن أعود
إلى نظم الشعر وأترك الاشتغال بالأقشة لأن ما يرد
من أوروبا يكفى مؤونة الاختراعات فصعدت بأسر
جلالته ...

ولما جاء يوم التيزوز استمد كل من خدم
جلالته لتقديم هدية إليه كما هي العادة في هذه البلاد
ونظمت قصيدة رائمة في مدحه فكتبته بخط جميل
ووضعتها في إطار عتيق وقدمتها إليه ، فلما سمعها مني
وقرأها أصر كل وزرائه ورجال حاشيته بأن يقبلوا في
فقرحت بأكرامه لي وإن كان قد ساء في اختيار هذا
النوع من الجزاء

وأخذ الناس لا يبدون الفردوسي شيئاً يذكر
بالتياس لهذا الشاعر الحديث

وكذلك صرت من أقرب المقربين إلى الملك
وانفتحت أمامي أبواب التي كما انفتحت أبواب الجاه
وكان آخر ما أكرمني به أن أرسلني إلى شيراز
مندوباً عن جلالته لأسلم الحملة السنوية التي يرسلها
إلى ولي عهده . وأرسل معي هدايا غالية وعهد إلى
باستلام الضرائب من الجبابة في الطريق ، فكانت
جملة ذلك عظيمة جداً

واستأذنت جلالته أن أضحم كتاباً أدعوه « شاهنشاه
هنامه » أي تاريخ ملك الملوك ، فسر الملك وأذن
بوضعه وتوزيعه باسمه وشكرني .

وكان وزير المالية عدواً لي بنير سبب يحمل
على المداوة فقرض علي ضريبة قدرها ١٢٠٠٠
طومان بوصف كوفي أكبر شاعر في البلاد فرفضت
أمرى إلى الشاه الذي أمر بالنفاء هذه الضريبة .

وحدث في يوم من الأيام أن دارت مناقشة
في جمع كبير عن الجائزة التي أئلب بها محمود شاه
شاعره الفردوسي وهي منحه متقالاً من الذهب على
كل بيت نقلت إن هذه الجائزة تعدل ، لا بل تقل
عن جوائز الشاه الحالي لشاعره الضعيف الوجود
بينكم الآن ، فالتفتت إلى السيون وبدأ على كل من
الاجتماعين أنه قوى الرغبة في معرفة الجائزة التي أئابني
بها الملك . فقلت إن جلالته سمع بأن أرث عن أبي
عشرة آلاف طومان مع أنه كان حاكماً وأموال
الحكام ربتها الشاه إذا أراد ، وفقاً لقوانين هذه
البلاد فكان هذا المبلغ أول جائزة نلتها . ثم أراد
وزير المالية أن يفرض علي ضريبة قدرها ١٢٠٠٠
طومان فرفع جلالته عني هذه الضريبة وأجازني
بكيت وكتب . وذكرت هدايا لي والرائب الذي
أقتضاه في مناصبي ، فكانت جملة ذلك أكبر من جائزة
محمود شاه للشاعر الفردوسي ثم هفت بجاية الملك
وبأن ينصره الله على كل أعدائه

وكنيت على يقين من أن كل ماقلته في هذا
الجلس سينقل إلى الشاه بأحرفه . وبعد بضعة أيام
جاءني خلة سنية لا أزال أرتديها في الأعياد وفي
أيام المقابلات الرسمية . وهنأتني كافة الأصدقاء
فשמعت من السرور بما لم أشعر بمثله من قبل

وفي فجر اليوم التالي عاد إلينا أحد جواسيسنا يقول إنه رأى غباراً يتطاير من الجهة الغربية وإن قافلة ستقبل نحونا آتية من داماجان إلى مشهد. فقيدنا الأسرى وتركناهم في المكان الذي نحن فيه على أمل أن ننود إليهم متى فرغنا من مهاجمة القافلة وسرنا نحوها راغبين في السرعة وسفك الدماء

وكان في المقدمة أعلان سلطان وكنت بجانبه وقال لي: « هذه فرصة سانحة لك يا حبيبي للتعلم كيف تقود هذه الفزوات في المستقبل . إنني أصبحت لا أستغنى عنك لأننا قد نجد قوافل ليس فيها فرد واحد يعرف اللغة التركية وسأجعلك مترجماً الخالص »

وكنّا كلما اقتربنا من القافلة نرى أعلان سلطان يزيد قلقاً واضطراباً . وأخيراً قال : « أخشى ألا تكون هذه قافلة فان نظام الصفوف يدل على أنهم جنود ؛ وفضلاً عن ذلك أرى وميض الأسنة وشيئاً يشبه الأعلام »

ولما زاد اقترابنا منهم اتضح لنا أنهم جنود وأن الوكب موكب رسمي ولله موكب حاكم مسافر من مدينة إلى مدينة نفقني قلبي سروراً لملي أن هذه أحسن فرصة سنحت لي للفرار وليس على إلا الاقتراب حتى أمكنهم من أسري دون أن أثير رية في نفوس التركان، وقد يماثلني الجنود معاملة سيئة في مبدأ الأمر ولكنهم سيميلون بلا ريب بعد فترة قصيرة حقيقة أمرى فيمتنعون عن إساءة الماملة . وقلت لأعلان : « نعال نجبر نحوم . ودون أن أقتطع أمره جريت فجري خلفي لكي يمتنع ولكننا صرنا على مسافة قريبة منهم ، فعاد وعدت معه وكان يسرع لكي ينجو وكنت أبطله لكي أقع في الأسر

ولما حدث حدث الأمل ضاح كل ذلك فلم يبق منه شيء فصرت أنصن إنسان في الوجود . وإننا أنت لم تهبي لي الطريق إلى الفرار فاني ساموت أسيراً بين هؤلاء المصوص . ولو سمع الملك بأسرى قائم يمتن خالسي ولكنه لا يدفع ديناراً واحداً ليفتديني لأن وزير ماليته لا بد أن يحاول منه عن ذلك منهزماً فرصة غيالي . ولأن رئيس الوزارة يكرهني كذلك لأنني قلت في يوم من الأيام وقد جرى بيننا الحديث عن الفنون الصناعية والفنون الأدبية : « إنه لا قيمة لحكته ومعارفه إذا لم يكن يعرف من الصناعة تركيب الآلات التي تدور بها ساعته على الأقل » . ودعما كانت الأموال التي أنيت بها قد سرفت جميعاً وهكذا أصبحت يائساً . ولكنني أؤسل إليك بمجامة الاسلام التي تربطني بك أن تساعدني إذا أمكنتك المساعدة »

الفصل الثامن

يا حبيبي يا حبيب من الأسر

لما انتهى الشاعر من سرود قصته أكتلت له استمدادي لبذل كل ما في وسعي لخدمته، ولكنني أوصيته بالصبر والانتجاء في الوقت الحاضر لأنني لم أملك بد حريتي ومن الصعب أن أحبه وأحمي نفسي قبل أن أسير حراً، وأهمته صعوبة الفرار منهم لأن رقابهم شديدة على الصحراء وجيادهم مثل جيادنا وهم أكثر خبرة بالطريق فالهرب إذن لا يمكن أن يكون إلا محاقاً . وخير وسيلة هي الصبر وانتهاز الفرص جاوزنا الصحراء ووصلنا إلى الطريق الذي يمر بين طهران ومشهد وصراً على يدهم عشرين فرسخاً من داماجان ، فأمرنا أعلان بالبقاء يوماً أو يومين في هذا المكان لئلا نجد فيه قافلة فنهاجها لأن هذا الطريق هو طريق القوافل

ثم سار الوركب في غير الاتجاه الذي يؤدي إلى لقاء اللصوص وقد بدأ عليهم من الخوف ما يبدو على كل فارس يسمع لفظه « ترکان »
أخذ من جوادى وأركبت بنلانم البنال التي يحمل الأمتة ولم يكن يجيبى درم ولا فيمن حولى صديق ونمت على الحافة التي دفنتى إلى الانتقال من أسر التركان إلى أسر الجنود الفارسية وارتكنت على ما اعتاده قومي من حرية الكلام فأخذت أصيح بصوت عال : « أندعون أنفسكم مسلمين ؟ إنكم قوم لا شعور لهم ولا إحساس وإن التركان أكثر رجولة منكم »

لكن هذا النوع من الشكاية لم يستثر غير الضحك والسخرية ممن سمعوه فاستبدلت به لهجة الضراعة وأخذت أنوسل بلى والحسين وبأرواح آلهم وحياة آبائهم وأذكر رابطتى الدين والوطنية واستمطقتهم بذكر ما لاقتته في أسوأ أعدائى وأعدائهم فلم أجد عطفاً إلى من رجل واحد اسمه « على خاطر » وقد قال لى وهو يشعل لافاته : « إن هذه الدنيا بيد الله يا بى . وإذا كان الله قد جعل لون هذه الدابة أبيض فهل يستطيع على خاطر أن يجعل لونها أسوداً ؟ وإذا كان الله رزقنى شمعراً فهل أستطيع أن أجعله قمحاً ؟ احمد الله على حظك حسناً كان أوسيتاً وتخل بقول حافظ الشيرازى : « إن كل ساعة تمر عليك دمع لا يمكن تمويضه »

تعزيزت بهذا القول بعض المراء ولم أعجب من تخیل الجندى بشمر حافظ قان التمثيل بالشمر أهم شائع عند الفارسيين فهم أمة شمعية . وقد طملى هذا الرجل ممامة عطف وشققة وقاسمى طمامه في بقية الطريق وأخبرنى أن الأمير الذي وقت في أسره هو النجل الخامس للشاه وأنه عين حاكماً

وفى هذه الأثناء انشق بعض الفرسان عن الوركب وجروا خلفنا ونجحت مناورقى فأسرت ولكنهم قشونى وأخذوا ما مى من الزاد والثياب وأخذوا الخمين قطعة من الذهب وسندوق اللواسى أيضاً وتحملت ضربهم إلى ولطمهم وجهى بصبر وجهد حتى حمى بي أمام زعيمهم وقد تبينت من شكه ومن ملابسه أنه أمير وزال كل شك عنديما ضربى الجنود وأمرونى بالسجود فى حضرة « الشاه زاده »

ولما خفت أن يقتلونى اجترأت فأمسكت بثوب الأمير وأنا راكع عند قدميه وصحت « يبناه بى شاه زاده ! » أى أنا فى حماية الأمير صاحب السمو للسمى

ولم يكن لأحد أن يتدلى على فى هذه الحالة لأن التثبث بثوب الأمير يستمر عند الفارسيين لاحقاً إلى شخص مقدس كما يفر اللذنبون فى أوربا إلى الكنيسة فلا يجوز اعتقالهم . وقد أسرهم ضوه بأن يتمنوا عنى ووعد بأن يحمينى فقبلت الأرض بين يديه وشرحت حالى بأكثر ما يمكن من الإيجاز وطلبت إليهم إذا أرادوا التحقق من صدق قولى أن يمشوا بسدد من الفرسان ليقبضوا على التركان . وقت لهم إنهم إذا فعلوا ذلك فيسجدون فى أسرم شاعر الملك وإثنين من الرجاء الفارسيين وقتل إن جعد للتركان قليل بحيث يسهل التنبل عليهم .

لكن الفرسان الذين كانوا يطاردون أسلان سلطان عادوا فى هذا الحين وأقسموا كذباً أن عدد التركان كان يربو على الألف فأكدت لهم أن عدم لا يبدو مائة فكذبونى واتهمونى بأنى جاسوس وبأنى أريد الشر بجنود الأمير وتوعدونى بالقتل إذا قام التركان بهجوم ضدنا

عند ذلك صحت بأعلى صوتي مخاطباً الأمير :
« أعطني المال إذن »

فنظر سموه بكبرياء إلى من حوله وقال : « ماذا يقول هذا ؟ أخبروه بالحذاء على فيه إذا عاد إلى الكلام »

فرجع أحد الجنود حذاء أخضر يظهر أنه أعد خصيصاً ليضرب به المذنبون وقال : كيف تجرؤ يا وفد على مخاطبة الأمير بهذه اللهجة ؟ إذهب واقتح عينيك وإلا فلنأخذنيك »

ثم دفنى بسيف إلى الجنود فقادوني من حضرة الأمير

عدت يائساً إلى صاحبي الذي لم يظهر شيئاً من الدهشة لما حدث وقال لي : « ما الذي كنت تنتظر ؟ أليس هو الأمير ؟ وهل تظن أي إنسان رد شيئاً بيد أن يصير في جوزة ؟ إن هذه البنية لا تطمئط من الحشائش الخضراء بيد أن تصير في فيها ، وكذلك لا يطمئط الأمير المال بيد أن أصبح تحت تصرفه »
« يتبع » عبد اللطيف النشار

المجموعة الأولى للرواية

١٥٣٦ صفحة

فيها للنص الكامل لكتاب اعترافات فني
المصر لوسيه ، والأذينة لموميروس ، ومذكرات
نائب الأرياف لتوفيق الحكيم ، وثلاث سر حبات
كبيرة و ١١٦ قصة من روائع القصص بيت
موضوعة ومنقولة .

الثنى ٣٤ قرشاً مجلدة في جزئين

و ٢٤ قرشاً بدون تجليد

خلاف أجره البريد

لخاطبة خراسان وهو ذاهب الآن ليتولى الحكم فيها وأنه مستصحب من الجنود أكثر مما اعتاد أن يستصعبه ليرهب التركان ، وأن الأوامر صدرت إليه بالآ يدخل معهم في موقعة جديدة إلا إذا اضطر إلى ذلك ولكنه إن تلاق مع عدد قليل منهم فليقطع رؤوسهم وليرسلها إلى طهران لتعلن على باب القصر الملكي .

قال لي الجندي : « احمد الله على أن سمحتك ليست كسحنة التركان وإلا لقطوا رأسك وأرسلوها إلى طهران فتجسب هناك من رؤوس الثوار .

ولما استرحنا من المسير في الليل عزمتم على أن أحاول مقابلة الأمير وأرجوه أن رد لي النجمين قطعة من الذهب التي أخفتم مني وثياني وجوادي كذبتك ، وكان صوت في نفسي يحذني بأن حتى في هذا المال ليس أكثر من حق الذي عليه مني . وقد انتهزت فرصة قبل صلاة العشاء فتقدمت إليه . وكان جالساً على ثروة في خيمة فصببت له وقد حاول الجنود مني ولكنني صحت : « حرطلي داروم »

أي « من عريضة » فأمرني سموه بأن أدخل وسألني عما أريد

فشكوت إليه معاملة الجنود الذين سلبوني مالي عند ما اعتقلوني وطلبت إليه أن يأمر برد هذا المال وجوادي وثياني

فسأل من حوله عن أمثالهم ، فلما أخبروه بهم استدعاهم فلما حضروا بيت يديه سألمهم عن مالي فأنكروا أنهم أخفوا شيئاً مني . وأمر بتفتيشهم فلم يوجد معهم شيء . ولكنني أقسمت ورأى الأمير على وجهي عظام الصدق فأمر بجلبهم وطرحوهم على ظهرهم فوق الأرض ورفضوا أجسامهم للثبته بجمل مربوط من الطرفين في عصا غليظة وضربهم ، فاعتبروا بالمال

الرسالة

مجلة أسبوعية تأسست في القاهرة

مجلة الآداب الرفيعة والثقافة العالية
تعلم الماضي بالحاضر وتربط الشرق بالغرب
على مدى وبصيرة

الرسالة : تعبر بإخلاص عن روح النهضة المصرية
الرسالة : تجمع على وحدة الثقافة أبناء البلاد العربية
الرسالة : تصور مظاهر العصرية للامة العربية
الرسالة : تسجل طواهر التجديد في الآداب العربية
الرسالة : تحيي في النشء اماليب البلاغة العربية

مجموعة اعدادها ديوان العرب المعترك ، وكتاب الشرق
الجديد ، وسجل الادب الحديث ، ودائرة معارف عامة

الاشتراك المأجل ستون قرشاً ، والمأجل ما يساوي جنباً مصرى ، ولاد العربية بنصم ٢٠ ٪



صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المستول
احمد حسن الزيات

برل انستراك عم سنه
٣٠ في مصر والسودان
٥٠ في الملك الأخرى
١ من العدد الواحد

ادارة

دار الرسالة بشارع البدولي رقم ٣٤
حاجدين - القاهرة
تليفون ٤٢٣٩٠

المرسلات

مجلة أسبوعية للتقصص والنايخ

نصدر مؤقثاً في أول كل شهر وفي نصف

السنة الثانية

٢٣ رمضان سنة ١٣٥٧ - ١٥ نوفمبر سنة ١٩٣٨

العدد ٤٤

من أحسن القصص



فهرس العدد

صلمة			
١٧٠٤	الجنة المهجورة	أصبوعة صصرية	علم الأستاذ دهنى خشبة ...
١٠٨١	في المصيف	الكاتب الروسى أنطون تشيخوف	علم الأستاذ عبد الحيد حدى ...
١٠٨٦	البيوت الثلاثة	أصبوعة صصرية	علم الدكتور عبد بهجت ...
١٠٩٠	بند ثمانية عشر قرأ	الكاتبة الانجليزية بارونس أورزى	علم الأستاذ عبد لطفى جمه ...
١٠٩٩	اللوح	للقصى الروسى فسفولدمينا تيوفيتش	علم الأديب نظرى شهاب السعيدى ...
١١٠٧	جزاء الفضيلة	الكاتب التركى رشاد نورى	علم الأستاذ بشير المريق ...
١١١٢	وفاء راقصة	الكاتب لافكاديو ميرين	علم الأديب السيد صلاح الدين المنجد
١١١٨	حاجى بابا أصفهانى	الكاتب الانجليزى جيمز مور	علم الأستاذ عبد الطيف النصار

الجنة للهجرة

أقصو صفة مضمرة
بقلم الأستاذ د. محمد خبطة

— ماذا يا نعيم ؟
— لا شيء ! ألسنت قد بهرك
هذا النزل الجميل وذاك المرج الموفق
نحطك ظاهري عن باطنى !
— توشك أن تنقلني من على
الملوس إلى دنياك الثمرة بالألناز !

— الألناز ؟ آه ! حقيقة إن الحياة
ممثلة بالألناز ، بل للممبات ، ومى مع ذاك وعلى
ما يبدولى لا ألناز فيها ولا ممبات !
— وكيف يا أخى ؟ أكاد أحسبك تناقض
نفسك !

— كلا يا محمود ! إن الحياة حقيقة تصدم النفس ،
وشمر برؤوقه القلب ؛ والحقيقة تصنع نفسها ،
أما للشمر فهو تصلات وآمال ، وممس الروح التى
تنشد الأمانى ولا تقدر عليها ، فمى تكنفى بأطيانها
السابعة فى عوالم الخيال ، ترو إليها وتنازلها
بالأحلام ، حتى إذا استيقظت صدمتها الحقيقة المرة
فقد حمرت ، ونمت أن تعود إلى أشمارها الحلوة ...
ولكن هيات !

— هيات ماذا ؟
— هيات أن تعود نفس صدمتها حقيقة
الحياة إلى شمر الحياة !

— إنك تخيفنى يا نعيم بهذا الذى تقول !
— حقاً أنا أخيفك لأنك أحسنت أن
كلانى تنقلك من دنيا الأحلام الباطلة التى تسبح
فيها إلى هذه الأرض التى خلقت من طين الحقيقة !
— لقد كنت أرجو أن أكتشف فيك

غراماً ... فانا

— فانا أنت تكتشف فى آلاما !

— منزلك جميل جداً يا نعيم ! حقول فسيحة
تلطن بالنحل والفراش ، ونهر عظيم ناعم الأديم ينبع
من الأزل ويتدفق فى الأبد ، وريف وديع هادى
يسيم فيه الشاء والبقر ، وينم فيه الفلاحون بالتوت
والجيز

— حببك يا محمود ! إن بيتنا هنا كالجنة
المهجورة التى تفيض بالزهر الفياح والنبات الأرج ،
ومى مع هذا بكاء خرساء عياء ، لأن زهرها
يفتح فلا يحس به أحد ، ونباتها يتأرجح فلا ينتفع
به مخلوق

— ماذا تمى يا نعيم ؟ أظنك أنت ؟
— أنا ؟ ... أنا عاشق ؟ وبك يا أخى ؟
— ولم لا يا صديقى ؟ أنت شاب فى مقتبل
صياك وشرح شبابك ، فانا لم تحب ، فلن خلق
الحب ؟

— خلق الحب لمن خلقوا له !
— وأنتم من أمتهم ! أليس كذلك ؟
— أنا ؟ لشد ما يندمك مظهرى عن مجبرى
يا محمود !

— لست أفهم !
— لأنك كعظم الناس ، يظلم زخرف الحياة
فلا يعرفون حقيقتها

— ومع ذاك قائلاً أنهم مصدرها !
— إذا ... لم أرك بيتنا يا محمود !
— أسلوبك جميل يا محمود ! بدأت تفهمي !
— لنخرج من هنا يا نعيم !
— ولماذا ؟

— هذه غرفة أبي !
— إنها غرفة صحيحة واسعة جميلة الأثاث !
— أأنت ترى أنها كذلك !
— بل أكثر من ذلك ! ما أعين هذه السجادة
الفارسية ! وهذا السرير الوثير ما أبدعه !
— وتلك آية أخرى على أنك تعيش على
هامش الحياة !
— وكيف يا صديقي ؟
— لأن الذي فتنك من غرفة أبوي هو أأناها
وسجادتها وسريها !
— وأنت ؟ ألا تفتنك هذه الأشياء ؟
— وكيف تفتني وهي أكفان ساداتنا
يا محمود !

— ٢ —

— ومحك ماذا تقول يا نعيم ؟
— إلى ودي إنها أكفان تلك السمادة المزينة
للنالية ... أنظر يا صديقي إلى هذا السرير الذي
تقول إنه وثير ... أليس يشبه الشمس ؟
— أي نعيم ! أي صديقي !
— ماذا يا محمود !
— إنك ترجمني !
— لعل الذي أزعجك شيء آخر ! هذه
الألغاز ... أكفان ... نش ...
— أجل ... وشيء آخر ...
— وما هوه !
— لهجتك ونبرات صوتك ... إن روحك
تكني من بين شفتيك

— أهكذا قضى هذه الحياة يا نعيم ؟
— وماذا عسانا أن نصنع يا أختاه ؟
— إلى متى تتجرعها كؤوساً من الملمح يا أخي ؟
— وماذا جعلها علماً يا أمانة ؟ ألسنا في سمة
ومز ؟ أليس لنا هذا المنزل النظيف ومن حوله ذاك
البستان اللطيفان ؟ ألسنا محبوسين في ذاك الريف
البريء ؟ فليكون حياتنا علماً إذن ؟
— نعيم !
— ماذا يا أعز الناس على نعيم !
— لقد أن أن أصرح لك !
— تصرحين لي بماذا ؟
— بالسر نفسة الذي يمزق صدرك ، وتحسب
أنك أنت الذي تمرقه وحدا !

- السر الذى يمزق صدرى ؟ أى سر هذا ؟
 — نعم ! لماذا إذن أنت متقبض النفس سادس
 هكذا دائما ؟
 — بل خبريني عن السر الذى تزعمين أنه يمزق
 صدرى ، ما هو ؟
 — أراك تحاول أن أعترف أنا أولا ... كنت
 أحسبك أكثر رجاعة مني لأنك رجل وأنا امرأة
 — حيا ! أنتى يا بنات حواء تبدآن بنسب
 الشراك دائما ، أى سر يا أختاه هذا الذى لا أجسر
 أن أعترف به لك قبل أن تترقى لى به ؟
 — وما أنت فاثاني إلا أن تبالح فى الكلام
 لأعترف أنا أولا ، ومع ذلك فقد أخذت تضطرب
 وتتفقد هرقا !
 — أنت بارعة فى اقتفاء الصيد يا أمينة ، على
 أننى أحلف لك أننى لا أخرف أى سر تريد !
 — إذن هذا الشاب عمود !
 — ماله !
 — لقد ... أحبنى !
 — وهل هذا سر ؟ هاها ... إنى أكون
 غفورا إذا تزوجت يا آه يا خبيثة ! لشد ما أفزعنى !
 — أرايت إذن ؟ ها قد انشرح صدرك حينما
 المطأنت على السر الذى يمزق صدرك ، وتأكدت
 أننى لا أعرفه !
 — ماذا يا أمينة ؟ تريد أن تلعبى بيا أختاه ؟
 — سأظل ألعب بك حتى تعترف أنت أولا ...
 تكلم يا آدم ! إنك لن تغلب حواء قط !
 — يا حيا ! تريد أن أهذى ؟ أى سر هذا
 الذى يفزعك فلا تستطيعى البوح به ؟ ماذا صنع
 بك محمود ؟
 — وماذا ظننه صنع لى ؟
 — إعتدى عليك ! أليس كذلك ؟
 — هو ذاك ! هو ذاك يا نعيم !
 — وبيك يا شقية ، يا ابنة الحية التى لا تلد
 إلا حية !
 — مرعى مرعى ! لقد اقتصرت ! ها قد بحت
 بكل شيء يا عزيزى !
 — اقتصرت ؟ وكيف ؟ وبم بحت أنا !
 — أأنت قد قلت إننى ابنة الحية التى لا تلد
 إلا حية ؟ وبم كنت تريد أن تبوح أكثر من هذا ؟
 — أمينة ! أسديقنى يا أختاه ! أحقا قد اعتدى
 عليك محمود ؟
 — محمود يتدنى على ؟ والله لأدريت الأرض
 بدمه ! حقا لقد كانت أمنا كما زعمت ، رحما الله
 وغفر لها ، ولكنى تملت العفاف من مسألتها يا أختى
 فاطمئن !
 — أمينة ! ماذا تحولين ! أية مساة يا أختاه !
 — أوه أيها الأبله ! إلى متى تتعاطى على !
 إذن فاعلم أننى اكتشفت السر الوحيد بسد إذ
 اكتشفته أنت مباشرة ، وفى الليلة نفسها التى
 كنت تنقض على الكأس المائلة للتشرب الثالثة
 القتلة التى تركها أبوك السكين ، لولا أن سمعت
 وقع قدى !
 — أمينة !
 — محمود ! لا فائدة فى الإنكار يا أختى ! يجب
 أن تتعاون على هذا الشقاء الذى أوقعتا فيه سوء
 طالعنا . نحن أبرياء ، ولكن البريء فقط هو الذى
 يتمذب أكثر من غيره
 — ولكن مالنا نحن إذا كان أبوانا قد شربا
 السم ... ؟
 — مالنا نحن ؟ إننا الثمرة للزهر يا أختى ! لقد
 انتقا على أن يتخلصا من الحياة بالسم حتى لا نموت

يتزوج عليها أو أن يهجرها إلى خلية أو خلية، فكانت لا تني تبث عن الطبيب الواسي، فلما عثر عليها زين لها الشيطان أن يحمل باسمه لتربطه بأسبابها يربط لا ينضم .. وكانت تحتال لذلك بحيل حجة، وذلك أهون الأشياء على المرأة متى أرادت ...

— أنت تستعجبين أم عندك علم بشيء يا أختاه!

— من ذاك ومن ذاك ...

— يجب ألا يقفوا الإنسان ما ليس له به علم يا أمينة فاحذري!

— يا أختي لقد سمعت أكثر هذا الحديث من شفتيها وهي تعترف به للرجل المسكين الصالح ... وصمته من شفتيها وهي تهذي به في حلم جميل إذ أنا بين ذراعيها ليلة، إذ هي تقبلي، وتترد دموعها على وجنتي، وتستغفر ليها استغفاراً!

— أوه! أذكر أنها صنعت مثل هذا معي ... اللهم يا من وسعت رحمة كل شيء إلا أن يشرك به اغفر لها وارحمها

— وسنت مثل هذا مع علي ... ولقد رأيتها بيني تنفض وجهه البري بدموعها!

— يا الله! أو كلنا أبناء زنى؟ اللهم لا رحمتها! اللهم لا رحمتها!

— نعم! بل رحمها الله أرحم الراحمين! لا تبك يا أختي فان دموعك تنصب على وجهها كالعلم وهي الآن بين يديها

— وهل كان استغفار إبراهيم ربه لأبيه إلا من علة!

— ذلك أن أباه كان مشركاً يا نعيم
— وهل زنى الزاني إلا وهو مشرك ...
— رحمها الله يا نعيم .. ورحمى الله وليك يا أختي!
— أغنى حديثك يا أختاه! من أبونا إذن؟!

نحن سرهما الريب، ولكنك كنت غيباً في الليلة الهائلة تحت النافذة تسمع حوارهما الخافت، وتسترق حديثهما الغرغ ... وكنت تحسب أنك وحدك تقبل هذا، في حين كنت أنا الأخرى أسترق السمع كما تسترق، ولكن من ناحية أخرى ... أليس كذلك يا نعيم؟

— ؟ ...

— يا للحياة من مأساة هي أشبه شيء بالهزلة! ومع ذاك كنت تريد أن تحتلمها وحدك يا نعيم، وكنت تتباه على لثري هل تعرف أخطك البائسة سرهما!

— الآن أعترف لك يا أختاه ... لكنني أظلمت أنى ما عرفت كل شيء، فهل عرفت أنت كل شيء؟! — عرفت كل شيء، يا أختي، بيد أنى أسألك أولاً ماذا تعرف وماذا لا تعرف من فصول هذه المأساة؟ — الذى عرفته أننا لم نكن أبناء هذا الرجل الذى كان يحسبنا أبنائه .. واستنتجت بعد إذ رأته بقتع أمنا باحتساء السم أنه فضل أن يموتاً فيذبحها بالماركة قبل أن تأكلنا ناره، وهذه تضحية عظيمة من الرجل الذى أحبنا، والذى كنا نتمنى أن يكون أبانا الرحيم كما كنا نحسب

— والذى لا نعرفه يا نعيم؟

— والذى لا أعرضه هو من صمى أن يكون أبانا يا ترى؟ إنه يكون الأم من خرج من صلب آدم! ثم لماذا سلكت أمنا هذا السلوك الأكم؟ إنها لا بد قد فلتته مضطرة بدافع غريب لم أستطع أن أحسسه!

— لقد كان زوج أمنا رجلاً طاقراً يئس الأطباء من إصلاحه، وكان غنياً جرم الفنى، مثيراً واسع الثراء، وكانت أمنا تحبه، لكنها كانت تخشى أن

— بل هي أطهر ماء وأزكاها ! إنني مارفت
وجي في السماء يا نعيم ! لا رأيت الله جهرة ! لقد
كنت أبكي أكثر منك ، وكنت أشمر بنار النار
تندب في هروقي كالجم ، حتى رأيت ربي يمسح يده
الباركة على قلبي ، ففشرت بمن أقدن من مجيم
أحزاني ...

— إله ! يارك الله ليمانك يا أخناه ! أما محمود !
— ماله ؟

— مانا يينكا إذن ؟

— ييني وبينه مثل الذي بيني وبينك ، فهو
أخي لظهور ، وأنت أخي لبطن ...

— لكنه لا يعرف هذا ، وأري أنه يحبك !

— يحبني ؟ إنه يكون غيباً !

— ولم يكون غيباً يا أخناه ؟

— لأنني لست جميلة ، وليس في ما يجب

قلوب الشباب ، وهذا ما أحمد ربي عليه حتى لا تكون
الأساة هائلة !

— أو ليست مأساتنا هائلة مع ذاك ؟

— كلا ... إذ أنها لا تزيد على زلة أم تكررت

ثلاث مرات ، وهي إن تكن مأساة ، فهي مأساة

أوديب ، أو هي تشبهها ، وإن لم تشبه الرجل الصالح

الشيخ عبد الموجود البطل أوديب !

— أي أنه يقتل عنه تماسة !

— الشيخ عبد الموجود يرى يا أخي ... ولما

قد أخطأ في شرب السم ، وقد قتل باستعاره نفساً

حرم الله قتلها إلا بالحق ...

— إنه لم يطق الحياة بعد إذ عرف أننا لسنا

أبناءه ، وأن زوجته التي هي أمنا كانت تخدعه في

شرفه ومعاشرته ، وفي أيام السادة الطويلة التي كان

يظنها سادة حقيقية ، فآذاه في نفاق في نفاق !

— أبونا ! لسته الله ! لقد قتله زوج أمنا !

— قتله الشيخ عبد الموجود !

— أجل ! وهل كان يلقى ربه إلا بهذا المم !

— رجلك الله يا شيخ عبد الموجود ! رجلك

الله فلقد كنت لنا خيراً من ألف أب !

— أي والله ! لقد كان لنا خيراً من أنساب !

— ومن أبونا يا أمينة إذن ؟

— أبونا !

— أجل ! من هو ؟

— وهل حتم أن تعرفه يا نعيم ؟

— حتم وأي حتم ... وهل أمسح بعد ذاك

السر سر ؟

— إذن ... هو ... والد محمود !

— والد محمود ؟ ! يا قول !

— هو بسنه !

— ومحمود ! لا يعرف أن الشيخ عبد الموجود

قتل أباه !

— أكبر الظن أن لا ! إن التحقيق لم يتناول

شيئاً من ذلك ، بل لم نجم شبهة حول الرجل ، ولم

يذكر اسمه قط

— يا قول ! ومحمود مع ذاك يبحث من

قاتل أبيه !

— لا أحسبه بفعل يا نعيم ؟

— لا تحسبته بفعل ؟ وكيف ؟ ألا يفكر في

التأله ؟

— في التأله ؟ ! إن الزناة لا يلدون ذوى

حجة يا نعيم ؟

— أوه ! لقد ولدونا يا أمينة !

— ولكننا أبراء يا أخي ، وما ذنبنا نحن ؟

— وما ذنبنا يا أخناه ؟ أليست أمجس مماء في

هذه الدنيا ؟

— كثيرًا يا أمينة ما تكون الحياة غير المنطق ،
وفي أغلب الأحيان يسلط الانسان سيده في الحياة
خاصا لمواظفه وغرامه دون أن يكون لمقله سلطان
عليه ، والناس في هذا سواء ، حتى الفلاسفة الذين
لا يكونون فلاسفة إلا حين يناقشون معضلة منطقية
أقام أحدهم قضيتها وأراد الآخر نقض أقوال صاحبه
فيها ... أما م في حياتهم الخاصة ، بل العامة أيضا ،
فسوفون مثلنا ، لا يستخدمون عقولهم أو منطقهم
أو فلسفاتهم ... وهكذا كان الشيخ عبد الموجود ...
ومن يدري ! فقد أتى أنا ، وأنت أيضا ، وقد
ينتهى أخونا الصغير على ، إلى مثل ما انتهى إليه
هذا الرجل البائس .

— ماذا تقول يا نعيم ؟

— أقول إن آخرتنا قد تشبه آخره الشيخ ،
ولو لم قصد نحن إلى ذلك ... فلا تنزعج !

— لا أزعج !

— على ، لا تنزعج يا أخاه ، فوالله لقد أدت
لي سبيل إلى الله ، وإن أفسدتك أني لن أقدم على
ما أقدم الشيخ عليه ...

— وما حدث قد أعطيتني موقفك على ذلك
فكيف تنتهي أنت أو أنا أو أخونا على إلى ما أتى
الشيخ إليه ؟

— أما أنا فسيقتلي الحزن

— وأي حزن يا أخي ؟

— أنت تتكلمين يا أمينة وكأنما قدت أعصابك
من حديد ! أنا ألبني أي حزن ! الحزن الذي ليس
كئله حزن ... إننا كنا يا أمينة ! من أبونا ! من
أمتنا ! بيت من هذا الذي نأوى إليه بنير حق ! لن
هذه الضياع الشاسعة الواسعة ؟ بأي حق تنصرف
في ريسها ونحن نعلم أنها ليست لنا بحق ؟ كيف ندعي
ملكيتها وغيرها بها أولى ؟ أخوات عبد الموجود

— لو تاب إلى وبه وسكن إلى رشده ، ماتناول
الناس أبدا !

وما ذا كان يصنع غير ذاك ؟ !

— كان ينبغي أن يكون شجاعا فيواجه المأساة
مادام لم يرتكب جرما

— وكيف كنت تحسبته يواجهها ؟

— كما يواجه الناس أي مشكلة من مشكلات

الحياة يلعب فيها القضاء الأعيه ! إنه قد قتل نفسه
لأنه لم يطق الفضيحة ، أليس كذلك ؟

— بلى ، هو ذاك ، ولأنه قد عز عليه أن
يفقدا ويفقد زوجته مرة واحدة ؟

— لا أحسبه حين أقدم على الانتحار قد فكر
فيما تقول ، بل كل الذي رآه هو شبح الفضيحة
فلو أنه سكن إلى الله قليلا لما غلبه شيطانه لأن الدين
سئموا الفضيحة أشخاص آخرون

— بل مما شخصان أشدهما إنما زوجته

— والآخر أبونا الزاني يا نعيم ، وهنا لا نجد
شيلا لبيد الموجود ، فلام نحي المسكين بنفسه إذن ؟
— من أجلنا !

— وهنا لا يصح إلا أن يكون خطا مضافا
إلى خطأ ، فانه قد أذن زوجته أن تحس السم ،
وهي شخص الجرعة الأول ... ثم هو قد نال لشرفه
من الرجل الذي أغراها فأزاله من الوجود ودخل
بينه وبيننا ، فلم لم يمش هو ، ولو من أجلنا نحن ؟
— يعيش من أجلنا ؟ وماذا يهمهم شأننا بعد ؟
يهمه هذا الخيال البديع ... خيال البنوة الذي
كان يستفي به من حقيقة البنوة ؟

— هذا شعر يا أخاه ، وما أبعد الشعر من
الحقيقة

— ولولا الشعر لأظلت أفنى الحياة ، وضاعت
بهجتها

وكذلك فعل أخواك ، وما كان لك سلطان على الصنير على.. ولقد بحثنا عنك في أقطار الأرض لرد على أخيك ما لا يقدر أحد على استلابه منه ، وها قد عثرنا بجزء جيباً ، فنقبل بابي أن نكون أوصياء على أخيك لنرسل إليه من مصر ما هو حقه

— بعد علم واحد يبلغ أخى رشده ويتولى هو هذا الحساب

— إذن فلنا ما رب آخر

— ما رب خير إن شاء الله

— تزوج ابن عمك عمداً من أمينة !

— بإذنكم الله ... لقد تزوجت أمينة !

— وعمن ؟

— من الفتى المكي المجازى الصالح إبراهيم ابن محبوب ، وهو يعيش وإيها في سمة والجد لله وإن لي أنا الآخر لأربا ...

— ولماذا أسلمك الله وأتابك !

— ذاك أننى كنت استعنت ببعض أموالكم على سفرى ، وقد بارك الله لي ، وإن لكم فى عنتى مائتى جنيه ، فما كوها !

— والله لا يكون هذا أبداً ...

— بل الجنى أحق يتبع ... تخفوها أتابك الله .

— والله لا تصل أيدينا إليها قط ... إنك تحبنا يا نعيم ، وتذهب ألبابنا كل منذهب ... والله إنه لسر ، ولا ندرى لم تخفينا عنا ونحن أعمانك !

وذهب نعيم إلى جدة ليودع القوم ، ولما همت الفلك واحتواها الماء ، زفر نعيم زفرة صعدت فؤاده ، وعاد إلى مكة أحراجها والجمع يترقق من مقلته ، قصد إلى مقام إبراهيم فصلى لربه ، واستنفر قلبه ، واستعان بالصبر والصلاة على بلواه

دمينى مهندس

وإخوته ؟ أليس أولئك ورثته الحقيقين ؟ أين منطقك ؟ تكلمى ؟

— نعيم !

— أمينة ! ما أحسبك ترحمين أننا ببعد الوجود

أولى أنا ذاهب يا أمينة !

— نعيم ! إلى أين يا أخى ؟

— سأعاجل إلى ... إلى ... إلى الله ! إنه حسبى وهو ولى ...

— وأنا يا نعيم !

— إن شئت هاجرت معى ولى مع ذاك شرط !

— وما ذاك جميل فذاك !

— أن تكونى مؤمنة فأنت التى أثرت لى طريق الإيمان !

— سألنى يا أخى ! ولكن ...

— ولكن ماذا ؟

— أخونا على ؟

— سيأتى معنا ، وسيفتح الله به علينا !

— إذن ... هلم !

وذهب إخوة عبد الموجود إلى الأقطار المجازية ليؤدوا فريضة الحج ، فلقوا نيميا وعليها وأمينة يهرولون بين الصفا والروة ، ولما أقاموا من عرفت دعام نعيم إلى منزله الهادى الساكن السعيد القريب من المسجد الحرام قضوا هناك عيديم ، ثم ذهبوا إلى دكانه الجليل فاشترى المقود والحوام والسبح والكوفيات والمقالات وتجر الحلية

وحاولوا أن يكلموا نيميا فى الماضى فاعتذر لهم ، وكان السبع قد أوشك يترقق تفتيش به عيناه

— لكنك نزلت لنا عن كل ميراثك من أباك ،

لقد نعمت ، يا بقيق ، منذ أقوام
طوال ، بأمثال هذه الخيالات ،
وملأت معاطي بما كانت تبث به
أزهار الغرام في الجو من عطر زكي ..
يا الله ! إني ما أشك في أن كاتبة هذا
الخطاب امرأة خلية لا تقبل للفضيلة
وزناً . رب ! إن هؤلاء النسوة لأدعما

لا يحس الحياء . إنهن شبيهات باللب التي تمرض
في الأسواق ليتلقى بها الأطفال غليظفر لنا الله !
إن المرأة التي تكتب مثل هذا الخطاب لرجل
متزوج وأجنبي عنها لا يمكن أن تكون إلا امرأة
هوالة مستهترة لا تحفل بالأداب .. الحق أن هذا
هو غاية ما يصل إليه الانحلال في الأخلاق ! »

وكان بافل إيفانوش قد تنقلب في السنوات الثمان
من حياة الزوجية ، تنقلباً تاماً على المواقف الترامية
ولم يلق في خلال هذه المدة أى خطاب من أية
امرأة إلا أن يكون خطاب تهينة . لهذا كان الخطاب
الذي تلقاه أسيل ذلك اليوم منشأ اضطراب استولى
على نفسه وحيرة أحاطت به من جميع النواحي على
الرغم من محاولته الزاوية بهذا الخطاب وبالمرأة التي
بثت به

ولم تمض على الرجل ساعة من تسلمه هذا
الخطاب حتى كان مستلقياً على أحد القاعد مفكراً
يحدث نفسه فيقول :

« ما من شك في أنني لست بالمسي الأبله الذي
يندفع إلى المكان الذي عينته هذه المرأة لقاء ...
ولكن أرى من اللشائق مع ذلك أن أعرف من هي
هذه المرأة المعبود ... تبارك الله ... إن الخط خط
امرأة ما في ذلك من ريب ... وإني لأشعر أن
الخطاب يعبر عن إحساس صادق ... لذلك يمدد أن

في المصيف

للكاتب الروسي أنطون تشيخوف
يقلم الأستاذ عبد الحميد حيدر

« أحبك فأنت حياتي وسادتي ، وأنت لي كل
شيء في الوجود ! ولتغفري هذا الاعتراف فما أما
بقادرة على أن أحمل الألم ولا أشكو ، وما أسألك أن
تبادلي حبايحب ولكني أسألك اللطف والرافة ..
فلتلقني في ترمشة المنزه في تمام الساعة الثامنة من
مساء اليوم ... وما أحسب بي من حاجة لأن أوقع
خطابي هذا باسمي وإني لأرجو ألا يزجرك أن أبقى
بجوهلة منك ، فحسبك أن تمل إني صبية مليحة
المنظر ... وما عساك تطلب وراء ذلك ! »

هذا هو الخطاب الذي تلقاه ، ساعة الأسيل ،
« بافل إيفانوش » وهو رجل متزوج يقضي عطلة
الصيف في بيت من بيوت المصايف ، فلما قرأه هز
كنتفه ودعك جهته ، وقد استولت عليه الحيرة ،
وقال يخاطب نفسه :

« ياله من عمل من أعمال الشيطان . أما رجل
متزوج ، فما لهذه المرأة تبث لي بمثل هذا الخطاب
المعجب . السخيف ! ومن ترى تكون كاتبتة ؟ ! »
وقلب بافل إيفانوش الخطاب أمام عينيه غير
مرة وكرر قراءته مرة وثانية ثم نقل احتقاراً وقال
منهكماً :

« إني أحبك ! حقاً لقد وقتت على شاب
ظريف جميل أيها الحسنة ؟ إذا سأسرع إلى لقاءك
في ترمشة المنزه

وفي أثناء تناول المشاء الأول نظر بافل بإفئافاف
إلى امرأة نظرة كأفة؁ وكان غارقاً في بحر من التأمل
والفكر يحدف نفسه بقوله :

« .. إنها تقول في كتابها إنها صغيرة حسنة ..
إذن هي ليست مجزاً .. جيداً ! الحق الذي لاصرة
فيه أنني لست من الكبر والسذاجة بحيث لا يمكن
أن تقع امرأة في حبى ! فأمرأى تحبى . ويجب أن
تذكر إلى جانب ذلك أن الحب أسمى .. وليس فينا
من يجهل ذلك ... »

وقطعت عليه زوجه سلسلة تفكير بهذا السؤال:
— فيم تفكر ؟

فأجاب الرجل ولم يك صادقاً فيما قال :
— أنا لا أفكر في شيء ... ولكننى أشكو
صداعاً خفيفاً ...

واستقر رأيه آخر الأمر على أن من النبوة
والله أن يفكر في شيء لا معنى له؁ فخطاب تحفه
فيه كاتبته عن الحب ... وطويهرأ في نفسه؁ من
جديد بالخطاب وكاتبته

ولكن أسفاً ... إن للانسان من نفسه لمعواً
قوي السلطان ! فقد رقد بافل بإفئافاف بيد المشاء
على سريرته؁ وبدل أن يتم انهلك مرة أخرى في
التفكير والتأمل فكان يحدف نفسه :

— ولكنى أستطيع أن أجزم بأنها الآن جالسة
تحت التمرشة في انتظارى . فبالها من حماقة ! وإنى
لأنصور إلى أى حد تبرز أعصاب الفتاة وقد استولى
عليها القلق من طول الانتظار؁ كما أنصور كيف
ضاق صدرها عندما دخلت التمرشة ولم تعجني فيها
ومع ذلك قلن أذهب ... ولنا كل نفسنا ؟

يكون خطاباً قد أريد به المزاح الخالص ... وينلب
أن تكون كاتبته إحدى هؤلاء الفتيات المصليات
الوات ... ولكن لملها أو مل ... والأرا مل على
المعوم مداعبات غريبات الأطوار ... يا لله ...
ترى من تكون للكاتبه ؟

وكان بما صعب الأمر في غار بافل بإفئافاف
أنه لا يعرف من بين زائرات الصيف غير امرأة
واحدة هي امرأة ... فهمهم نفسه :

« جيداً ... إن هذه المرأة تقول « إلى أجبك »
فكيف أحببتي ومتى وقت في شرك هذا الحب ؟
حقاً إنها لاصرة مدعشة ! فاعهدنا الحب يقع على
هذه الصورة ... ومن غير سبب ظاهر ... ومن
غير تعارف سابق؁ وقيل أن تعرف الحبة أى نوع
من الرجال أحببت ... ما من شك في أن كاتبه هذا
الخطاب فتاة صغيرة ... خيالية ... ليس أدل على
ذلك من وقوعها في حبى أن بعد رأئى اتفاقاً مرتين
أو ثلاث مرات في الطريق ... ولكن ترى من
تكون هذه الفتاة ؟

وذكر بافل بإفئافاف فجأة أنه إذ كان يسير خلال
بيوت المصيف في اليوم السابق واليوم الذي قبله
التي أكثر من مرة بفادة حسنة على رأسها قبعة
مماوية اللون؁ شائعة بأفئافا إلى السماء؁ وقد أظالت
هذه الحسنة الرقيقة النظر إليه؁ ولما جلس على أحد
المقاعد العامة جلست إلى جانبه ... فسأل نفسه
في حيرة :

« أيمكن أن تكون هي ؟ ما أعلن ذلك بممكن !
وهل من القول أن تحب فتاة هيفاء كهذه الفتاة
كهلا مثلى متحطاً ؟ كلا ! إن هذا هو السبب
بسته ! »

دخلت إلى التمرشة ؟ ولكن لا ، فليس هناك ما يستوجب الدخول »

ثم اشتد خفقان قلب بافل إيفاناش

... وتصور فجأة وعلى غير إرادة منه منظر

التمرشة المظلمة .. وخيل إليه أنه يري فيها فتاة رائحة المنظر على رأسها قبعة سماوية اللون وأنفها شامخ إلى السماء .. تصورها مستحبة لا ظهر من حجبها .. وقد أصابتها الرجفة من فة رأسها إلى أخمص قدمها .. ثم رآها وقد تقدمت إليه على استحياء وهي مضطربة .. و .. على حين فجأة ضمت بين ذراعيها ..

وحدث نفسه — وهو يحاول أن يطرد من رأسه جميع الأفكار الآتمة :

« لو لم أكن متزوجاً لما كان تحت من بأس .. على أنه أى ضرر في أن أحاول مرة في حياتي هذه المحاولة من باب الاختبار ؟ .. وإلا فإن الإنسان يموت قبل أن يتعلم ما يجب .. ثم أى شيء في ذلك يضير امرأتى ؟ ألا نقدر شكره ففى خلال ثمانى سنوات عشنا معها لم أبتعد عنها خطوة واحدة ... ثمانى سنوات أودى واجب الزوج الخالص بما لا يبدو إلى لوم أو عتاب ، أما يكفى كل هذا الوقت الطويل في مثل هذه الحياة المقيدة .. صفاً أن ذلك لما يضيق له الصدر .. وإنى لأشعر أنى لن أبالى بفضيها

ودنا بافل إيفاناش من التمرشة وقد استولت الرجفة على جميع أطرافه وأمسك بنفسه كالتملص ثم مد رأسه إلى الداخل فلأت رطوبة الجوشياشيمه وقال يحدث نفسه :

« أعتقد أن ليس هناك من أحد »

وتقدم بضع خطوات حتى صار داخل التمرشة

ولكننا نود فنقول أن للانسان من نفسه لمدا قوى السلطان . فلم تمض على الرجل نصف ساعة وهو راقد على فراشه حتى حدث نفسه من جديد :

« ومع ذلك قد يحسن ، من قبيل الاستطلاع ، أن أذهب وأنظر من بعد أى نوع من المخلوقات هذه الفتاة ... وما تضربني نظرة سرية أنعرف منها شكل المرأة التي تجرؤ على كتابة مثل هذا الخطاب ... وهل يكون ذلك أكثر من دعاية لا يثق لها في نفسى من أثر بعد أنا تمر لحظتها ... لقد هيأت لي للمصادفة فرصة للدعاية فلم لا أقتنصها ؟ » وهب بافل إيفاناش عن سريره وشرع في ارتداء ملابسه .

ولا حلت امرأته أنه أعد قبصاً نظيفاً ورباط رقبة أنيقاً فسألته :

« لم أراك تتأنق في لباسك على هذا النمط ؟ » فأجاب الرجل متمللاً :

« أف ! ليس هناك ما يدعو إلى العجب ... وما هناك من شيء ، غير أن في حاجة شديدة إلى الترويض ... فرأسي مصدوع ... و ... أف ! » ارتدى بافل إيفاناش أحسن ملابسه فبدأ في أجل هندامه ، وانتظر حتى وافت الساعة الثامنة وغادر البيت . فكان كلما التقى بأحد من زوار الصيف من رجال أو نساء أسرعت فيضات قلبه . وكان كلما رأى امرأة سأل نفسه متحيراً :

« ترى أيهن هي بين هؤلاء ؟ ولكن مالى أشعر بشيء من الخوف ؟ وعلام هذا الاضطراب ، وما أنا بذهاب إلى موعد ولقاء ، إلما من غياوة وحتى ! فلا أقدم في ثياب ! ثم ماذا على ! إذا أنا

« أرجو أن تصنى إلي يا ميتيا ! فأنت أصغر منى سنا وواجب عليك أن تحترمى ... وأنا البيلة مريض ... وبى حاجة ماسة إلى النوم ... فلتنصرف من هنا ! »

فأجاب ميتيا :

« إنك لتدل بذلك على أنانيتك الشديدة . فلماذا تبيح لنفسك البقاء هنا وتطلب منى الانصراف . . . إننى تمسكا بجذع الحق لن أغادر هذا المكان » فقال إيفاناش عتدا :

« إصغ إلى إني أطلب منك أن تنصرف ! فقل عني إني أنا . مستبد أحق . قل ماتشاء . ولكننى أطلب منك أن تنادر هذا المكان في الحال . وهذه أول مرة في حياتى أطلب منك فيها أن تسدى لى يدا بحروف ! فها ظهرت بشىء من حسن التقدير والوق ... »

فمز ميتيا رأسه وقال بافل إيفاناش في نفسه : « ياله من حوان حقير . إن وجوده هنا تسمير على اللقاء ! ثم مستحيل على أن اجتمع بها في حضرة ! »

ثم وجه إليه الخطاب قائلا :

« استمع يا ميتيا إني أطلب منك للمرة الأخيرة . فلتثبت أنك رجل ذو إحساس . مهذب . في نفسك شىء من الانسانية ! »

فمز ميتيا كتفيه وقال :

« لا أعرف لماذا تلج على هذا الالاح . لقد قلت لك إننى لن أغادر هذا المكان . وما أنا أكرر لك هذه القول .. نعم سابقى هنا احتفاظا بجذع الحق والحرية ... »

في هذه اللحظة أطل داخل التمرشة رأس

وهناك تبين شيخ إنسان في أحد الأركان وكان شيخ رجل ... وإذ دقق النظر عن قرب تبين أن هذا الانسان ليس أحداً غير الطالب ميتيا شقيق أسرته الذى يعيش معه في البيت فندم متمسكا بمد أن جلس وترع قسته :

« أف ! هو أنت ! »

فأجابه ميتيا :

« نعم هو أنا ذا »

وصرت لحظة ساد فيها السكوت ثم قال ميتيا : « عفوا يا بافل إيفاناش إذا رجوتك أن تركنى وحدى ، فانى أفكر في الرسالة التى أقدم بها للحصول على درجتى العلمية ... ووجود أى إنسان إلي جانبي يقطع على طريق التفكير »

فقال بافل إيفاناش في شىء من التواضع :

« وقد يكون خيرا لك يا ميتيا أن تذهب إلى أى مكان آخر يتفق مع غرضك كزاوية في بعض الشوارع الكبيرة المظلمة ... فان الهواء الطلق مما يسهل عليك التفكير ... ثم لا أخفى عليك أننى أود ... نعم أود أن أأم فترة قصيرة هنا ... فوق هذا المقعد ... فاجلو في هذا المكان أقل حرارة منه في البيت ... »

فأجاب ميتيا متذمرا :

« الأمر بالنسبة إليك أمر نوم ... أما بالنسبة لى فأمر استدراك وتفكير في الرسالة العلمية ... ومن البديهي أن يكون التفكير في مثل هذا الموضوع خيرا من النوم ... »

وساد السكوت مرة أخرى ... وكان بافل إيفاناش قد أرخى المنان لحياله ، وخيل إليه أنه يسمع وقع أقدام فنفر من مكانه فجأة وقال في صوت يهدج غضبا :

— علام تضحكون؟ إن الحقى الأغبياء هم الذين

يضحكون من غير سبب؟

ونظرت للمرأة إلى وجه زوجها الناضب وانفجرت
ضحكا وسأته :

— ما هذا الخطاب الذى جادك اليوم؟

وأخذ بافل إيفانتش بهذه المفاجأة فتولاه
الاضطراب وقال :

— أنا؟ أى خطاب تمنين؟ أنا لم أتسل خطابا

ما ... وإنك لتخترعين ما تقولين ... وأراك تجربين
وراء الخيال ...

قالت امرأة :

— ألا تلتكن صريحا ؟ فاني لواقعة من أنك

قد تملت اليوم خطابا ؟ ثم علام الانكار وأنا

مرسلة الخطاب ؟ ثم أقسم لك بشرفى إننى أنا الذى

أرسلت لك هذا الخطاب ؟ ها ! ها !

فاحر وجه بافل إيفانتش وأرخت نظره إلى صحنه
وقال مهمما :

— ضراح بارد !

فقالت زوجته :

— ولكن خبرنى بالله ماذا كنت أستطيع

أن أعمل غير ذلك وكان علينا أن ننظف الغرف

هذا المساء ... ولم تكن هناك من وسيلة أخرى

لاخراجكما من المنزل ... ولكن لا تنضب أيها

البلبد فلقد أردت ألا يتولاك السأم من الجلوس

وحذك فى التعريشة ... لذلك أرسلت لبيتنا أيضا

بصورة من الخطاب الذى بثت إليك به ! فهل

ذهبت إلى التعريشة يا ميتيا ؟

فكشتر ميتيا عن أسنانه وخرج يرمق منافسه

فى موعد الترام بين النضب والبعضاء !

هيب الحيدر عدى

امرأة شاذة الأنف إلى السماء ...

فلما رأت ميتيا بافل إيفانتش حبست وجهها
واختفت فى الظلام .

فقال بافل إيفانتش فى نفسه وهو يرمق ميتيا
شذرا :

— لقد ذهبت ... ثم لقد رأت هذا الحيوان

الذى فهرت ! لقد أفسد هذا المجرم كل شيء على

وانتظر بافل إيفانتش فترة قصيرة ثم هم واقفا

فوضع قيمته على رأسه وقال :

— إنك وحش ... إنك حقير ... وجبان

دنى ! ثم لقد برهنت على وحشتك ودنائك ...

أيها الأحمق ... والآن لتعلم أن كل شيء بيتنا

قد انتهى !

فوقف ميتيا أيضا وليس قيمته وقال :

— إنى لسعيد لسباع هذه الكلمات ... ولتعلم

أنك بوجودك هنا فى هذا الوقت قد مثلت مى فصلا

قذرا لى أنساء لك ما حيث

وخرج بافل إيفانتش من التعريشة فعاد إلى

بيته مسرعا وهو نأثر غضب .. ولم يجد منظر المائدة

المعدة لشاء الليل فى التخفيف من غضبه

وفكر فى نفسه وهو نأثر مضطرب :

— مرة واحدة فى العمر تسنح لى مثل هذه

الفرصة ... ثم تفلت منى فى اللحظة التى كنت

أنتهزها فيها ... إنها الآن غاضبة مسحورة القلب !

وفى أثناء تناول الطعام ثبت بافل إيفانتش وميتيا

نظرهما فى أطباقهما وصمتا صمتا كئيبا ... وقد

طفح كل منهما بقمص صاحبه ...

ونظر بافل إيفانتش إلى امرأته نظرة التحفز

وقال :

ما بدأت الأشمة تصعد جدار
الزلزال المقابل قام فالساق نفسه
به إلى أن تجاوز الأشمة رأسه
فيجنب حينذاك مقدمه ويقف
عليه بل ويشب على قدميه حتى
لا تفر لحظة استمتاع. وأخيراً
يرجع المسكين إلى باب منكنس
الرأس وهو ودوداً يحمله خيوط

البُيُوتُ الثَلَاثُ

أَقْصُوصُ مَصْرِيَّة
بِسْمِ الدُّكُورِ مُحَمَّدٍ بَحْتٍ

الشمس فيتلقي بها وينبر معاً
وأما البيت الثاني فهو ذلك الذي يقابل البيت
الأول والذي تنتهي عنده لمة ذلك الزمجي الشمس
كل مساء، صغير متوسط البناء تقطنه عائلة متوسطة
الحال يشتغل ربها بتولى أفندي بالجرك ويتقاضى
مرتباً معتدلاً لا يكاد يكفي للانفاق على زوجته
وأولاده الخمس، أكرمهم شميرة التي كانت تبلغ من
العمر ثمانية عشر عاماً. جميلة الحيا فتاة، قوامها
رشيق يحلو للشباب أن يحل فيه، إانة كالوردة
في أول تفتحها. ولا يهمن أن تعرف شيئاً عن باقي
أفراد العائلة. ويكفيها أن تذكر أن المنزل كانت
تقيم عليه السعادة والفرح والرضا...

أما البيت الثالث فهو لصق البيت الثاني تسكنه
أرملة المرحوم درويش أفندي مع أولادها الثلاث.
مات عنهم طالهم الذي كان موظفاً بالبلدية وخلف
لهم الفقر ومماشا شقيلاً يتمشون منه. قوضت
الأرملة كل أملاكها ولها الأكبر حسن وعنت
به العناية كلها. ولشد ما كانت تجول دموع الفرح
في عينها نهاية كل عام دراسي حينما يدخل عليها
ويخبرها بأنه بدّل كل لمة وأقرانه وخرج متفوقاً
على رأس فرقة. أما يوم حصوله على البكالوريا فكان
يوماً مشهوداً في هذا البيت الصغير ولكن سرعان

وتقع كلها في شارع واحد من شوارع حي
عرم بك بالإسكندرية، أما الأول فيبت كبير غم
يداني التصرف في أهله وروقه، ذو شرقات واسعة
مشرقة يدور عليه سور من غليظ الحديد ترى من
خلال قضبان حديقه أنيقة متعددة الألوان يسكنه
رجل من أصل تركي اسمه مدحت بك. آلت إليه
الثروة عن طريق أبيه الذي كان من ندماء الحديدي
إسماعيل باشا. وكان أن صدرت منه نكتة طريفة
فأنهم عليه الحديدي العظيم بجارية حسنة وخمسة
فدان من أجود أراضي البحيرة. أما مدحت بك
فرجل أرمل جميل خدمت به السن حتى جاوز الخمسين
ليس له ولد يرث ثروته العريضة ولما كانت تملو ذلك
الزحل وحشة وكآبة لا يستغما جمال بنائه وتنسيق
حديقته، يجلس على باب زنجي عجوز يسمى عم حسين
تدور على رأسه محامه كبيرة بيضاء، وله لحية كثرة
بيضاء كذلك، وعينان حراوان مفرورتان. ولما
ما ظلمت الشمس في الشتاء تراه جالساً على مقعده
الخشبي يصطلي دفتها في سكون وللة فاذا ما انحرفت
إلى الغرب قليلاً نقل مقعده إلى حيث تميل حتى تراه
جالساً في منتصف الشارع لا يقوم إلا إذا سمع صوت
عجلة مقبل أو ليتبع ضوئها إلى الجانب الآخر. ولما

فراء قد برم بوحده وأصبح يشمر بفراغ مؤلم في حياته ويمشي من صميم فؤاده لو أن له ولداً يرثه وطالما شكوا ذلك الهم الدين إلى خادمه السجود الأدين الذي تلازمه وتبى به عنايتها بطفل . فما كان منها إلا أن أشارت عليه بالزواج من فتاة صغيرة تجل من قبر بيته جنة يامنة وتعلأ فراغ حياته بالسعادة التي يظلم إليها واقترحت عليه أن يختبئ سميرة ابنة متولى افندي نعى غاية ما يشتهى من الحسن ثم أن الحصول عليها عثمل لفقر واليسها فأبرقت أسارير وجهه وراقه الاقتراح وقوض إليها تعهد الطريق لذلك . فذهبت في اليوم الثاني إلى منزل متولى افندي وهي تفتي غرضها ، وأخذت تطلب في حسن أخلاقهم وطيب سمعتهم وتتفق عليهم من كلات العطف والمحبة الشيء الكثير . وجرى الحديث وتشب إلى أن سألتها والدة سميرة عن حال سيدها فأظهرت لها ما هو عليه من ضخامة الجاه والثرة وكيف أصبح يفكر في الزواج ليكون له ولد يفرح به وليورثه مال الكثير . وبعد أن أحسكت نصب الحيلة قامت مسمرة وهي تحنج بقرب عودة سيدها ثم حاولت الزيارة ثانية وثالثة وفي كل مرة تضرب على هذه النعمة الساحرة إلى وجدت ممتزاً ليتنا في جانب والدة سميرة وفي مساء أحد الأيام قرع عم حسين الزنجي السجود الباب وأعلن أن سيده يرغب في زيارة متولى افندي فكانت حركة ونشاطاً وجيلة اشترك فيها الصغار والكبار استعداداً لاستقبال الجار الوجيه فأقبلت كتكتفه مظاهر التراء والنظمة وجلس يتحدث إلى متولى افندي من حقوق الجار وعن تمضيدهما في التصارف والعمل بوساة النبي الكريم . وبعد أن زخرف وذهب الكثير من القول أقهم متولى افندي أنه يرغب في الزواج من ابنته ليتمكن من مساعدة العائلة . ففكره متولى افندي واستعمله بضمة ألام للتفكير في الأمر والتداول .

ما غامت سحابة كدر في ذاك الجلو الفرح عند ما تقرر سفر حسن إلى القاهرة لدراسة مادة القانون وكانت بين عاتلي المرحوم درويش ومتولى افندي صداقة قديمة ، وكثيراً ما تكلمت والديتان في زواج حسن من سميرة عند ما يلفنان السن اللاعة . وبطبيعة الحال لب حسن وسميرة سنوات طويلة مع بعضهما . وكانت بينهما لغة عتيقة فكانت تراح إليه ويرتاح إليها ، كانت تحسه بطفها وخنائها وتحسها برأيتها واهتمامه ، ولكن حدث أن قل الاختلاط والنمازج رويداً رويداً إلى أن امتنا تماماً عند ما شيا وكبرا . وربما كان ذلك استحياء منها أو عن رغبة والدة سميرة التي أدت أن تحجزها عنه فأصبح لا يراها ولا تراه إلا من النافذة ويقنمان يتبادل ابتسامة حلوة وبمض إشارات خفيفة يختلسانها من وقت لآخر . غير أن ذلك لم يمد بروق الحسن إذ ازدادت رغبته في الاكثار من رؤيتها ولم تلبث الرغبة أن اقبلت إلى لفعة فكان يقضي معظم أوقاته إلى جانب النافذة وزاد في لفعة شوره بدو يوم الرحيل . وأخيراً نفذ صبره فراح إلى أمه يصارحها بما جد في نفسه من شعور وسألها أن تخطب له سميرة حتى يستطيع أن يجالسها ويتم بقربها ذهبت أمه في اليوم التالي إلى بيت سميرة وترجيع الكثير من الدكريات الماضية طلبت يد سميرة لابنها فأبست والدة سميرة ابتسامه اللدل وعذرت بقولها أنها ما زال صابرين وأن أمام حسن مرحلة كبيرة قبل أن يدخل في طور الرجولة العملية . رجعت الأم المسكينة بالجبر الذي تلقاه حسن بالصبر ثم حزم أمته واستعد للسفر . وكانت وقفة طويلة بجانب النافذة ودع فيها سميرة وداعاً طويلاً مؤثراً أجرى دموعهما التي تمت من حب عميق باض وورخ في قلوبهما الفتيين الطاهرين

ولند إلى مدحت بك صاحب البيت الأول

تجمع جانباً من محلول البود — ذلك السائل الذي يريح الناس على أى حال ، فأما بالشقاء وإما بالموت . وانتابت سميرة إغفاءة طويلة كانت أبلغ احتياج على قسوة القلوب الجافية ، وعان منها والدها ضعف الأساس الذي قامت عليه أطامتهما وحقارته . أما الناس فمزوا انتحاره إلى خبيته اللدسية وأما أهله وأهل سميرة فنقدم الخبر اليقين وقد حرصوا كل الحرص على أن لا يفتشو وبذبح ... غير أن حسن لم يمت إذ أسفنه طبيب بالسلاج وأنجاه من غخاب الموت غلص من موت جسماني ليقى في موت قضائي . وقال الناس : انتصر الشباب على الموت وعوفي حسن . والحقيقة أن جراحات نفسه كانت دامية نزاعة لا ينفع فيها طب طبيب

وفي ليلة علمت سميرة بتحديد يوم الزفاف فانتابتها رعدة ثم ذهول أشبه بدعول الفريسة بين يدي الوحش الكاسر قبيل اقتضاضه عليها والنهاسها . فانسابت إلى عرقها وأطلقت دموعها العنان . وجأة رفعت رأسها إلى السماء تستنصر العين الصاهرة التي لانام . وإذا ذاك وقت عيناها على نجم لامع فوق العرفة التي بها حسن وخيل إليها أنه خفق خفقتين فهدأ روعها وحل قلبها هدوء وسلام وأسلمت نفسها الذبد للنام وقبل يوم الزفاف بأسبوع واحد ، كان اليوم ينسب في الليل نيماً مؤثماً متقطعاً وفي الصباح انطلق صراخ وعويل من المنزل الأول ، لقد توفي مدحت بك بسكتة قلبية أدركته وهو في فراشه يحلم أحلامه اللذيذة

تحت المجرة وانجلت المادة عن انحدار ثروة عظيمة لسميرة ، إذ ورثت ثلاثين ألفاً من الجنيهات عدا القطار . وما هي إلا بضعة شهور حتى عقد لها على حسن ثم انتقلت به وبماثله إلى القاهرة وساعده على إتمام دروسه وعاشا سعيدين في ظلال الحب

محمد بهجت

ولم تطل الدواولة بينه وبين زوجه فقد بدت لها قصور الأمانى شائعة وقررا أن يزوجا سميرة من ذلك الشيخ اللثنى . وبعثا حاولت سميرة أن تقنعهما بحطل رأيهما الذي بنيه على الطمع لا على ما يحقق سمادتها الحقيقية ، وأن الأمر أمرها هي فلم يصنبا لها وأفهماها أن الإرادة إرادتهما . فأذعنت واسلمت نفسها للألام والأحزان .

وعلم حسن بالأمر فزاد همه وفترت همه واضطرب حاله فلم يمد ذلك الطالب النابه البرز بل رسب في الامتحان وتلكه يأس شديد خيل إليه أنه سيقضي على مستقبله بعد أن تبدد حلم شبابه . وعاد إلى الاسكندرية لتقصاء العلة السببية . وكانت أياماً سوداء تجرعت فيها العائلة غصص الأحزان واستسلمت إلى يد القدر القاسية التي راشتها بسهام الألام إلى أن تكسرت الاتصال على الاتصال ... وفي مساء يوم جميل بنا منزل متولى افندي في أبهج زينة وسطعت منه أجمل الأنوار وتمت فيه كتابة العقد واستمر السرور الكاذب إلى ساعة متأخرة من الليل ... وكما يبدو سطح الماء صافياً بينما السكدر راسب بالقاع ، وكما يحمل المسمل السم الزعاف بين جزياته الحلوة ، وكما تبدو الشوهاد جميلة من وراء النقاب كذلك بدا ذلك المرض الذي قام على فئات قلوب سحيفة . ولورفع متأمل ليلتذ بصره إلى شباك المنزل المجاور لأبصر شبح حسن منهتما كأنه كومة بشرية برنو إلى تلك الأنوار فيخالها تخرق من سراج حياة . وما أن انطفأت الأنوار حتى رفع حسن عينيه المامتين إلى السماء يستصرخ تلك العين الساهدة التي لانام . وفي هدأة الصباح وقبل شروق الشمس بقليل سمع صياح وعويل ففرمت . سميرة وهزولت مع من هزل من أهل المنزل إلى النافذة وهناك كشفت الحقيقة عن وجهها البشع وبدت مخيفة مؤلة . لقد انتصر حسن !

من الأمانة والميسرة

الفصول والغايات

للفيلسوف الشاعر اللطيف

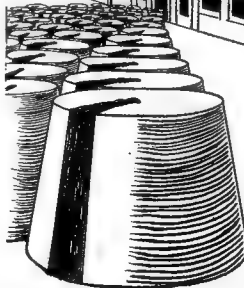
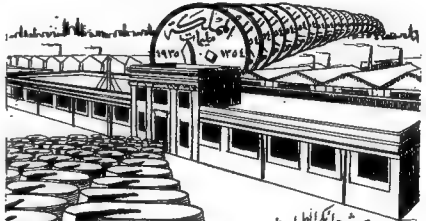
أبي العلاء المعري

طرفة من روائع الأدب العربي في
طريقته ، وفي أسلوبه ، وفي معانيه .
وهو الذي قال فيه نافقو أبي العلاء
إنه طارض به القرآن . ظل طول هذه
القرون مفقوداً حتى طبع لأول مرة
في القاهرة وصدر منذ قليل

صححه وشرحه وطبعه الأستاذ

محمود عيسى زكائي

تحت ثلاثون قرشاً غير أجرة البريد
ويطلب بالجملة من إدارة مجلة الرسالة
ويباع في جميع المكتاب الشهيرة



لاحظوا هذه الماركة

طربوش القرش : الذي ساهم جميعاً بجهودكم وقروكم في تأسيس طراش
طربوش القرش : الذي فاز على طراش الجنبه
طربوش القرش : الذي شتهر ونه يحفظ أُمركم في بلادكم
طربوش القرش : هو شعار الوطنية وناج القومية
محمّد على فوه قلعه محله قها

٣٥ ٣٠ ٢٥ ٢٠ ١٥

خامات فاخرة - صبغة ثابتة - نسيج مضقول

تحسينات متواصلة - أسعار معتدلة لمحلاة

صناعة مصرية صميمة

إنتاج
مصنع القرش للطراش وعزال الصوف

رفائيل

شاعر الحب والجمال لامتريين

مترجمة بقلم

أحمد عيسى الزيات

تطلب من لجنة التأليف والترجمة والنشر

ومن إدارة « الرسالة »

الرقم ١٢ قرشاً

الشمس لم تكن قط أشرق منها في هذا
النهار، ولا أبهى روعاً ولا أبهر لآلاء،
ولا كان للنسيم أروح قط منه في هذه
الساعة ولا أبرد على الأكباد ،
ولا أندى على القلوب ، ولا أنش
للأرواح والأبدان . وبينما يرتقيان
مع الباب الآخر ، يصفان المجاديف ،

خيل إليه أن حديقة يلكور ،
قطعة من راض الجنة، وامتلاً قلبه
سروراً وجذلاً لمنظر الأرسفة
والهكك والباني القائمة على ضفاف
النهر مثل باليه رويال ، ودير
لاشارتي حيث كان قد شرع
في بناء الجسر الفاخر الجديد ،
ويرج كارز جوييه وقصر
الحرية ، ومنظر نهر الرون
تتلاً صفحاته روعاً ويتهوج
متنهيقاً يضاحكه حاجب الشمس
وتلاجه الأشعة، قد ازدحت على
صدره القوارب والزوارق —
هذه المناظر الجملة المختلفة أضمت
قلبه فرحاً ، وهزّت أعطافه
مرحاً .

ولا جرم أن يطرب لأمثال

ذلك المنظر حديث العهد بالسجن ، قد لبث
طويلاً في ظلمات وحشة يضاعف ظلها سواد
همومه وأشجائه... وما زال يستحان القارب
ارتفاعاً في النهر ، حتى انتهى إلى قرية كولانج

مريم الخديجة ... بَعْدَ ثَلَاثِينَ عَشْرَ قَرْنًا

لِلْكَاتِبَةِ الْإِنْجِلِيزِيَّةِ " بَارُونِس أُوْرْزِي " .
بِسْمِ الْإِسْتَاذِ مُحَمَّدٍ ذَلْفِي جَمْعِيَّةِ

تعريف بالقصة

بارونس أُوْرْزِي أو البارونه
أورساي Oresy من أشهر كاتبات
القصص في اللغة الانكليزية . نبيلة
بريطانية ، مختلطة الجنين الفرنسي
والسكوتي ، تسلست من بلاد
فرنسيس هاجروا إلى إنجلترا أيام
الثورة الفرنسية ولما اتخفت موضوع
الثورة وحياة فرنسا وانجلترا لحظم
قصصها ومنها « الزهرة الفرزية »
سوف أسدد دفتي ، المهورادو .
وقد اتخفت بيرتل رمزاً لشخصية
ففي محبوب جعلته بطلا لكثير من
قصصها الطويل في محاضرات النبلاء
أثناء الثورة . وهذه القصة التي نتناولها
إلى الرعية تحكي تاريخ فن فرنسي
أرست كثرلو ، يبحث عن سرهيق
لفاء سر آخر ، يبهه لمن يهدي إلى
سر موهه وفيها وصف جميل
للأصناف والمزويوت وتحليل للأخلاق
والنفسيات وعن منقورة في مجموعة
محاضرات بيرتل
(The adventures of the scar-
let Pimpernel.)

لما خرج أرست كثرلو من
سجن لاجبوتير بمدينة ليون
في أصيل يوم ١٤ مسيلور من
السنة الثالثة للثورة الفرنسية ،
كان الخادم صاحب الرداء الرسمي
البنفسجي ذي السجاف والطراز
الأخضرين ، في انتظاره ، فتناول
هذا الخادم أمتعة الفتى أرست ،
وكانت ترزة يسيرة ، ثم خرج
به من ذلك المكان المنكر سجن
لاجبوتير ، وسلك طريق
راه بارديني ، إلى ضفة نهر الرون
عابراً ذلك الجسر الحجري المتين ،
الذي صرت عليه جحافل
الصليبيين في طريقهم من قلب
بيرجندي ويبرجونى إلى رومة
ومالطة ، فالشرق الأدنى للحاربة

العرب ، أنبأ صلاح الدين الذي تطلب على
معظم أسراء فرنسا وانجلترا... فاستحضر الخادم
قاربا ، فركبها وارتقا في النهر إلى قرية كولانج ،
وجعل أرست كثرلو في أثناء ذلك يحال أن

وأشرف موضع كانت ترى صورة السيدة النبيلة الكوته إزابل دى كاييت بريشة الملح فافيد. ذلك الصور النابع الذى امتد به أجله حتى رسم بريشته تصاور نابوليون وجوزفين بوهارنيه وجسم الأسماء والأميرات من أسرة بوناپرت ، بعد أن رسم تصاور دانتون وروز بيرومارات وشارلوت كوردائى . وقد قيل فى ذلك الحين إن هذا الرسام الذى لا ضمير له ولا كرامة (كذا وما أنا إلا ناقل) قد دنس ريشته بتصوير أوغاد الثورة ، بعد أن شرفه الملوك بنقش صورهم ١١ ولكن دافيد كان طوال حياة مفلوكاً متصملاً ، لا يبالي شيئاً فقد رسم صورة مارى أنطوانيت وصورة جوزفين بوهارنيه ، وجمع بين اللوحين فى بهو مرسمه وقال لصديقه جوراندى « هاك سوزنى داهرتيت ممتازتين ، الأولى أوصلتها العظمة الامبراطورية إلى الفجر والنسوق ، والثانية أوصلها الفجر والنسوق إلى العظمة الامبراطورية » وقد نقلها جوراندى إلى زجال الحكم وإلى ذلك الغاية كاليران ، فمزكته وقال :

« دافيد طالما ، وأنت نقلها إلى ؟ ملام تربدى أن أفضل ؟ إيه مفن ، وكل مفن مجنون ، أترانى أقدمه للمحاكمة . إن عهد فوكيه دى تنفيل قد انتهى ، الحكمة الثورية قد غفلت أبوابها ... ولكنى أستطيع أن أعمل شيئاً يسرنى ويسره ، أى دافيد ، وهو أن ...

فقال له جوراندى : ما هو ياموسيو كاليران ؟ فقال : سترى عما قريب . ثم صرفه ولم يكيد هنا الصديق الخائن يبلغ باب الديوان ، حتى أصر كاليران بالقبض عليه بتهمة التجسس ... لقد صرحت

الحساء ، الضمعة طائفة عديدة من منازل بدية رفيعة للأشراف والسادة ، الذين عملت الثورة على تقويض مجدهم وهدم صروح عظمتهم وتبديد ثروتهم ، ومصادرة أملاكهم والقضاء على مظاهر قوتهم ، بعد أن ظلموا الرعية وانتهكوا الحرمات ، ونادوا بكلاركهم على صدور الأمة فامتصوا دماءها واستبدوها وهم أجراؤها وخداسها . وكان هؤلاء السادة من الأعيان والأستقراطية ، وعبيد الشهوات وسدنة هياكل المال قد تعلق منهم بأذيال الفرار من تعلق ، واختبأ فى خفايا القصور المتينة من اختبأ ، وما كان يمر على الظهور منهم إلا المسلح المدرع الذى يستطيع أن يدافع عن نفسه . أما خدمهم فكانوا يسرحون ويمرحون ، ولا جناح عليهم ، لأنهم من طبقة الشعب ولا يتميزون عليه إلا بآثار النعمة البادية عليهم . كذلك الخادم الذى كان فى انتظار أرنست كنزلو بساحة السجن ، فى عصر ذلك النهار . وكذلك وصلا إلى دار النبيلة الكوته — وهى دار بهيجة جديدة ، إذ كانت من منشآت العام الأخير من حكم لويس الرابع عشر ، وهى فى الصف المواجه للهر ، وراءها بستان أنيق ، وهى تشرف على مشهدين جيلين ، أحدهما لقاء بواساك والثانى ناحية سان بول ، حيث يقوم القصر الفخم العتيق — قصر البرنس بوربون

فى بهو الكوتيس أبصر أرنست كنزلو بعض تلك الصور التى كانت فى قصر جرانغولان ، والتى قد نقلها السيدة النبيلة إزابل دى كاييت إلى دارها الجديدة عقب وفاة زوجها — وهو والد أرنست كنزلو — من امرأة من الشعب . وفى أخص مكان

هذه الخواطر برأس أرنت كترلو الابن الطبيعى
 لزوج الكونتيسة إيزابيل دى كاييت فى حياة ربة الصيد
 «ديانا» عليها سارية صفراء ، وفى يدها قوس ،
 وعلى جبينها هلال ، وحوّلها كلاب تنب وتفرح .
 وكانت هذه الصورة قد نقشت أيام كان المشاق
 اللوكيون يتوددون إلى ربة الصيد المندراء (إيزابيل)
 فيلقون عندها منزلة وزنى .
 وكان أن الالهات لا يشين ولا يهرمن ، بل
 ينعمن بصبيّا دائم ، وشباب سرمدى ، فكذلك
 ما برحت هذه الالهة (الكونتيسة إيزابيل) إلى يوم
 وفاتها تعتقد أنها لم تكبر قط ولا كان للزمن أدنى
 سلطان على شبابها ، وهكذا لبثت طول عمرها ترى
 أن الصورة لا تزال تمثّل بحسبها وتمثّل جمالها
 كان أرنت كترلو يريد الرقوف على سمولده ،
 وكانت السيدة تريد الرقوف على سر مقتل زوجها ،
 الذى كان القنّى بسببه سجيناً . بعد أن سبق أرنت
 كترلو إلى حجرة السيدة بواسطة خدم النرفة ،
 وانتظاره هنالك المدة التى تقتضيها مراسم التشرّفات
 وآداب الزيارات ، تزلت الالهة «ديانا» إلى الظهور
 للقنّى ، فجاء يتقدمها زنجى أسود فى زى الأتراك ،
 أحمر الخدّاء فى عنقه نطوق من الفضة منقوش
 عليه شارة التيكوتنسى ، وهو يحمل وسادة السيدة
 ثم تبعته وصيفها وجاء بعد ذلك طائفة من كلاب
 الصيد ينبحن ويمرحن أمام الصائدة ذات الجلال
 والعتامة . ثم أقبلت السيدة الكونتيسة ذاتها تترصّون
 الطيب الثمالية ، وفنون اللبى والشذا ذات البين
 وذات الشمال . وما زال أرنت كترلو يذكر منذ
 طفولته أرج السلك الذى كان يفرح ويتضوع
 من أردان زوجة أبيه

وكما أن الأفق الغربى يزداد حمرة كلما ازدادت
 الشمس دنواً من الشيب ، فكذلك كنت ترى
 السيدة الأرملة يزداد خدّها حمرة كلما ازدادت دنواً
 من أجلها ، فطد كان وجهها يتوهج بالدهان
 الفرمزى الذى كان يضاعف وجهه بياض ما يجاوره
 من الطلاء وكانت تلبس من الشعر ذلك النمط المجد
 للسلسل الذى كان مألوفاً أيام الملك لويس الرابع عشر
 وكانت حينها تترك من وسط هذا البناء العجيب
 المركب من شتى أنواع الدهان والصبغة والطلاء .
 وحى ألوان من الأكاذيب . وإن البيت الذى يحمل
 فى وسطه هؤلاء السادة والسيدات ، لجدير
 بالاضمّ بين أكنافه إلا ضرائن مناققين ، لأم
 لكل منهم إلا أن يكذب على صاحبه ويظهر له غير
 حقيقته . فالزوج يكذب كلما استقبل الأضياف بوجه
 باش قد ارتسمت عليه ابتسامة اللعارة أو الجمالة ،
 والزوجة تكذب وتنفض على القنّى وتسبغ الشجى
 وتظل طول حياتها فى كذب مستمر . تكذب على
 زوجها وشريك حياتها وقسم روحها ، وتكذب
 إذا أحست طفلها الصغير باحترام أبيه العزيز ، وتكذب
 إذا أكدت لأبيها أنها فى هناك تام وعيش سعيد ، والخدم
 أيضاً يكذبون كلما تظاهروا بالخشية والخشوع وهم
 ماثلون وراء كرسى مولاهم ، وكلما تنافلوا عما يقع
 من النزاع تحت أصيبتهم . وكذلك يقضى القوم
 حياتهم من مطلع الشمس إلى موعد النوم فى كذب
 ونفاق ، ثم ترى أدماء الحكمة يمتدحون ذلك
 الرأى الأبدى ، ويسمونهم مراعاة لأداب المباشرة
 واحتفاظاً بقواعد الجمالة . أما الصدق والعراقة
 وقول الحق فليست مثلاً صالحة لحسن المباشرة
 ولا قنوة طيبة لاستقامة المعيشة ، وبسبب هذا

ويبدو من إعلان مار كيز ديلا مورا عنهم على الرحيل ، وكان مضيق الكونوت أثناء ذلك بنامه بتأديب متكافئ متصنع ، لا شك أنه يخالف ما هو مسموع فيه من الصراحة والتبسط ورفع الكفة ، بيد أنه لم يكن هناك ما يدعو إلى الظن بأن هذين النبيلين قد اذترقا على غير الصداقة والاخاء

ولكنهما افترقا على شئ كثير ، وحقد دفين ، وثار أشعلتها النيرة الحارقة ، فان النيرة متى تفتت لم يكن في طاعة الأفقون أو الرفيق ، بل ولا في طاقة كل ما حوى الشرق من الحضارات والمساكنات أن تطفئ حديثها أو تطفى جنوبها

فقد اجتمع الكونوت والمركز واتحدا سبيكا للقتال تافها غقيب المشاء والسرح واللب بالورق .

فنادوا على مركبات تسعم وأصدقاؤهم وشهودهم ، وحسوا في آذان السائقين بالانطلاق إلى بستان رأس الذهب — يارك نيت دور — فلما بلغت ذلك المكان نزلوا إزاء حانة — فولي كايير — وكان الوقت منتصف الليل ، وقد هدا الناس في مضاجعهم ، ولم يبق من الأوار إلا أشعة قليلة تلمت من نوافذ بعض المنازل . بيد أن الليل كان زاهي النجوم ، والسماء صافية الأديم ، ولم يكن التنازعون يحتاجون إلى أكثر من هذا لقضاء وظرف الويل ، فدخلوا البستان ولبت السائقون في خارج السور بحرسون البوابة خائفين أن يزعم الاجتماع بعض الناس بأنه لم يعض أكثر من دقيقتين حتى سمعت سبيعة من السائقين الواقفين خارج البستان يدخلون « شقائهم » ويشكثون على السور ، وهم يراقبون سير التنازع في داخله ، فلم ارتدت كثر من تلك الصيحة أنه قد وقع خطب جسيم ، فنادوا ملتفتا ثم انطلق يدعو

للتناق وقت أغرب حوادث هذه القصة ثالث الكونوت دى كاييت وهو فقيد الكونوت إزابيل وبطلها كان قد استقبل في داره مركز ديلا مورا وضافه وأكرم وقادته أياها طوالاً وهو يعلم أن هذا المركز الماحن قد انفصل عن زوجته وقد وقع له كثير من الحوادث التي لها مساس بالمرض والشرف ، وكان السبب فيها النساء كما هي العادة . وقد لحظ النيكونوت كاييت حديثاً دار بصوت خافت بين شقيقه وبين قريبته إزابيل ، فلما بهتتما رب الهمار (الكونوت كاييت) انهر زوجته قائلاً : « قبلك الله أيها الأفي الصغيرة ، أخرجي من الشرفة ! »

فصاح المركز ديلا مورا قائلاً :

إني غيبرك يا كونت عما قالته لي زوجتك ، ويعلم الله أني لا أكذب في حرف واحد منه . لقد تضرعت إلي ، وعيناهما مملوءتان بالدمرات ، في الاتلاع عن ملاعبتك أمام الزهر أو الورق ، وأنت أعلم وأدري هل ذلك السؤال في مصلحتك أو في غير مصلحتك

فقال الكونوت كاييت بصوت يابس جاف : « لا شك أنه كان في مصلحتي يا مركز ! ولا شك في أنك مثال الانسان الكامل ، وإن الدنيا لتسلم أي قديس طاهر أنت ! »

فقال المركز : لست بقديس ، ولست أنت شيطانا ، ولكن إصرانك ملاك

فقال الكونوت : والله لأحسبك على هذا فاعترض المركز ديلا مورا قائلاً : حقاً يا كونت إن المصائب في إبهام قنمه بالنقرس ليمجز عن الجرى وراء نساء غيره .

أريد تكدير صفاء أحد قط ولا إقلاق راحة إنسان ما . فان ورتة الألقاب والثروة الآن كالوا أكرم أهل ودي ونسقى وما نتمدوني بسوء قط وحاشام فصاحت الكوثة إيزابيل : إننى يا ودى لم أعرف الحقيقة إلا قبل وفاته بضعة أشهر . وقد زادنى ألما أنك سجت بسبب مصاحبتك فى تلك الليلة ولا بد أن يكون بعض الفس عرفوه من سبيل الاعتراف

فقال أرنت : عليك الآن يا أه ... يا زوجة أبى الكريمة أن تكشفى لى عن سر مولدى ، فدقة بدقة ، وسر بسر !

فقال : لقد خضت عن أسر والدتك ، لأعرف أحمى على قيد الحياة أم لا ؟ وقد خبرنى الأب كايان فى آخر زفرات حياته أن والدتك ماتت منذ أعوام عدة ، ولا شك عندى فى مقاله . فقال أرنت : لست أدرى أفى طائفت إبنات الزواج الذى عقد بين أبى وأمى ، على أنى ما كنت قاعلا واستلمت ، إذ لا أحب أن ألوث اسمك بالخرى ، أو أسوق المم والكسد إلى من أكرموى . فاعلمى أيها السيدة أن ابن أبى لن يضاف ما نالك من أذى والده ، فانى أرمته ، وامنحوى برك وطفلك فهو كل ما أرجو ليدىك ، ولن ترينى أذكرك ذلك الأسر بمد الساعة

فصاحت الكوثة بالإنجليزية ، وكان دأبها أن تنطق بها كلما احتاجت عواطفها ، لنشوتها فى بلاط الملكة حنة ، ملكة إنجلترا أو إيرلاندا « والله إنك لشريف الطبع كريم السجة » فقال أرنت متحكما فى خشوع وتواضع : « ذلك ياسيدنى البارة ما يقتضيه مقامى . إن فى الدنيا أمانسا

إلى حيث وجد الكونت كاييت (زوج الكونتس) صريبا على الأرض ، وكان الماركيز ديلا مور واقفا عند رأسه يقول بصوت أجوف : « هل أصابك جرح بليغ يا كوت ؟ »

فقال الكونت وهو طريح فى مصرعه :

— أحسبى بين يدى النية

فقال الماركيز ديلا مور الذى أصاب من الكونت كاييت مقتلا : لا قدر الله : لا أحسب الأمر كما تظن : إني أخبرك والله على ما أقول شهيد : باني كنت حازما على الناس عنفوك لو أنك أعطيتى فرصة للتماسه . إن سيدنى الماركيز بريئة من كل .. فقال الفيكوت المسكين وقد نهض متحاملا ، واتكأ على مرقتة : صه صه : إن النزاع الذى بيننا لا يتمدى هذه الوريقات ، نعم هذه الوريقات الملمونة (مشيرا إلى أوراق اللعب) وهنا وقع مشبها عليه ، فاستحوذ الرعب على الجميع وحسبوه قد فارق الحياة ، ولكنه لم يكن مات فتقل إلى أحد الخانات السامة ليلفظ أنفاسه الأخيرة

وهناك أشار إلى الجميع إشارة ضعيفة بترك الفرقة ثم قال لأرنت كنزلى :

إذن فانصت إلى اعترافى وأما على فراش الموت فسألته الكونتس للنبية : فانا قال لك ؟

قال لى : إنه أبى ، وإننى ولدت له من امرأة من غمار الشعب ، وهأنذا أظلمت على ملازمات وقاه ، فأطلبينى على سر مولدى . فصاحت الكونتس : أشهد الله أنى بريئة من ذلك الاتم فقد حل بك وبأمك رحمة الله ظلامه جسيمة ، وإن أبك الخبيث هو الذى ... فقال أرنت متما : الذى جلب هذا النار على أسرتنا ... أعرف ذلك حق المعرفة ولا

عظامهم سوس الكبرياء والأثرة وحب الذات . فهنا
الفضل راجع للأمر حتماً ، لا للأب الذي عرفته
خبيثاً ما كراً

ثم اعتنق الكاهن المؤدب تلميذه القديم وجعل
يهتف بكثير من عبارات الإعجاب والاستحسان
قائلاً : إن أرنت فتى شريف القلب نبيل النفس
وإنه يقتدر بتلميذه وسديقه وقال له : إنه كان يود
أن يهديه إلى الكنيسة الحقة الواحدة التي ينتسب
إليها الأب وأن يدعجه في سلك أشرف الجيوش التي
حارب في صفوفها الإنسان — يعني طائفة اليسوعيين
التي تضم بين جنودها (كما يزعم الأب لامبير)
أعظم الأبطال الذين دبروا على آدم الثبراء — أبطال
شجعان لا يهابون شيئاً ولا يسجرون عن احتمال
شيء ، يقابلون الجيش المرمم بقلوب أيّدة
ولا يخافون لقاء الموت مهما أفزعته سورة — جنود
بأساء ، قد حازوا من الانتصارات ما يكشف لألاؤه
أبهر فوز أحرزه أبرع القواد ، وغزوا للدائن
والشعوب حتى خرجت الأمم ركماً وسجوداً بين
أيدي لوائهم المقدس : الصليب ! واكتسوا من
برود الجهد وأكليل النصر ما هو أسمى وأبهى من
أشرف ما تطله أعبد الفاتحين في الأرض ، تيجان
من النور السرمدي ، وهالات من البهاء الأزلي ،
وآرائك في أرفع مقامات الفردوس

فشكر أرنت لسديقه القديم ومؤدبه ومعلمه
الأب لامبير اليسوعي ، حسن رأي فيه وإن كان
لا يشاركه في تحسه لمذهب الجيزويت ، ثم قال وقد
أمسك يد صاحبه :

« لقد فكرت في هذا الأمر أيضاً يا أبي العزيز ،
فهم لقد فكرت في هذه المسألة وحللتها لنفسى ،

طالما وعدت أن أبذل في سبيلهم روحى جزاء ودم
وحناهم ، أفليق بعد ذلك أن أعديهم وأشاحتهم
من جراء لقب ؟ وماذا على أن يكون ذلك اللقب
لى أو لهم ما حاقم في الأسرة ؟

فأجهشت الكونتيس بالبكاء ، وضمت أرنت
إلى صدرها وأغدقت عليه من النعم ما أنساه ألم
الذكرى والتفكير في والده وما الكونت العظيم ،
و « السوقية » التي حملته في أحشائها ووضعت ولم
تستطع إرضاعه ، ولا العناية به ، ولم تقع بصره عليها
وهو يدرك أنها أمه . ثم قالت له الكونتيس : أعلم
أن الأب لامبير المشتكف الآن في دير نوتر دام
دى فورفير ، بأعلى هضاب المدينة هو الوحيد
العالم بمصير الرحومة والدنك ، وقد وكنا إليه
تهديك في العصر ، فأقم ما هنا معنا أياماً ، حتى
تستجم من وعاء السفر

فقال أرنت للسجن ... أو للسفر ، شيء
واحد ثم ندعوه إليك ، فيقص عليك أنهاء العادقة

ولكن أرنت : لم يجد صبراً فاستأذن الكونتيسة
وسار قدماً إلى الكنيسة ، بعد أن خلع ثيابه وترى
بأزياء الصماليك الذين وصفوم في الثوردة بمدعى
السراويلات « صان كيوت » ولما بلغ باب الدبر
واستأذن على الكاهن الشقيق أخبره بكل ما وقع
وأخبره إليه أنه قد اطلع على أسرار أسرته وسم
على عدم إفشائها ، فأكره ذلك في عين الكاهن ،
لما أبداه من الايتار وإنكار الذات . وقال في نفسه
عجيباً إن في هؤلاء المجهول الأصول ، وأولاد الطبيعة
والأبناء غير الشرعيين من يسمون بمكارم أخلاقهم
درجات فوق أدمياء الحسب والنسب الذين نحر

الناسية المجزوزة أو الصغار المتهددة

وأمحمد النفيس وصاحبه الفتى أرنست كزولو من أقال نورفير إلى ضفاف نهر السون ، الذي يجري للقي له مع نهر الرون في طرف المدينة النثرى حتى بلنا أقصى حى كروا روس وجادة جيراف ، إلى الشارع الذى كان يقيم فيه أبوه والذى ولدت فيه أمه على ما يعلم . ثم قال له : كانت أمك من أهل هذه هذه المدينة ، ففي سنة ١٧٧٥ قدم أبوك ههنا في حاشية الملك السابق فتمرف أبوك (وكان لا يزال ضابطاً في الجيش ولم يرث لقب الكونتية الرفيع) بأمر وطاردها حتى أوقعها في حبائل غرامه وقد أخبرني في كثير من أحداثه ، وكنت أشعر يومئذ بأن الواجب يقضى على بكلمتها أن تلك المرأة كانت رحيمة القلب كثيرة الصلاح ، حجة الوفاء رقيقة المواقف ، وله الحق وله المنطق أن يتجمل ويستحى من مسلكه في معاملتها ، وكثيراً ما أحرب لي عما يقدح في قلبه من صريح الندم ، وما يحز في ضميره من خالص التوبخ على ماساهم إياها من سوء العذاب كما كان يحدثني عن صفاتها الجيدة وخصالها الكريمة بلهجة تنم عن الحنان والحبة . وقد اعترف لي أنه كان يفرط في إسائها وأن حياته يومئذ كانت سلسلة من مخازي النفس والمقاصرة والفقر . وفي ذلك الوقت حملت بك أمك . فلما انكشف السر لوالديها لعناها وطرداها ولكنها لم تنف من جلب لها التماسه والخراب ، إلا ببرأتها للنسبة من مدامها الآتية وبما ارتسم على محياها من آيات الشقاء . وكان اسمها جررود كزولو . فأنت منتسب إلى جدك لأماك . وهذا هو السر في حملك هذا القلب الذى لم تكن تعرف علة اقترانه بأهلك . ولم يرض على موته قليل

كما يقضى لكل امرئ . أن يقول ، وإنى لبازل جهدى في سبيل الحق والخير ، وإنى لأعطي الله من حسن الطاعة وصدق الايمان بحسب طريقي مثلاً تطليه أنت بحسب طريقتك .. إنى لا أستطيع التصديق بأن القديس فرنسيس جافير قد قام فوق الهم بعبادته ولا أنه أحيا الموتى — لقد حاولت جهدى تصديق ذلك فلم أفلح . ولقد أوشكت ذات مرة أن أصل إلى حد اليقين ولكنى لم أستطع . فدعنى أنتمس الحق وأطلب الهدى وأسأل الله الخير من الطريق الذى أنهجه لنفسي

فجمل النفيس يتهد لتنادى تليذه في الجهل وإسراده على الضلال . ولكنه لم يمنعه عبته وعطفه . وكان توفيق عرى الصداقة بين الأب لاميير وأرنست كزولو قد شجع هذا الأخير على سؤال صاحبه عن طرف من تاريخ أمه المسكينة تلك التى طالما كان يهتف بها في أحلامه والى لم يرها قط في حياته . وشرح الفتى أرنست للأب لاميير ما جرى قبيل مقتل والده وبسده ، وذكر له العهد الذى قطعه للكوته والأسرار التى وقف عليها ، ثم توسل إلى الأب لاميير في إطلاعه على ما يعرفه من أبناء تلك المرأة المسكينة التى انتزع من أحضانها

فهض الأب الجيزوبى وتزايى « أحد مندوبى الشعب » كوميسير دى بيل — وهو يقول : اطم يا بى أن كل أزواج التنكر جائزة في سبيل الدين والولاء والصداقة . وكل أصناف الملابس جائزة — حمراء كانت أو سوداء لا فرق بين الشارة الثلاثة الألوان التى أهلها وأنا أمقتها ، وبين الشارة السوداء والشارة البيضاء ، كما لا فرق بين القبة المحلاة بالوشى والقلموسة ذات الزفر المريض التى تلبس فوق

على بال والدتك المسكينة أن ما جاء في هذا الخطاب من الأبناء قد يكون غافلاً للصدق شأن سائر أحوالها معها . وقد طلب إليها أحد الشبان الذين من طبقتها — وكان يعرف كاريخها — أن يتزوج منها ويبتاعك ويسميك باسمه ، ولكنها أبت . وتعرضت بذلك لنصب أبيها وسخطه وكان قد آواها في بيته حيث ما برحت تعاني منذ سقوطها سوء المذلة وقسوة العاملة ، وحيث كانت لا تجرؤ على رفع رأسها استكانة واستخفاء ، فرثت لحالها بعض السيدات الصالحات من معارفها ورببت لها مماشاً يسيراً فنصبت الفتاة إلى أخذ الأدرة ، وعهد بك إلى إحدى الحاضنات إذ كانت أمك من شدة الشف والمزال بحيث لا تستطيع إرضائك . فهل لك الآن رغبة في مشاهدة الصليب المنسوب على لحد الرحومة والدتك في مقبرة الدبر ؟ إن رئيسة الدبر من أتباعي الأتقيين ، وهي لا تزال نحن إلى ذكرى الراحبة مريم ماجدلين ، وهو الاسم الذي اتخذته والدتك في رهبانيتها ، أما حقيقة اسمها فجرود كزولو

في أوائل يوم من أيام الربيع الصحابة للشرق ذهب ارنست كزولو إلى مقبرة الدبر فأبصر بين آلاف من الصليبان السوداء وأقيانها الممتدة على الآكام الخضراء ذلك الصليب المخصوص الذي تضطلع تحته أنه في مثواها الأبدى . لقد تسمى بهذا الاسم (أعني مريم المجدلية حوارة السيد المسيح وغلامته الثابتة) كثير غيرها من أولئك البائسات الرافدات في تلك الضاحك وما هو إلا الشمار الذي ومنهن به الأحران والرمز الذي يشير في لطف ورقة إلى ما كابته من الحب والجوى .

(٤)

حتى ملّ عشرة الفتاة التي سلبها عنها وهنأها . ووصل إليه في ذات يوم مبلغ من النقود أرسله إليه عمه مولاي الفيكونت السابق (الذي ورث لقبه بـدوقاته) فأدعى أن لديه أشغالا تنظره إلى الرحيل إلى باديس ثم أكد لأهلك الوائيق بوشك إياه ومن ذلك العهد لم ير وجه المرأة المسكينة قط فتهد ارنست كزولو الذي جدت عيناه ، وكاد أن يتفجر من الغيظ : تباً ل هؤلاء الأشراف ... وتباً لرجال الكنيسة الذين يعبدونهم ويستونهم على التناهي في الفساد . ألم يكن في مقدورك أيها الرامي الصالح أن تنصحه بالمقد على أي تلك المسكينة التي ذهبت نجيحة غروره وشهواته؟ وهأت ذا تنفجع عليها وكنت تمك إقناعه بتصحيح موقفه أمام الله والكنيسة ، دع عنك المجتمع والانسانية والطفل المسكين ...

فصمت القسيس ، وأطرق قليلاً ثم قال :

— لقد أقر لي أولاً في عرض اعترافه وثانياً في عرض الحديث بين يدي عمك زوجته — الكونتس دي كاييت — وإلا ما كنت مغيباً لك ما أنا اليوم ذا كره — أقول إنه أقر لي بأنه عند قدومه إلى باديس أرسل اعترافاً ضرورياً إلى المسكينة جرود (والدتك) يخبراً إياها بأنه كان قبل اتصاله بها قد تزوج من امرأة أخرى ، وبأن اسمه ليس برتران وهو الاسم الذي عرفته به وبأنه على وشك مفارقة أوروبا إلى مزارعه في فرجينيا ، حيث ما برحت لأستريح ضيقة أعظمكم إياها الملك لويس الرابع عشر وبث إليها مع هذا الاعتراف مبلغاً من النقود هو نصف آخر مائة من الجنيهات التي كانت معه ثم سأله الصفيح عنه واستودعها الله . وما خطر قط

المقبرة شرقاً فقلت مدينة ليون الزاهرة ومتاراتها ويشم
ومضات ولحات من أمور الدنيا ومترك الحياة
فتهد أرست وبكى ثم قال : ألا دعك الله أيها
الموت وحياك ! أنت ملجأ الراحة العاصنة ومستقر
السكنة العميقة ، لا تفالك أيدي المواصل ولا يزج
سكونك اضطراب القلائل ! وكذلك خرج من
المقبرة وإنه ليشرم كن كان ماشياً في قرار البحر
العميق يتلمس مواطنه قديمه بين النظام المتناثرة
من هياكل السفن المحطمة .

وعاد أرست كتزلو أذراجه إلى المدينة ، وقد
اشترى سراً بسر بعد أن اعتدى إلى قبر تلك
الأم التي لم يحظ يوماً بنائها قائلاً « أماء ... »

محمد لطفي حمزة

وجعل الفتى أرست كتزلو يتخيل أمه وقد
راحت تسكب الدمع تحت جناح الهي وهي راكبة
بين يدي ذلك الصليب الذي دفنت تحته أشجانها
ومعها ، نغم جانيك وأنشأ بتلو صلاته وما به لوعة
ولا أسى وإنما هي رهبة ملكت عليه مشاعره (قد
كان لا يهد من أمه شيئاً حتى ذكرها) ورحة
ورثاء لما كابدته تلك الروح الرقيقة في حياتها من
الآلام التي حضرت بها إلى هذا الصليب
حيث استماضت بهذا العروس السباوي من الذي
فنها واستنواها ، والنادر الذي هجرها وأشقاها .
وكان على مقربة من الفتى راهبة في قناعها
الأسود راكبة بجانب مضجع إحدى الراهبات
الرافدات ...

وكان الواقف هناك يلح من وراء جدران

مؤلفات

الأستاذ محمد كامل حجاج

- ٤٠ بلاغة العرب جزءان (مختارات من صفوة
الأدب الفرنسي والانكليزي والألماني
والإيطالي مع تراجم الشعراء والكتاب)
٢٠ خواطر الخيال وإملاء الوجدان (متفرقات
في الأدب والنقد والفلسفة والموسيقى
والحيوان وبه روايتان تشيلتان)
١٨ نباتات الزينة الشبيهة (على ياحدي وتسعين
صورة فنية)
١٥ Les Plantes Herbacées (على بنفس
الصور السابقة)

الكتاب الأول والثاني في جيب المكاتب المهمة
وكتب الزراعة تطلب من
شركة البذور المصرية بميدان إبراهيم باشا

بصير قريبا

حياة الراجعي

للاستاذ محمد سعيد العريان

الاشتراك فيه قبل الطبع ١٠ قروش تدفع إلى

إدارة الرسالة ، أو إلى المؤلف بنسوانه :

شبرا مصر . شارع مسرة رقم ٦

تم الكتاب بعد الطبع ١٥ قرشا

كثيراً ما تعرض للذل ، وإنه
كثيراً ما قطع عشرات الأميال
سجاً على قدميه في زهمير الشتاء
للغارس ! ولكن الله تعالى قد
أجابه من كل هذا ..
وكانت الفرقة التي كان فيها

سيده في مقدمة الصفوف الحاربة

التي كانت تكافح الأتراك مدى أسبوع كامل لم تقدر
خلاله الحرب ، أو بتقطع إطلاق الرصاص . وكان
— هو — يحمل جرايات سيده من شاي أو طعام
إلى مقره في خنادق القتال مجتازاً بها مسافة طويلة
في مساحة الحرب التي يسم الأذن فيها أزيز الرصاص
فكان ذلك يروعه وربما أبكاه ! ولكنه ما كان
يتوقف عن المضي حاملاً إلى سيده ما جاء له به من
مطبخ الجيش . وكان ذلك منه مدعاة إلى ابتهاج
الضباط فقد كان الشاي الساخن في متناولهم متى
اشتهوه !

عاد « سيمين » من الحملة سالماً لولا أن كان
أسابه مرض مؤلم في يديه ورجليه ومنذ ذلك الحين
لازمته النعاسة ! فقد وجد عند أوبته أن أباه الشيخ
قد توفي ، وأن ابنه الصغير قد لحق بجده ، وأنه لم
يبق غيره وغير زوجة في البدار ... ذلك إلى أنه لم
يكن يكتبه التوفيق في عمله ما ، وكيف — ترى —
يكون التوفيق وهذه أطرافه قد خلّطها الألم للبرح
فهي لا تفيده في الحرت ؟

ولم يصبر « سيمين » على الحياة في قرينته
كذلك : بانساً ، مقمداً فقيراً ، بل ذهب هو
وزوجه يبحثان عن « السعادة » في أماكن

الملاح

للقصص الروسي فسولدمين خايلوف فيسكارشين
بعلم الأديب السيد فيزي شهاب السعيد

كان « سيمين إغانوف » حارساً على خط
من خطوط السكك الحديدية ؛ وكانت المسافة بين
مسكنه وبين أقرب المحطات إليه — قرابة سبعة
أميال ؛ ولم يكن حول مسكنه ذاك سوى دور زملائه
الحراس الآخرين ، وسوى مدخنة سوداء ساقطة في
الفضاء لطاحونة كبيرة شيدت قبل علم على بد
ثلاثة أميال منه

كان « سيمين إغانوف » هذا مريضاً مقمداً
وكان له سابقة الاشتغال في خدمة ضابط في الجيش
لازمه في كل الحملات التي اشترك فيها ، ونالته من
ذلك ضروب الأذى — فانه كثيراً ما جاع ، وإنه

(*) الملاح : كلمة استعملناها لمن يبين لارشاد سائق
القطار بالملاح بهلين صغيرين مشيراً عليه بحفيف السرعة
أو الانطلاق حسب مقضى الحال — ويقابلها بالانكليزية
« The Signal »

أما مؤلف هذه القصة فأديب روسي تابع ، من الساترين
على مذهب « تولستوي » والمتأثرين بأسلوبه وأفكاره .
وقد سنة ١٨٥٥ وكانت له في الجيش الروسي خدمات أثرت
في أدبه القصص إذ اتزع من حياة الجيش تلك صوراً جلية
رائعة فقصصه التي كتب ، والقصة التي قدمها للقراء اليوم
ترجم طرفاً من تصويره تلك الحياة . ثم أصيب بانضطراب
في أعصابه جعله ينقل إلى الناس من كان يعانيه من ذلك
الداء الويل في كثير من قصصه التي كتب في تلك الفترة
من عمره . وقد مات « كارسين » منتحراً وهو ما يزال
في مية الشباب سنة ١٨٨٨

إن أحد حراس «الخط» سيخلى مكانه ، وسأكلم رئيس الشعبة في شأنك .

— أنا شاكر جميل صنعك ، مولاي !

... وكذلك ظل «سيمن» في المحطة يساعد الكلفين بأعداد طعام الدير طورا ، ويقطع لهم الخشب نارة ، أو يكتس الساحة والبلاط أحيانا حتى قدمت — بعد أسبوعين — زوجته نرجس لاستقبالها ، وجعل لها أمتعتها في حربة يد صغيرة إلى مقرها الجديد .

كانت داره هي مقر حراسته الخط وملاحظته القطار ؛ وكانت دارا جديدة البناء دافئة ، هذا إلى أن باستطاعته أن يحتطب مايشاء ، وأن يزرع أرضا صغيرة حول داره... وإذ يفكر الآن في شراء بقرة وحصان ليستفيد منهما في تلك الأرض

وأعطى «سيمن» كل ما يحتاج إليه في أداء وظيفته : علما أخضر وآخر أحمر ، ومضباح قطع ، وبقا ومطرقة ومفتاحا يقوى به مسامير الخط ، ومكنسة وكلا بآ ، كما أعطى كتابين صغيرين في أحدهما قوانين استعمال الملمين وفي الآخر مواعيد وصول القطار... وما كان «سيمن» يستطيع أن ينام في بادي الأمر لئلا لأن احتظار مواعيد القطار كان موضع اهتمامه وشغله... فلو أن قطارا سيمر بعد ساعتين كان يهض له «سيمن» فيصلح من الخط شيئا ، ولو بدقات بسيطة عليه من مطرقة ، ثم يجلس على مصطبة حبال داره يرقب مقدم القطار ، فان استمعى عليه ذلك بالسباح تحسسه بهتزاز الأرض أو ارتجاج خطوط السكة . وحفظ قواعد استعمال الملمين عن ظهر قلب بعد صوبة قاساما كان الفصل فصل الصيف ، والملم في الصيف

أخرى.... لقد ذهبيا يحثان عن عمل في سكة القطار في «خاركونف» و «البون» ولكن الخط لم يواتهما أبدا ذهبيا فانطورت زوجته إلى أن تكون خادما ، وظل هو يكمل رحلته في التنقيش عن عمل له... وإذ لجاد في سفره إذ صادف مدير إحدى محطات القطار الصغيرة ؛ فتفرد فيه ، وأخذ يثبته وينفيه كأن له به سابق معرفة حتى ذكر من يكون هذا الرجل... إنه من ضباط الفرقة التي كان فيها سيده !

— أأنت «إيفانوف» ؟

— أجل... أنا هو ياسيدي .

— وكيف جئت إلى هذه المحطة ؟

نقص «سيمن» قصته عليه .

— وإلى أين أنت ذاهب الآن ؟

— لست أدري يا مولاي !

— ماذا تنوي ! أعينون أنت فلا تدري أين تضرب في الأرض ؟

— هو ما تقول يا مولاي ، إذ ليس لدى ماؤى ألبا إليه . وإن على أن أمضى في التنقيش عن عمل مهما كان نوعه يا صاحب السعادة .

فنظر إليه مدير المحطة لحظة ، وظل ساهما ، ثم قال له : —

— إسمع يا صديقي ، ابن في المحطة الآن ؛ أنت متزوج فيما أعتقد فأين زوجك ؟

— أجل ، هذا صحيح ؛ سيدي أنا متزوج ، وزوجي في «كرسك» في خدمة تاجر هناك .

— حسن ، فأكتب إليها لتستقدمها لتوافيك إلى هنا ، وسأحصل لها على بطاقة سفر مجانية .

فنظرت إليه الشابة بادی الأمر ثم أجابته قائلة :
— وعماذا تريد أن يتحدث إليك ؟ إن لكل
امرئ شئله الشاغل ... هلا انصرفت إلى ما أنت
فيه محروساً ؟

ولكن ما أن تقضى على ذلك شهر أو لواز شهر
حتى عرفنا جملة من الأصدقاء هناك ... فكانت
«سيمن» إذا ضمتها على الرصيف جلسة «فاسيلي»
تبادل وليله الحديث عن سين حياتهما التي يجبان
وأزجى فراغه وصاحبه بالتدخين ، وكان «فاسيلي»
ساكتاً أغلب وقته يستمع لأحاديث «سيمن» تارة
عن قريته التي نشأ فيها ، وتارة عن أخبار الحلة التي
شهد ، ثم تنتهي الجلسة بأن يختم «سيمن» كلامه
قائلاً :

— إنها ليست بالتعاب القليلة تلك التي فاسيلها
طوال حياتي ... إن الله لم يعملي ذا حظ سعيد ،
ومهما يكن من شئ فانه قسم لي هذا يا أخى ... ثم
ينظف «فاسيلي» غلبونه من الرماد بدقة على
القضبان الحديدية وينهض وهو يقول :

— كلا إنها ليست «قسمة» المرء التي تجلب
له «التماسة» إتمام «الناس» ، فليس مثل الناس
وحوش ! إن الدباب لا تأكل كل الدباب ، ولكن
الانسان يقتسر أخاه الانسان وهو على قيد الحياة !
— كلا يا صديق القلب يا كل بعضها بعضاً ،
ليس إلى إنكارك هذا من سبيل !

— هكذا خطرت لي الكلمة قائلها ... إنهم
جميعاً سواء ، فليس ثمة مخلوق أسمى من مخلوق !
ولكن لولا أن كان في الانسان «الفكر» و«الطبع»
لاستطاع أن يعيش ... إن كل فرد يتعين بك

يسير ، فليس ثمة تلج يقتضيه تنظيفه ... بل
كل ما هناك بضمة قطر تدرج على ذلك الخط مرهات
قليلة في اليوم ، فكان سيمين يخطو في مصامته (١)
المسؤول عن حراسها مرتين في اليوم : يربط هذا
الخط ، ويقوى ذلك السار ، ويمد تلك الصابورة
ويلاحظ أفضية الماء ، ثم يعود إلى داره ليشغل في
زراعة أرضه ، ولكن أعماله في الدار كان يسلطها
شئ واحد هو طلب «الاذن» من ملاحظ الطريق
الذي يرفع الأمر بدوره إلى «رئيس الشعبة»
وقبل أن يجاب الطلب يكون قد فات الأوان ! وكان
ذلك سبب تدمير «سيمن» وزوجه المستمر

مضى على مقام «سيمن» شهران فبدأ يعرف
إلى جيرانه ويتخذ له منهم الأصدقاء ... كان أحدهم
شيتخا طاعناً في السن ، تفيض الأسنان بشائنة
الاستفناء عنه إذ لم يكن يستطيع الخروج من داره
وكانت تبنيه على أداء واجبه زوجة ففى التي تلاحظ
الخط وتقوم بذلك مقامه ، وحى التي تؤدي ما كان
زوجها مسؤولاً عنه من واجبات ... وكان الآخر
شاباً في مقتبل العمر ، لقبه «سيمن» أول ما لقيه
على خط السكة الحديدية حين جمعتهما المهنة المشتركة
فألقى «سيمن» على الشاب نظرة ثم انحنى له وحياء
فرد الآخر بيمينته عليه ثم استدار يمشي في طريقه
ولتقت زوجهما بعد ذلك فكانت «إرينا سيمين»
تبتدر صاحبها بالتصية ، وكانت الأخرى ترد عليها ثم
تنصرف إلى ما كانت فيه ... وقد صادف «سيمن»
زوج صاحبه مرة فسالها قائلاً :

— ما بال زوجك يا سيدتي طويل السكوت ،
لا يشكرك إلا لئاما ؟

(١) المصامة : الحدود المينة التي لا يجوز تخطيها إلى غيرها

الفرصة لينقض عليك وأنت ما تزال حياً فيختلف
لنعمتك من فك إليه !

— لست أدرى ، يا أخى ، ربما كان الأمر على
ما تقول ... ولكن إذا كان هذا حقاً فذاك
« قسمة الله ! »

— فإن صبح ما ذهبت إليه فليس لدى أحداً
ما يقول للأخر ... إنا ياهنا لو عزونا كل غلالة
إلى الله واكتفيننا بالصبر على مضض العيش فما نحن
بشر ، بل أناس ... هذا ما أرى !

ثم يستدير ليفضى دون أن يعلم على رفيقه ،
فيتأهيه « سيمين » ويستب عليه لهذا التهميم ، ولكن
« فاسيل » يجد في السير إلى أن تنقطع عن العين
رؤيته في المنقطع فيمود « سيمين » إلى زوجه
ويخبرها بأن جارهما هذا لابدو كونه وحشاً فظاً !!
على أن هذا الحديث لم يكن ليجر إلى اللشادة
فسرعان ما يهود الاثنان إلى صفاتهما ومجلسان حيث
كانا من قبل ويحضان ما كانا يحضان فيه فترى
« فاسيل » يقول :

— حسن يا أخى ، فلولاً هؤلاء الناس ما كنا
ناؤي إلي هذه الساكن التي تنجز فيها واجباتنا ...
— وما اعتراضك على هذه الأمور ؟ إنها ليست
بالرديئة ... إنك تستطيع أن تعيش فيها

— نعم تستطيع أن تعيش فيها ، نعم ! ذلك
رأيتك أنت أيها الشيخ ... الثر ! ولكن خبرني
بربك عن نوع هذه البشة التي يعيش الفقراء سواء
في دور الحراسة هذه أو في أى ملجأ آخر ...
حدثني عنها كيف تكون ؟ إن « مصاصي الدماء »
سبأ كلونك وأنت ما تزال على قيد الحياة !
سيستفيدون آخر قطرة من دمك فإذا لم تمد صالحاً

لهم رموك كما ترى فضلات البائع للخنازير !
ألا تحبثني عن أجر ؟ إنك لتتناول اثني عشر
روبلاً فيما أظن . وأما أنا فأزبد عليك بروبل ونصف
روبل فكيف كان هذا ؟ في حين أن الشركة قد
فرضت للواحد منا خمسة عشر روبلاً إلى جريبات
للقود والاضاءة ؟ كيف جعلت اثني عشر روبلاً
لك وثلاثة عشر روبلاً ونصف روبل لي ؟ من
رب هذا الرب ؟ أجبني على هذا ثم قل إن الواحد
منا يستطيع أن يعيش ! إنك تفهم هذا على أنه
حساب روبلات زهيدة ! ولكن الأمر ليس
كما تظن ... فقد كنت بالخطأ في الشهر الماضي
حين صر « المدر » تحفه ضرورب النجدة والاحترام ،
وكان راكباً سيارة خاصة فنزل منها ووقف على
الرصيف ... دعني ... لن أبقى هنا أبداً سأهم
على وجي ...

— إلى أين يا أخى « ستيفانيس » ؟ إن لك
هنا سكناً بريك البرد ، وإن لك قطعة أرض وزوجاً
تقوم بمخدمتك !

— آه ! قطعة أرض ... أنك لا تبصر غيرها !
ولكن ما الذي أفدته منها ؟ إنها خلاء حتى من
الشوك ! لقد زرعتها في الربيع الماضي بشيء من
الكرب أفتدري ماذا قال للملاحظ ؟ لقد جاء
سكران بيرد :

— أى شيء فعلت ؟ هل استأذنت أحداً ؟
هل سمح لك به ؟ لا يجوز أن يبقى هذا ، ولا أثر
منه بسيط ! أدرى أنه كان يعنى نفسه أن أنفعه
بضعة روبلات ... ثلاثة جميلة ... لا بأس بها !
ثم قال « فاسيل » بعد أن دخن في غليونه :

— كان مجيئى يا مولاي في مايو الماضى
— حسن ... أشكرك ... من هو صاحب

الرقم ١٦٤ ؟

فأجابه الملاحظ الذي كان بصحبته :

— « فاسيلي سيريدونوف »

— سيريدونوف .. سيريدونوف .. آه ، أهو
ذلك الفتى الذي عوقب في اللام المنصرم ؟

— نعم .. إنه هو

— حسن سئرى ، فلنمض ..

فمض الرجل العريه وبدأت تسير ..

نظر « سيمين » إليهم لحظة ثم قال :

— لا بد أن يكون لهم شأن مع جارنا

وبعد ساعتين — انصرف فيها « سيمين »

إلى عمله — أبصر شخصاً قديماً من منمطف الطريق

سائر أحناء الخط ، وكأنه يحمل شيئاً أبيض فوق

رأسه .. وتطأ « سيمين » وأطال نظره .. فأذابه

يرى « فاسيلي » ، لقد كان ممسكاً بصفا في يده ،

وعلى عاتقه حزمة مضاء ، وكان وجهه ملففاً بتنديل

— إلى أين أيها الجار ؟

فأقرب « فاسيلي » ، وكان منظره غريباً ،

ووجهه مثيراً للدعشة ، بينيه الراسيتين الجاحظتين

وحاول أن يتكلم فأنفجر قائلاً :

— إني ذاهب إلى « موسكو » إلى حيث

« اللجنة »

— إلى اللجنة ؟ أكذاك ؟ .. لترفع شكواك

على ما أظن ؟ لا يا أخى .. تناس ذلك .. أسقطه

من يالك

— لا ... لن يكون ذلك ! يستحيل . انظر

لقد صفنى على وجهى فأدما ! لن أنسى هذا

— ولولا أن تربت ، وتحملت ، لكنت
بطشت به ...

— مجيأ يا أخى ... اسمح لى أن أقول إنك
رجل حديد الطبع ، سريع التأمل !

— كلاً ، لست كما تصف ، بل إني أنامل الحقيقة

ثم أجهر بها .. وعلى كل فسيتال الملاحظ جزاءه الذي

يستحق ... سأرفع شكواى إلى الرئيس ... ثم

كان الأمر كما قال .. إذ رفع شكواه إلى الرئيس .

... وجاء « الرئيس » لتفتيش الخط ، فقد

كان من المنتظر أن يطراً عليهم أحد من

« بطرسبورج » بعد ثلاثة أيام ، ففحص الخط

لا كمال نوافسه قبل وصول ذلك الطارىء .. لقد

سويت الطريق ، وأصلحت السامير ، والسواض

واختبرت القعد بالطارق وصبغت الأعمدة ، وتبرت

الرمال الصفراء في مفارق الطرق ... وبشت

الحراسة المجوز زوجها الحرم ذلك الأسبوع

ليبحث الأعشاب !

أما « سيمين » فقد أجهد نفسه طوال ذلك

الأسبوع حتى استوى له كل شيء على ما يرام ...

لقد رقا ثوبه وغسله ، وأسع طاولته المعدنية

« بشار الطابوق » حتى بدت سقيلة متوهجة ،

وكذلك كان أسر « فاسيلي » الذي جد في عمله

أى جد !

... وصل « الرئيس » إلى المحطة في مركبته

الخاصة ... وانفذ إلى مكان « سيمين » ، فقام إليه

هذا غياه نجية عسكرية . . . لقد كان كل شيء على

ما يرام

— كم مضى عليك منذ مجيئك ؟

ثم اقترعا ...

... طال ارتقاب زوج « فاسلي » عودة زوجها.
إنها الآن هي التي تقوم بأعماله المسؤول عنها ليل
نهار حتى صرّ في اليوم الثالث مغتص من مغتص
القطار وكانت الحطة آنذاك مزدحمة ، فهنا طاورة
وهناك غربة شعب ، وبقرها عربتان أخريان من
عربات الدرجة الأولى . وقد شغل كل هذا الزحام
المغتص من أن يتحرقى أو يغتص ... غير أن
« فاسلي » ما يزال غائبا للآن ... وفي اليوم الرابع
لتي « سيمين » زوجة جاره في بعض الطريق —
وكانت عمرة السنين ، بادية التيب — فسألها عن
زوجها : هل عاد ؟ فأشارت إليه بالنفي ولم تحرج جوابا
وانصرفت إلى سبيلها

كان سيمين حذق في صنعه كيفية صنع الزامير
من غصون الصفصاف فكان يقطع لباب الشجر
الطري ويجوئها ويثقبها من أماكن خاصة ، ثم
يبرى لها « مكان الفم » فإذا تلك المصاة قد استوت
له آلة يستطيع أن يوقع عليها ما شاء من ضروب
الأنعام ، وكان يستغل أوقات فراغه في صنع
أمثال هذه الزامير ويصنعه بها إلى القرية مع حارس
من حراس قطار الشعب — له به معرفة سابقة —
ويقبض « كوبيكين » عن كل واحد من تلك الزامير
وكان يقدم على حرموز « المغتص » ثلاثة أيام
حين ترك « سيمين » مهمة التلويح لقطار الساعة
السادسة إلى زوجته ومضى إلى الغابة يقطع بعض
أخشاب الصفصاف — بمد أن خبر الخط بنفسه
ليتاكد من سلامته

وكانت خيرة عيدان الصفصاف تبت حول

ما حيث ولن أدع الأمر يمر بسلام

وأخذ « سيمين » فذاع سديقه بين يديه
ثم قال :

— لا بأس يا أخى ... لا بأس ، إسمح لي أن
أقول لك إنك لن تصالح شيئا مطلقا
— لن أصلح شيئا ، نعم أنا عالم بهذا ، لقد
صح قولك عن « قسمة الله » ، لن أصلح شيئا من
أجل نفسي .. ولكن علينا أن نتمسك « بالحق »
أيها الصديق

— أرجوك حدثني كيف تم هذا ؟

— اسمع ... لقد فحص كل شيء ، نزل من
الركبة ودخل الممار وكنت عارفا بنسبته بالتدقيق
والفحص فهيت كل شيء ، وأعدته إعدادا
حسنا ، وجعلته على خير ما يكون .. ولم بالخروج
لولا أني رقت إليه ظلائي ، فصرخ قائلاً :

— هذا تفتيش إداري ، لا يجوز لك عرض
شكوك الحفيرة هذه عليه ، هذا إلى أن هذه الأرض
التي زرعت أرض أميرة لاحق لك بأن تملأها
قذارة بكرنبك ذاك ... ولم أستطع أن أقول شيئا
أجابه به بعد هذا ... ثم ... ثم أهوى على وجهي
بضربته التي ترى آثارها ، ولبتت في مكاني كأن
ذلك لي هو حكر النصفه ، وقرار « الدل » ...
وانصرفوا على ذاهبين ، وغسلت وجهي وفكرت
فيا حساني أقوله لزوجي وانصرف « فاسلي »
وهو يقول :

— أتراني سأدرك الدل الذي أريد ؟!

— وستذهب ماشيا ؟

— سأسى أنت أسافر في قطار البضاعة ،

وسأكون في موسكو غدا

ركاب لاشحن ! وليس في استطاعته إقافه إذ ليس لديه علم الخطر الآخر ، وليس في مقدوره أن يبعد الخط يدبه المجردين إلى وضعه السابق . وإذا فطيه أن يركض إلى مكان قريب . إلى داره ليحضر الأدوات . ومنك إلى النجدة ..

وانطلق « سيمين » نحو داره بسرعة فائقة وابتعد من النجاة . غير أنه ما يزال بينه وبين داره نحو مئتي ياردة !

إنها الساعة السادسة الآن ، وسيكون القطار هنا بعد دقيقتين . أيها الاله الكريم ! أهد الأرواح البريئة . لقد ارتسم أمام ناظري « سيمين » النظر بكامله ، فهذه القاطرة تتقدم مجلاتها الأمامية إلى مكان الخط ثم تتبعها السجلات الأخرى ! يا لول ! هناك موضع الخط ومن تحته أحماد خض وعشرين قداماً — ارتفاع السد ! تلكم جوع الأطفال والنساء الحاشدة في عربات الدرجة الثالثة وهم جميعاً ساهون لا يتوقمون حدوث الكارثة ولا يدرون عنها شيئاً كلا ... ليس في الوقت سمة لركض إلى المار ، فليعد أدراجها إذن ...

استدار « سيمين » راجعاً من حيث أتى وهو لا يدري ما يفعل ، مضاعفاً سرعته في الركض ، غير مهتد إلى حل ، جاهلاً نهاية هذه المشكلة !

عاد إلى حيث كان أسباب الخط التخريب ، إن عصبه كانت مكومة هناك ، فوقف لحظة ، ثم أخذ إسداها ، وابتعد راجعاً — لقد وصل إلى أذنيه صفير القطار البعيد ، وها هي ذى القضبان بدأت تهتز وكانت قواء قد غارت ولم يبد باستطاعته أن يواصل الركض . إن بينه وبين موطن الخط الآن قراءة مائتي ياردة ، لقد خيل له أنه توصل إلى حل معقول .

مستنع في جوف النجاة ... قصد « سيمين » إلى ذلك المكان واحتطب منه كفايته ثم تأهب للرجوع كانت الشمس قد تضيقت للغروب ، وكان يحيم على المكان سكوت رهيب لا يسمع من خلاله غير زفزة الريح ، وحفيف النضون ، وخشخشة^(١) الأوراق الجافة المنتثرة على أرض النجاة ... وسار « سيمين » حتى قارب خط سكة الحديد فقبل إليه أنه يسمع طرقاتاً على مدمن ، غيب السيريري ما هذا . إن الخط في هذه المنطقة لا يحتاج إلى إصلاح فسا تسليط هذا الطرق ؟

وخرج من النجاة فرأى على « سدة القطار » رجلاً قد جلس القرفصاء وكأنه مشغول بشيء بين يديه ، فدنا منه « سيمين » في حذر ، وكان يظن أنه رجل جاء لسرقة بعض صوابير الخط ! ثم أنهم فيه النظر — وكان الشخص قد نهض — فرأى 'مُخَلَّأً' من تحت الخط الحديدى لينعرف به عن اتجاهه .. لقد حاول « سيمين » أن يصرخ به ، ولكن كيف ؟ إنه .. « فاسيلي » فاقبض عليه بسرعة عجيبة ، غير أن « فاسيلي » كان قد ظفر إلى الجانب الثانى من السد ، حاملاً إزميله معه

— فاسيل سيفينيش — أيها الأخ — أيها الصديق . عد إلى . هات أزميلك لتسدد الخط إلى ما كان . لن يعلم بهذا أحد ؟ عد . سارع وأتخذ « روحك » من اقتراف الأثم .

ولكن فاسيلي لم يبد بل أوغل في النجاة هرباً ! وقف « سيمين » حيال الخط المقصومة هرباً — فاركا عياده تنتثر ... إن القطار الآن قطار

(١) صوت حركة الترامواي والروب الحديد أو الجرع أو ما أشبه ذلك ، وهي من الكلمات المألوفة التي تستعملها (العامية) في العراق بهذا المعنى .

ترنحه قبل مرور الفطار ، فلا يراه السائق أو يشعر به ! أدركنى يا لى برحتك ... وأظلمت عيناه ، وتبدل ذهنه ، فهو لا يرى شيئاً مما حوله ... ثم سقط العلم من يده ! غير أن علمه الذى لم يسقط ... بل أخذه منه يد شخص (١) لا يدري من هو ، وظلت تلوح به إلى موعد مرور الفطار !

رأى هذا الشهيد سائق الفطار فأوقف فاطرته فزل الركاب يستلمون طلع الأضواء ، متجهين ليرىوا ... ماذا ؟ رجل قاعد وعيه قد غطاه الدم ، وبقربه آخر ممسك بلم أجبر مدى مربوط بمصا صغيرة ...

ونظر « فاسيل » إلى ما حوله ، ثم لوى رأسه وهو يقول :

« اقتضوا على ... فقد كنت سبب ما ترون ! »

« بنفاد » فخرى شرباب السعيرى

فرفع قمته واستخرج منها منديلاً قطنياً ثم سحب سكينه وحز ذراعه قائلاً :

— باركنى يا لى !

فتدفق الدم خبزيراً ثانياً حاراً ، فلبل منه منديله ثم نشره وعلقه على المصا الصغيرة ، ثم أمسك بلمه الأخر هذا ينتظر الفطار ، ووقف هناك يلوح بلمه . إنه ليتراى له أن سائق الفطار لم يره فهو يحضى مسرعاً حتى يقارب الوضع المشؤوم فيتدري كان دمه ما يزال يتدفق بمنزارة ، فالصق جرحه بجسده ضابطاً عليه ليوقف تدفق الدم ، ولكن ذلك لم يفده . لقد كان جرحاً رغبياً^(١) .. إنه ليشر بالندوار يستولى عليه ، والقباب يتراقص أمام عينيه .

ثم تم الظلام فهو لا يرى شيئاً ، ولكنه يسمع مثل دقات الجرس . إن شيئاً واحداً يشغله : خوف

(١) البحر الرغيب العقيق

بيت الله الحرام مهدت السبيل إليه

﴿ شركة مصر للملاحة البحرية ﴾

ببواخرها الفاخرة و فنادقها الفخمة

ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا

جميع الاستعلامات من شركة مصر للملاحة البحرية

رقم ١٥١ شارع عماد الدين — القاهرة

(٢) تتابع سبغة أبا ريق من النحاس
الأسفر ينقش عليها النبي وتوضع في سقاية
(حسن الصغير)

التصرف - حيث أن هذا القسم
من الوصية طويل ولا علاقة له بموضوعنا
الذي اجتمعنا من أجله فانكم توافقون
على أن نصرف النظر عنه ونقتل إلى

الفقرة الخاصة بنا

(التصرف يقرأ) :

ربنا الاختبار أن رجال الزاهة والاستقامة
يقبل عدم يوماً بعد يوم، وهذا مما يؤسف له حقاً
فملاحي هذه الظاهرة الخطرة على قدر المستطاع،
ولتشجيع أهل العفة وحث الناس على الاختيار بهم
فاني أوصي أن يعطى مبلغ الثمن ليرة الباقي من
الخمسة ليرة إلى أعف شخص في مدينتنا على أن
يشهد الجميع ببعثته واستقامته وأن تقرر ذلك هيئة
مؤلفة من وجوه المدينة وأعيانها، وعلى من سينال
الجائزة أن يتعهد مع القسم بإيفاء الشروط الآتية :
أولاً : أن يرشد الناس إلى الخير في كل فرصة
ومناسبة ويسلمهم أن الزاهة والاستقامة تكسب
صاحبها الفوز والنجاح في الدارين ويضرب المثل
على ذلك بهذه الجائزة

ثانياً - أن يقرأ سورة (يس) الشريفة في كل
مساء خميس

ثالثاً : أن يقرأ (المولد الشريف) في السنة
مرتين

رابعاً : أن يزور قبري مرة في الأسبوع ...
(يأتي للتصرف الأوراق من يده) - لا أرى من

جزاء الفضيلة

لنكاتبنا الذي رتبنا له
بقلم الأديب السيد بشير الشريفي

(هو دار البلدية في مركز إحدى التصريفات وقد فُس
بالعلماء والشيوخ وكبار الموظفين وأعيان المدينة)

(يؤال التصرف قرع الجرس وهو في كرسي الرياسة
حتى إذا سكنت الضوضاء وأصمت الحاضرون أنا يقول :

افتتحت الجلسة بإسادة. إنكم تعرفون الغاية من هذا
الاجتماع فلا أتمب حشراتكم بمقدمات لا لزوم لها
بل أرى أن أدخل في الموضوع رأساً

لقد انتقل إلى رحمة الله منذ أربعة أشهر الحاج
(بهاء الدين أفندي) المروف (بيوزي زاده) وكان

من تجار مدينتنا الموثوق بهم ومن كرام أعيانها
وهذا هو يدل على مبلغ سخائه بتخصيصه خمسة ليرة
من كامل ثروته البالغة أربعمائة ألف ليرة، لتتفق في
وجوه البر والاحسان وإني أقرأ عليكم الفقرة الخاصة
بذلك من وصيته

(التصرف يخرج غلافاً من بين الأوراق المكسدة أمامه
ويصلح نظارتيه ويقرأ)

بعد أن تقسم ثروتي بين الورثة كما هو موضوع
في أعلاه بصرف البالغ الباقي وقدره خمسة ليرة في
الأعمال الخيرية على الوجه الآتي :

(١) تتابع ستارة ضخمة بمبلغ خمسين عشرة ليرة
يجعل بها باب (مسجد جلي) على أن يطرز اسمي في
منتصفها بخيوط صفراء

(*) هل لنا مسانيتها من التركية الأستاذ عمر فائق مدير
المدرسة الثانوية في أربد فوضتها في هذه الهيئة العريية

طبيب البلدية - (وهو في الحقيقة من عمره، بدين، أشيب الثارب، أحر الوجه)
 حضرة الرئيس، أرجو أن يسمح لي بالكلام.
 إني مقتنع أنا العاجز بأن هذا الرجل قد شمر بالخطر
 شموراً حقيقياً فأرى أن ينظر إلى طلبه بعين الاعتبار
 فيصرف النظر عن هذه الجائزة التي أراها متافية
 للأخلاق

أصوات عديدة - (الله الله، أسكتوه إنه يهذي)
 الطبيب - يا حضرة الرئيس أرجو أن يحفظ
 حتى في الكلام... أيها السادة لا قائدة من
 اللوضاء... سأنتكلم حتى النهاية... إننا جميعنا
 نعرف من هو (يوزي زاده) فلا حاجة بنا إلى
 خداع أنفسنا ليقتفر الله له سيئاته

الدرس زاهد أف - (بصوت أجش)
 اذكروا موتكم بالخير

الطبيب - لقد قلنا بإسدي، غفر الله سيئاته
 نعم إن (يوزي زاده) هذا قد أراد حتى بعد وقته
 أن يزعم مواطينه ويسيء إلى الناس... لا تصيحوا
 أيها السادة... سأتم كلامي ولو انقلب الحجر...
 أراكم لم تدركوا ما تتطوى عليه كلمة (عبادة الجميع)
 من النويا البيئية. إنها تجعل هذا الشخص السكين
 هذا لا تتقاد الألو من أهل هذه البلدة وكل واحد
 منهم عالم مستقل. إن السباح لآلاف السيون أن
 تحترق (حريم) طائلة مستوية لهو من أقطع الجرائم.
 أيها السادة إذا كنتم تحترمون السنة والفضيلة حقيقة
 فدعوا الرجل في عزله يعيش كزهره متواضعة من
 أزهار الجبال. إنكم تعرضون هذا الشخص الذي
 ستجسونه نموذجاً للفة والاستقامة للفرق في طوقان

حاجة لتأدية هذه الشروط التي تبلغ واحداً وسبعين
 شرطاً لأن وظيفة الأساية هي انتخاب من يتفق
 الجميع على أنه أنزه وأحف شخص في البلدة. ولتسهيل
 مهمة هيئكم المحترمة قد نظمت بالإشتراك مع
 سماعة الباشا رئيس البلدية وحضرة الأندى رئيس
 المحكمة قاعة بأسماء المرشحين، ولكن مما يؤسف
 له حقاً أن تأتينا هذه ليست غنية بالأسماء فتعجب بعد
 أن أجربنا. تحقيقاً دقيقاً مع هيئة الشيوخ لم نجد
 سوى خمسة أشخاص قد توفرت فيهم الشروط
 اللازمة، ولكن نرى أننا أمام الله قد فعلنا أسماء
 هؤلاء الأشخاص على أبواب التصرفية والبلدية
 والمحكمة ورجونا للشعب أن يوافقنا بكل ما
 يوزفه عنهم

أصوات - (موافق! نعم ماضى)

الرئيس - إن أول المرشحين هو السيد
 (حافظ رائف) أحد كتاب البلدية، والسيد حافظ
 رائف يعرفه الجميع ويحبه الجميع، إن هذا الشخص
 الذي أمضى ثلاثين عاماً في دائرة البلدية لم يعرف عنه
 أنه أساء إلى أحد في يوم من الأيام
 أصوات - نعم هذا صحيح

الرئيس - ولكن أستدرك فأعرض على
 حضراتكم بأن حافظ أُنقضى قد جاء قبل ساعة إلى
 مقام العاجز وحدثنى حديثاً غريباً جداً. قال لي: أنا
 فقير الحال وكثير الغيال وإن مثل هذا البالغ على
 فرض أنني ظفرت به سيكون له أعظم شأن في حياتي
 ولكن على الرغم من ذلك أشعر بخوف غريب
 لا أعرف له سبباً... أرجو إعطائي من هذه الجائزة
 رئيس المحكمة - ليس من محل لثل هذا النوم
 وعلينا أن نقوم بإجابتنا نحو هذا الرجل المستقيم

الكاتب - التحزير الثالث ورد من مختار
الحى السابق يذكر فيه أنه منذ سنتين كانت تسكن
امرأة في الحى الذى يقيم فيه رائف افندى وأنه ثبت
بالتواتر أن هذه المرأة قبلت في منزلها رجلاً غريباً
عنها فوضع أهل الحى عريضة طلبوا فيها طردها
من حيزهم وأبى رائف أن يوقع تلك العريضة .
أسوات عديدة - لم نكن نتوقع هذا التكرار
من حافظ رائف .

الطبيب - وأبى منكر في هذا ؟ لقد أحسن
صنماً ؟ ليس من شأنه أن يوقع مثل هذه المرائض .
الدرس - بل ليس أنفع من ذلك ؟ إن من
يحمى الفجور هو في الواقع صروج للفحشاء وإنكم
لتعرفون ماذا يسمى من يسهل الاتصال غير
المشروع .

الطبيب - وعليه قيدوا ذلك على التنس
الدرس - كلا . . . سوف لا نلقب حافظ
راائف بهذا القبح البشع جرمة لما له من حسنات
بل أرى أن يكتفى بالقول إنه سهل من بعض الوجوه
إجراء فعل شنيع .
أسوات - موافق . موافق .

الكاتب - للكتاب الرابع ورد من أحد
المستأجرين بهم فيه رائف أفندى أنه كان يكذب في
بيان بدل إيجار العقارات ليستفيد أصحابها فيدفون
ضريبة مخفضة .
الطبيب - أيها السادة أرجوكم . . . كلنا
يملك مقدار ما كان يدفعه المرحوم « بوطجى زاده »
عن أملاكه ...

الدرس - (الباطل لا يقاس عليه) يا حضرة
الطبيب ؟ ليدون ذلك .

من الحسد والفرس . ومن ذا الذى ترضى سجاياه
كلها ؟ إنى أخشى أن تجبل الأغراض وللنافع من
قطرات الندى على وجه هذا التمثال الذى انمكس
عليه الضوء لطخات إجرام ، فذلك أرى أن تلقى
هذه الحادثة

الدرس زاهد اف - لولا أن المجال شيق
لأثبت لك بالدليل المنطقي أن دفاعك كله مغالطة
وسفسطة .

الرئيس - لنستمر في البحث ؟ لقد صنف
الكاتب ما ورد من رسائل ، فإذا سمحتم قرأ عليكم
خلاصتها .

الكاتب - الرسالة الأولى وردت من جار
لحافظ افندى يشهد له فيها أنه رجل طيب ولكنه
يذكر أن مشاجرة وقعت في الحى الذى يقطنه
راائف اف وأنها لا دعى للشهادة رفض أن يدل
بأقواله مدعيًا أنه لم يشاهد شيئاً في حين أن
أشخاصاً يشهدون أنه كان حاضراً .

الدرس - إن هذا لعمر الحق ذنب عظيم .
لقد كنا نعتقد في رائف اف التقوى والصلاح
فإذا به يكتم الشهادة أحياناً فأرجو أن تسجلوا
عليه ذلك .

الكاتب - الرسالة الثانية وردت من جار
آخر يقول فيها إن حافظ رائف اف كتب في العام
الماضى عريضة لامرأة فقيرة مهاجرة ذكر فيها أن
المرأة عليّة عريضة .

الطبيب - ما هو ذنب حافظ رائف ؟ لقد قالت
له المرأة إنها عريضة فكتب أنها عريضة .

الدرس - لا تقل ذلك يا حضرة الطبيب ، إن
وسيط الخلداع خلداع . أرجو تدوين ذلك .

الصغير شهراً ونصف شهر لضربه ابن جاره وكسره
ستين من أسنانه .

الطبيب — حسن ، أمسّول هذا السكين عن
كل ذلك ؟

ابنته فرت ، ابنه سجن ، ابنة حالته فوجئت مع
ضابط ، أما هو فما ذنبه ؟

الدرس — أرجوك يا حضرة الطبيب .. لو كان
رائف أفندي رجلاً فاضلاً حقيقة وربي أولاده تربية
دينية سالحة هل قلن أنه كان يحدث ما حدث ؟

الكاتب — صاحب الرسالة السادسة يذكر
أن رائف أفندي شوهد منذ ثماني أو عشر سنوات
يشرب الخمر في أحد الأهراس .

أحد المحاضرين — يا لها من فضيلة ...

الرئيس — أرجو ألا أكون متطفلاً ، إذا
فالرجل يشرب الخمر أحياناً .

الكاتب — الرسالة السابعة من إمام الحى
يذكر فيها أن حافظ أضرأ أسبوعاً في رمضان عمتجا
بالمرض .

الدرس — سجلوا عليه قصيره في واجباته
الدينية .

الكاتب — الرسالة الثانية وردت من رجل يدمى
رشدى أفندى كان أميناً على صندوق الانتخابات
الأخيرة يذكر فيها أن حافظ رائف امتنع عن
إعطاء مسوته بدموى أنهم لم يتركوا له حرية
الانتخاب ...

الرئيس — سجلوا عليه أنه امتنع عن
القيام واجباته المدنية والسياسية .

رئيس النادي — تقضوا وأضيفوا أنه غير
مطيع للحكومة القائمة .

مدير المدرسة — لو أضيف أيضاً (أنه يحمل

الحاسب — أرجو أن تسمحوا لى بهذا
الكتاب يا حضرة الرئيس لأجربى التحقيقات
الأصولية حتى إذا ثبت ما جاء فيه ضمناء الحسارة
من أصل الجائزة .

الكاتب — صاحب هذا الكتاب استماض
عن التوقيع بهذا الشطر (الدل يستنى من التوقيع)
التوقيع « وهو يغنى في كتابه بمضأ مرار تملق
بحياة رائف الخاصة .

الطبيب — لوجه الله أرى أن يطوي هذا
الكتاب على الأقل ، ألا أرى من حقنا أن نبعث
في حياته الخاصة .

الدرس — الله ! الله ! إذا نحن لم نسبر غور
حياته الخاصة فكيف تثبت عندنا درجة عفقه
وفضيلته . استمر يا حضرة الكاتب .

الكاتب — إنى أقرأ بعض فقرات وردت
في الكتاب « تزوج رائف أفندى من امرأته الأولى
بعد غرام دام ستة أشهر ؟ أما امرأته الثانية التى
تزوجها بعد وفاة زوجته الأولى فقد كانت زوجة
رجل مجبور يشغل منصب رئيس محكمة الجنائيات
عزفها أثناء تردها على دار البلدية لقضاء مصالح
لها ومن ذلك الحين تمكن الحب بينهما فما أن توفى
زوجها حتى عقد عليها !

الدرس — والله ! يا للعجب للعجاب ، إن فى
حياة هذا الرجل الذى كان نظمه للثلى الأعلى للفضيلة
صفعات مات فيها الوجدان ، خدام امرأته ذات
زوج ، وأين يقع ذلك ؟ على رأس العمل أثناء القيام
بالوظيفة . حسن استمر أياً الكاتب .

الكاتب — منذ سبع ستين فوجئت ابنة خالة
حافظ رائف أفندى غتلية بضابط فى منزلها وأجبت
ابنته الكبرى جايا وفرت معه ، وحبس ابنه

الرجل فقد الثقة التي تدفع الناس إلى لفناء الناس
الرئيس — وأى محمود ترى في استمرارنا على

قراءة هذه الرسائل

الطبيب — وأى محمود أرى ؟ إنك إذا تابعتم
قراءتها ستجدون ما يوجب سوق هذا الرجل الذي
أخذتموه مثلاً للفضيلة إلى المشقة غداً صباحاً

المدرس — إنك لعل باطل بيد أنى أرى أن
نكتفى بما سلف ، لم تكن نايقنا محاكمة هذا الرجل
بل التثبت من عفته وزماته (إما في الرواية خيالاً)
وأخيراً نشرت صحيفة رائف أفق على الجميع
فانكشفت فضائله .. أرجو أن يأمر حضرة الرئيس
بمخف اسمه من جدول المرشحين ... وفي الجلسة
الآتية نحقق عن فضائل الباقين ...

الطبيب سائماً — يا حضرة الأستاذ يظهر أن
فضيلتك .. قد اعترمت سوق أبواب العفة والزراعة
واحداً واحداً إلى المشقة حتى لا يبق في المدينة
غيركم

« شرق الأردن » بدير الشربى

التصوف الاسلامى في الادب والاخلاق

بقلم الدكتور زكى مبارك

يقع هذا الكتاب في مجلدين كبيرين وثمنها سماً أربعون
قرشاً ، وهو يطلب من المكتبات المهيمة في البلاد العربية
ويطلب بالجملة من مطبعة الرسالة

أفكاراً رجيية) لكان ذلك صواباً .

الكاتب — الرسالة التاسعة من مفوض
الشرطة يذكر فيها أنه من ستة أشهر بينما كان أحد
رجال الشرطة يسوق مومساً سكرى إلى المخفر
اضطر إلى استعمال بعض الشدة معها فاعترضه رائف
أفق وقال له من العيب أن تسبوا ماملة المرأة .

الرئيس — حال دون قيام الشرطى بواجبه .
الكاتب — الرسالة العاشرة وردت من أحد
الراجمين وهو يذكر فيها أن رائف أفق قال له
بعد أن ماطله أسبوعاً : ماذا أستطيع أن أفعل من
أجلك ؟ إن الرئيس لم يحضر إلى البلدية حتى يوقع
على الأوراق

رئيس البلدية — ياله من مقتر ... ومن أين
له الحق في انتقاد رئيسه ؟ سجلوا ذلك

الكاتب — الرسالة الحادية عشرة تبحث في
إعمال صدر عن رائف أفق وذلك أن مناقصة جرت
بالأسس لا يتباع كمية من الكسكس فتأخر رائف
عن تسليم مختلف أحد المناقصين إلى الاجنحة في الوقت
المعين فسبب ذلك أن خسرت البلدية مائة ليرة .

رئيس البلدية — كثيراً ما أغضيت عن ذنوب
كثيرة كان يرتكبها رائف أفقى ، أما الآن فقد طفق
للكيل وسأعزله وبما كان أن يستعين بالجائزة التي
سينالها على معاشه فيفتح حانوتاً أو يضل ما يشاء
ذلك ما لا شأن لنا به

رئيس النادي — وعلى كل حال سيكون في
بلد آخر إذ ليس من الصواب أن يبق هذا الرجل
في هذا البلد وهو مشكوك في لونه السياسى

الطبيب — يصيح بأعلى صوته :
أيها السادة قليل من الشرف والايان والوجدان
وجب الكف عن تلاوة هذه الرسائل . إن هذا

بالشعر والفتون . فأدركه المساء ،
ذات يوم ، وهو في وادٍ بمنزل يضل
فيه الساروق يقيه العابر . فاقبض صدره
واضطرب به . و حار ، فسا يدري
إلى أين يأوي وفي أي مكان بيت .
وكان ظلام السماء وأعين الصنوبر ،
وسجوا الليل ، كان كل ذلك يملأ
جنبات الوادي رهبة وحرناً ؛
فوقف الصور يفكر ، وقد بمت
هذا المنظر في نفسه لذة وانبساطاً
ولكنه انقباض ودع يرف فيها
حوله ، ويدفعه لأن يقلب بصره
مرة ومرة في هذا المكان الذي
لا تسمع فيه سوى زيف الريح
تبث حزنها لأتقان الصنوبر ...
ولا زفقات الصراير الحادة
تصمد على وتيرة واحدة . ففشى
على غير هدى ناهياً بين الأشجار
والأزهار ، وتنقل في شلال بين
الحقول والبساتين ، والظلام
داس والحلك شديد . ثم هبط
إلى السهل ، ومشي في الوادي ،
وصعد في الجبل ، يفتش عن

ماوى ، فما وجد إلا وى ولا هدى السيل ...

وبثت نفسه وضائق بالكون .. فمزج على
البيت تحت النجوم بين الأخايد ... ولكنه أبصر
نجاة في منبسط السطح وراء المنحدر الذى سمع
فيه ، شامخاً خفيفاً يحقق ويضطرب ، فقام يبدو ..
محوه ، فاذا هو أمام كوخ كبير .

من أفاضيل اليابان وفاء رافضة

للنكبات لأفكاديو هيرز
بقلم الأديب السيد صلاح الدين المحجد

تصريف

« لامكاديو هيرز كاتب كبير ،
ولد من أم يابانية وأب إيرلندي .
طوف في البلاد وهو في ريعان صباه
ثم قصد إلى أمريكا وصرح على اليابان
حيث أصبح مواطناً تحت اسم
« كوزوي ياكومو » . ألف كثيراً
من الكتب التي يظهر فيها التحليل
الصيق والشعر السامي والفلسفة
النافذة . درس الحياة الاجتماعية في
اليابان دراسة دقيقة ، بعد أن أصبح
أستاذاً للأدب الانكليزي في جامعة
طوكيو . له من المؤلفات : كتاب
« اليابان المجهولة » و « في صميم
الحياة اليابانية » وغيرها . وهذه
نصه ذكرها عند بحثه عن نصية
اليابانيين ، أخذناها عن كتابه
« اليابان المجهولة » وهي ليست بحاجة
إلى تقديم ، إذ تقدم نفسها بنفسها
لما فيها من النعة في الوصف والجمال
في المنى والرشاقة في الأسلوب . »

حدث من كان في الأيام
الحوالى .. أن فناناً بارعاً أراد ،
وهو في صدر شبابه ورونق
يفاعته ، الطوائف في بلاده ،
ليوقد حسه تضطرم عاطفته
ويفيض شموه ويخط ريشته
ما بهر العين ويسكر النفس
ويحيي الشعور . وكانت البلاد
أثمنلمبة بنابات الصنوبر ومزارع
الأرز ، والحقول معمورة بأفواف
الورد والزهر ، والقرى مكتظة
بالأكواخ والجواست . وحفاني
الطرقات تحمل تماثيل « الجيزو »
الضاحكة لحجاج الحيا كل وقصاد
المابد .. والأنهار تبسم للنوام
من الغتيات اللاتي كن يأتين

ليرتعن فوق الحشيش الأخضر ويجمعن من شفافها
أعواد الزئبق ، وأنواع الزهور ... وكل ما هناك
منمور بالجمال والسحر ، ومغم بالفتنة والبشر ،
ومملوء بكل ما يحب ويشتهي .

وانطلق الفنان يتبع العين بالنظر ، والنفس
بالتأمل ، والتلب بالنور . ويعلن في عالم علوى بموج

فيه سيف البحار ومياه النهران وهو اصف الشتاء
مما يطرب الشاعر ويهز الفنان . وكان في زاوية
الترفة مذبذب صغير يتصاعد منه رائحة البخور المسك
وفي داخله متضدة قرشت بالورود الوحشية . تحترق
أمامها شموع كثيرة بيضاء ، فتضيء صورة «كانون»
إلهة الرحمة والتفران .

وأكل الفنان بما قدم له مضطرباً حائراً لكثرة
ما ملق بصره في الفتاة ، ففسى الأكل فلما فرغ منه
قالت له :

— هذا هو سرى ياسيدى أقدمه لك .. مع
كلمة من الورق الأبيض . وسأضئ إلى أعمالى في
المسار فم ياسيدى بأمان .

ومانع الغفيف ... ولكنها طلبت منه بلهجة
الأخت ، وبدلال التواني أن يستريح من غبار
السفر ، ثم تراجعت ، ووضعت أمام سريره حاجزاً
من الورق ، قسم الترفة إلى قسمين ، وتحت له نوماً
هادئاً ومساءً حلواً وتركته وعلى ثنرها ابتسامة كلها
فتون وإغراء .

وما كاد الفنان يغمض أعجافه ، حتى غاب في
نوم عميق ... ولكنه مضطرب منقطع . ولجأة
سمع صوتاً غريباً أيقظه .. ثم وقع أقدام .. لكن
ما هذه الأقدام .. إنه مشى لاخفة فيه ولاهدوء ..
إنه وقع قوى .. فيه حركة وفيه حياة .. قال في
نفسه : ترى أقدام من هذه ؟ ... ليت شعرى
ألصوص يطوفون حول البيت ويرتمون في جنباته ،
أم قطاع طريق .. ؟ ماذا ؟ أيريدون اللتاع أم
اختطاف الفتاة .. ؟ ترى أنتسلم لهم .. ؟
أذهب معهم .. ؟ أواه يا لجلالها الباهر .. ومالى
(١٦)

وطرق الباب بقلب خافق ونفس قلقة . فسمع
من داخل المار صوتاً غريباً يسأل عن الطارق .
فطفق الفنان يحدسه عن نفسه وكيف ضل في
الوادي وقد أجبل الليل وخيم الظلام . وطلب
المبيت في الكوخ حتى يتنفس الصبح ويظهر له
الطريق . وفتح الباب .. فإذا فتاة تحمل بيدها
مصباحاً أمام الكوخ . فقادته إلى غرفة نظمت
تنظيماً يدل على ذوق لم وفن بارع . جلس ينظر إلى
الفتاة ... فبهت فجأة ... يا الحسن الساحر والسنا
الغياض ! لقد كانت رقيقة الاغاب ، غضة الشباب ،
وكانت تلمس نيكاً ودلالاً ، ويغيب جسمها لإغراء
وفتونا .. آه ! إنها من بنات المدن وليست من
الترويات ...

وأخذ الفنان يستمع إلى صوتها العذب للشعوى
وفي عينيه وميض صبوة محركة وظلماً قال . قالت له
بنبرة حلوة مسكرة :

— «أما وحيدة في هذا الوادي ... عزفت
عن الناس وعزف الناس عني . والطريق في ضفاف
الجليل صلبة ملتوية ، قايق هنا ، قايق هناك
ليس بالكثير .. وما عندي شيء . ولكن سأعطيك
سرى ، وسأقدم لك قليلاً من الحلوى ..»

وقبل الفنان أن يبيت وقد هفا قلبه إلى الحسنة
ورقص من أجلاها طرباً . وقامت الفتاة فأشعلت
النار .. ثم قدمت للغفيف ما يأكل منه

على أن نظام المار ، ونظافة الأثاث ، ونسق
الترتيب وألفة الطراز ، بهر نفسه وأعجبها .
وخصوصاً هذه الزينة التي تجمل المكان ، والتي
صنعت من الورق الأبيض الذى صور عليه أزاهير
الرياح ، وأمطار الصيف ، ونجوم الخريف ، وظهر

وهذان التدين ! لم يرقصان .. يا رحمتا لها ..
أيكيان بمد الحبيب !
وهذا الصدر ! أواه ... هنا يلتصق السحر
ويطلب النعيم ...
والتم الرقيق ... والليون ... والحدود ... هنا
تليه الشغاف الغامى تلتصق القبلات ..

تباركت يا الهى ! تباركت يا بوذا ! وقفزت
الصبيّة قفزة إلى الأعلى ... ثم هبطت ، ووقفت
أمام المذبح تبكي .. ثم قامت تنزع ثوبها .. ولكنهما ..
تراجعت .. تراجعت إلى الرواء .. عندما رأته هنا
تحقق فيها .

واضطرب الفنان وتلثم فايدري ماذا يقول ..
وبأى شيء يتفكر فأتدبرت منه حتى تبيتته .. ووقفا
وقد علق بصر كل منهما بالثاني وتشجع .. وقال :
— من أنت إذن يا فتاة ! عفواً ... عفواً ...
اغفري لى زلتى .. أأنت طيف من أطيان الجنان ؟
أم ربة من الزينات الحسان .. ؟ ومن أين تلمت هذا
الرقص ؟ أنفسي أنت أم من الجنان ؟ أنا لم أربى بين
راقصاتنا من يرقص مثلك يا فتاة ! لا تقضى ...
عفواً .. عفواً .. لقد أخطأت ..

قالت له بصوت ناعم ولهجة حزينة ..
— كلا .. لم أعصّب يا سيدى ، ولكنى أخاف
أن تحسبى من بنات الهوى أو أن بى مسأ من
الشیطان .. إصغ إلى يا سيدى ، فما هى ذى قصتى
سأنفضها بين يديك ..

وأخذت الفتاة تقول إنها إحدى بنات
الأشراف من باركن الإله وقرهين اليكادو ..

لا أنوم .. إن الحركة لتزداد . ومد الفنان رأسه
من السكة ولكنه لم يستطع رؤية شيء ، فالحاجز
الذى وضعت الفتاة يحول دونه وودون أولئك !
رواه ! ماذا أفعل ؟ أأسرخ ؟ ولكن ماذا يفيد
الصراخ ... ؟ ومن يبيحه ! الهواء التناطح ، أم الليل
الوسنان .. ؟ إذن لأقدم ، فلا بد مما ليس منه بد ..
وارتدى ثوبه وتقدم .. تقدم .. وأخذ ينظر إلى
ما يجري وراء الحاجز . فوقف مبهوتا لا يتكلم
ولا يتحرك ...

لقد رأي الصبيّة الحسناء .. طارية الساقين ..
ممتلئة الفخذين .. بارزة التدين .. قد زينت عورها
بالؤلؤ ، وصدرها بالدر ، وبشرت الحلى هنا وهناك ..
لقد رأها ترقص أمام المذبح بثوب قصير قاتن ..
لا تجده عند الراقصات المحترقات . وقد زين بالحللى
وضمخ بالطر .. وهى تبكي . وكان جمالها سحريا
كأنما مسحت عليه يد اللاتكة وأغشت عليه فتنة
من فنها وجمالا من جمالها .. يا الحسن الباهر !
والأنوثة الرقيقة ! والرقص البقرى ... ! لقد
وقف دهشا . وخيل إليه أنها إحدى الحور العين .
وغاب عن نفسه .. وحلق فى عالم بعيد .. بعيد جداً .
فنبهه شذى البخور المحترق ، وهذا الإله الذى يطل
من فوق المذبح وينظر ببنتين محيقتين . فأراد أن
يعود إلى سريره .. لأن ما يفعله متفصص وعيب ..
ولكن روعة الشهد ، وفتنة المرأة ، وسحر العرى ..
كل ذلك سيطر عليه فأوقفه .. ودفعه إلى أن
يتأمل .. ويتأمل ..

بالساقين ! ليت شمى أعمدة من مرص
أم قطع من رخام ..

القديمة ... ورقصت كثيراً وهي تسكب المصع .
حتى ينكها الرقص وتغل البكاء ...

وأطرقت قليلاً تجفف عبراتها المنسكية ثم قالت
— حبيب أهلك نائم ، قمعت لأرضى روح
زوجي ... ولكنك ... رأيش ... نعم

أنا أرقص كل ليلة ... وهو ينظر إلى ... هذا
دأبى حتى أموت . قم ونم أيها الزائر . هذه قصتي
فضتها بين يديك ...

وبيك الزائر رحمة لها .. ثم قام إلى سريره يفكر
ويسمع ...

ولم نوماً هادئاً .. لم يستيقظ منه إلا وقد متع
النهار . وقام يريد الذهاب ، تقدم لما قيل من البرام
فضحكت ... وقالت له :

— لا أستحق ذلك يا سيدي ... لقد قت
بواجبي ...

ومضى الفنان ، يفكر فيها رأى وسمع ...
لقد أسف على شيء واحد ... إنها تهمل اسمه ،
ولكنه قال لنفسه : ما أنا إلا فنان حقير ...



وتقلبت الأيام ، وتغير كل شيء في هذا الكون ...
وشاخ الفنان ، ولكنه كسب شهرة ما كسبها أحد
قبله ، وسار ذكره في البلاد ، وجاءت إليه الثروة
تجبر أذليها وقربه الملوك والأسماء ... وعظمته
الخاصة والعامية ، وعاش تحفه السعادة ، وبرفرف
فوقه الهناء ...

وكان له قصر يطلعه مع تلاميذه من أنوار من
أقصى بلاده وأدناها ليتلقوا الفن عنه . وكان كل
شيء هادئاً طبيعياً في هذا القصر . إلا تلك المعجوز
الشمطاء التي كانت تأتي كل يوم ، تتسأل عن الفنان

ولكنها كانت فقيرة بالغة .. فأحبها شاب لا يقل
عنها في الشرف والجمال ، وإن زاد عنها في الثناء
والثروة . وفراً ذات ليلة من أهلها .. ليمشياً معاً ،
وكان معها من المال ما يكفيهما . فذهب بها إلى واد
منزل ، بجانب إحدى النافذات المناري ، فبنى هذه
الدار . وعاش يسبداً فيها ... ويرى أنها ملك أرسله
الإله إليه ... لقد عاشا سنوات وسنوات ، ملكاً
فيها الحب والسعادة والأمال .. وكان يحب أن يراها
ترقص طرية كل ليلة على أنغام الناي الحزينة ..
فكانت ترقص وتبتدع .. فيمضي إلى أقدامها الصغيرة
يقبلها .. ويسكب دموعه فوقها . ولكنه مرض ..
مرض ذات مرة في الشتاء ... فميت به ، ولكن
والأسفاه ، أخذه الموت .. ومضى

لشد ما أحنته ! لقد وهبت له قلبها ولها
وجسدها ...

كم مرة ... كانت تفتح على أذنيه تسكب
فيها أناشيد الخلود !

كم مرة ... كانت تحبسه عن أقاصيص الحب
وأحلام الهوى !

كم مرة ... كانت تمرى في الليل ... ثم
ترقص رقصات فانتات ... والبرد يلدغ جسمها
الباري وأقدامها الصغيرة

لقد توسلت كثيراً إلى بوا ... وبكت كثيراً
أمامه ... ولكنه ... والأسفاه ... لم يسمع لها ... أبداً
منذ ذلك الحين ... عاشت وحيدة في هذه الدار

تخفظ الذكرى التي كانت تملأ قلبها ونفسها . فكانت
تصلي لروحه كل يوم أمام المذبح ... وتبكي ... فانا
ما سجا الليل ... ونامت البيون ... وسكنت
النفوس ، قامت فتمرت ، ولبست ملابس الرقص

جفاة : عين تحديق بها وترى جسمها العاري ، في
هدأة الليل .

يا إلهي ! شكراً لك .. لقد تدت خطواتي إلى
هذا السيد الرحيم ..
وظفقت العجوز تحدث الفنان عما أصابها
قالت له :

— « وقتت على الأيام ، وأصبحت ما أطيق
الميش هناك ... فتركت تلك النار ورجعت عجوزاً
فقيرة إلى المدينة التي تركتها وأنا فتاة حلوة الشباب
غضة الصبا . شد ما تنفير الأشياء ! إنه ليصب على
المرء أن يترك المكان الذي ذاق فيه حلوة الميش
ولذة الحب .. بين ألافه وأحبابه ! ولكن كل شيء
هين ياسيدي أمام هذه للشيخوخة القاهرة .. لقد
منتهى عن الرقص إذا ما جاء الليل أمام المذبح
على نور الشموع وقاء لروحي . أواه ! .. يا للفة
الحركة والألم المعض ! وأصبحت لا أستطيع الحركة
أو القيام . إن روح زوجي ترغف كل ليلة تريد
رؤيتي راقصة ! ولكن ... وأسفاه ! لقد جئت
إليك لتخط ريشتك سورتي .. سورتي إذ كنت
فتاة ، أرقص في جوف الليل أمام المذبح ، وأنا غارية
الجسم ، لأضاهي أمام عيني الله ، فإذا ما جاءت
روح رفيق ترغف رأيت الصورة فرضيت عني !
وبكت العجوز ... واغرورت عيني الفنان .
وقال لها :

— لك ما نشائين !

قالت له :

— ولكن شيئاً واحداً يمزقني ياسيدي ، فأنا
فقيرة ما عندي ما تريد مني ... سوى هذه

وتلح في السؤال . ثم تطلب مقابله وتلتف في
الطلب فإذا سؤلت عن طلبها قالت : لي معه شأن ..
فكانوا يردونها ظانين أنها فقيرة متسولة . فتعود في
اليوم الثاني تسأل عنه وتطلب رؤيته ! فإذا ما ردت
حادث في اليوم الثالث ، تحمل كادتها صرة صغيرة
تحت إبطها .

وضجر التلاميذ من العجوز وشاقوا بها ذرعاً
فأخبروا شيخهم بخبرها . فغضب وذكر أيام يؤسه
وعتته وقال لهم : إذا أنت في الند فأدخلوها .

وجاءت العجوز في اليوم الثاني تدب ديبياً
فأدخلت إلى قاعة واسعة . وهناك جلست تنشر
أواباً غريبة نادرة من الحرير ، عليها وشى من
الذهب . قد زيت بألوان الحلى والبواقيت . فأخذ
الفنان يحديق .. ثم أغرق في ذهول عميق . ذكرى
قديمة . قديمة جداً .. تأتيه ، إنها مضطربة حائرة .
غامضة .. ها هي ذى تظهر شيئاً فشيئاً .. إنه يرى
الجليل والوادي والكوخ المنفرد ، والراقصة في
جوف الليل ، أمام الشموع المحترقة ، بين الورود
والإزاهير ..

ونظر إليها وقال :

— عفواً ياسيدي .. سأ كلمك .. ولكنك
هل تذكرين أيامك الخوالي قبل أربعين عاماً ...
خمسين عاماً ... هل تذكرين اللاوي الذي أوتيتني
فيه قصة حياتك تحدثيني عنها بين البهوع . آه .
أنا لم أنس شيئاً !

وأغرق الفنان في سمع عميق . أما العجوز
فبهتت ولم تدرك ما يقول . وأخذت تفكر وترجع
إلى الوراء . إلى الماضي البعيد ... إنها تراه ...
يطرق الباب ، ثم يدخل ... ثم ينام ... وتنفض

— سراء غداً . وستنهده بنايقنا

وفي اليوم الثاني جاء الفنان يندق الباب ، فلم يجبه أحد ؛ فنادى المجوز . ثم ضاق ذرعاً ودفع الباب .. فانفتح . يارحنا لها ! لقد كانت ممددة على الأرض ملتفة بثوب ممزق أمام اللذخ . وكانت الشموع آتنة ، كما كانت قبل خمسين عاماً ، تحترق ببطء ، والبخور يتصاعد فيملأ الكوخ بشذاه السكر ... وكان فوق اللذخ صورتها إذ كانت فتاة ، تقابلها صورة ثانية لألغة الرحمة .. وهنا خرق ممزقة .. وهناك عصاً طويلة .. !

لقد تقدم الفنان ليوقظها .. فتأداه .. وكلها .. وحدها .. ولكنها ما كانت لتسمع أو تجيب .. فسقطت من عينيه دمة ... وعلم أنها لن تستيقظ أبداً !

يا لله ! لقد اعت آثار الألم .. وعاد إلى وجهها جماله ، وظهر عليه الوقر والجلال ، ودرفت فوقها بنات السماء يمتفقن لها ويأخذن روحها إلى السموات الللى !

يا للوفاء ... يا للوفاء ... !

صمغ الرمبه المنبر «صمغ»

الأواب .. فتقبلها منى .. واحفظها إن شئت لذكري !

— كلا .. كلا .. ما أريد شيئاً .. قري عيناً .. واطمئنى .

ونهل وجه المجوز بالبشر وقالت :
— لك الحمد يا إلهي .. لقد تحققت مني .
لتكن صورتي ياسيدي جميلة .. فأنته .. علما ترضى المفقود ... !

وأخذ الفنان يخط بريشته صورة رائعة فأنته ، بهت منها التلاميذ . لقد حدقوا طويلاً بهذه الفتاة الناعمة ، ذات النظرة الساحرة ، والقد الأهيف ؛ وهذا السحر الذي يفيض من هنا ، ويظهر من هناك ، وينظرون إلى هذه الأواب الموشاة بالذهب الزينة بالخلي ، الفضة بالألوان .. يا لله ! شد ما تشبه بنات السماء (١)

فلما فرغ من صورته .. قدسها للمجوز —
— أتريدن شيئاً من الخرام ياسيدي .. ؟
— كلا ياسيدي .. شكرآ لك .. لن أعنى بعد اليوم شيئاً ؛ ولئن مت فإن بوذا سيفتح لي طريق جفاته .. وسأدعو لك .. كل مساء أمام اللذخ ، شكرآ لك ياسيدي .. شكرآ !

— أين ماواك ياسيدي ؟
— إنه حقير .. لا يستحق زيارتك !
ومضت المجوز تمشي مشياً ويدا يتبعها تليذ أرسله الفنان يرى ماواها
— إنه مأوى حقير ياسيدي .. بجانب النهر .. وراء المتنقع ... !

إدارة الرسالة والرواية

استفنت إدارة الرسالة والرواية إلى دارها الجديدة

بشارع البديوي رقم ٣٤ - عابدين

حَاجِي يَا ابْنِهَا فِي

لِكُنَّا لَنَا لِحْشِي بِجَنِّ مُورٍ
بِقَامِ الْأَسْتَاذِ عَمِلَا الطَّيْفِ النَّسَارَ

الفصل التاسع

وصلنا إلى مشهد في الوعد للزروب ودخل
موكب الأمير في وسط احتفالات أقيمت له .
ووجدت نفسي غرباً في هذه المدينة التي ليس لي
فيها صديق ولا أحد أستطيع الاعتماد على مساعدة .
ولم يكن مني غير خمسة طومانات « ثلاثة جنيئات »
سرقها من الموكب وخبأها في عمامتي ، وكان الجندي
الذي أنست منه السلف في الطريق يبرني ويقاسمني
طعامه ، ولكنه فصل بعد وصولنا إلى المدينة ، ولم يكن
من المنتظر أن يساعدني بعد فصله . وفكرت في
أن أبشر صناعتي الأولى وهي الحلاقة ، ولكن من
الذي يأمن على رقبته رجلاً مهما بأنه جاسوس
لتركان ؟

أطلق الأمير سراحي فلم أستخدم من ذلك شيئاً
بل حرمت الطعام الزهيد الذي يعطى للأمرى ،
وتقابلت مع صاحبي الجندي فنصح لي أن أسير
سقاء . وقال لي : « أنت صغير قوي ، وأنت جميل
الصوت ، فانا نأديت على الماء بهذا الصوت أغريت
من لا يحس بالثأر أن يشرب . ولك فضلاً عن
ذلك حيلة حسنة وقدرة على الضحك على الدقون .
ولا تنقطع في يوم من الأيام وفود الآتين لمدينة
مشهد لكي يزوروا قبر الامام . وأول شيء يؤديه

هؤلاء الزوار هو الاكثار من الصدقات
لأن الزكاة كما نعلم مكفرة للذنوب عند
المسلمين ، فلتسق الماء في حب الحسين
قتيل الظلم يبدل لك الزارون المال في
حبه . وتظاهر بأنك لا تأخذ أجراً
على السقيا ، وقدمه لمن لا يطلبه ، فانا
شرب قتل له : « هنيئاً وأسأل الله ألا يظمنك في
يوم الحشر وألا تظلم في الدنيا غلاماً الحسين في كربلاء »
ولكن هذا القول بصوت عالٍ يستطيع كل
من في الطريق أن يسمعه ، فإذا بقيت على هذا الحالة
مدة فاعتقد أنك ستصبح من الأغنياء »

اتيت نصيحة هذا الصديق واشترت بما مني
من المال « قرية » وأكواباً نحاسية وثوباً من الجلد
أجعله على ظهري . وذهبت إلى قبر الامام فوقفت
عند بابهِ أصبح : « الماء يا ظمآن ! الماء في حب
الامام » .

وكنت أقول ذلك بنشمة حلوة وصوت جميل
فسرعان ما تميزت على سائر السقائين الذين أخذوا
يتسادلون عما إذا كان لي الحق في مزاوله هذه
الصناعة ، ثم تدرجوا من ذلك إلى غصاصتي عندما
أملأ القرية ، ولكنهم رأوا إصراري ورأوا أن
وراء هذا الإصرار عضلات قوية فاكثفوا من
المخاضة بالنطق المهجر ، ولكنني كنت أسكت منهم
لساناً فأسكتهم . وظهر لي أن الطبيعة قد هيأتني
لأكون سقاء .

وقد كنت أملأ سقائي من بر غير نظيفة ،
ولكن الشارين كانوا يلتفتون كأنهم آت من بر
زمزم أو من ماء الحوض للورود في يوم الحشر

وكان صاحب الجندی قد سافر إلى طهران فلم
يبق لي أحد أستشيريه . وكان عليّ قبل كل شيء أن
أطالب منافسي بالتبويض لما لحقني من الضرر ،
ولكنني رأيت ذلك يكلفني كثيراً من المال والمشقة
لصعوبة التقاضي في هذه البلاد . ولأنه لم يكن لي
فأمر قوي أستعين بنفوزه

الفصل العاشر

ماحي بما يبيع التبغ

أخذت أفكر في الصناعة التي أشتغل بها في
الستقبل ، ورأيت من اشتغالي بالسقاية أن أروج
صناعة في المدينة هي التسول على أي ضرب من
ضروبه ، فزممت على أن أشتري ديكاً وعزرة وأستجدي
الناس في الطرق بهذه الوسيلة ؛ فهذا عمل راح أيضاً
ولا يحتاج تعلم الحيل التي يبدسها ملاعبو هذه
الحيوانات إلا إلى مدة قصيرة

ولكنني كنت متردداً في تنفيذ هذا الزم لأنني
كنت أفكر في العودة إلى صناعتي وفتح حانوتي
للحلاقة ، وأخيراً أجيت هوى في نفسي ، فاشتغلت
بتجارة التبغ لأنني كنت مولداً بالتدخين ، فاشتريت
مباسم من أنواع مختلفة ومؤثرات نحاسية « ماشة »
لتقليب الجمر على اللزجية ومقداراً من التبغ والطباقي
« الثبناك » من أنواع مختلفة كالشيرايزي والسوسى
والدمشقي . وكنت أخطط للتصدير القليلة منه بمقادير
كبيرة من غيره فأكسب مالاً وفيراً لهذا السبب
وكنت ألاحظ طبقات المشترين ، فالطبقة
المتوسطة أعطيها من التبغ المخلوط بمقدار النصف ،
والطبقة الدنيا بمقدار الثلاثة الأرباع أو من المواد
التي أستعملها في النش خالية من التبغ بتاتا .

المهود . وقد كان الريح الذي جنبته أكبر كثيراً
ماكنت أنصبر .

وكان لند كيري الناس يموت الحسين ظمأً كبير
أثر في استحلاب أموالهم وعزمت على ألا أترك
هذه الصناعة ماحييت لكثرة ماآيته من ربحها
وقلة متاعها . وكنت أعتقد أن شهرتي ستزداد بمرور
الأيام .

وكان لي منافس من السقائين ، ولكن بما أن
قربتي أكبر كثيراً من قربته فقد كان مترفاً
بنفوق عليه . وكان الرجل شديد الحقد على ولم يكن
ليمتنع من إيصال أي أذى إلى إذا أمكنه ذلك .

ولما جاء يوم اللوم استمد كل أهل المدينة
لمشاهدة الاحتفال المبني الذي يحضره الأمير بالنيابة
عن الشاه . وخرجت في ذلك اليوم عاري الصدر
والكتنفي . وليس عليّ نصفي الأظلي من الثياب
شيء غير القطعة الجلدية التي أحمل فوقها القربة
ووقفت أمام نافذة الأمير أسقى الناس وأدعو لسوءه
بالسمادة والرخاء فاستلفت نظره بهذه الوسيلة . ورمى
إلى قطعة ذهبية ، وكنت قد أتقنت الحيلة قبل ذلك
فاستأجرت جماعة من الأطفال يرددون هتافاً على
توقيع نفقي ، وكان الجمهور يبدى من ذلك أعظم
الدهشة . وقد لاحظ منافسي كل ذلك فاشتد غيظه
ووقف فوق بناء ثم أتى بجسمه فوق فوقت على
الأرض . وفي أثناء هذا اليوم لم أحس بكثير من
الأم ، ولكنني لما عدت إلى منزلي وجدت ظهري
دامياً بحيث لم يعد في إسكاني أن أشتغل بالسقاية في
الستقبل . وفكرت في الاشتغال بسمل آخر لأن
ما جمعت من المال كان يكفي لتأسيس تجارة .

الطامع وحياتنا دائماً متغيرة متجددة رغم ما يبدو على حالتنا من الركود . إننا ننظر إلى الناس كأنهم بعض الألاعيب ونستغل مواضع الضعف والثغرة فيهم . وقد رأيت منذ عرفتك أنك تصلح لصناعتنا وتشرفها ولا ينقضي عليك وقت طويل منا حتى نكون من الرفعة والشهرة مثل الشيخ السعدي نفسه »

وقد وافق سائر الروايش على قوله هذا فلم أبدأ نقوراً من هذه الصناعة وإنما أظهرت جهلي بمؤهلاتها وقلت : « كيف مع جهلي وقلة تجربتي أسير درويشاً عند ما أريد ؟ أنا أعرف القراءة والكتابة وأحفظ القرآن وديواني حافظ والسعدي وجزءاً كبيراً من لشاه نامه الفردوسي ، ولكنني فيما عدا ذلك جاهل تمام الجهل » ١

فقال لي الدرويش صفر : « أخطأت بإساحبي فأنت لا تصرف إلا القليل عن الدروايش . إننا لسنا في حاجة إلى كثير من المعرفة ولكننا في حاجة قبل كل شيء إلى أن نظهر بمظهر الواصل المؤكد لا بمظهر الذي يشك ويتردد . أما المعلومات التي تعرفها فقد كان يكفيك عشرها ، وأؤكد لك أن قليلاً من التأكيد يمكنك — لا من جيوب الناس غصب ، بل ومن أرواحهم أيضاً . إن الوقاحة والتجسس كزنان لا يفتنان أيها الصديق ، وقد أصبحت بهما في نظر الناس . ولياً من أولياء الله وأتيت بهما كثيراً من الكرامات . وفي إمكانك أن أقنع الناس بهذه الوقاحة أي قد شقت لهم القدر وأنهم رأوا بأعينهم انشقاقه

ولما فرغ الدرويش صفر من قوله أكد لي سائر الدروايش أن الجماهير في هذه البلاد من الثغلة بحيث لا يكذب بينهم مدح . ورووا لي قصصاً عجيبية

أما الطبقات الراقية فكانت أعطيها تبناً صافياً غير غلوط

واشتهرت في مشهد بمجودة اللباس . وكان أحب زبائن إلى رجل من الدروايش لم أكسب منه كثيراً لأنني كنت أعطي من أحسن الأنواع بأزهد الأثمان ، ولكن عاداته لي كانت ممتنة ؛ وقد عرفني بكثير من الناس وبذلك كل ما في وسعي لاستثمار رضاء ومودة .

كان اسم هذا الرجل « درويش صفر » وهو رجل غريب الطلعة ذو أنف كبير أحسب ونظرات تكاد تحترق الحجب ، وهو كثيف اللحية ، وشعره الأسود منسدل على كتفيه ، وقد طرزت عمامته بآية من القرآن ، وعلى ظهره جلد عزة على شكل كيس يجمع فيه ما يقدم إليه من الصدقات . وكان في منطقته وهيئة الرائيين ما يثبت الهيبة في النفوس كما أراد ، وقد عرفت من ملاحظته أن هذه الحالة يتصنها ، لأنه عند ما يجلس يحاوتني وأقدم له الترحيلة يكون بحالة عادية طمعية لا تلبث مهابة ولا خوفاً . وقد عرفني في النهاية بصدق من أصحاب الدروايش الذين دعوني إلى كثير من مجالسهم . وبالرغم من أن تعرفي بهم كان يكافئ ضياع كثير من التتبع بنبرمقابل فاني لم أقول على مقاومة الدوافع التي تجذبني إليهم اللطف معاشرتهم .

وفي ليلة قال لي صفر وقد دخلنا من التتبع أكثر من العادة : « أنت إساحبي يا أندر وأكبر من أن تقصر حياتك على بيع التتبع ، فلماذا لا تصير درويشاً مثلاً ؟ إننا نثبت بذقون الناس أكثر مما يثبت الطفل بالألعاب ؛ وحياتنا ممتعة لذبة لما فيها من الراحة مع كثرة الكسب ، وقلوبنا مستريحة من ألم

وأنا أطلب إليها أن تضرب لي موعداً بقاءها . وقد أخبرتك الكاتب باسم التي سأرسل إليها الخطاب . وكان ذلك حقاقة مني لأنه ذهب إلى القائد وأخبره بالأمر لكي يتألم منه مكافأة

ولم يكن ذنبى لينتفر عند القائد، لأن زواج ابن ملاعب الفرد من بنت « زامبورا كشي باشي » جريمة لا تعد لها جريمة

وكان لهذا الرجل نفوذ كبير في القصر فاستصدر أصرأ بنى إلى شيراز . ولم يسع أبى إلى تأخير سفرى بل ألح في التسهيل به لأمراضه للأمر ولا خوفاً منه بل لأنه خشي أن أمانسه في صناعته التي أصبحت مثله في إقناعها

وقد قال لي يوم سفرى : « اسمع يا بنى ! يحزننى ابتعادك عني ولكن التربة التي ربيتها لك والصناعة التي أخذتها عني ستجعلان مستقبلك سعيداً إلا إذا شئت أن تنفسه بالتفريط وأبائهاون . وسأعطيك أكبر فرد هندي فاعن به من أجل وأحببه جاك لي، وأرجو أن تصل في وقت من الأوقات إلى مثل ما وصل إليه أبوك من المعرفة والتجربة »

قال لي ذلك ووضع الفرد على كتفى . ثم غادرت منزله الأبوى وسرت في الطريق إلى أسفهان غير محزون ولا أسف لأنى أصبحت أكثر استقلالاً ولأن في امتلاك الفرد ما يسلي . ولكن شيئاً واحداً جعلني أذكر وطني الأول وأحن إليه . وهو تلك الفتاة التي كنت أتخيل أنها أجل من شيرين »

وما اجتمعت عن المدينة حتى بدت لي معالمها كالأشباح ووجدت كوخاً لأحد الدراويش فجلست في ظله على قطعة من الحجر وأجلست الفرد بجانبى مولياً وجهى شطر المدينة، ولم أملك دعوى من

ظهرت فيها براعتهم وغفلة الجماهير . ووعودنى بأن يسردوا على في لندن تواريخ حياتهم وألحوا على أن أراجع عقلى فأنضم إليهم وأترك تجارة التبغ لأنا تجارة باثرة

الفصل الحادى عشر

الدرراوىش

لما اجتمعنا في لندن جلسنا وفي يد كل منا غليون . وكان بالترفة التي جلسنا فيها نافذة تطل على حديقة مفروسة بالأزهار ، وكانت ظهورنا إلى الحائط ووجوهنا نحو تلك النافذة . وبدأ الدراويش صفر وهو أكبر الدراويش غير منازع في الزطمة يقص علينا قصته بهذه الألفاظ قال :

كان أبى واسمه طابوس رئيساً للامبي الفرد والدياب في قصر الشاه وقد تملت منه كل طرائقه وحيله كما تملت إحكام التقليد والتخيل . ولما بلغت الخامسة عشرة كنت باوعاً في هذه الصناعة . ولولا مصادفة خلقت أبى فيها . أما ذلك الحادث فهو أن بنت قائد فرقة الجمال أحييتني منذ رأيتى أرقص في عيد رأس السنة . وكان لي صديق من الجمالة في هذه الفرقة . ولهذا الصديق أخت تخدم في بيت القائد . وكانت الألفة شديدة بينى وبين هذا الصديق الذي أخبرته أخته بميل سيدتها نحوى فذهبت إلى « البرزا » وهو الكاتب الذي يجلس في ركن من الطريق وكافته أن يكتب لها خطاباً غرامياً بحبر شديد الاحمرار وأن يمثل في الخطاب بأرق الآيات وأعزها، ويقول في هذا الخطاب إننى ميت لما أرسلته إلى من نظرات عينها، وإن قلبى مكوى بنارحبها . ولم أستمع بعد هذا القول من التوكيد بأنى أريد أن أراها

حديثه وودعت في الاستزادة منه ثم قال لي :
« أنت لا تعرف يا سفر ماذا يستطيع أن يجنيه من
هذا الفرد وهو حي مع أنك إذا ذبحته استخرجت
من جثته ما ينفع في السحر ويجعل لنا منزلة عند
النساء في قصر الشاه ، لأن المرأة التي تأكل قطعة
من كبِد الفرد تستعيد محبة من تريد . وجملة الأنف
من القرد إذا وضعت على اللعق منعت تأثير السم ،
والرمان الذي يبقى بعد إحراق عظمه يكسب صفات
الفرد وهي المكر والذكاء والقدرة على الهكاكة .

ثم ألع عليّ " أن أقتل القرد ، فأزججى هذا
الاقتراح لأنني تربيت مع القرد وشاركته السراء
والقضاء . وكنت أبدو له الرضى لولا أن سحته
تغيرت فجأة من الابتسام واللبشاشة إلى السبوس
والتعطيط بشكل خشيت منه عواقب الاصرار ،
وقلت في نفسي أنه يستطيع أن يفعل ما يريد بغير
موافقتي فلا تقيدني للمارسة غير فقدان مودته
فوافقتني على ما اقترح .

وما كنت أوافق حتى أخذ القرد وقله ثم
أوقد ناراً وأخرج من جثة القرد ما أراد أن يخرج
ثم أحرق باقيها وجمع الرماد في منديله واستأنفنا
الرحلة .

وصلنا إلى أصفهان في وقت مناسب . وفي
هذه المدينة ظهرت شهرة سيدي وجي ربما كبيراً .
وكان يأتي إليه مئات من الناس يستشيرونه في
أموالهم ، فالأمهات يأتين بأبنائهن للحمايتهم من
الحسد ، والزوجات يطلبن منه الحماية من غير الأزواج ،
والجنود يطلبون أن يكتب لهم طلامس تقيهم
الوفاة في المارك . ولكن أم من استشاره من
نساء البلاط ، فقد كانت زوجات الشاه يطلبن إلى

الانهمال وتنهت ودعوت الله بلهجة عذبة مؤثرة
سمما البرويش فخرج واستخبرني عن حالتي فأخبرته ،
وتأثر فعداني إلى كوخه الذي وجدت فيه درويشاً
آخر على وجهه من النفوذ والهيبة أكثر مما يبدو
على وجه صاحبه ، وكانت ثيابه مماثلة للثياب التي على
الآن وهذه الهامة في نفس عمامته . وكان في
نظراته قوة تبث الخوف .

ولما رأيته تناول مع صاحبه على انفراد ثم
اقترح أن أستعصمه إلى أصفهان ووعد بمكاناتي
إذا سلكت مسلماً حسناً ، ثم قدم زميله في الكوخ
غليوفاً وقدم لي غليوفاً آخر ، وخرجت معه فسرنا
نحو أصفهان وقد انقضى جزء كبير من الطريق
دون أن يتحدث كلانا إلى الآخر بحرف .

وأخذ البرويش « بدن » — وكان هذا هو
اسمه — يسألني عن حياتي السالمة ، فلما أخبرته
بدا عليه السرور ، ثم أخذ يشرح لي حياته وصناعته
وحسب إليّ أن أسير درويشاً مثله . وقال لي إنني
إذا عاملته معاملة التلميذ للعالم فانه لن يترك شيئاً
يجب أن ألم به إلا وعلمني .

وكان الرجل من أعلم البرويش وأكثرم
اطلاعاً فأخذ يحدثنني عن الكيمياء والفلك وبعض
ضروب السحر ، وأكدي أن ذنب الأرنب إذا وضع
تحت وسادة الطفل فانه يجلب النوم ، وأن دمه إذا
شربه الجواد اتسمت خطوانه ، وأن الأولاد إذا أكلوا
أعين الدناب نشأت فيهم الشجاعة ، وأن المرأة إذا
دهنت جسمها بشحم الدب كرهها زوجها ، وأن
أكل صراره ، يجلب القم وأن الانسان إن وضع
بين ثيابه قطعة من جلد الغهد أحبه الناس .

واستمر يحدثنني على هذا النوال حتى لدني

وكان يزورنا في هرات نحو ألف نفس في كل يوم من النساء ورجال شبانا وشيوخا. وكان الهرويى المجال يقيم مى على رأس جبل في هرات . وزعم أنه لا يأكل شيئا غير الذى تقدمه لنا الجبل، ولكن مع الأسف مات صاحبه هذا منخوماً لأنه أكل من اللحم أكثر من طاقته . وقلت للناس بمد موته إن الجبل حسدت الأدميين على وجود رجل مثل الهرويى بينهم فسلطت عليه الرياح الشرقية التى رفعتة إلى السماء . وهذه الرياح حارة تهب في أشهر الصيف وتستمر مائة وعشرين يوماً

وقد صدق هؤلاء البسطاء ما زعمت وعدوه كرامة أخرى للهرويى الذى زادت شهرته بمد موته وأقيم له مآتم حضره الأمير وكافة الأعيان وبقيت مدة في هرات بمد موه فاكنسبت مالا من بيع قلايات الأظافر وقصاصات الشعر التى كنت أزعم أنها من شعر الهرويى وأظافره مع أنها كانت في الحقيقة من شمرى وأظافرى وبما أجمه من عند الحلاقين . ولقد كانت جملة ما يتهمن ذلك كبيرة تكفى لتكون عشرين لجة . وخشيت إذا بقيت على هذه الطريقة أن يفتضح الأمر بالرغم من سرعة التصديق عند الأفغانين فرحلت من الأفغان إلى فارس

وفي أثناء الطريق وجدت قبائل تيش في الخيام بين كابول وقندهار فكان نجاشى بين هذه القبائل أكبر مما كنت أتصور فقد نلت من الحظ ما لم يتله الهرويى بدى

ثم وضع الهرويى سفر يده على ظهر الهرويى الذى كان جالسا بجانبه وقال : « لقد كان مى هذا الهرويى هناك ورأى مبلغ نجاشى الذى أصبحت

الهرويى . « بدى » أن يصف لى ما يسيط بجانبه الوجه فلا تبدو الغضون عند الضحك أو التخطيب . وكان علاجه لذلك عظام البومة ورأس الهب وأرجل الضفدع .

وكانت كبرى زوجات الشاه غير محبوبة من جلالاته فدفنت مقدارا كبيرا من المال إلى الهرويى في مقابل قطعة من كبد القرد . وشكت إليه زوجة أخرى أن جلالاته يؤثر عليها غيرها من نساؤه فأعطاهما بعض الرماد للتخلف عن إحراق عظام القرد . وأعطى الثالثة قليلا من دهنه

اشتركت معه في كل هذه الخيل وساعدته بما كنت أظهره من الاحترام على رواج بضاعته التى كان يكسب منها مالا كثيرا . أما أنا فم أكسب شيئا ولم يطفى درهما مما حصل عليه ثمنا لقردى أو ثمنا لغيره من أكاذيبى

رافقت الهرويى « بدى » في رحلته إلى بلاد مختلفة . ولما كانت كل هذه الرحلات مشيا على الأقدام فقد شاهدت مناظر جمة ورأيت بلادا فسيحة . وكان سفرنا من طهران إلى الأستانة ومنها إلى دمشق ثم إلى حلب ، وذهبتا إلى القاهرة ومنها إلى جدة ثم مكة والمدينة ، وذهبتا بد ذلك إلى لاهور وكشمير في البلاد الهندية

على أن رجعتا لم يكن كثير آمن البلدان الأخيرة لأن كثيرين من أهلها الأذكيا أظهروا كذبتنا وخداعنا، فكانا ندخل البلدة ممزىن مكرمين ونخرج منها مطرودين محقرين حتى وصلنا إلى الأفغان فلقينا من سرعة التصديق والسذاجة ما لم نجهده في أى مكان آخر . وأكرمنا أهلها أيا أكرام ونسبوا إلينا من الأعمال ما ليس يصدر عن غير الأنبياء

يبالجه جالساً في ركن من النرفة مع النساء وفي فيه غليونه وهو الذي أسر بكتابة الحجاب حتى يجد له شريكاً في المسئولية عند ما يتضح أن دواءه غير مجد ويموت المريض

ولقد بدا الأمل على وجهه وعلى النساء عند ما دخلت حجرة المريض وطلبت قطعة من الورق ودواة وقلماً وأظهرت ثقة عظيمة مع أنى إلى ذلك العهد لم أكن قد كتبت حجاباً قط، فحسب لي بالهواة والقلم وبقطعة من الورق غير المد للكتابة، وظهر لي من شكها أنه كان ملتوفاً بها بعض المقاقير التي استعملت في علاجه كتبت على هذه الورقة اسم الله واسم النبي والحسن والحسين ومن حضرتهنى أسأزم من الأولياء والرسول، وخططت أرتاماً حول هذه الأسماء ثم سلخت الورقة للطبيب الذي أسر بإحضار طمست وإبريق فحبا بلقاء الكتابة التي كتبتها وغسلها ثم قال: «إنا كان للمريض أجل فانه سيشفى ببركة هذه الأسماء. أما إنا كان أجله قد انتهى فلن تطيل عمره حينئذ ولا حيلة أى إنسان»

ثم أسر بأن يبرخ هذا الماء فأتجهت إليه كل السيون. وبقى السكين مدة لا تبدو عليه علامة من علامم الحياة، ثم مشى الطبيب نحوه وفتح مينييه ورفع رأسه بين ذراعيه وكله فائق، فنسبت ذلك بيني وبين نفسي إلى الهواء الذي كان في الورقة. ولكنني حرصت على أن أفهم المريض أن شفاؤه إنما يرجع إلى بركة الكتابة التي كتبتها وأن ليس للطبيب فضل في شفاؤه

وفي الوقت نفسه حرص الطبيب على إفهامهم أن مريضهم شفى بسبب دوائه السالف وأنه لا فضل لي فقال عند ما فتح المريض عينيه وتهدأ: «ألم أتل

فيه مثل «حظرة إيشان» نفسه. ثم سافرت إلى مشهد ومكنت فيها مدة طويلة طالت فيها مصابة بينيها وشاع بين الناس أنني رجعت إليها بصرها بعد أن أسأها المعنى»

ثم سكنت المرويش وقال لجاره: امرء أنت قصتك منذ تعرفت بك. فقال ذلك المرويش: كان أبى من رجال القضاء في مدينة «قم» وقد اشتهر بكثر الصلاة والصوم والانتفاع للعبادة وبأنه من أكثر الشيعة وسائر المسلمين صلاحاً وتقوى وكان لي إخوة كثيرون، وكان أبى خشناً شديداً في ماملتنا فأنشأت خشوته وشدة في نفوسنا مكرراً وحسن حيلة حتى صار يضرب بنا للثل في الزمان والكذب ونحن لم نجاوز بعد عهد الطفولة. ولما مات أبى صرت درويشاً واشتهرت لهذه الحادثة التي سأذكرها

لما وصلت إلى طهران اخترت لنفسى مجلساً أمام حانوت صغير لمطار كان يبيع المقاقير، وقد اكتسبت مودة وقلته. وتصادف بعد عهد غير طويل من تفرقي عليه أنه مرض مرضاً شديداً وانقطع عن المجيء إلى حانوته. وبعد أسبوع أو أسبوعين من انقطاعه جادته بنته وطلبت إلى أن أكتب لها «حجاباً» فأظهرت استمداً لذلك. ولكنني طلبت أن أذهب معها إلى منزله لميادته ولا أكتب الحجاب عنده. وقلت إنه ليس منى ورقة ولا حبر ولا قلم حتى أكتب الحجاب في الطريق فأخذتني إلى المنزل

رأيت ذلك المريض نائماً في حجرة قد ازدحت بالنساء من أفاريه يكنين ويقلن على سمعه إنه يسموت. ورأيت لوم أترأ في مرضه. ورأيت الطبيب الذي

إلى الطريق ولم يزل كلاهما متشبعا بالآخر حتى دخل
جندى استمدى لأجلنا من الطريق

عند ما طرق الجندى الباب ترك كل منا أعاء
واعتمدت على أن أهل الرضى سيشهدون لى
لأنهم بالطبع يكرهون الأطباء خصوصاً هذا الذى
ابتز مالهم ولم يكن الشفاء على يده ، ولأننى لم
أكن أخضت أجرى ولم يكن مضى زمن طويل
على شفاء مريضهم .

كنت أعتد على ذلك ، فلما دخل الجندى لم
يسأل أحداً بل نظر إلى نظرة احترام وتقدير ، وإلى
الطبيب الذى قات إليه أهائى نظرة ازدراء وتحقير ،
فغار فى أمره وبدت عليه شدة الغنى ، ثم خطر بباله
خاطر فأمنى إلى الأرض وجع بعض الشعر الذى
نزعته من لحيته وقال لى أمام الجندى : « سترى
فى القدر على أينما يحكم القاضي بعد ما نزعتم شعر
الحق وأما رجل مسلم »

نخفت عند ما ذكر ذلك أمام الجندى لأن لحيته
للسلم مقدسة فى هذه البلاد وديتها « دوكت »
عن الشجرة الواحدة ؛ وقلت فى نفسى إن جميع
ما أكتبه من الأحجية لا يقوم بتوضيح هذه
الحجة . ولكننى اعتقدت أنه متى هذا غضبه ظن
ينفذ وعيده خشية نتائج القضاة ما دام الأمر
مرجه إلى الشهود ولذلك لم يفزعنى هذا الوجه .

ولقد صدق ظنى وفاع فى المدينة أن المرويش
الجديد قد أصبحا عطاراً من الموت فانتست شهرتى
وبقيت كل يوم من الصباح إلى الثروب أكتب
لناس أحجية بنير انقطاع . واجتمع لى مقدار
وافر من المال . لكن لسوء حظى لم يمرض عطار
آخر فأشفيه وتتضاعف شهرتى بل أخضت شهرتى

إنه سيشفى متى تم تأثير الهواء فى جسمه ؟ أنظروا
كيف كان علاجى ناجماً ! لولاى لكان مريضكم
قد مات »

إفتظت من الطبيب وخفت أن يضيع على
ما كنت أنتظره من الأجر فقلت له : « إذا كنت
طبيباً حقاً ، وكان فى مقدورك شفاء المرضى فلماذا
استدعيتنى ؟ أنت لا تعرف من الطب غير الحجابة
فلا تدخل فيما ليس لك شأن فيه »

فاجابنى : « اسمع يا درويش ! أما لست أنكر
أنك أحسنت كتابة الحجاب ، ولست أنكر أنك
تستحق على ذلك أجراً مناسباً . ولكنك تعرف من
م المروايش وأن كتابتهم إن أفادت فيبركة الأسماء
التي يكتبونها لا بفضل هؤلاء الكاتبين »

أخذتنى البرة وقلت : « من أنت حتى تخاطبنى
بهذا الأسلوب ؟ أما خادم النبى فكيف أوازن بك
مماثر الأطباء الذين تضرب بجهلهم الأمثال ؟ إنكم
تخفون هذا الجهل بنسبة الشرودون الخير إلى القادر
فأنا شئ من تعالجه قلم إن شفاءه من ثمرات
علمكم ، وإذا مات قلم وأقام أهله ، مع أنه إن شئ فمن
طريق المصادفة ، وإن هلك فلا نكسكم تطونه ما ليس
يتفق مع مرضه . لقد كنت تقتل هذا المريض
بمقايرك لولا أننى جئت وشقيته »

ولم يكن الطبيب يتوقع أن يسمع منى كل ذلك
فبهت وقال : « هل قدر لى أن أسمع كل هذا من
درويش حقير ؟ »

فرددت عليه بأقوى لهجات الاحقار . ولم
يطل بيننا الجدال حتى تضاربنا وأمسكت بلحيته
وأمسك بتاسيتى واثرت كل منا خصلة من شعر
الآخر وصرخ النساء وعلت الضجة وجرى بعضهن

الفصل الثاني عشر

ما جرى بابا يرى أنه من المصراع قصير
فنبئت له من عمل آخر

لما فرغ الهروي من سرد قصصهم شكرت
لهم دعوتهم إليهم وتمهيدهم السبيل لاستقبالهم وعزمت
على أن أعلمهم ما أكثر ما أستطيع تعلمه لكي
أصير درويشاً مثلهم وأن أترك التجار بالتبغ .
وعلمني الهروي سفر طرقاً كثيرة للظهور بين
الناس بمظهر العلماء . وتعلمت من الهروي الثاني
فن كتابة الأحجية ومن الثالث فن القصص .
وتعلمت منه كيف أستثير رغبة السامعين حتى يجودوا
بأموالهم . وبقيت في الوقت نفسه مستمراً على بيع
التبغ، ولكن بما أن الهروي كانوا يدخلون بامبدل
كل كسبي فقد اضطرت إلى زيادة اللبس في خلط
التبغ . حتى صارت رائحة ما أبيع لافضل إلا قليلاً
— رائحة اللبس المحروق وأوراق الشجر التمتعة —
وفي ليلة من الليالي جاءت إلى امرأة عجوز
وطلبت أن أملاً غلبونها بالتبغ وأعطيتي شاهين
(الشاهي عملة فارسية قيمتها مليم) فلات لها
الثلثون وأعطته . وما كادت تضعه في فمها حتى سعلت
سعالاً قوياً متكرراً خشيت منه أن تفارق الحياة
أمام حائقي وسرعان ما أقبل ستة رجال أشداء
لنجدتها . وكان من بينهم المحتسب نفسه وهو موظف
من قبل الحكومة يجلس في السوق لمراقبة الموازين
وأستاذ للتاجر

ولما عرف المحتسب السبب قال لي : « لقد
افتضح أمرك أخيراً يا أصفهاني . لقد كنت تسمم

في التناقص بمعنى الأيام حتى كادت تزول فمزمت
على منافدة طهران والقيام برحلة في سائر البلاد
الفارسية حتى وصلت إلى هذه المدينة وكان مني
خطاب من المطار مملوء بمخاطبة يشهد فيه أنني
رددت إليه الحياة ، وكنت أعلم كل من رأيته على
هذا الخطاب فظلت شهرت قاعة على أساس هذا
الحادث الفذ .

لما فرغ هذا الهروي من سرد قصته قال
الهروي الثالث : إن قصتي قصيرة ، وقد كان أبي
معلمًا في مدرسة ، وكنت في مدة الدراسة منصرفاً
إلى كتب كل الانصراف . ولاحظ أبي أنني قوي
الذاكرة فكلفتني أن أقرأ له كتب التاريخ . وبهذه
الوسيلة اتسمت بمدارفي ووعيت ما قرأه ، وحين
أسلوب فصرت تأسراً روايتاً ومات أبي وأنا لا أعرف
صناعة ولا فناً أكتسب به القوت فصرت درويشاً
وتنقلت بين البلدان أقص على الناس في جماع عامة
حوادث الدهور الفائرة . ثم وضعت أفصيص صرت
أقرأها في مشارب القهوة وأتناقص على ذلك ما يسد
رمقي ثم زادت تجاربي ومقدرتي في هذه الصناعة ،
فوضعت روايت خرافية « كرواية » أمير كافي »
و « أميرة سمرقند » . ورايت أفواقي الجماهير
فاخرت في الخيال وقربت الحال وكنت أسكت
عند أم موضع في الرواية التي أسردها فيكثر الاهتمام
وتتطاول الأعتاق تشوقاً لسامع سائر القصة ويطالبوني
بأن أنمها فأطالهم بأن يدفع كل منهم قطعة سنيرة
من النقود وحصلت بذلك على مال كثير

وكنت كلما رأيت للنصتين يفلن في بلدة انتقلت
منها إلى غيرها فأجدد مجودي بها

فيظن فيه أنه شريك لي وقال لي إنه عوقب مرة في شبابه مثل هذا العقاب وإنه يعرف الهواء الذي يشق قروح الجلد فيميد للقدمين إلى ما كانتا عليه . وكنت في أثناء هذا اليوم قد عذرت على الخروج من مشهد وقلت إن عيبي إليها كان في ساعة منحوسة وأخبرت الدراويش بهذا المزم فخذوه وقال لي الدراويش صفر إنه يريد مرافقتي في هذا الرحيل وأن يكون سفرنا مع أول قافلة، وقال إن مشيخة العلماء متيظة منه لازدياد نفوذه على العامة والباطلاء الذين يريد العلماء الاستئثار بالنفوذ عليهم . وإنهم لذلك يدبرون ضده خطة ومن المحال عليه أن يثبت أمام مقاومتهم .

ولست ثياب درويش وخبات منى ما أملكه من المال واستمدحت للسفر عند ما يحين ساعته . ولكن رغبتنا في التمتع بالسفر كانت شديدة جداً ، ومن أجل ذلك فكرنا في الرحيل وحدها غير منتظرين موعد القافلة وأردنا عمل استخارة على ذلك من ديوان السعدى لأن الفرس يأخذون الاستخارة منه ومن ديوان حافظ ومن القرآن الكريم فكانت الاستخارة هكذا : « ليس من العقل أن يشرب الانسان دواء بشير استشارة طبيب ولا أن يسافر بشير قافلة » فها هنا هذا التحذير الصريح مما كنا نلزمين عليه

ولما ذهبت للسؤال عن الموعد الذي تسافر فيه القافلة قابلت في الطريق صاحبي « على خاطر » وهو الجندي الذي أكرمني وأنا أسير في موكب الأمير . وكان قد وصل في هذا اليوم مع القافلة

أهل مشهد بيقينك السموم فمستغرب على قدميك مصاً على كل شئ أخذته من الناس

وفي الحال وضت رجلاي في مصاً مربوطة بجبل من طرْفها يدعونها القلفة ولفوها على الساقين حتى أحكموا خنقها ثم ضربوني على قدي ضرباً مؤلماً مبرحاً حتى خلت أن الأرض تدور بي وأنتي أرى ألف عتسب وألف امرأة عجوز يضعكون من آلامهم ويصخرون من بؤس

وأخذت أستغيث وأتوسل إلى المحتسب بأمة وأبيه وبأبنائه وبإلني وعلى والحسن والحسين وبسائر الأئمة فلم يجد ذلك شيئاً وصرت ألسن التبغ وتجارة وبائمه ومدخنيه

وكان أصحاب الدراويش جالسين في هدأة وصمت لا يحاول أحدهم أن يحرك ساكناً من أجلي ولا ينظر إلى نظرة عطف ثم أغني على .

ولما أفتت بعد ذلك وجدت نفسى ناعماً على قاعة الطريق وحولى عدد كبير من الناس يبدون الشفقة لما نالني ويقولون إنني أستحق أكثر من ذلك لأنى غشاش . ولم يرض أحد أن يمد إلى يد المساعدة . ونظرت إلى حاتني فلم أجده شيئاً فقد أخذ كل مافيه من التبغ والباسم فاضطرت إلى الذهاب زحفاً إلى منزلي وكان قريباً من الحانوت فوصلت إليه وأنا أبكي بكاء يستجلب الشفقة لو كان فيمن يسمع من يعرف الاشفاق .

وبعد يوم قضيته في أوجع الآلام من الجراح المتعددة في قدي زارني أحد أصحاب الدراويش وقال وهو خائف يرتجف إنه يخشى أن يوجد عندي

فيها الدببة وكنت قد كنت هذا الجزء من القصة
عنه لما سردتها عليه

ولما ذكرني بهذا الحادث علمت أن أبي يفاخر
بنتجائه من يدى ؛ وهو يزعم أني أحد اللصوص
فكذبت أخذك وخشيت أن يرى عدتى على وجهي
ما يريه من الابتسام فصعلت نفساً طويلاً ملاً
الفراغ بين وجهه ووجهي بدخان الترجيلة وقال لي
إنه يباع فضته في أسفهان واشترى بهمنياً نيفاً ونحاساً
وباع ذلك في « نيرد » ومن تلك جاء إلى مشهد في
القافلة التي وصلت إليها . وقال إنه سيستأنف سفره
مع القافلة إلى طهران ووافق على أن أذهب في صحبته
إليها مع صاحبي الدرويش صفر وأن تركب بنته من
بنته إذا تمينا في أثناء الطريق

« يتم » هـب اللطيف النشار

إلى مشهد ليشتري منها جلوداً يبيعها في بخاري . وعند
ما وقع نظره على صاحبة صبيحة سرور ودعاى إلى
تدخين الترجيلة وأخبرته بقصتي فأخبرني بقصته
أيضاً . وقال لي إنه بعد مفارقتي اشتغل بالتجارة
وإنه سافر بمقدار كبير من خلم النفضة مع قافلة كانت
تسير في الطريق الذي قطعت منه في أسر الأمير

وكان خوف القافلة شديداً لاعتقاد رجالها أن
عدد التركان الذين قابلوا كان ألفاً ولكنه لم يحدث
لهم حادث حتى وصلوا إلى أسفهان ، وهناك سمع
أخباراً كثيرة عن الحملة التي قام بها التركان وعلم
أن رجلاً حلاقاً اسمه كربلاى حسن جرح أحدم
جرحاً خطيراً وأبدي شجاعة فادرة وتخلص بأعجوبة
عرفت أنه بنى مقابلي لأبي في الليلة التي هاجتنا

المجموعة الأولى للرواية

صفحة ١٥٣٦

فيها النص الكامل لكتاب اعترافات في
المصر لوسيه ، والأدبية لهوميروش ، ومذكرات
طالب في الأديان لتوفيق الحكيم ، وثلاث سرحدات
كبيرة و ١١٦ قصة من روائع القصص بين
موضوعة ومنقولة .

الثمن ٣٤ قرشاً مجلد في جزئين
و ٢٤ قرشاً بدون مجلد
خلاف أجرة البريد

مجموعات الرسالة

تباع مجموعات الرسالة مجلد بالانعام الأدبية

٥٠ السنة الأولى في مجلد واحد

٧٠ كل من السنوات الثانية والثالثة والرابعة
والخامسة في مجلدين

وذلك علماً بأجرة البريد وقدرها خمسة قروش
في الداخل وعشرة قروش في السوحن وعشرون
قرشاً في الخارج عن كل مجلد

الرسالة

مجلة أسبوعية للعلم والفكر

مجلة الآداب الرفيعة والثقافة العالية
صل الماضي بالحاضر وتربط الشرق بالغرب
على مدى وبصيرة

الرسالة : معبر باخلاص عن روح النهضة المصرية
الرسالة : تجمع على وحدة الثقافة أبناء البلاد العربية
الرسالة : تصور مظاهر العبقريّة للامة العربية
الرسالة : تسجل ظواهر التجديد في الآداب العربية
الرسالة : تحمي في النشء اماليب البلاغة العربية

مجموعة اعدادها ديوان العرب المفكر ، وكتاب الشرق
الجديد ، وسجل الادب الحديث ، ودائرة معارف عامة

لاشتراك المداخل ستون قرشاً ، والمخرج ما يساوي جنباً مصرى ، والبلاد العربية بجمع ٢٠ ٪

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

بدل الاشتراك عن سنة
٣٠ في مصر والسودان
٥٠ في الممالك الأخرى
١ عن العدد الواحد

لإدارة
دار الرسالة بشارع المبدولي رقم ٣٤
حاجين - القاهرة
تليفون ٤٧٣٩٠

المرجلة

مجلة أسبوعية للفن والفكر والتاريخ

تصدر مؤقتاً في أول كل شهر وفي نصف

السنة الثانية

٩ شوال سنة ١٣٥٧ - أول ديسمبر سنة ١٩٣٨

العدد ٤٥



فهرس العدن

صفحة	
١١٣٠	غرام فتان أنصودة مصرية بقلم الأستاذ دروي خشية . . .
١١٤٤	من قتل أباه ؟ للكاتب الإنجليزي آرثر كونان دويل بقلم الأستاذ عبد لطفي جمعة . . .
١١٥٢	هجو للملك أسركاف أنصودة مصرية بقلم الأديب نجيب محفوظ . . .
١١٥٨	الفرن أنصودة مصرية بقلم الأستاذ محمود بك خيرت . . .
١١٦٥	القاضي السعيد لفيصوف الروسي تولستوى بقلم الأديب السيد صلاح الدين للتجيد
١١٦٩	حاجي بابا أصفهان للكاتب الإنجليزي جيمز مور . . . بقلم الأستاذ عبد اللطيف النصار . . .

والأنفاء وسط صحراء الحياة ... ومع
ذاك فلنيس يرى الرأى تتألقها الجبل
الفنان في متحف رؤوف الفنان

وكان في رؤوف وحشة وضيق
وانقباض عن الناس ، كأنهم كانوا
أعداءه ... فلم يكن بطيق أن يشغله
أحدهم عن فنه ، أو أن يشترك معه
في أحلامه . خصوصاً إذا خرج

للرياضة على عدوة النيل النائم في مهبط الوادي ...
حيث كان من دأبه أن يستغرق في تأملاته يهددها
خبر الماء وطنين النحل وغناء الأطيوار ، وبسوطها
النسيم بما يجعل من شغى وأرج

وكان صديقه طارق أعرف الناس بما جبل عليه
من ذاك المزوف عن الناس . فكان يتردد عليه لأماء ،
بل لم يكن يزوره حتى يدعوه وحتى يلح عليه في
الدعوة ... فأذا زاره سمعت عن الحديث حتى يبدأ
رؤوف فيتكلم بمقدار . ولم يكن ذلك من طارق
عن عي ولا حصر ، بيد أنه كان يفضل تلك الوسيلة
في التحدث إلى صديقه لما يبرقه عنه من قصد في
الكلام ، وتفضيل الإيجاز الذي يفي بحاجة التفاهم
على الثثرة التي تنلف التفكير وتذهب بهيال الجبال
وكان طارق مع ذاك لا يني بفكر في حال صديقه
ويجهد دائماً أن يكتشف سره ... لأن رؤوفاً كان
فتى فيه من الشباب غضارة ونضارة ، ومثله لاجرم
بصبي النساء بحسن لفتته وكأفة نظرفته وانسجام
قوامه وهندامه ... ثم هو فتان صادق الفن ...
والفن حاسة سادسة في الفنانين ، وليس معقولاً أن
يمش الفنان بلا حب . لأن معنى ذلك أنه يمش
بلا قلب ، وهذا محال في رؤوف ...
وقد وقف طارق مرة تلقاء تحفة باهرة من

غرام فنان

اقصصت حصة فخرية
بقلم الأستاذ دريني خشبة

كان يشدو طائفة من الفنون أحبها إليه النحت
والتصوير ، وكان ضريب بيجاليون اليوناني ، لم يصب
قلبه قط إلى امرأة ، لأنه لم يكن يرى في نساء العالم
جيماً (حواء) الزائفة التي يسيئها فنه ، وتستاهل
أن تسكن معه في فردوسه المنشود ...

وكانت تماثيله كثيرة وجيلة ، وتترجم عن نفس
واسمة غاسمة ممتلئة بالأسرار والألغاز ... لكن
تخال واحداً كان يصبح أجملها وأشدّها روعة لو أنه
بصنعه ، وهو مع ذاك لم يفكر فيه ولو مرة واحدة ،
أو هو فكر فيه صرات لكنه لم يصنعه ... ذاك هو
مثال فتاة !

كنت ترى بين تماثيله الشعاذ للكفوف ، والسنن
المختصر ، وبواب القمر ، وإزى الصيد ، والأنفى
ذات القرون ، والظبي ، والوعل ، والسكب الحارس ،
والجبل ، والضب ، والكركي ، والحداة الراخنة ...
بيد أنك تجيل الطرف في متحفه الرائع فلا ترى
تخال امرأة . على أن المرأة هي اللهمة الأولى للفنانين ،
وهي النبع الصافي الذي يتفجر بالمجربات في رؤوس
الثالين والمصورين والشعراء ورجال الموسيقى ... هي
أجل باقة في بستان الله ... هي أبهى نعمة تنطلق
من أوتار الكيان ... هي ابتسامة الله المائعة في
قلوب عباده المؤمنين ... هي الواحة ذات الظلال

قبل أن يعرف القرب ما الفن ، وقبل أن يعرف
هل يعيش الفن من أجل نفسه أم من أجل البيئة
وأرباب البيئة من بني الانسان
— أنت تبالغ يا طارق ، فقد يعيش الفن من
أجل الفن في كل مكان حتى على ضفاف النيل ...
لماذا تظن أنني أخفيت وراء هذا الطاووس ؟
— لست أظن !

— وماذا إذن ؟
— لأنني أعتقد أنك أخفيت قطعة من قلبك !
إن لم يكن قلبك كله !
— أنا أخفيت قلبي كله وراء قطعة من الرمر؟
— قد تكون تركته دون أن تشعر به ، إن لم
تكن تعلمت إخفاؤه ، وأنت في هذا كالشاعر الذي
يلف قواده في كلمات منظومة ، والموسيقى الذي
يرسل نفسه في نغمت مرشومة ... كلهم سواء
أيها الفنانون ، تمتحنون وتصورون وتشرعون
وتنتنون ، وتحسبون أنك تصنعون هذا من أجل
الفن ، والناس مع ذاك يحسبون آدابكم وهي تكاد
تحترق مما فيها من حرارة
— وماذا تمنى يا طارق ؟

— أتمنى الشيء نفسه الذي تبالغ في إخفاؤه
عني وهو رأيي إلا أن يفوح كما يفوح شذى العطر
لأنه أكثر منه عطرًا وأشد حبًا ، أتمنى حبك
يا رؤوف !
— آه فهمت !
— ألم تحاول أنت تحت تحتًا لحبيبتك
يا رؤوف !

— إذا كانت لي حبيبة !
— ليس لك حبيبة وأنت مع ذاك فنان ؟

روائمه ، وحمل يجيل فيها طرفه وخياله ، ثم يتعجب ،
ويسأل نفسه : « إن صانع هذا الطاووس العجيب
الذي وقف يشارل أثناء على هذا النحو من الرسوخ
في فلسفة الحب ، لا بد أن يكون أعشق للناس .
وثائق إن لصاحبي لسراً ، وإن وراء سره امرأة إن
لم يكن تخالها هنا في ذلك المتحف ، فهو قائم من
غير ريب في قلبه ... »

وأقبل رؤوف يبتسم ، وحدهج صديقه بنظرة
ثم قال :

— « ما لك لصقت بهذا المتثال فلا تريد أن
ترى يا طارق ؟ هل أعجيك ؟ »

— « وكيف لا يسجني وهو للفتاح الذهبي
لقلبك الواسع الرحب ! »

— « ماذا تمنى ؟ »
— « أتمنى أن تتألك البديع قد أعاني على

أن أفهمك »
— « لست أفهم ! »

— « رؤوف ! اجلس أحدثك حديثًا طالًا
أحببت أن أبدهك به ، لولا ما كان يخيفني من

إخراجك »
— « وما ذاك جعلت فداك ! »

— « أنظر إلى طاووسك الجميل الرائع وقتل
لي ماذا أخفيت وراءه ؟ »

— « ماذا أخفيت وراءه ؟ لا شيء ! »
— « وفيه نكتة إذن ؟ »

— « الفن من أجل الفن ! »
— « الفن من أجل الفن خرافة لا تعيش

إلا في القرب يا صديقي . أما هنا ، أما في جنات
هذا الوادي السميد فقد عاش الفن من أجل الحياة

وفي صدره آفة مكروية ، وظل يترنح بمئة ويسرة
حتى كان في مكتبه ، فانحط على كرسيه وهو لا يكاد
يحيى ...

ووقف طارق أمام القبر وهو موجس خيفة ...
ثم مد رأسه في الظلام للبحث من الثغرة الرطبة
الأسنة ... فلما رأى ؟

تأثيل ... تأثيل ... تأثيل ... !!

تأثيل رائعة لأمة ... عناري وغايات ...
أجسام بضة طرية يكاد ماء الجبال يقطر من ممرها
الغني ، يمشى واقف ويمضى جالس ويمضى منحن
بمضى ينوم فمكراً كأنه يحلم ، ويمضى ينظر ويمضى
ويمضى تهيمهم حول شفتيه أسرار وألغاز ...

لقد تلك النادة المدللة التي تجردت من ثيابها
وزلت إلى البركة تبتعد من وهج الشمس ، وقد
مدت ذراعها اللدنتين تفرق القصب وسيفان البردي
وهذه الراتصة التي تكاد تتأود في ممرها
الناعم قروح وتجيء في فيض من أشعة البرتقال
والبنفسج والورد الجوى ، تارة بلون الحاشية ،
وتارة ينصب على القصبين ، ويرتفع حتى يكسو
القنذلين ، ثم يتعالى حتى يثمر البنون والظفر ، ويملو
حتى ينضج الهد وينسل رمانته ، ويشرب حتى
يلغ الوجه الباسم للشرق الجميل الحيا ...

وتلك المنارة التي تطرحت فوق المشب طرية
متجردة تستمتع بأشعة الشمس ، وأشعة الشمس
السعيدة تقبل كل جزء من جسمها تصل إليه أنف
قبلة ...

وهذه اللووب للكباب قد جلست مع حبيبها
عند حفاقي الشدير يصيدان السمك ، وقد لفت
ذراعها حول كاهله ، وراحت تحديق في عينيه وتحملق

— أحتم أن يكون للفنان حيية ؟

— ذلك لا ريب فيه ؟

— ولو كان أحمى ؟

— ولو كان أحمى !

— ومن أين يتفقد الحب إلى نؤاد الأحمى ؟

— من أذنيه ... فقد يكون صوت الأنثى

أشد سحراً من مراءها !

— فلما كان أحمى ؟

— فن جسمه بالس ! أنسيت بضاضة

الكواكب الأتراب يا صديق الفنان ؟

— فلما كان بلداً لا يحس ؟

— فن أفعه ... إن للأنثى شجيا كشميم الورد

أو هو أطيّب ؟

— لشد ما تضحكى ؟

— ولشد ما تتناهى على !

— لا ، لن أتناهى عليك يا طارق ... هلم

في إبرى .

وانطلقا إلى أقبية القصر

ودفع رؤوف باباً متيقاً تملقت به عشرات من
بيوت المنكبوت ، فتدفق من داخل القبر ظلام
ما كن ، وانتشرت رائحة قديمة آسنة ... ثم أوما
إلى صاحبه وقال :

— هنا يا طارق ... هنا ... لا وراء قطعة

للرسم التي تحت منها الطاوس ...

— هنا ماذا يا رؤوف ؟

— ألا تفهمي ؟ هنا دفنت قلبي وحبي ،

وقد آليت ألا أطلع إليهما ... وأنا أدعك لتبحث
عنهما وحيداً ، وإن متطورك في مكبي !!

وانطلق رؤوف ، وفي جيبه جمعة رقراقة ،

وهرول طارق إلى الطابق العلوى حيث لقي
صديقه الحطم التهم مستقيا على كرسية الكبير
ذى الوسائد وقد حمل رأسه بيديه ، وملء أسأره
الماسبة آلام وأحزان

— ماذا يارؤوف ؟

— ماذا يأخى ؟! هل عرفت ؟

— عرفت كل شيء !

— كلا ! ما أحسبك عرفت شيئا !

— بل عرفتكم تماما !

— هذا غرور يا صديقي !

— غرور ؟ يا حبيبا ! وكيف يكون اعتدائي إلى

قلبك غرورا ؟!

— قلبي ؟ وهل لى قلب ؟

— أحسن القلوب وأكبرها وأزكاها يارؤوف

— كيف عرفت هذا ؟ أمن أجل بضعة تماثيل

لا قيمة لها ؟!

— وكيف لا يكون لها قيمة وهي ثمرة حياتك

— وماذا يطارق ؟

— وزهرة حبك يارؤوف !

— حبي ؟

— أجل حبك !

— وهل يجب من ليس له قلب ؟

— رؤوف !

— ماذا يأخى ؟

— أراك قاتلا من شيء تخين ضاع من يديك

فهل تخبرنى ما هو ؟

— لا ! لم يضع شيء ، فقد أحببت فنى

ووهيت له حياتى وتفكيرى ... وعملت التماثيل

الرائقة والصور الشائقة . مثلت المذاوى والتأنيات

وتلك اللوحة النجبية التى تحت حديقة الأندلس
أجل حداثى القاهرة الفاروقية !! أواه ! يا للحبيب
يشوى مع الحبيب فى ظل الدوحة الباسقة ! لقد
أسندت الجملة رأسها فوق صدر الالف الوامق ،
وجملت من شعرها المشدودن كلمة فوق كاهلها
وكاهله ... !!

وهذه الجالسة فى غمر من أفياء الجيز تتلو قصة
حبها ، وأدم الصغير جالس أمامها يقلب فى قديمها
الخلائيق عينيه الجائشتين وهو موشك أن يأكلهما
وتلك الحبيبة النافرة تصدو ثم تصدو ، ويصدو
حببها فى إثرها ثم يصدو ...

وذاك النثال الحبيب الذى يثقل القيلة ! ما لك
يا أجل القيان تذودن فيه الجائع الظمى من فك
التهب الريان ! أعطيه قيلة !

أوه ! من هذا السادر الحزين يذرف دمه فوق
طروس كتابه المفتوح !

ويحك أيها الساهر فى شرقه يرقب النجم
ويتأجج الكواكب !

سلام عليك أيها المنزل فى منعطف الحديقة
تجبر ذكرياتك وأشجانك !

حنانيك الهم لهذا الليل لك المسبح باسمك
وقد بسط كفيه يطلب المون منك والنوث من دنك
مسكين يارؤوف ! مسكين يا صديقي !

ما هذه الدنيا الخافلة الجميلة التى دفنتها فى ذلك
القبو المظلم الرطب !

لك الله ! ما هذه الأمانى التى كسبتها فى ذلك
الديجور الموحش الرهيب !

له آمالك ! لم حطمتها هنا وآثرت أن تعيش
فى الدنيا وحدا !

— أشكرك يا طارق ! لقد كنت تحسبني
أعيش لفن من أجل الفن .. فهل شرك أنى كنت
أعيش لفن من أجل الحياة ؟

— سرني كثيراً بل بهرنى ، وسهرنى أن
تمود فتصل أسبابك بهذه الأسباب التى تقطعت
بينك وبين الماضى ؟

— هذا ما لن يكون أبداً !

— ولم لا يكون يا صديق ؟

— لأنك لم تجرب مثلى ... هلم بنا إلى القبو
أقص عليك أروغ القصص يا طارق ... إحل هذا
الصباح الآخر ، وذلك البرقالى ، والثالث الأخضر ،
وسأحل أنا ذاك البنفسجى ، وهذا الأصفر ..

وانطلق الصديقان بطويان الدرج إلى أقبية

القصر

لقد كانت أعصاب رؤوف تضطرب وتهتز كما
تهتز أوتار العود إذا لمسها أنامل الموسيقى ، وكان
جبينه ذو الأساور يتصمد بهرق بارد هو عرق
الحنى الذى ألحبتنا فى قلبه الده كريت .. وكانت أنفاسه
تردد كأنها تحصى خفقات قلبه وضربات رقبته ..

وكانت عيناه النائرتان انطبقتا فيهما بريق الأمل
تنظران إلى أحماق الماضى ، ثم تغلبان حسييرتين
ودفع رؤوف باب القبو دفعا يسيرا فانفتح ،

واقتضت من ظلماته فى قلبه خسرات ...

وقبل أن يلج نظر إلى طارق نظرة آسفة
مكظومة ، ثم ذوف عبرة حزينة زلزلت قواد صديقه
ثم قال :

— هنا يا طارق غيبت فى الظلام آمالى منذ

طمين ، واليوم فقط أعود فأدخل هذا الجحيم ،

والتيان والعراس ، وصورات الجنات والقصود
والأرض والسماء والأكواب وأبداع ما فى هذا
الوادي السحري العجيب من آيات الخلود ... لقد
كان الذيل السمح العظيم يرمى إلى ما أوحى من قبل
إلى فتانى الفراغة . وكنت كلما أفقر قلبي فتحت
له فضره بكل جديد وطريف من آيات الإلهام
فتناولت منعق أوريشتى فأخرجت مارأيت وما لم تر .
تقول إنى أضعت شيئا ؟ وماذا تظنى أضعت يا طارق ؟
— هذا ما أحب أن أعرفه

— إذن فأعرف أنى لم أضع شيئا !

— وهذه التماثيل ! لم دفتها فى هذا القبو

الرهيب لليت ؟

لأنه أحسن مكان يناسبها !

— أولئك المناري ؟

— أجل !

— لقد كنت أحسبك تصنع لمن جنة فيقمن

فيها خاليدات ؟

— لو كن يستأهلن هذا مى أو من أى مخلوق !

— ولم لا يستأهلن هذا منك يا رؤوف ؟

— لأنهن أبالسة ... كنت أجول إبليسات !

— ولله ؟

— لأنهن خُسن جيم . أوه ! لقد استدريجنى

حتى فضحت سرى الذى كنت أوتر ألا يطلع عليه
أحد ! ...

— أنا لم استدريجك يا رؤوف ، بل أردت أن

ترج قلبك قليلا مما ينوء به بالروح لى ، فليس أنفع

لصديق من صديق يقول له ويقول صديقه له ،

أما أن تعيش فى هذه الدنيا المترعة بالمعائب وحده

دون أن تستمعين عليها بأحد ، فهو عناء لا يحتمله

صبر إنسان .

« هذا أول الكذب ... لست من الاسكندرية »

فقلت : « ومن أين إذن ؟ » فقلت في سخرية :

« وأنت ما شئت ؟ انصرف قلت لك ! » فقلت :

« وإن لم أنصرف ، أفندمين الشرطي ؟ » قالت :

« أجل سأدعوه ! » فقلت : « ولم يأت الشرطي ؟ »

فقلت : « ليسوا لك إلى القسم ! » فقلت : « وبحرمنى

من هذه الدنيا الجيلة ! من هذا القمر وذاك البحر

وهذا النسيم ... ثم ... منك ومن التحدث إليك ؟

ما سمحك تشدتك الله ؟ » فقلت : « حورية ! »

لقد ذكرت اسمها وكفى يا طارق !

وجلسنا على سخرة مشرفة على البحر ، وكانت

ليلة ما أجملها ! لقد كانت الخليفة تسحرني بكلمات

ركانة حفظها لتلقها على اللرح ، فيأترى ، هل

فكرت في إلقاءها في أذني طاشق ؟ ! إنني ما أزال

أحفظ تنفأ من كلامها ، إسمع يا طارق : « أنت يا رؤوف

تسطر حديثك بسير الحب ! أوه يا رؤوف ! ما كان

أحب إليّ لو أننى حررتك قبل أن أود ، هناك ...

هناك ... في الجنة التي طرد منها أبونا آدم ! لم لم

تلقني قبل هذه الليلة يا رؤوف ؟ أه يا قاسي ! تقول

إنك مثال ومصور ... هل فكرت في تنألى !

ستصنعه من حمرصق ، أليس كذلك ؟ ! ... إلى

أسالك كيف تهبه هذه الحرارة التي تحبها في

جسمى . هل يستطيع أن يتكلم يا رؤوف ؟ هل

يسمع ؟ هل يرى ؟ لشد ما أحب أن يكون كذلك ! ! »

وكنت أنا ساذجاً بإسديتي ، وكانت كلماتها

تسحرني وتقلل أعاليها في نفسى ، لقد صدقتها

جميعها ... وسافرت منى إلى هنا ! وكانت تجرعه

من ثيابها فأغمر كل جسمها الفئان بالقبيل ، ثم أخذ

في صنع تنأله ! لقد كانت جميلة حقاً ! الله ما كان

ولولاك ما فلت ، ولا أحببت أن أنسل ...

ولم يتكلم طارق ، بل اقتنع القلب وراء صاحبه

سامناً ساكتاً

— أرايت إلى هذه اللادة المتجردة التي تفرق

القصب وسيقان البردى لنبترذ في ماء البركة ؟ هذه

هى الحبيبة الأولى ... إلها من ذكرى ! لقد نبض

فؤادى نبضة غرامه الأول حينما لمحت هذه الفتاة

تمنى وحدها على شاطئ البحر الأبيض في ذوب

من أشمة القمر ... وكننت قبل ذاك أبحث من

غرامى ! أخفق قلبي بشدة وعنف يا أخى طارق ...

وتلمشت ... لم أدر ماذا أقول لها ... لقد كننت

أبحث من كلمة واحدة أقولها لها فاستلمت ...

ونظرت منى إلى ، ولم أكن أدري أنها ممثلة ...

أجل يا طارق ... لقد كانت ممثلة والممثلات ممثلات

حتى في مواقف الحب العادى !

رشت فؤادى بدمعة هائلة من جانب عينها

الخليفة ، فادت الأرض حتى ، وأبحث أنها غرامى

الذى أنشد ، وحي الذي أشدو ... ورغم أنها لم

تبال بى ، فقد تبعتها ... وكان الليل ساكناً ، وريحه

وبدره وبجره ... ومشيئنا كثيراً ... ثم التفتت إلى

جأة وقالت : « إن لم تنصرف فستطرقى لنداء

الشرطى ! » فقلت لها : « إذا كنت جادة فإنى

متصرف . على أننى لست أنبئك لمجرد البث ... إلى

أبحث منك منذ زمان طويل ، وأرجو أن أكون

قد وجدتلك ! » . فقلت لى : « تبحث عنى ؟ وهل

كنت ترفنى ؟ » فقلت : « لا ... ولكن قلبي

كان يدنى أننى سألتاك ... وما قد لقيتلك ! »

فقلت لى : « عجب ! وهل تعرف من أنا ؟ » فقلت :

« أعرف أنك أجل حسان الاسكندرية ! » فقلت :

هذا الصباح ... الشماع الوردي ... الله ... !
لكن رؤوفاً استبدل الصباح بأخر بنفسجي ،
وشماع البنفسج يمتد في النفس رهبة لا كما يفعل
غير البنفسج الذي يثير فيها نشوة الحب !
وبعد أن انتهى هذا المرض الضوئي الذي يهر
طارقاً وسحره عن نفسه ، أخذ رؤوف يتم قصة
هذه الناعمة فقال :

— وانتهت من صنع النخال في شهر وبمض
الشهر ... وكنت أحسبني أعيش مع حورية في جنة
الفرحوس طيلة هذه اليلة ... قبل ! عناق اليلد !
أحدث أشهى من قطع الروض الموشى ! ضحكات
كرئين الذهب ! ونظرات أسكر للنفس من حيا
الغر ! نسيت أهلها يا طارق ، ونسيت أهل ... لقد
نلت منها كل شيء إلا التفاحة ... التفاحة وحدها
أقسم لك ! أجل لقد حاولت ذلك مدفوعاً بالحيوان
الخليث الذي يتنقل في نفوسنا منذ آدم ... بيد أنها
كانت تمضب وتثور وقد تنهرني أحياناً وتعييرني بأني
فنان ، وأول الفروض على الفنان ألا يدنس روحه بهذا
الوزر الذي ييؤء بانه إن فعل ! لقد كانت تقول لي :
« إنك زجل لست كسائر الناس ! إن الخيال هو
رأس مالك فلا تشوّهه بهذا الدنس ! إن تفاحة
حواء هي شقاء آدم فلا تقر بها ... إني سأحتفرك
إذا أرغمتمني على شيء من ذلك ! وسأقرّ قلن تراني
إلى الأبد ! »

وهرعت عليها الزواج لأنني لم أعد أحتمل
حياتنا على هذا النحو الطهر المحصور ، فرفضت
لأنها فتاة ، ولأنني أنا أيضاً فنان !

— ولماذا بحياتي ؟ لم لا يتزوج الفنانون ؟
— لأن الزواج ينضب المين الذي يفيض عنه
فهم !

أدوع صدرها وأرق خصرها وأنم قديمها وساقها .
لقد كان فيها يلهب كلما طبقت عليه قبة ... وكانت
قبلها تشعذ عبقري فاستودعها جميعاً فم النخال
أنظر ... ألا تحس يا صديقي ، إن فيه الرقيق الدقيق
يميدبك إليه في شدة وعنف لتقبله ؟ ولكن انتظر ...
أغلق هذا الباب الكره ... لا تزعج فقد أحضرنا
مننا كل الصاييح ...

ها هوذا الصباح البرتقال ... سأشعده به حوائش
النخال . أوه ! لقد نسيت أن نوسل تيار السكرباء
إلى هنا ...

وانطلق رؤوف يرسل التيار ، وبق طارق
لحظة وحده يرشق النخال وقد تضاعف جاله في نفسه
بعد حديث رؤوف . ثم . ثم تقدم رؤوف إلى النخال
وراح يطبع على الفم الجليل الحلو ملايين القبل !

وسكر المسكين من القبل وقملها في نفسه فا
شعر إلا ورؤوف وراؤه يضحك منه ملء شديقه

— حبسك يا طارق . حبسك . إنه مرمر بارد !

— واخجله ! أوقد أقبلت يا رؤوف !

— إذن ماذا عسيت كنت فاعلا لو رأيتها
وخلوت إليها ؟

— ها ها ... ها ها ها ... إنقرني يا أخي

لقد سحرتني حقاً !

— لا عليك ... أنظر إذن ...

ثم سلط الشماع البرتقال على حاشية النخال
نجبل إلى طارق أنه يسى ... ثم غمر النخال كله
بصبغ البرتقال فبدأ كأنه رقص ، واستبدل الصباح
بآخر وردي فلاححت حورية كأنها خارجة من حمام
ساحن والهم الحار يتدفق في شرايينها !

— حبسك ... حبسك يا رؤوف ... لا تغير

— وكيف ؟

— لأنهم بالزواج يبالون التفاحة الحمرية فيفسد

ذوقهم ويسمج خيالهم ولا يهود شيء يلبس مواطنهم
ولما اشتد الجدل بيني وبينها وعدتني أنها
سترى نفسها ... وفي الصباح ... صحت فلم أجد لها
في الثرفة ... ولم أجد لها في القصر ... فرت ؟
فرت يا طارق ؟ ! وتبعتها إلى الاسكندرية ، وبحث
عنها حتى حفيت ، ثم اهديت إلى غيبها في قصر أغثم
من قصرى وأضخم ... وقد شهدتها تلبس اللباس
وتقتني الجواهر ، ففرت أنها وقت على سيد أرى
منى ... واختبأت مرة في حديقة خليلها أرقب
مشهداً غرامياً بينها وبين الرجل الوجه الذي استلبها
منى .. وكنت أقض عليها أحلم رأسهما لكني
لم أقبل ، لأنني ذكرت عندئذ أنها غادة ، وهي لمن
يدفع أكثر ، فربأت أن أذهب بدنها لتجسس !
ثم لقيتها بعد ذلك وحدها في حديقة الأزهار
قاتلها الله ! ... لقد كانت هناك أجمل من كليوباترة
وسألها عن حالها ! أي والله يا طارق سألتها عن حالها .
لقد نسيت في تلك اللحظة كل ما قدمت من سوء
إلى ! نسيت أنها رفضتني زوجاً لتقبل غيري مداعباً .
نسيت أنها رفضت يد الله لتسقط في يد الشيطان !
نسيت أنها رفضت فتناً طاهر القلب لتتبرخ في
وحل الرذيلة تحت أقدام الأغنياء ! نسيت ذلك كله ،
نسيت أنها لم تأبه بجميع القبل التي رويتها في أفريق
الحب ونشوات الفرام ، فدلت على رداء وتناق ...
ثم تقدمت إليها ذليلاً صارعاً أسأله العفو والمغفرة !
العفو والمغفرة ؟ ! هل تسمح ؟ ! هي التي تعلم أن
تفو وتغفر بعد كل هذا ! وأأسف ! ما أضغف
قلوب الماشقين !

ثم نظرت إلى شرداً ، وتبسمت مسهومة ،
وقالت لي : « كلا يا عزيزي ... ابحث من غانية
سوى فقد انتهى دورها ! »

وتركتني وفي القلب حبرات تمزقه ، وفي
الحشا عذاب وأوساب ... ثم ذهبت لا تولى على شيء
وتبعتها لأرى ماذا ينتهي إليه مآلها ...
وأأسف عليها يا طارق ! لقد رأيتها تجلس إلى
عصية من الرطاح يلعبون بها ويبتشون ... وهي
وسطهم لانهس كرامة ولا تشمر بأمية ... ففرت
أنها سقطت ... وهنا قطع ، مضيت لثاني ، غير
آبه ولا آسف ولا مبال ...

هذا هو غرامي الأول يا طارق ...

أما ذاك ... فهو غرامي الثاني !

هذه الراقصة يا طارق ! الله كم من راقصة تفصل
قلبك لا تتحلى بثله ربات الخدود ! أبداً ما رأيت أظهور
من هذه ولا أرق !

لقد تلبثت طامعاً أجتز ذكريات حورية ، فثارة
أبكي ، وثارة أسفر ، وثارة أتملى بالتصوير وصنع
التخيل ... وكنت في ذلك كله كالتاجر الذي قام
برأس ملك ، ثم قدم ملوماً محسوراً ... فهو يمل
النفس بالآمال ، ويداعبها بالآمان !

لقيتها في إحدى الصالات المعروفة بعد أن
رقت ... والناس في هذه الأمان كن فوضى لا قانون
لهم ولا حرف بينهم ... وأنت تقدم إلى أي شئت
كانك تدخل عملاً مجارياً لتشتري ، فافسرك الشيء
دفعت الثمن وجملة ومضيت ، وإن لم يركك تركته
إلى ما سواه فإن لم يجد شائكك ، ذهبت مودعاً
باللق ، متبهماً بتحيات البهتان ، وعم بذلك يرجون
(٢)

- ألا تلقى أحسن مما عندهم فتعود ...
 وجدتها جالسة وحدها جلست إليها دون رجا
 أو استئذان ... وكذا ذكرت لقائى حورية عند
 شاطئ البحر ، وجمال دلالها وروعته ، وتهددها
 إناى باستمراء الشرطي . كما ذكرت ذلك ، وذكرت
 فاجرات ذاك الرقص ، أسفت ، وذهبت نفسى على
 غرامى الأول حسرات
- ما أسهل الفزل هنا وما أيسره !
 — هـى مساء يا حسناء
 — هم مساء يا حبيبى
 هكذا قلت لها وهكذا قالت لى . هل سمعت ؟
 أنا حبيبها هكذا دون مقدمات ولا مؤخرات !
 ثم تبسم تلك الالبسامة المصنوعة السهلة الآلية
 التى تمودت أن تتبسما لكل امرئ رلام منها
 شيئا ... فقلت :
- لقد أحسنت هذه الرقصة جدا ! إنها من
 أصعب الرقصات التى شهدت ! قلت ذلك وأنا لا أعرف
 عن الرقص الشرقى قليلا ولا كثيرا ! فقلت :
- « وهل لك معرفة بالرقص أبها السيد ! »
 فقلت :
- لى به معرفة كبيرة ! .. ما ليكم من فضلك ؟
 — إسمى ... إسمى ... افترض أنه سنييه !
 — ولماذا افترض ؟ ما ليكم الحقيق ؟
 — قبل أن أجيبك أرجو أن أعرف ما أنت
 ومن أنت ؟
- ولماذا تريدن ؟
 — لأنى أراك لجافى غشيان هذه الأماكن ،
 وأنا ...
- تريدن أن تقولى إننى لا أخبرة لى بها ؟
- أجل ... أردت أن أقول ذلك ...
 — وأنت ماذا بينك من هذا كله ... أأنت
 ترين فى سنيها طيبا ؟
 — أما السيد فليس أيسر على من إيقاعه
 هنا ، لكنى أحسنت فيك شيئا فأردت أن أعرف
 هل تصدق فراسقى ؟
 — وماذا أحسنت يا ... سنية ؟
 — لن أقول لك حتى تخبرنى من أنت وما أنت ،
 ولم قدمت لى هنا ؟ ...
 — أما من أنا ، فانا ... أنا ... رؤوف ! هل
 يسبك هذا الاسم ؟
 — إسم جميل إذا كان لك حق .. وما عمالك ؟
 — عمل ... أنا أسود وأسنع النمايل ... !
 — آه ! إذن أنت صادق ! إن اسمك رؤوف
 حقاً !
 — وما ذلك جعلت فداك ؟
 — لقد كنتى عنك حورية !
 — حورية ؟ ...
 — أجل ... حورية ... حبيبته ... أحقا
 صنعت لها تنالا ؟
 — يا ربى !
 — ولماذا هجرت حورية يا رؤوف ؟
 — بل هى التى هجرتنى ! لقد هجرت منى !
 لقد تبعتها ! لقد حققت !
 — سقطت !
 — نعم ... سقطت إلى الحضيض ! إنها الآن
 تبيع جسمها لكل زاعج فيه !
 — أنت قاس جدا يا رؤوف ... إن حورية
 لم تسقط !

- وكيف ؟ لقد شهدتها بسبي لا تردك
لاسي !
- وإذا كنت تكره الساقطات فلماذا قدمت
إلى هنا ؟
- حضرت لأتسل ! وهنا هو الهواء البالي
كانت على الماء !
- ولهذا جلست إلى !
- أعتذر ... إلى أعتذر ياسنية !
- أنت تعتذر ؟ وكيف تعتذر لامرأة ساقطة ؟
سنية ؟
- ماذا يارؤوف ؟ هل علمتك حورية مواقف
البرام والفرام ؟ لقد كانت ضلعة ماهرة ؟! ماذا تريد
أن تقول ؟!
- إني أحس في صوتك طهراً وفي عينيك براءة !
- أنت تصيب في أذني ما سمعته حورية في
أذنك ! لقد كانت مجيد هذا الكلام لإجادة مجيبة !
- أي طهر وأي براءة يارؤوف ؟! إني أبيع نفسي لكل
راغب كل يوم صرة أو صرتين ؟! طهر وبراءة ! هذا
مجبب !
- وبالرغم من هذا فأنا لا أشك في طهرك
وبراءتك ! أين تسكنين ياسنية ؟
- أسكن في حي قدر موبوء !
- أريد أن أزورك ثمة ، فهل تأذنين ؟
- إني أخشى عليك أن تتنجس !
- أنا لا أبالي ... أرجوك ... لنذهب الآن !
- وركبنا عربة ظلت تنجوب شوارع القاهرة
وقد نام ليها الساهر ، ووقفت حركتها الهابطة ...
ثم انتهينا إلى حافلة ضيقة مسطوية ... ووقفت العربة
أمام بيت حديق منهمم ...
- هنا ياسيدي
- هنا يتكلم ؟!
- أجل ... هنا ... وأرجو ألا تحدث صوتاً
ونحن ساعدان ، فسترى كم من البنايا ورويات
الفتجور يسكن من في هذا المنزل القذر ! كم الساعة
الآن ؟!
- الساعة ... الدنيا غلام ... لنعد إلى العربة ...
الساعة ... الثالثة صباحاً ... بل الثالثة والنصف !
- لقد أذن الفجر !
- إذن لنصعد الآن !
- وصعدت في إثرها يا طارق ... ووقفت في
الظلام لحظة ، ثم نظرت إلى باب الترفة ، فوجدت
بصيصاً خائفاً من النور يبيت خلال ثقب الفتاح ...
وبعد أن نظرت سنية فيه رجعت قليلاً وقالت لي ...
- « أنظر إذن ! »
- ونظرت !
- يا لله ! شيخ عجوز هرم يهالك على نفسه ، وقد
استقبل القبلة ، وبسط كفيه إلى الله ، وراح يقول :
- « الله أكبر ! »
- الله أكبر يا طارق ! الله أكبر يا صديقي !
- الرجل يصلي الصبح يا أخى ؟ فياترى ، هل يعلم من
أين أقبلت سنية ؟ لقد حذرت أنه أبوها ... بالفارقات
الحياة ، وللهول التناقضات فيها !
- ثم استيقظ طفلان صغيران وجلسا يتسنان
من شدة الجوع ، وأخذا يكيان ، فقال لهما المجوز
الشيخ : « لا . لا ... حالا ستأتي نفوسه بالطام
لكما ! صبرا ... صبرا ... حالا حالا ... يارب !
- لطفك اللهم يارب ! ... » ورفع الرجل كفه وطفق
يحنى في طرفه جموعه

- ولكن ... يا ترى من تكون نفوسة ؟
 قبل أن تقدى على هذه الهمة !
 — من تكون نفوسة يا سنية ؟
 — نفوسة ؟ ... أنا ! أنا نفوسة !
 — ولماذا قلت إنك تسعين سنة ؟
 — لأنهم أرادوا ذلك !
 — من هم ؟
 — أصحاب الرقص !
 — ولماذا ؟
 — لأن اسم نفوسة اسم (بلدى) فى رأيهم ،
 ولا يصلح للإعلانات !
 — آه ، ضمت ! ومن أولئك ؟
 — الشيخ أبى وهذان طفلان !
 — فهو جدما إذن ؟
 — ... ؟ ...
 — وأمك ؟
 — ماتت !
 — وزوجك ؟
 — أحسن السموم حتى مات ... وقد مات
 فى السجن !
 — ولم يترك لك ما تقتانون به ؟
 — ولماذا لجأت إلى المراقص إذن ؟
 — ولم تجدى عملاً أشرف من هذا العمل ؟
 — كان يجب أن تنتظر طويلاً حتى نموت
 من الجوع لأجد هذا العمل للشرىف ؟
 — وأبوك يعلم ذلك !
 — يعلم ماذا ؟
 — أنك راقصة ، وتجرى برضك ؟
 — لو علم لقتلى وقتل نفسه !
 — كنت أفضل أن تدرسوا أمر عيشكم
- لو درسنا ذلك لا تقترح على الشحاذة !
 — أى أن تكونوا أبناء سبيل ؟
 — أجل ... هو ذاك
 — ولكن الحرة تموت ولا تأكل بشديها
 — ما لم يكن لها طفلان ضيفان عاجزان
 كهذين
 — نفوسة
 — ماذا يا رؤوف ؟
 — ألم أقل لك إنى ألج فى صوتك الطهر
 وفى عينيكَ البراءة ؟
 — أنت أول من ألج هذا لأبك فنان
 — نفوسة أقبليني زوجاً ؟
 — لا ... لن يكون ذلك
 — ولماذا يا أختاه ؟
 — لأنك تعرض هذا وأنت فى غمر من
 عاطفتك البريئة ، فافا جد الجدة ، وهفوت ولو هفوة
 يسيرة ... صحت فى بأعلى صوتك قائلاً : يا طاهرة !
 إذهي ... عودى إلى متبتك الوخيم القدر ... لقد
 أهذبتك وكفرت بأنسى ! ... لقد ...
 ثم ارتفع صوتها يا طارق ، فانفتح باب الغرفة ،
 وبرزت رأس الشيخ ، وتلاذت فى الظلام لحبسه
 التى أثارها الشيب
 — من ؟ نفوسة ؟ لماذا أقبلت قبل مباداك
 يا ببنى ؟ لماذا تصيحين وتصيحين ؟
 ووضع الرجل كفه فوق عينيها ، يتبينى ، وفى
 كفه الأخرى مسباحه الضمير الخافت ... أنظر ...
 واستدار رؤوف ، ثم أومأ إلى تخال للشيخ
 وقد بسط كفيه إلى السماء وهو يقول : « الله

حزنها يشاعف جمالها ... لقد أشرقت في حياتي كما
يشرق النجم الجليل في غيبه الليل ، أو كما غشرق
بارقة الأمل في غياهب اليأس . أنظر إلى صورتها
هذه ياتارق ! أرى إلى المدينين كيف تنتشر منها
ظلال الرحمة لا سهام المذاب كما يقول شعراؤنا ؟
أنظر إلى هذا الفم الحلو الخنوم ! ألا يكلمك حديثا
مشجيا تفهمه ولا تسمعه . وهذا الخلد ! هذا الخلد !
أنظر إلى قسمته ! ألا ترى في سفحته آثار قبل !
ما أعجزنا نحن الفتيان ! لشد ما صيت أن أنقل جمالها
إلى هذا المرص ! أين أنت يا نفوسة البيت المتيق ،
وسنية للرقص الروخيم ! سلام عليك أيها الشيخ .
سلام عليك في طين !

— وأين ذهبت صاحبك هذه يارؤوف ؟
— جاءت حورية ... حورية الشيطانة !
فسرقها مني ! سرقها بعد أن ظهر اللوت نفسها ،
ووضع في النار عازها ، ولست أدري اليوم أنى
مضت ، وأين مستقرها ...
— ألم تبحث عنها ؟
— لم أترك مباداة ولا حانة ولا دارا للمو
إلا غشيها ، لكني لم أنف لها على أثر . ولم أسمع
عنها من أحد !
— وإينها ؟
— ذهبا منها . فلقها ، لقد كنت أغفها لي
ولدين !

وطلا يتقلان بين التنايل ، ورؤوف يقص
وقائع غرامه عند كل تخال ، ثم يرف كل قصة
بمرض ضوؤ يزيد في بهاء تماثيله وسحر صورته المعلقة
فوق الجدران ، أو اللقطة على أرض التبو ... وقد

أكبر ! ! ثم استبدل مرة ثانية وأعاد إلى تخال
آخر لشيخ نفسه وقد رفع كفه إلى جبينه وهو
يحملن ، وفي كفه الأخرى ممباحت الضميف
الخلفت ! !

أرايت ياتارق ! ! أهذا كله للفن من أجل
الفن ؟ أم للفن من أجل الحياة ؟ ورآ قد الرجل
فصرخ صرخة عظيمة ... لأنه أيقن أنني عاشق من
عشاق ابنته ، وربما أكد له ذلك ما تشمم من عير
البنفيس الذي كان ينتشر منها في ظلام بيته ، ومن
هذه الأصابع التي كانت تترأكم صارخة فوق خديها
وشفتها .

— ما هذا يا نفوسة ؟ ما هذا الذي تصنعيته
بنفسك ؟ ومن هذا الذي منك ؟ ألم تقول لي إنك
تذهبن إلى مصنع ... لتعمل فيه ليلا . ! من أين
لك هذه الملابس وهذا المطر وهذه الأصابع ...
وي ... يارب ! ... يارب ! ...

وسقط الرجل فوق الدرج سقطه هائلة ...
وما هي إلا لحظة حتى أسلم آخر أنفاسه
ألا ليت مات وهو قائم يصل ! ! ألا ليت ما علم
سرايته ! !

وانحنت نفوسة فوقه تبال لحبته ووجهه
بدموعها ، في حين أقبل طفلاها يسيحان من ألم
الجوع ويقولان : « أي ... أي ... نفوسة ! هل
أحضرت الخبز ؟ »

وسرت دغشة في أعصابي فالتجتها ... ولم
أعمالك أن بكيت ! !

وأخلفت لي نفوسة وأخلفت لها ..
فانظر إلى هذا الحب الذي يمتو من رقت اللوت !
لقد كانت جميلة ... كانت جميلة جدا ، وكان

هذه الطريقة التي كلفها توكل واستسلام ... وقد رضيت بي صلاً ... وزفت إلى على الطريقة المصرية أيضاً ... لقد كنت هذه المرة ثائراً على جيلتي ، نازلاً عند جيلة قومي ، وكنت أحسب أن حلة شقائي في مشاهد غرامي هي ثورتي على طباع قومي وعاداتهم ... فقلت أنسي أنني فنان ... وأخطب على الطريقة المصرية ... وتزف إلى عروسي التي لم أرها غير مرة ... وليقض الله أمره في قواصي !

على أن التجربة قد نفدت ... وكانت زوجة سالحة ... ولكن ، وأأسفاه ! إن سلاحها لم يدم طويلاً ...

أسبوع واحد من شهر السسل يا طارق ؟ ثم أخذت جواء تنتمز لآدم ! كنت أعمل مجدداً في تتالها للمسجون هنا ... فأذا بها تقبل مناضبة ، وقد اتحدت في وجهها تيران الجحيم كلها ... قالت لي ؛ وقت لها :

— رؤوف !

— سيدتي !

— أنا لا أصالح لك ، وأنت لا تصلح لي !

— أستغفر الله ! ماذا ؟

— أنت تعلم لماذا ، ولا حاجة بنا إلى النقاش ،

فرباني أن ترسلني !

— أما أي أمر فأنا لا علم لي ، أو كد لك ...

وأما أن أرسلك فهذه تكون أشد كارثة تحمل لي

— فنان ! ماشاء الله ! فنان غزل تهب قلبك

لكل من تلقى ! يا تلميذ إبليس ! كلما فكرت في خيال

أو صورة جيلت ثانية وصرفت تحت قنصها جندك !

حياة كلها أوزار وفسوق ! ألف حبيبة وألف قينة !

لقد اعتدنا عليك ... ولكن ...

يذرف عبرة أو عبرتين عند كل منها ، إذا حاجة الوجد أو عصفت بجليه الذاكرة ...

ثم انتهيا عند باب قبو آخر مقفل ، فوقف رؤوف تلقاه سامتا دافع العين ... ودفع الفضول طارفاً فساه :

— وماذا هنا أيضاً يارؤوف ؟

— لا . لن أقص عليك قصتي هذه ، فهي كتابي الذي أقسمت ألا أفضحه . ومن يدري ؟ قد أموت ، وبسببنا تأل يطارق إلى هنا ، وتكتب ما قصصت عليك ... ثم تكتب ما لم أقصص عليك من أمر هذه القصة الزائدة هنا ... يا المأساة !

— يبدو أن طوقاً من المواقف يحتاجك يارؤوف ، وهذا حال الشاعر وليس حال الفنان .. إهدأ يا صديقي ... وتجد ... وعد إلى صرح الحياة فقد ضريت أنت أمثالها .. تنقل كما كنت تفعل .. وافتح هذا الباب الرهيب ، ولا تحمل من أسرارك وزراً يقصم ظهرك ... أليست هي الأخرى قصة حب أو مأساة غرام ؟ ماذا نخشى ؟

— أجل ، هي مأساة غرام ، ولكنها من نوع آخر ... لقد رأيت كيف كنت أتقي حبيباتي من بنات الفن ، لأنني كنت أحسبن أقرب إلي فهم حياة الفنان ... ولكنك رأيت كيف كفرن جيماً بجبي ، فجرحتن كبرائتي ، ولم يكافئنني ... بل هربن مني ، رغم ما كنت أحوطهن به من نهاية واختفاء وحبّة ... ولكن ما بال هذه التاوية هنا ؟ لقد شهدتها أول ما شهدتها في حديقة الأندلس الناضرة . ولقد قرأت في عينيها التبل ، وفوق جبينها العظمة والكبرياء ، وعرفت أنها من عائلة من أحرق المائلات فتقدمت إلى أهلها خاطباً على الطريقة المصرية ...

الأبيض وبدرة الساجي ونسيمه البليل ! الصخرة !
حرارة القبل ... !

كل هذا استهفي سطور الكتاب لسا يطارق ...
ومع ذاك ... فما هي ذى زوجتي تشهد هذه الثورة
الجماعة في أعماقي ، تبدو على وجهي ولا تستر ...
قالت عائدة :

— رؤوف ... إذن ، أنا فاعبة الوادع ! إلى
أسامحك وأسفح عنك !

ولم أرد بكلمة يطارق ... قد حيرني الخطاب
الذي لم أشك مطلقا بأن ذهبت عائدة ، أنني كتبت
أسس ! ومداده الجديد يشهد بذلك ؟

— والآن يا سديقي ، الفن للفن ، أم الفن
للحياة ؟

— بل الفن للحياة رغم مأسيك كلها .. فلولا
حياتك المقسة للترعة ما حطى الفن بهذه الآيات
الرائات .. أنظر إلى هذا المتحف الكتيب ، وقارن
بينه وبين القبو

هنا جارين وأفاع وطيور وطياء قلبية ، وصور
خافتة للصعراء ... لوادي الموت ...

أما هناك ! ... فيا لله !

حورية . سنية . كوكب . سناء . الشيخ
يجار « الله أكبر » حديقة الأندلس . جنة
الأزهار . طاقة البنفسج . باقة السكيبيا .

— ومع ذاك . فسأجيا لفن

— وللحياة .

— كلا ... لقد وهدت حياء منذ وهدت
غريها الأول .

وحني رؤوف رأسه فذرف دموعه على ذكريات
حورية :

دمري ضميت

(الرواية) القصة مؤلفة لسبينا والنقل والانتباس ممنوعان

— أوه ! ما هذا كله ؟ ماذا دهاك مني ؟

— ماذا دهاك منك ! خذ واقراً ... وأرجو
ألا تنكر خطك !

— آه ! حورية ! دائماً حورية ! إنها ترسب
في حياتي كلها وتطفو ! هكذا دائماً ، هي تلبس
دورها بمهارة ، ولكن بقسوة !

— أجل هي حورية ... حورية التي تبها
أحلامك وآمالك ، وتنظم فيها درر فك !

— أيها السيدة ... أرجوك !

— ترجوني ؟

— أجل ، أرجوك ! إن هذا الخطاب قديم ..

قبل أن أهرفك بعشر سنوات !

— والدليل على ذلك هذا التمثال الذي تصنعه !

— التمثال الذي أسمنه ؟ إنه لك باعائدة !

— ها ها ... ها ها ها ... جميل جداً ...

يبدو لي أنك مجنون ! أنظر يا أبه إلى تخالفك فن
تستطيع أن تخدعي !

ونظرت إلى التمثال يا طارق !

يا للحلم ! أصبح إنه تمثال حورية ! تمثال حورية
بعد عشر سنوات ، ولي مع ذلك زوجة سالحة جميلة

كنت أرجو أنت تنشلي من دنيا الفن إلى عالم
الحقيقة ... كنت أرجو أن تكون أم البنين !

وتناولت الخطاب القديم أفرؤه ... وبرغم
الموقف المائل الذي كنت أفضه حيال زوجتي ...

كنت أرقص طربا لكل قفزة من قفزات الخطاب
أسلوب لا مهد لي به ! حب متقد ! أزهار

منتورة بين ثنايا السطور ! دموع ما تزال حارة تنلي !
قلب أشناه الترام وعشه الوجد أو كاد ، أرفع يدي إلى

صديري أحسبه ! آهات وزفرات ! شاطئ البحر

من قست الباب؟

للكاتب الإنجليزي سي. آر. كوناو ديول
بكتلة الأستاذ محمد لطفي مجيعة

تحيتي، فلما دونت منه وقت له :
هذا هو طعام الافطار يا مستر
هولز، إنك بعد كل هذا رجل،
أى كائن حتى تحتاج الطعام
والشراب ولست ملكاً ولا جنياً.
فسمعتهم يهس : روتشديل ...
كليمس .. تسمة أقدام وسبعة ..
بعد ثلاثة أيام ... دائرة ضيقة

فضحكت ضحكة طالية ؛ لأننى أدركت أنه منشغل
بجل تلك الجرعة الخارقة للعادة
فكان لفتته أى أثر غير منتظر ، فقد أفاق هولز
من ذعوله وقال :

— ها أنت ذا يا وطن . متى جئت ؟ وأين تلك
السجود الشمطاء تبرز التي لم تفكر في إعداد إفطاري
حتى هذه الساعة المتأخرة من النهار . فضحكت
وقلت له : اخفض صوتك فإن هذه التي تدعوها
« شمطاء » وتهمها بالتصغير قد صمكت إليك الشاى
والحرارى منذ ساعة وهي بالباب تناديك فلا تجيب
ودعوت مسز تيرز فليت واستأذنت . ووضعت
خوان الافطار على المنضدة التي تكلمت عليها الكتب
والخرائط والقواميس والسوم بحالة مزيجية . وأخذت
مقعدى حبال هولز لوانسته أثناء شرب الشاى
ولم يكدهم البكين بعد إلى أحد الأقداح
حتى جاءت مسز تيرز مهرولة وقالت :

— إن سيداً شاباً بالباب يريد لقائك وقد بلله
الطر وقال منه التنب نيكلاً شديداً

فقال هولز دعيه يدخل وأعدى له الشاى
وفي تلك اللحظة دخل علينا شاب فى منتصف
العقد الثالث ، أسفر الوجه ، عصبي المزاج خبيلاً فى
عينيه جمال وهنداء ، وفى نسجه وقار وثبات ، وفى
يده كتاب تينيت بعد لحظة أنه الأعميل للقدس .
فأجبه الفتى بحوي وقال لى : هل أنت مستر هولز ؟

حدث الدكتور وطسون قال :

كنت جالساً فى مسكن شروك هولز رقم ٤٠
شارع بيكر ستريت فى يوم هبوس قحطير ، شديد
البرد ؛ ولكن مظاهر الترف والراقية التي كانت
تحفى أنسقى الواسف الهولة التي كانت تهز الأشجار
وتعلم زجاج النوافذ وتترق السفائن فى البحر
فدخلت مسز تيرز مدبرة الدار وهي تحمل
صينية من الأبنوس الطعم بالماء وعليها طعام الافطار
وقالت لى فى سخط وغضب :

— أما آن لهذا السكين أن يتناول وجبة
الصباح ؟ لقد طرقت بابه فلم يجب فلما فتحت الباب
كناذى وجدته مستلقياً على ظهره ووجهه شاحب
كأنه صريع الأفيون ، وقد امتلأ جوف الثرفة بدخان
تلك البنية الأبدية التي يتنفس خلالها التيكوتين ..
قلت لها : وهل مستر هولز نائم ؟
قالت : أبداً ، إن عينيه شاخصتان ، كأنه ينظر

إلى شيء فى الفضاء براه وحده

قلت لها : هذه طامة فلا تبتنى
فقلت : ولكنك طبيب ، وإنى أخشى أن يكون
بالرجل مس من الجن ، أو أنه يمانى حرساً دفيناً
يقضى عليه فجاء ، فانه لم يمت منذ ليلتين ، ولم يطلع ثيابه
وما بدل من مظهره سوى جنائه الذي استبدله بجناحه
فنهضت وصحبته إلى غرفة شروك هولز فقرأته
على الحالة التي وصفتها البجوز ؛ وزاد عليها أنه لم يرد

جاسة اكسفورد وجئت لأسر جدي وأحل بين
أحشائي نارا موقدة . فالأفضل أن تميد إلى سوابه
وترشده إلى احترام الذين يستحقون الاحترام
فقال هولز : هون عليك ياسيدي النبيل . إن
مقاطعتي أياك نوع من مصلحتك . فان وقت مستر
هولز من ذهب ووقتي أنا أيضا ، وقد تضيق على
نفسك بهذه المفاخرة دقيقة قد تفر أثناءها فرصة
العمل . فجلس الشاب هادئا واسترسل قائلا : عند
ما كنت طفلا كان من عادتي أن أتوجه إلى
الاعتراف . لشد ما وددت أن يرجع ذلك العهد ،
عهد السبي والطفولة فأعود طفلا يتوجه عند المغرب
إلى عراب الصلاة الخاص بقصرنا في تلك القاعة
التي هيئت مبدأ وحجت كل ما في الكنيسة من
أسباب الهدوء والبساطة تقوم عليها جدران ناصية
البياض ويرتفع فوقها سقف أزرق اللون تناثرت
فيه تصاوير ظلمية تمثل الكواكب وقد احتوت
عددا من القواعد تحمل أسماءنا وأرقام جلوسنا . وكان
القسيس الكاثوليكي المحترم هولت يمت إلينا بسلامة
القرابة ، ولكنه تسلم وتكرس وتناول الأسرار
الملوية في كنيسة نوردام دي ياري . وكنت عند
ما يحين دوري لركوع في ذلك الممراف الضيق إلى
جانب كرسي الاعتراف الذي يضم بدن القسيس
للضليل من فرط التميد تتسارع دقات قلبي ويستولى
عليّ شعور غامض ، وهذه الاحساسات المختلفة
وخجلي من الخطايا التي سأعترف بها ، كانت سبب
اضطراب أعصابي عندما تأتي اللحظة الهيبة وأزوي
القسيس الذي كان يأكل منا على خوان واحد
ويؤهلنا للايمان بصوب إلى نظراته رغم أن وجهه
الصغير الشاحب يشع منه نور التتوي .
تتمل هولز في مقدمه ولكنه لم يبتس يبت
شفة . واستمر الشاب يقول :

فقال هولز : نعم . إنه هو بسينه ، ولكنه
قليل الكلام قتل وأوجز

فأنجبه الشاب المسكين نحوي وقال هولز : لقد
وددت لو ألقاه وحده . فيا حبذا ياسيدي لو تركتنا
قليلا حتى أنفضي إليه بسر حضوري . فضحك
هولز وقال : لا لا لا يمكن أن أركه ، لأنني
كاتم أسرار له ويده اليمنى . فخشيت أن أظهر الشاب
على الحقيقة ، فيسوءه مزاح هولز في ضيقه

وكان هولز يلجأ أحيانا لهذه الطريقة عندما
يكون متعبا أو عندما يرى أمامه شخصا خائر القوة ،
فيجب أن يتجه المحدث إلى ليدرسه على غيرة منه
فلم أفضل أكثر من أن هرزت رأسي وأشرت
إشارة الرضى والواقعة

فقال لي الشاب : إذن أتكلم ؟ إن مستمر
هذا لا يمت باقعة التي توجها

فضحكت وولمت صمقي ، ولكن وجه هولز
لم يد عليه أقل اهتمام أو دهشة

وكانت مسر تبرز قد أحضرت له الشاي
فأخذ جرعة واحدة ثم أتى بالقدح جانبا وقال :

إنني انجليزي كاثوليكي من مقاطعة « سو
سكس » وعند ما كنت طفلا ، كان من عادتي أن
أتوجه إلى الاعتراف بين يدي قسيس القصر ، ثم
قصر أسرتي ، فأنني أتتى إلى الأشراف النورمانديين
الذين دخلوا هذه البلاد بقيادة غليوم الفانج .

فقال هولز وقد أخذ شخصيتي مؤقتا :

— إن مستر هولز لا يهجه كثيرا ذكر الأبناء
والأجداد وتسلسل الدراري بقدر ما يهجه أن تدخل
فوراً إلى صميم الموضوع

فأمر وجه الشاب الذي كان شاحبا . ونهض
على قدميه ونظر إلى وقال :

— إن قائم أسرارك يهينني . إنني متخرج في

آه ياسيدي اسحق ! يا له من سوء حظ صروع
وحدث قاجح
وعند ما تاب إلي رشده قال :

— عد إلى حجرتك فوراً ولا تبق هنا
فلما رأى تردى أخذ يدي عنوة وأدخلني في
حجرتي رغم احتجاجي وإلحاحي عليه لأعرف سبب
ذلك الاضطراب الشامل الذي احتوى النار فجأة ،
إلا أنني استعظمت أن أفهم أخيراً أن والذي كان قد
غادر القصر منذ يومين ولم يبد ، فأطلقت هذه النية
الطويلة بال والذي فيمتت بخطاب إلى صديق الأسرة
سير وينتجهم خطاباً ليحضر . فجاء إلينا بعد المشاء
فأقصتني والذي . ولكني كنت قد لاحظت بريقاً
غير عادي يشع من عيني سير وينتجهم الزرقاوين
التي تود أن تساهم بظهر الجلود من وجهه الحاد للتفاطيم
فقاطعه هولز سائلاً : صف لي صورة جناب
السير في تلك الحقبة من الزمن التي مضى عليها على
الأقل خمس وعشرون سنة
فقال اسحق أزوموند :

كان رجلاً مديد القامة حليق اللحية كسنتاني
الشعر وقد احتفظ بشعيرات إهنة اللون تركها
تمو في مقدمة ذقنه

فقال هولز : ثم : واستقر للشارب :

وحينما حاول التوصل للقاء مع والذي وسير
وينتجهم لحث حركة آلية بصما خفيفة يداعب بها
ظفره . ولطالما أعجبت بتلك المصا وبمثال المقاتلين
الذي يزين رأسها . وكانت حركته لا تدل على
الاضطراب ؛ ولكن كيف لا يضطرب سير وينتجهم
لاختفاء آخر صديق لديه ؟ بل على العكس ، من
ذلك كان صوته غاي في الهدوء فأسبغ على عباراته
لوناً من الموسيقى اللذبة حيناً وعد بأن يقوم بكل
البحوث المحكة للسكنة ليهتدي إلى مقر والذي وعلة
اختفائه . لطالما تذكرت والذي تمر بمخيلتي بشعرها

يلما من لحظة يبعثها ألم عنيف ، يملؤه شعور
بالراحة والحرة الطلقة وإحساس بمحنة السب الذي
كنت أحله . ثم توجه لي صفحة يضاء على أن
أملأها بالأعمال الصالحة .

لقد حيل الآن بيني وبين عقيدتي الدينية التي
كانت تشرني في السنين الأولى بأن هناك سلطة
عليها وراء الطبيعة ، وهي التي تدير كل شيء ؛ وبعد
ذلك أشعر بالحرة التي جددت شباب نفسي ، لأنني
اعترفت بأخطائي وذنوبي وطرحته جانباً تلك
الأوزار التي تثقل كاهلنا جميعاً .

فأصني هولز إلى هذه التوبة الأخيرة إصغاء
تاماً ، ونهد تنهداً عميقاً وقال :

مرحي مرحي ! الآن دخلنا في الموضوع ،
ولكن السيد النبيل لم يذكر لنا اسمه

فقال الشاب : « أنا اسحق إزوموند أوف
كنجهم بليس هو رسام سوت سكس »
فقال هولز : ثم :

قال الشاب : عندما بلغت العاشرة في شهر
ونيو سنة ١٩٠٧ كنت بعد ظهر أحد الأيام الساخنة
جالساً في حجرة مذاكرتي ، كما هي عادة بسد
حضور الدروس في مدرسة القصر وتناول الشاي
في الساعة الخامسة . وكمن صبة زلت قدى على
الدرجات الثلاث المسقوفة باثتان وهي الموصلة إلى
خرفتي الصغيرة المؤنثة على نسق أنيق وكل ما فيها
أزرق اللون ؛ وبين جدران هذه الحجرة أمضيت
آخر الأيام السعيدة في حياتي . إنني لأستعيد الآن
كل شيء . كنت جالساً إلى مكتبي مرتدياً معطفاً
أسود ومشتولاً بمجل مسألة حساية على ورقة مسطرة
وعلى حين غرة سمعت صيحات عالية أعقبها
أصوات ممترجة فاندفعت إلى الباب لأستطلع الخبر ؛
فلما رأي الخادم وهو ممتنع اللون صاح مذهولاً :

لا أرى ذلك النظر البشع مرة أخرى . واستمرت تقول : « ليعاقبني الله . ليعاقبني ربي ! » . دون أن تدرك أثر كلماتها في نفسى ثم غرغرت بالبيلات ، وبلاثنى بدموعها في وجعى وهنقى ورأسى

عندما طلبت إلى والدتي أن تقول لى كل ما تعلم عن ذلك الحادث الفظيع ، أخبرتنى بأن أبى قضى على أثر ثورة قلبية في إحدى مراكبات السفر . فظل مجهولاً مدة يومين ، لأنه لم يكن مابذل على شخصيته فسأله هولز ... وهل صدقت ما قيل لك ؟

قال إسحق أزموند ... رغم حداثنى استغرقت طويلا في التفكير فيما قيل لى ، فلو أن أبى مات بذلك الحادثة التى بلغتنى ، فلماذا سألنى الخادم عند ما خرج بى للزعة عما قيل لى بشأنها ؟ فلما أجبته ثم الصمت ، وصعدى به تركازا كبيرا . وما العاوى لهذا الصمت البهم الذى أشعر به حولى فى كل مكان . فى الهواء وغبيا على كل الشفاء ، وغنغفيا وراء كل نظرة وحدث بسد مرور ثلاثة أشهر أن جاء إلى الفصير طفلان فى صحبة أسهما ، وهى صديقة صميمة لوالدتي . فاقترب منى أحدهما بسد لبنة الجولف واستجمع شجاعته ثم سألنى :

— هل أتى القبض على قاتل والدك ؟

وقبل أن أفيق من صدمة السؤال قال لى :

— وهل سيد موته على الشنقة بسد عما كتبه فى أوله بيل ؟

فاندفع الدم إلى وجعى وقلت : لا أخرف !

حدث ذلك منذ خمس عشرة سنة ، ولكنى أشعر الآن بفراشات قلبي عندما سمعت هذه الكلمات فقال هولز وهو يمثل شخصى :

— ولكن أيها السيد النبيل ، لعل مستر هولز (مشيرا إلى) يسألك ما الفائدة من تشريفه بزيارتك وقد مضى على مصرع المرحوم والدك كل تلك المدة الطويلة ؟ فاجر وجه الشاب وقال :

الناعم وعينها الدجواوين وشفتها المرتجفتين ، لقد كانت عما كى فى يياخها لون رداها فى ذلك المساء . وكان سير وبشجهم كعادته متأنقا فى ملبسه ؛ وإنى لأذكر جيدا وجهه الرشيق

مضيت فى سبيل مقتنما بما قاله ذلك الرجل فقد كانت له عندى منزلة كبيرة من أعزاز الطفولة . ولم يكن ياملنى قط إلا بالمطعم ، ولكنى أخيرا عرفت الحقيقة القاسية فقد ظلت أطرق الباب بسد أن احتجزنى الخادم فى غرغتي بسف وشدة مناديا بأعلى صوتى دون أن أظفر ببواب إلى أن جاءت مريريتى جوليا فصحت قائلا :

— أبى ؟ أين أبى !

فقالته الريبة : مسكين أيها الطفل مسكين ! ثم احتضنتنى . كانت متوفدة لتبئنى بالحقيقة الروعة . ولكن قواها خائبها . ففردت من بين ذراعها ، وعبدوت فى طرق القصر وممراته حتى بلغت حجرة رقاد أبى ، ودخلت إليها قبل أن يتمكن أى إنسان من اعتراضى . آه . قد علا السرير جسم متصلب ، وطرحت فوقه ملادة بيضاء ووضعت تحت رأسه الساكن وسادة من الصوف ، وزال عنه لون الدم والحياة . وبقيت عينا مفتوحتين ثابتتين . لأن جفونه لم تجد من يغمضها فى الوقت المناسب وكانت ذقنه ممصوبة بشفاء ، وقد لفت حول رأسه قطعة من القماش الأبيض . وبجوار السرير جثت امرأة لا تزال بثوبها الأبيض الصفيق ، وهى حزينة تنتحب ... هذان أبى وأمى !

ألتفت بنفسى عليها وقد توالى حزن جنونى فتلفتنى بأشفاق وصاحت قائلة :

— إسحق ! إسحق ! يا ولدى

فى تلك الصبيحة تجلى حزن عميق ، وفى تلك النعمة شمعت بقلبا اللام بالآلم بدق فؤادى . وبسد برهة قامت وعلقتنى إلى خارج النرفة حتى

— نم ياسيدى . إنك منجم حاذق
وقبل أن يفيق اسحق من دهشته قال له هولز
— لقد عجز المحققون ، لأن القاتل لم يسلب والدك
نقوداً ولم يكن لأبيك أعداء في الهندولاقى - واه .
فقال اسحق نم نم ياسيدى السكرتير أعلن
اسمك دكتور وطسن
فقال هولز - إن الأسماء لا نهم بقدر ما يهمننا
الوقوف على الحقيقة .
فقال اسحق - نم ياسيدى وكان هذا الزواج
الحادث الثانى فى حياتى .
فقال هولز - بقى عليك أن تقص علينا مسلك
زوج أمك بعد أن عقد عليها .
فقال اسحق : اسمح لى أن أشرب قليلا من
الشاي ، فانى لم أنتوق شيئا منذ ثلاثة أيام
فأقسم هولز وأمره ببقاء كامل وقال له : وقد
حضرت من بورنوث حيث تقيم بمفردك إلى هنا
فى مركبة (دوجكارت) يجرها جواد واحد
فضحك اسحق وقال : نم وقد تركته باسطنبول
فولكر وجئت سائرا على قدمى حتى بلغت المطر .
يا ليتنى عرفتكم منذ خمس سنين بعد بلوغ رشدى ..
فقال هولز : إن الوقت لحسن الحظ لم يفت
قال اسحق : أحسست بكرة غريبة مبهمة
لا أستطيع تفسيرها بحوسبروتينجهام زوج والدتى ؟
وكنت أعجب لقائه بسبب الجفاء الذى كان يقع بيننا
عند ما تتلاق أبصارنا... بيد أنه كان بجميع تصرفه
يستدر عطفى ويستدرج ولائى . وكان جميع أمره
يم عن رقة ودمانة أخلاق تخفى وراءه دهاء عميقا
وحذرا يقتل . إذ أنه لما بلغت مبلغ الرجال أبى أن
ينقص شيئا من إرادى الخاص ، مما أتفق فى تعليمى
فى إيتون وأكسفورد . واتفق ووالدى على تقديم
تروتي واخر دخلها إلى منذ وفاة أبى كاملة لم تمس .
فوجدت بين يدى فى سن الشباب أموالا طائلة

— إن قاتل أبى لم يعرف . وسأشرح لك سبب
هذه الزبارة التى قد تكون حبل بالفوائد لى ولستر
هولز . فقد اطلعت أبى على ما سمعته ، ولكنى لم أفر
منها بظائل . فقصت إلى خادما الميجورس جوليا .
فلم تجبداً من أن تطلبنى على الحقيقة . فقالت لى إن
والدى مات قتلا ، وإن الذى قتل رجل يدعى
روتشديل اتصل به قبل مصرعه بضيعة أساييس
وزعم أنه وكيل إحدى الشركات التجارية فى الهند .
وقد جاء إلى إنجلترا لمفاوضة والدى فى بعض أعمال
تهمة . ثم داه إلى فندق والهورف وهو الذى كان
الرجل روتشديل تزويلاه ، وهناك وقعت الجناية واختفى
روتشديل اختفاء غريباً ولم يثر له على أثر .
فلما سمع مستر هولز اسم روتشديل قفز من
مقدمه ولست عينا ، وأخذ يسير فى الغرفة ذهابا
وجيئة كمن مسته الشياطين .
وتذكرت فجأة الاسم الذى كان يهتف به قبل
مقدم اسحق ازمووند الذى أزمع لرؤية هولز فى
هياجه والتفت إلى وهمس فى أذنى : إن كاتم أسرارك
رجل غريب الأطوار ويجب أن تستبدل غيره به .
فأجابه هولز من آخر الغرفة :
— هدىء روعاك أيها السيد التليل فان مستر
هولز سيمزلى بمجرد الانتهاء من كشف القناع عن
مقتل اللروح والملك قارتبك اسحق عند ما علم أن
هولز سمع همه . واستمر هولز قائلا :
— ولكن قبل أن نثبت فى هذه المسألة أجبنى
على سؤال ؟ هل تزوجت والدتك من سيروتينجهام
صديق الأسرة الذى وصفته لنا ؟
قال اسحق وهو بين الدهر والهمهمة :
— نم ، من ذا الذى أخبرك ؟
قال هولز : وكان هذا الزواج فى تمام اللامين
من مصرع أبيك ؟
فغفر اسحق من مقدمه وقال :

كنيلورث ، وكانت جوليا أول من لفتني ، وكانت عمتي نائمة على فراشها ، فلما استيقظت رأيتني وكان الرض قد أعجزها عن الكلام . فأشارت بيدها الكلية إلى سوان إشارة فهمت منها أنها تريد أن أحضر منه سندوفاً فأحضرتُه وتناولته بيديها المرتجفتين وأخرجت منه حزمة من الرسائل وأبجه بصرها نحو للدفا . ثم اعتذلت في فراشها يبعد شديد وألقت بحزمة الرسائل لتكون طعمة للثأر قبل أن يقرأها إنسان في العالم . ولكن الرسائل لم تبلغ مدى النار ، فوجدتها أن أقوم بإحراقها فاستسلمت للنوم ولم تمض ساعات حتى لفتك آخر أنفاسها

واعتقدت أن تلك الرسائل ربما تلقى شعاعاً هادياً على سر مصرع أبي فلم أنفذ وسية عمتي لأن رغبتي الملحة في الانتقام كانت أقوى من عاطفة الوفاء لوسية المروءة النبيلة

فقال هولز : كانت هذه الرسائل بالطبع مؤرخة في نفس العام الذي قتل فيه أبوك ، وكان اسمك وتجنجهام يتردد فيها بكثرة ، وكان والدهك يصف حالته النفسية إزاء ذلك الرجل ، وأنه يحس بأنه يجب والدهك حباً قوياً ويخفيه بمكره ودعائه ، وإن أمك بادلت الحب بقتل والدهك مزاحمة على قلب زوجته بنشئ القصر وهو يشنّب بمناب النيرة اللقطة !

فهض إسحق أزمووند من مقعده وضم مستر هولز إلى صدره ضماً عنيقاً وقال له : أيها الرجل إنك تعرف أكثر مما أعرف فقل لي بربك من قاتل أبي ؟ فأبهم هولز وقال له : هدى روعك أيها السيد النبيل . إن الأمر ظاهر كالشمس فلم يكن رجل أقاد من مقتل أبيك سوى سير وتنجهام الذي صار زوجاً لأمك ، ولكن يوزك المليل الحاسم فقال أزمووند : ولكن لم خفي هذا الأمر الواضح على هؤلاء البلهاء الرميمين في سكوتلاند يارد ؟ إلا أن شيئاً هاماً طرأ على الموقف وهو عرض وتنجهام

ولكن هذه الأموال لم تقترني بشيء مما يفرى الشباب ، إذ كانت رغبة الثأر والانتقام لوالدي تتأخج في صدرى كالنار المشتعلة . وكان كل شيء موجهاً إلى معرفة القاتل . وهل هو على قيد الحياة ؟ وما سبب جنائته على والدي المسكين ... ؟ ولكن كل ما انتهى إليه استقصائي كان أن والدي قد قتل غدرًا بيد ذلك الرجل الذي يدعى روتشديل ، وأنه لا بد أن يكون انجليزياً أو أمريكياً كما شهد مدير الفندق وسائر خدمه . فالتصت برجال سكوتلانديارد وبمستر مارشال هول ، وهو الخياط الذي تولى المقام عن حقوق ، وبلورد بروكلاند قاضي التحقيق الأول فأطلعتني على ملف الدعوى ولم يكن فيه أكثر مما عرفت . وأرشدني إليك قائلاً :

— إن مستر هولز محقق جنائي هاو ولكنه أحقق من شخص قضية . فلما قامت مستر بارمور رئيس شرطة سكوتلانديارد أحبط عزمي زاعماً أن مستر هولز فيلسوف نادر المثال ، له شطحات تفصيه عن المرمى وإن كان يصيب الأهداف أحياناً . ولكنها ليست القاعده . وقال : « خصوصاً وإن حدة الجريئة أخذت تخف وتبرد في الصحف والتتديت ، وإن مستر هولز لا يصلح للضرب على الحديد البارد » . ففترت حتى من الحضور إليك . ولكنني الآن أعرض بنان الندم ... ساءلت نفسي : أيمكن أن يضيع دم أبي هنرا .. ؟ صار الأخذ بالثأر محذور سيئاً وهدفي للقدس ، ولكن كيف أقم ؟ فسلت لا أطيق المقام في جو يعيش فيه وتنجهام ووالدي ، فالتخفت مسكناً خاصاً واكتفيت بزيارتهم أحياناً إلا لما وفي أحد الأيام تاولني الخادم برقية مضمورة باسم خادمتنا الأمينة جوليا وهي التي تهدفتني طفلاً وسهرت على فتي ويافا . قد آثرت أن تعيش بعد وفاة أبي في كنف عمتي في الريف . وكانت غوى هذه الرسالة أن عمتي مريضة جداً . فسافرت نواً إلى قرية

يوم مصرعه ولم تحصل عليها من الصور إلا بعد وقته بشهر وقد علم باسمه من الصحف

فقال هولز — لقد قدم لك قبل موته وسيلة لانعام انتقامك، وسوف ترى. وخرج اسحق مهرولا وبدأ هولز عمله فأنصل بالثيافون بالشرطة العامة والحاسة وينصف فنادق لندن، إلى أن اهتدى إلى مقر الرجل؛ وكان الاسم الذي اختاره جون بروو كاست وقد أنفتت به لادي وينتجهم نفسها لولها وهي لا تدري طيبة الأمور

فقلت لهولز — وماذا تريد الآن؟

قال — أهاجم القاتل في مكانه. ولما كان الشيء بين اسحق ازموند والوالد شديداً كان ظهور النجل أمام القاتل لجأ سيقى الربح في نفسه. ثم ناداه بالاسم الذي عرف به إذ ذاك وهو روتشديل. وعندئذ لا يجد مفرأ من الاعتراف بسبب هذه الفاجأة

وفي تمام الساعة الثالثة بعد الظهر دخل علينا اسحق وهو في صورة والده المتوفى منذ خمس عشرة سنة قد هشت، ولكن هولز هز رأسه قائلاً: إن قوانين الوراثة لا تخون ولا تنكذب. وقال لاسحق: سأذهب معك في حياة تابع لك أحمل حقيقتك. وأبعدنا إلى الشارع وركبنا «هانسوم كاب»^(١) وفي طريقنا سأل اسحق:

— هل قبض عليه اليوم ونسلمه إلى الشرطة؟ فأجاب هولز — أبدأ. إن نلتينا عليه سيوصلنا بسهولة إلى شقيقه سير ونتجهم إذ أنه قبيل قتل واليك كان غاراً من الجندية ومقياً بأمرىكا وكان في نظر العالم قد انتحر. فلا بد أن زوج أمك أرسل إليه بعض وسائل خاصة بتدبير الجريمة ليستقدمه إلى إنجلترا وهذه الرسائل ذات قيمة عظيمة، لأنها الحجة الوحيدة التي بيد قاتل أليك الآن وهي التي تهدد شقيقه بها لا يترأز ماله. فربح الآن منحصرة

(١) نوع من مركبات الأجرة يكون سائقها خلف الراكب

في الأيام الأخيرة بنوبات قلبية

وينا كنت أمس في زيارة أوى وكان زوجها مرصفاً قالت لي والدي وهي تصحني إلى باب القصر إن النوبات التي تصيبه تزداد يوماً فيوماً وأن سببها أخ شقيق له مناسر قاطد الأخلاق فر من الجندية ثم ادعى أنه انتحر؛ وساعده على هذه الدفوى سير وينتجهم نفسه ليزيل عن أسرته هذه الرخصة. واستطاع هذا الرجل الشرير الذي يبدو ثروته في الحانات وبين الثوائى أن يسافر إلى أمريكا باسم مستعار ولكنه عاد أخيراً إلى هذه البلاد مدمناً وأخذ يهدد أخاه ويصعب تهديته بطلب المال وإلا قدم نفسه للحكومة مثبتاً أنه لا يزال على قيد الحياة وأن الذي أخاه على الفرار هو شقيقه

فقال هولز — من الواضح أن هذا الشقيق العايب المشتهر التردى في حماة الرذيلة الذي يهدد سير وينتجهم حتى أصبح مصدر رعبه ليس إلا الرجل الذي تسمى باسم روتشديل وأنه قاتل أليك نفسه، وأن زوج أمك قد استغل انحطاطه وتدهوره في تنفيذ جريمة القتل فلم يكن سوى الآلة التي نفذت الجريمة. فهت اسحق ازموند وقال إذن... فقاطعه شريك هولز قائلاً: هل لديك صورة للرحوم واليك؟ فبادر اسحق إلى إخراج غلاف من جيبه كانت فيه صورة أبيه فنظر هولز إليها ثم إلى وجهه محدثاً. وأشار إلى إشارة فهمت منها أنه يتأهب للخروج في صحبة ازموند

فقلت لازموند: لقد طالت المهزلة. إن عمدتك هوستر هولز نفسه أما أنا فصديقه دكتور وطن وهو يريد أن يصحبك فضحك هولز وقال:

— أردت أن تأخذ قسطك من الحرية في غابطى. وعليك الآن أن تعود إلى بعد ساعة مرتدياً ثياب تامل الثياب التي كان بها واليك ومقتله فبقال استحق — لقد أخذت له هذه الصورة

توأ إلى مقر سير ويتجهام في قصر أزموند
 بسوث سكس . وكان سير ويتجهام قد أبلى من
 مرضه ، وزوجته خرجت لزيارة بعض صديقاتها
 فقصدنا توأ إلى غرفة المكتبة كما أخبرنا الخادم . فلما
 رأى الرجل ابن زوجته مد يده للمصافحة . فآبى
 أن يداه التحية فدهش ولكنه لم يقل شيئا وقال له
 إسحق أزموند : دعنا الآن من التفاف فقد ملقته
 فقال الرجل ماذا تمى ؟ ومن هذان السيدان ؟
 وبعد إطلاعه على الرسائل التي كتبها بخطه إلى
 أخيه استسلم إلى الاعتراف . فأعطاه إسحق مائة يوم
 لينتحر اهناكاً لشرف المرأة التي ظلت بضع سنين
 زوجاً لقاتل زوجها الأول . فآبى ذلك وطلب بضمنه
 أشهر متتلا بمرضه ودو أجله
 وقيل أن يتمكن هولز من أن يحول بينهما
 اندفع إسحق أزموند بجنون وتناول خنجره كان
 كان منلقاً فوق رأس الجاني وأغده إلى مقبضه في
 في قلب غريمه وهو لا يرى شيئا مما يضل .
 فصرخ سير ويتجهام صرخة مكتومة قوية
 أشبه بالزئير وكانما حاول استخراج المنجر من موضعه
 فقال هولز : إنه مقشبت بالحياة لأجل المرأة
 التي أحبها وأجرم في سبيلها ، وبسرعة غريبة أجمه
 اللطون نحو مكتبته وكتب بضع كلمات على ورقة
 ثم سقط على الأرض ميتاً وانجبت أميناً إلى الكتب
 وتناول هولز الورقة وكان قد كتب عليها
 « سامعيني يا زوجتي الكريمة فاني قد انتحرت
 تخلفاً من الآلى وأمضى باسمه
 فقال هولز : لقد أراد أن يخلصك من جرم
 مصرعه بأن يثبت انتحاره ، لا حياء بك ولكن
 ليزمك الضمت فلا تمل والدتك عن جرمه شيئا
 وخرجنا دون أن يلحظ أحد شيئا وكانت
 اللادي مازالت خارج القصر

محمد الطنسي رحمه

في الحصول على تلك الرسائل من شقيق زوج والدتك
 بأى ثمن . أما التبعص عليه فقد انتهت هذا الصباح
 من الانصراف عنه لأنه لا يتفق وخطي وإذ سيضطر
 المحققين إلى سؤال والدتك وهي في اعتقادي بريئة
 من تدير الجريمة . فتناول إسحق يد هولز وهم
 بتقبيلها وبكى . فقال له هولز : إنني أفهم عواطفك
 فأخرج الشاب من جيبه محفظة قنوده وقال له :
 هذه لك خذها . فرد هولز يده بلطف وقال : آسف
 ياسيدي إنني لا أتناول أجراً على عملي

وصلنا إلى الفندق وبقيت في المر للوصول إلى
 النرفة التي بها الرجل الذي نستقد أنه القاتل وانجبتنا
 صوبها ، ولم يكن لحسن الحظ بالهوا أحد . وفتح إسحق
 النرفة فجأة وكان بها رجل موليا ظهره للباب ، فلما
 فتح أجمه نحوه فصاح به إسحق أزموند : روتشديل
 فراه اصفرار هولز وتساقط اللرق من جيبته
 وصاح صيحة مكتومة : - أزموند !

وقيل أن يأتي بأية حركة صوب هولز نحوه
 مسلحاً ونهده بالقتل إذا تحرك . فلم يستطع الانكار
 طويلاً وقد ظن أولاً أن أخاه قد وثى به ليخلص
 منه وقال : ماذا تريد مني ؟

فأجابه هولز : إنني أريد الرسائل وسأعطيك
 بها ثمناً ضخماً لتهرب . أعطاني الرسائل فقط .
 فانهز الرجل فرصة سانحة وقلب للنضدة واقض
 على هولز فاشتبك في سراع عنيف فانتصر عليه
 هولز وقد أجميت بثبات إسحق أزموند وفقاً
 لأوامر هولز وتواحيه ، فلم الرجل الرسائل وأعطاه
 إسحق مخصاه جنيته وسمح له هولز بالخروج على أن
 يتأخر شواطئ البحر لثرا في نفس اليوم وبعد أن خرج
 سأل إسحق مستر هولز كيف تسمح له أن يفر ؟
 فقال هولز : إن شقيقه زوج أمك هو المقصود
 بالذات . وبينما وبينه سيكون للوقت الفاصل .

وعدا إلى ٤٠ يكر سترمت فبدلتنا ثيابنا وقصدنا

وكان من عادة الملك الصالح أن
يذهب كل صباح إلى مسجد خنوم
للمصلاة والعبادة ، وفي ذات مرة دخل
إلى قدس الأندلس وخلا إلى تحتال
الرب ولم قدمه ثم صلى صلاة حارة
وشكر الرب كثيراً وعدد آلاءه ونعمائه
وختم صلاته بقوله : « الحمد لك يا أبى

خنوم لما أوليتني من حب الناس وإخلاص الأسداة
فإن حب الخلق من رضا الخاني ، وليس أسعد في
الدنيا من تسعد القلوب لسعادته وتشتق لشقاؤه »

ولأن الناس في تلك الأزمان كانوا يعبدون
الآلهة بقلوب ملوثة بالاخلاص والايان والمناجاة
فقد كانت الآلهة تكرهمهم بالحديث نارة وبالمجزات
نارة أخرى ، ولذلك لم يكن من الغريب أن يسمع
فرعون صوتاً سماوياً يقول له :

— لقد منعتك حكمة أيها الملك فلماذا تطعن
إلى الناس كل هذا الظلمتان ؟

فجذب الملك لقول الرب ودب اللتان في قلبه
فقال في قنوت وخشوع :

— أيها الرب المعبود ... لقد خدمت شعبي
بإخلاص فصدقني الحب ، ووفيت لأصدقائي خفي
عليهم الوفاء لي ، فكيف يجوز لي أن أضع الحرية
نقداً إلى نفسي ؟

فقال الصوت الجاوي الذي يجمل عن الوصف
والشبه :

— أنظر إلى الشجرة المورقة التي تملأ الجو
بالأغصان وتلفح بالخرصة البانمة كيف يبقى الناس
إلى ظله المصدود يحتمون به من أشعة الشمس
ويطفون نهارها اللامية ، وانظر إليها إذا جرد

عَفْوُ الْمَلِكِ أَسْرَكَافٍ

أَقْبَصُ صِدْقَهُ مَضْمُونَةً
بِقَلَمِ الْإِدْيَبِ نَجِيْبٍ بِحُجَّتِهِ قُفُوزُ

كان الملك أسركاف من أجل ملوك الأسرة
الخامسة الذين حكموا مصر حكماً اقترن فيه العدل
بالرحمة والحزم بالكماسة والقوة بالهبة ، وكان من
سياسته — لدى أول عهده بالجلوس على العرش —

أن عبأ جيشاً قوياً زحف به على الصحراء الثرية
ليقتضى على شوكة القبائل الرحالة التي أطعمها ميل
الملوك السابقين إلى السلام — في نهب القوافل
وسلب قرى الدنا والاعتداء على الأمنين ، فانتصر

عليها انتصاراً مبيتاً وشتت قواها ورجع من غزوه
بجيش من الأسرى وأتقال من اللتائم ، ووطد بذلك
سلطانه وفرض هيئته وأعل كلمة مصر وكفى أهلها
شر القبائل التوحشة ، وانتفت في ظل السلام

والطمأنينة إلى حالة البلاد الداخلية وأولاهم عنايته
وحبه ، فشق الطرق وحفر الترع وأقام لنفسه هرمًا
مقيمًا في أسوان عاصمة ملكه ، فكان عهده عهد أمن
ورخاء وطمعير ، وحاش الملك بين شعبه المييد سعيداً

مطمئناً يثلج صدره ما يبيد من حب رعيته له ويسعد
ألبامه ولياله ما يلقى من إخلاص تفر من كبار رجاله

يتفانون في عهده ، وكانوا له نعم الولي ونعم الصديق ،
من هؤلاء مسحوري ابنه وولي عهده ، ومسحوري رئيس
وزرائه ، ومن كبير كهنة الرب خنوم ، ومسحوري القائد
العام للجيش المصري

سأقوم من اللند برحلة إلى بلاد بنت ، فقول أنت هم
الدولة في أثناء غيبي ، وانتظر أياماً ثم أعلن نفسك
ملكاً على وادي النيل ، وأطع صحابي في جاهك
ومالك وعدم منهم كي يخفصوا لك جناح الدل
والطاعة ولنر ماذا يكون من شأنهم ...

ولكن قلب الأمير نفر من تدير فرعون
واحتج قائلاً :

— أضرع إليك يا مولاي ألا تعمل على موقف
أشهر به عتوقى على العالمين ، وألا ترضى ببقية
طويلة تحرم قلبي من طمأنينته وتسلب الشعب سهرتك
عليه وعنايتك به .

ولكن الملك أثنى على عواطفه وبدد مخاوفه
وحمله على الرضوخ والأذعان وذهب إلى الملكة
الشابة ناي — وهي غير أم ولي العهد التي ماتت منذ
عهد سيد — فودعها كما ودع كلبه الحبيب زاي ، ثم
ركب سفينة تجارية أبحرت به إلى بلاد بنت المقدسة
منبت البخور المبق ؟ وعاش عهداً غير قصير ينتقل
بين ديارها الخصب فيلقى الأكرام والترحيب الذين
كان يقابل بهما رعايا فرعون أيها حلوا وحيثما
نزلوا ... وكان لا ينفك يفكر فيما عسى أن يلقاه
من رحمة ومحبة حين أوبته وكان كلما لج به سوء
النظن وأورده ممالك الأوهام والمواجس فر إلى
جبل الذكريات النطوية يستند تقفها ويستلمها
الصبر والطمأنينة ، فلما أن ضاق صدره بالقلق
والوساوس وعشيت قلبه وحشة الغربة عزم على
المودة إلى وطنه فجبع متاعه القليل وأبحر على ظهر
سفينة مصرية أرست به على شاطئ الأرض التي
أثني زهرة عمره في سبيل إسعادها ، وقصد من
توه إلى أقرب قرية واحتفظ بأهلها وهو في ثياب

الشتاء عليها الراح الباردة قساقطت أوراقها وذبلت
أغصانها وتمرت بكثرة بالية لم يصنها تحنيط ، كيف
يهجرها الناس ويقطعون أغصانها ليلقوا بها في
التيار ... !

وعاد الملك إلى قصره حزينا كثيراً يستمد
ما قال الرب ويتأمل في ممانيه ، فيوسوس الشك
في صدره ويرين القلق على قلبه ، ومضى يستحضر
ذهنه الوجوه العزيزة التي عاشته الأوهام الطويلة
في مودة وصفاء — لأول مرة — في حالات من
الرية تكشف خلف أحاديثهم الرقيقة عن أكاذيب
معمولة وتكشف وراء ابتساماتهم وراء مقبلة وترى
في فروض الطاعة التي يلزمها أترأ للرغبة والظوف ،
وطئت موجة حارمة من سوء الظن على نفسه فجعل
يرجع إلى الماضي السعيد المنطوي بلباح صفحاته
النائمة بقاذورات الظلمة والشك فبدت له حياته
التي آمن يوماً بأنها سلسلة من السماعات غفلت
عنها عين الأقدار ... خدعة نكراء وشقاء قابلاً
خلف قناع سمادة زائفة

وفطن الأمير سحورى إلى حالة الملك الغريبة
فتقبل فكره وركبه المم وسأل أباه عما يكدر صفوه
وكان الأمير يحب والده حب عبادة ، وكان الملك
يحب ابنه كآخر شيء في دنياه ، ويشق به ثقته بنفسه
فبته حزنه ، وأفضى إليه بمخاوفه ، وروى له حديث
الرب خنوم . واستولى الارتباك على الأمير ولم يدرك
كيف يلطد عن أبيه أشباح الشكوك ، وكان الملك
لا ينقطع عن التفكير فقال لولى عهده :

— أنا لا أستطيع التنكيل بالناقين مالم يقر لي
الدليل المحسوس على ثقافتهم وقد اهتمت إلى طريقة
أكتشف بها عن خبيثة نفوسهم قاصغ إلى يابى .

فاضطرب الكاهن وزاغ بصره وقال بتلثم :

— مولاي ، وما عسى أن يفعل رجل ضعيف

مثل لم يمد للقتال ؟

— ليس القتال فريضة على كل إنسان ولكن

الوفاء واجب محتوم على كل رجل قائل ، فكيف

تخلد إلى خدمة من غدركم بولاك وولى نعمتك ؟

واشتد الارتباك بصديق الملك القديم واعتلته

حيرة ، فلم يحرج جواباً ، فقال فرعون :

— تستطيع يا سمن أن تكفر عن ذنبك بأن

تعلن على الملأ عدم شرعية ولاية ابني سحورى

فتقدم إلى خدمة بطمسي في أدائك لها ماعهدة فيك

من الوفاء في عهد مفي

ولكن الكاهن ذعر وارتاب وقال بتضرع :

— لا أـطيع يا مولاي ... إن واجبي خدمة

الرب لا خلع الملوك

فصمت الملك لحظة يطارد بيمينه المستترين

عيني الكاهن اللتين تتحاشيان النظر إليه ، ثم ولاه

ظهمه دون أن يزيد وترك المبدك كيب النفس ضيق

الصدر يعض أظفاله حصرة وأسفا

وأسرع الخطى إلى قصر رئيس الوزراء حرورى

وطلب الاذن بمقابله ولكن الخدم احتقروا هيئته

الثرية فهموا بطرده فتوسل وتفرع فما زادوا إلا

استكبارا فقال لهم إنه صديق الوزير وصي لهم اسما

يعلم أنه من القريين ، فأذن له بالدخول وما إن وقع

نظر الوزير على القادم حتى فزع قائما وقد أتلجت

أطرافه واتسمت حدقتا عينيه وساح بلا وعي :

— مولاي

فقال الملك بهود :

— طيب الرب أوثانك أيها الصديق حرورى

الثرية حتى أنسا به فمال جماعة منهم يوما قائلا :

— من ملككم أيها الرجال ؟

فأجابه شباب لفنت الشمس وجهه وقتل

الفأس ساعديه .

— المبارك اسمه سحورى

فسأله الملك :

— وكيف ترونه ؟

فقال الشاب بحماس أمن عليه رقة وه :

— هو ماؤنا إذا النيل نضب وساعدنا إذا

اشتد العطش وادلم

فسأله الملك :

— فكيف تذكرون أسرك ؟ فقال :

— يا خير لولا أنه في ميدان وملكتنا في ميدان

لنشهد الملك وسأله بصوت حزين :

— كيف خذلتموه وقد كان لكم نعم المولى

وشم النصير ؟

فحده الشاب بنظرة قاسية وقال له وهو

بوليه كشحه .

— إن المصيان شر لمتته الآلهة ...

فهبز الملك القربة حزينا وسار إلى النيل إلى

عاصمة ملكه ، وولى وجهه شطر مبد خنوم

وطلب مقابلة الكاهن الأكبر سمن فدعى إلى

المحراب ولما رآه الكاهن عرفه بالرمز من ثيابه

الثرية فبدت عليه البهشة وتولاه الازعاج وعتف

بصوت مبحوح :

— مولاي الملك أسرك

فابتسم الملك ابتسامة ميرة ساخرة وسأله كالفكر

— كيف تدعوني بولاك الملك وقد باركت

بالأمس سائبا فما اغتصب عرشى ؟

فاستولى الملح على قلب الوزير وسأل ملكه
 السابق في لحظة :
 — هل رآك أحد وأنت تدخل بيتي ؟
 فظن الملك إلى الباعث على هذا السؤال وبدأ
 يستشر اليأس والتفريط فقال :
 — نعم أيها الصديق رآني الخدم وجمع فقير
 ممن يجتمعون ببابك
 فسأله بصوت بحه الفزع :
 — وهل عرفك منهم أحد ؟
 فقال الملك :
 — لا أدري
 فصاح الوزير :
 — واضيمته لو علم الملك بزيارتك لقصرى
 — وهل تخاف هذا الناصب العاق ؟
 — كيف لا ؟ أنوسل إليك أن تنادر قصرى
 من الباب الخلفى
 — أو تطردنى أيها الصديق حرورى ؟
 — مذبذبة يامولاي ، إن طرفى دقيق وإنى
 أصرح إليك باسم صداقتنا القديمة
 فضحك فرعون ساخرآ ، ورأى رئيس وزرائه
 في حالة من الملح يرى لما غم يجمد به من فائدة ترمى
 ولم يربداً من متاددة القصر من حيث أراد صاحبه
 فتأذره وقد اعتلاه الحزن وراى على صدره الندم...
 ولم يبق من أسدقائه سوى القائد سميرى ،
 وبالرغم مما حل به من الفشل لم يقو سوء ظنه
 وصراة نفسه على زعزعة ثقته به لأنه كان رجلاً
 شهماً بسلامة وعظيم الاخلاص ، ميزه الأرواب بطبع
 لا تطع فيه الخيانة ولا الدنياه ، قصد إليه يقية أمل
 وطلب الاذن بالدخول عليه . ولا وقت عليه عينا

حين قلبه إليه فصاح به وهو يفتح ذراعيه له :
 — أيها القائد سميرى ... ألا تدكرنى ؟
 وبهت القائد وقام واقفاً مزيجاً وقال بدعشة :
 — مولاي الملك أسراكف
 فقال فرعون برجاه :
 — نعم هو بذاته وبؤسه وأسفه
 ولم ير القائد ذراعى الملك الفتوحين وبدت على
 وجهه آتى الصلابة والشدة ، فسأل ملكه السابق
 بجفاء قائلاً :
 — هل يمح جلالة الملك بدخولك مملكته ؟
 فبنت أسراكف وسقطت ذراعاها في خيبة مره
 وقال باقتضاب :
 — كلا
 فسأله القائد بلهجة أشد من الأولى :
 — ولماذا جئت تفعل فى مصر ؟
 فقال الملك :
 — جئت أستصرخ أسدقائى القدماء
 فتقدم القائد من فرعون وقال بلهجة عسكرية :
 — إن واجبى كقائد للجيش المصرى يقضى
 على بأن ألقى القبض عليك باسم الملك
 فقال له أسراكف :
 — ألا تعلم أنى أنا الملك الشرعى . فقال القائد
 وهو يضع يده على كتفه :
 — إن لمصر ملكاً واحداً لا أحرف سواء
 وأيقن فرعون ببش الجدل فاستسلم للقائد
 وترك له نفسه يسير به إلى القصر الفرعونى ودخل
 القائد إلى هو المرش يسوق بين يديه الملك ، ورأى
 أسراكف ابنه جالساً على عرشه ومن حوله رجال
 مملكته وعلى رأسهم حرورى وبينهم فملاً أيهما أهدرا

وأنت الحاشية على رالك ولحجت ألسنهم
له بالعام ؟ أما أسرك فقد اشتد عليه البلاء حتى
ألجم منه اللسان وعلت الأضواء ، وكان زاي قد
أحسن بأله فجعل ينبج ويتعسس عبادة التي عفرها
التجوال

وأفاق الملك إلى نفسه فتأثر على ضعفه وتماك
زمام نفسه وقال لابنه :

— والملك نأى ؟ . فقال له ابنه :

— هي الآن ملكة مصر السميدة

فتنهذ الملك وقال :

— هل أطمع في أن تأذن لي في اصطحاب
زاي ؟ فقال :

— لك هذا فقد ضايقنا بنباحه !

وغادر الملك أرض مصر ملوماً محسوراً يقرب
كفيه من الألم والحزن وسوء الصبر وولى وجهه
شطر الجنوب يقيم كلبه الأمين وحط في بلاد النوبة
وعاش بين جبالها في عزلة رهبة لا يكلم إنسياً ، فإذا
ثقل عليه ألم والألم بث شكواه الخلق الوحيد الذي
سدهه الحب وعضه الوفاء واحتمل وحشة العزلة
سائراً من أجله

ولم يدعه حاكم النوبة المصري في عزائه طويلاً
فزاده ودماه إلى زيارته ولم يخف منه المودة والاكرام
وما لبث الملك أن اكتشف خبيثة نفسه فوجده
حاكماً متذمراً يرى منصبه في بلاد النوبة غيباً له
وسوء تقدير لخدماته ومؤملاته . فالتج في قلب الملك
بارق أمل فاستغل سخط الحاكم ووعده ومناه حتى
جعله على مجرى حمة من التوسين والصريين ، سارا على
رأسها صوب الشمال ، وأعد الملك سحوري جيشاً
لتأديهما والتحم الجيشان في معركة قاسية حالف

إلى الثول بين يدي مولام لينبأه بظهوره ، وحده
في نفسه جيئهما ليشهدا ويشهد معهما القائد سموده
إلى حرشه وتسله الأمانة التي أودعهما يدي ابنه
الأمينين فينوقوا جميعاً صراغزى والمار وتذهب
نقوسهم الخبيثة حشرات وتتقطع نفا ...

ونظر الملك إلى ابنه وأبسم إليه ابتسامة ذات
مغزى عظيم وم بالكلام لولا أن سمع نباح كلب
طالبا ورأى زاي يتخطى صفوف الحرس ويهرع إليه
بقوة لا ترد ويشب عليه يديه ويوسمه حينئذ دل
على الجوى والشوق ، وما استطاع أن يهدى تأثره
وطيب خاطره إلا بعد جهد جهيد ، وغلب التأثير على
الملك فتقدم إلى حرشه بخطوات ثابتة حتى أوقفته أيدي
الحرس ، فاستولى عليه العجب ونظر إلى ابنه وقال :

— قم يا بني فقد انتهت تجربتي ودعني أمثل
بهؤلاء اللناقين

ولكن ابنه لم يتم ولم يتخل له عن مكانه وقال له
بظمة السلطان :

— ماذا جئت تفعل هنا أيها الرجل الذي
أصطك الآلهة ملكاً واسماً فتهاون في حقك وذهب
يلهو في بلاد بنت ؟

فوقع قول الابن على آية وقوع القضاء ، فاستمت
عيناه وجرت فيها العشة والجنون وجعل يقرب
وجهه القابل بين ابنه التاجر ووجهه الشامتين .
ولم يصبر عليه ابنه فقال له بقسوة :

— يحق لي الآن أن أفصل رأسك عن جسديك
ولكني لا أنسى أنك أبي ولا أحب أن أرتكب تلك
الجرمة التي تستكرها تقاليدنا فأوسع لك من
صدري صبراً وأهلك يوماً تد فيه عدتك ومن ثم
تنفي إلى بلاد النوبة ...

قابض الملك وقال بتهكم :

— من لي بولي عهد جديد ؟ ومن لي بكاهن
أتق من نخب أو وزير أقدر من سروري أو قائد
أبرع من سمزي ؟ بل يا ليت الملك نأى لم تسارع
إلى القضاء على نفسها إذا لأجلستها إلى جاني على
هذا العرش مرة أخرى ، أما الإخلاص أيها الحاكم
قد أسيئت أسوء الظن بجميع البشر ؛ ولست أعظم
ثقة بك نفسك من هؤلاء ، وإن جميع الناس ليأوون
إلى ظل الشجرة للورقة فإذا هرا ما جذب الشتاء
هجروها غير أسفين ، ولن يجديني قتل هؤلاء قتيلاً
كلاً ولن يبدلني بهم من ثم خير منهم

وحاش الملك أسراكف بقية عمره في عزلة قلبية .
لا يؤنس وحشتها قصر آبو ولا الجبل المنيف من
الشعب والحاشية القم إلا زأى الصديق الأمين !
نحب حفوتك

النصر فيها الملك أسراكف فدخل عاصمة ملكه فأحيا
وقبض على ابنه وأصدقائه القدماء وأودعهم غيايات
السجون ...

ولما علت الملكة نأى بانتصار جيش زوجها
السابق تولاهما الخوف فقتلت نفسها وفوتت على الملك
فرصة الانتقام منها ، على أن الملك لم يرض أن يبيت
في أسر من الأمور ولا أن يقرر مصير أحد من
أمرائه إلا حين يسكت عنه الغضب وتهدأ نشوة
الاتصاف في نفسه ويجد فرصة طويلة للتروى ومهلة
للتفكير . وسهر ليلة طويلة يفكر ويدبر التأمّل حتى
احتدى إلى رأى ...

وفي الصباح أسر بابنه وصحبه فيهم إلى عرشه
وكانوا جميعاً منكسرى القنون زائني النظرات ترهقهم
ذلة ويشملهم قنوط . فتألمهم الملك ملياً وعلى شفثيه
إبتسامة غامضة ثم قال بهوء عجب :
— لقد عفوت عنكم جميعاً

فاستولت عليهم الهشة ولم يصدقوا آذانهم
ونظروا إلى الملك الجالس على عرشه بتهيب وتبادلوا
نظرات التمجيد والحيرة وعدم التصديق ، فقال
الملك بهوءه العجيب :

— إني أعني ما أقول أيها السادة ، لقد عفوت
عنكم فودعوا إلى مناسبتكم وياثروا أعمالكم بالهمة
والإخلاص للذين عهدتكم فيكم

ولم يستطع حاكم بلاد النوبة صبرا فقال :

— أنصفو يا مولاي عن اغتصب عرشك
وطردك من مملكتك بلا رحمة ؟ أنصفو عنهم يا مولاي
وما يزال طالقاً بأرديتهم أثر الهم الذي سفكوا في
قتالهم ؟

التصوف الاسلامي في الادب والاخلاق

بمقام الدكتور زكي مبارك

يقع هذا الكتاب في مجلدين كبيرين وغناها مما أربون
قرشاً ، وهو يطلب من المكتبات العميرة في البلاد العربية
ويطلب بالجملة من مطبعة الرسالة

الفن

أَقْصَوْصُكُم مَّضْمُونِيَّة
بِقَلَمِ الْأَسْتَاذِ مُحَمَّدٍ بَك خَيْرَت

اللبث . ولكنه مع ذلك كان يلبي رجا
رئيس الجمعية في حضور جلساتها للوقوف
على ما يدور فيها ولسماع ما يلقيه أعضاؤها
في كل أسبوع من القطع المختارة ، فكان
يجب بالرحوم عبد الرحيم ^(١) عند
ما يمثل قطعة (مكبث) التي يخاطب فيها
خنجره ، وبالرحوم محمود صهاد ^(٢) وهو
يمزف على المكان ، كما يجب بشير ما من

الأعضاء ، حتى إذا رأى أن ما يمارسونه يجرى في
حدود الاحتشام ويسمو بالنفوس إلى سماء التهذيب
لم ير بأسامن إلا أن لفحده « فتنة » بالحضور معه
في تلك الجلسات

وكانت فتنة في الثالثة عشرة من عمرها سبوحة
الوجه مشرقة الجبين ساحرة العينين رودا ناعمة ،
يشر جمالها بأن سيكون له من اسمها قبا بعد نصيب ،
وعنى جدّها بتعليمها في المدرسة ثم حجّزها ورتب
لها معلمين يستكملون ثقافتها

وكان الدّور في إحدى جلسات الجمعية على فني
في السادسة عشرة من عمره اسمه زاهر يملئه إخوانه
حييا خجولا ، فكانوا في عوق إلى مشاهدته وهو يمثل ،
ويتنظرون أن يحكموا على مبلغ ذوقه في اختيار القطعة
المكلف بالقائها ، وعلى ما إذا كان حيّاؤه سيفق حائلا
دون ما هو آخذ به . حتى إذا دق الرئيس الجرس أقبل
عليهم قسيس في أعمال ممزقة له شعر غزير ولحية
طويلة علامها الشيب ، وعلى إحدى عينيه عصابة من
خرقة بالية ، ويده عكاز يشكّيه عليه ويهتدي به
وقد تقوس ظهره وهو بخطو عوم بخطو مضطربة
بطيئة ، حتى إذا ما توسط المكان أخذ يروي لهم
قصة حياته :

كان التمثيل والفنّاء والموسيقى فيما مضى من الفنون
البشيضة في ميون الطبقتين الراقية والنوسطة ، يفضى
أفرادها عنها ويمجّثون من زاولونها حتى لقد طرد
أحد الآباء زميلا لي أراد الالتحاق بقسم الموسيقى
من مدرسة الصناعات لأنه يفت حرفة « المزكا » .
وكم ذاق الأسر من أبيه زميل آخر كان يقطع لياليله
بالجري خلف الحفلات التي كان يحبها الرحومان
عبد المحلى ومحمد عثمان . وذلك لأن أولئك الناس
كانوا البقية من رجال العهد القديم لم تتفتح أعينهم
على النور ولا تنوقوا ما هذه الفنون من مآلى الحلال
والجمال والسحر . ولذلك كانت من نصيب فقراء
البلد لأنها من بعض وسائل العيش والارتقاء .
وكانوا على كل حال أقرب إلى الأميين ، حتى فكر
الطلبة في رقيتها والنموض بها ، فألف بعضهم جمعية
أطلق أعضاؤها عليها اسم « جمعية إحياء التمثيل »

وكان رئيس هذه الجمعية سلة وثيقة بوجبه سرى
له دار فسيحة في حارة قوادير على مقربة من شارع
الناصرية بجى السيدة زينب ، فسمح له — ولكن على
كره — بالإجتماع مع زملائه فيها

وما كانت كراهية هذا السرى إلا لأنه من بقايا
ذلك العهد ، ولأنه شيخ درج على التقوي والعبادة ، فكان
فوق مقته هذه الفنون يحكم طبيعة عصره يرى فيها
صارقا من ذكر الله ومادة من مواد اللهو لا تشرع

نهته، وهو فوق قيامه بأداء ما مثل كان الواضع لهذه القطعة الفريدة، فكان نجما متألقا في سماء التأليف وفي سماء التمثيل

أما صاحب القلم فكان أول من أسرع ليطعن عليه وينهضه، ثم انتقل به إلى حيث كان يجلس وحفيده تنظر إلى هذا النسيب البائس وعلى ملامح وجهها دلائل التأثر كأن ما حدثت به حقيقة واقعة، حتى إذا ما زرع الشمر الشتار عن رأسه والعجة التي استعان بها في مهمته صاح عبد المجيد بك :

زاهر ! أنت زاهر ؟ فقال يا بني تمال . فلقد خيل إلي أن مصادفك لم بعد الحقيقة حتى أشفقت عليك وأسرت نحوك . رحمة الله على أباك فقد كان نعم الصاحب ونعم الحمار . الحمد لله على أن ظفرت بك وامتثلت نفسي منك . لم انقلعت عني يا زاهر وأنا كمحك ؟ ألم تكن تسلب وتلهو مع فتنة وأنا سثيران ؟ بالله لا تقطع بعد ذلك زيارتك عنا فإنها تبث في نفس الرضى وتدكرني بالرحوم أباك وعند ذلك سكوت وهو يفكر، وأمسكت فتنة

عن الكلام أيضا وتبار تفكيرها بوجه إلى هدف واحد هو زاهر . كان الشيخ يوازن بين ما أصبح يحمله من أقبال الشيخوخة وبين شباب هذا الفتى الناضر وكل ما في وجهه يضحك الحياة ويستمر للأيام . يقول في نفسه : لقد كان لي مثل هذا الشباب فن لي به أشعر عنده في كل خطوة من خطواتي بالحياة وأنا لا أضع عيني كل صباح إلا على أمل ولهو جديدين، ولكن الناس لا يعرفون قدر الشباب الذي يرحلون في صروجه إلا بعد أن يولي وهم يهاون بما يحسونه من قوة الصبا حتى أن كثيرا من رفاق المدرسة كانوا يحملون في قرص الشمس متنافسين فأصاب أكثرهم البعمي . ومنهم من قدوا أسنانهم البيضاء القوية قبل الألوان لأنهم

« يا أنامل المخطوط ولاتسوء الأقدار . لقد كنت أننا مع زوجتي وأولادي . وكنت في أيام الأحاد أعظم أهل القرية وأفتح بيوتهم على طريق الهداية، وأحترم عصيان الله وزوات النفس . حتى إذا كانت ليلة من ليالي الشتاء سادها الظلام وخيم عليها السكون - إلا ما كان يتخلله من حفيف الأشجار ونياح الكلاب - اشتد الرض بإسرائي فتقلص وجهها وذبت ميناها وانجم لسانها . كانت تخضر وأولادها حول سريرها يصرخون ويبيكون

في تلك اللحظة لم يضارني شك في أنها مقبلة على ساقها الأخيرة، فخطرت لي أن أقوم نحوها وأجبي كفيس، فسألها أن تتعرف بما يكون قد فرط منها لأغفر لها . ولكنها كانت تمحلي في " وكأنها تفر من الكلام، حتى إذا ألمحت عليها أو ألحت عليها منيتها أيضا استجمعت ما بقي لها من قوة وقالتها كلمة واحدة كان فيها الشقاء الذي ركبني إلى اليوم : إن هؤلاء ليسوا بأولادك ...

عندئذ انزعج قلبي وطار صوابي وانقسمت إلى رجلين أحدهما زوج مجروح يريد أن ينتقم، والثاني تقيس فرض الله عليه الضحك والرحمة . وهكذا قامت في نفسي حرب بين طائفتين نبئت إحداها من الأرض، وهبطت الأخرى من السماء. حتى إذا بقي الزوج واختفى التقيس همت بالانقضاض عليها ولكنها كانت قد أسلمت الروح ...

في تلك اللحظة الهائلة أظلمت الدنيا في عيني ونسيت وجودي فلم أشعر إلا وأنا أتسلق جبل القلزم أمشي فيه بعيدا عن شرور الناس وكانت أسنانه عند ذلك تصعلك وجسمه يتنفض وقد أفلتت عصاه من يده فوق على الأرض كتلة هامة. وعندما دوى السكان بالتسقيق وأقبلنا عليه

كان يخالسا النظر، وهي تحس ذلك فينتلق بها الخيال إلى الأيام الأولى التي كان يضمها وإياه فيها ذلك الغناء القسيح تدو في جوانبه كالأرنية البيضاء البضة وهو يلاحقها وهي تحاوره حتى إذا أخذ منهما التسب انجها إلى مكان خشبي وأخذ يفرطان أوراق الورد القطوف من الحديقة ويثرانها على الأرض فيتذمر الخادم لاضماراره إلى كنسها، ولكنها تضحك بملء فيها قائلة : وهل تكره يا عم يجب أن نكسو لك سطح هذه الأرض بالورد ؟ وعند ذلك يهتز لجوابها الطريف ويدعو الله أن يعيش حتى ينثر هو الورد تحت قدميها في يوم زفافها إلى زاهر ، وعلى أثر ذلك تفرق هي وزاهر في ضحك برى تكرير للام العاصف .

ومن غير شك أنها كانت لا تفهم للزواج معنى إلا أن مصير كل فتاة وفقى إليه على ما تسمع من جدعها وجاراته . أما الآن فقد أخذ معناه ينكشف لسينها شيئاً فشيئاً انكشافاً بطيئاً مبهماً ، إلا أنها كانت تشعر مع ذلك بأنه حال من أحوال الحياة لا غنى عنه . وسيأتي يوم قريب تكتمل فيه أنوثتها ورجولته فتسقيظ في نفسيهما طائفة أخرى تجبل من الزواج سمادة وجنة

ولقد ظلت فرقة إحياء التمثيل تجتمع في دار جدعها ثم انتقلت منها إلى سواها حتى كتبت لها التوفيق والنجاح بعد خمس سنوات كانت باكرة جهودها بسدها الاعلان عن تمثيل رواية روميو وجوليت في دار الأوبرا بالاشتراك مع بعض الممثلات المحترفات

لم يقع اختيار الفرقة على هذه الرواية إلا لأنها مأساة أسهل من سواها في تمثيلها وأشد تأثيراً في نفس الجمهور فهي أقرب إلى النظر بإقباله

كانوا يرفسون بها الأفعال والمقاعد وما خلقت عيوننا ولا أسناننا لثل ذلك

— قل لي يا زاهر . ما الذي شمرت به وأنت تمثل دور هذا الشيخ الفاني ؟

— لا شيء . وكل ما كنت أفكر فيه هو أن أتقن تمثله

— ألم تلتفتك هذه الصورة المستارة إلى ما أنت فيه من نعمة الشباب ؟

— أبداً يا عمي

— لقد كنت تكذب الآن على شبابك يا زاهر، وسيأتي يوم أرجو أن يكون بعيداً لا يحتاج عنده إلى تمثيل هذا الدور . ليتني كنت اليوم أمثلة مثلك .

أخني ظهري فأذكر اعتدال قمتي؛ وأخضب بالبياض رأسى فأثبه إلى سواد لاني ؛ وأرسم الأساور على جبينى فأهتر نشوة من نومة بشرى ؛ وأتكلم والى يلاحقنى فأحد الله على ما حل من عقدة لسانى . اذكر الآن وماء الشباب يتدفق في جسمك النضير أه سيأتي عليك يوم تيكبح حين لا تجده تغذ لشبابك القاتم من مشيك الستار، ومن غداك المجهول ليومك الحاضر .

أما فتنة فكانت في حيرة من هذا القسيس الحطم كيف انقلب في لحظة من ملبح القمصان رشيق الحركات، يجرى في بشرته ماء الحياة المادق، وتبدو على وجهه نفرة الشباب البقم، ويشع من عينيه الدابلتين السحر حتى لكأنه وردة هبة أطلت من خلال أشواك ذلك القسيس . ولكنها ما كان ليخطر على بالها أنه سيكون له يوماً ما ذلك النصيب ، ولا أنها سيأتي عليها يوم تصبح عنده بكسها التي هربت وقضت . وذلك لأن النفوس المضمومة بسكر الشباب والنسمة لن تفكر في سواها .

وكان زاهر في خلال ذلك مطرقة سامتاً ولكنه

حتى تصحبهما ظلة القبر، هذه الظلة التي أخفى هيمون
جثة حبيبته فيها عن حساده لتستقبل شفتاهما عندها
قبلة النوم الأبدى الهادئ

وعلى أثر هذه المراساة انطلق زاهر يفهم
موضوع دوره ثم أكب على حفظه ، وأخيراً أخذ
يجرب تخيله أمام امرأة اشتراها لهذا الغرض ليرى
بمبينة كيف يروض غارجه على الثبرات التي توجهها
مقتضيات الاقواء ، وكيف يوزع على أعضائه وأطرافه
الحركات التي تتفق مع هذه المقتضيات . ولكنه مع
ذلك كان لا يزال يشعر بخلو تخيله من الحرارة
والروح في شق السواطف التي تتخلل موقفه من
حب ومحرق ، وحزن ووبكاء ، وجفوق عتاب ، إلى غير
ذلك مما لا يمكن استمارته أو تقليده أو خلقه

وكان الجمل والحياه التأسلان فيه من
الأسباب القائمة في وجه نجاحه حتى أنه كان إذا
رفع صوته في مواقف الشدة ظل ضعيفاً منخفضاً
كالشخص الذي يعاني في النوم كابوساً يضبط على
صدره فيخيل إليه أنه يصرخ ويستجد وصوته مع
ذلك لا يصل إلى سمع أقرب الناس منه

وما كان هذا ليمنه من الاقبال ثانية على المرأة
والعودة إلى غنابة نفسه فيها ، ولكنه يجد أنه لم يخط
خطوة جديدة في طريق الاقتراب من الحقيقة وساعده
يتحركان حركات آلية كأنهما ليسا منه ، وفيه يخرجه
في إخراج عباراته على ما يجب ، كأنما قد سكنه طاقم
جديد من أسنان صناعية يسوق أداء الخارج صحيحة
مترة . وهكذا تتور نفسه وتلب عليه بأسه فيلمن
التمثيل ويلمن الفن ، ويحس بالقوم والتمتاع زميله
هيد الرحم الذي خصه بهذا الدور

ولكنه يرجع بنا كرهه إلى تاريخ (اللسارح)
فيجد من بين المثليين من كانوا مضرب المثل في
النبوغ مثل راشيل وتالسا وفريدريك لوميتز الذي

ولكن زاهر الذي أسند إليه دور روميو
لم يكن ليكتفي في القيام به بالتقدير الضئيل الذي
أكتبته من طريق المراء ، ولكنه عكف على دراسة
هذا النوع عند الاغريق وعند الانكليز والفرنسيين
والاغريقيون تفننهم الحاسن فهم يتوخون في
حوادث التاريخ البساطة لأنها من خير الوسائل
في إظهار جمال الخطوط ونبل الأوضاع . أما الانكليز
فولمون بالحوادث العادية ولكن المفعلة ، لتكون
خواتيمها أشد تأثيراً ، على عكس الفرنسيين الذين
يكتفون بأبسط الحوادث يرتبون نتائجها على مقدماتها
في أسلوب منطقي حكيم . وهكذا كان لكل من
هذه المآسي الثلاث وحدة خاصة وميزار مستقل ،
فتأثر بجمال الفن وعظمته عند الاغريق ، وتذكر
دقة الملاحظة في دقائق الحياة عند الانكليز ، وتلص
عند الفرنسيين سلامة اللوح في أسلوبهم المنطقي .
ثلاثة رؤوس شائعة زينها أكاليل من الجلال والحياة
والحكمة

وقد لا تخرج جميعها عن فتاة وفقى جمع بينهما
الحب ولكن حال بينهما حائل من الواجبات
كأثيرون وهيمون عند الاغريق ، وروميو وجولييت
عند الانكليز ، ورودرج وشيان عند الفرنسيين . فهي
على ما يظهر تستقي من معين واحد ، ولكن نتائجها
تعمل طوابع خاصة لتندد الأساليب الثمينة في كل
منها ، فتجد في المأساة الفرنسية حرباً حواناً بين
خلعجات النفس وبين مطالب الواجبات ، وهما عاطفتان
متباينتان يتوقف مصير كل منهما على الشرارة التي
تنبثق من اصطدام إحداها بالآخرى . أما روميو
وجولييت فلا يخوضان مثل هذا الصراع العنيف
وقد طواهما سلطان الحب العاني فيقتحمان ما يترسهما
من الموانع بمخطي عبياء لا يسمان في خلاهما غير
صوته ، وهما يتناحيان وسواعدهما مدودة متوثبة للمناق

أن يكون هو أيضاً قد جرب الحب ونم بجنته واكتوى بناره، فمن أين هذا وما وقع له ولا انتمس فيه ؟ بل إن السيدة التي خصصت لـ دور جوليت لتؤديه معه لم تكن غير امرأة جاوزت الأربعين ، ولم يكن على وجهها أثر لحسن ولو قديماً . وهي فوق ذلك من تلك الطبقة الجاهلة التي لا ينتظر منها أكثر من أداء دورها على أية صورة كانت، فمثل هذه لا تشجعه ولا تنفع فيه من تلك الروح التي لجوليت، حتى إنه كان إذا وقف يحاطبها شمر بالوحدة وأغض عينيه لكيلا يقع بعصره عليها فيضطرب وظلت زمام الأمل الباقي في نفسه من يده

وكان موعداً للتأمل قد اقترب، فأخذت المسحف اليومية والمجلات تفيض فيه باعتباره حدثاً قومياً فذاً يمتُّ إلى نهضة جديدة ويسد فراغاً فنياً كان لا يزال داعياً إلى الأسف . وأخذت كذلك تذكر أسماء المثاليين ونشأة كل منهم ومقدرته وما ينتظر على يدهم في هذه الخطوة المباركة الجديدة

ومن هذه المجلات علمت فتنة أن رفيق صباها سيكون بطل هذه الرواية الخالصة . بل بطل ذلك الحب القديم عند روميو والجديد عندها، وقد بدأت باليل إلى هذا التقى الجليل التزيب . ولكنها كانت تقول في نفسها إن تلك السورة^(١) التي سيتمثل معه لأوفر منها حظاً وأكبر سعادة، وستسمع أذناها أول أحاديث الحب التي كانت هي أولى بها منها . وعند ذلك ينتفض جسمها ويخفق قواها . وتقول بعد ذلك إنه لولا جود شموره وتبحر قلبه لما اقتطع من زيارة جدتها وقد أذن له بها . ولكنها لا تلبث

مثل ذات ليلة دور أسد نثر ألقى الرعب في قلوب الحاضرين حتى أغشى على بعض السيدات ، ووضع فريق آخر أيديهم على قفصه سندساتهم، فلما أدركوا أنه لم يكن غير فريدريك أخذوا عند باب المار يشبهونه لكيات كان يستقبلها بصدرة مبتسما نشوان وهو يراها أثراً جديداً من آثار نجاحه

وعند ذلك يتساءل كيف أمكن لهؤلاء أن يصلوا إلى هذا الكمال ؟ وكيف دان لهم التوفيق بين إلتزامهم وحر كآتهم وبين الصور المختلفة التي وضعها المؤلفون مع تدرجها من الشدة إلى اللين، ومن الثورة إلى الحلم والاسترخاء، وغير ذلك مما لا يظفر به الممثل إلا إذا غاب عن نفسه وأصبح شخصاً آخر يتقمص كل هذه الصور ويغني فيها ؟ إنه حاول كل سبيل للوصول إلى هذه الغاية فغاب أمه وقد به جهده وعند ذلك يجد أنه لا فرق بين أساليب المؤلفين وبين علامات الموسيقى وهي لا تعطى أكثر من تسجيل انجماحات الألحان التي وضعها يتهوون وليست وموزار وغيرهم دون أن ترسم سر الطريقة الفنية Technique التي مزنت أصابعهم عليها، وما كانت إلا الروح التي بنها وحنَّهم فيها عندما كانوا يمزنون تلك الألحان

وهكذا يشرق جبينه وتقد عيناه وقد اعتدى أخيراً إلى أن الممثل لا يخرج عن اثنين، أحدهما لام له إلا غماسة الفن (Acteur d'art) فهو مقلد مثكاف؛ والثاني يمثل بشمره وهي الماظة فيخرجها في نوبها التشبيب الطبيعي ، إذ شتان بين من يصور للناس روميو في موقف غرامه وشقاؤه ، وبينه هو وهذه الماظة تتنق من نفسه الواجدة المذبة وأخيراً ينتهي الأمر به إلى أن يمثل الحب يجب

(١) لم يكن للصريات نيا مضى نصيب من التمثيل كما هو حاصل اليوم

الصوت شرت بالنبطة تتمررها والنشوة تمشي في جسمها، لأنه كان قريب الشبه من صوت حبيبها . وكان يمشي وظهره إليها، فلما دار ليمود وهو يقول: جوليت — سمع خارج الحجرة صوتاً ناعماً يقول له: هأنذا ياروميو . وعند ذلك أسرع نحو فجوة الحجرة فاذا به إلى جانبها . فكانت مفاجأة سارة لم يخطر بباله ولا يالها

— أنت هنا ؟

— الصدفة هي التي جاءت بـ ب وهي وحدها التي شامت أن أجمع بمن ضنّ علينا حتى بالسؤال — لك أن تنتهي يا فتنة لولا ما أنا غريق فيه .. — من الحب .. طبعاً وقد هيات لك الأقدار من مستخاصرها وتتناحيان . . . وعند ذلك انفجر زاهر بالضحك . ولكنه شر بما أخذ يدب في نفسها من عوامل التيرة فأسرع إليها وضمها إلى صدره قائلاً :

تقي أننى لن أكون في ذلك اليوم إلا وحدي . وستكون تلك التي تمشيها خيال كية مهمة بإزائي . آه لو تظلمين كم أنا شقي بهذا المورد الذي رزأني به عبد الرحيم افندى . وما نسمت بالحب ولا شقيت بالهجر . إنني يا فتنة، هذه تذكرة لبنوار بين رقم ٣ أرجو أن تنوبني عني في تقديمها لجذك هدية مني . وعديني أنك تحضرين في تلك الليلة معه، فكأ أكون ناعماً سعيداً . وإنى لأسألك أيضاً طلباً آخر أأنا في شدة الحاجة إليه . إن موعد الحفلة لم يبق عليه غير يومين ، فأتدعي لي سدرتك وأمنحني فيه ما رزأك لأن ذلك مما يشجني ويساعدني في مهمتي .. يومين فقط — بل البصر كله يا زاهر

أن تلتصق له الأقدار وزمنه نهب بين المصلحة التي يعمل فيها، وبين متاعب السرح التي يمانئها، فتتجدد الرغبة في نفسها إلى مشاهدة تلك الرواية ، بل إلى مشاهدته هو والناس ممجوبون به مصفقون لنبوغه وإذا كانت فتنة قد اطمانت نفسها إلى تلك الأقدار التي تبرعت بها، إلا أنها مع ذلك كانت مشدودة الأعصاب حزينة همومة ، حتى أنها قصدت إلى سريرها واستسلمت للنوم والأحلام والمجلة بين يديها وكان جديها بعد وفاة أبويها لا يتناول طعامه إلا إلى جانبها، فلما لم يحضر إلى المائدة وعلم أنها نائمة دهش لأنها كانت لا تذهب إلى سريرها عادة إلا بعد تناول طعام النساء بساعة أو ساعتين، فهم إلى غرقها، ولشد ما كانت دهشته حين رآها في نوحها تنهد وتبكي . حتى إذا تناول المجلة التي أفلتت من يديها وجد من بين صحفها شرحاً ضافياً عن زاهر وعن ذلك الاحتفال ... ولكنه في صباح اليوم التالي كتم عنها ما وقف عليه وأذن لها بالذهاب في عريته إلى حديقة الأشمأك لتروح عن نفسها قليلاً

ولم يكن ذلك اليوم يوم أحد أو جمعة يقبل الناس فيها على هذا الحديقة؛ وكان ذهابها عند الصباح الذي ينصرفون فيه إلى أعمالهم، فأخذت فتنة تمشي رويداً رويداً في مروج الحديقة المكسوة بالشب والشمس تنكس أشعتها على ما غشيه من الندى فتجعله قطعاً متثرة من ماس متناق وهاج

ولما أحسّت الشب خطر لها أن تستريح قليلاً في إحدى حجرات (الجلاية) وكانت كما خلعت خطوة تسمع صوت تلاوة غريبة يقترب منها أو تقترب منه ، حتى إذا وقفت عند الحجرة التي ينبعث منها

فأنهزت هذه الفرصة وانصرف الحاضرين إلى المنزل
ورفت نقابها عن وجهها لحظة ثم أمادته، حتى إذا
ما أبصرها انطلق في تمثيله نغم راثما جبارا ووجهه
مشرق بلحظ ونفسه جياشة بالشعور كأنه كان
يمثل نفسه ويصور غرامه وأشجانه ومواجهه

وفي الفترة التي قبل الفصل الأخير قدمت إليه
بقة بديعة للتسويق كانت هدية من جدتها . حتى
إذا انسدل الستار وانتهى التمثيل وضع الناس وعلت
الأسوات بالأعجاب والاستحسان كان هو في البنوار
عند جدتها يقبل يديه ويشكره . وعند ذلك أغرورقت
عينتا هذا الشيخ التهاك الثاني فأخذ يده إلى يد
قنتة قائلا في صوت مهدج غنتي :

هذي هي جوليت أقدمها أنا إليك مرة أخرى
يا ولدي حتى لا أكون قاسياً كشكسبير !

غورور غبريت

وعند ذلك غلبا عن الوجود في قبلة خائفة حارة
ثم خرجا

وجاء اليوم الموعود والناس يقدون إلى الممار
أفواجا أفواجا وهم يلغظون ويضعجون ولا حديث
لهم إلا هذه الفرقة المثقفة الجريئة التي خرجت على
التقاليد ووهبت نفسها وجهودها للفن . وكانت قنتة
في تلك الفترة حائرة القوي مضطربة مشفقة عليه في
هذا الموقف الخطير الرهيب حتى إنها أخذت تملو
سورة الفلق سبع مرات . وما كان ذلك ليخفي على
جدتها وهو يتأملها ويتظن من طرف خفي إلى حركاتها
وقلتها . فلما خفت نور الصلاة وانتهت البقات
الثلاث الممهودة ارتفع الستار وبيدارويدا بين موجات
صاخبة من الهليل والتصفيق

وأقبل رومي على المسرح ودوى المكان بالهتاف

بيت الله الحرام مهدت السبيل إليه

(شركة مصر للملاحة البحرية)

ببواخرها الفاخرة و فسادقها الفخمة
ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا

جميع الاستعلامات من شركة مصر للملاحة البحرية

رقم ١٥١ شارع عماد الدين — القاهرة

القاضي السعيد

لِفَتَا سُوْفَ الرَّوْسَى تُولَسْتَوِي
بِقَلَمِ الْأَدِيْبِ السَّيِّدِ صِلَاحِ الْإِيْنِ الْمَخِيْدِ

يقبل أقدامه ويطلب إحسانه .
فتصدق لك عليه ، ومهر حصانه
وسار على مهله
وفرح البائس إذ ضحكت له التي
ولكنه لحق بالليك وأمسك بأتوابعه
لا يدعها ، فغضب الملك وثار وقاله :
— ما شأنك أيها الرجل ،
وماذا تريد ؟ طلبت فأعطيتك ...

وشكوت فرحناك ... !

قال الرجل بصوت يشبع فيه الحزن والوعة :
— أوصاني يا سيدي إلى ساحة المدينة . فأتانا
بائس طاجر وأخأت أن تطلقا إلى الجبال بأقدامها إذ تمنى
مشيها الوئيد ... أوصاني إليها يا سيدي والله يميزك
أحسن الجزاء

ورق قلب الملك له وأشفق عليه . فحمله بين
يديه وأردفه . ثم انطلقا حتى أتيا ساحة المدينة
الكبرى . قال الملك آنذاك :

— ها هي ذى ساحة المدينة أيها الرجل ،
فأهبط آمتاً . !

قال الرجل :

— وى . هذا حصاني فلم تريد اختصامه مني ؟
أهنا جزاء من يظفت عليك ويشفق ؟ يا لوالقاة !
ويل لك من العذاب الذي سيسيبك ! هيا . هيا .
دع الحصان وانض إلى سيبك . وإن لم تقبل ،
نغير لك ولي أن نذهب إلى القاضي السعيد فنسأله ،
وهناك يظهر الحق ويذهب الباطل . !

وشده الملك . وعجب من هذا الممثل البائس .
ثم ثار وغضب ، وأرغى وأزبد ، والتف حوله أهل

قام للليك ثملاً من الرقص للفنان على أنسام
الزمامير ينو إلى جمال الرقصات الباسم ... ويصنى
إلى أحدث التندائى ترن في مسامحه مرجحة أنباء
الساحر الريب ، ذى القوة الخارقة والسحر العجيب ،
وأفاصيص ذلك القاضي السعيد الفياضة بالترائب ،
الملوءة بالأعاجيب ... !

وأيقظه نسيم السحر المرتشم ، فنادى غلامه
وقال : سمعت في الشبهة من حجبك أن في أقصى
الملكمة قاضياً واسع الحيلة ، عظيم الدكاء ، يعرف
الكاذب إذا رآه من الصادق ، وله في ذلك نكات
سلوة وطرائف طلبة ... ولقد هفت نفسي إلى رؤيته
فهي لي يا غلام جوادى ، وأحضر لي زادى ، وأنت
لي ببأس لا يعرفني به أحد من رعيتي ، كي أذهب
فأرى صدقه من تدجيله

وبعد ساعة ... انطلق الملك يسرى ... بين
شفت الجبال وأحضانها ، وهو يحث السير ويشقه ؛
حتى إذا ما وصل إلى بلد القاضي — وقد ارتفعت
الشمس وناظ النهار — لقيه رجل قد قطعت ساقيه
وتهمش وجهه وجعلت عيناه ، فأقترب منه ، وهو
يتكئ على عصوين أسندهما إلى إبطيه ... وأخذ

— كذب ما قاله ياسيدي وبهتان ... لقد جاء
إلى ليتاع من زيتي ، فأتت له وعاءه ، فلما أراد
الانصراف طلب مني أن أبذل له قطعة ذهبية بقطع
فضية ، فرحت أعطيه الفرام ... ولكنه فرسها
يا مولاي ، فلحقت به .. وأحضرته إليك .. !
واستغرق القاضي في صمت عميق . ثم قال :
— دعا الفرام عندي وتماليا إلى غدا .. !
ونودي اللك والسائل . قال اللك :

— أنا ماجر ياسيدي ، وهذا سائل لقيى وأنا
في طرف المدينة فرميت له وأشفت عليه ، ثم أعطيته
ما يخفف من آله ويزيد في فرحه .. فلما انطلقت إلى
الساحة الكبرى . فأردفته . فلما كنا في
الساحة الكبرى ، طلبت إليه أن يتركني فأبى ،
وقال هذا حصاني جئت تنزعه مني . فالتف
حولنا الناس وسافونا إليك . هذه قصتي يا مولاي
فاحكم بما تريد ! ...
قال السائل :

— يا الكذب يا مولاي . لئن كذب
واقترى ، فما أنا إلا صادق أمين ... كنت أجتاز
المدينة ومعى الحصان فرأيت في بعض الطريق ...
فطلب مني أنت أوسله الساحة الكبرى فقد
أنهك السير الطويل . فلما أتيت به الساحة قال
هذا حصاني ... فاحكم يا مولاي أيك الله وأطال
بقارك !

وفكر القاضي وقدّر ... ثم قال :

— سأعرف الكاذب من الصادق ... دعا

اللدنية ، فساقوها إلى القاضي ليحكم بينهما
وأتيا القاضي يجران وراءهما الناس ، وقد جاؤوا
ليتسموا إلى حكمه . واستوى القاضي على كرسيه من
بالذهب التوهج ، وبدأ ينادي الخصامين فرداً فرداً
وحياً . بهالم أسلع الرأس ، كنت اللحية ، حمارى
الأذنين^(١) وإلى جانبه قروى رث الهيئة ، ممزق
الأثواب ، على وجهه أمارات النبوة ، كانا يجتصبان
على امرأة حسنة على وجهها شعر وطلاوة ...
هذا يدعى أنها خليلته ، وذلك يقول إنها خليلته .. !
واستغرق القاضي في صمت عميق ... ثم قال :
— دعا حسناء كما عندي وتماليا إلى غدا .. !

وتقدم جزار إلى جانب زيت . وكان الجزار
يرتدى ثوباً مليئاً دماً ، وكان الزيت يرتدى لباساً زين
يقع الزيت الحية . قال الجزار :

— لقد اشتريت من هذا الرجل يا مولاي زيتاً
ثم عمدت إلى قميصي فأخبأته تحت جيبه^(٢) .
ولكنه هجم على ، وانزعه مني . فجئنا إليك
يا مولاي ... أنا أمسك يدي درامي وهو يمسك
بتلابي لي لأأفر ... ولكن الفرام لي ... وما هو
إلا سارق أميم .. !
قال الزيت :

(١) حمارى الأذنين أى أن أذنيه كالذئ الحار . ويقال
أيضاً فيل الأذنين . ذكر للمرى في رسالة غفرانه ص ٤٧
ما على : « كان ينفذ زجل كبير الرأس فيل الأذنين ، اسمه
فادوه ... الخ » وقد قتنا الأولى على الثانية
(٢) جيب القميص طووه . أى صدره . وهذا للمرى هو
خلاف ما يفسر شائع من معنى هذه الكلمة .

الحصان لى، وأرجا إلى غدا...

وتفرق الناس، ومضى كل إلى سبيله، وذهب الملك يفكر في هذا القاضى الذى سماه الناس «بالسيد»

أقبل الليل، جلس الملك يفكر في أمر ذلك البائس السكين ويتذكره، فلأ سوته المضطرب سمعه وفؤاده، وهو يسأله عن جزائه وكيف يكون. فلما أضناه التفكير أسلم نفسه للكرى. فنام نوما عميقا، رأى فيه من الأطياف ما لا يحصر، ومن الأشباح المريبة ما لا يحصى. وضحك النهار فاستيقظ الملك... وأخذ يرتدى أثوابه. ثم مضى إلى المدينة ليطوف في أسواقها... فلما أجاز ساحة الحى وجد غريمه يتدحرج نحو دار القاضى

وكان الناس يأتون زرافات زرافات، وقد أعجبوا بالقاضى فقدت نفوسهم في شوق ملح لكل ما يقول. وجاء المتخاصمون تقدمت العالم والقروى. فنظر القاضى إليهما وقال:

— أيها العالم! إنها زوجتك غنما وامض بها إلى دارك... أما أنت أيها القروي، فجراؤك نحسون جلبة تنالها في الساحة الكبرى على ملا من الناس!..

وانصرف العالم وزوجته، وأخذ القروي ليجلج ويحى بالجزار ويأبى الأيت، فقال القاضى:

— أيها الجزار! ها هي ذى دواحك غنما. أما أنت... فجراؤك نحسون جلبة تنالها في وضح النهار على ملا من الناس!...

وأخذ الجزار دراحه. ومضوا بإريات ليجلجوه. وتقدم الملك والسائل. فقال القاضى الملك:

— هل تعرف حصانك جيدا؟

— نعم يا مولاي!

— وأنت أيها السائل؟

— وأنا أيضا يا سيدي!

— أتباني إذن...

وانطلق القاضى بهما إلى الاصطبل وقد امتلأ بالحياد. فقال للملك: داني على حصانك... فنه الملك. ثم أخرجه وأدخل السائل... فدل عليه أيضا. فلما خرج القاضى قال: خذ حصانك أيها التاجر فهو لك. أما أنت فستجلب نحسين جلبة في الساحة الكبرى

وم القاضى بالانصراف... فقبه الملك وقال له:

— أريد يا مولاي أن أسلم كيف استطعت أن تعرف أن المرأة كانت للعالم، وأن الهرام كانت للجزار... وأن الحصان كان لي... فلقط حار على في فهم ذلك!...

قال القاضى:

— أما المرأة، فقد أتيبت بها إلى داري، وقلت لها مضى في هذه العبرة مداودا. فأخذت العادة فتظفنها، ثم ملاها مداودا. فسلبت أنها تعلم ذلك من قبل، والنواة لا توجد إلا عند العالم. فحككت بأنها امرأة العالم وليست خلية القروي. أما الهرام فقد وضعتها في إلاء ملء ماء، وقلت لنفسى، إن كانت لباعث الأيت، فلا بد أن تطفو على صفحة الماء

الفصول والغايات

للفيلسوف الشاعر الألب

أبي العلاء المعري

طرفة من روائع الأدب العربي في طريقته ،
وفي أسلوبه ، وفي معانيه . وهو الذي قال فيه
ناقضو أبي العلاء إنه عارض به القرآن . ظل
طول هذه القرون مقفوداً حتى طبع لأول مرة
في القاهرة وصدر منذ قليل

صححة وشرحه وطبعه الأستاذ

محمود حسن زياتي

تحت ثلاثون قرشاً غير أجرة البريد
ويطلب بالجملة من إدارة مجلة الرسالة
ويباع في جميع المكتبات الشهيرة

رفائيل

لشاعر الحب والجمال لأمريتين

مترجة بقلم

أحمد حسن الزيات

تطلب من لجنة التأليف والترجمة والنشر
ومن إدارة « الرسالة »
التمن ١٢ قرشاً

قطرات من الزيت جاءت إليها من يديه . ولكن الماء
بقي صافياً ، فقلت أن الدرهم ليست لبائع الزيت
وإنما هي لجزار .

وسمت القاضي قليلاً .. فلما طال صمته قال الملك :

— والحصان ياسيدي ؟

قال القاضي :

لقد قلبت الأمر بين يدي . فلم أجد حيلة أنفع
من أن تدلاني على الحصان ، فمرفته أنت كما هرفه
السائل ... ولكنني رأيت الحصان قد أثار وجهه
نحوك . ورفض أذنيه عند ما دونت منه . فلما جاء
السائل أرخى أذنيه ورفع إحدى رجليه يريد رفسه ،
فقلت أن الحصان لك

وايقم الملك ضاحكاً ... ثم تقدم من القاضي

فقال له :

— أيها القاضي ! نعم العدل بك عينا ...

لست بتاجر ، ولكنني الملك .. !

ودعش القاضي ... وارتجف رهبة . ثم انحنى

وقال :

— عنوا يا مولاي ... أما عليك

— ثم أيها القاضي وسل ... !

— إن ثناءك على لكافة لي يا مولاي ...

وانحني لقبيل قديمه .

— ثم ... ثم أيها القاضي السعيد ... فلقد

صدقت بك ... وآمنت ... لقد صدقت وآمنت ...

ومنذئذ تند ستكون لي وزيراً .. !

صموح الديه المنبر

رمضان قد اقترب وم ياقونى فيه
أشد مراقبة لأنهم يقتربونى، ولست
أستطيع ولا أريد أن أصوم لأن التدخين
ضرورى عندى، ولعلك أحب الأسفار
فى هذا الشهر لأن الاضطرار فيه مسموح
به فى الدين، وقد يكون فى الامكان أن

أرائهم كما فعلت ذلك مراراً وأتظاهر بالصوم وأفطر
فى السر ولكن ذلك يكون صعباً على من يبلغ من
الشهرة ما بلغته الآن وأصبح من الأمور العادية أن
يتردد زيارته عشرات من الناس فى كل ساعة من
ساعات النهار ليتبركوا به

وصلنا إلى مدينة سيلان دون أن يحدث حادث
هام سوى أننى فى اليوم الأخير من مسافة السفر
ساعدت صاحبى على خاطر على قتل متاجرهم المحمولة
على البغال فجرح ظهرى فى الموضع الذى أصبت به
يوم حدوث الحادث الذى تركت من أجله السقاية
وكان ألى شديداً فلم أستطع الاستمرار فى السفر
مع القافلة وصممت على البقاء حيث كنت حتى يتم
لى الشفاء، وكان قد زال خطر التركان لابتعاد هذا
السكان عن جهات هجومهم، ولم أعد فى حاجة إلى
حماية القافلة. وقد كان يجمل بهمرويش سفران يبق
مى ولكن شوقه كان شديداً إلى تبديد العاصمة
وملاهيها فتركنى واستمر مع القافلة

كان السكان الذى غفلت فيه عن القافلة عند
المقار، فذهبت إليها وأعلنت قدوى كمادة الدرأوش
بمبيحات مزججة سميتها بهذا التداء: « هاك هو ا
هاك هو ا » أى الله أكبر الله أكبر، واستمدحت
لابداء ضروب الزيد والمخداق إذا قالت أى إنسان
وفقاً لتعليمات التى تلقيتها من الدرأوش

حاجى نانا اصفهائى

لكتابنا الانجليزى "جهنم مؤبر"
بقلم الأستاذ عبيد الطيف النشار

الفصل الثالث عشر

ماجى بابا يسافر من مشور

عند ما خرجنا من مشهد نظرت إليها ورفعت
وجهى إلى السماء ودعوت الله أن ينزل غضبه على
نلك المدينة، ولم يسمنى وأنا أدعو هذا السماء غير
البروئش صفر، وقد كان يشاركنى شعورى
نحوها. ولكن لو أن رجلاً آخر سمى أفوه به،
لكان هذا اليوم أسوأ يوم فى حياتى. وقال لى
البروئش: « أنت لا تزال صغيراً يا بنى وستأتى
فى الحياة آلاماً كثيرة قبل أن تستفيد من التجارب
ماهو ضرورى لك فى الحياة. لا تشك من الصدمة
الأولى فربما كان فى شدتها وقاية لك من صدمات
كثيرة، وستستطيع فى المستقبل أن تتجنب المحتسب
حتى ولو كان متتكرراً فى ثياب امرأة، ولكن رجلاً
فى مثل عمري (وأشار إلى الشيب فى لحيته) يؤله
أشد الألم بعد ما استفاد من التجارب أن يضطر
إلى مناداة مدينته ويساود الأسفار خوفاً من حلول
نكبة به »

قلت: « ولكن كان فى وسلك أن تبقى
فى مشهد غير مبال بالأماء ماومت محافظاً على الصلاة
والصوم

فقال البروئش: « هذا صحيح، ولكن شور

« كان في عهد هرون الرشيد رجل حلاق بمدينة بغداد يدعى « علي السقا » وقد اشتهر هذا الرجل بخفة يده وإتقانه صناعته وسرعته حتى إنه كان يحلق الرأس والحية في طرفه عين دون أن يسيل قطرة من الدم . وكان كل وجهاء بغداد يحلقون عنده، وقد وصل به الكبر والترور إلى حد الامتناع عن الحلاقة لمن لم تكن لديه رتبة أو لقب وكان يشتري الأخشاب ويبيها ثرائته .

وفي يوم من الأيام جاء أحد البسامة ومعه أخشاب على ظهر حمار فاتفق معه الحلاق على مبلغ معين في مقابل (كل ما على ظهر حماره) فلما سلم البائع تلك الأخشاب طالبه الحلاق بالسرج الذي على ظهر الحمار والبرذعة لأن الاتفاق كان يشمل « كل ما على ظهر الحمار » فدمع البائع وقال : « كيف ؟ هل سمعت في حياتك صفقة مثل هذه ؟ إن هذا مستحيل »

وبعد مشادة حدثت بينهما أخذ الحلاق السرج والبرذعة والخشب وترك البائع يفعل ما بدا له، فذهب إلى القاضي، وكان القاضي من أصحاب الحلاق فحكم له، فاستأنف البائع الحكم إلى قاض آخر أخذ كذلك بنفس الاتفاق وصادق على الحكم الأول فلم يسع البائع المسكين إلا أن يرفع أمره إلى القاضي نفسه، فلما لم ينصفه أيضاً كتب شكواه ووقف في طريق الخليفة وهو ذاهب إلى المسجد في يوم الجمعة .

وكان الخليفة مشهوراً بعبادته بقراءة الرائض بالمسجد بعد الصلاة والفصل فيما يستحق النظر منها . ولم تمض ساعة بعد الصلاة حتى دعى بائع الخشب إلى حضرة الخليفة فدخل وروى الأرض ودعا له، فقال الخليفة : « لقد قرأت شكواك وفهمتها

وفي أثناء مرضي وإقامتي بالمقابر زارني عدد من النساء فكشيت أحجية وأخذت منهن مقادير وافرة من الفاكهة واللبن والعسل . ولما اشتد الجرح اضطرت إلى السؤال عما إذا كان في مدينة سليمان من يستطيع علاجي، ولم يكن في تلك المدينة من يعرف شيئاً من شئون الطب غير الحلاق والبيطار، فالحلاقون يعرفون الحجامة وخلق الأسنان، وأما البيطرون فيعرفون أمراض الخيل ومنها ما يشترك فيه الناس فيستشارون في الجراح وجبر العظام وغير ذلك

وكان في المدينة غير حلاتها وبيطارها امرأة عجوز تدعى لملاج ما يميزان عنه من الأمراض، وقد استعيت كل ما من هؤلاء الثلاثة فاتفقت كلهم على أن لا وسيلة للعلاج غير السكي بالنار . ولما كان البيطار أكثرهم مهارة على أداء هذه العملية فقد اخترته لأجرائها، فجاء بمقدار من الفحم ويحدهميتين وأوقد ناره وأحى الحديدتين حتى احمر لونهما ثم كرواني في ثلاثة عشر موضعاً من ظهري

ومضت مدة قبل أن تشفى الجراح الأولى والجراح التي أنشأها السكي الذي لم يكن شفاً بسببه بل بسبب الراحة الطويلة

ولما شفيت عجزت على أن أمتأف رحلي إلى طهران التي لم أضع أن يكون المرض ملازماً في يده عهدي بها، ودخلت المدينة في ساعة الظهيرة وأعلنت قدومي إليها ابتداء المتاد في وسط السوق فاجتمعت حولي الجرح، فلما رأيت كثرة عديم حدثني نضي بأن أقص عليهم قصة أستدر بها جيوبهم كما فعلت من أحد الدراويش وزاجمت فاكرتي فتذكرت قصة جميلة وبدأت أسردها عليهم وأعينهم مرفوعة وأغواهم مفتوحة، فقلت :

لصالحك إلى بعد القضية التي كانت بيننا . اذهب من هنا وإلا أدتكَ الأسرِين »

فذهب البائع متظاهراً إلى الخليفة ووقع أمره إليه ، فأمر الخليفة بإحضار الحلاق وقال له في جمع حاشد : « ألم تتفق معه على أن يحلق له ولزميله ؟ » قال الحلاق : « نعم ولكن هل في الدنيا من يزامل سحاراً ؟ »

قال الخليفة : « وهل في الدنيا من يشتري خشباً وبرذعة ؟ إخلق الحمار أمام هذا الجمع تنفيذاً لا تفارقك وإلا أودعك السجن »

فاضطرب الحلاق إلى الأذعان ، وأمر الخليفة بأن يؤتى له بالواسي والصابون والماء ، وبدأ الحلاق يشعل شعر الحمار ويحلق له بمحضور الخليفة وحاشيته وكان الناس يسرون به ويضحكون منه ، ثم سار كل أهل بغداد يتعجبون بهذه القصة العجيبة على ذكاء الخليفة وعدالته

الفصل الرابع عشر

الرجل الذي قابله غرابي بابا

ترك مدينة سليمان وأنا مسرور وقد شفيت جراحي وكنت لا أزال مغبراً لمن جيلوا كان معي عشرون « طوماناً » ادخرتها في مشهد

وكنت إلى ذلك العهد قد جربت بعض التجارب التي تنفع في الحياة وعزمت على أن أزرع ثياب الدراويش بمجرد وصولي إلى طهران وأن ألبس ثياباً

جميلة وأعيش معيشة راقية وكنت في أثناء الطريق أنشد بأعلى صوتي قصائد الجنون في ليل قفائلي أحد السعاة ونشأت بيني وبينه مودة فتعادتنا وقد تم لي بعض ما كان معه من

وإن الألفاظ في جانب خصمك والعدالة في جانبك . والقانون يجب أن يحدد بالألفاظ والاتفاقيات وهي قوانين المحسوم يجب أن يحدد بالألفاظ كذلك . ولهذا الشيب يجب أن ينفذ الاتفاق بألفاظه وإلا لما كانت له قيمة ولا أمكن الاحتفاظ بالثقة بين الناس ، لذلك سأأخذ الحلاق البرذعة والسرج والخشب ولكن... ثم استدعى البائع وحس في أذنه بكلمات فبدت على وجهه علامة الرضى وخرج وهو مسرور »

هنا بدأ الاهتمام على وجوه السامعين فسكت وهم ينتظرون أن أتكم . ولا طال سكوني طالوني بأتمام الحديث فقلت لهم : إنني لا أتم القصة إلا إذا دفع لي كل منهم قطعة من النقود . فنفسوها وقلت : « قال الخليفة محسباً لبائع الأخشاب : « اذهب إلى الحلاق واتبع معه الطريقة التي سأذكرها لك ومتى رجع الأمر إلى قاتي سأأنصفك » ثم علمه الطريقة فخرج البائع راضياً

وبعد أيام ذهب إلى الحلاق بمحاجة من الود تدل على أنه لم يكن بينهما أي خلاف وعلى أنه رضى واقتنع بحكم القضاء في النزاع الذي كان بينهما

واتفق البائع مع الحلاق على أن يحلق له ولزميله الذي سيأتي بعد قليل في مقابل مبلغ تراشياً عليه ، فوافق الحلاق وبدأ يحلق للبائع ، ثم سأل عن زميله فذهب وعاد ساجباً حماره وقال : إن هذا هو الزميل الذي يجب أن يحلق له وفقاً للاتفاق

اغتاظ الحلاق واستنق عن الوفاء بعهده قائلاً : إن هذه خدعة . وقال : « أليس بكفيك أن أسخ يدى على رأسك القدر حتى أحلق لحمارك أيضاً ؟ إنني لم أحلق قط لأمثالك وما حدثت لك إلا

وكانت أول رسالة منها إلى الشاه الذي دعه شاعره بسم ملك الملوك وضمن رسالته إليه وصف الآلام التي تكبدها من معاملة التركان ومن الجوع والظلم والنذل ، قائلا : إن ذلك كله لم يكن شيئاً يذكر بجانب ألمه للبعد من جلالته وحرمانه التشرّف بمخيمته . وقال : إن حياته تستمد النور والحرارة من رحمة الشاه ومن قربه ، وإن أكبر أمل لديه هو أن يمد إلى منصبه الذي كان يقياه عنه على الرغم منه وإنه يريد أن يعود إلى التفرّد في قصره كما يتنهي الليل للورد

وكانت الرسالة الثانية لرئيس الوزارة الشرس الأخلاق المشوه الخلقة ، ولكن الشاعر وصفه بأنه كوكب ساطع بين نجوم السوء ، وبأنه روح البلاد وعمار مجدها . وكانت الرسالة الثالثة بهذا المعنى لعمه القديم وزير المالية

أما باقي الرسائل فهي واحدة تلوّجه يتكلم فيها عن شئونهما الداخلية وعن نواياه في المستقبل ويوصيها بأن تقتصد في ملابسها وأن تقي رقابة الخدم والسيد وبأن تمدّه ثياباً جديدة . ومن هذه الرسائل أيضاً رسالة إلى مربي أبنائه يبيحه فيها ويرجو أن يكون قد علمهم الثمائر والتقاليد ومبادئ الدين وعودهم المواظبة على الصلاة في موااعيها . ومنهم على استعمال الرمح وإسابة الهدف وهم راكضون على ظهور الجياد

وكانت الرسالة الأخيرة إلى وكيل أعماله وهو يوصيه فيها بالاعتصام الشديد وأن يذهب كل يوم إلى قصر رئيس الوزارة فيطيل من امداه له وشكره لأنه لولا عنايته وحيثته في البلاد لما أطلق التركان أسيرهم ، ويوصيه أيضاً بأن يكون شديد العناية بأعماله

لأنها مهمة قبلت سروراً لأن الحر كان شديداً في ذلك اليوم .

وكنّا نسير على شاطئ نهر وبالقرب مناضاروح قبح فنزع السامعي لجام الفرس وتركه يأكل من الفصح الجديد ثم أخرج من جرابه طاماً ودعاني إلى مشاركتة فيه وكان هذا الطعام أرزاً بارداً وخبزاً فأكلنا بشهوة قوية ، ثم أخرج من هذا الجراب الذي فيه خذاه فجلّاً وبصلاً فأعطينا غداءنا وغسلنا أيدينا في النهر . ثم قدم لي لفافة من التبغ وأخذ كل منا يسائل الآخر عن رحلته السالفة ، وعرف من شكل ثيابي أنني درويش ، فسألني عن تاريخ حياتي وقصصته عليه ، ثم قص على تاريخ حياته وقال إنه ساع عند حاكم مدينة « استراباد » وأخبرني خبراً سرني وأدهشني وهو أن عسكر خان شاعر للشاه قد نجوا من أسر التركان ونزل ضيفاً عند هذا الحاكم

ولم أشأ أن أظهر له شيئاً من سروري وأن أخبره بأنّي أعرف هذا الشاعر لأن تجربتي في الحياة دلتني على أن كثرة السر من الضروريات لمن يريد النجاح . وأخبرني السامعي بأن الشاعر أرسله إلى طهران برسائل وقال إنه شديد الشوق إلى معرفة ما فيها وإنه لا يعرف القراءة والكتابة وإنه مسرور للقائي لكي أقرأه له ، وأخرج من صدره تلك الرسائل ولما كانت الساعة في بلاد فارس أن تطوى الرسائل على شكل مثلثات كالأحجية ولا توضع في مظاريف بل يكتب في ثني جزء منها ويضمنه بين طياتها بحيث يسهل فتحها وإعادتها إلى ما كانت عليه دون أن يظهر أنها فتحت — فقد سررت مما عرضته على وفتحت الرسائل لأعريف أخبار ساحبي الشاعر

قال إنه سيرسل إليه وإما على ظهر جواد آخر يقتضيه
وقلت في نفسي: إني إذا سبقته بمسيرة يوم فاني آمن
من شره، وعزمت على أن أبيع الجواد ساعة وصولي
إلى طهران - وعلم أن أبذل ثيابي في الحال فلا يجد
الساعي إذا وصل أي دليل ضدي ولا يجد من يصدقه
إذا زعم أنني كنت درويشاً وأنه سرق من رسائل
وجوادك. بل إنه من الصعب أن يفرغني بعد إبدال
ثيابي في تلك المدينة

وحمرت تفكيري عند ما وصلت إلى المدينة
في الكيفية التي أقابل بها أهل الشاعر وفي الكلام
الذي أقوله لهم

الفصل الخامس عشر

ماجي بابا في بيت الشاعر

دخلت المدينة في ساعة الصباح من باب الشام
عيد المظلم وكان هذا الباب قد فتح لوقته وحجته .
وذعبت تواً إلى سوق الخيل وهو أقرب مكان إلى
هذا السوق وهو يقعد يومياً لبيع الخيل

وكنيت أعتقد أن جوادى حسن جداً وأنه
سيباع بثمان قال لأن تجربتي إياه في أثناء الطريق
دلتي على أنه ليس به عيب : ولكن تاجرًا من تاجر
الخيول في ذلك السوق أكد لي أنه مليء باليوب
وأني أكون سيد الحظ إذا تحملت منه في مقابل
أى مبلغ من المال . وعرض على خمسة طومانات
تخاف . فذهبت لأتني ما كنت أعتقد بعد وصفه
للتقدم أن يمرض كل هذا الثمن

ودعش التاجر أيضاً لتسليمي بقوله وقبولي
أول مبلغ عرضه .

ولما طلبت إليه أن يتقدمنى المال أخذ الجواد

وبأن يصحب زوجته في عدواتها وروحاتها وبأن
يكون مطيعاً لأوامره وبأن يتشدد في مراقبة العبيد
والخدم عموماً وغص الرقيق جوهرًا ثاقباً رابته
منه علاقة بإحدى الجوارى جلده وجلاها معه .
وأمره بمجمع التجار اللواتي ينشئ منهن دس النساء
- وبخاصة اليهوديات - من الدخول منزله .
ويأمره أخيراً بأن يدفع جائزة لمن يحمل هذه الرسالة
لتكون بمثابة البشري لتجانه من الأسر .

طويت هذه الرسائل وأعدتها إلى الساعي الذي
ظهر على وجهه البشر لما جاء في الرسالة الأخيرة ،
وقال إنه تعب كثيراً وخشى أن يأتي متأخراً فصار
يقضى أيامه ولياليه ركنًا بجواده حتى أتته واضطر
إلى تركه في إحدى البلاد التي مر بها على أن يرسل
إليه بعد شفائه واختصب الجواد الذي هو راعب
عليه الآن من أحد الفلاحين .

وبعد أن سرنا مسافة أخرى أدرك صاحبني
التعب فربط جواده ونام ونظرت إليه وهو مستلق
على الحشيش وحدثني نفسي بأن أسرق منه رسالة
لشاعر إلى وكيله وأذهب بها . ولما كنت عارفاً كل
المعرفة بحياة الشاعر وزاملته في الأسر مدة طويلة
فاني بثير شك أولى من هذا الساعي بأداء رسالته ،
ولو كنت مع الشاعر عند ما نجما ما أرسل فيرى
ليؤديها وأما حقى كذلك بالجائزة التي تدفع من أموال
رجل خدمته وكنيت مستعداً للتضحية من أجله
بالشيء الكثير لو سمحت لي فرصة لهذه التضحية .

أما الجواد فليس حتى الساعي فيه أكبر من حق
وفي غير منشفة كبيرة أخذت تلك الرسالة
وركبت الجواد وركنفت به جاعلاً كل هي أن أسرع
حتى لا يلحق بي الساعي إما على ظهر جواده الذي

هل أنت واثق من أنه لا يزال على قيد الحياة ؟
قلت : « لاشك في ذلك وأنا أت من عنده
وسياتيك في الند رسول آخر من لده وسيكون
مه رسائل أخرى باسم الملك والوزراء وغيرهم »
فقال الرجل مخاطباً نفسه : « هذا عجيب ! هذا
مدعش ! ما هذا الخبر الذي وقع على رؤوسنا ؟ أين
الذهب ؟ ماذا أفعل ؟ »

ولما ملك الرجل روجه حاول إضاهي سبب
اضطرابه فقال : « إن كل إنسان يقول إنه قد مات
ويجب أن يكون ميتاً فلقد رأيت زوجته في النوم أن
ضربها سقط من فها وأنها تتألم لذلك أشد الألم .
وهذا أكبر دليل على أن زوجها قد مات ... إنه
غير حي ويجب ألا يكون حياً »

قلت : « ظن كما تشاء فإن الرجل موجود الآن
في استراياد ولن تمضي ستة أيام حتى يصل إلى هذه
البلدية ويرىكم شخصه »

سكت الناظر وظل واهماً لا يعرف بماذا يجب
وقال : « لا يدعشك اضطرابي ودمعشني عند ما علمت
بأن سيدي التقدم لم يمض ، كان خبر موته لمبا شاع
في هذه المدينة أخذ الشاه أملاكه وأمواله وأرقاه
وأثك بيته وأعطى ذلك كله « لخور على ميرزا »
وهو أسمر الأصماء من أبناء الشاه ، أما منيته فهي
الآن مملوكة لرئيس الوزراء ، وأما قصره فهو لميرزا
فاضل ، ولم يبق غير هذا المنزل لزوجته التي تزوجت
من معلم أبناءه ، قل لي هل لي أن اضطرب من هذا
الخبر الذي تزعم أنك تيسرن به أم لا ؟ »

قلت : « نعم لك أن تضطرب وتجار ، ولكن
ماذا يكون من أمر الجارية التي أشير إليها في هذا
الخطاب ؟ »

ودفع لي نصف الثمن ومرض على حمارك بالنصف الباقي
فأبيت ، فقال إنه سيدفع لي باقي الثمن عندما أتأ به لأول
مرة . ولم يكن لدى متسع من الوقت للمساومة .
وكان غرضي الأول هو التخلص من الجواد فتركت
له وأخذت ما دفعه وكتبت اسمه عندي واتمدت
معه على السكان والزمان الذين أتأ به فيهما لأخذ
الباقى من ثمن الجوادى وأنا أنوى ألا أعود إلى مقابله
وهو بنوى ألا يدفع لي شيئاً

ثم ذهبت إلى سوق الثياب فاشتريت (قفطاناً
وحبة وعباءة سوداء) ولبست ذلك في نفس السوق
وخلفت ما كان على من ثياب البيراويش . وقد كلفتني
هذه الثياب الجديدة مبلغاً كبيراً لأنى اضطرت إلى
شراء أشياء أخرى من مستلزمات هذا الزى كالعمامة
والحزام ، ثم سألت عن منزل الشاعر

كانت هذا المنزل في حي من المدينة عموط
بأشجار الزمان يدل شكله دلالة واضحة على بدمصاحبه
كان أحد مصرامى بابه مفتوحاً والآخر منلقاً
وظهر لي أن عدد اللقيين فيه قليل جداً وأن الجارية
ستكون قليلة أو أنني لن ألقها

صعدت السلم حتى وصلت إلى الطبقة الثانية
فوجدت رجلاً في سن الخمسين يدخن في النليون
وظهر لي أنه الرجل الذي كنت أريد مقابله وهو
وكيل أعمال الشاعر وناظر زراعته

وصحت عنده ما رأيته : « بشرى ! عسكر خان
سيأتى »

فنظر لي الرجل نظرة اندماش وقال : « ماذا
تمنى ؟ أى خلو ومتى ومن أين ؟ » قلت له : « إنى
رسول من قبله . وقدمت له الخطاب فبدا على الرجل
فرح متصنع وحزن حقيق ودمعشة وقال لي : « ولكن

كفأياي ومواهي وهو كما يلقبه جميع الفارسيين
(خور بالتشديد) أي (حمار بتوكيد اللفظ)

اندفعت في تيار هذه التأملات وأنا في وسط
الطريق المؤدى إلى القصر وظهرى مسند إلى الحائط
وقد غات برأسي حرارة الفكر فأريت نفسي في
الخيال وقد بلغت ما أرجوه من السطة وحالت رؤيتي
ذلك الجلال دون رؤية الخلوقات الوضيعة التي تسير
في الطريق وأخذ الطريق زحزح شيئا فشيئا فاضطرتني
الجماهيم بضجتها وجلبها إلى الالتفات إليها وأخذت
أدفعها عنى بكمرياء ، ونظرت إلى الناس نظرة احتقار
وزرابة ، ودعش الناس من ممامتي أيام هذه الماملة
فأخذ البعض بضحك والبعض بسخر ، وعنفت القليل
منهم ، وحسبني أكثرهم مجنونا . ولما رجعت إلى
نفسى بعد ذلك غفرت من آهمنى هذه الهمة لأن
ثيابي وإن كانت جديدة فعلى لا تفضل في نوعها
ثياب أدنى اللبقات ، فابتسمت من ظهورى بمظهر
السطة ، وسرت إلى السوق لأبدل تلك الثياب
بثياب أرق منها لكي أظهر بمظهر يتفق مع الأمل
الذي أرجوه

وبينا كنت أعنى لنفسي طريقا بين الزحام إذ
رأيت ثلاثة يتشاجرون ورأيت الناس مزدهجين
حولهم ففرقت بينهم لأفرض النزاع إن استطعت
ولكن لسوء حظي وجدتهم السامى الذى سرق
منه الجواد ، والتاجر الذى بته له ، والفلاح وهو
صاحبه الأول

قال الفلاح : « هذا جوادى »

وقال السامى : « هذا سرجمي ولجأى »

وقال التاجر : « أنا المالك وحدى »

ورأيت الخطر الذى يحدق في فكرك في النتيجة

قتال الناظر : « لا تنتظر منى أى شيء فأت
لم تأتني بخير سبار ، ولكن إذا شئت فاسبرحني يأتني
السيد الجديد »

قلت : « إننى سأعود في يوم آخر وخرجت
من المنزل وأنا مستغرق في تأملاتى

الفصل السادس عشر

هاجى بابا ينكر في المستقبل ويرغى في معركة
عزمت على أن أنتظر عودة الشاه وأن أحصل
بوساطته على منصب في الحكومة فأ كتب من
هذا الوجه الشريف رزق ويكون أمامي مجال واسع
للترق والظهور في ميدان الحياة بين وسائل النفس
والتدليس التي علمتها تجاربي السالفة لأننى قد
سمعت من الاختلاط بالطبقة الدنيا ومن معاينة
الرعاع وطعمت نفسي إلى الرق والنقى والجاء ولم أجد
في ضمة أسلى وحفارة نشأت ما يمنع من وصولي إلى
رياسة الوزارة وقلت في نفسي : « ماذا كان إسماعيل بك
تلقى (أى الذهبي) أقرب المقرين إلى الشاه ؟ إنه
لم يكن إلا فراشا وضيقا وليس أكثر منى علما ولا
أفصح لسانا ، وهو قد اشتهر بر كوب الخيل ولكنه
لوقع في أسر التركان كما وقعت في أسرهم لانتضعت
حقيقة هذه الشهرة وتبين أننى خير منه في ذلك
أيضا . قلت : ومن هو وزير المالية الذى يوزع
أموال الدولة على أصحاب الشاه ولا ينسى نفسه ؟ إنه
ابن بدال وأنا ابن حلاق فليس يفضل أبوه أبى ،
وأنا أفضل من مماله لأنى أعرف القراءة والكتابة
ومالها لا يمرضها . وهو يأكل ويشرب كما يشاء
وليس كما يقولون حلة جديدة في كل يوم ويختار
لوه أجهل النساء ، ولكنه مع ذلك لم يزل نصف

إلى صاحبه . وقال التاجر دفاعاً عن نفسه إن شكواي باطلة لأن الجواد مسروق ولا يمكن إلزامه بدفع باقي الثمن إليّ لأنني لست صاحبه، ولا يمكن أخذ الجواد منه لأنه اشتراه بحسن نية وإنما النسيء الوحيد الممكن في نظره هو أن أدفع تمويضاً لصاحب الجواد

حار مأمور البوليس حيرة شديدة في حل هذه المشكلة وقال إنها عويصة وإنه لا يستطيع الفصل فيها . ولذلك فإنه يتنحى عن نظرها ويأمر برضاها على القاضى . ولكن أحد الواقفين وهو رجل أشيب نظر إليه وقال : « لماذا تحار في قضية بسيطة مثل هذه ؟ إن الخلاف بين حاجي بابا وتاجر الخيل يحمل على أن يدفع التاجر باقي ثمن الجواد . ثم يدفع حاجي بابا إلى التاجر أجره إبقائه عنده وإطعامه في هذه اللدة »

فصاح كل من سمع هذه الفتوى : « تبارك الله ! تبارك الله ! »

وسواء أكان رأيهم خطأ أو سوابك فقد بهرم ذكاه الرجل وواقفه المأمور على ذلك .

وعلى الرغم من أن هذا الحل كان خطأ ومضحكاً فقد نفذ لأن المأمور قبله في لحظة كان عقله غتطاً فيها وأخذت الجواد بعد أن أخذت الباقي من ثمنه ودفعت للتاجر أجره طعامه ، ثم رددت الجواد للفلاح والسرّج واللباج للسامى وكانت الخسارة كلها على التاجر والمكسب كله لى

الفصل السابع عشر

عاشير بابا يبرأ شهراً عسيراً في الحياة
حملت الله على خلاصى من هذا المازق واستأنفت

ولكن نظر التاجر وقع على فصاح : « هذا هو الرجل الذى اشترت منه الجواد »

ولارآنى السامى اقتضى على كابتقص الوحش على قريسته ووصفنى بأبنى نادر وأبنى لى وأبنى وغد قال لى الفلاح : « هات جوادى »

وقال السامى : « هات سرىجى ولجائى »

وقال لى التاجر : « هات مالى »

وقال الجمهور : « خذوه إلى القاضى »

وعيناً حاولت أن أتفق الجمهور بأبنى برى ، وعيناً حاولت أن أطلب الرحمة أو أجد من ينصت إلى ما أقول وصرت أصبح غاطباً السامى : « لماذا تنضب ؟ هذا سرّجك ولجامك سليمين فخذها »

وقلت للفلاح : « ولماذا تنضب أنت ؟ هذا جوادك لم يمت ولم يصب بسوء فخذوه واحمد الله إذ لم يحدث له ما يفجك به »

وقلت للتاجر : « ولماذا تنضب أنت ؟ إنك لم تنفع لى إلا نصف ثمن الجواد وكنت تريد أن تنشى وتمطيني حماراً أعرج بالنصف الباقي من الثمن » وعرضت عليه أن أرد ما أخذته منه ولكنه رفض وأمر على أن أدفع للرجلين الآخرين ما يسكنهما لبصير الجواد ملكة

ولالم يقبل ما عرضته عليه من أوجه الحلول انتفتت كلتنا على الذهاب إلى مأمور البوليس وتحكيمه وقد وجدناه في السوق عاطلاً بجنوده وفى يده عصاه الطويلة السمّدة لضرب الناس دائماً واللى يشتر الضرب بها بمثابة الاتهام أو إعلان الشكوى

بدأت أنا برفع الأمر فشرحت القضية على حقيقتها وتمسكت بأن تاجر الخيل كان يريد خدائى وأنه غشني في الثمن . وطلبت زرد الجواد إلى لأرده

محاولاً إخفاء نفوه فلم أجد به عيباً بتدقيقه، ورأيت أنه لا ينبغي إلا خنجراً أضفه في هذا الحزام فأصبح مثل سائر الوجاه ، وطلبت من الدلال خنجرأً قدومه لي ووضهته في الحزام فأعربت من رشاي لأنني أصبحت في هذا الزم كأحسن رجل في طهران

ولما بدأ دور المساومة وجئت الأمر أصعب مما كنت أتوقع، وأخذ الدلال يقسم لي أنه شريف وأنه ليس مثل سائر الدلالين الذين يطلبون مائة ثم يبيعون بخمسين، وقال إن الثمن الذي يطلبه هو الثمن الذي لا يستطيع أن يبيع بأقل منه . وطلب مني خمسة طومانات للخنجر وخمسة عشر مثقالاً وأربعة للخنجر فتكون المبلغ أربعة وعشرين طوماناً

لما سمعت ذلك أسفت لأنه لم يكن من غير عشرين طوماناً فقلت له إنني لا أريد الشراء وترعت ثيابه وأخذت ألبس ثيابي فاستعصمني الدلال قائلاً: « إذا كنت استكثرت الثمن فكر تريد أن تدفع ؟ »

قلت إنه لا يريد أن يبيع على ما يظهر وإنني لن أدفع أكثر من خمسة طومانات، فرفض البيع بهذا مظهرألى أشد احتقاراً، ورددت إليه الثياب فأخذ يطويها وظهر أن المساومة انتهت بينما عند هذا الحد ولكن الرجل نظر إلى وقال : « إنني أشعر بمودة نحوك وسأبيع لك بما لا أقبل أن أبيع به لأخي فادفع عشرة طومانات » . فرفضت وأصررت على الثمن الذي عرضته . وأخذ يقلل من مقدار ما يطلبه حتى اتفقنا في النهاية على ستة طومانات فدفعتها له وأخذت الثياب

كان أول عرض لي بعد أن اشتريت أن أذهب إلى الحمام فذهبت إليه . وفي أثناء الطريق اشتريت

سيري إلى سوق الثياب لأشتري منه ثوباً غالياً تنفيذاً للخطة التي رسمتها .

ولما وصلت لأول حانوت طلبت جبة حمراء من الجوخ الثمين لأنني كنت دائماً أشعر بالاحترام لن يلبسون مثل هذه الجبة فنظر إلى البائع من رأسي إلى قدمي : « لن تريد هذه الجبة ومن الذي سيدفع ثمنها ؟ »

فسألت هذا السؤال وقلت : « لماذا ؟ أريدها لنفسي وأنا الذي سأدفع الثمن ؟ »

فقال : « ولماذا ليس مثلك مثلها ؟ إنه لا يلبس الجوخ الأحمر غير لليرزا أو الخان ولا شك عندي أنك لست أحدهما »

كاد الغضب يتسللني فأهينته لولا أن دلالاً مرّ في هذه اللحظة من أمامي ومعه ثياب من جميع الأنواع ، ولكنها مستعملة فذهبت إليه وبالرغم من أن صاحب الحانوت أخذ يدعوني لأنه ندم على إيبادى عنه بالوسيلة التي اتبناها .

ومشيت مع الدلال إلى ركن من الطريق بالقرب من باب المسجد وجلس على الأرض وأخذ يمرض على مامعه من الثياب، فأجبتني ثوب حريري مزركش بالذهب وبه زخارف ذهبية . ولا سألته عن ثمنه أقسم لي أن الثوب كان لتدعيم من نداء الملك وأنه لم يلبسه إلا مرتين فقط . ولأنجل أن يفرقني بشرائه وضع هذا الثوب على وأخذ يدور حولي ويقول : « ماشاء الله ! ماشاء الله ! » فرمزت على شراء الثوب وطلبت منه شالاً من الكشمير لأجعله حزاماً أقدم لي شالاً قديماً به كثير من الثقوب وأقسم أنه كان مملوكاً لسيدة من سيدات الناصر الملكي . وقال إنه سيبيعه بثمان زهيد . فأخذت الشال وجعلته حول خصري

الفصل الثامن عشر

عسكر غناه يعود من الأسر - مرفق ماضى بابا
مشيت نوا إلى بيت عسكر خان فرأيت وأنا فى
أول الطريق إليه جمهوراً كبيراً عتشدأ عند بابيه
وعلت أنه وصل لساعته ، وأنه دخل البيت من
النافذة بدلاً من الباب فى وسط احتفال لأن هذه
هى المأدبة عند ما يرجع إلى منزله رجل كان المظنون
أنه قد مات

زجبت بنفسى بين الجمهور ودخلت إلى الغرفة
التي كان الشاعر موجوداً بها وهناك بوضعه سالماً
فى أسر لحظة ودية ، ولكن الشاعر لم يعرضى فمرفته
بنفسى ولم يكذب بصدق أن الرجل الذى أمامه الآن
فى أجل ثياب وأرقاها هو ذلك الوجد الغنى الثياب
الذى كان معه فى أسر التركان

وكانت الحجرة مزدحمة بالناس من جميع
الطبقات ، وكان بعضهم فى نهاية السور وبودته سالماً
والبعض فى نهاية الحزن لهذا السبب . وكان من
الفريق الأخير « ميرزا قاضى » ولكنه كان من
أكثرهم تحيياً به وإظهاراً لمودته . وقال له : « لقد
كان مكانك شاعراً وكانت عيوننا متشوقة إليك
ثم حدثت شجة بالسكان وضع الباب ودخل
ضابط مندوب من قبل الشاه وأمر عسكر خان
بأن يلبس الثياب التى جاء بها من السفر ويذهب
إلى الشاه . ففرق الموجودون وذهبت فى جملة
القاصدين وفى عزمى أن أعود فى اليوم التالى ، وفى
طريقى قابلت ناظر الزراعة قلت له : « هل رأيت
أن كلابى كان صادقاً وأن عسكر خان لم يزل على
قيد الحياة ،

حذاء أخضر وقيصاً أزرق وسروالاً قمرانياً ووضعت
ذلك كله فى متدبيل واستأنفت سيرى إلى الحمام
لم يلتفت أحد إلى ساعة دخولى لأن رجلاً مثلى
فى الثياب التى كانت لا تزال على لا يستثير اهتمام
الناس . وكنت أعزى نفسى بأن هذه الحالة لا تليث
إلا ريتاً أغير هذه الثياب بشياى الجديدة وأن الناس
فى داخل الحمام لا يتفاضلون تفاضلهم فى الطرقات
بل تفاضلهم فيه بطول القامة وعرض الأكتاف
ومظاهر القوة والشباب . وكنت فى ذلك أفضل
الموجودين فى الحمام وثلث إعجاب من لو رآنى فى
الطريق لأزدردانى . واستدعيت دلاكين لتدليكى
فوقاً بالقرب منى ينتظران أوامرى ، فأمرت أحدهما
بملافة رأسى وبأن يصيح شعر لحيتى وشاربى
ولما بدأ فى التدليك أخذ يكرر إعجاباً باتساع
صدرى ، وحلى تحمىل الحسنة التى سأكون عليها
بعد أن ألبس الثياب الجديدة على النظاهر بأننى
تمودت سماع الثناء والاعضاء إليه . وقال لى الدلاك
إننى جئت فى ساعة سعيدة لأنه فرغ لساعته من
خدمة خان كبير يلبس خلمة أنعم بها عليه الشاه وأن
هذا الخان لم يأت إلى الحمام إلا بعد أن أخبره
المنجمون بأن هذه ساعة مباركة تناسب الاستحمام
وبعد أن فرغت من الاغتسال والتدليك ذهبت
إلى الغرفة التى فيها ثيابى فلبست جديدها وطويت
القديم . وكان الزموى يكاد يقتلنى كلما وضعت على
جسدى قطعة منها

وأخيراً جاء الدلاك بالرائة وهذا هو الرمز عندم
لأنهاء عملهم ومطالبتهم بالأجر فرجلت شعرى
ودفعت طرفى شاربى إلى عيني ودفعت له الأجر
بسخاء ، وخرجت أمشى مشية الرجل الكبير الأهمية

وأيناسه إياي ما شجني على أن أطلب منه تسليفي
في خدمته أو للتوسط لدى واحد من مزارقه لأشتغل
لديه ، وشرحت له حالي بالتفصيل وذكرت له كل
الحواشي التي حدثت لي ، وقد استكشفت أن
سبب اضطراب ناظر الزراعة عندما علم بمودة سيده
هو أنه يبدد كثيراً من أمواله عندما يعتقد أنه قد
مات . ورجوت أن أأل عمله ، فأشعرت الشاعر
بكل ما سمعته عن هذا الناظر الخائن ، ولكنني مع
الأسف لم أتيح فيها كنت أريده إما لأن الشاعر لم
يثق بقولي وإما لأن الناظر استطاع إقناعه بأنه بريء .
وبقي الرجل في عمله وبقيت منتظراً ما يجود به علي
صاحبي في الأسر صدقة وإحساناً .

وأخيراً طلبنى عسكر خان في صباح يوم من
الأيام وقال لي : « حاجي بابا ، أيها الصديق ، ترف
مقدار ما أجنه لك من الشكر على ما لقيت من عطفك
وكلانا واقع في أسر التركان وقد آن الوقت الذي
يجب فيه علي إظهار عرفاني للجميل ، لقد تكلمت
بشأنك مع ميرزا احمد « حكيماشي » رئيس أطباء
الشاه وذلك بمناسبة ما علمته من احتياجه إلى تابع .
ولا شك أنه إذا وجد فيك ضالته فإنه سيطرك
صناعته فتجد الطريق المؤدي إلى التي فاذهب إليه
وقل له إنك أنت الرجل الذي حدثته عنه فإنه
سيثنيك في الحال »

لم أكن ميالا من قبل لزواله الطب وذكرت
القصة التي سمعتها من المرويش فشمرت نحو الأطباء
باحتراف شديد . ولكن حالي كانت حالة اللباس
لأنني كنت قد أنفقت آخر دينار مني . ولم يمد
أماي غير أن أقبل أي عمل حتى ولو كان حرفة
الطبيب .

فأجابني : « نعم لقد صدقت فهو لا يزال على
قيد الحياة ولكن الله كبير » ثم كرر الجملة الأخيرة
مراراً وتركني وقد بدا عليه أنه يشر باليأس والحزن
الشديدين . وأضيت يوي كما يقول المثل في تشييد
قصور في الهواء . وحيث الأسواق لماينة
ما عزمت على شرائه بمد أن تتحقق أحلامي ودخلت
المساجد لأداء الصلاة والدعاء لله أن يوفقني إلى
تحقيقها .

وفي أحد المساجد وجدت كثيرين ممن لا هم
لهم ولا شاغل يشغلهم غير التماسؤل عن أخبار الناس
والتحدث بها وقد سمعهم يشكمون عن مودة
الشاعر عسكر خان وعن القابلة التي قابله بها
الشاه فقال البعض : إن جلالة قال عند ما ضيع
أنه لا يزال على قيد الحياة إن شاعره قد مات وإن
الذي يدعي هذه الدعوى لا يمكن أن يكون إلا كاذباً
وإن جلالة سيقابه على ذلك . وقال البعض إن
جلالة الشاه لم يقل ذلك وإنه أعرب عن سروره
بمودة شاعره وأعطى لمن يشره بهذا الخبر عشرة
طومانات . ولكن الكثرة كانت متفقة على أن جلالة
لم يسر بمودة عسكر خان لأنها ستخل بالنظام الذي
كان قد وضعه لتقسيم تركته

ولكن عسكراً كان يعرف حبه . ولاء للشعر
فنظم قصيدة بديعة وصف بها حاله في الأسر ومدح
الملك بما لم يجده به ملك من قبله ، وإن الشاه سمع منه
هذه القصيدة فطرب كل الطرب وأمر بأن يعلأ
فوه ذهباً وخلع عليه خلة سنية

لما سمعت الخبر الأخير خرجت من المسجد
لأهني الشاعر وأأال جائزة منه على هذه التهنئة .
وقد وجدته ضاحكاً مستبشراً ورأيت من عطفه على

الفصل التاسع عشر

دامي بابا بصير تابعاً لطبيب انشاء

جلس الطبيب وأمرني بالجلوس فجلست مظهرأ ما يجب إظهاره من الاحترام والرهبة عندما يقترب حقير مثل باكرام عظيم كطبيب الشاه . وقال لي إن الشاه كله في شأن ، وقال إنني رجل يمكن الاعتماد عليه . وإنني قوى صبور وإنني جربت تجارب كثيرة في الحياة وإن لي اقتداراً خاصاً على كتمان الأسرار .

طاطات رأسى صرأاً وهو يكلمني وكنت شديد الحرص على ألا تظهر قدمي فأخفيتهما تحت طرف الثوب واستمر الطبيب يقول : « وما دامت هذه صفاتك فستكون حاجتي إليك كبيرة . وليس يصلح لخدمتي من لم تتوافر فيه صفة من هذه الصفات . وأنا واثق بما يقوله عسكر خان ، فإذا برهنت أنك عند ظنه فيك فستجد عندي فوق ما رضيك » ثم أدفاني منه وقال لي بصوت خافت كأنما يخشى أن يسمعه إنسان : « لقد جاء أخيراً سفير من أوزباقي حاشيته طبيب كبير وقد نال هذا الكافر شهرة واسعة وهو يعالج مرضاه بطريقة جديدة علينا . وليس في وسعنا أن نتعلمها الآن . وجاء بصناديق مملوءة بمئات الأدوية التي لا نعرف أسماءها ، وهو يدعي أنه يعرف أشياء يجهلها جميع الأطباء الفارسيين ، ولا يفرق بين الأمراض الحارة والأمراض الباردة ، ولا بين الأدوية الحارة والأدوية الباردة . وهو لا يتبع نظريات جالينوس وابن سينا بل يقول إن علمهما قد أصبح الآن علماً قديماً . وأعرب من ذلك أنه يدعي القدرة على منع مرض

وفي اليوم التالي ذهبت إلى منزل (الحكيمباشي) وهو مجاور لقصر الشاه ودخلت حديثه الواسعة الهمة فوجدت فيها على الجانبين غرفاً بها أسرة المرضي ووجدت غرفة كبيرة أمامها أناس كثيرون ففلمت أنها غرفة الطبيب . وبقيت منتظراً عند بابها حتى يأتي دوري فيؤذن لي بالدخول

ولم يكن كل المنتظرين من المرضي بل كثير منهم من أصدقاء الطبيب أو أصدقاء أصدقائه ، وقد جاءوا لأمر عادية لا شأن لها بمجرفته . والمادة في البلاد الفارسية أن يستقبل الأطباء أصدقاءهم في أوقات عملهم وأن يقدموا مقابلتهم الشخصية على مقابلات المرضي . وقضاً عن ذلك فإن موظفي القصر الملكي كانوا يدخلون حجرة الطبيب بنير استئذان ويطلبون المكث فيها والمرضى في انتظار خروجهم عند الباب

كان هذا الطبيب متقدماً في السن ، عيناه غائرتان في وجهه ، وعظام وجهه كبيرة ، وشعرات لحيتيه ورأسه قليلة . وكان محدودب الظهر من كبر السن قليل الكلام يبادر مريضه بأسئلة قليلة متناهية في الاختصار والايجاز ، ويظهر الاشتزاز إن كان الجواب طويلاً ، وكان يبدو على وجهه أنه يفكر في كل شيء إلا الشيء الذي يكون أمامه

ولما جاء دوري أخبرته بأن أنا الذي كله الشاعر من أجل غفد في نظره لحظة قسيرة ثم أمرني بالانتظار لأنه كان يريد أن يكون كلامه منى على انفراد . وبعد أن انتهى من عمله مع الناس ناداني فذهبت معه إلى غرفة شقيقة ملحقة بكتبه وهي التي يدعونها « الخلو »

الكافر لدولة الوزير ، ولكنني متى رأيته أخبرت جلالتيكم من عناصره . ولكنني أقول منذ الآن إن للرض كان سيه تلبس الشيطان بحسم الوزير بدليل أن الشفاء جاء على يد طبيب كافر لا يصدق بدينا ولا يؤمن بنينا

قلت ذلك لكي أزعج الثقة التي للمها هذا الطبيب ، ولكنني كنت في نفسي شديد الرغبة في معرفة الدواء الذي استعمله . وأنت قد جئت لحسن الحظ في الوقت المناسب . وسأعتمد عليك في مساعدتي . والذي أريده منك هو أن تتصل به وتقدمه حتى تأخذ منه علمه . ولكنني أريد قبل كل شيء وفي أقرب وقت أن تعرف لي الدواء الذي أعطاه لرئيس الوزارة لكي أخبر الشاه عنه . اذهب الآن إلى السوق فاشتر خسا وخيارا وكل منهما مقدارا كبيرا وتعارض إن لم يصيبك المرض حتى يبدو لي براك أنك صرت بالحالة التي كان عليها الوزير واستدع الطبيب الأوربي فانه سيمطيك نفس الدواء الذي أعطاه للوزير فلا تتجرعه ولكن جثي ثم تناوله بعد أن أخسسه

أزعجني هذا الشروع الخطر قلت : « إنني سأنتبه كل ما تشبه به ولكنني أخشى ألا يقبل علاجي ولا تستطيع أنت أن تدأويني أو أن يكون الرجل ذكيا فيطيني دواء آخر ، وقد سمعت أماجيب عن الأطباء الأوربيين ، ومع ذلك فدلي على الطريقة التي أسل بها إليه »

فقال : « إن موائد هؤلاء النوم وأخلاقيهم تنافي موائدنا وأخلاقتنا مناقاة تامة . وسأخبرك بشيء عنهم يملك فكرة عن مقدار التناقض بيننا وبينهم . إنهم يدلا من أن يحملوا دوسهم ويطلقوا لحام وشواربهم — كما تفعل نحن — يحملون الحن

الجهدى يجرح يحمده في الدراع ويضع مادة فيه يقول إنه يستخرجها من البقر . ونحن لا نريد أن نسمح له بأخذ القوت من أنفوانا ومزاحتنا في حرقتنا وفي بلادنا . ومن أجل ذلك أشمر بحاجة كبيرة إلى مساعدتك

ولقد حرص رئيس الوزارة منذ يومين بعد أن أكل مقدارا كبيرا من الخس والخيار . وأنا لم أعرف حرصه . وعلم السفير بحرصه فأرسل إليه طبيبه . ولكن كان بين رئيس الوزارة وبين السفير عداوة على ما يظهر لأن السفير يلح في طلب امتياز سياسي لدولته ويرى رئيس الوزارة أن في إجابة ذلك الطلب مساسا بمصالح فارس ، فرفضه وغضب السفير من الرفض ، ويظهر أن هذا المرض جاء فرصة مناسبة للصالح بين شخصيهما بغض النظر عن موضوع الخلاف فأرسل السفير الطبيب بمعاملة . ووجب على رئيس الوزارة أن يعامله كذلك بالآلة يرد الطبيب . ولوأني علمت بهذا الأمر في الوقت المناسب لاحتلت بأية حيلة لمنه ، وقد سمعت أن هذا اللعين قد أعطى رئيس الوزارة قطعة واحدة من دواء أبيض عديم اللون والرائحة غففت أله . وكان تأثيرها قويا عجيبا وقد دهش رئيس الوزارة حتى صار لا يتحدث إلا عن قدرة هذا الطبيب . وتسامح كل أهل القصر بذلك حتى إن الشاه نفسه أظهر دهشته وإعجابه ، واستدعى رئيس الوزارة ليقص الأمر على مسمعه . وكنت موجودا في ذلك الوقت . فأمرني الشاه أن أبين ما أعرفه عن هذا الدواء وعن اللعة ، فبذلت كل ما في وسعي لاختفاء اضطرابي ، وقت قبلت الأرض بين يدي بجلالته وقلت : « إن نفسي فداك يا ملك الملوك ، إنني لم أر ذلك الدواء الذي أعطاه الطبيب

مریضاً بالفمل، فذهب في الحال وكل أكثر ما تستطيع
أكله من الخس والخيار وهات في الدواء الذي
سيمطيه لك في هذه الليلة »

ثم مننى من الاستمرار في مناقشته فأمسك يدي
وأخرجني برفق من حجرتي فخرجت وأنا لا أعرف
هل أحك أم أبكى من هذا الاتجاه الذي اتجهت
حياتي فيه ومن اضطراري إلى استدعاء المرض
لنفسى دون أن أعرف ماذا يكون أجرى على تحمل
آلامه

وبعد أن ابتعدت عن حجرة الطبيب وقفت
وحدثت نفسى بأن أعود إليه وأسامه هل الأجر
ولكننى لما علت إلى الحجرة لم أجده فيها، وظهر أنه
سجد إلى منزله، فاضطرت إلى الذهاب حيث وجهنى

الفصل العشرون

مايى بابا غرض لطيبين

سألت عن منزل السفير وأنا أنوى أن أنفذ
ما أشار به للطبيب ولكننى كنت أعتقد أن أكل
الخيار والخس وإن أثر في مدة الوزير المحرم قلن
يؤثر في مدة قوة لشاب مثلى

على أنه لم يكن أمئى بد من الحصول على دواء
الطبيب الأوربي بأية حيلة، وقلت لنفسى إننى إذا
ادعيت المرض فإن هذا الطبيب سيمرف الحقيقة
وطردنى من منزله ففضلت أن أزعج أننى خادم لحرم
الشاه وأخلق قصة أنال بها ما أريد. وخرجت
على حانوت لرجل يبيع الثياب فاستأجرت منه ثوباً
كالثياب التى يلبسها في العادة خدم القصر الملكى
وتصنعت سحابة تدل على أننى لست خادماً عادياً بل
من رؤساء الخدم، وتذكرت ما قاله لى ميرزا أحمد

والشوارب ويتركون شعر رؤوسهم نائياً كالنساء
ولا يأكلون بأيديهم كما تفعل نحن بل يأتون بقطع
من الحديد لها عدة أطراف عديدة ويقفون بها
الطعام من الأطباق إلى أفواههم غير مباين بأن
يجرحوا أنفسهم أو شفاههم، وهم لا يخجلون من
لبس ثيابهم الضيقة التى تظهر كل جزء من أجسامهم
كأنما أهدم عيشى حاربكى الطريق، وهم لا يصلون
خمس صلوات في اليوم مثلنا ولا يرون في تركهم
الصلاة إثمًا ولا معصية. وصفوة القول أن كل شيء
عندنا يخالف لكل شيء عندهم، وم أقدّر ناس خلقهم
الله لأنهم لا يعرفون النجس من الطاهر، فهم
يأكلون لحم الخنزير ويشربون الخمر ويدفنون الليت
دون أن يشاوله ليطهر ويقفون كل شيء ولا يطهرون
بشده أجسامهم بالماء »

قلت : « نعم لقد سمعت أن كل ذلك من صفاتهم
وسمعت أيضاً أنهم حتى فإذا أظهرت لأحدهم الشك
في قوله أو قلت إنه كاذب حاربك من أجل ذلك
حتى يقتلك أو يموت »

فقال الطبيب : « هذه أيضاً إحدى الصفات
التي سمعتها عنهم وأحذرك في معاملتهم من شيء هام
وهو إياك أن تقول لأحدهم على سبيل المجاملة كما يقول
أحدنا للآخر : « هذا الشيء لك أو هو تحت
تصرفك » فانه سرعان ما يمايلك بقوله فيأخذنه،
فهم لا يعرفون هذه المجاملات، ولا تقل لهم إلا الحقيقة
فإن ذلك يلائم طباعهم »

قلت : « إذا كان هذا شأنهم فهل تظن أن
الطبيب سيفتر لى كذبنى عليه واستدعائى إياه لى
بجانجنى من المرض وأنا لست مريضاً ؟ »

فقال الطبيب : « كلا يا حبيبى إيا، إنك ستكون

الحارقة للمادة في مدة حكمه ، وإن سيدات القصر
سمعن باسمه قتلن إتهن لن يتداوين عند غيره إن
مرضن ، وإن جاريته الشركسية مريضة بالتمل وإن
« الأنا باشي » أرسله بأسر خاص من جلالة الشاه
لكي يحصل على دواء مماثل للذي أخذه الوزير .
وختمت قولي بطلب هذا الدواء

ظهر لي أن الطبيب أخذ يفكر فيما سمعه مني
وقال لي بعد مدّة وجيزة : إنه ليس من طائفة أن يصف
دواء لمريض لم يره لأن ذلك قد يكون أكثر ضرراً
للمريض من عدم العلاج بتماماً ، وإنه على استمداد
لمعالجة الجارية إن سمح له برؤيتها . فأجبت على ذلك
بأن رؤية أوجه السيدات ممنوعة قطعاً ، وأنه عند
الضرورة القصوى يسمح بحس النبض دون رؤية
الوجه على شرط أن تكون اليد مستورة برداء

قال لي الطبيب إنه لا يستطيع معالجة المريض
بحس نبضه فقط بل يجب أن يري لسانه أيضاً .
فقلت له : إن رؤية ألسن السيدات أمر لا عهد
لنا به في البلاد الفارسية ، وإن تحقيق هذا الشرط
يستدعي صدور أمر خاص من الشاه ولكن الذي
يمرض أسراً كهذا على جلالاته يمرض لسانه لقطع
عقاباً على جرماته .

قال لي الطبيب : « تذكر إذن أنني إذا أصحلت
لك الدواء فأنا أسلمه على شرط ألا أحمل مسؤولية
من تأثيره لأنه قد يقتل بدلاً من أن يشفي »
فلما أكدت له أن ليس هناك مجال للخوف
فتح صندوقاً كبيراً مملوئاً بالمقايير وأخرج ذروراً
أبيض وضعه في غلاف أبيض صغير ودفعه إلي
فسألت عن نوع هذا الدواء وعن تأثيره ، فقال لي
بغير التحفظ الشديد الذي يديه أطباء فارس —
كل الذي أردت أن أسميه . ولو كان المسئول طبيباً
فارسياً لما فهمت من كلامه غير أسماء أبرباط وإن

فأقربت من باب السفير وأنا خائف متردد
وجدت القسم الذي يشغله الطبيب في منزل
السفير مملوءاً بالنساء الفقيرات وكل واحدة منهن
تحمل طفلاً على ذراعها ، وقيل لي : إتهن جئن ليفصدن
الأطفال وقاية من الجدري . ويظهر أن أسباباً
سياسية حملت السفير وطبيه على التطوع لخدمة
الطبقات الفقيرة في إيران

لما دخلت الغرفة وجدت رجلاً في وسطها أمام
منضدة خشبية عليها أكياس من الكتب وآنية
فيها المادة التي يستعملها في التطعيم وكانت ثيابه مثل
الثياب التي وصفها لي ميرزا أحمد والتي رأيت بعض
الأوربيين يرتدونها

وكان حاسر الرأس مما يدل على عدم احترامه
للناس ، وحول رقبته قطعة من القماش كالمسما يريد
أن يخفي مرضاً بها . وثيابه شديدة الاتصاق بحمسه
خصوصاً الجزء الأسفل من ثوبه لأن شكه فيه كان
غير لائق ، وهو مناف كل المنااة للآداب . وكان
حذاؤه في قدميه قلم يحمله ولم يبال بالسجاجيد المنيئة
التي هو واقف فوقها على النقيض منا نحن الفارسيين
فأنا نخلع الحذاء في داخل الغرف

وجدت هذا الطبيب يتكلم بلتنتاوساني ساعة
رأني بتلك اللغة مما أريده ، فوجدت الواجب يقضي
بتجميل الرد جهد الطاقة فقلت له : إن شهرته قد
انتشرت في جميع البلاد الفارسية بأنه لقمان زمانه
وأن ليس في هذا العصر من يضارعه أو تحدته
نفسه بمنافسته

فلم يجبني بحرف عما قلته ، ويظهر أيضاً أنه لم
يطرب من هذا اللناء كما يطرب أحدنا عندما يسمع
مثله . وقلت له : إن الملك نفسه علم بتأثير دواؤه في
نفس الوزير وأمر مؤرخيه بأن يقيّدوا في تاريخ
البلاد هذا الحادث على اعتبار أنه من أعجب الأعياء



صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المستول
احمد حسن الزيات

برل انترناتك من سنة
٣٠ في مصر والسودان
٥٠ في الملكة الأخرى
١ عن اللند الواحد

اموالمة
دار الرسالة بشارع المبدولي رقم ٣٤
مايدن - القاهرة
تليفون ٤٢٣٩٠

المرورية

مجلة اسبوعية للفصحى والعامية

نصدر مؤقثاً في أول كل شهر وفي نصف

السنة الثانية

٢٣ شوال سنة ١٣٥٧ - ١٥ ديسمبر سنة ١٩٣٨

العدد ٤٦



فهرس العدى

سلفة

١١٨٦	بين المداة والثاتون . . .	أنصومة مصرى	بلم الأستاذ درى خشبة . . .
١١٩٦	جرفان القنادق	لكاتب الانجليزى أوتز كونادويل	بلم الأستاذ محمد لطفى جمة . . .
١٢٠٤	روض القرج	أنصومة مصرى	بلم الأديب نجيب محفوظ . . .
١٢١٢	أحبة أم ميتة ؟	لعامر الهند وفيلسوفها « طاغور »	بلم الأديب نغرى دهاب السيدى
١٢٢١	السكيرة	لقصصى الفرنسى جى دى موباسان	بلم الأديب كمال الحريرى . . .
١٢٢٥	حاجى بابا أمفهانى	لكاتب الانجليزى جيمز مور ..	بلم الأستاذ عبد الطيف النصار . . .

بَيْنَ الْعَدْلِ وَالْقَانُونِ

أَنْصُرُكُمْ مَعَهُ وَمِنْكُمْ
عِلْمُ الْأَمِينِ لَدِيْكُمْ حِشْكَةٌ

— مجز من ياسديق ؟
— مجزك أنت إنك بكلامك
هذا تبرهن على أنك رجل غير
مقامم ، تؤثر أن تعيش على هامش
الحياة ، دون أن تخوض عباها
فتصارع الأحوال فيها !

— أنت تظنني يا عبد الكريم ، بل أنت
لا تفهمني !

— بل أنا أفهمك أكثر مما تفهم أنت نفسك .
إنك مع خشيتك من اللجوء إلى القضاء ، وهو
الطريق الأوضح الذي تنال به حقوقك ، تدعي أنك
ستنال هذه الحقوق بالنف ، فإذا عساك تفعل ؟
— سأفعل !

— أنت ؟

— أجل ، أنا !

— إنك لن تستطيع هذا !

— ولم لا أستطيع ؟

— لأنك رجل مهذب لا ترضى أن تلوث
يديك بالتفريقتين بالجريمة . ومع ذلك فالقضاء الذي
تقرمته اليوم ، هو الذي سيطاردك حتى يثأر لأخيك
منك ... على أنني لا أدرى علام تريد قتل أخيك !
— لأنه ظلمنا !

— وكيف ظلمكم يا صديقي ؟ أليس أبوك —

عليه رحمة الله — هو الذي نزل له عن هذه البور
والضمايح ؟ هل اختلسها منه مصطفي ؟

— أبي لم ينزل لأحد عن أملاكه !

— تريد أن تقول إن هذا عمل مزور ؟ أليس

كذلك ؟

— لا ... وليس هذا أيضا !

— وماذا تستطيع أن تنال بالنف يا صديقي
إبراهيم ؟ لم لا تلجأ إلى قدس القضاء تمرض
عليه شكواك ؟

— لن ألجأ إلى هذه الوسيلة المأجزة يا صديقي ؟
— القضاء وسيلة مأجزة ؟ ماذا تقول ؟ لقد
بلغ القضاء في مصر ذروة العدالة ، بل هو في مصر
أزهر منه في كثير من الأمم التي تفوقنا حضارة ...
فكيف تنتهه بالمجز يا صديقي ؟

— أنا يا أخي لا أنت قضاءنا بالمجز ، وإن
اقتناحي بزملة قضائنا لا يفوقه اقتناع . لكنني
مع ذلك أعدده وسيلة مأجزة في رد الحقوق ، وإن
شئت للتخفيف من حدة التنمير ، فقل إنه وسيلة
بطيئة بظنا ينبه بحسب القمد

— أنت تقسو في حكمك يا إبراهيم !

— لست أقسو ، إذ هذا هو الواقع ، بل هذا
هو الذي يشجع أبا على هضم حقوقنا .. إنه خير
بأحوال مما كنا ونتمد الاجراءات القضائية فيها ،
ثم هو مطمئن من أجل هذا إلى خشيتنا وشدته نخوفنا
من أن ندخل المحكمة . وهذا شعور عجيب يلاص
الطامنين وآكلي الحقوق ويجعلهم يترسسون
للتنفاء ويخرجون من مساوئهم بغتيال حقوقهم
واضطرابهم إلى قبول ما يرضون عليهم ساعرين !
— إذن هذا هو شعور المجز !

ألا يلقى بنفسه في البجة ، وكذلك التاجر الذي
يعتمد على الله في كسب قوته ، يلقى به ألا يكون
مناشراً ، قالوا لم ير بأساً في أن يكون كذلك ،
فلا يلقى به أن يتجره من كل فضائله علناً منه أن
المقامرة ليست أعلى درجة من القوسية

— وماذا كنت تريد أن يصنع إذن ؟

— كان الأفضل أن يبدل المترك وثروته من
وراثته لتمتددة وتشد أزره ،

— وكيف كانت تمتددة وقد خسر خسارة
كانت تعجب بكل ما يملك ؟

— لو حدث هذا لكان بقي له شرفه ،
والتاجر الذي يخسر ماله ولا يخسر شرفه يستطيع
أن يستعيد المال إذا بدأ للشروط من جديد ... أما
أنه يستعمل أموال الناس غياً كلها بالباطل فهذا هو
ضياع الشرف ، والتفريط في الكرامة التي جعلها
الله كج عبادته من بني آدم ... على أنه ما استفاد
أبوكم ؟ لقد قدموا محسوراً يبق على القليل من
للال الذي أضع حق مات من المم ، وتركك أنت
وأخاك الأصغر وأختك الصغرى فرائس لجشع
أخيك يسقيدهم ، ويذيقكم لباس الجوع والظوف ،
دون أن يرعى الله فيكم ، ولا أن يرجو خشيته !!

— لهذا أردت أن أخله يا عبد الكريم !

— أنت تمود إلى نعمة لأحب أن ترددها أمامي
وأنت تبرهن مرة أخرى على ضعفك واستغنائك ...
والرجل الذي يهرب من القضاء المادل لأنه بطل
كما يدعى ، لا يستطيع أن يقتل دجاجة

— إذن ماذا أصنع غير أن أتجئ إلى القضاء ؟

— وحتى القضاء يا إبراهيم لم يمد لك أمل في
أن يتصف لك !

— إذن ماذا يا صديقي ؟

— لقد كان أبي يضارب بأمواله في التجارة
وقد أراد أن يصون ثروته بالنزول لابنه الأكبر
فها ... فهو نزول صوري كما ترى

— إذن هي اللعبة التي يلعبها إليها الناس لياكلوا
أموال غيرهم إلى أموالهم ؟

— لقد كان أبي رجلاً شريفاً ، ولم يمسح يوماً
إلى أكل أموال أحد ...

— وأنت مع ذلك تجيز تصرفه وتجره ؟
... ؟ ...

— وهل كسب أبوك في مضاربه أم خسر ؟
— لقد خسر خسارة فادحة !

— ومن الذي احتمل خسارته وقد نزل لابنه
هذا النزول الصوري عن أملاكه ؟

— احتمله الشركة التي كان يعاملها !
— وأموال هذه الشركة حلال لأبيك بضمها
بمضاربه في غير مبالاة ؟

— لو أنه ربح لربحت الشركة مالا عظيماً ...
وكم من مرة أربحها الآلاف !

— إذن لم يكن أبوك تاجراً ، بل كان ...
هغوياً يا صديقي !

— هغوياً ماذا ؟ ماذا كنت تريد أن تقول ؟

— لو كان الرجل الذي تتكلم عنه رجلاً آخر
غير أبيك لقلت إنه كان لصاً ولم يكن تاجراً ...
— إنك تهينني يا عبد الكريم !

— هغوياً يا صديقي فوالله ما أردت إهانتك قط ،
وقد عرفت أنك ، ففرت فيه النبل وحيد الخصال ..
غير أن محاولته صون ثروته بهذه الوسيلة كان
ضماً منه ، لأن الذي لا يجيد المباحة يلقى به

— وماذا عسى القاضي أن يصنع وهو يقف أمام براهين قانونية ومواد مكتوبة ترسم له خطاه ؟
— لست أدري ماذا يصنع القاضي لأنى لست قاضيا ، ولو كنت قاضيا لرفضت أن أنظر مائة قضية في جلسة واحدة لاستغرق ساعتين !

— وهذا أيضا لا يد للقضاة فيه يا صديق !
— كل شيء لا يد للقضاة فيه ، وهذا هو الذى بصرفنى عن مقاضاة أخى .. وقد أفتقنى من حلى .. لنفرض أن القضاء عندنا يسير في مجراه السريع .. ولننس هذه القضايا المكسدة في عماكتنا ، والتي يكون قد مضى على آلاف منها سنون وسنون ولما يصدر فيها حكم نهائى ... ولننس جشع المحامين وتلاعبهم بتفسير المواد ليُصَوِّروا الظلم حقا والحق باطلا ... لننس هذا كله ... فقد أرحتنى بصراحتك من الالتجاء إلى قانوننا لأنه لن ينصرتى .. قل لى إذن يا صديق المحامى ماذا أصنع لأتال حق من أخى ؟ وماذا يصنع أخى وأختى ليردا حقوقهما المنتصبة !

— لقد قات لك كلمة القانون يا إبراهيم !
— كلمة القانون التى لا نجعل لأحد منا حقا عند أخينا !
— لقد فهمت تماما ما أردت أن أقول ... وأرجو ألا أتبرك بهذا فانت تستشيرنى ، وبما أننى صديقك أحببت ألا أخدحك !

مسيكين هذا الشاب البائس إبراهيم !
لقد انصرف عنه صديقه المحامى بعد أن فاجأه بموقفه وموقف إخوته من القانون تلقاء شقيقهم

— ماذا تنى ؟
— أفى أن القاضي سيجد نفسه مقيدا بقود بيع رضى من أريك لأخيك ، فإذا يصنع ؟
— إنها عقود باطلة !
— هذا كلام تلوته أنت ، وقد تفهمه المدالة التى تصورها ، لكن القضاء الرسمى لا يفهمه !!
— القضاء الرسمى ؟! هاها ... ألم أقل لك ؟
— ألم تقل لى ماذا ؟
— ألم أقل لك إن القضاء كما يجرى عندنا هو أحسن وسيلة لنصرة الظالمين وإضاعة حقوق المظلومين ؟ القانون ! آه من قانونكم يا رجال المحاكم ! القانون الذى أصبح فى اختلاف تفسيره اختلاف توزيع المدالة ، فهنا قاض يحكم ويزعم أن حكمه المدل المحض ، فىأى قاض آخر يلقى هذا المدل المحض ويصدر حكما يناقضه ، فيكون المدل المحض الذى صدر عن القاضي الأول ظلما محضا ، ثم ما يلبث قاض ثالث أن ينقض الحكمين جميعا ويصدر هو عدله المحض ، ولا تدرى المدالة بين القضاة الثلاثة أين موضعها ولا أين مستقرها

— فى كل ذلك تعجيب للحقيقة يا إبراهيم
— تعجيب للحقيقة ؟! ما شاء الله !! وفيه أيضا إجابة للسالكين وسرف لهم عن سررتهم وإفناق على المحامين وإضاعة ما يملكون من كفاف المعيش ليحصلوا على ثمن تذكرة يسافرون بها إلى مقر المحكمة ... وفى كل جلسة يحسبون أنها الأخيرة فتكون الأولى ، وينطلق القاضي فيؤجل ويؤجل ، ويتنقل الأعذار لتأجيل ، وكلما زبن لهم عاميهم الآمال تبددت آمانيهم بين شقاء القضاء ، فسادوا إلى بلادهم محسورين

من ميراثه لأنه يرف وجميع إخوته يرفون أن
أبهم لم يكن يفسد إلى تلك النتيجة الخائبة التي انتهى
إليها تصرفه السيئ

وهو يقف الآن حائراً في منتصف طريق الحياة
لا يدري أين يذهب ولا كيف يسير

إنه ما يزال يشدو العلم في مدارس القاهرة ،
فليس في يده سلاح يثنيه عن هذه الثروة المنتصبة
الضائمة ؛ وهو شاب عصبي المزاج ، يفكر تفكيراً
غير سليم ولا مستقيم وإن كان فيه كثير من الوجهة
إنه ينظر إلى مترك الحياة بمثل النظرة التي
ينظر بها أهل هذا الزمان ... نظرة المال !

إنه يرى كل شيء قد قام في زماننا على دعامة
من الذهب ... فالتعليم الراق لا ينافي إلا القادرون
عليه من أبناء الأغنياء ولو كانوا أحط في مراتب
الدكاء من أبناء الفقراء ... والتعليم الراق يعمل
التملؤن إلى مناصب الدولة الكبيرة في حين يحرم
منها أبناء الفقراء لأنهم لم يملؤوا ، والديمقراطية
نفسها هي عنده كذب في كذب ، لأن معناها في
اعتقاده وصول الأغنياء القادرين على الانفاق على
المركة الانتخابية إلى كراسي البرلمان ، فيجتنب
ثمة رهط من السبدين الأرستقراطيين لينشدوا
بأنهم يمثلو الديمقراطية

فالتعليم ومناصب الدولة وكراسي البرلمان وقف
في نظره على أبناء الأغنياء ، وإذا أحد من أبناء
الفقراء واصل إلى إحداها بقلته من القدر ظل منظوراً
إليه بأعين الريبة والامتناع في كل وسط ينشأ ،
وهذه العين هي عين الأغنياء ...

لقد كان إبراهيم طمع في مستقبل هو له أهل

الأكبر ، ثم جلس وحده يفكر ... ويقبح زناد
التفكير ، بيد أنه مع ذاك لم يستقر على رأى

لقد بلغا قبل أن يلقى صديقه الحامى إلى ذوى
الروءة من أهله وأعيان بلده ليكونوا شفعاء عند
أخيه ، لكن أخاه لم يلب ولم تتحرك عاطفة واحدة
من مواطف الرحمة في قلبه ... لقد استولى على قلب
أخيه شيطان الدنيا ... لقد استعوز عليه حب المال
فأعماه وأضل بصيرته ... لقد استذله سلطان المادة
فأنساه هذه اللعان السامية التي تصل بيننا وبين الله
بصلات النور والهداية

ماذا يصنع إبراهيم ؟ ليكن هذا المال الذي نزل
عنه أبوه لولده انتقاء ماتمخض عنه الضاربة التجارية
مالاً غير حلال ، لأن المدالة لا تجعله حلالاً لأحد من
أبناء التجار المتوفى ، لكنها تجعله حلالاً للشركة التي
وقعت على رأسها الخسارة من جراء هذا التهرب
وليكن هناك هذا الفارق العظيم بين المدالة
والقانون

لكن المدالة في نظر إبراهيم ليست هي المدالة
المطلقة التي تفرغها الفلسفة ... إنه يعتقد ، بل هو
يجزم بأن الثروة التي نزل عنها أبوه لا يهه الأكبر
من طريق تصرف قانوني صحيح ، هي حلال لأبناء
التوفى جميعاً ... وليس مما يسيئه أن يكون هذا المال
حلالاً أو حراماً ، لأنه إن كان مالا نجساً فهو
بأبوانه للورثة قد تطهر كما تطهر مال الربا بوقاة
الربا فلا يحرم أكله على أبنائه

ثم إن إبراهيم لا يقر اللبة التي انتهت باستيلاء
أخيه على كل ما كان يملك أبوه

وهو لا يحترم هذا القانون الذي يحرمه ظلالاً

كلها ... أو الذي ذهب بثروة أبيه كلها ، سينهب كذلك بالسادة التي كانت من حق إخوته وسيبضها إلى سعادته هو ، وهو في هذا لم يبال بالشقاء الذي يجره فقر إخوته عليهم والذي هو سببه ، فهو بهذا لص ، والعدالة تعتبره هكذا

كره إبراهيم أن يقتل أخاه إذن ، وكره لنفسه أن يلوث يديه بدم الجريمة كما ألقى عبد الكريم في روعه ، لأنه شاب مهذب ... أو لأن القانون سيطارده ، وسيأخذ بدم أخيه إن فعل ... وقد هال إبراهيم أن يكون صاحب الحق فيقتل ثم يُقتل ... ماذا يستفيد من ذلك ؟ هل يستفيد شقاء نفسه من الحرد الذي يشهده الظلم فيها ؟ لكنه سيدفع الثمن ... وسيدفعه كبيراً مضاعفاً ... سيسل رأسه للجلاد ... سيخرج من هذه الدنيا الجيلة الشرقة دون أن يستمتع بحقه فيها ... ثم هو سترك أخاه وأخته فريستين لأخيه للظالم ، وهوبنا سيحرمهما من القلب الأوحيد الذي يشفق عليهما ويرق لألألهما ... بل هو سيحرمهما من النصير الذي يعرف أحزانهما ... وإذا خلا مكانه في وجودهما فسيشغله مصطفي ... وسيشغله مصطفي بالاستعباد والقسوة والظلم ... وستكون كل لقمة يأكلونها من يده ، أو جرعة ماء يشربونها في ظله سماً زلظاً يمزق أشتاءهما ويهراً كبديهما ... وحسبهما أن يكونا خادمين من خدم مصطفي ... أو كلبين من كلابه ...

ما أقسى القادير على إبراهيم !!

صبر إبراهيم برغمه ... وماذا يملك العاجز غير الصبر ؟

ومن أجل هذا فكر في الحصول على نصيبه من ثروة أبيه بأي طريق ، لأن المال وحده هو الذي يفيده ما يروم من جاه وسعادة وبلهنية ... وإذا فقد المال فقد القوة العائفة ، وإذا فقد المال فقد في بلدته العلامة الصغيرة وحرم من التعليم ، واضطر لأن يتناقض أخاه وعمره حينه تحت قدميه من أجل اللقمة والكساء ، وبذلك يتحط إلى دركات العبيد لقد قسا عليه أخوه ، ولم ينفق عليه بعد موت أبيه إلا كما يتصدق بخلاء اليهود ... وكان يصحب كل قرش يرسله إليه بالبن الثول والأذى للرب ... وقد طمح الكليل حيناً أنذره أخوه أنه لا يرى ذهابه إلى المدرسة ، وأنه يفضل أن يبقى ليساعده ، وقد فهم إبراهيم هذه المساعدة على أنها حرمان وتسخير ، فعمداً على أنها أول الاستعباد ، ومن أجل ذلك صمم على أن يستخلص حقه من أخيه ولو أدى ذلك إلى قتله :

ما أشنع القتل !

لقد كان مصمماً على الجريمة قبل أن يلقاه صديقه الهامى عبد الكريم ، لكن عبد الكريم كان صريحاً في النصيح إليه ... لقد قبح إليه الجريمة ، والإنسان الناصبي سهل القتياد ، يثور بسهولة ، ويهدأ بسهولة أيضاً ، لكن صديقه قد أطلق في وجهه كل باب ... باب الجريمة وباب القانون على السواء ... وباب العدالة مطلق بطبعه لأن قلب أخيه الأكبر مطلق بطبعه كذلك ... فانا يصنع ؟

هل ينجح لما يريد له أخوه من قهر واستعباد ومذلة ؟ لا ! لن يكون هذا ! فنفس إبراهيم نفس أبيه لا تقبل الضيق ، ولا يروضها شيء على المحوان ... ثم هو يصر أن إبراهيم الذي يطلع في ثروة أبيه

— قم يا شيخ ! لا ترض هذا الموان الذي أنت مقاسيه ! كيف يدعي أخوك أنك لا تملك حجراً من هذا البيت النيف ؟ إنه إن شاء طردك الآن فلا يكون لك ماوى إلا بيوت الحسين ؟ وإنا كان ذلك فإنا يكون فرق ما بينك وبين الشحاذين ؟ قم ! إنه لا يستحق إلا القتل ! القتل وحده ينجيك عما أنت فيه ! تستطيع أن تحاط فلا يراك أحد وبذلك تستعمل القانون في رءائك كما استعمله أخوك في سلب حقوقك ! أليس يحكم القضاء براءتك إذا لم تهم أدلة تدينك ؟ لن ينهض ضدك برهان على أنك صنت هذا ! أليس يمثل ذلك ضاعت أموال الشركة التي ضارب بها أبوك ؟ ألوف من الجناة والنصابين والمصوص والبارين يفتنون من أيدى المداة لأنهم لا يقعون في شرك القانون ! وهم يفكرون في الجريمة والسرقة وأكل أموال الناس بالباطل قبل أن يتفادوا خططهم تنجىء عبوة وتطيش حولهم سهام القانون !

— هم ! لا تكن جباناً !

ومكنا ظلت الشياطين ما كفة على غزاهم ترخرف له وتنفع فيه حتى تشجع قليلاً وأخذ يفكر في الجريمة بالفهم ! وهونها عليه أن أباه وأخاه قد سبقاه إلى استخبارهما من قبل ، فقد استخدمها أبوه ليأكل أموال الشركة ، واستخدمها أخوه ليفوز بكل الثروة التي نزل له عنها والده حتى لا تستولى عليها الشركة فيما إذا حاق به الحسارة المالية ، فإلا يستخدمها هو ؟ بل هو يستخدمها لترضى أسمى ، إنه سيستخدمها للانتقام من أخيه الذي يريد أن يقتله قتلاً مدنياً حيث يعيش فقيراً مدمماً ... وهذا ، كما يفهم

وأذف موعد العودة إلى القاهرة حيث تفتح معاهد العلم أبوابها ... فاققلب سبره إلى جزع ... وكلا لاني زميلاً من أقرانه فتحدث إليه عن السفر ، اربد وجه إبراهيم ، وشاعت الكآبة فيه ، وحس الدموع في مآقيه ، ثم استأذن وانصرف وكان يوم أوبة الطلاب إلى معاهدم ، وخرجوا إلى المحطة في أحلمهم وذويهم فرحين مستبشرين ... لكن إبراهيم لم يذهب إلى المحطة ذلك اليوم ، بل استخفى في حجرته الضيقة ، حجرته التي يتزعمها القانون منه فيقطعها لأخيه لأنها جزء من المنزل لقد صار الهواء خائفاً حول الشاب البائس ... لقد رأى الثروة تغلت من يديه باسم القانون ... وشهد سعادته ترور عنه وتشييع بوجهها الجميل الخلاب ...

نظر إلى جدران الغرفة فأوحت إليه بأفكار غريبة سوداء ، وشهد الأبالسة ترقص فوقها تنزبه بالشعر ، وتمدد إليه السكين للرعب للشعوذ ، وتسفر في أذنيه ، وتنسفر في ظهره ، وتكلمه كلاماً عجيباً لم يكن من دأبه أن يسمعه من قبل

— لم تجلس بليداً هكذا ؟ لم يفوز أخوك بهذه الدنيا كلها ويطردك من فردوسك إلى ذاك الجحيم ؟ سيكون لك أبناء كما أن لأخيك أبناء ، فلم تذف بفلاذات كبذك إلى أيدى الشقاء والتماسة في حين ينم أبناء أخيك بخير ما في الحياة من نعم وملاذ ؟ سيتم أبناء أخيك ويصبحون أطباء وعلماء ويفوزون بمناسب الدولة وكراسي البرلمان ، أما أبناؤك وأما أنت ، فلن نجدوا حتى ما يملأ بطونكم إلا بشق أنفسكم ، ولو أنصف القانون لكنهم مثلهم إن لم تقوموا لأنكم عبقرون !

التي ينتقم بها من أخيه ... وألحت الشياطين على
نؤاده توسوس فيه وتصرخ ، ثم تقلى دمه ليكون
حاراً فواراً يستجيب ولا يتردد

وفكر وهو يشحن سكينه في أن يستخدم
الرزيلة في إخضاع أخيه . فكر في أن يرى به
بعض السفهاء والشذاذ يهدونه ... وفكر في تلقين
بعض الهمم التي يصبها الأشرار بالأبرياء فتذهب
بشرهم أو يبرؤاتهم ... لكنه هزى بكل ذلك
واستخفقه فنبذه ولم يمد يفكر فيه



وكان لمصطفى مكتب في الطابق الأول من المنزل
يجمع أوراقه ومستنداته ، وإن لم يحو من الثروة
الطائلة التي خلقها له أبوه قليلاً أو كثيراً . فبينما
إبراهيم نازل على الدرج ، وبينما هو يفتح باب الزهرة
التي تؤدي إلى مكتب أخيه ، إذا فكرة مفاجئة تمر
كالبريق في خاطره ... ذلك أنه فكر في أن يقتحم
المكتب عسى أن يجد فيه شيئاً ينفعه ، وتقدم بالفصل
إلى الباب المائل الذي بدأ يرقص أمام إبراهيم الخائف
المنعور ... ولشد ما شدة الشاب حين وجد الباب
مفتوحاً ... فدخل ، وأغلق المكتب ، ثم بدأ يبت
بأوراق أخيه ... ولما لم يجد بها ما يريه ، لم يبال أن
يحلم أذراج المكتب ثم أخذ ينظر في الأوراق نظر
الخائف الوجل .. وكانت أسابيه ترتجف كلما تناولت
ورقة ليري ما هي ... وكان كثيراً ما ينتفض كلما
سمع حركة ، بل لقد هم أن ينصرف حينما سقط أحد
الأضانيير فأحدث صوتاً مزججاً جعل الدم يتجمد
في حرقوه

ثم شع برق الفرح فجأة في عينيه !
وظن قلبه يخفق بشدة !

إبراهيم ، هو أشد القتل ، إذ ليس القتل في رأيه
دماً يتدفق من غلام القتل ، بل القتل هو تحويل
دم السمادة من مجراه الطبيعي إلى مجرى غير طبيعي
باسم القانون ، فيعيش المنتسبة سمادته كالفتول بل
أشد ، لأنه يحيا حينذاك ليتالم حتى يموت ، وليشهد
مأساته ويتجرح صرارها ، بينا الناس يحسوا ألقاب
السمادة التي سلها من القبر بالندر ، ولذلك دائماً
بأن صاحبها الخفي لم يستطع أن يستردها منه ،
ولذلك لأنه في نفوس الناس ، بل هم أحياناً
يتشكقون به في تيه واختصار

إذن ، لقد سم إبراهيم على قتل أخيه ... ولم
يمد يفكر في فشل محاولته مطلقاً ؛ بل هو قد سم
على ذلك وهو مدفوع بتيار العاطفة المشوبة التي
تا كل صدر صاحبها ، كما تا كل النار بعضها ...
لقد سميت بصيرته هو أيضاً . لقد آمن بسجزة عن
السم في الحياة كأن أمه لم تترك له شيئاً قط . وهذا
هو أكبر صيوب شابنا ... لقد كبر عليه أن يبدأ
جهاده من حيث كان يظن أنه أوشك أن ينتهي ..
ومن أكبر صيوبنا نحن الشرقيين أننا سرعان ما نقتنع
من التناجح في الحياة لجرد الفضل الأول الذي تقع
فيه ، أو العتبة الأولى التي نترض سبلنا ، وقد
نشئ عن مواصلة السعى ظنا منا أن كل شيء قد
اتهى . ونحن أقوام نؤمن إيماناً سخيفاً بالخط ، مع
أن ديننا هو أقوى الأديان ، ولن نستحي من أن
ندعوه دين القوة والسعى ومواصلة الكفاح مع
الاعتماد على الله في ذلك جميعاً

لقد عبس إبراهيم للحياة ونجمهم ، وانطلق
يشكوسه حظه ، ويتسخط على المقادير ، ولم يفكر
في خطة إيجابية قط ، لم يفكر إلا في الوسائل الممتدة

— بل هي الفلسفة التي تعلّمها منك !
 — وماذا سرقت من مكتبي إذن ؟
 — أنا لم أسرق شيئاً ذا قيمة فاطمن !
 — أنا مطمئن بإبراهيم ، فأنا لا أضع ملياً ولا مستنداً في مكتبي ، ولا في بيتي ، وأنا واثق أنك لن يهدأ لك بال حتى يخرج منزلي
 — وإن لم تتق الله في وقى أخويك على وسماذ فسيمجّل الله خراب بيتك ، وإني أنذرك من الآن
 — ولن يستجيب الله لك إن شاء الله
 — أنا لا أبذلك يا مصطفي ! إن لم ترد إلينا ما هو حق لنا فلن يبق لك مليم واحد من ثروتك الواسعة ينفعك ، وعندها تمض على أنامل النديم !
 — وكيف ؟ أي حق لك عندي ؟
 — ما كنا نرثه لو لم ينزل لك والدها عن ثروته حتى لا تضيق بالمضاربة !
 — لقد باع لي أبوك بيماً حراً مسجلاً ، وقد أخذ تقوى فغارب بها فضاعت ، ولولا ذلك لكنت اليوم أغني حلالاً بما أنا فيه !
 — هذا هو الكذب والتلفيق الرخيص لأنك لم تكن تملك ستين ألفاً من الجنيهات !
 — لقد نظرت هذه المسألة أمام المحكمة المختلطة وبنت بالقانون أنني كنت أملك أكثر من هذا المبلغ لأنني كنت شريك والدي في تجارته وقد شهد التجار وشهدت المقود بذلك ، ولست بحاجة إلى حجبتك يا سيد إبراهيم ؟
 — ستعرف أن كل هذا باطل إن لم ترد إلى حقوق كاملة ، وإن لم ترد إلى أخويّ حقوقهما كاملة كذلك ؟
 — ليس لكم عندي حقوق فاضل بما بدأ لك

يا فرج الله ! خطابات من الشيخ عبد الواحد عليه رحمة الله إلى ولده مصطفى يخبره بما صح عليه عزيمته من التنازل له عن ثروته بطريق البيع والتسجيل لأنه شارب في مضاربة إما أن تضاعف ثروته أضماًفاً مضاعفة ، وإما أن تذهب بالأخضر واليابس إذا بقي في يده أخضر أو يابس !
 ثلاثة خطابات طويلة هريرة فيأخذه بخط الشيخ رحمه الله وتجاوز عن سيئاته تشرح الموضوع وترسم الخطة وتضع التواريخ
 لقد كتبها الشيخ من الاسكندرية في الشهر نفسه الذي تم فيه البيع والتسجيل بالمحكمة المختلطة هذه هي السكين حقاً ! وهكذا يكون القتل !

 — أنا يا قليل الخير ، يا فاكراً الجليل ، أنا الذي سترتك ولمت شمتك بمد موت أيك ، يكون جزائي منك أن تتجسس عليّ ، وتبحث ورأى ، وتنسل كاللص إلى مكتبي لتخطف أدراج عسك تقع على سلاح تقعده في صدري ؟
 — أينما كان لصاً يا مصطفي ؟ أنا أم أنت ؟
 — صل نفسك !
 — لقد سألتها فقاتل إنك أنت كنت اللص !
 — لأنني كسرت الأدراج وسرقت مامرقت ؟
 — ليس هذا كل ما يفعله اللصوص !
 — وماذا يصنعون أكثر من هذا ؟
 — من الناس لصوص لا يحطون الأقتال ولكن يحطون حياة الناس ويسلبونهم ساداتهم ، والزلم أن القانون لا يقدم لصوصاً ، بل هم أمامه شرعاء مقبولون
 — هذه هي الفلسفة التي تعلّمها من المدارس !

بسرعة زائدة من خاطره ، بعد أن فكر فيها خمسين
أو ستين يوماً على الأقل ...

أما مصطفي ... فيا لقلول ! لقد رأى خرابه في
هذا الخطاب الذي راح يتلوه إبراهيم عليه ، فلم يفكر
إلا لحظة ... لحظة واحدة ... وأدفع كالدب ينمذ
سكينته في صدر أخيه حتى تخيب مؤامرته ، وحتى
لا تضيع ثروته ، وحتى لا تأخذ العدالة مجراها ،
وحتى ينتصر القانون ... القانون الذي لا جرم
كان يحكم على مصطفي وينزع منه أملاكه ويردها
إلى الشركة لو أنه فاز بالخطابات التي مع إبراهيم !
والقانون في ذلك يشبه السكين تماماً ، أو يشبه
الدفع يكون في يد المحارب يصب منه النار على
أعدائه ، قلنا سقط هذا الدفع في يد الأعداء
لم يتوانوا عن صب ناره فوق رأس صاحبه !

هنا إذن فرق ما بين إبراهيم ومصطفي ...
لقد كان إبراهيم شاباً مهذباً قرأ التاريخ والأدب
ودرس الدين وهرف الله ... ولما لم يستطع أن ينفذ
الجرمة التي اعتبرها لأنه لم يجبل على الشر ولم يجبر
الشر في دمه ... ولما وجد الخطابات خد الله
واستبشر ، لأنها جنبته هذه الخطة الماسية التي كان
في شك من مصيرها

أما مصطفي فلم يفكر كثيراً ... إنه استهول
أن تضيع ثروته التي يقضاها على كل شيء ، فلم يبال
دينار ولا ريال ولا ضميراً ... ولذلك لم يكلفه القتل
بأخيه شيئاً إلا أن ينقض عليه كالبرق ، وأن ينمذ
سكينته في صدره !

لم يقتل إبراهيم ! بل ظل في المستشفى شهراً
ومضى الشهر ، ثم خرج منه سليماً معاف
ورفض أن يتهم أخاه ! وأردك سمته رجال
القضاء وحيرهم ! ترى علام حول ، وماذا اعترم ؟ !

إن استطعت أن تفعل شيئاً !

— سترى أنني مستطيع عمل كل شيء ،
ولكني أحسك خطاباً كتبه إليك أبوك عما كان
ينوي عمله قبل أن يبيع لك أملاكه هذا البيع
الصوري الذي تشبث الآن به كأنه حقيقة لا ريب
فيها يا سيد مصطفي ، فاسمع :

وشرع إبراهيم يقرأ الخطاب الأول ، وما كاد
يصل إلى نصفه حتى مادت الأرض تحت قدمي
مصطفي : وحتى انطلقاً نور العالم الجميل في مينييه ..
ولم ينتظر حتى يتلو أخوه الخطاب كله . بل هب
كالماسفة ، وانقض على أخيه السكين فطمته في
صدره وطمته عدة طعنات بسكين كان يحملها معه ،
وكانت لا تفارقه في روحه وجثاته ...

ووقع إبراهيم يتشخط في دمه ، وأسرع
مصطفي تتاول الخطاب الذي كان أخوه يتلوه . ثم
دفع يديه في جيوبه يبحث عن خطابات أخرى
أو وثائق من هذا الصنف الخطر الذي إن وصل
إلي خصومه من رجال الشركة لم يبق له من حطام
فردوسه شيء ...

وترك أخاه يمجد بأنفاسه ، ثم أسرع فنسل
يديه وأحرق ملابسه التي ملق بها شيء من دم أخيه
وساعدته زوجته في كل ذلك . ثم صد إلى حجرة
أخيه فبجها بشكاً دقيقاً له يقع على شيء مما در
إبراهيم له . لكنه لم يقع على شيء
أرايت إذن ؟ !

لقد فكر إبراهيم في الجريمة ثم عدل عنها ، ثم
صمم على ارتكابها ، لكنه حيناً عثر على خطابات
أبيه نسي القتل ونسى السكين ، ونسي كل شيء ،
لأنه حسب أنه انتصر ... وأن أخاه سيخضع له
أو تذهب كل ثروته ... وهكذا انتفت فكرة القتل

عليهم أموالهم حين يستصفون أملاك الشيخ
عبد الواحد عليه رحمة الله ، ويجاوز عن سيئاته
ولما خرج مصطفى من المحكمة صفر اليدين ،
نظر حوله إلى الدنيا الواسعة الجميلة فلم تبسم له على
جاري طائها ! بل لعلها تبسمت ساخرة منه ، ولعل
هذه الابتسامة هي التي جعلته يشهد سكينته فيمندها
في صدره ، لأنه لم يطق أن يذهب إلى النزول النيف
فيقال له : « كلاًها السيد ، ليس هذا منزلك ! »
ولأنه عاش حياته لا يعمل بينه وبين الله ، بل هو لم
يعرف له إلماً غير هواه ... ولو قد حرف الطريق
إلى الله لحسنت آخرته وحسنت دنياه ...

وأتم إبراهيم تعليمه ... وظفرق الحياة وتنازل
من أجل الثروة ... لكنه برغم ما جمع وبرغم ما كثر
لم يراح خياله طيف أخيه ، فكان يبكي من أجله
ويستغفر له ربه ، ويجعل بين يدي مجواه صدقات
يشمر بها أبناء مصطفى ... فلم يدعهم يشمرون بمراة
القيم أو سرامة الموز دني غشيب

لقد فتح ذلك الحادث الرهيب عينيه على حقيقة
الدنيا ...
نضال !

أليست الدنيا نضالا في نضال ؟ فلماذا تكون
نضالا من هذا الصنف الوضعي ؟ لماذا تكون نضالا
على ميراث ؟ لماذا لا تكون نضالا شريفا ؟ لتكون
كذلك إذن ... وليبدأ إبراهيم النضال الشريف من
أجل الرضاة إذن ... إن الدنيا ليست لمن ورث الثروة
بل هي لمن عمل عليها وملكها بكد وكسبه ، وإن
الذي يملك الدنيا من هذا السبيل ليشر بلذة حلوة
سحرية ، ليس يشمر بمثلها الذي ملكها من طريق
أيه ... مثال ذلك الطير إذا وقع على الفريسة بد
أن يرمقها ويخيراها فهو ينشب أظفاره فيها بفخار
وعظمة ، أما الفريسة التي تسقط على الطير فقد تكون
جيفة يقتله أو تصفه !

هذا هو الوحي الجديد الذي هبط على إبراهيم !
وهو وحي كريم طيب خير وإن تبع من جراحات
وكلوم ، وارتوى من دم كريم طيب خبير مثله !
وتبسم إبراهيم تبسمة خبيثة هي بقية الشر في
نفس آدم !

ذلك أنه صمم هذه المرة على أن يشرك أخاه
مصطفى في هذا النضال !! ...

فكرة عجيبة !! لكن تنفيذها سهل حين ! إن
الخطابات التي وقع عليها في مكتب أخيه محفوظة
في مكان حرز لم تمسها يد ... أما الخطابات التي
أخذها مصطفى حينما طعن أخاه ، فهي صور نسخها
إبراهيم ، وفلا فيها خط أيه تقليدا عجيبا انطلى على
مصطفى ولم يحمله يشك قط في صحتها
وهكذا ذهب إبراهيم إلى رجال الشركة فسأوهم
على مبلغ كبير جدا لقاء هذه الخطابات التي ترد

آلام فرتز

للساخر الفيلسوف جون الرومان

ترجمة بقلم

أحمد حسن الزيات

وهي قصة طالبة تدعى من آثار الفن الخالد

تطلب من إعادة مجلة الرسالة

وعنها ١٥ قرشا

جَزَائِرُ الْفَنَاءِ

لِلْكَاتِبِ الْأَنْجَلِيِّ سَيِّدِ زُكُونٍ دَوَّلٍ
بِسْمِ الْأَسْتَاذِ مُحَمَّدِ طَالِبِ طَبَقَةِ

الصمت . فقال : نعم إني أزيد أحياناً ،
ولكن يبقني نهضة وتبلمه ، ولوعلت
أن السر في نجاح موريارتي في إيمانه
على هذا المقاد اللوكي لمعزني . آه
يا عزيزي وطني ، لو وفقني النهاية
إلى القبض على عنقه متلبساً ، ذلك
الاستاذ الأعظم !

الاستاذ الأعظم ! كان هذا هو القلب الذي
يطلقه على ذلك الجرم العالم الكبير ، الذي استخدم
أحدث الاختراعات في اقتراف جرائمه . وكان يلازمه
التفكير فيه كل ما عرضت له قضية خطيرة ولكن
البروفسور كان سبب التال ، ولكن كان لا يقنط
من الفوز في النهاية على خصمه الأهم ، وكنت من
جانبى أتوق توقاً شديداً لأرى منظر الكفاح بين
الاثنتين لحماً ودماً وعقلاً ، لاني الخيال كما كانت الحال
منذ بضعة سنين

في تلك اللحظة دخلت علينا مسز تيرنو مديرة
منزل هولز تحمل الشاي ويسدها بطاقة وقالت إن
صاحبها بالباب وهو قلق ويريد لقاء مسز هولز في
الحال . فتناول هولز البطاقة وقرأ بصوت مرتفع :

راينيج هلسنبرغ

صاحب مصرف هانوفر برامبرج

ودخل علينا رجل أشعث أغبر أسود الشعر
قاسم ، ضيق الأنفان ، ضخم الجثة ، كأنه فيل صغير
وحيا وانحنى في احترام عميق ، ثم جلس قبالة
هولز وقال :

— لقد عرفت انتمك من الصحف ، وضاعت
حقيقتي منذ خمسة عشر يوماً في القطار ، من
هارويتش ولندن وفيها أوراق خاصة وثياب .

حدث دكتور وطني صديق شرلوك هولز
ومستمره ، وسجل أخباره قال :

عقيب ا كشاف جريمة روتشديل ، ومصرع
سيرويتنجهام في قصره ، سرى عن شرلوك هولز
قليلاً ، وأخذ بنام بانتظام ، ويتناول إفطاره وغداه
وعشاءه في ساعات معينة معلومة ، وقل إفراطه في
شرب الشاي قبل الغروب . وكان يقول : « إنه
عادة سكسونية عميقة » ولكنه أدمن الحقق باللوردين
إدمانا مزيجاً ، وكان يشق على " أن ألفت نظره إلى
عواقبه الخبيثة ، فلما ضقت به ذرعاً وخشيت عليه
لحت إليه أن الأنفون ورث الحكمة والصداق والأرق ،
والرؤى المزجة .

فضحك وقال : « ابق شغقتك لمرضاك الذين
تمودم » وتناول من على رف الكتب مجلداً ضخماً
وقرأ « الأنفون عكاز الطبيب » يتناول الرجل
بمد الأربعين منه لفحة انجليزية فيصح بصره ويحسن
هضمه ، ويستدل مزاجه ، ويرم عظمه وتصلب
أعصابه وزداد وزنه ، على شريطة أن يراغب ويحافظ
على مقدار الجرعة ولا يتقصها ولا يزيد بها « ثم قلب
الكتاب فرأيت اسم المؤلف وهو دكتور درجاستر
أشهر مؤلفي الأفراذين قاطبة ، وقال : ما قولك ،
أم أجاوز جندود الأربعين بإطبيبي ؟ فاقبست ولومت

الآن . فقد ركبت الباخرة من هوك أوف هولاند في منتصف الليل في أول هذا الشهر ، ووصلت إلى شواطئ 'انجلترا' غداة اليوم التالي والحقيبة يدي ولم تفارقني طرفة عين ، وسرت مع المسافرين إلى مبنى الجمارك ففتحت وأغلقت وأشر عليها الموظف المختص بحرف P رخصاً إلى السباح بالورور ، وركبت القطار في الدرجة الثانية ، وكان منى بضمة نير من الطبقة الوسطى ، ولما وصلت إلى فندق فولكنر بإشارع فولكنر سريت فتحت حقيقتي وأنا لا أرتاب فيها فانا هي غير الحقيبة التي كنت أحملها

فخطر إليه هولز نظرة تهكم وتحديق وقال :
هنا أليم حقاً . حسن جداً يا هير وانبيج وأشكر لك تفنك ، ومادمت تحب أن تحمل لك هذه المصلاة فآتم خير زيارتك لنا
قال الرجل : ولكنني الآن أصبحت ممسكاً ، لا أملك قوت يوي ولا أمهر . . .

وقبل أن يتم كلامه أخرج هولز من جيبه حزمة من الأوراق المالية ونولها إلى الهير ، فتردد الرجل وعاد إلى الوراء ولكن هولز شجعه قائلاً :
لا بأس عليك ، إنها قرض حسن ، فلا تحاول عد النقود وانصرف الآن بسلام وعده إلى غداً في مثل هذه الساعة . فارتبك الرجل أيماً ارتباكاً ، ولم يزد على أن قال :

— شكرًا لك سأرد جميلك . وودع وانصرف .
وفي أقل من طرفة عين قال هولز : على ياوطنين بشباب التنكر . سأتح أمربكى وأنت سأتح آخر .
فتنكرنا وبدونافي الزين الذين عينهما وخرجنا من باب خلفي ومنا حقائب جديدة وركبتا هربة إلى محطة

فسأله هولز : ولم لم تقصد إلى سكوتلانديارد وفيه رجال فطاحل ؟ أديك سبب يموتك عن التقدم إلى الشرطة ؟

فقال وانبيج : كلا ! ليس لدى ما يعوقني عما أشرت إليه ، غير أنني أنهم البوليس بالبلادة والنباء والفرور . إن المجتمع الحديث في البلاد المتحضرة محكوم بالبوليس ، وواضع عنقه تحت قدميه . والبوليس في كل قطر ووطن ضالة الشعب وسقط متاعه ومجموعة أو غاده . وقد انصرف إلى التسلط على الأمم والتحكم في أقدية الأفراد والجماعات وهو كثير الشكوك والظنون ، واسع الحيلة ، ملآن بالسماس ، عش زناير ، وجحر أفاع ، ووكر حيات . فكيف ؟ فآتمس هولز وقال : إذن هي مبادئك السامية التي تموتك عن التماس الموة على أيدي هؤلاء الذين تنفق أنهم أوغاد . . . صدقتي أنك غطى . يا هير هلستجفوس خطأ شنيعاً . أنا لا أنقض قولك لك ، ولا أبرمه لك . وإن كان البوليس على ما وصفت من الدنيا ، فلم قبلت أن تعمل في صفوفه في مدينة هيدلبرج في سنة ١٨٨٦ حتى وصلت إلى درجة بوزباشي ؟

فانتفض الرجل وامتنع ثم ملك أعصابه وقال :
— هذا صحيح . . . ولكن كيف . . . كانت ظروف قاسية . ولكن كيف عرفت ذلك وأنت لم ترني قبل اليوم ؟

فأشاح هولز بيده وقال : هذا لا يهمك ، ولكن الذي يكربك ويكرتك هو فقدان حقيقتك وما احتوت من الوثائق الثينة

فقال الرجل : أي نم ، هذا الذي يهمني

المجاور ولا يفكر في اختيار آخر بعيد
قالت المرأة : أنا لا يمكنني أن أحمل من الليلة
الأولى ولم أنصرف بعد مجاهل الفندق . لا بد من
انقضاء أيام وليال ثلاث على الأقل ، حتى أعرف
طريقى ... وإلا يحدث لى ما حدث في دسلدورف
قالت الرجل : اطمني ما عليك من بأس .
لا عيب فيك إلا ترددك . ولولم أكن مثقلاً بدين
ذلك الانجليزى اللمون شرلوك هولمز لنظرت في
تأجيل العمل حتى يتم تدريبك

قالت للمرأة : إن ذلك الحادث السيئ الذى وقع
في فندق دسلدورف لا يزال رعبى فقد كان الرجل
قوى المضلات وملكنى رغم أننى وكاد ينال منى
الرجل : لا تذكرى هذا الحادث . إنك لاشك
أحبته وإلا ما تركت ثيابك في غرقته ، وخرجت
من بين يديه كما خرجت حواء من الجنة
للرأة : ولكن أنت تعلم أن « ثياب الشغل »
ناعمة اللبس ، سهلة الازلاق ، ومن أصول الصنعة
أن تتركها خيراً من أن يقبض علينا
الرجل : هذا معلوم ولكن ليس كل ضحايانا
أقوياء وذوى شيق ، ولا كلهم ذوى سمات خفيف
يعتد النوم من أجفانهم أقل صوت أو حركة
للرأة : والورعين ... إننى لا أستطيع العمل
بدونه ...

الرجل : إن السكبة الكبرى في الخفية ولكننى
أعدت لك الجرعة الكافية
كان شرلوك هولمز يضحك عند ما قلت له :
— ما أشد غيائى وأبله فطرتى . لقد سمعت
صوت الرجل من قبل . ولما انتهى التمثيل رأيت الهير

السكة الحديدية الملاصقة في شارع يكرلو وانتظرنا
إلى موعد وصول أحد القطر وخرجنا مع السائقين
وأرشدنا الحوذي إلى الفندق المهود . وأخذ كل
منا غرفة بفراش فرد . وكانت الساعة السابعة عندما
بدلنا ملابسنا وأخذنا سبتنا في ثياب السهرة إلى
ملمب جلوب ثياتر ، بعد أن تناولنا وجبة خفيفة
في مطعم دول مول . وكانت الفرقة تتشمل رواية
« نيران القدر » تلك المؤلف الشهير ، وفي فترة
الراحة التي تعقب الفصل الثاني همس هولمز في
أذنى قائلاً :

— إياك أن تدور برأسك أو تبدي حركة
أو إشارة فإن خلفنا بالدة وعلى مقدمين مقابلين
لنصدينا شخصين يهيمك أمرهما . وهما يتحدنان
بالألمانية التي يجيدها مساً . وعند ما يبدأ التمثيل
سوف يأخذان بأطراف الحديث الذى تركاه في الفترة
فقلقت كثيراً وحاولت أن ألتفت بأى عذر
كشراء نسخة من روبرام الحفلة وملخص النكتة
أو شراء برتقالة ، أو قالب من للشكولاته ؛ ولكن
كان هولمز يراقبى بدقة ويهائى بالنمزم والمزج . فصبرت
على مضض ، وقد فقدت رشدى فلم أتبع حرفاً
واحداً عما كان يلقيه المثلون وسمعت الحديث الآتى
الرجل : إنه فندق مجهول من العامة مقصود
من الخاسة . والذى يعمل العمل فيه سهلاً هيناً
اتساع مرآته ، وتباعد غرفه ، وغفلة خدمه . فضلاً
عن أن أضيافه ينمضون أجفانهم في الساعة الماثرة
مساء ، لأنهم رجال أعمال ومال ومنهوك القوى .
وإن في قربه من عطة السكة الحديدية ما ييسر كل
أمر مسير . فالتقدم من سفر طويل يستقرّب الفندق

أعلم أن هولز أشفق من أن يكتم إنساناً، بله امرأة ناعمة. فلا بد أن تكون غدرة، أو راضية. لا ريب في أن هولز كانت له قوة سحرية يخضع لها الناس من كل جنس ولون وطبقة. تحبل أيها القاري طبيباً مثلي ينقل إنساناً في حقيبة ... لقد تذكرت جان فالجان بطل البؤساء وهو يجوس خلال بخاري باريس يعمل جثة، كما تخيلت فرجيولى ذلك المهرج الايطالي الذي كان يخطف الناس ليضمهم في حقيبة. ماذا أقول لو ألقى القبض على "وسلت عن حملي" شكلاً وموضوعاً؟ ولكنني كنت أشعر بأن ظهري كالخس، يحميه النفر الشديد القوى من الجند، لجرده التفكير أنني أعاون شرلوك هولز ذلك المبقرى الذي لا يسمل إلا الخير

كان البواب ناعماً عند ما فتحت الباب الكبير فتنبه وقال: من هناك بيبير؟

قلت: سأكن الغرفة رقم ١٧ إلى تلبري لأخذ مكانى في الباخرة التي تبهر جراً وقد تركت لك الحلوان بالغرفة

قال: سفر سعيد ياسيدى مع السلامة. ووجدت مركبة بالباب كأنها تنتظرني قففت فيها وأشرت إلى السائق أن يسير دون أن أعلم الاتجاه الذي أقصد إليه فأطل على وقال: أين ياسيدى؟ قلت: شارع بيكر ستريت

قال رقم ٤٠ ياسيدى حيث يقطن ذلك النمر الشهير شرلوك هولز

قلت: هو كذلك.. ولكن من أين تعرف؟ ولكن الحودى كان أسرع من سؤالى في الهاب

واينبيج لابساً أغر ثياب السهرة وعن يمينه فتاة ممشوقة القد، ساحرة الجمال، وجماء العيين تسير كاحدى المسكات في موكب التتويج

عدنا إلى الفندق في نصف الليل ودخل كل منا غرفته. ورددت في فراشى ونمت كما دتى يوماً حقيقياً وجأة توقظت على نور يهر بصري مندماً من بطرية كهربية نهضت فأشار إلى هولز بأن أؤم الصمت التام. وكان أول همى أن أعرف من أين دخل وباب غرفتى لا يزال مثلاً من المداخل وقببه منسد بمفتاحه؟ فلما قادنى هولز بيده رأيت باباً بين الغرفتين كان مثلاً وقبحه هولز بأحد المفاتيح من المجموعة التي يحملها للخير لا للشر

وقد راعني أن رأيت في غرفته جسماً موثقاً وقال لى: عليك الآن أن تساعدنى في وضعا في تلك الحقيبة الكبيرة

قلت له: إن هذا المكان يمتنع فقال: لقد أعددت لها فتحات في جدران الحقيبة تنفس عنها

قلت: عنها... من همى؟

قال: عليك الآن أن تنقل الحقيبة وتخرج من باب الفندق متسللاً فلا تقع عليك عين أحد. وإن وقعت فأنك السافر الذي يقصد إلى الباخرة التي تبهر من تلبرى في فجر غد

ولم يكن هناك بد من طاعة هولز فإنه لا يعرف المزاح في هذه اللواظ. وفي الحق كان الجمل جد خفيف فلم أشعر بأننى أهل إنساناً. وأغرب من هذا أن الجمل لم يتحرك ولم يحاول أن يستنيت وأنا

في مفاشرتك . أو ضاع عقلك من طول التفكير
أشفق بنفسك يا رجل ، أحمده على أن الله كتور
كجور زيفه لا يسمعك^(١)

فابسم هولز وقال : خذى حذرك يا مسز تيرز
فان كلامك هذا يمد قدفاً يعاقب عليه القانون وغمز
بيده فقل الحقيقة فانفتحت وخرجت منها الفتاة في
ثياب التفضل كما تخرج الشمس عند المشرق
أو تنفخ الزهرة عن أكاسها . فلما وقع عليها بصر
مسز تيرز صرخت صرخة مكتمة كما لو كانت عذرة
تلك جدياً صغيراً بعد ولادة عسيرة . وقالت :

— تبا لكم ! تبا لكم ! لقد أقعدتوني على !
هذه هي الحقيقة . فتاة جميلة على قيد الحياة . آه
إعذراني أيها السيدان .

فضحك هولز حتى كاد يستلقي ونحكت ، وفتحت
الفتاة عينها ، وقالت :

— لقد أقعدتني يا سيدي من يد ذلك الوحش
الضاري .

وأقافت مسز تيرز من ذهلها ونحكت ، وقالت :
لأنفتاً يا مسر هولز تزح ولا تقول حقاً ، هيا بنا
يا حقيقتي العزيزة ، إلى الحمام والمائدة . فان ظهورك
بهذه الثياب لا يروق هذا العالم المترمت الحب
للفضيلة .

وكان هولز قد خلع ثيابه ولبس ثياب التفضل
ووضع في قدميه مبانك الطرية الناعمة . وتناول
شبهه الأيدي وقال لي وأنا أشرب فنجاناً للشاي
لتي صنعتها بيدي :

— إن الرواية لم تم فمصولاً يا وطن وما كنا

ظهر الجواد بسوطه بائعاً بأساوه الشعبي^(١) حبها
هاها ! وكان لوقع حوافر الحصان رنين على الأرض
للسوفاة بالقرار ، وللمرة امتزاز لهدب أعرقاني في سبات
عذب حنون . ولم أعسر إلا والحوضى ينزل ويحمل
الحقيقة ويترك المركبة قائلاً لي :

— صباح الخير يا وطن ، إنى أعفك هذه المرة
من أجر الشوار الذي قطعتاه ، وسيأتي صاحب
المربة لأخذها بعد بضع دقائق . فما كان أعظم دهشة
عند ما اكتشفت أن الحوضى الذي أمرته وتأمرت
عليه ، لم يكن أحداً سوى شرلوك هولز نفسه !
لقد كنت أزداد إعجاباً به كل لحظة

بلتنا مسكننا في الساحة الرابية والضياب يحكم
الجو والفضاء ويسد الطرق في أوجه الناهب والقادم
وسوت السكون يدوي في آذاننا ، كأظم ماتكون
الجلبة والفضواء والصخب

صعدنا وأيقظنا على الرغم منا مسز تيرز مدبرة
منزلنا ، فلما وقفت تفرك عينها والحقيقة تحت أقدامها
قال لها هولز وهو لا يزال بثياب الحوضى : عليك
أن تسمى أعظم الفتاة بهذه الحقيقة التالية فتدخليها
الحمام وتطمعها وتمدى لها الشاي ثم تضعها في فراش
دافي وتجعلها قريرة العين ، طيبة النفس

ففترت الكلمة إلى وغمزت ببينها كأنها تقول :
لقد فقد الرجل عقله إلى الأبد فوا أسفانم نظقت
وقالت :

— كيف يمكن يا مسر هولز أن تتنسل
الحقيقة وأن تأكل وتشرب وتنام ؟ لقد ضاع عقل

ودهشته . فشرع بلويرد يبحث أثناء تفتيشه في
لللابس المتسخة عما يده على الشخص الذى أخذ
حقيته . وشمر تحت يديه رزمة من الأوراق ، فلما
جنبها وجدها سلسلة من الخطابات والرسائل البرقية
وأفلتت هذه الرزمة من يد بلويرد فانشرت على
أرض الغرفة رزمة من الأوراق المالية من كل نوع
لم يعرف بلويرد من هذه الأوراق التمددة الألوان
إلا عدداً شبيهاً ؛ وجهها واستمر في البحث فاكتشف
في قاع الحقيبة الفروشة بالورق ما يشبه وسادة
متفتحة من الأوراق المالية المختلفة . ونظر بلويرد
حواليه وقد اتناه العجب والذهول منتظراً شخصاً
يأتى إليه ليوقظه من ذلك الحلم اللذيذ الخفيف . على
أنه لم يأت أحد وبقيت الأوراق في موضعها لم تحف .
لم يكن بلويرد قد رأى مثل هذه الأوراق الثرية
التمتدة الألوان إلا عدداً شبيهاً . فأخذ يندما
وكان حبه للنظام يجعله يضع كل نوع من الأوراق
على حدة دون أن يرف بالضغط قيمة كل منه . على
أنه بعد بضعة دقائق عرف جيداً أن ما أمامه مقدراً
بالمئة الذهبية يتراوح بين مليون ونصف ومليونين ،
وكان يستطيع حينئذ أن يقول لنفسه إن محتويات
حقيقته قد دفع لها عن أكثر من المئتين الذى تساويه .
على أن هذه الفكرة لم تخطر بباله . وكل ما كان
يضايقه هو فكرة الاتصال بصاحب هذه السككوز
واستبدال كل من الحقيقتين بالأخرى . قال لنفسه
لا بد أن أقرأ بعض هذه الخطابات فصرف من
الترادة أشياء كثيرة لم يعرفها طول الثلاثة والمشرين
طعماً التى قضاه في هذا العالم ، أشياء لم تخطر له على
بال . فاستطاع أن يدرك أن هذه الأوراق المالية هي

ينير تخيل للفصل الأول . والآن دعنى أعرض عني
طرفة عين .

تتقطنان في تمام الساعة الثامنة على صوت مسر
تيرز وحي تقدم إلينا شاباً هادئ الطبع مجلس وروى
علينا قصته التى خلصتها في أن اسمه بلويرد وكان
هادئ الطبع قاضل الخلق ، وقد استقل القطار
قاصداً إلى بلدة صغيرة ليشتغل فيها وظيفة متواضعة
وكان كل شيء يبدو بلويرد هادئاً ، لا خطر له .
وقد صرحت سنة عمره دون أن تتخللها منافسة
أو يمتريها حدث يهز حياته ...

وعند ما بلغ القطار عند منتصف الليل السكان
الذى يقصده بلويرد أخذ حقيقته من الديوان المكتظ
الذى كان يجلس فيه مولياً وجهه شطرحياه الجديدة ،
وصل بلويرد إلى الفندق الصغير الذى عزم على الإقامة
فيه واسمه فندق فولكر (يالهكر الأندلس) وعند
ما ذهب إلى سريره لينام نظر إلى الحقيبة وسرعان
ما علت له الدهشة ، فقد كانت تشبه ولا شك حقيقته
ولكنها لم تكن هي بذاتها ، على أن بلويرد خفي
أن يكون غشياً في تقديره فحاول أن يفتحها بالفتاح
الذى لديه ، ولكن شيئاً حاول ، على أنه عند ما ضاعف
جهدته انفتحت فجأة ، وكانت أول نظرة ألقاها كافية
لأن تثبت له أنه لم يكن غشياً . نعم كانت الحقيبة
لشخص آخر ، أما حقيقته الأصلية وما فيها من
سقط الناع وهو كل ما يملكه فقد كانت في ذلك
الوقت تجوب الآفاق المجهولة حيث لا صاحب لها ،
ووجد بلويرد نفسه وهو الذى لم يصادف في حياته
مشاكل صعبة يحتاج لحلها — عاجزاً منذ اللحظة
الأولى عن أن يجمع في ذهنه فكرتين أثناء ذهابه

وهأنذا جئت إليك يا مستر هولز لتتقضى من هذا الوقت لأن المال المكتسب عن طريق غير شريف لا يأتي بفائدة

فضحك هولز وقال بلو بيرد عبارة لم أنهم مفزأها وهي : إنك سيد يا بلو بيرد وقد أتت السمادة كلها في يوم واحد ودق الجرس فجاءت مسز تيرز فقال لها : إن كانت الآنسة قد ارتاحت بما يكفيها ففضل بدعوتها إلينا

وعند ما دخلت علينا الآنسة المجهولة ووقع بصرها على بلو بيرد رفعت يدها إلى رأسها وقالت : آه يا رباه ! هل أنا في حلم ؟ فقال لها هولز : هذا خطيبك بلو بيرد جاء يسأل عنك . تماثقا في ذهول وانسحبنا لترك لها مجالاً ليت لواعج الشوق

وكنفت أنا في حيرة وارتباك فقال لي هولز : إن في حيلة العمر ما يفنى عن الحيل ، وعلبك الآن يا وطن أن تتمدد بملاج الفتاة من عادة إيمان الخنذر

وأكلنا جميعاً غداء هنيئاً إلى أن آن الموعد الذي ضربه هولز لمر وايبيج هلسنجورس الذي لم يكن سوى صاحب الحقبة ومسخر الفتاة ومموهاا الوردفين . فلما دخل قال له هولز : أين ذهبت شريكك ؟

فأخرج الرجل مسدساً ضخماً وهجم على هولز وكننت أسرع من البرق في نزع سلاحه وتقييده بالحديد ، وأجلسناه كالوحش الضارى بالمت أيها توجه

فقاله هولز : لقد كشف سرك ، فابان نسلك إلى البوليس ، وإما أن تتأد هذه البلاد آمناً ومتنازلاً

ملك أحد لموص الفنادق قوى النفوذ الواسع وكانت تصل إليه من شركائه ومن صديقة عزيزة كل أنواع المعلومات . وفهم بلو بيرد من آخر خطاب أرسلته صديقة ذلك الص إلى أنه يريد أن يضع حداً لنامراته ويلجأ إلى الراحة والرزقة ، وكانت الحيل قد يمت بضمن ضمهم . ولكنه فهم أن الص يريد أن يهرب من صديقه ليفوز بالنعمة وحده أو يتمطف عليها بنصيب زهيد ، بعد أن تاست منه عتاً شديدة وأخطاراً لا عد لها أمكن التلب عليها بهارة وشجاعة ، وقد سارت مدمنة للوردفين حتى تستطيع العمل في تلك المهنة الشاقة المخطرة

فقال له هولز بعد أن وقف منه على هذه المعلومات الثمينة : قبل كل شيء كن واقفاً على الأقل أن صاحب الحقبة سوف لا يأتي إليك ليستبدل حقيقته بالأخرى لأنه لا يحب أن يقبض عليه ، ومن أكثر الأمور احتمالاً إذن أن يلوذ الص هارباً يئدة بلو بيرد وحذائه وملابسه . فهذه الحقبة التي لديها نجمك وشريكك كـ المجهولة لدينا الذين اخترقنا الجدران والأسطح وتسلحنا بالليل البهم والسدس في قبضتكما لتدخل الفنادق الفاخرة فتخطئ سناديق الجواهر للوضوعة إلى جانب أصحابها السابحين في نومهم

فقال بلو بيرد : والى يزيد موقفي حرجاً أن صورة الفتاة التي عثرت عليها دلتني على خطيبي التي اختفت من بلدتي اختفاء غريباً منذ خمسة أعوام ولم نعد نراها ولا نعرف مقرها ولما عزمتم على ألا أخطب ولا أتزوج ما جعت حياً ، لعلها هي أيضاً تكون على قيد الحياة ومغلوقة على أسرها ،

الفصول والغايات

للفيلسوف الشاعر اللاتب

أبي العلاء المعري

طرفة من روائع الأدب العربي في طريقته ،
وفي أسلوبه ، وفي معانيه . وهو الذي قال فيه
ناقضو أبي العلاء إنه عارض به القرآن . ظل
طول هذه القرون مفقوداً حتى طبع لأول مرة
في القاهرة وصدر منذ قليل

صححه وشرحه وطبعه الأستاذ

محمد حسن نانزي

ثمنه ثلاثون قرشاً غير أجرة البريد
ويطلب بالجملة من إدارة مجلة الرسالة
ويباع في جميع المكتاتب الشهيرة

رفائيل

لشاعر الحب والجمال لامرئين

مترجمة بقلم

أحمد حسين الزيات

تطلب من لجنة التأليف والترجمة والنشر
ومن إدارة « الرسالة »
الثنى ١٢ قرشاً

باختيارك عن كل أموالك التي هي ثمرة سرتك ،
وهنا دخل بلويورد والفتاة . فلما استبان وابيضج
حقيقة موقفه تنازل عن ماله الفتاة وخطبها بمحض
اختياره وقال بالألمانية :

« إن مشيئة علوية هي التي أرادت حرمانى
ثمرة هذه السرقة ورد هذه الأموال إلى تلك التي
خاطرت بحياتها في الحصول عليها

وهأنذا قد أحسنت دفعة واحدة بإحساس
جديد واكتشفت في قلبي راحة خفية كانت ولاشك
نتيجة شعورى بالتوبة » فقال له هولز :

لقد تنازلت عن مطالبتك بلال الذي أقرضتك
إياه وهو بكفنيك وبفيض إلى أن تعود إلى وطنك
ألمانيا ونجد لك عملاً مريحاً شريفاً . وفككتنا عنه
وأعدنا له سلاحه فهنا شريكته السابقة وهي خيبتها
وخطبها وصحبته هولز إلى عمة السكة الحديدية وما زال
يشير له بيده حتى غاب قطاره عن الأنظار . وعاد
هولز يقول لى : إن المال صار الآن حلالاً ومشروعاً
لأن أصحابه الأسليين مجهولون ووضع اليد في النقول
يفيد الملك . وقد دفع الص السابق ثمن توبته

إلى الفتاة ، وأراد الله أن يجمع شملها بخطبها ؛ وأظن
أحدنا لن يذيع سر هذه المأساة التي انقلبت زخفاً ،
وخصوصاً الأنسة وصديقها الذي عثر على الحقيقة

ويعد أشهر كان بلويورد وزوجه يسكنان
قصرًا على شاطئ البحر بجوار بريطانيا ، وكانا يرتديان
أنفخ الملابس وآتهما وكان هولز يقول لى :

— إن سيادتي هي في إقرار المدل ورؤية السادة

ثم للآخرين

محمد لطفي محمد

باغراء فاقبهم الشاب وقال بسلام:

— فليكن ... سأؤجل

السفر إلى غد

فاقبهم الأسطى مسروراً

وقال له بخلاء:

— نعم أراي، وستري بمد

قليل عشيقتي تقوم بتشيل المور

الأول في رواية « اشمى ». وارتدى عبد المزن ثيابه وكانت تبدو عليه هيئة الطلبة الرقيقين الذين يندرون أن تنسجم (البدلة) مع قلوبهم ويبدو الطربوش غريباً على رؤوسهم . أما الأسطى فقد وقف أمام المراكبة في دل وقته وارتدى قفطانة الزاهي وجيشه البني الأنيقة ، وأمال الطربوش حتى مس حاجبه الأيمن وأمسك بمصاه المذهب اليد ، وتقدم قريبه بمحنتال في مشيته كالطاووس

والأسطى شلبي هذا بدأ حياته كصبي حلاق بسيط ثم استقل بصالون جميل أكاامنه رزقه رغداً، ثم اشتغل بالسمرة وصادفه فيها توفيق كبير فتمت أرباحه واستطاع أن يتفق عن سمة على عشيقاته المديبات من عجم روض الفرج

أما عبد المزن فهو ابن أحد أقرباء الأسطى شلبي للدمو الشيخ طه شيخ كتاب وواعظ المريش ؟ وقد جاء فتح مدرسة المريش الابتدائية متأخراً مما دعا ولاية الأمور إلى التجاوز عن شروط من القبول فالتحق بها عبد المزن وهو ابن ثلاثة عشر عاماً، وبعد انتهاء من تعليمه الابتدائي أرسله أبوه إلى قريبه شلبي ليتم تعليمه الثانوي ، مؤثراً بد القاهرة مع الأطمشان عليه في بيت قريبه على قرب الزقازيق مع إقامته وحده

روض الفرج

أقصي مصيرة
يقلم الأدب بنحيت محرقوط

اعتدل الأسطى شلبي في حليته وجبل بفنل شاريه النزين ورفع حاجبيه الكثيفين ويقول للشباب الجالس إلى يمينه على الكتبة:

— وما الداعي إلى التنجيل بالسفر ؟

فقال له صاحبه وهو شاب في الثامنة عشرة من عمره تدل قوة بنيتة الطيمية وسذاجة نظره على رغبته الفحة:

— وما الداعي إلى البقاء وقد انتهت من أداء امتحاني ؟

فقال الأسطى شلبي بتفلسف:

— وهل القناعة من الدنيا تنتهي بانتهاء امتحان النقل من السنة الأولى إلى السنة الثانية للثانوية ؟ ينبغي أن تروح عن نفسك قليلاً فإ المريش التي أنت ذاهب إليها إلا قطعة من البادية القاسية لا أثر فيها لمر والرح ... فقال الشاب:

— أخشى أن يلقن والدي لتأخري

— وماذا يضيره لو تأخرت يوماً آخر وقد ثبت عنه أنه عالم مدرسيًا كاملاً ؟ تعال نذهب معاً هذا المساء إلى روض الفرج والمشافق لمشاهدة تمثيل رواية « اشمى » وهي كوميدية غاية في الإمتاع والبهجة ... ما رأيك ؟

ومضك الأسطى شلبي وهو ينظر إلى عبد المزن

يجلسان فيه ، تبختر كأنها ترقص ، وتوزع النظرات
الناعسة بلا عدل ولا رحمة ؛ ثم رأها تسلم على الأوسلى
شلي وتقول له ضاحكة :

— كيف حالك يا رجل ؟

وسمع قريبه يجيبها قائلا :

— وما جدوى سؤالك عن حالى ما دمت
تلهمين مالى وصحى بلا رافة ؟

فضحكت ضحكة مثيرة وجلست تشارب الرجل
كأساً من الرىسى ، وكبر على عبدالمز أنهما لم تباله ؛
ورأت المرأة ارتباكاً ، فدمت يدها المكتنزة وقرصته
في خده وهى تقول :

— وكيف حالك يا نونو ؟

فاحمر وجه عبد المز استحياء ، وأحس باستياء
وشغل بشعوره عما حوله فلم ينتبه إلى ما دار بين
المرأة وقريبه ، وجعل يحتسب النظرات إلى وجهها
المتلى فأحس نحوهما بانجذاب عجيب ، والظاهر
أن المرأة لم تهمل لأنها طالت تداعبه فساتته :

— كم عشقت من النساء يا غلام ؟

وكان عبد المز يشمر بجمل إلى التحدث إليها
فأغضى عن سغريتها وسألمها بدوره :

— وهل يهلك أن تمرق ذلك ؟

— كيف لا ؟

— وله ؟

— لأسباب كثيرة أقلها أن أهرق عمرك

— وما علاقة العمر بالشق ؟

فتمزقت بينيها وقالت :

— نحن مشر أهل الهوى تقدر الأعمار

بحسب الحب ، مثلاً مثل المرأة التى تهتدى إلى معرفة
الأعمار بالرمل والنجوم ...

على أن الأسلى شلي لم يكن عند حسن ظن
الشيخ طه فكان يدعو أحياناً عبد المز إلى القهى
واقترح عليه مرة أن يعلمه الرد ليستينا به على
ترجبة أوقات الفراغ . وكان الشاب حكياً مجتهداً
فلم يستسلم لأغراء قريبه ، وكانت هذه هى المرة الأولى
التي يسلم فيها زمامه فذهب معه إلى روض الفرج
ودخلا كازينو البسفور لمشاهدة رواية « اشمسى »
وبدا الشاب بطيئاً في فهم النكت واللفشات وأخذ
يقلب عينيه بين الضاحكين في استغراب وحيرة ،
ولكن جذب عينيه إلى المسرح ظهور ممثلة قابلهما
الجمهور بصاففة من التصفيق والتهليل ، وكانت امرأة
قارعة طولاً وهزماً مزججة الحاجبين مكحلة العينين
عمرة الخدين والشفنتين ، تنوء بحمل ردفين قليلين
لا ريب برهقائها تلالاً ، بل ما أحرأها أن يجدا بها
لولا أن وازنتها البناية بشدين كبطيختين وإن كاتا
— بقدره قادر — فاهضين ، وكانت تنتق وتنايل
وتتخنت في كلاهما وتتكسر وكأنها تتأوه وتتوجع
والنظارة لا يكفون عن إبداء الإعجاب ويرقونها من
أعين الحساد ، وقتل الأسلى شلي شاريه بقوة
وزهو ومال على أذن صاحبه وهمس قائلاً :

— هذه عشيقى الآنسة نور الحياة .. أنظر !

وكان عبد المز ينظر بينين جشمتين فزاد ذلك

من مسرة الرجل فساد يقول :

— إن بعض الظرفاء ممن يرفون أنى المال

لقب هذه المرأة يقولون لى : « حقاً إنك لمن كبار

ذوى الأملاك »

وتقهقه الرجل ضاحكاً تياًها نفوراً

وفى أثناء فترة الاستراحة رأى عبد المز

المنثلة المستاء آتية صوب الركن المنزل الذى

فضحك الأسطى شلي وقال :

— إذا فبعد المزم لم يولد بعد على تقديرك

فضربت المرأة صدرها بيدها وقالت بانكار :

— ربه... ولم تحرم نفسك من الحب يا بني؟...

ألا ترى الأسطى شلي لا يبق من الهوى وإن رد
إلى أروذل العمر؟

فتناشبت شلي وقال عجباً :

— أيقال عني أم مثل هذا الكلام (ودخل شاريه

واستمر قائلاً) أهذا شارب وجل رد إلى أروذل العمر؟

فبعت ألاملها الخضبة بالخناء بشاربه وقالت :

— أقسم أنك سرقت هذا الشارب من زبون

شارد الفكر !

ولم يكن لدى المثلة متسع من الوقت لتسترد

في مداعباتها ، فشربت كأسها وحيث الأسطى

وقرست عبد المزم مرة أخرى وسارت رقص على

نغم موسيقاها الباطنة

واختم التمثيل عند منتصف الليل ، وانتظر

الأسطى شلي السيدة نور الحياة حتى انتهت من

تغيير ملابسها وعادت إليه وركب ثلاثهم كأكسى

انطلق بهم سوب المدينة . وفي أثناء الطريق كان

عبد المزم يحتلس من الوجه المتلألئ الجميل نظرات

جائعة ، وكانت المرأة تراقبه بين حين وآخر

لا تخفى عليها خافيته ، وقد وجدت لغة غريبة في

مشاهدة فقهه وتعبيره ، وأرادت أن تنفض عنه استهانة

فلم يطاوعها وجدانها ، وأخيراً أحسّت نحوه بطف

غريب لم تحاول إخفاءه . وبلغ التاكسى ميدان المحطة

فأمر الأسطى السائق بالتوقف قرباً يودعهما عبد المزم

الذى قدر له أن يسود إلى البيت وحده تلك الليلة ،

وأرادت نور الحياة أن تحسن توديعه فقالت : « يا عيني ..

أستود إلى البيت وحديك ... خذ هذه القبة لتؤنس

وحشتك »

ومالت نحوه بسرعة وقبلت فيه قبة فانحطت ذات

رنين عجيب

ووقف الشاب ينظر إلى التاكسى الذى ابتعد

بهما في جوف الليل إلى حيث لا يعلم ، وكان ذاهلاً

عموماً يتصاعد الهم إلى رأسه كما يتصاعد الزئبق في

الترموتر ، ويحس بالقبة على شفتيه ويدوى رنينها في

أذنيه ويشم رائحة القم المطر بالفرنفل ، واحتاجت

أعصابه تلك الليلة الفريدة في حياته فجعلت تخفق له

الأحلام وتدنى إليه الآمانى ، وأملت بين ذراعيه نور

الحياة بشحمتها ولحما تروى اشتهاؤه بفنون الحب جميعا

ولهى نحي اليوم الثانى رجع الأسطى شلي

إلى بيته وقد أدهشه أن يرى عبد المزم ما يزال قائماً

به لم يسافر ولا يبدو عليه هيئة المسافرين فقال له :

— ظننت أنك سافرت إلى الريش

فسأله الشاب بقلق :

— أيضاً بك أن أبقى مدة أخرى ؟

— كلا وألف مرة كلا .. على الراحب والسمة

حائماً ... ولكن قل لى بالله ما الذى حملك على تغيير

رأبك ؟

فقال الشاب مبتسماً مرتبكاً وهو ينظر بسينيه إلى

الأرض :

— روض الفرج دون غيره ! ليقنى أستطيع

أن أشبع من ملاهيه !

وقال الأسطى شلي لنفسه : ترى هو روض

الفرج حقاً أم نور الحياة ، على أنه لم يبال هيأه

واعتقد أنه بحث طفولة لا يقابل بشير المزم والسخرية

فأسطحه معه إلى روض الفرج . وكان تملق للسلام

وكان الستار مرفوعاً فسار به إلى مكان يطلان منه على الركن الأيمن الذى يجلس به عبد المزم يشاهد التمثيل فى الظاهر وينتظر نور الحياة فى الحقيقة، وقال الأسطى لى أذن الشيخ وقال هامساً :

— ستوافيه إلى هذه المائدة بعد قليل

فغضب الرجل حجره بيده فى حالة عصبية وقال بتأثر :

— ألا يكفيه أن ينشئ هذه البؤرة الفاسدة ؟
فقال الأسطى شلى بلهجة دلت على الحزن والأسف :

— إن ما يفتطره القلب حقاً أن عبد المزم كان شاباً عفاً طاهر الخلق

— فتهد الرجل بمسرة وقال كادهمش

— ولكن من أين له المال الذى ينفقه على ممثلة ؟
— أظن أن العلاقة بينهما لم تجاوز خطى التعارف الأولى ولهذا أميت بك أن تدركه ولا يهوى
— فقال الشيخ بلوم وجوزن :

— لقد سكنت عنه يا شيخ شلى أكثر مما ينبغي . كان يجب أن تحذرنى من بديء الأمر ...
— فقال الأسطى ييقين :

— أقسم بالله إنى ما علمت بسقطته حتى بددت إلى المكتبة إليك ...

— وغند فاك نزل الستار فوجه الرجلان انتباههما إلى الشاب الوليها ظهروه، وما لبثا أن رأيا نور الحياة تسير إليه فى مشية الأوزة المصرية وتجلس قبائته، ونظر الأسطى شلى إلى الشيخ طه فركأ ينظر إلى المرأة نظرة فاحصة ومحمه بصرخ صرخة مكتومة وبهتف بصوت مبحوح صرخيف
— يا رحمة الله ! وركأ يقف مرتمش الأوصال زائغ البصر، فاشفق من عاقبة اليهود وقال بتهوسل:

بنور الحياة بيتك لا يحتاج إلى دليل؛ أما الذى لم يدرك بجلد إنسان أبداً ولا كان عمل أحوال قط فهو أن تتملى المرأة بالانلام، ولو أنه من السلم به دائماً أن عالم الحب عالم حافل بالمفاجآت غنى بالترائب والمعجائب وكانت الظواهر تجمع على حب تلك المرأة المائلة لذلك الانلام الفرير فكانت تأنس به وتخف إلى حضنه وتماطيه نظرات حنان وصفى ومودة، وكان لسان حالها ينطق بالرغبة الحارة فى الانفراد به، وكانا يطلبان غفلة من الأسطى شلى ليتناجيا بنمزة عين أو بتفاسع صديريهما بلسة يده وفى أثناء ذلك لا تكف ركبته عن تحمس تغفها الكثير .. وحاول الأسطى شلى أن يهزأ به فى حضرتها أكثر من مرة فكانت تنفض وتنهره حتى ضاق صدره وجعل يقتل شاربيه ينفذ ويقول لنفسه بنيفظ « أينب هذا الشاب الذى يقف عليه الصقرا؟ ميهات ثم ميهات ... »

وفى أثناء ذلك استبطأ الشيخ حضور ابنه فأرسل إليه خطاباً يحثه فيه على العودة بلا إبطاء؛ وانتهز الأسطى الفرصة الهيبة فنصح الشاب بطاعة والده ولكنه أجاب — أو قلبه أجاب — « لا أستطيع » . وانفجر حقد الأسطى شلى فى كتاب حرره للشيخ طه كاشفه فيه بتدهور ابنه إلى الخفيض والفساد وصارحه بهيامه بإحدى بناتى روض الفرج، وأهاب به أن يدركه أو يتردى فى الهاوية إلى الأبد

وجن جنون الشيخ الواعظ فشد رحله إلى القاهرة فبلغها عصرًا، واستقبله الأسطى شلى استقبالاً دال على الاخلاص والمحبة، ولم يتردد فى مضى به إلى روض الفرج وكان يوسوس فى صدره بما يزيد غناؤه ويهيج بلائه، وانتهيا إلى كازينو البوسفور

— هدى روعك يا شيخ طه

ولكن الشيخ طه لم يستطع أن يهدى روعه وسار كالنرجس حتى وقف خلف ابنه الذى لا يحس به وألقى على المذلة نظرات وحش مقترس وألقت عليه نور الحياة نظرة احتقار عاجلة من النظرات التى تدخرها للمتطفلين، ولكنها علفت بوجهه ولم تبرح، وعبتا حاولت أن تحول عينها عنه كالسحوى. وجب الأسطى شلبي لما رآها تنلبسها حالة دهشة وفزع كذلك التى تلتست الشيخ طه حين وقوع نظره عليها غار لأمرها وقال لنفسه بقلبي « ليست هذه مسألة بيد المز »

وفى تلك الأثناء التفت عبد المز إلى الرواء فوقعت عينها على أبيه فجبد مكانه كالصنم ولكن أباه لم يباله كما توقع واكتفى أن أمسك يده بقسوة ووضعها في يد شلبي وقال بشدة لا تحتمل مراعاة: استبقاني إلى البيت .

— فضى الأسطى شلبي مع الشاب المرتب وهو يتمم : « خلصنا من الابن طلع لنا الأب »
— ولما خلا الجو للشيخ والمذلة قال الرجل باحتقار:

— السلام عليك أيها الفاجرة التى ما كنت أظن أن الله سينتلي برؤيتها مرة أخرى

— ولم ترد عليه المرأة الهائلة بل استكانت وبدأ عليها الدهول والقلق وتلق عقلا والشاب الذى ذهب فناد الرجل يقول بنفس الالهجة :

— حقا هذه هي البؤرة التى أعدت لأمثالك .

لقد كنت يوما ريفية بسيطة ولكن نفسك كانت ملوثة نيرا منها النفوس الرقيات جميعا . كنت فاجرة بالطبيعة والفطرة فكان من المحموم أن ينتهى بك اللطاف إلى روض الفرج أو إلى هاوية أشد وعورة . أيها الفاجرة

وكانت نور الحياة تفكر في أمور أخرى ألمتها عن الاصفاء إليه فسألته بخوف وإشفاق وهي تشير إلى الناحية التى ذهب إليها الأسطى شلبي وعبد المز :
— هل هو ... ؟

— ولم تقو على إتمام سؤالها فقال الرجل بوحشية :

— نعم ... نعم ... هو ابني ... بل هو الطفل الذى تركته في القفاط وفردت مع ذلك القصاب للنحوس غير آبهة بالأمومة ولا بالزوجية ... هو ابنك أيها الفاجرة فتولى ماذا صنعت ؟ ...

وايض وجه المرأة وعلاء الكركم وزاغ بصرها فقال الرجل بقسوة :

— هل وقت الجزية النكراء ؟ هل حدث الالم الأكبر ؟ هل سفلت يا فاجرة إلى مرتبة الحشرات والكلاب ؟ والله ما كنت أحب أن يشارك ابني في مثل هذه القفلة الشنماء ولكنه الانتقام الالمى الصارم أحمى بصرك وطبع على بصيرتك ليدبلك عقم الندامة ويضرب عليك المذلة والموان إلى أبد الآبدين

وكانت المرأة في حالة ذهول شديد حجب عن حواسها إدراك العالم المحيط بها ومنه الشيخ طه فنظت هواجس ضميرها صوت الرجل الرغى الزيد وجعلت تحدث نفسها

— إبنى ... دياه ... أهنا إذا سرحي له وعطى عليه ... إبنى ... لكاه حلم بعيد التحقيق فقال الرجل الناضب :

— فلتعقو كدبا جزاء إثمك الشنيع فأشارت المرأة إليه يدها إشارة غضبوا احتقار وقالت :

— كنى هنيئا ... قاه لم يقع بيني وبين ابني

فتر — كاتدر — على خمسة جنبها دسها في
جيبه وفر من البيت ...

وبلغ القاهرة ظهراً، وكان مضطرباً متمباً فاستراح
في مقهى حتى العصر، ثم ركب إلى روض الفرج
قال كازينو البوسفور وقصد إلى الركن اليهود،
ولكنه لم يجد عن بعد الأسطى شلى جالساً إلى المائدة
في اطمئنان ودعة ينتظر الحبيبة لا شك بصد أن
خلاله الجو، فقل الدم في عروقه وود لو يحسف به
الأرض، وحار لحظة قصيرة ثم لم يتردد، فقصده رأساً
إلى حجرات المثلثات وبحث عن حجرة نور الحياة
ولم يصبر حتى يؤذن له فاقترع بابها

وكانت مفاجأة غير متوقعة، فقامت نور الحياة
واقفة تاركة أدوات الكياج والتواليت تسقط من
يديها، وتبدي على أساور وجهها فرح قهري وكانت
تفتح له ذراعها وتضمه إلى صدرها الخفاف وتساطيه
قبل الحنان والأومة، ولكنها تنبت إلى نفسها
فتصلبت في وقتها وجمدت أساور وجهها وبدت
عليها الحيرة والدهول، ولم يكن لديها متسع للتفكير
والقدير، ولكنها أحست بأن الطريق الذي تدفعها
عوامتها إليه ليس الطريق الذي ينبغي لها سلوكه

ولم ترد حينئذ أن ترى في وجهها سوى الفرح
الذي كساه لأول وهلة، فأقبل عليها مفتوح الذراعين
ولكنها أغضت عنه وسانته بلهجة غريبة :

— عبد المزم ... ما الذي أتى بك إلى هنا ؟

فقال بلهجة المستنث وهو يشفق من تغيرها
إشفاقاً :

— أنت تعلمين بما أتى في فكيف تتجاهلينني ؟
ونفدت لهجة التوسلية إلى سويداء قلبها نفق
بشدة وكاد بطير من بين يديها، ولكنها ضغلت عليه
بقسوة لم تهدأ في نفسها من قبل وسكنت هنية
(٤)

ما ينجل منه أحداً أو كلاً

فاشد غضب الرجل للجنها وصاح بصوت
انفجاري :

— إياك وأن تقولوا ابنتك ... لقد ماتت أمه
حين ولادته ... أأفامه أنت ؟

ودوى صوته فالتفت النظارة إلى ناحيتهما من
كل صوب، وكانت تفقد المثلة صوابها، ولم تر بداً من
الانسحاب السريع، وغادر الشيخ مكانه ورجع إلى
بيت قريه الأوسطى شلى ولم يطمئن به المكان فأخذ
ابنه ومضيا إلى عظة مصر وفي أثناء الطريق قاله :

— لن ترى القاهرة مرة أخرى إن شاء الله ..

وسأحوك إلى مدرسة الزقازيق والله المستعان
وصمت عبد المزم فلم تنفرج شفتاه عن كلمة
وظل جامداً كأنه نائم حتى أدى إلى حجرة وكان
في قرارة نفسه غاضباً على أبيه ولله لو رأي الشيخ
وهو يختم صلاة ذاك المساء فيسط يديه ويدعو
ويتوسل ويذرف الدموع الساخنة لزما سكت عنه
الغضب وأجبرته حناياه على الذهاب إليه ليستغفره
ويسترحمه ولكنه كان لا يرى من الدنيا جيماً سوى
وجه عمتي مستدير حلو الالبسامة جرم الحبة والحنان
براه في النور وفي الظلام وبراه حين ينظر وحين
يشمض جنبتيه فهو لا يبرح تخيلته ولا يدع له فرصة
للراحة أو الاطمئنان، ولم يفكر قط في النسيان
أو التمزى ولكنه كان ينتهي الوسيلة إلى الفرار إلى
القاهرة مهما كلفه الأمر

ولاحته الفرصة الطويلة بعد أسبوع من وصوله
إلى الريش حين اضطر أبوه إلى سفر يقتضيه
التشيب بضعة أيام، ولم يدع الفرصة تفلت لأنه كان
عازماً عزماً أ كيداً أمات ضميره وهزم نوازع الخير
في نفسه ففتح صوان والده وبصر ما فيه من الثياب

- لنضبط عواطفها كيلا يظهر اضطراب وجدانها في نبرات صوتها ثم قالت :
- لا أنقه لما أقول معنى
- فتهد الشاب بحركة وترك ذراعيه يسقطان إلى جانبه وقال :
- أتيت لأنى لا أحتمل البعد عنك وليس في من قوة أستطيع بها التصبر أو التزمى ، فبينا حاولت أن أنيم لرجاء والدي وزنا ، وعبثا حاولت أن أسرف نفسي عن التفكير فيك ، وانتهزت فرصة سفر والدي لأولاد بالفرار ، ولم أحسن التدبير إذ كانت ظروفى غاية في القسوة فأخذت تقود أبى ...
- وأسكتته عن إتمام حديثه صرخة فرت من فم المرأة الخائفة للشفقة ، وسمها تساهه بالأم :
- هل سرت ؟
- فلم يحسن فهم الباعث لها على سؤالها وقال بتأثر شديد :
- نعم سرت ولست أسفا على ما فعلت لأنه كان سبيل الوحيد إليك ولن أتردد عن أى تضحية في سبيل أن أحظى بقربك ، وهامى ذى تقوى فاقبل بها ما تشائين ...
- ولكنها أشارت إليه يدها فأسكتته وسألته بجفاء يلم الله كم كفها من جهد وعذاب :
- هل يعود أبوك سرى من سفره ؟
- بعد يومين أو ثلاثة
- فتهدت المرأة ارتياحا وقالت :
- يبنى أن ترجع في الحال إلى بلدك لترد النقود إلى مكانها فلا يلم أبوك بجرمتك .
- ولكنه قال بجزع وخوف :
- هذا مستحيل . أنا لا أستطيع مفارقتك أبداً
- هذا كلام فارغ وعبث طائش والحب صريع الزوال ، أما أتر الجرعة فلا يزول
- قَالَ بِأَسْرَادٍ :
- لن أفارقك أبداً
- وخشيت إن هي لانت له وطاوعت قلبها أن تقضى عليه فقالت بصراحة :
- يبنى يا هذا أن تذهب سرى وإلا وجهت إلى تهمة محرّضك على السرقة
- فبت الشاب وأحس بخيبة مريرة وسألها :
- أهذا كل ما يهكم من أمر عودى ؟
- طبعاً ...
- آجدين في القول ؟
- وهل هذا وقت هزل ؟
- وفم كانت مودتك لى ؟
- وأى مودة هذه التى تهون على النفس ما تهدنى به جريمتك ؟
- قَالَ الشَّابُّ بِأَفْعَالٍ شَدِيدٍ :
- ولكى ارتكبت هذه الجريمة من أجلك أنت !
- لقد جئت أسراً نكراً ، وإن عشاق الكثيرين ليتوددون إلى بغير ارتكاب الجرائم
- فتهد عبد المزم تهدد اليائس للشيظ وقال :
- وإنا كنت تكذّبين ؟
- قَالَتْ وَكَانَتْ فِي حَالَةٍ مِنَ الْأَعْيَاءِ شَدِيدَةٍ
- أنت الذى أخطأت فهمي ... نعم إلى لا أنكر أنى ذكرت في حديثي معك الحب ولكنه كان حباً ريثاً كحب ... أمك مثلاً
- وكان دم عبد المزم يتل في عروق غلياناً وكان النضب يغور في قلبه وينفث أمام عينه سحائب من دخان كثيف فصاح بصوت مرتمش التبرات :
- لا تشبعي نفسك الآثمة بأبى الطاهرة فتقلقي رقدتها الآمنة بأنها الماهرة ...
- ولم يشف الكلام غليله فطعمها على وجهها ...
- في غيبوبة النضب — وبسقى عليها ...

عقله بجرا على التفكير، والتذكر، فساءل نفسه ماذا
فلت نور الحياة، مما استحق غضبي؟ ألا أنها توددت
لي؟ فهذه ستاعتها وفيها، أم لأنها أشفقت على نفسها
من عواقب جرمي؟ فهذا ما ينتظر من أي إنسان
مهما كان أدبه، وكان تهذيبه، وربما كان من العليبي
أن أغضب بعد أن منيت بالخير، وذبت فضيحتي هباء،
ولكن لم يكن طبيعياً قط أن أصب عليها جام غضبي،
وماذا فلت هي تلقاء ذلك؟ لأشيء، لقد لطمتها وبسقت
عليها فانذا فملت وهي القادرة على «الهدية»؟ لأشيء ١
ومضت الأيام تلو الأيام وانتظر على رجاء أن
يحول الزمن من نفسه تلك الذكري المؤلمة. وكان يجد
في أحماقه عاطفة غريبة لم يسترف بها قط وطالما غالط
نفسه فيها ولكن ربما غلبته على أمره أحياناً فيتهدد
حزناً ويقول لنفسه أسفاً محسوراً « ليتني لم أمدد
لها يدي بسوء »
نجيب محفوظ

ثم ولي الأديار فلم يقدر له أن يرى بشاعة الألم
الذي قلص أساره ها ولا الحزن الذي طغى في شخصه
على وجهها ولا آلاماً وهي تمسح بسقته بيدها ودمعها
ينهمل...

ومضى في طريقه لا يولي على شيء هائجاً، نائراً
كالروية، وركب القرام وتزل منه واستقل القطار
وهو يتحدث نفسه ويتهدد ويتوعد ويتجرح فصيح
للندم والأسف

وأراد الله ستره فأعاد النقود إلى مكانها وعما أمر
الجريمة بيديه ونجا من شر عظيم

وقد ظن أن المهرس القاسي الذي تملكه كغفل
بأن يبحث من نفسه كل ما كان من ميل أو عاطفة
نحو نور الحياة وأمثالها جميعاً، ولكنه حين عاودته
طائنته وسكونه وجد عقله ينزع به إلى روض
الفرج، وقد غالط نفسه وقام تزوجه ولكنه وجد

شركة مصر للملاحة البحرية

تمهد لكم السيل إلى بيت الله الحرام

بباخرتها الفاخرتين

(زم - زم و روض الفرج)

وقنا ادقها في

السويس - جدة - مكة المكرمة

وبك مصر يقدم لكم جميع الخدمات ويستبدل العملة ويحاسب المواطنين ويدفع الرسوم والمصاريف

استملوا من

شركة مصر للملاحة البحرية وفروعها بنك مصر وفروعها شركة مصر للسياحة وفروعها

ماض على نهجه اليهود - توقف
قلب « كاداميني » في سدرها
الصغير المدف بالحب والآلام عن
الحقوق وسكت سكتة الأبدية
الطويلة ، إذ توفيت المسكينة
« بسكتة القلب » ليلتشد على
حين غرة ...

وحمل الجثمان أربعة من الرجال سراً إلى حيث
يحرقونه بنير أن يجروا له شمائر الاحراق المروفة
حتى لا يؤخرم رجال الشرط حماري دون .. ومضوا به
إلى حيث يحرق أهل تلك المقاطعة موتاهم ، وهي
بقعة في فسيح من الأرض لم يكن فيها غير كوخ
صغير إلى جانبه حوض للماء وشجرة بسقة من
أشجار « اللبانين » وكانت ترى إلى ذلك آثار نهر
قديم كان يجري في تلك الأرض من زمن بعيد ،
ويظن الناس أن ماء الحوض ذاك قد أجرى إليه من
هذا النهر القديم فهم لذلك يقدرسونه ويتبركون به .
وأدخل الرجل الجنة في الكوخ ومضى « كارجان »
و « نيتاني » بلسان حطباً للاحراق وبقي الآخران
في الكوخ يحرقسان الجنة

وقد كانت ليلة حالكة شملت بظلامها كل شيء ،
وحجب سحباها المترام الكثيف النجوم في السماء ..
جلس الاثنان سامتين في الكوخ ، وقد خيا الصباح
ولم تجد المحاولات في إيقاده نفعاً إذ كانت علب
الكبريت وطبة لا حيلة في الاستفادة منها . وبعد
سكون دام طويلاً ، قال أحدهما :

— ما أشد حاجتنا الآن يا أخي إلى غليون من
التبغ ! لقد أنستنا السرعة أن نجبي بشيء من ذلك
فأجابه الآخر : إن في استطاعتك أن أركض

الحياة أم ميتة ؟

لشاعر الهندو فيلشوفسها لما غور
بسلم الأديب غريش شهاب السعدني

— ١ —

لم يكن « لكاداميني » قريب من آل أبيها
تسبحا رحمه ، ولا نسيب من عشيرة زوجها تتمسده
أو تمول عليه ، فقد أدرك أولئك الموت جميعاً حتى
لم يبق على أحد غير طفل صغير لحبها « سارادا سنكار »
أمير مقاطعة « راينيات » خلطته بنفسها ، ووطأت
له مهاد رأفتها منذ أن مرضت أمه بعد الوضع فكففته
هي وعينيت بأمووره ؛ والمرأة إذا ما احتضنت طفلاً
لنيرها عصفته خالص حبها الذي ما فوقه شيء ،
ذلك بأنها ليس لها عليه حق من حقوق القرى
أو النسب غير حق « المحبة الخالصة » .. والمحبة
هذه لا تستطيع أن تثبت حقوقها بالسك والوثيقة
التي تواضع « الاجتماع » عليها ، بل هي لا تريد
أن يكون إيمانها بهذا . وإنما تريد أن تثبت بالمحبة
القوية ، وتعيد بالحنو المضاعف من عند أمثال هذه
من النساء ^(١) .. وكذلك كان حب هذه المرأة
الغالب قوياً مضاعفاً ذلك الطفل الصغير ...
وفي ليلة من ليالي « سراجان » ^(٢) — والعالم

(١) من كتاب « من روائع طاغور » الذي يصدر قريبا
(٢) الاثنى ينظرن إلى الطفل نظرتين : نظرة الأمهالوم
ونظرة المرأة الحاية باحبارها إنساناً وريق القلب
شهر من المشهور الهندية كان مثباً في النسر
الانكليزي ؛ والظاهر أنه من مشهور الصيف التي تهب فيها
الرياح الوسيمة من ناحية الجنوب الغربي محملة بالأمطار الغزيرة
كما سير بالفاري.

البيئة ، فسخر هذان منها وشبها على أن تركا
واحبيهما المكلفين به ١

ورجع الرجال الأربعة من فورم إلى الكوخ
ولكنهم إذ دخلوه لم يجدوا فيه غير الفراش خالياً من
الجسد ! فاستولت عليهم الدهشة وحلق بعضهم في
في وجوه بعض ... أفي الممكن أن يكون قد أخذ
الجنة ابن آوى ؟ ولكن أين رشح الثياب الباقية ؟
وبحروجهم من الكوخ رأوا على الطين عند باب
الكوخ آثاراً ستيرة انطبعت عليه من أقدام امرأة
سارت من قريب على ذلك الطين

... ولم يكن « ساراداستكار » بالنبي ولا المجنون
ليصدق هذه القصة الخيالية التي سيفصون عليه ،
ولذلك عزموا — بعد تداول الرأي بينهم — على
أن يملئوا قلوبهم أنهم أحرقوا الجسد ...

وعند ما انشقق عمود الفجر ، وحيى بالطلب ،
زعم الأربعة الحارسون للقوم أنهم أنعموا الاحراق
— نظراً لتأخرهم — بحطب غير هذا احتطبوه !
وإذ لم تكن لجسد البيئة قيمة فيسرق ، فقد أهل
الجميع للسؤال عن كل ما يتعلق به ...

— ٢ —

ليس يجمل أحد أن الحياة قد تكون موجودة
في جسم من الأجسام في حين أنه لا علامة لها في
ذلك الجسم ، وأنها ربما عادت فظهرت علامتها في
ذلك الجسم الذي قد بدا عليه الموت ... وكذلك
كان شأن « كادامبيي » فهي لم تمت بل توقفت
أجهزة جسمها لنسب مبالغت مجهول ... ولما
أفاقت أدارت الطرف فيا حولها فلم تغير ظم ضاربة
أظنابها في كل مكان ! وفي لحظة خاطفة طمس على
ذاكرة « كادامبيي » وشموها ، فأذا هي لا تني
شيئاً مما حولها حتى لكأن هذا الوجود كتاب

إلى القرية فأجى بما نحتاج ...

وفهم « يدهو » سبب رغبة صاحبه « بنامالي »
في الدهاب^(١) فأجابها قائلاً :

— ويخيل إلى أني سأطول وسعدى في غضون
ذلك !

ثم انقطع الحوار ، وشمل السكون تارة أخرى ،
فكان الوقت يمضي في بطء شديد حتى لكأن
الدقائق الخمس تعدل ساعة كاملة ؟ وكان كل من
الرجلين يلتمس صاحبيه اللذين ذهباً بحجة الحطب ،
وبرتب في أنهما ذهباً لذلك . من يدرى فظلهما
يتداولان الحديث في موضوعات شتى في غيبتهم الأمين
ولم يكن يسمع في ذلك السكون غير صرير
الحشرات أو تقيق الضفادع التي بقرب الحوض ..
وبقاء خيل للرجلين أن الفراش قد تحرك قليلاً كما
لو كان البدن الذي فيه قد استدار من جنب إلى
جنب ... فارتجف كل من الرجلين فرقاً واستماد
بالله ما يرى !

وفي اللحظة التي انطلقت فيها هذان الحارسان
من الكوخ متجهين إلى القرية كانت ترتفع في جو
الترفة شهقة عميقة ! وبعد أن ركض الرجلان نحو
ثلاثة أميال وأقاما الاثنان الآخرين ، وما كان هذان
ليبينهما أمر الحطب ، بل كانا في الواقع قد ذهباً
لإجزام الوقت بالتدخين والكلام ، حتى إذا ما عاذا
زحما أن قطع إحدى الأشجار قد تم وأنه لم يبق
إلا أن تنشق الشجرة لتحمل بيد قليل ... ولكن
« يدهو » وصاحبه قصصاً عليهما ما رأيا من أمر

(١) وهو ما خيل إليه من أن الأرض مسكوة بالبن
والأخيلة والأرواح (النس الانكليزي)

يكن هذا حقاً — واستطردت تبرهن على كلامها السابق — فإن لم يكن هذا حقاً ، فكيف أمكنها الاقلاّت من قلة « ساراد سنكار » الحصينة إلى أرض « المحرقة » في منتصف الليل ؟ ثم إن شامرا الاحراق لم تنته فأين المكفون بإحراقها ؟ ثم استمادت مشهد ساعة موتها في دار « ساراد سنكار » فصح عندها — وهي في هذه الغلاة — أنها ليست من أفراد هذا المجتمع إنما هي مخلوق مرعب مشؤوم ، هي محض خيال ...

وبهذه الفكرة التي استنتجتها حسبت أن كل المرى التي كانت تربطها بهذه الدنيا قدوهت فانقصمت وخيل إليها أن بمقدورها — وهي صاحبة القوة الخارقة والحرية المطلقة — أن تفعل ما تشاء ، وأن تذهب حيث تريد ...

وُجِئتُ بوحى هذه الفكرة الجديدة فانطلقت خارجة من الكوخ بسرعة الريح ووقفت على أرض « المحرقة » وقد فارقتها كل ما كانت لها من آثار الحياء والخوف ... ثم لما سارت وأوغلت في السير نال قدميها اللتب ، وأدرك جسمها الأحياء فكانت تتخبط على غير هدى تارة في الحقول المنخفضة وطوراً تخوض إلى ركبتيها في المياه !

وسمعت عند انبثاق أول أشعة الفجر صوت بعض الطيور في ذوى الأشجار عن بعد — فاعتراها الخوف إذ ما كانت تدري نوع صلتها بالأرض وما هو عالم الأحياء ، فقد كانت إلى زمن يسير في الغلاة الفسيحة بأرض المحرقة ، وقد أسدل الليل عليها سحبه فظما . كانت شديدة الثقة والاعتماد متحكمة في مملكتها التي تخيلتها لنفسها ، ولكن ما إن أضاء النهار ، حتى ملأ الناس نفسها رعباً منهم ! ذلك

انطلمست حروفه وتداخل بمضها في بعض فليس إلى فهم ما فيه من سبيل ! ... إنها الآن لا تذكر أكان « الطفل » قد ناداها بصوته اللتب المستحب يستدعيها للمرة الأخيرة أم أنه لم يفعل من ذلك شيئاً ؟ بل هي لا تذكر أكانت قد ترودت في هذه السفرة المجهولة طينياً — بهدية من « مال الحب » تدفمه أجرة السفر إلى تلك الربوع العاصية ، أم أن شيئاً من هذا لم يكن ؟ ... هي لا تدري من كل ذلك شيئاً .

وما أرى إلا أنها حسبت هذا المكان الظلم حفرة القبر ، حيث لا يرى فيها ولا يسمع منها شيء ، وحيث الحركة منقطعة ، فليس إلى صنع شيء من سبيل ، بل كل ما هنالك ظلام تام يشمل كل شيء . ولكن عند ما هبت نفحة من الهواء البدي من جهة الباب ، ووصل إلى أذنيها تقيق الضفادع ، عاد إلى ذاكرتها كل شيء ، وعرفت صلتها بهذا العالم ...

وأثار وميض البرق الخاطف ما حولها فرأت حوض الماء ، وشجرة « البانيان » والبراح الفسيح وأشجاراً كانت تقوم على بعد ... رأت ذلك كله وتذكرت أنها كانت نجي إلى نفس هذا المكان في بعض الليالي القمرية لتستحم في هذا الحوض ، ولكن كان الموت فظيماً مروعاً حين قارنت ذلك الماضي بجنتها عمدة على أرض « المحرقة » !

لقد خطر لها — أول ما خطر — أن تعود إلى النار ولكنها وقتت تحاور نفسها : « إنني ميتة ، فكيف يمكنني أن أعود إلى البيت ؟ ستكون عودتي نكبة لهم ؟ فاني قد غادرت مملكة الأحياء ، وما أنا الآن سوى خيال ... محض شبح ... فإن لم

أحياناً، وسبب تلك المحسومات أنها كانت تريد أن توضح لصديقتها أن حبها لها لم يكن ذا نهاية ولا حدوداً، في حين أن «جوكيا» ما كانت تصدق أن حب صديقتها لها يساوى ما في صدرها لتلك الصديقة من الحب !

وكانت كل من الصديقتين مقتنعة بأن تلاتيهما — إن حدث مرة — فلن يفصمه الفراق ! وأجابت «كاداميني» المسافر قائلة :

— إن قاسدة إلى دار «سرياني» في «نيسندايور» ولم تكن هذه المدينة قريبة، ولكنها كانت تقع على طريق الرجل غمها إلى دار صديقتها. ولم تصرف الواحدة الأخرى يدى ذى بدء ولكنهما استعادتا — شيئاً فشيئاً — ملامح الطفولة التي كانت آكلها على وجهيهما تشاركاً

قالت «جوكيا» مخاطبة صديقتها :
— يا لَحْظ ! ما كنت أحلم بأننا سنلتقي أبداً، ولكن حديثي كيف جئت إلى يا أختاه ؟ كيف أفلتت من دار حبيك ؟ إنهم بطبيعة الحال لم يسمحوا لك بالخروج !

ولكن «كاداميني» ظلت صامتة ولم تجب ؛ ثم قالت أخيراً :

— أختاه ! لا نسأل عن حسي ، بل ذهني أنقبذ في دارك هذه زاوية ، وأحسيت في عداد الخدم ، فسأقوم بكل حاجتك ...
فصرخت «جوكيا» قائلة :

— ماذا ؟ أحسبك في عداد الخدم في داري ؟ أنت يا أعر صديقتي على ؟ أنت التي ... ومضت في حديثها على هذا النمط

ثم جاء «سرياني» زوج «جوكيا» فحدثت

بأن كلام من «البشر» و «الأرواح» يخاف الآخر، خوفاً منشؤه مسكني جماعات كل طائفة على جانب غفلت عن جانب الآخرين على ضفاف نهر الموت^(١)

— ٣ —

كانت ثيابها ملطخة بالأوحال ، ومظهرها — وهي تدج بالليل — وأفكارها الغريبة السود ، كل أولئك كان قدأ كسبها حياة امرأة عجنوة تاتي الرعب في قلوب الناس ، بل قد تفرى الأطفال على حصنها بالحجارة

وكان أول من رآها — لحسن الحظ — رجل مسافر اقترب منها حين وقت عينه عليها ، وقال :
— أيها الأم الوقور ... أين تقصدين بهذا اللطاف ؟

ولم تستطع «كاداميني» أن تجمع شتات أفكارها فتجيبه على ما سأل ، وإنما كان جوابه منها نظرة ألقها عليه وهي غارقة في بحر من الوجوم عميق ... لم يكن في حساباتها أنها ما زالت على صلة بأهل هذه الوجود بحيث يرونها امرأة وقوراً تستحق أن تسمع من مسافر سؤالاً يطرحه عليها ...

ثم استأنف الرجل قائلاً : تعالى يا أماء ساحلك إلى دارك فغيري أن تسكتين ؟

وفكرت «كاداميني» فيما عساه أن تقول للرجل ... لم يكن لها دار أب تآوى إليها ، كما أنه ليس من الصواب أن تعود إلى بيت حبيها بعد الذي حدث ... وإنها لذلك إذ ذكرت صديقة طفولتها «جوكيا» ... إنها لم ترها منذ أيام الشباب ، ولكنها كانت مع ذلك تراسلها ، وربما غاصمتها

(١) أي أن اللوث هو النهر الذي يجري بين أرضي هاتين الطائفتين فيكون حدودهما الطبيعة الجغرافية

لا يئله إدراكها ، أو هي — على الأقل — تتناساه
أو تلبسه صورة أخرى من عند نفسها فإن لم تستطع
أن تضمه في واحدة من هاتين التزلتين فليست هي
امرأة ... إذ أنها عندئذ تخسر طبيعتها النسوية !

كانت « جوكايا » كلباً أمنت « كاداميبني »
في الدمول — ازدادت هي شيقاً وتعبجاً كما كان
يثقل عقل صاحبها من الأفكار ... ثم نجم من بعد
ذلك خطر جديد ... إن « كاداميبني » أخذت
تخاف من نفسها ! وأين تستطيع من نفسها الهروب ؟
إن الذين يخافون الأرواح والأخيلة إنما يخافون
— في الواقع — ما وراء تلك الأرواح من أخطار
وهم خائفون دائماً أبناً حلوا ما دام بصرم لا يقع
على شيء ، ولكن خوف « كاداميبني » غير خوف
الناس ، إن خطرها الذي تحتشاه إنما هو في نفسها
هو ليس خارجاً عنها !

فكانت إذا خلت إلى نفسها في الغرفة ، إذا جن
الساء صرخت خوفاً ، وإذا رأت ظلماً في نور
المصباح ارتعدت فرائصها فرحاً ! وكان من ذلك
أن غم أهل الدار نوع من الفزع أفلتهم جميعاً ...
حتى كانت الأشباح تترامى للخدم ، بل و « لجوكايا »
نفسها أيضاً ...

وفي منتصف إحدى الليالي خرجت « كاداميبني »
من غرفتها مولوة باكياً ووقفت ياب غرفة
صديقها قائلة :

— أخشاه يا أخشاه .. دعيني أرقد عند قدميك
ولا تتركيني أنام وحدي !

وما كان سخط « جوكايا » ليقبل عن فرعها ؛
لقد كان يودها أن تطرد صديقها في كل حين من
الدار !

« كاداميبني » في وجهه طويلاً ، ثم اجتمعت عنه
على صهل ... ولم يكن فيها عمت علامة من علامات
الاحترام أو الأدب ؛ غير أن « جوكايا » اعتذرت
عن صديقها إلى زوجها من هذا التصرف للشائين ،
ولكن « سرياني » الذي كان يصدق كل ما كانت
تقوله زوجها — قطع حديثها عليها وتركها خارجاً ،
مضطربة قلقة البال

... عادت « كاداميبني » إلى صديقها ولكنها
لم تكن في الحقيقة أمامها وجهاً لوجه ، بل كان
الموت يفصلهما ، إنها لم تكن تألف الناس أو ترحح
إلهم ، ذلك بأنها كانت قد وقتت في حيرة من
« وجودها »^(١) هذا ، مع كونها بقيت مألوفة
شهورها وملكانها العاقلة ...

... كانت تنزو إلى صديقها وتطيل الفكر
وتحاوّر نفسها بهذا الحديث :

— إن لما زوجها وأعمالها . إنها تعيش في عالم
بميد من الذي أعيش فيه . إنها تسام في تحمل
الثبته والمسؤولية مع الناس في هذا الوجود ، بينما
أنا محض روح . إنها في عالم الأحياء ، وأما أنا ففي
عالم الخلود ...

وما كانت « جوكايا » بالراحة الطمئنة ،
ولكنها ما كانت تدرى سبب ذلك ، والمرأة لا تحب
« التأموس » أو الإجهام لأنه مهما تصور في صور
شئ من « شمر » أو « بطولة » أو « معرفة » ويبحث
فانه لن يكون في شكل .. أعمال « المنزل » وتدير
أموره^(٢) ، وذلك ما يجعل المرأة تصنف بكل شيء

(١) يقصد حياتها الثانية التي بدأت بعد موتها

(٢) أي أن الفوضى لا يلائم وطبيعة المرأة

وطدت «جوكايا» تقول لصديقتها :
 — أيتها الصديقة ، إن من الصعب عليك أن
 تبقى هنا بعد هذا ... ما تترك الناس قائلين ؟
 وتفرست «كاداميني» في وجه صديقها وقد
 استولى عليها الدهش ثم أجابتها :
 — وماذا على من الناس ؟
 ودهشت «جوكايا» مما سمعت ثم قالت بمحذرة :
 — إذا لم تكن لك بالناس علاقة ولا تماس ،
 فإن لنا بهم ما ليس لك . كيف نفسر وجود امرأة
 غريبة وتأخرها عندها ؟
 فسألها «كاداميني» :
 — وأين هي دار تحبي ؟
 قالت «جوكايا» وهي منزهة ، مخاطبة نفسها :
 — يا لول ! ما الذي ستقوله المرأة النكوبة
 بعد ذلك ؟

وفي بلاء شديد أجابت «كاداميني» :
 — وما ينبغي من أسركم ؟ أنا من أهل
 الأرض ؟ إنكم لتضحكون وتبكون وتحيون وكل
 منكم يحفظ بالي له ، وأنا أنطلق فقط ... أنتم
 بشر ، وأنا محض خيال ... روح ... إنني لست
 أقدر أن أفهم كيف أبقاني الله بينكم في عالمكم هذا !
 ... وكانت نظراتها وكلامها غريبيين بحيث لم
 تستطع أن تفهم «جوكايا» من مرادها إلا اليسير .
 ولم تكن بعد ذلك قادرة على طردها ، ولا على أن
 تسألها غير ما سألت ، وانصرفت مثقلة الرأس
 بالأفكار ...

... كانت عودة «سرياني» من «رانيات»
 في قرابة الساعة العاشرة مساء . وكان يشق وجهه
 الأرض سيل جارف من مياه الطر الماطل بنير
 (٥)

وبعد محاولات شق قام بها «سرياني» استطاع
 أن يهدي ضيقهم ويدخلها إلى غرفة مجاورة لتنام فيها

وفي اليوم التالي استدعت «جوكايا» زوجها
 إلى غرفتها وقالت تنفخ :
 — هل تدعو نفسك رجلا ؟ امرأة تهرب
 من دار حبها ثم تدخل بيتك وبعض على ذلك
 شهز وأنت لا تشير إلى ضرورة ذهابها ولا تظهر
 منك بادرة أو علامة تدل على هذا ! سأعدها ربة
 على لو فسرست لي نفسك ... إنكم مشر الرجال
 جميعا متشابهون ...

... والرجال باعتبارهم جنسا قائما بذاته — لم
 تحزب طبيعي ضد النساء على العموم ، وهذا ما يجعل
 النساء بحاسنهم وبياتن في الحساب
 لقد كان «سرياني» يقسم لوجه أن شعوره
 نحو «كاداميني» ما كان ليتبدى الحد الذي
 تقتضيه الشفقة والرأفة ، وإن كان هذا لا يتفق
 في الظاهر مع سلوكه معها . إنه يعتقد أن أهل
 دارها قد أساءوا معاملتها حتى لم تكدر تطيعهم وذلك
 ما دعاها إلى الاتجاه إلى هنا . أفلو كان لها أب
 أو أم أكانا يتركانها كذلك ؟ وعلى هذا فقد قال :
 — دعي الأمر كما هو ... وأنا لا أستطيع أن
 أؤلم هذه البائسة بأن أطلب منها الخروج من الدار
 ولكن «جوكايا» حاولت شق المحاولات
 لتحمل زوجها الغامل (١) على أن ينزل عند ما تريد
 حتى ارتأى — إحلالا للسلم في داره — أن يرسل
 خطابا إلى حبي «كاداميني» ولكنه رأى أن نتيجة
 الرسالة قد لا تأتي بالمطلوب . ولذا قرر الذهاب إلى
 «رانيات» ليجد الحل المقول
 وذهب «سرياني»

فأجابته زوجته قائلة : « إسبح إلى ... لا شك في أنك ارتكبت خطأ جسيماً فأما أنك ذهبت إلى دار غير دارهم خطأ ، وإما أنك لا تحاول أن تطلقى على جلية الخبر ما ذا الذى كانك كانك الذهب بنفسك ؟ اكتب رسالة وسيوضح كل شيء »

وكان « سرياني » قد آله عدم الطمئنان وزوجه إلى « حسن تصرفه » فاصطلع لذلك شقى البراهين ، ولكن بغير جدوى ... وبقياً كذلك حتى منتصف الليل فى أخذ ورد. ومع أنهم كانوا متفقين على إخراج « كاداميينى » من البيت ، ومع اعتقاد « سرياني » بأن ضيفته تخدع زوجها بمعرفتها المكذوبة ، وأن « جوكايا » زوجها تخونه فى هذه الضيفة بقبولها تلك المعرفة المكذوبة وإقرارها بضيفتها عليها ... مع ذلك كله فما توسل لا هو ولا زوجته إلى نتيجة ما ، إذ لم يكن أحدهما — هو وزوجه — ليمتد إلى تصار صاحبه فى الجدل ...

قال أحد الزوجين :

— إنما الآن لنى مأزق ظريف حقاً . اسمى أقل لك ، لقد سمعت الخبر بأذىً هذين فليس إلى تكذيب ما سمعت من سبيل !

فأجابته زوجته محففة غضبي : « وماذا يمينى بما تقول ؟ إننى أستطيع أن أبصر بأم عيني دون أن يساورنى الشك »

وبعد هذا الحوار قالت « جوكايا » لزوجها : « حسن ، فقل متى توفيت « كاداميينى » ؟ » تريد بذلك أن يجد فرق ما بين تاريخ آخر رسالة وردتها من صديقتها وتاريخ الوفاة ؛ ولكنها إذ علمت تاريخ الوفاة وجدته بعد آخر رسالة من رسائل صديقتها يوم واحد فقط ! وهال « جوكايا » الأمر وارتجفت

انقطاع ، حتى ليخيل للمرء أن ليس لهذا الهمتان حد ينقطع عنده ، ولا لهذه اليلة آخر تنكشف عنه وابتدرت « جوكايا » زوجها قائلة :

— حسن ...

ولكنه أجابها : « لى الكثير مما أريد أن أقول » قال ذلك وقام إلى ثيابه فغيرها ، وأكل عشاءه ثم جلس ليروح عن نفسه بتليون من التبغ . وكان خلال ذلك شارد البهن مشتغل الفكر ... وأما زوجته فقد كانت أثناء هذا تجمهد فضولها لتخفيه حتى إذا رآه استقر فى مقعده جاءت إليه فسألته :

— حدثنى الآن عما سمعت !

— إنك ارتكبت بالى اضطردنى إليه أشنع الخطأ ... !

وأغضبها ما سمعت ... ذلك بأن النساء لا يرتكبن الأخطاء ، أو من إن ارتكبتها فإن الرجل الماقل للفاضل لا يابه لذلك ، بل ربما كان الخير فى أن يتحملها على طاقته هو ؛ وعلى ذلك فقد تترت « جوكايا » مغضبة تقول :

— أباثر أن أسمع ما تقول ؟

فأجابها « سرياني » : « أجل ! فالرأة التى أذخيتها دارك لم تكن « كاداميينى » صديقتك ! » وأخفها أن تسمع هذا ، وأن تسمه من زوجها ، فأجابت :

— ماذا ؟ أأست أعرف صديقتى ؟ أكان على أن أسألك عن اسمها لتعرفها لى ؟ إنك لاهم حقاً ! وأنهما « سرياني » أنه لا لزوم للجدال فى سهراته وذاته ، فإن فى رسمه التبدل على حمة مازعم ذلك بأن « كاداميينى » صديقة « جوكايا » قد توفيت !!

خافقة الفؤاد ، ودخلت مستترة وراء قناع كثيف أسدنته على وجهها ، فلم يمتزحها أحد من البوابين حاسبين أنها من بعض الخدم .

وظل الطر ينهر ، والريح تصف بغير اعتطاع .. كانت ربة البيت - زوج « ساراداسكار »^(١) تلعب الورق مع أخت لها مترمة ؛ وكانت إحدى الخادومات في المطبخ . أما الطفل فقد كان راقداً في غرفة النوم . ودخلت « كادامبيني » الغرفة على صنيها دون أن تشعر أحداً أو تستلفت نظراً أحد ، وليس بدري لم اختارت أن تجيء إلى دار حمها ؛ بل إنها هي نفسها لم تدرك كيف كان ذلك منها ، إنما كانت قد تأقت إلى رؤية الطفل تارة أخرى . ولم تكن قد فكرت فيما تستعمله حين تنتهي من زيارة طفلها ، ولا أين تذهب .

رأت في الغرفة المنسارة الطفل راقداً ، وقد انكسرت قبضتا يديه ، وأنهكت بذنه الحصى الشد عاشق إليه فؤادها وظمأ إليه حين رأى راقداً كذلك آه لو أمكنها ضم هذا البدن المنضب إلى صدرها . وحالا خطرت لها هذه الفكرة : « لا لأحيا ؛ فمن سيراتي ؟ هذه أمه تحب « المباشرة » و « القليل والقال » كما تحب الورق ؛ إنها لم تكن تعلق له أو تنب من أجله على الأقل .. فمن رءاه الآن كما كنت أفل ؟ » . واستدار الطفل من جنب إلى جنب ، وصرخ - وهو ما يزال في نومه - : يا عمه ، أعطني ماء ...

إذا غيبها لم ينس بعد محبته ... وفي سرعة جنونية محمداً إلى شيء من الماء فسكبته في كوبة

(١) ساراداسكار هذا هو أمير مقاطعة « رانهايت » وهو بطلة القصة « كادامبيني » وأبو الطفل « ساييس » الذي عنث بتربيته

عند رؤيتها ذلك التاريخ ... بل إن « سرياني » نفسه لم يبق على رباطة جأشه

... وإتهم لكذلك إذ فتح الباب بئنة ، وهبت من جهته ريح ندية فأطفاقت الصباح فغيمت سدف الظلام على المكان كله وإذا « كادامبيني » تظهر في الغرفة .. لقد كانت للساعة الواحدة بعد منتصف الليل ، والطر ينهر في الخارج هتوفاً . فتكلمت « كادامبيني » قائلة :

— أيتها الصديقة ... إنني « كادامبيني » التي تمهدين . ولكني لست من عالم الأحياء الآن . إنني ميتة !!

فأما « جوكايا » فقد صرخت رجياً ، وأما زوجها ، فما كان قادراً على أن يتبس يفت شفة ... واستمرت « كادامبيني » تكلم حديثها :

— .. ولكن النجاة في بقائي ميتة .. إنني ما ارتكبت خطأ ؛ إنه لا مكان لي بين الأحياء ولا في عالم الأموات .. آه ، قالي أين آجبه ؟؟ وصرخت كأنها تريد أن توقظ العالم في ذلك الليل الدامس المطير سائلة هذا السؤال : « آه .. إلى أين آجبه ؟؟ » قالت هذا وخرجت تاركة صديقتها منفيك عليها في دارها المظلمة - تضرب في الأرض تنقش عن .. ماوأها !!

لعل من المصعب أن تقول كيف وصلت « كادامبيني » إلى بيتهم في « رانهايت » .. فقد تكلمت عند وصولها أولاً ولم تر نفسها لأحد ، بل قضت ساعة نهارها في مبد طال عليه القدم - تنضور جوعاً .. وعند ما عمت ظلم السحاب للماطر الكون ، ودخل الناس إلى بيوتهم فراداً من العاصفة المنتظرة جاءت « كادامبيني » مقترعة من دار حمها ،

— اختاه ... لم تخافون مني ؟ أنظرون إن

كما عهدتموني

ولم تطعن نخاعها صبراً وسقطت مصفرة الوجه
قد أغشى عليها ...

... ودخل « ساراداستكار » نفسه قصر

الحرم ، وقال لها أمارات الحزن والألم بادية على وجهه

— أهذا حسن ؟ إن « سايئس » ولدى الوحيد

فلم أرىته نفسك ؟ ألسنا جميعاً أهلك ؟ لقد أهلك

منذ أن ذهبت ، فكان يناديك ولكن بنير جدوى ..

إنك قد تأذرت العالم وقطعت صلاتك به ، وسقط

لك كل شئ الشرف والتكريم . وما احتملت

« كاداميني » أكثر من هذا فأجابت :

— أوه ... إلى لست ميتة ... آه كيف

أستطيع أن أدرك لك على أي لست من الموت ؟

إني حية ... إني أعيش ... قالت ذلك وتناولت

طاساً من النحاس فصكت به جبهتها فتفجر الدم

من جرحها ، فصرخت قائلة : « أنظروا ... إني

أعيش »

كان « ساراداستكار » قد وقف كمسورة ...

والطفل قد ملء دجاً ... وأما الرأكان فما زالتا

مضطجعتين ... ثم صرخت كاداميني :

— « لست ميتة ! لست ميتة »

وزلت السلم إلى بر في قصر النساء وألقت

بنفسها فيه ...

... ومن الطابق الأعلى سمع « ساراداستكار »

صوت ارتطامها في البر

كان الطريق يحد طول الليل والنهار الذي أعقبه

إلى الفجر .. إلى الظهر .. لقد ماتت « كاداميني »

وموتها برهنت على أنها لم تكن في الأموات !

« بناد » فخرى شهاب السعدي

قربتها من صدرها ثم قسمتها له ليشرب .

ولم يكن الطفل يستشعر الثرابة في أخذ الماء

من اليد التي اعتادها من قبل ، ما دام لم يصح من

نومه تماماً

غير أن « كاداميني » أرضت شوقها للبلع

بتقبله ثم هزته ليستأنف رقاداً ، ولكن الطفل

استيقظ وناقها :

— أقيمت يا عمة حقاً ؟

— نعم أيها الحبيب

— إنك عدت ثانية ، فلا تنوح نارة أخرى

وقبل أن تتمكن من أن تهبه على ما قال باغتتها

المسبية ، إذ دخلت إحدى الخاديمات بكوبة مليئة

بالخساء ... ولكنها ما إن دخلت حتى أسقطت

ما في يدها ... وسمعت ربة العمار الصوت^(١) فجاءت

إلى الثرفة ! فاذا بها تهف كالغشبة المسندة لا تقدر

على الفرار ولا الكلام . وأبصر الطفل كل هذا فهاه

الأمر وصرخ باكياً :

— إبتعدى يا عمة ... إذهبي ... إبتعدى !

ولكن ، الآن فقط أدركت « كاداميني » أنها

لم تمت !

إن الثرفة هي الثرفة الأولى ، والأثاث هو

الأثاث القديم ، والطفل هو يمينته الطفل ، وحبها هو

حبها الأول ... كل أولئك قد عاد إلى « الحياة »

كما عادت هي !

كانت قد عرفت في دار صديقتها — أن

« كاداميني » صديقة الطفولة قد ماتت . أما الآن

فقد علمت — وهي في غرفة طفلها — أن « العمة »

لم تمت . وقالت « كاداميني » بصوت يهيم عن الألم :

(١) يقال لهذا الصوت في البرية « الدم »

السَّيْكِيَّة

للقصصين الفرنسيين ج. دي. م. ب. س. أ. س. أ.
يوسف كمال الدين

— جد مليح . ثم لا ذت
بالصمت وأخفت تقشر البطاطس
وتديرها في حلق ومهارة ، بين
أصابع يابسة عقداً مبروقة ،
تشبه أرجل السراطين ، وفي يدها
اليمى سكين عتيقة مثقلة لانكاد
تقطع الجبن

وحين فرغت من البطاطس ،
وأخعت لائحة صفراء ، ألقت بها في قدر مملوء ماء .
فأنا دجيجات وأفراخ تسمى إليها لافة مقوقة ، ثم
تختلس ما تبقى في حجرها من قشور البطاطس ،
وتتراكض في خبث عنها وفي منازك كل منها ما غنمت
من قشور

كان للم « شيكو » يقرب هذا المنظر في سأم
وضيق وفي نفسه أمر ، وعلى لسانه كلام يجتهد في
انتراعه ، وأخيراً وفق فقال :

— ألا خديبي أيها الأم « ما كلوار »
— وما عصى خبرتك به ؟
— ألا زلت ترفضين بيني ومرضعتك ؟
— هذا أمر قد فرغت منه أيها الملم « شيكو »
فلم إقلاقي به مطلع كل صباح ومهبط كل ليل ؟
— ولكني بإسديتي وجدت حلاً للمسألة
إن رضيت به خرج كلانا راضياً بصفقة غير أسف
ولا منيون

— وما هو هذا الحل ؟
تبيسني أرضك ثم تحتفظين بحق استثمارها
ما بقيت في قيد الأحياء ، أفلا رضيت هذا أيضاً ؟
فشتلت المجوز عن تقشير البطاطس ، وراحت
تري الرجل ينظر حاد عتيف تحت جفنين خلتين
أجمدين . ثم قال الرجل مفسراً :

— إنك إن رضيت بهذه الصفقة تسلمين في
متنتي كل شهر مائة وخمسين فرنكاً أحلها إليك في

وقفت العربة ذات الحصان الواحد أمام مزرعة
الأم « ما كلوار » تحمل الملم « شيكو » خمار
« دي به فيل » وهو رجل في العقد الرابع خشن
المزاج هائل الخلقة أحمر الوجه بلين سمين ، في وجهه
سبا الخبث والكر

هبط الرجل سلم العربة ، ثم ربط حصانها
بخشبة معترضة ومشى إلى ساحة المزارع
كانت الأم « ما كلوار » تحتك أرضاً تجاور
مزرعته ، طالما تشوقت نفسه إلى ابتياعها منها ،
وضمها إلى أرضه لولا أن كان يصده عن هذه الرغبة
تمصب من المجوز عنيد وتصلب شديد . وكانت تقول :
— إني ولدت في هذه الأرض ، وستجني
تربها ...

ففي هذا الصباح ألقي المجوز ، وهي درديس
في الثانية والسبعين من عمرها ، أمام باب منزلها
ممنية بتقشير « البطاطس » كانت منكشة الجلد ،
جافة اللحم ، منضوخة الوجه . وبرغم ذلك كانت
دائبة على عملها وكأَنَّها في ربيع الممر

تقدم منها الملم « شيكو » ودبت على كتفها في
دعابة ثم قال :

— وصحتك أيها الأم ، هل هي جيدة وأبدأ جيدة ؟
— أجد الله ، وأنت أيها الملم ؟
— بخير ، ولولا قليل من الألم لكنت هاتك
راضياً

عربي. أتدبرين قولي؟ أتفقهين حديثي؟ مائة وخمسون فرنكا ثم لا تبدل بك حال، ولا تتغير حياة، فستظلين في حديقك آمنة السرب رافعة العيش لا يدريك أحد ولا تدينين لأحد، ولا تملين أسراً، ولا تنصين نفسك لمل. إلا أن يكون استلام مائة وخمسين فرنكا، مطلع كل شهر، عملاً شاقاً يكبد وينصب. قال هذا ولفظ ينظر إليها فرحاً مستبشراً وفي وجهه الطيبة والصلاح والسكينة... والمعجوز تلحظه حذرة متيقظة. وقد كبر في وعها أنه خادم لها وناسب لاستياد مزرعتها أحبولة من ألفاظ منمقة مزودة. على أنها سألته في حيث:

إنك لتؤكد لي أن المزرعة ستظل في حوزتي فهل بلغ من أريحيك أن تبرع لاسرة معجوز بهذا الراتب الضخم دون قاذرة تعود عليك؟ قال للملم شيكو وقد أدرك ما تنطوي عليه غمرة المعجوز لا أقبل عليك يا سيدتي في شأن الأرض، فلسوف تظلين خيراتها وتتغنين بشماتها ما مد الله في حياتك المزرعة. غير أنني أرجوك أن تكنتي لي حقاً شرعياً، بخولني حق امتلاكها بعد عمرك الطويل إن شاء الله. ولبنت المرأة وهي تصني لفظ الملم مأخوذة دهشة حائرة لا تمك لأبها إراماً ولا نقضاً، ولا لموقفها من الرجل إجابة ولا رفضاً، وأخيراً قالت:

إنه لا يسنى رفض اقتراحك، فلا أنظرني أسبوعاً آخر أتبصر أسرى وأروى رأيي. فأطاع الملم «شيكو» ثم غادر الأم فرحاً غوراً، كأنه الملك الحبار، استولى على بلد عدوه بالحديد والنار... أما الأم «ماكوار» فقد أمضت أيامها ساعمة حالة، لا يستقر جنبها على مضجع، ولا يزور جنبها سبة من قوم. ثم استشرت بها حمياً التردد وعصفت ناز الحيرة فكادت وطن نفسها على الرفض التام، لولا

أن ذكرى المائة والخمسين فرنكا الطنانة البراقة، التي توشك أن تتدحرج على حجرها مطلع كل شهر، كانت تلهب رغبها الخالدة وتذكي أطماها الهامدة وأرادت أن تضع لثريها حداً، فحضت إلى السجل الشرعي تنفض له جملة حالها وتستنصحه في أسرها. فأشار إليها بالأطمئنان ونصح لها بالرضى بحل الملم «شيكو»، ولكنه اشترط عليها ذلك، أن يضاعف لها الراتب فيجمله ثلثائة بدلاً من مئة وخمسين فرنكا لأن مزرعتها تساوي في أقل ثمن ١٦٠ ألف فرنك. ثم قال لها في أضفاف حديثه:

— لن عمرت خمسة عشر عاماً، فلن ترزقي صاحبك أكثر من أربعين ألف فرنك... فاستقلت جسم المعجوز هزة من الطمع حين ذكرت الثلثائة فرنكا التي سوف تحظى بها رأس كل شهر. ولكنها على ذلك ظلت حذرة مبيلة الخاطر، تنوشها المواجه، وتتوزعها الوسواس؛ فهي تتوقع حيناً مفاجأة مفاجئة وآناً مكيدة مستورة، لا تبصرها ولكنها تحسها. ولبنت حتى النساء تناقش للسألة بكل حل، وتواجه المقترح من كل جهة. ثم، ثم لم تستقر على عزم ولم توجه جهة من الرأي.

وجاءها الملم شيكو يستطلع رأيها ويستعلم غرضها الأخير فأتهت إليه قرارها النهائي، بازوم رفع مرتبتها الشهري، وحين رأت هزة الاختناق تركب أوصاله، وكان النبط تحتدم في عينيه، وبواد الرغص تتوافد على لسانه، أظهرته على قائمة السنين التي يمكن أن تعيشها بعد هذه الصفقة فقالت:

— إني من الزهن ورقة العظم واشتغال الشيب بحيث لا أستطيع الانتقال إلى سريري إلا مستندة إلى الأذرع، أو محمولة على الظهر ومعهما يتدنّى خيط الهرم، فانه تحيط المنكبوت

عربي. أتدبرين قولي؟ أتفقهين حديثي؟ مائة وخمسون فرنكا ثم لا تبدل بك حال، ولا تتغير حياة، فستظلين في حديقك آمنة السرب رافعة العيش لا يدريك أحد ولا تدينين لأحد، ولا تملين أسراً، ولا تنصين نفسك لمل. إلا أن يكون استلام مائة وخمسين فرنكا، مطلع كل شهر، عملاً شاقاً يكبد وينصب. قال هذا ولفظ ينظر إليها فرحاً مستبشراً وفي وجهه الطيبة والصلاح والسكينة... والمعجوز تلحظه حذرة متيقظة. وقد كبر في وعها أنه خادم لها وناسب لاستياد مزرعتها أحبولة من ألفاظ منمقة مزودة. على أنها سألته في حيث:

إنك لتؤكد لي أن المزرعة ستظل في حوزتي فهل بلغ من أريحيك أن تبرع لاسرة معجوز بهذا الراتب الضخم دون قاذرة تعود عليك؟ قال للملم شيكو وقد أدرك ما تنطوي عليه غمرة المعجوز لا أقبل عليك يا سيدتي في شأن الأرض، فلسوف تظلين خيراتها وتتغنين بشماتها ما مد الله في حياتك المزرعة. غير أنني أرجوك أن تكنتي لي حقاً شرعياً، بخولني حق امتلاكها بعد عمرك الطويل إن شاء الله. ولبنت المرأة وهي تصني لفظ الملم مأخوذة دهشة حائرة لا تمك لأبها إراماً ولا نقضاً، ولا لموقفها من الرجل إجابة ولا رفضاً، وأخيراً قالت:

إنه لا يسنى رفض اقتراحك، فلا أنظرني أسبوعاً آخر أتبصر أسرى وأروى رأيي. فأطاع الملم «شيكو» ثم غادر الأم فرحاً غوراً، كأنه الملك الحبار، استولى على بلد عدوه بالحديد والنار... أما الأم «ماكوار» فقد أمضت أيامها ساعمة حالة، لا يستقر جنبها على مضجع، ولا يزور جنبها سبة من قوم. ثم استشرت بها حمياً التردد وعصفت ناز الحيرة فكادت وطن نفسها على الرفض التام، لولا

وجهة الحيلة للخلاص من ظلمة المعجوز المشؤومة ،
وأخيراً ظفر بما يرجو فنفا عليها يوماً يطر من
البشر والسعادة ، ويصفق يديه من الفرح والرح ،
وبعد أن ناقها برهة حديث الجمالة والود قال :

— ألا أقول لي أيها الأم ما كلوادر فيم امتناعك
عن زيارة متزلي حين مرورك على حانة «إيدي فيل»؟
إن الحديث فيه ليلذ ويتع ، وأنا هناك وبلا لاسف
مقلوع الصلة من الصديق ، مثبت الوشيجة من
القريب ، لا يؤنس وحشني زائر ، ولا يمر على جابر.
فزوريني إن تكرمت وكلني ما طاب لك فلتسمرتك
مالاً ولا مكافئك دفع طعام أو شراب.. زوريني في
زيارتك تشيع البهجة في قلبي وينتشر السرور
في حاري

وفي لندن لم تكلفه الأم إعادة الاستراحة ،
فراحت إليه في هربتها ، والشمس لم تنادر خدرها
الوردي ، وحين بلغت الحانة ربطت حصان العربية
في الاصطبل ، ثم دخلت عليه طالبة اللنداء الموعود
لم يكذب يصدق عينيه العلم شيكو ، وراح ينشط
في خدمتها ويجهد في مرضاتها ، كأنه أمام سيدة
نبيلة لا قروية مجنونة ، ثم أخذ يفتن في تقديم فاخر
الأطعمة والأكال وغرييض اللحم ، من الطير المهر ،
والسلح الجحر ، ولحم الخنزير المشوي ، وأصناف من
الخصار والفاكهة والفاصوليا ، ولكنها لم تصب من
هذه الآكال الدسمة إلا ما يوافق مذهبها المعجوز
التي اعتادت الاكتفاء بحساء اللحم الرقيق ،
أو قطع الخبز المنموسة بالزبدة ، وأخ الرجل وعزم
عليها . ولكنها لم تأكل مضفة ولم تشرب جرعة
حتى القهوة امتنعت عن تناولها . وأخيراً قال لها وهو
يتناولها قدحاً من «الكوكيناك» :

— أو ترفضين أيضاً هذا القمح ؟
— أما هذا فأقبله دون أن أقول لا . فرفضت

وشيك الانبثاق سريع الاقطاع . وهل بعد
الثلاثة والسبعين عاماً التي تفر كاهل حياة ترحى
أو عيش ينتظر ؟ وقاطعها العلم منيفاً فقال :

— إنها لمحاولة فاشلة منك يا سيدتي أن تصطلي
المعجوز وتظاهري بإقطاع المنة . فني أن منجل الموت
لا يعرف سبيله إلى شجرتك قبل أربعين سنة في
أقل تقدير، وإن أراهم على أنك أنت التي ستولين
دفعي ، فما هذا الخوف والغزع من الموت ؟

وتصرم عمر النهار في الجدول والنقاش والأخذ
والرد، وجهد العلم «شيكو» الجهد كله ليقتنع المعجوز
بالنزول عن طلبها الجائر للرفق فما عاد بطائل. وحين
لم يجد مندوحة من إجابتها رضى مكرهاً بدفع
الثلاثمائة فرنك ... وغبرت ستين ثلاث وصاحبنا
المعجوز كالسروة الشقيقة لا يزيدنا اللزق إلا صلابة
وجلداً على الأيام ، حتى ينس العلم من موتها وخيل
إليه أنه مرغم على دفع مرتبتها الضخم نصف قرن
أو يزيد ، وأن صفقته كانت هي الخسارة الثبوتية ،
وأنه لا بد موف على الخراب سائر إلى الافلاس إن
ظلت مهادنة للصداقة والود بين المعجوز وعزرائيل
متينة المرى

كان يتردد على المرأة الفتيمة بعد الفتيمة بحجة
السؤال عن فضوح الحفظة ، أو الاستفسار عن موعد
الحصاد ، فكانت تستقبله في خبث ، وفي نفسها
للشبهة والفتنى وفي مآرب وجهها صورة الاختصار
والزهو للردود المضحك السلي الذي لبتته على مسرح
بلاهته وغفلته . فكان يرتد سريعاً إلى عربته ويجمجم :
— وإذن فليس في نية هذه البهيمة أن تموت ؟
لم يكن يعرف لمشكلة حلا ولا لمقدمة أزمته فكأ .

فكانت تمر به ساعات يود فيها لو أموى على عناق
المعجوز تخفقه ، وروحها فازهقه ، بما في نفسه منها
من التيقظ والحنق والوجدة ، وظل زمناً يلتصق

أركان الحانة بصوت الملم يقول :

— « روزالى » أينها العريضة . احلى لنا كلى
فاخر ممق من الكونياك . وظهرت الخادمة تضم
إلى صدرها زجاجة طويلة مشوكة اذدانت فوهتها
يطابع الكونياك الفاخر . فتناولها الملم شيكو
وأفرغ منها قدحين ، ثم طلى المجوز أحدهما . قائلا :
— إنه لكونياك لذيذ شهير ، أفلا تذوقينه
ياسيدي ؟

فتناولته الأم « ماكلوار » شاكرة وطفقت
تتساه جربات سنيرات ، كي تطيل مدة نشوتها
وانبساطها . وما إن فرغت من القدح الأول حتى
أفرغ لها الملم قدحا ثانيا . فاهضت عنه أولا
ثم أكرهها المضيف بالقول اللطيف والجميل الطريف
والثكنة الستملحة . وكان عازما على إردافه بثالث
ورابع لولا أن حالته برقصها وامتعها .

— ولكن هذا ياسيدي ليس خيرا إن هو
إلا حليب مصفى ، أبتلع عشرة أقذاح منه دون أن
يشتمنى السكر أو تذهب بزقارى النشوة ، لا يكاد
يستقر في الجوف كالسكر اللذاب حتى يتبخر في
الجسم دون أن يجد طريقه إلى الرأس . وليس
كثله شيء لصحة الجسم وإتصاف النشاط . فدعا
ذلك المجوز إلى أن اجترعت نصف الكأس الثالثة ،
ولم تجرؤ على استنفادها لأنها شمرت بفعل السكر
بأطرافها ، وتلاب الخمر بأعطافها . فاهضت إلى
هربتها ومضت ... وغدا عليها صاحبنا في هربتها
المزوفة ذات الحصان الواحد وحسين استقر بهما
الجلس أخرج من جوف المربة برميلا صغيرا ، فيه
خمر الأسس ، ثم جلسا يسيان سيرة البارحة ، ولما
استقر في جوف كل منهما ثلاثة أقذاح ، غادرها
الملم قائلا :

— ما أراى بحاجة لأقول لك إن الخمر التي

أبقيتها لك تكفيك مدة . فإذا فرغت منها فستدرك
الذيذ المتقى لا أبجل عليك به ولا أضن . وكلا
الحدث في الطلب ألح على السرور وطبت نفسا ...
وأب إليها بعد أيام أربعة ، فالفها على الباب
منية بتقطيع الخبز الذى تمده للخصاء ، فاقترب
منها أنقا لأنف ويدرها بتحية الصباح ، فنفتحه
منها رائحة « الكحول » ومالت خياشيمه . هنالك
أشاه وجهه بنور البشر والقوز ثم قال :

— ألا تقدمين لى قدحا من الكونياك ... ؟
وجلس الاثنان يماقران الخمر ويشرب كل منهما
نخب صاحبه ... ولم يطل الأمر بالأثم « ماكلوار »
حتى شاع عنها أنها تماقر الخمرة متخيلة لنفسها .
وفي الحق كان الجيران يلقونها إما مستغنية أمام
مطبخها وساحة دارها لا تنى ، أو منطرحة في الطرق
والشوارع لا تحس ، فيحملونها إلى بيتها جثة
لا حراك فيها ولا وحى ...

ولم يمد الملم شيكو يتردد إلى بيتها فكان يقول
للجيرة راثيا :

— إنه لما يمتئ الأسي أن تدمن هذه المجوز
الشراب وحى في أردل العبر ، مع أن الخمر تسجل
خطواتها إلى القبر !

وفي الحق لقد وجدها أهل القرية ميتة على
بساط الثلج صباح عيد الميلاد عقيب سكرة انكليزية
أبليت فيها البلاد الحسن ...

وورث الملم « شيكو » أرضها كما خوله الصك
فكان يقول :

— لو لم تلتف هذه المجوز للبلاء صحتها بسموم
الخمر لماشت عشر سنين آخر !

(حلب) كمال الحريص

حاجي بابا اصفهاني

لکائنات لایحیائی بنی جہن مور
بقلم الأستاذ عبد اللطیف النشار

أمكن انتابهم على شيء فلا يجوز أن
يؤمنوا يا صاحب الجلالة على حياة الملوك
الشرقيين . وانظر كيف فعلوا في الهند
وكيف أذلوا أحكامها . وإني لأرجو يا جلالة
الشاه أن يحفظك الله من شر دوائهم فأنهم
إنما يرسلون الأطباء طعمة سياسهم »

ولحت له بأنهم يريدون قتله لاستعمار بلاده
وأشرت إلى ما اشتهر من إجرائهم عمليات جراحية
لحكام الهند وموت هؤلاء الحكام على أثر العمليات .
وقد تمكنت من إقناع جلالتهم بهذا القول فوعدي
بألا يقبل منه دواء ولا يستشير في أي مرض .
وقال إنه سيدعوني إلى مقابله عند ما يرسل إليه
الطبيب الأجنبي الدواء لكي أغصه وأخبر جلالتهم
عن اللواتي تركب منها »

ثم قال لي ميرزا أحمد : « وبالرغم من هذا القول
فاني أعتقد يا حاجي بابا أن جلالة الشاه سيجرب
دواء الطبيب الأجنبي وأنه سيجد له أحسن تأثير
فكيف يثق في بعد ذلك ؟ ومن الذي يأتي ليبادتي
إذا طردني الشاه ؟ »

فوعده بأن أفضل كل ما في وسعي لمساعدته
ضد هذا الطبيب الكافر

وبعد ثلاثة أيام دعي ميرزا أحمد مرة أخرى
لقابلة الشاه لفحص الدواء الذي قدمه الطبيب
الأجنبي إلى جلالتهم ، فتكلم عنه كلاماً غامضاً ختمته
بأن هذا الطبيب طبيب سفارة لمؤلة أجنبية وأن
هذا يدل على أن واجبه واجب سياسي قبل كل
شيء . واقتنع الشاه بأن يمرض الأمر على مجلس
وزرائه .

الفصل الحادى والعشرون

ميرزا أحمد عند الشاه

لما عاد ميرزا أحمد من عند الشاه في مساء ذلك
اليوم استدعاني فوجدته مهتاجاً أشد الاحتياج .
ولما وصلت إليه قال : « أدن مني ! أدن مني ! »
وقال لي محسباً : « هل تصرف يا حاجي بابا أن هذا
الطبيب الذين قد عرف الطريق إلى جلالة الشاه
وأنة كان معه في صباح اليوم ؟ لقد تقابل معه دون
أن أعلم وأنا والطبيب الخاص لجلالتهم . وظهر لي أن
ثقة الشاه كبيرة به وأنه شكأ إليه من أمراضه القديمة
التمددة وهي فقر الدم والربو وعسر الهضم ؟ فسأله
الطبيب أسئلة كثيرة جاءت كلها مطابقة للواقع في
وصف أمراضه وأعراضه مما جعل الشاه يجب كل
الاحجاب بدفته في تشخيص المرض وبوزارة مائة .
ثم طلب أن يعمله جلالتهم ثلاثة أيام يراجع فيها
كتبه . واستدعاني الشاه في السماء وسألني عما
أعرفه عن أطباء أوروبا وعن رأيي فيما يصفونه من
الدواء فلم أزد في إخبار جلالتهم برأيي وهو
أن هؤلاء القوم ليسوا أهلاً لتقنتنا لأنهم يكذبون
نبينا ويأتون التكرات ولا يعرفون الطهارة من
النجاسة ويشربون الخمر . وقلت لجلالتهم إنه إن

الخاصة فذهب النديم وما يحمل الصندوق على طبق من الذهب

فنادى الشاه رئيس أطبائه وأمره بأن يدور به على الوزراء مبتدئاً برئيسهم ثم بمن يليه في الدرجة . ويقدم لكل منهم جزءاً منه فقبل ذلك وأخذ كل من الموجودين ما ليس به حاجة إليه من الدواء بمقدار الجرعة العادية التي يساطها لو كان مريضاً وأخذ جلالاته يراقب وجه كل منهم ليعرف الأثر الذي انطبع عليه وهو يتماثل الدواء ثم دار الحديث عن شئون أوردبا ، فسأل جلالاته الموجودين أسئلة متعددة فأباه كل منهم جواباً أكثر ألفاظه في مدح الشاه والدواء له

وفي هذه الأثناء أخذ تأثير الدواء يظهر شيئاً فشيئاً وكان أسرعهم تأثيراً وزير المالية الذي كان يفتح فم ليتكلم بشيء فيصيبه الكلام وتظهر على وجهه علامة التيب الشديد فأنجحت إليه كل الأنظار ثم ظهر الاصفرار الشديد على وجه أمين الملك وتلاه وزير الداخلية . وأخذت ترسم على عينيه علامة التوسل والفراغة لكي يأذن له الشاه بترك المجلس وبعد قليل ظهرت علامات المرض على سائر الموجودين إلا رئيس الوزارة الذي أخذ يسخر في نفسه من آلامهم

ولما تبين الشاه تأثير الدواء في جميع وزرائه أمرهم بمخادعة القصر ثم التفت إلى رئيس الأطباء وطلب إليه أن يحدنه عن هذا الدواء فوجد الرجل هذه الفرصة سانحة وأخذ يصف الدواء بشر الأوصاف مرتكناً إلى ما عاينه الشاه من تأثيره السيء في وزرائه قال لي رئيس الأطباء بعد عودته من عند الشاه : « لقد كان سلطاني كبيراً يا حامي بابا على جلالاته

وفي اليوم التالي عقد مجلس الوزراء كالعادة فجلس جلالاته على العرش وجلس حوله الوزراء وهم على حسب النظام الحكومي في هذه البلاد : رئيس الوزارة ووزير المالية ووزير الداخلية وأمين الدولة وحاجب الملك ورئيس الحفلات ومدير المركبات الملكية ورئيس الأطباء ، ويلهم كبار القواد وبدأ الشاه خطابه بالتكلم مع رئيس الوزارة عن ذلك الطبيب الأجنبي الذي عرض خدماته على جلالاته وقال إن هذا الطبيب حضر اليوم إلى القصر وقدم إليه دواء قال إنه لم يهند إليه إلا بعد أن قضى ثلاثة أيام كاملة في مراجعة الكتب الطبية . وأكد أن هذا الدواء أقوى أثراً من كل حجاب وطلمس .

وقال جلالاته إنه استدعى رئيس أطبائه واستشاره في أمر هذا الدواء فأعرب له عن شكه وارتياحه لأنه لا يمد أن يكون هذا الأجنبي مستخراً من قبل دولته الأجنبية لقضاء مآرب سياسي خصوصاً وهو طبيب سفارة .

قال جلالة الشاه وقد كان يرفع صوته أكثر مما تقتضيه به ضرورة إسماع الجميع : « وقد رأيت أمام هذه النصيحة أن أجمع وأستشيركم لتخبروني رأيكم ورأيتم أن أول عمل يجب أن نعمله هو أن يساطي كل واحد منكم جزءاً من هذا الدواء ليجرب تأثيره في نفسه قبل أن يشير على رأي فيه » فنهض رئيس الوزارة وسائر الوزراء بحياة جلالاته وبدوام الصحة والعافية له وقالوا إنهم يمدون أنفسهم سمداء إذا غموا بأرواحهم من أجل جلالاته .

هند ذلك أمر الشاه بإحضار الدواء من غرخته

عاد الطبيب في اليوم التالي من القصر الملكي ويكاد وجهه يتلظى فرحاً وسروراً وقال لي : « ما أكرم صاحب الجلالة وما أرق طباعه ! لقد بلى اليوم بالبشر والحفاوة وأثنى على مواهبى ولعن الطبيب الأجنبي ودعاني إلى الشاء » قلت : « ومن في البلاد الفارسية أكرم من جلالة الشاء ؟ ومن في أطباء العالم يضارع ميرزا أحد ؟ إنهم إن أرادوا أن يستفيدوا علماً وحكمة فليس لهم أن يأتوا ليستلموا منك »

عند ذلك بدت على وجه الطبيب الضرور ابتسامة الرضى . وأخذ يقتل شاربيه ويمسح ذقنه وقلت له : « إن شاء الله جعل لي نصيباً من جاهك وشهرتك فاني بجانبك كقطعة من الحجر ملقاة بجانب الورد فمن الذى ينتظر إليها ؟ »

قال لي الطبيب : « لماذا تسكم بهذه الهمجة يا جليى يا ولماذا تبدي اللأس ؟ » قلت له : « هل تأذن لي أن أقص عليك قصة تتل حال ؟ »

فلما أذن لي قلت : « كان هناك كلب يشبه في كل أحواله الذئب حتى أن الذئب أنفسها كانت تنخدع فيه وتأخذ به البقاء في زمرتها وكان يشاركها في قتل الخراف وأكل لحومها . ولكنه كان يصير مع الكلاب كلباً مثلها . ثم لاحظت الكلاب اختلاطه بالذئب ففترت منه . وأدركت الذئب أنه كلب فصارت تخافه وتقيه . ورأى الكلب أنه أصبح منفرداً مهجوراً فلا الكلاب تقبله في زمرتها ولا الذئب تسمح له بالبقاء بينها ، فزعم حزماً أكيداً على أن يترك قلبه ويقرر واحدهم من الاثنين فاما أن يصير كلباً وإما أن يصير ذئباً — أنا أيها الطبيب مثل هذا الكلب فانك تسمح لي بأن أجلس معك وأدخن وأكل فانك لست أعلى من منزلة ، وأنت تستشيرني وتركن

وسترى في اللند أن ذلك الطبيب الذى أراد أن يضحك منا سيعلم الخوف بدلا من السخرية . وسيعلم من نحن معاشر الفرس . لقد كان يريد عزلى من خدمة الشاء وأن يتولى علاجه بدلى . ولكن من لهذا الأحمق بمن يملئه أننى خلقت للمالحة الشاء وأن الشاء خلق لكى أحاطه . إنه يفاخر باختراعاته الحديثة ولكن ما قائمة هذه الاختراعات ؟ هل خلق الله أمراضاً حديثة ؟ إننا نعرض بما كان يمرض به آبؤنا ونعالج بما كانوا يعالجون به وحسبنا ذلك . إننا لن نصف دواء لمرضى غير ما كان يصفه ابن سينا لمرضى في مثل حالته

ثم أخذ رئيس الأطباء يستوثق منى لأمنيته في تدابير أخرى على منافسه الطبيب الكافر كيما يتيق له مكنته في القصر الملكي . ثم أمرنى بالانصراف بعد أن حدثنى بما شاق به صدره

الفصل الثمان والعشرون

ما جرى بابا يخاضى رأياً من الطبيب

كنت إلى ذلك الوقت أحمل الطبيب الفارسى معاملة الصديق الصديق لا معاملة التابع للتعنوع ، وكان راضياً بهذه المعاملة لأنه كان يسمح لي بالجلوس أمامه وبأن آكل معه وأدخن ولكنني وجدت الاستمرار على هذه الخلطة لا يتفق مع ما أدرجوه من الكسب ولم أكن قد نلت من ماله غير القطعة الذهبية التي تقدم ذكرها ، وكانت الطواغر كلها تمل على أنها آخر ما سأخذ منه وإن كانت أول ما أخذته ، فزمت على أن أكله في الأمر فانهزت فرصة سروره لا تنصاره على الطبيب الأجنبي وأخذت أبت شكائى إليه

لقد صدق السمدى حين قال : « لا تنفوا بصداقة اللوك ولا بأصوات الأطفال، فان صداقة الملك تتغير بين يوم ويوم، وصوت الطفل يتغير بين ليلة وليلة » وهنا تنبه الرجل إلى أنه قال ما ليس ينبغي أن يقال . وغلب خوفه من أن يجلد على حزنه على ضياع الطومانات فسكت مقطبا

ووجدت أن الفرصة ليست سانحة لاستئناف الحديث الذى تتكلم فيه فأجلته إلى فرصة أخرى واكتفيت بالألا كون كايا ولا ديا

الفصل الثالث والعشرون

هاجى بابا يجب

زاد سخطى على حاضرى وشكى فى مستقبله، وكانت أيلى وليالى تنفخى بلا حمل، ولم تبق بنفسى رغبة فى تعلم صناعة الطب، ورأيت أيلى فى ميرزا احمد يصف شيئا فشيئا حتى همزت على تركه لولا مصادفة لم تكن منتظرة أرجستى عن هذا الزم وكانت هذه المصادفة أنى رأيت فتاة فاستولى حبها على قلبى حتى صرت أعتقد أن «الجنون» فى أشد حالات جنونه لم يكن أكثر تعلقا بلبلاء منى بذلك الفتاة

مضى الربيع وجانب من فصل الصيف ودفعت الحرارة أكثر الناس إلى ترك مساكنهم فى داخل العمور وفرش السجاجيد فوق الأسطحة ليناموا عليها؛ وكنت أكره أن أنضى الليل مع الخدم والطباخ، وهم ينامون عادة بفرقة فى الدور الأرضى فتمت فى شرفة تطل على الجزء الداخلى من منزل الطبيب وهو الذى تقيم فيه السيدات

كان الجزء الذى تطل عليه هذه الشرفة حديقة

إلى كائن واحد من أصدائك . ولكن ليس فى أصدائك من يكاد يقتله الجوع غيرى . ولست أستفيد من صداقتك كما تستفيد أنت منى؛ فأرجوك إما أن تصرفنى عنك فلا نمود إلى طلي، وإما أن تجعل لى راتبا؛ فان الشاعر عسكر خان قال لك عني إني أريد عملا أكتسب منه ولم يقل لى أريد صديقا »

قال لي الطبيب : « أجعل لك راتبا ؟ أنا لم أعط راتبا قط لواحد من خدي ولكنهم يأخذون ما يستطيون : خذ من الرضى الدين يأتون لىادنى كما يفعلون . ولكننى أعطى كل واحد من أتياى نوبا جديدا فى عيد النوروز فسانا تريد منى أكثر من ذلك ؟ »

وفى هذه اللحظة جاء رسول من قبل الملك يحمل هدية إلى الطبيب فوقت الطبيب وقفة الذى أصيب بالنشج وهتف بحياة الشاه . ثم أخرج من جيبه قرشين (القرش عند الفرس يبادل نصف ريال مصرى) وأعطاهما لحامل الهدية فرفض أن يأخذها بزة وإياه، ودفع طومانا فرفضه كذلك، ولم يزل يزيده حتى عرض خمسة طومانات فقبلها وخرج غير شاكر لأن من حق الرسول الذى يحمل هدية أن يأخذ لنفسه مقدارا من المال قد يكون أكبر قيمة من الهدية نفسها

ولما ابتعد ذلك الرسول استولى النشج على الطبيب فقال كلات لو بملت سمع الشاه لأنافه الويل وكان مما قاله : « أهدي هذه ؟ إنها لا تليق بمرسلها ولا بمن أرسلت إليه . انظر ياأخى ماذا بث به الشاه ! إنه بث إلى طبق من الطعام فن الذى أخسبر جلالتة أتى جائع ؟ إن قيمة الهدية لا تعدل فهل هذا ما دفعته لرسوله . جزاء ؟ هل هذا كافى ؟

إن الحب ليس جريمة وإن عينيك سحرنا قلي . بحق أمك التي حملتك أرفى النقاب عن وجهك لأنظر إليه مرة أخرى »

قالت بلهجة أرق من الأولى وبسوت أعذب :
لماذا تستعطفني على ذلك ؟ أليس من المحرم على السيدات أن يكشفن وجوههن أمام الرجال الأجانب ؟ إنك لست أباً ولا أخاً ولا زوجاً ولست أعرفك . ألا تحجل من غمطية أجنبية عنك ؟ »

وفي هذه اللحظة وقع قلبها كأنها كان وقوعه مصادفة ورأيت وجهها أجمل من قبل ، وكانت عيناها سوداوين واستتين وأهدابها طويلة . وكان حاجبها مقوسين قوياً يديماً متصلين فوق الأنف اتصالاً مغرباً قاتناً .

وكان أنفها أقوى صغيراً ، وفها ضيقاً رقيق الشفتين عليه إقباسمة عذبة ، وفي وسط ذمها « غمازة » لطيفة ، ولم أر في حياتي شيئاً أجمل من شعرها الأسود وغداؤها الطويلة المتمسدة على ظهرها ، وقد كانت في الجملة مثالا للجمال والرفقة . وفهمت عند رؤيتها أشياء كثيرة كنت قد قرأتها ولكني لم أفهمها من قصائد الشعراء ، وعرفت أنني أستطيع أن أنظر إلى وجهها إلى الأبد دون أن أشعر بشيء من الملل . ولكن نشأ بنفسى شموه قوى يدفعني إلى تسلق الجدار ولس جسدها النض ، وكدت أفضل ذلك لولا أن سمعت صوتاً يناديه باسم (زينب) وكان هذا الصوت عالياً حاداً كرره قائلة دلالة على فقدان صبره ، فذهبت ، وبقيت في مكان مدة طويلة . منتظراً عودتها ، وأصغيت على أسمع صوتها وهي تكلم من كان يناديه ، وقد ظهر لي أن هذا الصوت هو صوت زوجة الطبيب التي لم تكن من السيدات

حولها غرف تكاد تكون منفصلة عن سائر المنزل يدومها « مسكن الحرم » وكان مفروساً في هذه الحديقة أنواع الفاكهة والورد والياسمين ، وكان لأسقف هذه الغرف حواف ممتدة تظلل جزءاً كالاتار حول هذه الحديقة ، وفي هذه الظلال كان يجلس من في المنزل من السيدات على سجاجيد فارسية بدية الصنع مفروشة فوق إفرز خشبي مربع أمام أبواب الغرف . وكنت قد رأيت عدداً من سيدات القصر ولكن ليس فيهن مثل التي رأيتها أخيراً ، ولو كنت أعرف أن فيهن مثلاً لتجبرت النظر إلى مكانهن حتى لا أقع في حبال عينها الساحرتين

وكان من سوء حظي أنهن رأينني وأنا أطل عليهن في اليوم الذي وقع نظري فيه على الفتاة فصرخن وزجرنني ولتبنين بأفصح الأقاب وأقساها ، ولكنني بعد هذه المرة لم أكف عن الاطلاع عليهن وصرت أكثر حذراً من أن يرينني كذلك وهن مجتمعات

وكانت الفتاة التي ملكت على قلبي مشاعره طويلة الشعر تسدل على جبينها خصل منه وتحن بعض وجهها في حين أن الأيمن التي تراها شديدة الظل إلى التحلي بكل جزء من محاسنه

وكانت يدها صغيرتين غصوبتين بالحناء وقد ماها كذلك ، فقد رأيتها وهي في منزلها تغني حافية . وظللت أنظر إليها حتى فقدت سيطرتي على نفسي لما استولى على من الإعجاب فتحررت حركة نهبتها فنظرت إلى ووضعت النقاب على وجهها فرأيت أجمل صورة يمكن أن يتصورها إنسان ثم قالت بلهجة رقيقة وأدب : « لماذا تنظر ؟ أليس هذا عيياً ؟ »

قلت : « أستحلفك بحق الحسين ألا تطرديني .

الوقت إلى أن رزقني الله مالا فاستمتع نفسي بذلك الحب، وإذا اتقنى الأمر تحمل غرم فليتحملة الطبيب بالنيابة عني .

وقبل الموعد لبست ثيابي وتأقنت أكثر من المادة ورجلت شمري بعناية شديدة وأقننت ربطة الحزام وأملت عمامتي إلى جانب رأسي وخرجت من البيت قاصداً الحمام .

وبعد الاستحمام تطورت وقضيت جانباً كبيراً من وقتي في التئام ومشيت في المدينة بلا قصد غير قطع الوقت حتى يحين الموعد

وأخيراً اتعتي النهار وكان صبري يقبل شيئاً فشيئاً، وكان من سوء حظي أن الطبيب تأخر عند الشاء، ومن أجل ذلك لم يتم الخدم مبكرين كما دهمهم فقد كانوا مضطرين إلى انتظاره حتى يفرغ من طعامه لكي يتمشوا بفضلات مائدة . ولهذا السبب لم أستطع الذهاب إلى زينب في الموعد المحدد

ولما هدأت أنفاس النائمين وسطع نور البدر ذهبت إلى النافذة وكان مدين الصبر قد فاض . ولما استوتقت من أنه لن يراني أحد أطلت من النافذة فرأيت بها أوراق التبغ المخضراء وإلى جانبها سلة بها جزء مرتب من هذه الأوراق وسائرها غير مرتب في الرفرة ففرت أن زينب كانت ترتبها ولكنها لم تنم عملاً

دوت ببني في أرجاء للفرقة فلم أجده الفتاة وتنعنعت صرعين فلم أسمع جواباً ثم سمعت زوجة الطبيب تتكلم همساً ولكن حدة صوتها جعلته يحترق الحوائط ويصل إلى مسمي، ولم أتبين في مبدأ الأمر موضوع الحديث ولكنني في النهاية سمعتها تقول بصوت واضح : أنتكلمين عن الشغل يا بنت

الراقيات الرقيقات . وعكنت من إخضاع زوجها لها كل الخضوع .

واتعتي النهار وكنت على وشك العودة إلى فراشي فسمعت صوت تلك الزوجة ينادي : « يا زينب يا زينب ! إلى أين تذهبين ؟ لماذا لم تذهبي إلى فراشك ؟ »

ثم سمعت صوت الفتاة يجيبها، ورأيتها بعد ذلك تدخل للفرقة التي كانت بها في أثناء النهار ولكنها لسوء الحظ لم تمكث طويلاً حتى أمتع عيني برؤيتها بل أخذت سلة كان فيها بعض الفواكه التي جمعتها من الحديقة وخرجت من الفرقة وقالت لي بصوت خافت وهي تتأد للفرقة : « تعال في مساء الند » فجرت عذوبة صوتها في دماي وشمعت بإحساس لم أشعر به من قبل واهتزت أو صالي كانهتز أو صال الحموم، وذهبت بعد ذلك إلى فراشي فساورتني الحى إلى أن طالعني الشمس في الصباح

الفصل الرابع والعشرون

عاجي بابا بقابل زينب

عرفت في النهاية أنني وقت في حبال الحب وقلت في نفسي : « سأعرف القيلة من هي التي أحبها، وإذا كانت من أسرة الطبيب فليهم منزله على رأسه إذا أنا لم أعلم كيف يكون شديد الرقابة على أهل ذلك المنزل

أما من حيث زواجي بها فإن ذلك أمر لا يخطر بالبال . ومن ذا الذي يرعى أن يزوجني ؟ إنني لا أملك ما أشتري به حذاء فكيف أحصل على تكاليف الزواج ؟ ولكن إن شاء الله فسأصبح قادراً على الزواج في يوم من الأيام . ومن هذا

« أنا كردية من اليزيديين والناس يزعمون أننا نبعد الشيطان ، ولكن الحقيقة ليست كذلك وإنما نحن نخاف الشيطان ، وأى إنسان لا يخافه ؟ إننى أود أن أرى تلك السيدة بين الجبال لكي أريها ماذا تستطيع الفتاة الكردية أن تفعل »

حاولت بكل قوتى أن أمزيها وأن أقنعها بالصبر حتى تنهيا لما فرصة للانتقام ، فقالت لى إنها يائسة من سنوح الفرسة لأنها صراخبة أشد المراقبة وأنها لا تكاد تنتقل من غرفة إلى أخرى إلا بإذن سيدتها وقالت لى : إن هذه السيدة كانت من جوارى

الشاء وإن الطبيب تزوجها بأمر من جلالتهم واضطر بتأثيرها إلى ترك زوجته الأولى ، وأن هذا الطبيب من أسرة وضيمة وأنه يمانى آلاماً شديدة من سوء أخلاقها وشدة كبريائها كأنها كانت تعد نفسها فى ماضيها سيدة من سيدات القصر الملكي لا جارية من جوارى ، وأنها لا تفارق فى المعاملة بين زوجها وبين الحيوان وتطالبه بالخنوع والتسليم فى كل شيء . وأن الطبيب لا يجرؤ على الجلوس أمامها حتى تأذن له ، وهى فضلا عن ذلك شديدة التبرع وتراب فى علاقة زوجها بكل جارية ، وأن الطبيب يناقل زوجته ويستمر الضعف الانسانى فيقضى وطره من كل خادمة جميلة وقالت لى زينب إنها هى نفسها موضع جبه وإجبابه وإن سيدتها لذلك تنار منها ولا تركها تتحرك أقل حركة دون أن تراقبها أشد المراقبة ، وقالت لى إن جو البيوت التى وسعها كهذا الوصف جو دسائس

ولما كنت لا أحرف من نظام البيوت الفارسية إلا ما علق بذهنى من ذكريات منزلى وقد فارقته وأنا صغير — فقد كنت أسقى إلى الفتاة فى اهتمام

الشيطان ؟ لماذا ذهبت إلى الحمام ؟ أى شأن لك فى المقابر ؟ لماذا لم يتم عملك ؟ لا تأكلى البيلة ولا تشربى ولا تنامى حتى يتم . إذفى فى الحال وإلما تتممبه فوالله وبالله لأضربك على قعبيك حتى تسقط أطافرك »

وبعد ذلك سمعت صوت لطمت ففرت أن زوجة الطبيب هى التى كانت تكلمها . وبعد قليل رأيت فائتى تدخل الغرفة مطرقة مكسورة الخاطر . ولقد كنت أتمنى أن أراها فى هذه اللحظة فى أسعد الحالات وأروعها

قلت فى نفسى : « ما أحجب الحب ! إنه يشعذ الدهن ويقوى الدماء . ونظرت فى الغرفة فأدركت أن بها مكاناً أستطيع الاختباء فيه وساعدتها فى العمل حتى يتم وأستطيع أن أقضى البيلة معها دون أن يشعر بنا أحد . ورأيت الفتاة مطلقاً من النافذة فلم تظهر أنها اهتمت حتى تهبط الماصفة التى أكرتها السيدة . ثم لما ساد السكون بعد مدة دنت من النافذة ، وبعد لحظة كنت معها فى داخل الغرفة ولست أشك فى أن الدين جربوا الحب من القراء يقدرون اضطرابنا فى هذا الموقف الذى لا يمكن وصفه

وعلمت من فتاتى أنها بنت زعيم من زعماء الأكراد وأن أبها سجن وهى لا تزال طفلة وأن سوء حظها جعلها جارية فى هذا المنزل . وبعد أن تبادلنا وصف ما يشعر به كلانا نحو الآخر أخذت تبتنى ما تجده من سوء معاملة السيدة ، وقالت لى إنها تشرب بأننى فى هذا المنزل أذل من الكلب ، فكل إنسان يسخر بها حتى ماتت نفسها ، وأن الاسم الوحيد الذى تنادى به بينهم هو بنت الشيطان . وقالت :

شيرين تدبرى مكيدة عظيمة ولذلك أحتاط كل الاحتياط من كل ماء أوطام أعرف أن يدها امتدت إليه خوفاً من أن تضع لى السم فيه . وقد أرادت أن تبدأنى بالشرى هذا الصباح فقال لى : «لمنة الله على الشيطان» وهذه المباراة إهانة عظيمة للزبدين فنضبت وأمسكت بشعرها فانزعت خصلة منه ، وأخذت تلشاثم حتى جفت حلوقنا ولست أعرف ماذا تكون نتيجة هذا الشجار عند ما يطر سيدى الطيب »

استمرت زينب تحدثنى هذا الحديث حتى انبلج الفجر ونحمت صوت المؤذن فاستمدت للخروج واتمدنا على أن نتقابل كاستنحت فرصة وحطنا علامة يئتنا على إمكان اللقابلة أن تملق قطعة من القماش على شجرة فأعرف أنها مستعدة للقاء لى

الفصل الخامس والعشرون

الحياة يلتقياه مرة أخرى

فى مساء اليوم التالى ذهبت إلى الشرفة وأطلت على حديقة الحرم آملاً أن أرى قطعة قماش معلقة على شجرة ، فلم أرها ولم أسمع صوت زوجة الطيب ذلك الصوت الذى أصبحت أنفاهل به . ولم أجد فى الشرفة سلة التبغ ولم يكن فى المنزل علامة على أنه مأهول غير وجود ليلى

وبقيت فى مكانى حتى دق الجنود طبولهم ليطلق الباعة حوانيتهم وينصرفوا إلى منازلهم . وكان الصمت سائداً فى كل مكان

قلت فى نفسى : « لا أظن أن سيدات المنزل فى الحمام لأن الساعة كانت متأخرة فلم يكن فى حفلة زواج أو عند أسرة يكون أحد أفرادها صريخاً ، وصرت أعصر ذهنى لافتراض الفروض حتى سمعت فجأة صوت الباب يفتح ، وتلت هذا الصوت أصوات

شديد ، وكان مما قالته أن الحرم فى هذا المنزل يتكون من خمس سيدات غير زوجة الطيب وهن : شيرين الرقيقة الشركسية ، ونور جيهان (نور العالم) الرقيقة الحبشية ، وفاطمة جارية الطبخ ، ولىلى خادمة الاوان ، وزينب وصيفة السيدة ، واسم هذه السيدة هانم وعمل الوصيفة أن تصنع لها القهوة وتعد اللرجيلة وتذهب معها إلى الحمام وتساعد على لبس الثياب ؛ وأما شيرين الشركسية فعلى أمانة المنزل وهى تسمى بتياب السيد والسيدة وسائر الأتباع وتحفظ حاجة المنزل فى العام من التمتع وسائر المؤونة وفى عهدتها نفقات الطبخ وأدوات الزينة

أما نور جيهان فعلى فراشة البيت وهى تنظف السجاجيد وتكنس السلم وتساعد على الطبخ وتحمل الطعام وتعمل ما يأمره بها كل من فى المنزل أما لىلى فلها مجوز تشتري ما يلزم من السوق وتحمل رسائل السيدة إلى صواحبها وتتجسس لها على السيد

قالت زينب : « ونحن تقضى أيامنا فى الخلاف يئتنا على كل شئ » ، وكل اثنتين منا تتحالفان على الأخريات . والحصومة الآن شديدة بينى وبين الشركسية لأنها وجدت فى العهد الأخير عناية السيد تنصرف عنها لى ، ويظهر أنها تدس لى الحسائى عند السيدة لأنى أجعد السيدة كلما أساءت إلى أحسنف إليها ، وهذه الفتاة شديدة الثيرة منى وقد أحضرت فى العهد الأخير حجاباً من أحد المبرائوش . ولما رأيت حسن تأثير الحجاب أحضرت حجاباً من درويش آخر لى رزقى الله زوجاً صالحاً . ولما كد أحمل هذا الحجاب وبين حتى رأيتك تطل على من اللانافة عرفت أن الله قد استجاب دعوتى . وأنا الآن على اتفاق مع نور جيهان الحبشية وقد أخبرتنى بأن

فها كانت ساعة مباركة . وقد خدمتني شيرين
الشركسية من حيث لا ترف لأنها أرادت مني
من دخول القصر الملكي حتى لا أزال المنحة التي
يطلونها في العادة لمن يحضر المآتم من النادات،
فأفهمت السيدة أني لا أحسن التدب وأنه لا فائدة
من وجودي في المآتم . وأني فضلاً عن ذلك
لا أعرف عوائد الارانيين لأني كردية فوجودي
في الأوساط الراقية يجهلي وسيدني منتقدين .
وأفهمتها أن ليلى خير من تقوم بواجبها في المآتم
لحقتها على مراقبتها . وعلى هذا ذهب الجميع إلى المآتم
وبقيت وحدي في المنزل لحسن حظي حتى أعانني
من رؤيتك . ولكنني تظاهرت بالفضب وعارضت
في ذهاب ليلى من حيث كان الواجب أن أذهب »
ثم خرجت زينب لتعدي طعام الافطار وتركتني
أهتدي بنفسى إلى داخلية الحرم فذهبت أولاً إلى
غرفة « الهام » ووجدتها غرفة واسعة وقد عطي
بها الذي على الحديقة يستار رقيق وفي صدرها
نمرقة عليها سجادة سمكة مطوية طيتين ، وتحت هذه
النمرقة وسادة مبرصة عالية مغطاة بالحرير الزر كس
بالذهب ، وبالقرب من النمرقة امرأة في إطار مزركس
وأمامها أدوات الزينة من الكحلة إلى الردود إلى
الخصاب والقص وغير ذلك ، وبين هذه الأشياء
إناء صغير به أحجية متعددة .

وفي جانب من الغرفة سرير عليه ملادة زرقاء
وعلى الحوائط صور كثيرة في إطارات مختلفة
الأشكال والألوان وفي أحد الأركان زجاجة كبيرة
من النبيذ الشيرازي

قلت في نفسي : « كيف يدعى هذا الطبيب
الصالح والفتوى مع وجود الحمر في منزله ؟ »

وعزمت أن آخذ هذا السيب الذي عرقته عنه

نسائية فمزمت على البقاء لئلي أنم منها بمحدث مثل
حديث الأمس

ولم تغض مدة طويلة حتى ظهرت زينب ومشت
نحوى على أطراف الأمل لتخبرني أن الظروف
لا تسمح بمقابلتها الليلة ولكنها ستنتهز فرصة قريبة
لتدعوني إلى مقابلة أخرى ، وأخبرتني أن سيدتها
ذهبت إلى القصر الملكي بأمر من الشاه لتسعى بسيدة
مريضة فيه ، وأن المظنون في مرضها أنه نتيجة
لدس السم لها في الطعام من سيدة أخرى في القصر
وقالت لي زينب : « إنه لا ينتظر أن تمش تلك
السيدة ولذلك فتحن نتمدد لأقامة المآتم وسهدي
إلى كل واحدة مناتياب ومناديل سوداء » ثم ودعتني
وأكدت على ألا أنسى العلامة المتفق عليها بيننا

وفي الصباح التالي وجدت زينب تنظر من النافذة
وتشير إلى « بالرو منها قدنوت غير متردد ودخلت
غرفتها كما دخلت في المرة السالفة وقد تملكني الخوف
في هذه المرة ، وكذت أم بالعودة لولا تشجيع الفتاة
لي بابنساء ، وقالت لي : « لا تخش يا حبيبي بلأ فليس
هنا أحد غير حبيبتك زينب وإذا لم بما كسنا الحظ
فسنبقى مسأ طول النهار »

قلت : « ولكن ما هذه المصادفة المسجية ، أين
سائر السيدات وأين الطبيب ؟ »

قالت : « لا تخش شيئاً فاني أغلقت جميع
الأبواب وإذا جاء أحد فسيكون لديك منع من
الوقت للقرار قبل أن أفتح له الباب وقد ذهب جميع
السيدات إلى المآتم ، وقد دبرت السيدة للشديدة النيرة
أسراً لا يساد الطبيب حتى لا يأتي إلى المنزل في
غيبتها وأنا موجودة فيه »

وقالت : « يجب أن نفهم يا حبيبي بلأ أن نهم
حظنا من أسعد النجوم وأن الساعة التي التقينا

الفصل السادس والعشرون

قصة زينب الكردية

قالت : « أنا بنت زعيم كردى ديمى أوخوس أنا ولست أعرف من همى أى ولكننى نشأت فى منزل أب بين نساء كثيرات لم تشمرنى واحدة منهن بسطف خاص يدل على أنها الأم . ولكننى لما كبرت سمعت أن أمى كانت غريبة وأنها ماتت فى سفرى وكان أبى مولداً بطنيل حتى أن أول شيء أذكره فى طفولتى هو موت مبر له وإقامته مائماً له

وأنت تعرف أن الأكرد لا يترفون بأية سلطة أو سيادة عليهم ، وقد كان أبى كسائر الأكرد لا يحترم الدولة الثمانية ، ولذلك اغتصب قطعة كبيرة من الأرض بملوكها لياشا بشداد وجعلها سرعى لخواشيه وغنمه ؛ وكان يكلف القبائل المجاورة أن تقدم لخواشيه الذؤنة فكانت تخضع مكرهة خوفاً من سطوته وإحراقه زرعها أو تسميمه للرواشى

وكان الباشا يثق شره ، فبدلاً من أن يمنه أو يجاربه كان يتوعد إليه ويرسل إليه الهدايا ويتناضى من كل إساءة له

وكان أبى طويل القامة مريض الكتفين تبت هيئته على الهيبة والخوف ، وقد قتل أشخاصاً عديدين ومن أجل ذلك كان يعلق خصره كثيرة من الشعر على أعلى راحته لأن من عادة الفرسان التركانيين أن يقطع أحدهم خصلة من شعر كل قتيل يقتله فيملأها على راحته وأما إن نسيت شيئاً فلست أنسى الجلالة والمظلمة المرتسمتين على وجهه عند ما يكون ممتطياً جواده بين ألسن أتباعه الخاضعين له ثم الخضوع والدين تنهيج أسنهم وسبوحهم فى ضوء الشمس كما هموا بفرزة وكان أبى رجلاً يقدر الأمور حق قدرها ، ويسمى إلى الحكمة بالرغم من استطاعته تنفيذ كل

صلاحاً أخاربه به عند الضرورة

وقبل أن أمان سائر الغرف عادت زينب بطعام الاضطار واختارنا غرفة السيدة مكاناً لتناول طعامنا . ولم أتناول قط فى حياتى أله من هذا الطعام وهو مكون من طبق من الأرز ولحم مشوى وقاوية فارسية مقسمة إلى أجزاء مستطيلة كنا نقبل بها فى أثناء الطعام كمادة الفارسيين ، وطبق من العجة وآخر من الجبن ، وخوخ ومشمش وأنواع من الحلوى والمسل قلت لها : « خبرينى بحق أمك عليك كيف تمكنت من إعداد هذا كله فى هذه المدة اليسيرة ؟ إن الطعام يصلح لمائدة الشاه »

فقلت : « لا تظن أنى أحضرت ذلك الآن فان السيدة أسرمت قبل ذهابها بإعداد الطعام فأعد هذا الاضطار ثم غيرت رأيها وفضلت أن تأكل فى بيت الشاه فتركته »

فأكلنا ما طاب لنا وتركنا قليلاً لنى عسى أن يسأل عنه من خدم المنزل . وبعد أن غسلنا أيدينا جاءت زينب بزجاجة التبييض وكسرتنا كأساً ليكون ذلك عهداً يفتا على دوام الحب وهنا كل منا الآخر بأنه أصبح أسعد الناس . واستولت على نشوة الحب فرفت عقيرتى وغنيت ألياناً رقيقة من شعر حافظ الخيرازى فأقسمت لى زينب وهى منتشية نشوتين أنها لم تسمع قط صوتاً أظرب من صوتى . ونسيت لشدة سرورها أنها ليست إلا جارية رقيقة ، ونسيت لشدة سرورى أننى فقير ، وصورت لها الخمر كما صورت لى أن سعادتنا دائمة أبدية ، وغنت ثم غنيت كل منا بدوره والخمر فضاحة الأسرار كما يقولون فطلبت لى زينب أن تقص على تاريخها فلم تتنحع مما طلبت وأخذت تقص على قصتها منذ البداية .

هؤلاء الضيوف جالسين في صدر الخيمة وأبى أمامهم
جالس جلسة تدل على إكبارهم وتواضعه في حضرتهم
قال أبى: «مرحباً بكم! أسعدتونا بقرى بكم»
فقال الرياخور: «لقد كان من حسن حظي

أنى اتدبت لقابلك فاني مشتاق إليك وقد مضى
زمن طويل على آخر صرة تلاقينا فيها»

وأخذاً يتبادلان مثل هذه التحايا وكان كل من
بالخيمة يدخلون في هذه الأثناء حتى امتلأت
الخيمة بالداخل

ثم قال الرياخور: «إن مولاي الباشا أرسلني
إليك لأبلك تحيته وأقول لك إنه يحبك ويقدرك
وإنه يملك من أقدم أصدقائه وإنه يحب الأكراد
ويصدق أصدقاهم ويصادى أعداءهم»

فقال أبى: «أبلغ الباشا أنى لست إلا بعيداً من
عبيده، وأنه قد شرفني أكثر مما أستحق، وإنى أحمد الله
على المودة التي عقدت بيني وبينكم. إننا نعيش في أمن
مستقلين بظل الباشا وقد أصبحنا لا نعرف الخوف»
وبعد لحظة ساد فيها السكوت قال الرياخور:

«الفرض من زيارتنا يا أوخوس أنا هو إبلاغك
أن الوهابيين أرسلوا إلى الباشا يطالبونه برد الجواد
الذي كان يركبه زعيمهم الذي قتل في الحرب وأنهم
لا يقبلون فداء غير أس الباشا أو ابنه لأنهم يزعمون
أن هذا الجواد من نسل الجواد الذي هاجر به النبي من
مكة إلى المدينة. وقد قال رسل الوهابيين إنهم جموا
جيشاً وسيجربون حتى يرد إليهم جوادهم أو يهلكوا
عن بكرة أبيهم. ويقول لك الباشا إن الناس كلهم علوا
بوجود هذا الجواد عندك وإنه يريد أن يرد لهم الجواد
ومن أجل ذلك أرسلني إليك راجياً أن تسلمه إلى»
فقال أبى: «والله وبالله وبحن الخبز والملح الذي
أكلته مع الباشا لقد كذب الوهابيون وليس عندي
الجواد الذي يريدونه، وكل ما في الأمر أنني غنمت

الذي يريد به بالقوة. ومن أجل ذلك لم زدد صداقة
الباشا بل أريد الانتفاع بها. كذلك كان الباشا
حكيماً فلم تخف عليه هذه الرغبة عند أبى وصار يستعين
به في تأديب القبائل

وحدث في ذلك الوقت أن جماعة من الوهابيين
تأثروا على الحدود فاستعان الباشا بأبى على تأديبهم
واشتركت جيوش الحكومة مع جيش الأكراد
في هذه الحملة، وقد تمكن أبى من قتل الزعيم الوهابي
بيده في أثناء المعركة

وأخذ أبى جواد الزعيم الوهابي فأرسله إلى
مسكر الأكراد، ولقد كان هذا الجواد عربياً
أسيلاً يحسد مالكة عليه، ولو علم الباشا به ما تركه
لأبى بأي حال من الأحوال

وأخيراً قهر جيش الوهابيين للثوب وعاد
الأكراد إلى الجبال، وفي يوم من الأيام فوجئوا بزيارة
مندوب من قبل الباشا ومعه عشرة من الجنود
مدججون بالسلاح. وكان هذا المندوب هو الرياخور
فأكرمه أبى وأدى له جنوداً النخبة ثم أخفت جياد
الندوبين إلى المرحى وذبحت التبايع وقدم لهم الطعام.
وبالجملة فقد بذلنا كل ما نستطيع بذله من واجب
الضيافة أناس مثلاً من الرجل القاطنين في الخيام
وقد أدرك أبى منذ رأى شيوخه مقبلين كنه
المهمة التي جاءوا من أجلها، وأمر ابنه بأن يأخذ
الجواد الذي كان للزعيم الوهابي إلى جهة مجاورة
حتى يصدر إليه أمر آخر

ولما كانت جهاتنا جبلية فقد كان من السهل على
أبى رجل أن ينتقل من مكان إلى مكان دون أن
يشعر به الموجودون معه. وإنى لأذكر الحوادث
التي ساد كرهاً لك كما لو كانت حدثت بالأمس فقط
كنت أعطي على المكان الذي اجتمع فيه الرياخور
وأبى واثنتان من الأتراك اللوقدين من قبل الباشا، وكان

دقائق حتى نفذ الطعام لأن الجميع كانوا يأكلون بشهوة قوية . ثم جرى بقصة من الأرض قالهموها بأصابعهم وقال كل منهم : « الله بركات فارس » أى أسأل الله أن يديم نعماته

ثم خرج أبى مع الرياخور من الخيمة وتكلم بصوت خافت ولكن لقربهما من الخيمة التى كنت أنا فيها ولانصافى الشديد تمكنت من سماع ما دار بينهما من الحديث

قال أبى : « إن كل ما أستطيع أن أدفعه لك هو عشرة جنهات وبالبنى كنت أملاً أكثر من ذلك » فقال الرياخور : « هذا مستحيل وأنت تعرف

ماذا سيكون إذا لم تدفع لي نصف هذا البائع . إن الباشا سيأمرنى بالسود ليقبض عليك لعدم حصولي على الجواد . بل هو قد أمرنى بالأأعود إلا للجواد أو بك ، ولكن إذا دفعت لي عشرين جنهات فاني سأسهل الأمر عليك وأعييك . فاختار يا صاحبي لنفسك ما تراه »

فأخرج أبى كيس النقود من حزامه ودفع له عشرين جنهات فأخذها الرياخور وأظهر علامة الرضى وقال لأبى : « لقد أكلنا الآن خبزاً وملحاً فنحن أصدقاء ووجب على أن ندخل إذا أراد الباشا سوءاً بك ولكنى أشير عليك بأن ترسل إليه هدية وإلا صعب على التوسط عنده »

قال أبى : « أهدى إليه هدية تلقى به على العين والرأس قال لي كذا ذات شهرته في كردستان يلحق بالوعل السريع ويندر وجود مثله عند الترك فهل يقبل هذه الهدية ؟ »

قال : « إنها تلقى من وجهة واحدة ولكنها لا تنكح إذ يجب أن تذكر ما ينشأ عن رضى الباشا »

فأجاب أبى : « إذن لقد خطر ببالى خاطر هو أن أرسل إليه بنى ذات الوجه المشرق الرضاء

جواداً صريعاً غير أصيل قيمته لأحد الأعراب في اليوم التالي لحدوث الواقعة ولا يزال عندى سرج هذا الجواد ولجانه ، وأنا مستعد لاعطائهما لك . أما الجواد نفسه فليس عندى »

قال الرياخور : « الله الله ! هذا أمر كبير الأهمية يا أخوس أنا وأنت رجل محترم ونحن أناس محترمون فلا نحاول الضحك على ذقوننا ، وإذا لم تأت بالجواد لترده إليهم فأهم سيحاربوننا حرباً تموت فيها كل جبادنا وستنتهي الصداقة التى بينك وبين الباشا فاستعطفك برأس أريك أن تأتى بالجواد ولا تعرضنا ونفسك لحرب مهلكة »

قال أبى : « أيها الصديق ما الذى أقوله لك ؟ إن الجواد ليس عندى ، وإن الوهايين كاذبون ، ولم أقل لك غير الصدق »

ثم دنا من الرياخور وأخذ يتكلم معه همساً فسمع حديثهما ولكنى وجدتهما متفقين في نهاية هذا الحديث وقال الرياخور بصوت عال : « إذا كان الأمر كذلك ولم يكن الجواد لديك فإن الله كريم والمرء لا يستطيع أن يقاب الأعداء وعلينا أن نمود إلى بغداد »

وقف أبى ثم خرج تاركاً ضيوفه يدخلون ويشربون القهوة . وجاء إلى خيمة السيدات فأمر بالطعام الذى كان يمد في ذلك الوقت لضيوفه وأخذ من إحدى نسائه كيساً فيه نقود ذهبية فوضه في حزامه ثم عاد إلى ضيوفه

ولم يدر حديث طويل في وقت الغذاء ولكنهم كانوا يتكلمون قليلاً عن الخيول والكلاب والأسلحة وكان الطعام طبقاً كبيراً من الحساء وقصة بها أرز وتريد وحل مشوى . وكان عدد الجالسين على المائدة خمسة عشر وم رئيس الوفد التركى وأتباعه المشرة وأبى وثلاثة من أتباعه وكان في يد كل منهم معلقة خشبية ، وماعى غير

حبه للمال أكبر من حب سواه ، وعددها الآن لا يستطيع الثبات طويلا أمام جنوده خصوصا وأن مننا نساء وأطفالا نجب علينا حاجتهم فأنصح لكم بترك هذه القاطعة التركية والسفر إلى فارس حيث نجد المرحى خميسا والناس مسالين »

فقال لهم أبي : « اسمع يا أخوخس أنا ! اسمع يا ابن أخي ! أنت رأس هذه القبيلة وأنت أشجع رجائنا ، وإذا نصحت لك بأن تسلم لهم جواد الوهايين احترقني وقلت إنني غير نجدي بأن أكون كرديا أو زدييا . وإذا أسلته الآن إليهم يردد رسولهم قائنا لا يخلص من نية الانتقام لأنني جربت حكام الأتراك وعرفت أنهم لا يهتمون عن الانتقام متى سنحت فرصة لذلك ، فأنا أرى رأيك في الرحيل عن هذه البلاد التي لم يمد بحسن بنا البقاء فيها وقد تعودت منذ صباي أن أرى هذه البقاع وعزري على أن أأارقها ، ولكن ذلك لا يصلح عنرا لبقاء الذي قد يكون فيه هلاك القبيلة ، وأرى ما دمتا عازمين على الرحيل أن نسجل به لأن التأخير شديد الخطر ولأنه قد لا يمر بومان أو ثلاثة أيام قبل أن يأتي جنود الباشا ليأثروا منا ، وقد يأتي الوقت الذي تعودون فيه إلى أما كنتم القديمة »

ولما فرغ هم أبي من الكلام قال أكبر الرواة سنا وهو شيخ محرب يعرف طرق البلاد معرفة جيدة : « إذا كنا فاهمين فلنذهب في الحال فان التلوج التي على قم الجبال قد أوشكت تدوب ولن نستطيع إذا تشرiff الفصل أن ننقل بأغنامنا ومواشيها ولم يبق إلا ثلاثة أسابيع ثم تدخل الشمس في برج الحمل » قال أبي : « لقد صدق شيخ الرواة » ثم التفت إليه وقال : « لقد أحسنت النصيحة ، وأنت خادم أمين وسأجزيك جزاء حسن ما أتيتنا من متناول يد الباشا »

والقوم الأهيف والبغ والخصر النجيل ، للذهب قلبها بجمرة الشباب ، قتل له ولو أنه يرى أن الزيديين غير مؤمنين إلا أنه قد يهوى امتلاك جملة تنار منها حور الجنة ، وأنا على استعداد لارسلها ملك » فسحق الرياخور بيديه من فرط سروره وقال : « عافارم ! عافارم ! لقد أصبت وأحسنت وسأعرض المحبة وسيقبلها ولا شك وسيكون لك منها مدين في قصر الباشا تمتد عليه وينجذك في الأزمات ويقيك شر ما تخاف »

وعلى ذلك اتفقا ، وأما أنا فقد تركت مكاني الذي كنت أنصت منه لأفكر فيما سيكون من مصيري ، وقد ملت أولا إلى البكاء ونذبت سوء حظي . ولكنني بعد قليل من التأمل والتفكير قلت : « هل أكون زوجة الباشا ؟ هل أبس الحروب أو حمل في الحفقات ؟ إن سروري بذلك لا يقدر وسينبطن كل نبات الجبال » وبعد قليل من الزمن كنت أنظر من الخيام إلى القضاء الفسيح فأرى الرياخور في أحسن حلة ومعه أتباعه وكلبه وهم يسرون إزاء سلسلة التلال التي تحيط بمسكننا ، وسمعت والذي يسدى شكره وامتنانه لأنه يخلص من هؤلاء الزاثرين . ولما غلب القوم عن النظر أرسل وأمدى أحد رعاة غنمه إلى ابنه بالجبل بأمره بإرجاع الجواد . ولما أمن على الجواد في انخيام جمع رجال قبيلته الستين من أقاربه وأقرباء زوجته والتنازلين بجوارنا وشرح لهم الحالة التي أصبح فيها ، وبين لهم أن هلاكهم وهلاكهم عمتان إن هم ظفروا في أملاك الباشا . فسقدوا مجلسا ناطلوا رباسته يسمى وهو أكبر رجال القبيلة

قال أبي : « تسلمون أن جميع السلمين يكرهوننا نحن للزيديين وقد كان الباشا يدعي صداقتنا ليأمن شرنا ولكي يستفيد من تسخيرنا ضد أعدائه ولكن

تقضي بأن تؤوي إحداهما كل قبيلة تلجأ إليها فراراً
من الفتنة الأخرى

وأخيراً عاد أبي ومعه ضابط من ضباط الأمير
وأقطننا أرضاً على بعد عشرة فراسخ وهي واسعة
تقطعها سيراً في ثلاثة أيام ، وفي جانب منها جبال
عزمتنا على الإقامة فيها شتاء ، وأما الجانب الآخر
فمرمنا على جعله مصيفاً

وكان اسم أبي مشهوراً في كرمان شاء ، فلما
استأذن على الأمير ليقابله أعرب سمعه عن السرور
بهذه المقابلة وخلع عليه خلمة سنية ووعده بمجاينته
وقال له : « إذا طلب الباشا تسليمك أو تسليم أي
رجل من قبيلتك فاني لا أردد في رفض طلبه حتى
ولو أدى إلى إشهار الحرب عليه . إن أرض الله
واسعة يا أوخوس أنا فاقا ضاق بك الأتراك ذرعاً
فإن بلادنا وسدودنا واسعة رحبة »

وقد كان ما توقعه الأمير ، فلم تحض إلا أيام قليلة
حتى جاء إلى المدينة رسول من قبل الباشا يحمل
خطاباً موقفاً عليه منه ، وهو في هذا الخطاب يطلب
تسليمنا ويذكر الأسباب التي أدت إلى جلائنا عن
بلادنا . وقد اتهم أبي في هذا الخطاب بأنه لسن وبأنه
سرق جواداً من أنفس الحيات ، وهدد الباشا في آخر
الخطاب بأنه إذا لم يصلة الجواد على الأقل فإن الحكومة
الفارسية ستكون مسئولة عن النتائج

ولما وصل هذا الخطاب إلى الأمير استدعى أبي
وعرفنا أن الباشا لن يترك جهداً في الحصول على
الجواد والانتقام من أبي مهما كلفه ذلك . وخشينا
أن يسلمنا الفرس بالرغم من وعد الأمير ، لأننا نزيدون
والسلون جميعاً يكرهونا ، ولكن الفارسيين أشد
كرهاً لنا وتصبأ علينا

وقبل أن يذهب أبي لمقابلة الأمير أصدر أوامراً
سرية بأن يوضع الجواد في مكان أمين وبأن يتكر

وعلى أثر هذا الاجتماع رقت الخيام وحلت على
ظهور الحيات والجبال ، ومشى الرعيان بالنعم ورب
أبي الجواد الذي غنمه من الرهايين

وكان النساء يكنين ويشتعن لأنهن لم يهضمن
الأمر على حقيقته بل اعتقدن أن جنود الباشا على
قلب قوسين منا وأنه لم يبق إلا يوم أو بعض يوم ثم
يصبحن أسيرات في أيوت الأتراك »

قالت لي زينب : « أما أنا فقد كان لحوفي سبب
آخر هو يأمى عما كنت أمل به نفسي بعد أن سمعت
حديث أبي مع المرياخور فقد كنت أعتقد أني
سأصبح زوجة لباشا

رأيت أحلامي تبددت دفعة واحدة فلا أمل لي
في ليس الثياب الحربية الزركمة ولا في سكنى
القصور العالية المفروشة بالأنات الثمالي ولا في التمتع
بالسيادة على الجوارى والخدم ولم يبق أمامي أي شيء
غير ما كنت فيه من حلب الفروع وصنع الجين والزند
تحررك ربكنا وكان الطريق أسامنا مملوءاً بمواشيتنا
إلى آخر حد تقع العين عليه . وكنا نختار الطرق
التي بين الجبال حتى لا يرانا أحد فيبلغ أمرنا لباشا
وبعد بضعة أيام وصلنا إلى الحدود الفارسية ولم
يحدث لنا في أثناء الطريق إلا مصاحب قافمة أيسر
مما كنا نتظر . وكان الفرسان مجتمعين مستعدين
للملاحة الجنود التركية وحربها . ولكن لحسن حظنا
لم تقابل إلا إجماعة من الرعاة فأخذنا مواشيتهم وأسرناهم

ولما وصلنا إلى كرمان شاء ذهب أبي إلى مقر
الحكومة تقابل الوالي وهو أحد أبناء الشاه فطلب
إليه أن يحببه وأن يقطع أرضاً من أملاكه . وكنا
في انتظار أبي ونحن على أحر من الجمر لأنه كان من
الاحتمال ألا يكتبني الوالي برفض طلبه ، بل يرسل إلينا
جنوداً يحاربنا ففتح بين ناربين ناربين فالتزك وقال الفرس
ولكن السياسة التي جرت عليها المولتان كانت

وجوده إذا طلب . ولكن لما عاد أبى من عند الأمير تبين لنا أن هذا الاحتياط لم تكن تقضى به الضرورة فان الأمير أحسن استقباله وقال له إنه لن يقبل مطلب الباشا مهما كانه ذلك . وإن لأبى أن يعلن أن الجواد لديه ويرتكب على حاية الأمير . وقال له : « اطمئن يا أوخوس ! كيف يدعى هذا الأحمق أنك من رعاياه مع أن مملكة أبى مفتوحة الأبواب لكل لاجئ ؟ أليس أبى ملك الملوك ؟ أليست حمايته ميسوطة على كل فرد مقيم في هذه البلاد ؟ إننا لن نكون مسلمين إذا أسلمناك لمدوك بعد أن استجرت بنا قاذب إلى خيمتك هادى الببال »

كان لهذا القول رنة فرح بين ساميه من الأكراد ، ودعا أبى كبراء القبيلة إلى ولجة وعلى أثر هذه الولجة فقد منهم مجلساً للبحث في شئوننا وتدير خطة للمستقبل ، وكان الجميع متفائلين بحسن هذا المستقبل والاحتياط بحماية الأمير الفارسى إلا رجلاً واحداً لم يكن لديه ما يلهيهم من التفاوض ، وذلك هو عم أبى . وقال إنه يعرف الفارسيين معرفة جيدة وإنه خدم في عهد شهاب نادر شاه وإنه لا يجد في نفسه شيئاً من الثقة بوعد الأمير . وقال لرجال القبيلة : « أنتم لم تماشروا هؤلاء القوم ولم تعرفوا عنهم مثل الذى أعرفه وم لا يتخذون السلاح الظاهر كالسيوف والرماح ، وإنما سلاحهم الكيد والفس والخداع والكذب ، وأنتم مع شهرتكم بالثقل في الميادين لا تستطيعون أن تحاربهم بهذا السلاح ، وإذا وقعتم واطمانتم فلا تلبثون أن تجدوا أنفسكم في جبالهم وقد حاق بكم من كيدهم ما لا تقدرونه ولا تقدرهم على دفعه

إن الكذب يكاد يكون عيباً عاماً في هذه البلاد ودليلكم على ذلك أن الرجل منهم لا يكاد يقول جملة حتى يشفعها يمينه ، فهو يحلف برأسه وبرأس أبيه

وبابته وبأبني ومجدوده وبالقبيلة الشريفة وبرأس الشاه وبذقون الأولياء وبالموت الذى سيلاقيه وباللح والحز الذى أن أكلمها وبمشهد الحسين وعلى — على أن القسم بأى يمين من هذه الأيمان لا يدل إلا على أن الفائل شديد الكذب وأنه يعتقد أن السامع لن يصدقه . والذى أفهمه من مسلك الأمير معنا هو أنه طامع في الجواد الذى جر علينا كل هذه المصائب فالفارسيون أشد من التفرقة في الخيل وم أحرص من الوهايين على الاحتفاظ بهذا الجواد لأنهم من الشيعة ، ولو علم الشاه أن لدينا هذا الجواد لارسل إلينا في الحال لعل تربدون أن نصلحوا السلاح في وجه العالم كله ؟ إن لسكر رأيكم وأنا خاضع لما تتفقون عليه ولكنى أحذركم وأقنم لكم النصيحة بأن يكون عندكم مبدأ عام في شأن الفرس هو ألا تصدقوهم ولا تتفقا بهم .

وقد أظهر رجال القبيلة اقتناعهم بقول هذا الناصح المجرب . وفي فجر يوم من الأيام رأينا حركة غير عادية وسمننا بناح الكلاب ولما كنا نتوداه عندما يحاول الدئب السطو على الأغنام فقد ظننا الأمر كذلك في البداية ولكن أبى وأخى حملا بتدقيتهما وذهبا إلى الرعى حيث كانت الأغنام والكلاب . ورأينا قبل وصولها إليه فارساً يسدو ثم رأينا خلفه فارساً آخر ووراءهما سبعة أو ثمانية من الفرسان ، وأخيراً تبين لنا أن خيامنا مطوقة بالجنود فصاح أبى ليوثق رجال القبيلة وجرى نحوه الفارس الأول ليقتله ولكن أبى أطلق عليه رصاصة قتله في الحال وضرب الفارس الثانى بسيفه فخرجه وكان صوت الرصاصة والضجة التى تلتها علامة للجنود التى طوقتنا لتبدأ بالمحجم العام وقد ظهر أن الفرس من هذا المحجم هو الذى البحث عن الجواد لأن أول شيء فعلوه هو التفتيش في صرب الخيل وقد عرفنا أن الفرس كانوا من الفارسيين وعرفنا

وجوده إذا طلب . ولكن لما عاد أبى من عند الأمير تبين لنا أن هذا الاحتياط لم تكن تقضى به الضرورة فان الأمير أحسن استقباله وقال له إنه لن يقبل مطلب الباشا مهما كانه ذلك . وإن لأبى أن يعلن أن الجواد لديه ويرتكب على حاية الأمير . وقال له : « اطمئن يا أوخوس ! كيف يدعى هذا الأحمق أنك من رعاياه مع أن مملكة أبى مفتوحة الأبواب لكل لاجئ ؟ أليس أبى ملك الملوك ؟ أليست حمايته ميسوطة على كل فرد مقيم في هذه البلاد ؟ إننا لن نكون مسلمين إذا أسلمناك لمدوك بعد أن استجرت بنا قاذب إلى خيمتك هادى الببال »

كان لهذا القول رنة فرح بين ساميه من الأكراد ، ودعا أبى كبراء القبيلة إلى ولجة وعلى أثر هذه الولجة فقد منهم مجلساً للبحث في شئوننا وتدير خطة للمستقبل ، وكان الجميع متفائلين بحسن هذا المستقبل والاحتياط بحماية الأمير الفارسى إلا رجلاً واحداً لم يكن لديه ما يلهيهم من التفاوض ، وذلك هو عم أبى . وقال إنه يعرف الفارسيين معرفة جيدة وإنه خدم في عهد شهاب نادر شاه وإنه لا يجد في نفسه شيئاً من الثقة بوعد الأمير . وقال لرجال القبيلة : « أنتم لم تماشروا هؤلاء القوم ولم تعرفوا عنهم مثل الذى أعرفه وم لا يتخذون السلاح الظاهر كالسيوف والرماح ، وإنما سلاحهم الكيد والفس والخداع والكذب ، وأنتم مع شهرتكم بالثقل في الميادين لا تستطيعون أن تحاربهم بهذا السلاح ، وإذا وقعتم واطمانتم فلا تلبثون أن تجدوا أنفسكم في جبالهم وقد حاق بكم من كيدهم ما لا تقدرونه ولا تقدرهم على دفعه

إن الكذب يكاد يكون عيباً عاماً في هذه البلاد ودليلكم على ذلك أن الرجل منهم لا يكاد يقول جملة حتى يشفعها يمينه ، فهو يحلف برأسه وبرأس أبيه

لعنة الله عليك وسخرية واستهزاء بلحيتك البيضاء !
ثم أشارت بأصبعها إلى عينيه وقالت : « أنا
أبسط على وجهك ! من أنا حتى تفضل على جارية
قذرة من جوارى منزلي ؟ ما الذي فعلت حتى تهينني
هذه الأهانة ؟ إنك كنت حامل الذكر قبل زواجي
فجئت منك رجلاً وسهلت لك الطريق لدخول القصر
الملكي والوقوف أمام الشاه وجعلتك رئيساً لأطبائه »
وكان الطبيب في هذه الأثناء يقسم أغلظ الأيمان
على براءته ولكن ذلك لم يهدي من غضب الزوجة
ولم يقف تيار سخطها

ثم تركت زوجها والتفتت إلى زينب فأسمعتهما
كل مؤلة جارحة من القول ولم تكف بالكلام بل
صارت تجرهما من شعرها ومن ثيابها فصارت الفتاة
تصرخ من الألم . ثم أمرت الجوارى بأن ينقلها
إلى غرفة أخرى فتنقلها وضربها حتى آدمين جلدها
وكنت تحرق في هذه الآونة من الاشفاق وحدتن
نفساً بأن أدخل المنزل لاثاذهما هما كانت النتائج
وأحسست أن دى صار في مثل حرارة النار ولكن
ما الذي أستطيع أن أفعل ؟ إنني إن دخلت فلن
يكون نصيبي ونصيبى غير الموت . ولما هدأت الحالة
تركت النافذة ومشيت في الطريق حتى ابتعدت عن
الدينة وأنا أدبر خطه لأخراج زينب من هذا البيت
والزواج منها . لكن كيف يمكن ذلك مع بقاء في
خدمة الطبيب وكيف أحصل على الزرق إن تركته ؟ هذا
هو السؤال الذي كان يشغل التفكير فيه كل خواطرى
وأحسست أن قلبى يدى كلما فكرت في مصير
نك الميكنة لأنى سمعت أشياء كثيرة عما يجرى
في البيوت الفارسية وأيقنت أن اضطهاد السيدة لها
لن يخف لا في الحال ولا في الاستقبال
عبد اللطيف النشار « يتم »

أيضاً أنهم مراسلون من قبل الساعات الرخمية
وكان من سوء الحظ أن الرجل الذى قتله أبى
هو رئيسهم وكان ذلك سبباً لاتخاذ أسرى
وكان ذلك اليوم من أيام البؤس التى يستحيل
أن أنساها »

ثم أخذت زينب تروى كيف أسراً بها وكيف
انتقلت من يد إلى يد حتى أصبحت جارية في بيت
ميرزا أحد ، وكان ازواجى عند سماع قصتها مثل
ازواجها وهي تروىها . ثم سمعت فجأة صوتاً يطرق
الباب فتوصلت إلى أن أسرع بالفراغ من النافذة
وكان الذى يطرق الباب هو الطبيب نفسه . وذهبت
إلى الباب ففتحته .

ولما خرجت من النافذة وقفت أطل منها
ورأيت الطبيب وقد تهلل وجهه بالبشر لرؤيته زينب
وحدها بالمنزل ، وقال لها كالت في نهاية الرقة ثم نظر
إلى باب غرفته فرأى بقايا الطعام فسالها عن سبب
ذلك وقبل أن يستمع الجواب جلس ودعاها إلى
الجلوس يجنبه وأخذ يداعبها ، وعلى حين فجأة دخلت
زوجته وورادها سائر اللتيات ففاجأتهما قبل أن
يتفرقا . وإذا نسيت شيئاً فلن أنسى نظرتها إليه
ومسلكما الذى سلكنه عمه

قالت بلهجة الساخر : « السلام عليكما ، أغنى
لكما الصحة والهناء وأخشى أن يكون مجيئى
مبكراً قد أزعج راحتكما »

ثم صمد اليهم إلى وجهها واسطكت أستانها
وقالت بصوت يتهدج : « ... وتتناولان طعام
الأنظار في غرفتي أيضاً ؟ ما شاء الله ! ما شاء الله !
لقد أذلقتني واحتقرتني بإسدي أحد ! أنى غرقتى وفوق
فراشى ! لقد سقطت السماء إلى الأرض ! هل تمد
نفسك بمد الآن رجلاً بين الرجال ؟ ألا تنجل حين
يدعونك الناس طبيباً وحين يقرنونك بلقان عصرك ؟

الرسالة

مجلة أسبوعية للأدب والعلوم والفنون

مجلة الآداب الرفيعة والثقافة العالية

صل الماضي بالحاضر وتربط الشرق بالغرب

على مدى وبصيرة

الرسالة : تعبر باخلاص عن روح النهضة المصرية

الرسالة : تجمع على وحدة الثقافة أبناء البلاد العربية

الرسالة : تصور مظاهر الحضارة للامة العربية

الرسالة : تسجل ظواهر التجديد في الآداب العربية

الرسالة : تحمى في الفن، اساليب البلاغة العربية

بمجموعة اعدادها ديوان العرب المشترك ، وكتاب الشرق

الجديد ، وسجل الادب الحديث ، ودائرة معارف عامة



الله

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
أحمد حسن الزيات

بدل الاشتراك عن سنة
٣٠ في مصر والسودان
٥٠ في الممالك الأخرى
١ ثمن العدد الواحد

الطبعة

دار الرسالة بشارع الميداني رقم ٣٤
مادين - القاهرة
تليفون ٤٢٣٩٠

الهرولة

مجلة أسبوعية للفن والفكر والسياسة

تصدر مؤقثاً في أول كل شهر وفي نصف

السنة الثانية

١٠ ذى القعدة سنة ١٣٥٧ - أول يناير سنة ١٩٣٨

العدد ٤٧

من أحسن القصص



فهرس العدن



صفحة

١٢٤٢	الزيف	أقصصة مصرية	بلم الأدب نجيب محفوظ
١٢٥٠	مصرع البخل	الكاتب الإنجليزي آرثر كونان دويل	بلم الأستاذ محمد لطفي جبعة
١٢٦٠	الثنى السدل	الفيلسوف الرومي تولستوى ..	بلم الأدب فخرى شهاب السيسى
١٢٦٥	السادة القابلة	الكاتب جوزيف كمل	بلم الأدب صلاح الدين المنجد ..
١٢٧١	البديل	الكاتب الفرنسي فرنسوا كوييه	بلم الأدب عادل الجمال
١٢٧٦	حاجي بابا أصفهاني	الكاتب الإنجليزي جيزز مور ..	بلم الأستاذ عبد الطيف النشار
١٢٩٤	فهرس المجلد الثاني من الرواية		

الزيف

أَقْصُوصٌ مِصْرِيَّةٌ
يَقْلُمُ الْأَدِيبُ نَجِيبٌ مَحْفُوظٌ

من الرجال الذين تتلهم على نفوسهم في
محضر النساء جسارة غير محدودة وحسب
المجازفات وثقة بالنفس وطيدة ، فاقبح
الباب غير هياب وصار وجهاً لوجه أمام
السيدة الجالسة . وكانت في الأربعين
ممتلئة الجسم فأنجبة الأنوثة زين قسبات
وجهها الماسح حسن تركي بمصر ؛ ويدل
على طبقها المالية ثوبها الأبيض ونظرتها
الرفيعة وحليها الثينة . وقد بهر الرجل أمام روعة
الحسن وأعني باحترام وهو يقول لنفسه في إشفاق :
« وأسفاد ! ستم السيدة بالخطأ وسرعان ما تنهى
المقابلة » ولكن خاب ظنه ، لأن السيدة ابتسمت له
تحية كأنه هو المني وقالت برقة تعرفه بنفسها :

— أرجو ألا يسوءك إقلاق لراحتك ... أنا
أرملة المتفور له على باشا عاصم

يسوءه ! يعني له أن يمد نفسه من المخطولعين
في هذه الدنيا لأن سيدة كنتك السيدة تقول له
مثل ذلك الكلام بتلك النجبة الرقيقة . ترى لماذا
دعته إلى بنوارها ؟ فهو لا يذكر أنه رآها من قبل
وإن كان يطمع علم اليقين أنه قرأ اسمها في بعض الأخبار
الخاصة بالجمليات النسائية ، وخيل إليه غروره أنها
ربما تكون رآته من حيث لم يرها ، وأنها ربما وقع في
نفسها منه — كما حدث لنيرها وإن كن لسن من
نوعها — ما علقها به ، فإذا صدق حسه —
والدلائل تجمع على صدقه فهي تدعوه كما دعت
قديماً امرأة العزيز فتأها ...

وأحسن بنشوة فرح وزهو وقال للمرأة بكل رقة
وهو ينظر إليها كما ينظر الإنسان إلى شيء عظيم بلا حياء :
— انظروا يا صاحبة السعادة .. خدامك ...

كان المسرح مكتظاً بالنظارة ، حيث كانت
تعمل رواية البخل لولير ، وكان جمهوره كالمتاد
خليطاً من طلاب التلمية وعبي الظهور ومدعي
الفن وعشاق الخيال . وكان على أفندي جبر المترجم
بوزارة الزراعة بين الجالسين في الصفوف الأمامية ،
وكان يتبع التمثيل بين الليقة والنوم ، واضماً خده
على يده ، ومستنداً مرفقه إلى مسند المقعد . وكان
قد طالع في بعض الجملات عن الرواية ما جعله يظنها
آية من آيات الكوميدي فجاء المسرح بنفس توافة
إلى الضحك والسرور ، وسرعان ما خاب رجاؤه
وفترت حماسه وكاد يستسلم للنماس . ولكن الأقدار
أرادت أن تتبرع بتوضعه عن خيسته ، ففي أثناء
الاستراحة دنا منه النادل وأعني على أذنه وقال له
باحترام وتأدب : « هل ليلك أن يفضل بالدهاب
إلى البنوار رقم ٢١ ؟ » ثم ذهب إلى حال سبيله ونظر
على أفندي إلى البنوار رقم ١ فرأى الستار الأبيض
مسدلاً عليه فأدرك أن به « حريماً » وقام من توه
وغادر الصالة وقصد إلى البنوار وهو يضرب أخماساً
لأسداس ، وطرق الباب مستأذناً فسمع صوتاً
رخياً لا يعرفه يقول « تفضل »

فترد لحظة سريعة لأنه أدرك لدى سماعه
الصوت الغريب ، أن في الأمر خطأ ولكنه كان

يققد رشاده في حضرة النساء ولا يفكر إلا في انتهاب اللذة واقتناص الفرسة ، فجلس مبتسما على ما به من خيبة صريرة مطمئنا كما ينبغي لشاعر مصر العظيم .
وقالت السيدة :

— سيدى الأستاذ ، إن معرفى بك قديمة جدا لا كما تظن ، وإن أفضالك على زوجى لا تقدر بشمن ولا يحسبها عد . وطالما منيت نفسى بالتحدث إليك . وكما كان فرحى عظيما الليلة حين عثر بصرى بك فلم أتردد في دعوتك . وإنى أرجو يا سيدى أن تنفر لى تطفلى ...

فقال على افتدى وقلبه يلمس الشاعر :
— ما أصدقنى بصفك يا سيدتى ! إننا معشر الشعراء لنحرق أرواحنا في سبيل الخلود والشهرة . ومثل إعجابك يا سيدتى أتمنى عندى من الخلود والشهرة فتوردت وجنتا المرأة وورثت إليه بيتين ناعستين وقرأت في عينيه ما حملها على تجنب حديث اللواطف وإن كانت تضمم الرجوع إليه في المستقبل فقالت :
— هل أعجبتك الرواية ؟

الرواية التى سدت رأسه وفرمها إلى الناس ! على أنه كان حكيما ، فلم يسارع إلى مصارحتها برأيه . ولم تنتظر السيدة جوابه فقالت بثقة :

— لا شك فى أنك تعجب بها أيا إعجاب ، لأنها من تلك الفكاهة العالية التى كتبت عنها فصلا رائعا فى كتابك الخالد « فلسفة الجلال » وقد كان هذا سبيلى إلى تنوق مولير وتوين وشو

فحمد الله أن لم يذكر رأيه الحقيقى وهز رأسه باسما وقال باطمئنان عجيب :

« البخيل آفة فنية رائسة ، وحى من الآيات التى لا تمنح كنوزها مرة واحدة ، ولقد قرأتها مرة

وعم أن يقدم لها شخصه المزى ، واستدلت السيدة من لهجته على ذلك فأشارت إليه بيدها البضة وقالت بسرعة وحى تقسم من در نصيد :

— وهل أنت فى حاجة إلى تعريف بأستاذ !؟
تفضل

وجلس كما أرادت ، ولكن عبارتها الأخيرة قلبت ما بنفسه رأسا على عقب ، فعلاه الرجوم وأطفا الكدر نور السرور فى عينيه ، لأنه من المحتمل أن يكون قائما محبوا من النساء وأن تقع فى غرامه حرم طامس باشا ، ولكن مما لا ريب فيه أنه فى حاجة إلى تعريف ككل إنسان ، وأنه لم يكن أبدا فى غنى عن التعريف ، فانا تمنى السيدة الجميلة بقولها هذا ؟ إنه يكاد يهتدى إلى وجه الحق ، وقد ساعده على ذلك قولها « يا أستاذ »

فهل تظن السيدة أنه شاعر مصر الأكبر بل شاعر الشرق العربى جميعا الأستاذ محمد نور الدين ؟ والحق أن المشابهة التى بينه وبين سيد الشعراء معروفة مشهورة ، يعلم بها جميع أصحابه ، وطالما جيلوا منها موشوعا للتكتيك والقفز ؛ فكلامها له هذا الوجه السطيل الذى يمد من أعلى بجهة عالية ، ومن أسفل بذقن عريضة ؛ وكلامها له هذا الأنف الرومانى العظيم والشارب الشرشى للزهر ؛ ولا اختلاف بينهما إلا أنه أطول من الشاعر وأعظم امتلاء . وهذا يدل على أن السيدة — فبالو صدق ظنه — لم تر الشاعر إلا فى إحدى صورته التى تظهر أحيانا فى الجبال والصحف وأسفاه لقد فاق حلاوة القوز وصرارة المزمعة فى لحظة واحدة . فهل يتراجع ويرضى من الفنتمة بالاياب ؟ ولكن مثل هذا التردد لم يكن ليخلجه إلا لحظات قصيرة العمر لأنه كان — كما قلنا —

والثياب الأنيقة وتساقتا في ميدان الظهور فمرضان
حسبهما وتفرغان حديثهما ، وانخضت كل منهما
بطانة من كرائم الأسر والآنسات المتقنات ، وقد
علت حرم ماصم بإشا يوماً بأن منافستها دعت إلى
تأليف جمعية المرأة الحديثة فلم يرفع لها جانب حتى
كونت جمعية تعليم الأميات ، وصمحت يوماً بأن
الأخرى تبرعت بمبلغ كبير من المال مساهمة في إنشاء
مدرسة كبيرة وأن المصحف أثنت عليها جميل الثناء ،
فأمرت بتشديد جامع في عزبتها ودعت لانقطاع
صوره مصور أكبر مجلة في مصر وطلبت إليه أن
يثنى على ودعها وتقواها ...

وكان آخر ما نعى إلى مسامعها من أخبار
منافستها ما لا كنهه الألسن من أن الموسيقار المروف
الأستاذ الشريني قد شغف بها حباً ، وأنه لا يفتأ
يتردد على قصرها . وأن الأغنية الدائمة «حيث يا قلبي»
التي يثنى بها المصريون جميعاً وتهفو إليها نفوسهم
لحنّت بوحي جمالها ، وما علمت بهذا الأخبار حتى التهبّت
نفسها التهاباً . واحترق قلبها احتراقاً ، وتلفتت بمنة
ويسرة تبحث عن طائر « شهيد » تصير بحبه
حديثاً ممسكاً ، وتشدو له وحياً ملمعاً ، فذكرت شاعر
مصر محمد نور الدين ، فهو المصري الوحيد الذي له
ما للشريني من الشهرة والمكانة وهو أجدر الناس
بتخليدها في قصيدة كما خلد الشريني منافستها في
الأغنية . وفي تلك الأثناء رأت الشاعر مصادفة
في السرح وكانت تفكر في وسيلة تصل بها إليه ،
فهل كنا مثاليين إذ قلنا إنها نالت أمنية من أعز
أمانها ..؟

أما على أفندى جبر فقد رجع إلى مقدمه ،
وهو بقي على الناظرين نظرة فاحصة خشية أن يكون

وأخرى . وهاتذا أشامعها للمرة الثالثة ، وفي كل مرة
أفوز بحسن جديد

فايتمت السيدة وقالت :

— إذا أصاب ظلي

فقال هل أفندى :

— إنك يا سيدتي آية في الداء

ولم يأذن الوقت بالاسترسال في الأحاديث إذ دق
الجرس معلناً انتهاء الاستراحة ، فاضطر على أفندى
أن يستأذن في طلب الانصراف وقالت السيدة وهي
تودعه :

— أرجو أن تشرف قصرى بزيارتك

فقال وهو يتحنن على يدها :

— لي عظيم الشرف يا سيدتي

— يوم الأربعاء الساعة السابعة مساء ...

شارع مخارويه رقم ١٠ بالزمالك

وتنهت المرأة اذ تباحاً وظنت أنها نالت أمنية
من أعز أمانها . وكانت غلظة سيدة الحظ كأن
الأقدار تتوخى راحتها ، تزوجت من رجل من رجال
مصر القانونيين المدعويين فتمتعت برجولته وكفاها
الموت شر شيخوخته وترك لها مالاً وجاهاً واسماً
عظيماً ، ولكن ضايقتها ظهور منافسة خطيرة لها هي
أرملة الدكتور إبراهيم بإشا رشدي ، يجري ذكر
جمالها — مثلها — على الألسن وتتحدث بثرائها
المجتمعات وقد وضعتا المصادقات في حي واحد
وأعرت بينهما بالمدواة والبضفاء ، فسكنتاهما تتمتع
بأنوثة نابضة وجمال ثنائ وثروة طائلة ، وتعلك قصراً
نظماً يتيه على قصور الأمراء ، وكانت كل منهما
تمتد بنفسها وتود لو يتلب نوورها الأخرى
فتنافسنا في اقتناء السيارات الثمينة والتحف النادرة

وقد قال لنفسه متبرما وهو يحسبها إلى يئته :
 « أعتل أن يكافئني الحب مالا أو مطاردة خطيرة
 أو سبرا طويلا أو شجارا عنيفا، أما الذي لا أعتله
 فهو أن يتقاضاني قراءة هذه الكتب ! فهل أنا عاشق
 أم تلميذ ؟ » وأخذ يقلب صفحات الكتب فنص
 بالشعر كما توقع ولم يفقه له معنى، ولو كان يسيرا مثل
 « إنا نلح في دجى الليل فأسهر » لكان الأمر
 ولكنه كان من نوع محبب سهل الألفاظ منلق الماني
 وهذا غزل نور الدين فـا بالك بالأغراض
 الأخرى التي يحفل قلبه من مجرد تلاوة عنوانها ؟
 والأدهى من هذا وذلك أن تتره ليس يخرج من شعره
 فقد قرأ صفحات في كتاب فلسفة الجمال ما كان يظن
 أن إنسانا عاقلا ينشرها على اللأ . وضاق صدره
 بنور الدين شعره وتثره، فرى بالكتب جيما ولكنه
 قال بأصرار وعناد « سأذهب يوم الأربعاء »

وفي الموعد اللسفى ذهب إلى قصر السيدة الجليلة
 بشارع خمارويه، وكان يادي الوجاهة والأناقة، وأرسل
 بطاقته إلى ربة القصر، فقامه الخادم إلى (صالون) رافع
 لم ير أجمل منه على كثرة ما غشى من (الصالونات)
 الفخمة، ولكنه لم يدهش لأن منظر الحديقة والقصر
 الخارجى سلبه كل دهشة. وكان يكره الانتظار لأن
 أمثاله من المناصرين تواتبهم النتيجة بدهاء وارتجالا
 وتشجذ أسلحتهم في أثناء المسة؛ مثله في ذلك مثل
 الخطيب الطبوع الذى يلهمه الجمهور الماني فيتدفق
 وذلك أحس بارتياح عجيب حين رأها تشرق عليه
 من باب الصالون في ثوب أبيض غير كنوم يملن
 عن جمال كل ثنية من ثنيات جسمها اللدن، وبين
 خاصة عن الخمر العتيق الذى يملق به كفلاها
 الثقيلان، فطرد بقوة إرادته بقية قلبه عاتقة بنفسه

الشاعر الأسلى بين النظارة وقد ساءل نفسه :
 « ألا يجدر بى أن أفر ؟ » ولكنه لم يكن جادا في
 سؤاله لأنه لم يستد الفرار في ميدان النساء

ولم يأل جهدا في التأهب والاستعداد ليتقن
 تمثيل شخصيته الجديدة، فطبع بطاقات باسم عمده
 نور الدين ورأى عن حكمة أن يلقى نظرة سطحية
 على مؤلفات الشاعر فذهب إلى مكتبة مصر وطلب
 مؤلفاته، فمأه الكتب :

— كلها ؟ فقال :

— نعم . فقال الرجل :

— الطلب غير ممكن الآن يا أستاذ لأن بعضها
 نقد والبيض غير موجود في المكتبة فاذا انتظرت
 إلى اللند ... »

ولكنه قاطعه متسائلا :

— ما الحائض بين يديك ؟

فقال الرجل :

— دواوينه الأربعة . النور والظلام والجحيم
 والرحلة الروحية والنباء السابعة وكتاب فلسفة
 الجمال والرحلة الشرقية والجزء الثانى من كتاب اللند.

وهاله الأمر وأسقط في يده، ولم ير بدا من
 اتياعها جميعا . وكانت المرة الأولى في حياته التي
 يشتري فيها ديوان شعر لأنه بطبعه لا يحب الشعر
 ولا يهضمه ولا يجد مشغوا للقوافى التي تقيد ممانيه،
 فلما فـا لا يرسل الكلام على سجيته ؟ وإنه لينفث في
 آذان النساء غزلا يستند أنه أرق الكلام وأمتنه؛
 ومع هذا لم يشعر مرة بالحاجة إلى تنسيقه في بيت
 من الشعر . ولم يقرأ من الشعر طوال حياته سوى
 المحفوظات المدرسية وهو كاره، فما كان يحضر له على
 بال أن يشتري ديوانا من الشعر فضلا عن أربعة
 دواوين كاملة، ولكن قدر فكان

الشعر لا يبر عن عاطفة إلا بعد أن تسكت ثورتها
ويهدأ انفصالها

فهر رأسه مبسما وقال وهو ينفد ارتياحا :
- وهو الحق البين يا سيدني. أرى أن رأسك
متوج بتاجي الحسن والأدب
فتودد خذا المرأة وقالت بحماس :

- إلى واحدة من قرائك المجيين ... وقد
قرأت مؤلفاتك جميعا بإسنان وشفت
فقال :

- أبني بقرء مثلك يا سيدتي العزيزة ... ؟
إن هذا البلد لا يقدر الكاتبين

- هذا حق وأأسفاه على وجه العموم ولكن
يقال إن لك جمهورا تحمد عليه يا سيدتي الأستاذ ؟

فأشار بيده إشارة تدل على الأسف وقال :

- لو أتيت لي أن أكتب باللغة الانجليزية مثلا
فسأته السيدة بقلبي :

- أو ليس لك الجمهور الذي تحمد عليه ؟
فقال باطمئنان :

- جمهور قرائي يربو على ضفتي جمهور أي كاتب
آخر في الشرق الاسلامي

- يا لها من مكانة سامية !
فهر رأسه أسفا وقال :

- لقد دفنت شبابي وقوتي تحتها
- أأسف أنت على هذا ؟
- لا أدري

- لقد خلعت شبابك في آثارك الباقية
- أهيما أفضل أن يخلد شبابي كي يتمتع به

غيري أم يفتي وأتجع به وحدي ؟
- لا تناقض بين الاثنين فانك تستطيع أن

وأعني باحترام ، فأعطته يدها فغنضت عليها بمحوشم
قال وهما يجلسان :

- لقد حسبت الأيام ساعة ساعة
فأبسمت السيدة وقالت بلهجة لم تحمل من متاب :
- هذا معنى مبتذل لا قرابة بينه وبين معانيك
الشعرية الخالصة !

فاحتدم الغيظ في قلبه ولمن الشعر والشاعر
وتذكر قراءته لبعض الماني (الخالصة) التي لم يفقه

لها معنى وعجب كيف تؤثرها هذه السيدة المجيبة
على مبارته البسيطة التي طالما نصبت الشراك وغزت

الحصون ، وأراد أن يتلمس لسجزة من خلق الماني
« الخالصة » عذرا فلسفيا فقال :

- ممفردة ياسيدتي ، إنني إفا غشيتي لآلام الحزن
للساي تركت نفسي على فطرتها وهجرت إلى حين

الماني التي يبدعها التفكير والتكلف
فأبسمت حينما السيدة الجليتلاند دهشة وقالت بإنكار :

- يا عجبا ! أنت القائل يا أستاذ في مقدمة
ديوانك إن شمر ك شعر الفطرة والبلع ؟ أو لست

الأخذ على شعراء المدرسة القديمة تكلفهم ؟
فأسقط في يده ووجد أن الحذر لم ينفعه وخشى

أن يتقدتفته بنفسه فقال بلهجة الماني التي يفتي ما يقول :

- إن الشعر ياسيدتي مزيج من الفطرة
والتفكير ، والتفكير غير التكلف ، وما أردت قوله

هو أن الشاعر في حضرة الحسن يستبد به الشعر
الخالص ...

وأشفق من أن تسأله مثلا عن الفرق بين
التفكير والتكلف أو عن معنى الشعر الخالص

ولكن السيدة قالت بإيجاب :
- صدقت يا أستاذ ، ولعل هذا يفسر قولك إن

ثم سألته في لحظة :

— أحقا ما تقول يا سيدي ؟

— كيف يداخلك شك في هذا ؟ قاله إذا

لم تخلق هذه الساعة شمرا فلا خلق الشمر أبدا

فاثلا قلب المرأة فرحا ومنت نفسها بأسمد
الأماني .

وفي تلك اللحظة دخلت الخادمة تملن قدوم
زائرات . ولم تقابها السيدة — كما فوجئ الأستاذ
بقدومهن ، كأنها كانت على موعد معهن وأصرمت
الخادمة بادخالهن . وبعد لحظة قصيرة دخل ثلاث
آنسات حسان يختار ماء الشباب في وجوههن ؛
وتلقين السيدة بترحيب وقدمت إليهن الشاعر
بلهجة فخار قائلا :

— الأستاذ محمد نور الدين سيد شعراء الشرق
وقدمتهن إليه واحدة واحدة قائلا إني أعضاء
جمعية تعليم الأميات التي تتشرف برؤسائها ثم قالت :
— إني أدريات مثقات ولكن وأسفا ، فإن
ثقافتهن قاصرة على الأدب الفرنسي الذي يمشقته
إلى درجة أن جعلن الفرنسية لغة حوارهن . وإني
أرجو أن يكون ترفك بين ياسيدي سيبا لتوجيهن
إلى الثقافة العربية المصرية

فجيب على أفنديك تلك وتساءل دهشا : ترى
هل يمكن الفلاحات الأميات مبادئ اللغة الفرنسية ؟ !
واستطردت السيدة تقول للآنسات :

— ستجدن في صديقي الشاعر عدنا جليلا .
ولكني ما لهذا دعوتكن الليلة ، فقد حجزت البنوار
الأول في مسرح رمسيس لمشاهدة ممكأ رواية البخل ،
ولا بأس أن يشاهدها الأستاذ للمرة الرابعة إكراما
والحقيقة أن السيدة ما قصدت بدعوتهن إلا أن

تستهلكه في متنتك ثم تخلده في شبرك ، أنسألي
وأنت أستاذي ؟

— هذه سعادة لا تتاح لغير المبدوين

— وإنك إني المبدوين

فنظر إليها نظرة لو تحولت إلى كلمة لوقع قائمها
تحت طائلة قانون العقوبات ، وكان يجيد هذه اللغة
ثم قال بحيث :

— إنك ياسيدي تتحدثين عن حظي كالو كان
مصريه بين يديك

فتخضب وجهها بإحمرار طبيعي غلب أحمرها
الصناعي الخفيف ؛ وما كانت تكره أن يكون مصير
سعادته بين يديها ولكنها ادخرت هذا الحديث إلى
وقت آخر فتبعت مجراء وقالت فجأة :

— ينبغي أن أنتهز فرصة وجودك معي لأسألك
عن معنى بعض الآيات الشعرية التي أغلق على فهمها
تفق قلبه خفقة شديدة أيقظته من غيبوبة
النرام وذعر ذمرا شديدا ، إذ أن له يشرح معاني
شعر نواز الدين المظلة وهو الذي لا يفهم أيسر الشعر
وأحلسه ؟ وخشي إن ترد أن يخرس كل شيء بعد
أن أوفى على الفوز فقال بقوة :

— اعطيني ياسيدي

فسألته دهشا :

— وله ؟ هل يرم الشعر بشمره أحيانا ؟

— ليس الأمر كذلك ، ولكن قد يسمو

الشاعر حينما على شعره فيخاله بعض مظاهر العالم
اللاذي ، وإني الآن في نشوة روحية من تلك النشوات
التي تخلق الشعر فكيف أزل إلى الشرح والتفسير ؟
فتمرتها موجة فرح وسعادة ، وسادت نفسها
قائلة : ترى هل أكون غدا بطلا قصيدة رائمة خالدة ؟

للمكورتين والبشرة الساجية ذات الرائحة الزكية ذكر فاك الحسن الفتان الذى رى به الحظ بين يديه قضاء وقدر... أى ليلة جميلة! كأنها حلم لذيذ لا يبعد بمثلها عالم الحقائق . وكأنه أراد أن يتأكد أنه حقيقة لا حلم فأخرج مذكرته وقرأ فيها الموعد المنتظر الذى كتبتة بيدها الرخصة ...

كأن الصادقة لم تقنع بما أنت من عجب عجاب ، فانه لى تأمله وتذكره إذ أحس بيد توضع على كتفه فالتفت إلى الوراء فرأى صاحبتة الجميلة واقفة بين جماعة من السيدات الارستقراطيات ، واستولت عليه الدهشة والارتباك ، أما السيدة فالتفتت إلى صاحبائها وقالت بقيه :

— لأذن لى أن أقدم إليك صديقى الأستاذ محمد نور الدين سيد شعراء الشرق

— فاقبلننى له بترحيب إلا واحدة رددت النظر بينه وبين الأرملة وقالت ، ضاحكة :

— يا لها من نكتة بارعة ياسيدتى !

— فسألها السيدة :

— أى نكتة تمنين ياسيدتى ؟

— ظم تحفل السيدة بإنكار الأرملة الجميلة وقالت وهي تحجج على افندى بنظرة استغراب

— رحماك يارى ... الآن صدقت قول القائل « يخفى من الشبه أربعين »

فاحتدمت الأرملة غيظا وقالت :

— إنى لا أقفه لا تقولين معنى —

— بل تقنعين كل المعنى وتريدين أن تضاحكينا .

والحق أن الشبه الذى بين شاعرنا الجيد وبين حضرة البك شبه عجب ...

فاشدت التيقظ بالأرملة والتفتت إلى على افندى وقالت :

— نكلم بأستاذ لتعلم عصمتها أنى أجدر لأهزل

تذبح بينهن نبأ صداقتها للشاعر لى يذعنها بدورهن فى (الصالونات) الزايفة فيتصل خبرها حبا يلم منافستها الخطيرة ، وما ذهبا بهن إلى مسرح رمسيس إلا لهذا الغرض نفسه

وقد تضايق على افندى من حضور الزائرات وتضايق أكثر من دعوته إلى المسرح ، وكان يرجو أن تطول خلوة بها ، ولكنه كان يبالغ فى التشاؤم ولا يدري بالسعادة التى تحببها له الأقدار ، ففى الاستراحة انتهزت السيدة فرصة خروج الأناس من الجنوار وقالت له فى خضر : « ستعود معى إلى القصر » ولم يكن للدعوة إلا معنى واحد ، فتساءل على افندى ترى كيف يتخلص من الأناس ، ولكن السيدة لم تعمل ذلك حسابا ، فبعد انتهاء التمثيل طالت السيارة بهم جميعا وودعها الفتيات عند مبتدأ شارع مخاديه ، ثم سارت بهما السيارة وحدهما إلى القصر السعيد ، فأيقن أنه رغم طول تجاربه جاهل بالنساء ، وأنه لم يعرف قبل الآن امرأته مفرمة بالقضائى ! وكانت ليلة ...

وبعد يومين ذهب على افندى جبر إلى زيارة المرض الرابع عشر للفنون الجميلة ، ولم يكن من الحياة ولكنه كان من عجب الظهور والادعاء ، وكان حبه للنساء يدفعه إلى ارتياد الأماكن التى يحتمل وجودهن بها ، فضى يسير فى الجبرات الأنيقة وينظر بسنين قاترين إلى اللوحات الملقة ، حتى استرعت انتباهه من بينها صورة فلاحه طرية تستحم فى النبل وقد أجادت الرشة تصوير قدمها التحيف وتديبها الناهدين وأضفت على سمرة بشرتها سحرا شهويا عجميا ، فوقف أمامها طويلا لنير وجه الفن وذكروا رؤيتها — ذلك الجسد البض المكتنز والرفيع الكورين كأنهما إسفنجة هائلة منتشبة بالماء ، والساقين

— إلى أعجب كيف يخذلك البصر إلى هذا الحد ! ألا ترين أنى ظننت إلى الحقيقة من النظرة الأولى ؟ قتالت الأرملة الفاهلة تدارى خجلها :

— ما أعجب الشبه بينهما !

فقالت الأخرى :

— ولكن شتان ما بين قائمتيهما

وقالت أخرى ساخرة :

— سيفضب « صديقك » الشاعر حين يلم بهذا الخطأ الغريب !

وغادر على أفندي المرض مضطرباً . ولما تنسم الهواء الطلق انفضض احكام حق دمت عيناه . على أن الموقف لم يكن يخلو من دوايح الأسف ، ما دام قد خسر الموعد للتظفر ، وكان معنى نفسه بأكثر من ليلة واحدة ...

فبيب يحفظ

وكان على في حالة ارتباك يرئ لها وقد خاتته جسارة تلقاء نظرات السيدة الجريئة التي لاشك تعرف الشاعر الأسلى تمام المعرفة فزيجد مناسباً من الحرب فظواهر بأدهشة وابتسم إلى الأرملة البائسة وقال :

— ممتدة بإسديتى ... يخلق من الشبه أربعين

— وكان يتكلم بلهجة جدية لا تترك أثراً

للشك في نفس السامع ، فجمعت عينا السيدة دهشة وازعاجاً ، وعلا ضحك صاحبها وتاملته بإيمان وهي تكاد تبجن من الدهشة وسألته :

— ألسنت أنت الشاعر ؟ فأجاب يهدوء :

— كلا بإسديتى . أنا موظف بوزارة الزراعة

— ألم تقابلني قبل الآن ؟

— لم يحصل لي هذا الشرف بإسديتى

— قال على أفندي ذلك وأحنى رأسه تحية

وذهب تاركاً السيدة لصديقاتها الضاحكات ، وقالت :
السيدة الأخرى :

شركة مصر للملاحة البحرية

تمهد لكم السبيل إلى بيت الله الحرام

بباخريتها الفاخرتين

زمزم وروض الفرج

وفنادقها في

السويس - جدة - مكة المكرمة

وبنك مصر يقدم لكم جميع الخدمات ويستبدل الملة ويحاسب المطوفين ويدفع الرسوم والمصاريف

استعملوا من

شركة مصر للملاحة البحرية وفروعها بنك مصر وفروعها شركة مصر للسياحة وفروعها

مَصْرُوعُ الْبَحْرِ

للكاتب الإنجليزي سِرَارْثُ كُونانْ دُول
يَسْلمُ الأسْـتـاذُ مَحْمُودُ طَـيْـفُ جَعْفَرُ

المشق الذي يهيم له الإنسان على
وجهه أو يموت كذاً على فراشه
فتجاسرت على مستر هولز
بمازحاً وقلت : إنني رجل متزوج
ولكنك يا مستر هولز رجل أعزب
فهل ... ؟

فقال هولز وقد أبرقت عيناه

بريقاً عجيباً : ليس الحب من طبيعتي . الشفقة نعم .
الرحمة نعم . حب الإنسانية أي نعم . أما الحب الذي
تلح إليه فلا ، ثم لا ، ثم لا ، لأنه قريب بإدخال الضيم
على الرودة واستعمار الدلة لمن أطاف بالمشيقة
كأهلها وذويها

قلت : ولكن الناقب التي ذكرتها كالرحمة
والرقة تشعب كلها من أصل الحب .

قال : صحيح ، ولكن ... ثم تناول جريدة
التيمس وناولني إيها ، وقد أشار بعلامة على نبذة
قصيرة هذا نصها : « وقد اشتغل مستر هولز
في تحقيق هذه القضية فأعرب فيها على عادته واقترض
فيها اقتراضاً بعيد الموافقة للواقع ، فقوت على رجال
البوليس الرسميين فرصة القبض على التهمين الذين
لا شك قد اتخذوا سبيلهم في البحر عجيباً ، فاستقروا
باخرة كبرى تمخر الآن عباب المحيط في طريقها
إلى نيويورك ، ولا يزال مستر هولز يمزج أخيلته
بألفاظه البطيئة ودخان شبقة في إحدى الغرف
الموطأة في مسكنه العامر ببيكر ستريت » . ففاغطني
هذه النبذة السممة وقلت :

— لا تبتسئ يا مستر هولز ولا تحزن ، فإن
الدنيا لا تخلو من حاسد باغ ، ومن قائل متكلف ،
ومن سامع طاغث ، ومن منافس مقصر

روى دكتور وطن مسجل أخبار شلوك
هولز ومغامراته قال :

في هذه الليلة من أخريات الليالي في شهر ديسمبر
سنة ١٩٠٠ كان هولز منشغراً الصدر بقرار الدين ،
كما دنا عيد الميلاد . كان لا يحب الديكة
الحنيضة ولا يعيل إلى حلولي البودنج ، وما اللونان
الاذن شغف بهما كل إنجليزي تحت السماء ، ولكنه
كان شديد الاكتراف بأعداد وجبة العيد ، ويكثر
من الاستعداد لمشاء أمسية عيد الميلاد ، ويحتفي
بها ويحتفل أياً احتفاء واحتفال . فكانت مسز تيرنر
منهمكة في تسوية الديك ، وتدخين فخذ الخنزير ،
وخلط الأفاويه والأزمار مع الزبيب والبندق والجوز
واللوز ... وكان هولز يفرح بيده ، ويدخن غليونيه
الأبدى . وكان مأهلاً أن يبدأ الحديث بنفسه ، ولا
يبسح لأحد أن يشته أثناء سمته . فقال :

— أظنك بعد قرآنك السعيد الذي كان نعمة
لنفسه الكثر الذين لم تشغل نفسك بالحب ... ؟
فابتسمت وقلت : الحب ... ؟ لا أظن ... أريد
حب الزوجة يا مستر هولز ؟

فضحك وقال : أتصد إلى الهوى الذي يتفرع
منه المشق ، الذي يصفه ما كس يجربون في قصصه
كما وسفته شارلوت بروث و جورج أليوت ...

أمل حديث القردة ، وملاحظة لطمها ودقها صدرها ونسيها واغتلاصها حتى كادت أظلمه ... فم أتمكن من ذلك قبل أن قال : ألا تعلم أن جاكين رضية الشمازى كُنْشَا الآن ومنج في قنص واحد . فسوف ترى ما تكسب منه قدياً ... في تلك اللحظة أقفلت مسز تيرز موقفى بدخولها وقالت :

إن سيداً بالباب يطلب لقاء مستر هولز قطب هولز جيبته وقال : في عيد الميلاد ، عند سماح الأجراس العذبة ، أجراس العيد ، طارق يريد لقائى ؟

فقالت مسز تيرز وكانت روح الدعاية قد اخترمتها بمد طول الماشرة واليشة في حاشية هولز للروح : — في الحق وبالصدق ، إنه يشبه سانتا كلوز ، فله يحمل إليك هدية ... ولكن عيثاً واحداً يزعمي بشأه ، أحب أن ألفت إليه نظر السيدين (تقصد إلى هولز وإلى) إنه لا يفتك يدي صدره بقبضة يده ، ويلطم خده براحة كفه على طريقة مدهشة ، لم يسبق أن رأيته لأحد من الناس . ربما بعض الزوج في معرض كوفنت جاردن أو كريستال بلاس . أما الناس ...

فدهشت وهضت غزلى وغضضت بعصرى ولم أجرو أن أحقق في وجه ذلك الرجل العجيب الذى يكاد يطلع على اللبيب ، ولكننى لم أشأ أن أغناه بسؤال لأشقى غليل استطلاعى ... بيد أنه أذن للرجل أن يدخل علينا ، ليرى ما شأنه ، فاستأذن على خلوتنا رجل ملتف العمية كت المارصين ، متخلع الأسنان ، مفضن الوجه . وجلس في المكان الذى أشار إليه هولز ؛ وما لبث الرجل أن

فضحك حتى بانت نواجذه وتجلت أسارير وجهه وبدا لونه كالساج وقال :

— كما أنها لا تخلو من ذى سلامة في المنطق وصحة في النظر وصدق في القصد ، ومن رجل شديد الحماسة عن حقوق الضعفاء ، والمطالب بدماء القتلى قليل للتسرع إلى أهراض العاملين . فلندع أبطال سكوتلانديارد في غيهم . ولكن قل لى : هل لاحظت أثناء زيارتك الأخيرة حديقة الحيوان كيف أن منج طفل النوريل بدأ يدي صدره بإحدى يديه على طريقة يتبعها كل أبناء جنسه حين تشرف على سن المراهقة ؟ قلت له : نعم ...

قال : لقد بدأ دور الحق على الصدر منذ ثلاثة أشهر ، أما الآن فهو يدي دقاً منتظاً بكتنا راحته ونحن وافقون أنه اتبع غريزته وأضنى إلى صوت ورائته ، فلم يلمه أحد ولم يلقته أحد من الانسان أو الحيوان تلك الوسيلة التى تم عن مرافقته واستكمال ذكورة . إن دق الصدر علامة على الاحتياج بأنواعه ، عند بعض طوائف البشر وبعض فصائل الحيوان ، هكذا فملت أثنى النوريل مونيأ وذكرها موك . ولكن مونيأ كانت أشد حذراً من موك ، لأنها كانت تتق أن تؤذى نفسها ، فعلى لا تنسى في فورة الهيجان ضرورة الحرس على بشنها . والذكر يلطم خديه لراحة مبسولة بل بقبضة اليد مجتمعة . أما موك ومونيأ ومنج فقد اطمت وجناتها ودقت صدرورها براحة مبسولة . وإن ذلك لصوتاً رهيباً في الحديقة ، فما بالك به وسط الناب في هدوء الضحى أو سكوت الليل

وكنت على شدة إعجابى بمحدث هولز في كل وقت وانسراح خاطرى بهدوء باله ، قد بدأت

ومنذ أسبوعين غادر ابني بيت الأسرة إلى قرية
ديرهام ليجمع مالا من ثمار ضيعة لنا فيها أعمار
الشريك التي تليخ وتيجل سربي في أعقاب من
الزجاج . وكانت آخر مرة روى فيها ، وهو في سيارة
مأجورة قتلته من عطة ديكورني جنكسن في طريقه
إلى تلك القرية . ثم لم تقف له على أثر

فهمهم هولز : اختفاء غريب حقاً ! فهل أبلغت
خبر اختفائه للشرطة ؟

قال الهندي : أنا جوهر شاه لال أشهد أنني
لم أر قط شرطة أغرب وأعجب من شرطة هذه
البلاد . فساعتهم بيوم ويومهم بشهر وشهرهم بعام .
ولن روح الدابة فيهم لأقوى من موهبة الدكا .
والضخمة من التكوين أمثالي أنكي من عاطفة
الواجب . وقد أصبح أداء الأعمال لديهم نوعاً من
حركة الآلات التي لا تشعر ولا تحس

قال هولز باسماً : على ذلك أيها الرجل الموتور
إنك لا تزال من رجال التاج والطاعة عليك واجبة
في حق السلطة للتنفيذ ، التي لولا قوتها ما استطعت
أن تعيش في هذه البلاد آمناً في سربك مطمئناً على
مالك وحياتك

قال الهندي : أي أمن هذا ؟ كان أهون على
أن أموت وأدفن أو أحرق بديك من ولدي الوحيد .
لقد قلت هذا القول نفسه للفنش جريفيين ، فلم يهتز
ولم يثر . ولذا ذكرت له اسمك بعد يأس من معونته
وامتناعه من طرائق عمله قال لي : عليك به . عليك
بمستر هولز إنه خير من يجلو غموض هذه القضية
ويحل عقدها . وليس لك عمل عندنا ، فقد استفدنا
وسائل البحث حتى البركة الآسنة نرحنا مدها ،
والقصر المتيقظ ليلنا رأساً على عقب وكذا نهزم

رفع حاجبيه التزيين فانطوى على جبين تكاثرت
غضونه حتى لكأنها أسطر قائمة في صفحة
من سحر القدماء ، ثم أخذ يلمث ويقطع الألفاظ
ويسرد حديثاً لم تستبين معانيه لنموض تراكيه
فقال له هولز : هون عليك أيها الشيخ وحاول
استرداد هويتك ما أمكنك ، فلا تحمل قضية بسجلة
وإن ألح فيك الرجل الحليم والشيخ الزكين .
فأهذا الحزن الذي تملك إلى طبع الصبيان والنساء
وإلى أنسال المجاهين ، تكاد بدد صدرك ولطم
خديك تشق حبيك وتفض جوتك وتبكي كأيكي
الحديث للفرير وتندب كالتوايح

قال الرجل : ولدي ! ولدي الوحيد أيها الرجل
الثقذ ، زين الشباب لم تقع العين على أحسن منه وأفضل
فقال هولز : إنك بلارب من مقاطعة كشمير
فدأى عهد استوطنت هذه البلاد ؟

قال الرجل : انني تزحت من الهند منذ ثلاثين
عاماً وكان ابني رضيعاً ، فبنا وترعرع تحت سمائكم
وأرى لحسابه غير قانع بما ربحتم من مال ، ولم يكن
سفيهاً ولا مبذراً ، وكان مقتصداً لا أنكر ذلك ،
حتى أنه لو طلب إليه مال ولو في مصلحة واجبة
الأداء لكفح القضية أو سداد دين مستحق تريد
وجهه وطار النضب في دماغه ، فبمنتع وبسوى وبأبي .
ولي أخت فقيرة مسكرة ، تيمتنا بولديها ، لأنها تزلت
ولم يطلب لها العيش في ظلال الفاقة ، وأحد ولديها
وهو يصغر ابني نشأ في فقر مدقع فشغل عن
التعليم بالجوع ، وطمع في مالنا من خصاصة ، فكانت به
ونفذه حيناً ونمته ونحرمه أحياناً . وكان عطاشاً إياه
أكثر ما يحق ابني شاهين لال . ولم يزل مذبذباً
أليماً حتى ينسئ المال القليل الذي فرجت به كرب
ابن عمته

مقصراً . فقال هولز : إنك تحمل ميزان رصيدك في أحد جيوبك . أنت لك نصف مليون يامسترال ؟ فتهد الهندى وتلفت وقال : قد يكون هذا الرقم قريباً من الحقيقة

فقال هولز : فإذا مت من غير عقب ؟ فانتفض الرجل وقال : حاشا لكالى وفشنو وكريشنا أن تصح كهاتك . قال هولز : لا عليك ؛ فلا تتطير من سؤالى ، بل أجبنى إن مت من غير عقب ، فمن يرث مالك ؟

فبكى الرجل حتى بلل لحية وقال : ترنى تلك السيدة الموراء أختى شادجيهان كبرو فقال هولز : ولا أحد سواها

فقال الرجل : زوجى تحرم تحرق وتكب على مناخرها في النار ولانال روية واحدة . فقال هولز : تفضل يادكتور رطسن وناولنى هذا الجلد الأحمر البالى على الزف الثالث في الصوان الخامس من اليسار وهو بأسفل الطبوعة التاسعة من دائرة المعارف ج ٢٤ حرف ميم ونون . فلما ناولته الجلد المهود فتحه وقرأ بعض نصوصه وقال :

أية شربة للوارث هذه ؟ تكلم ياوطن ، إن للمرأة في الشرق مكانة سامية وإن كانت تحرق بعد وفاة زوجها ، فهلا كما قرين ترمها . وما يدل على تنظيم شأن النساء أن الرجل يستحلف باللهمة التي لا شيء أعظم منها ، ويأبى إلى أقدس لمياكل ، وبصدقة ماله فيسهل ذلك عليه ولا يأبى منه ، فإن استحلف بالطلاق ينضب ، ويرفض ، وإن كان الحلف قاضياً جليلاً أو أميراً مهيباً أو حاكماً مطلقاً ، ولم يكن الرجل يحبها ، وكانت نفسها قبيحة المنظر قليلة النسب . ولكن هذه

جبرانه ، ثم أعرض عنى . وما هالى إلا نبذة قارصة قرأتها في جريدة هذا النهار ، تسلكك بالسنة حداد فهورلت إليك

فقال هولز : وهذا أيضاً لا يبرز تفكك ، فقد أسدى هؤلاء الرجال الأفاضل للعبد خدمات لا تنسى ولا تقدر . ولكن أسر الرماة وأحذقهم وأصوبهم قد يخطئ الهدف مرة أو مرتين فلا تكون خيئته سيئاً في نسيان إصابته مرات . أنت تتجرى في السجاد والؤلؤ والأفواه ؟

— نعم . من قال لك ذلك ؟

— لا تجعل هذه الظنون شأناً

— ولكنها حقائق لا ظنون فقد ورثت تجارة السجاد الفارسى عن والدى . وهويت تجارة الؤلؤ هواية عشقتها تقليداً للصديقى صاحب هارنهرور ؟ أما الأفواه فيمت بها إلى واحد من ذوى القربى يقيم منذ ثلاثين عاماً في بطاوى صامحة جاره . فقلت للمستتر جريفت إنك تقفني هذا الموقف وتعلمنى على هذا المركب ثم تخذلى هذا الخذلان وتشبهنى مثل هذا اللد ، ولو حيرة الخوف من المقاب . إننى أنزل عن نصف مالى بل كله لو أنك رددت إلى ولىنى فقال لى الفتش : أشروع في رشوة أهبها الأجبنى ؟ فقلت : لست وحفك أجنياً ولا غربياً .

فقال هولز : دعنا من حديث هذا الفتش جريفت لأنه من أسدقائى الأئمة ويؤلى أن تسمى بيننا ، فظالماً أسدى إلى خدمة جلى . وقل لى ما مقدار تلك الثروة التي تلبى بها وتبذلها لإنجاة نفسك ، فسمعت الرجل وتهذب وتلفت يمينا وشمالاً كمادة أهل الشرق في الحذر ونظر إلى نظرة صرية . ثم قال : إن قلت مائة ألف جنبه أكون كافياً ، أو مائتين أكون

قال هولز : وهل يزور تلك الضيعة التي توفي

أكلها من الأثمار ، أو له بها سكن ؟

قال الهندي : كان يختلف إليها إذا كان وولدي صبيين يلهوان معاً ويلعبان بالأكر والصوايح . وفرق بينهما الفقير . وقد حاول استدراج ولدي ، وقد عثرت مرة على ورقة مكتوبة بالهندستاني فيها هذه الكلمات : « ابن خالي العزيز ، لقد تأملت شأن الدنيا فوجدت أكبر نصيما وأكل لذاتها ظفر الحب ويحببني الماشق بطليه ووجدت شقوة الطالب المكدي وغمه ، في وزن سادة الطالب للتاجع وسروره ، ووجدت المشق كلما كان أرسخ وصاحبه به أكلف . فان موقع لذة الظفر منه أرسخ وسروره بذلك أيسج .

ووجدتك قد ضربت بالمشق عرض الحائط فكنت البخل من نفسك . وعشت الرزق وجع المال ، حتى أبغضت كل شيء . وليس المال بأمرأة ولا يشق إلا النساء ، ورأيت جهن من أكبر أسباب اجتياح الخير . وما أنت ذا قد امتلحت جمع المال ثلاثين طاماً ، فعلا جربت حب النساء شهراً واحداً ؟ » وقد لاحظ هولز غرابة هذا الخطاب ، فمبس ثم ابتسم وقال أخيراً الهندي :

— وأن ابن أختك الآن ؟ وهل شغلته الشموعة أو السحر يوماً ؟

وإننا لكذلك وإننا بالهندي التهدم يقفز من مقدمه ويدق على صدره بيديه كمن مسه الجن . ثم أخذ يبول ويهوى ويقول :

— أتؤمن بالسحر يا مستر هولز ؟ أتؤمن بالأحلام التي يراها الناس فيما يري ؟

فحاولت أن أبذل هولز النظرات ، ولكنه لم

المرأة السكينة تفقد وجودها وكرامتها يوم يموت بلها وبقى بها من حالي ، وعلى ذكر النساء يا وطني أعلم أنني فكرت كثيراً في الأخوات الثلاث من أسرة بروطه شارلوت واسيل وأن^(١) ولست أدري إلى الآن أيهن أذكر وأقضي قلباً وأكثر تمحلاً للألام ، فظهرت علامن اللقلق على الهندي وتملأ في مقدمه ، ولكن هولز لم يلتفت إليه ولمله كان مكتفياً بدرسه من كتب . ثم قال لي :

— أعلم أن في قصة (جان يار) التي ديجتها براعة شارلوت — حديث المرأة التي تصدق أحلامها ، فافأ رأيت فيما يري الناس شيئاً ، فلا بد أن يقع على الحالة التي رأيتها ، كأنها تطلع على الغيب ؛ وتعلم سلفاً حوادث الأيام ، فلو كانت هذه الرائية على قيد الحياة لكشفت لنا القناع عن كثير من الجرائم . فابتسمت وقلت : لعل تأتت يا مستر هولز بأعمال تلك الجمعية التي يبحث أعضاؤها العلماء في أسرار الروح والنفس على طريقة تثير الخواطر . فقال هولز : إن عقل كالغزاة المفتوحة تنافي كل ما تستودعه من الصور والآراء . ثم حول وجهه فجاء نحو الهندي وقال له : وابن أختك هذا البائس اللبؤد أما زال ؟

قال الهندي : نعم ما زال مدقاً محروماً منحوس الحظ ممنوماً

قال هولز : أترأه يشق فتاة من بنات جنسه أو خريفة أخرى من الجنس الأبيض ؟

قال الهندي : إنه مهتمك في حب النساء من سائر الأجناس يشقهن ويتله في هوائن ، بقدر ما يفيض الرزق .

فأخرجت أساور هولز ، وكأه أطلق من عشية
ثم استدرك قائلا :

— هذه أضغاث أحلام . إذا أتتك الرؤى بنينا
فتبينه قبل أن تبهم شخصا قد يكون رفيقا
فقال الهندي : الأمر لك يا مستر هولز ...
ولكن هل نتخذنا الأرواح إلى هذا الحد ؟

فقال هولز : لا رأي لي في هذا . وإن كانت
روح والدك حملت لم تتدعه قط ... وضحك ... عليك
الآن أن تذهب إلى عمك ودارك وأن توافيني في
الساعة الراجعة بعد الظهر في محطة باسكرفيل ،
لتداني على المكان الذي لقيت فيه ابن أختك

فقال الهندي : مستر هولز ... مستر هولز
نسيت شيئا . لقد أصررت في أول الأمر عن عادة
ذلك الولد ابن أختي الموراء الترملة ، قائلا بيني
وبين نفسي : أيق الطالع ويذهب للأصالح ؟ ما تقع
هذا الوعد في الحياة وهو جاهل بمنطل ؟ ولكنه أقبل
على ... وكان أصفر الوجه غمما وقال لي وهو
يتلعجج : هل استجد شيء في الحادث ؟
قلت : أي حادث ؟

قال : استخفاف ابن خالي
قلت له : وهل يهلك أمره ؟
قال : كيف لا ، أليس بيننا دم القرابة يجري
في هروقتنا معا ؟

فأخرجت من جيبى هذا الخطاب الذي تلوت
ترجمته على معاصك وقلت له :

— لو كنت تحبه حقاً ما حرصته على الفسق ،
وزيت له ملاهي الشيطان . فبني وتواردى عن دون
أية نحية

فتناول هولز الخطاب الهندي ونهض يودع

يبدأ بي وركز عينيه اللامعتين في وجه الرجل ، ثم
قال بيظه :

— السحر ... لا . أما الأحلام فندم . ولكن
مادخل حديث السحر والرؤى في استخفاف ولدك ؟
فقال الهندي : اسمع يا مستر هولز ... إنك
رجل عجيب . الآن فقط تذكرت ، ويرجع الفضل
إليك فيما ذكرته

فقال هولز : وكيف ذلك ؟

— لقد رأيت أمس في الحلم ولدي يختال في
ثياب جديدة من حرير للشرق وعلى رأسه حمامة ،
أى نم حمامة ، وفي قدميه حذاء أصفر تمود أن
يتنمله ؛ وكان صبح الوجه مشرقه . فلما دونت
منه لأقبله ، لأنني في الرؤيا كنت حاكاً أنه مستخف
وأنتى أبحث عنه وأخشى عليه الخطر ، فأعرض
عني وقال :

— كيف تتركني هكذا ؟ أنهى دى ؟ ألا
تبحث عني ؟ ألا تبذل جهداً ؟ . فبكيت ، فقال لي :
ألا تعرف قاتلي ؟ ألا تعرف فريمك الذي اغتالي ؟
فقلت : لا . قل لي من هو ؟

فقال : هو الرجل الذي تلقاه عصر هذا النهار
هابطاً من مركبة الكهرباء في محطة باسكرفيل ...
ثم غاب شبح ولدي بالسرعة التي ظهر بها
فلم يبد على وجه هولز أى اهتمام ، ولكنه سأله
في هدوء :

— وهل صدقت هذا التحذير وقصصت إلى
موعد اللقاء ؟ أجاب : نعم
هولز — فمن رأيت ؟
الهندي — رأيت ... آه ... إلى أختك ...
رأيت ابن أختي الموراء

فضحكت وقالت : لقد جاوزت السن التي أهم فيها
بجلى ، وليس لي الآن محبوب أرقبه أو أخشى فراقه
فقال هولز : وكان مدهشاً في تقليد الهنود
عند ما يتكلمون الانجليزية : لا لا يا مسز غطلثين
إذا كان عمر الكف يكشف عن الحب وحده فانه دليل
الحياة والعقل والأمراض والنجاح وضده أثناء العمر
وما يصادف الانسان من السمود والنحوس ،
ويكشف عن الفضائل الكبرى وما يصيب الرء من
حسن الحظ

فتاولت المرأة بعدها هولز فبدأ ينظر فيها بانسام
وعند ذلك تحرك الشخص الأسمر المنطوى على نفسه
وأخذ يصني بانباه

فقال هولز : إن في جوارك أو في حاشيتك
أو على مقربة منك شخصاً يهيم الاتهام في قضية
تقل خطيرة

فنظرت المرأة وسجبت كفها من يد هولز
بلطف ، فقال لها :

لا تهتمى فإن هذا السر لا يضيرك ولا يسوؤك
إنه بعيد عنك . قد ترجى في حياتك القبة مبلغاً من
السال عن طريق الحظ الحسن . وقد تشتري عقاراً
في مقاطعة دبرهام

فقال : يا لك من منجم صادق . إنها مقاطعتي
وربني حيث ولدت وقضيت طفولتي وصباي في مئانيها .
ولا أزال أفكر في العودة إليها ...

من الخير أن تجلس أيها السيد ، فسأحدثك
موراً لتلتق بحيث تسهب في التنبؤ لي . فعاد هولز
إلى مقعده

ولم يكده القام يستقر بنا حتى نهض الشخص
الأسمر ودنا منا وحيانا بالهندية . ولشد ما كانت

الرجل ومادهادنا ، ثم تناول عدسته المكبرة وأخذ
يفحص الخطاب فحصاً دقيقاً

ثم قال لي : علينا الآن أن نهض لنخرج .
أنصرف يا وطن مبادئ الشيرومانسية ؟
قلت : أبداً

قال : لقد كان هذا المجال تشيرو على نصيب
كبير من الفتنة ، غاز شهرة ومالاً . هيا ولنلبس
ثياب الهنود وعمائمهم ولنتخذ مظهر المايلين بقراءة
الكف

وبعد ساعة كنا نجوس خلال الشوارع تحت
واهل من الطر . وقد تركنا الديك الرومي الحنيد
والبودنج ونخذ الحلوى المدخن تنقي من طبعها
وهيأها . أي تنقي مسز تيرنر التي رأنا ترك مادية
عبد الميلاد في أزواء غريبة . وما زلنا نسير كأنه على
غير هدى — هكذا سهلاً في الواسع والضيق من
مسالك لندن وجاداتها حتى بلنسا شارع ويلسو ،
وهو الذي يربط كنجزواي بدوري لين ، ثم انحدرنا
نحو الشمال وما زلنا نسير حتى بلننا أوله بلانيد
ستريت وهو من أظلم الطرق وأضيقها وأقذرها
فوقف هولز متردداً ثم دفع باباً صغيراً كأدفع ودخلنا
في حانة شمطاء ، فاستقبلتنا الساقية بإتسامة عريضة
وسألتنا إن كنا نشرب الجمدة دسمة ثقيلة ، أم نشربها
خفيفة شقراء ، فطلب هولز الأخيرة . ولحننا في أحد
أركان الحانة شاباً أسمر اللون مثنيلاً على نفسه كأنه
« كوبرا » غبراء تهضم الفريسة التي طوت عليها
أحشائها . فشربتنا من الجمدة جرة ، ثم نهض
هولز ودنا من الساقية ودفع لها بمن الشروب
وقال لها :

— أنودين أن تمرق حظك بقراءة الكف ؟

فقال الهندي : والجثة ؟

فقال هولز : لا عليك منها . فأتأتى أمرها فأخرج الهندي من جيبه حزمة من الأوراق المالية وقال : هاك بعض النقود التي وجدناها في محفظته ، خذ منها ما تشاء أجزأ على الخلاص من الجثة فتناول هولز النقود وقال له : هيا بنا .

ونهبنا . وخرجنا نضرب في سواد الليل ، حتى شربنا على « هانسوب كاب » فأنخذناها إلى أن وصلنا إلى المنزل الذي فيه الجثة في الصندوق ، فكلفه هولز بحمله وقطعه ، ودعا المرأة إلى مصاحبتنا موحماً إياها أنها ستناود البلاد مع صديقتها وأنه سيتولى الخلاص من الجثة ، وأنخذنا عربة من طراز فيكتوريا . حملتنا جميعاً ومنا صندوق الجثة . وكان الطرقل قد ازداد انهماكه ، حتى اضطررنا للتأرجح إلى قبو تحت سكة حديد لمبات هول ، وهو قبو مزدان بالقيشاني الأبيض اللامع ، حتى لكأنه ألواح من الجليد نشرت تحت الأرض على طول مائة ياردة طولاً وعرضاً وارتفاعاً .

لقد كان موقفاً غريباً حقاً : ثلاثة رجال وامرأة وجثة .

وكان الهندي الجاني مستسلماً لهولز الذي اعتبره متقدماً خلاصاً . أما الفتاة بولي فكانت من شر أنواع النساء الانجليزيات قلباً وقالباً ، فلم يزد هولز على أن يعلم اسمها والمها وموطن ميلادها .

وقد قضيتا هذه الليلة الليلية المزعجة أو المزعج الأخير منها تحت القبو ، حتى إذا كان مطلع الفجر أمر السائق بأن يسير قدماً إلى محطة باسكريفيل ، التي تجتمع بها قطار من الترام لا عدد لها مقبلة وفاهية إلى سائر المحطات العاصمة .

دهشى عندما أواجه هولز بالهندوستاني ، كأفضل مواطن نشأ في مقاطعة كشمير ولم أكن قبل اليوم أعلم أن هولز يجيد الهندية كأحد أبنائها . وسرطان ما مد الشخص الأسمر كفه لهولز فأخذ ينظر فيها ثم قال له بالإنجليزية : حيث أننا جميعاً نجيد تلك اللغة ، فلتكلم بها . ثم قال :

إنك ولدت في الهند حياً ونزحت عنها في سن صغيرة . وأنت بذيء الوالد ، وأمك الأرملة تعيش معك في هذه البلاد ، وهي شوهاء مراء ، ولكنها تحبك وتخلص لك . لم يسفك الحظ لاقى السال ولا في طلب العلم ، وعندك هوى شديد للنساء . ماذا أرى ؟ كان لك قريب يدانيك في السن ويغوثك في الذكاء والغنى . وهو جد نبيل . ولكنني لا أراه الآن ... لا أراه على قيد الحياة . وأرى امرأة بينكما تدفك إلى اغتياله وهي امرأة أجنبية ، لا تهما حياتك ولا حياته . إن الجثة ...

فبكى الهندي ، وأجشش في البكاء وقال : أنا أعلم أن الجثة تكاد تتنفس ، لولا تلك الحفنة التي أفرغتها بين الجلد والعم . إن الآلهة تمزقني فقال هولز وهو ثابت الجأش كأنه سخرة لا تتحرك

لنترك التفتيح جانباً ... إننا أبناء وطن واحد أين تلك الجثة ؟

فقال الهندي : في غرفة هنا في شارع كورنوال باديستون حيث تقطن المرأة بولي التي أعشقها . لقد خففته بيدي وهي تحرس الباب . فلم تزف منه قطرة دم واحدة . وقد وضته معاً في صندوق كبير

فقال هولز : عليك الآن أن تنادى عواظي هذه البلاد بأقرب قرصة

فقال له : الأولي لك الآن أن تلجأ إلى المنفى
جريفين فقد طبخنا له الطبخة ، وما عليه إلا أن
يأكلها . أما نحن فسنعود إلى مسير تيرز لنشاركها
في التهام الديك المحشو بالأرز الياباني والأطوار
الهندية والزبيب الأناضولي والصنوبر الشامي والأوز
الاسباني والجوز التركي . فقد استحفنا هذه
الأكلة التي تنتظرنا

فقال له القاتل : أيها الطائر الإنجليزي
قال هولز وهو يتفخ في سفارته يستدعي الشرطة
للقبض عليهما متلبسين :

— لكن كنت خائفاً ، تغير من أن أكون قاتلا
فأجشت بولي بالكاهن ثم ضحكت وقالت لمحبوبها
الذي رمت في أعماق الحفر :
— ألم أقل لك إن النهار لن ينتهي بخير ؟
وأقبل الشرطي وتكأر النظارة . وانقلتنا إلى
مزلنا في ٤٠ فيكر ستريت
محمد لطفي جمعة

أغلب مزلقات
الاستبأ الشاشين
والشاشين
الإسلام الصحيح
مكتبة الزمر ، شارع النكدي لادب
مكتبة الصبية

وكان السهر والنسب وم انتظار ما يأتي به الند
قد فالت منا جميعا ، ما عدا هولز الذي كان أنشط
ما يكون « منجم هندي » .

وقضينا وقتا طويلا في الطواف بشركات
البواخر ، ليضمن الهندي وشريكته مرقدن في
باخرة مبحرة إلى أمريكا أو إحدى المستعمرات .
وكان هولز هازلاً لا جاداً ، يقصد إلى تضيق
الوقت أو فضيحة القاتلين . وكانت الفتاة الإنجليزية
بولى تقول بين حين وآخر : أرى أن هذا النهار
لن ينتهي بخير أبداً .

فقال هولز بالإنجليزية مضمضة ليتقن تقاليد
الهنود :

— ربما سحت الأحلام والنبوءات أيها السيدة
وفي الساعة الثانية كان الجوع قد أخذ منا
كل مأخذ ، فوقتنا في شارع وأرلو على مقربة من
ميدان الطرف الآخر ، وإذا بالهندي يقول : « ضموا
على رأسى لحافاً أو غطاء سمكا ، فان البرد شديد
ولكن هولز قال له : ليس البرد شديداً ولكن
هذا خالك والله القاتيل قد أقبل . ثم أخرج من جيبه
قيد الحديد ووضعه حول يديه وقال لي : تناول
رفيقتي برقي ولين فكك عادة فمالة السيدات .
فأخرجت على كره قيدا آخر ووضمته حول يديها
ونشط هولز من عقابه ونادى بأعلى صوته « شاهين
لال ناوردجي » فالتفت إلينا الرجل ثم جرى إلينا
فلم يتصرف علينا لأن قال له هولز : ما هو فا وللك
قتيلا في المستودق وغريمك وشريكته ، ووضعه
عمامته عن رأسه فأقبل الهندي التا كل يقبل يديه
وقدميه .

الرسالة في عامها السابع

المجلة التي أحدثت في الأدب الحديث مدرسة خاصة
المجلة التي ثبتت على مكاره الجهاد والانقاذ والزمن
المجلة التي تنسج بأريج الاسلام والعروة والشرق
المجلة التي لا تتخلف ولا تتوقف ولا تهت

ستخطو هذا العام أوسع خطواتها وأجرأها

أدب ، علم ، فن ، فلسفة ، اجتماع ، سياسة ، اقتصاد ، قصص ، شعر
تدبر ، محادثات ، مذكرات ، مختارات ، أفيار ، مسرح ، سنا

أسرة الرسالة في سذتها الجديدة

الأستاذ العقاد ، الأستاذ المازني ، الأستاذ توفيق الحكيم ، الأستاذ عبد الرحمن شكري ، الأستاذ اسماف
النشاشيبي ، الأستاذ سامح بك المصري ، الدكتور محمود عزبي ، الدكتور عبد الوهاب غزاهم ، الدكتور زكي
مبارك ، الدكتور محمد محمود غالي ، الدكتور أحمد موسى ، الدكتور يوسف هيكيل ، الأستاذ محمد أحمد
القمري ، الأستاذ سعيد الريان ، الأستاذ ددي خشيبة ، الأستاذ عبد المنعم خلاف ، الأستاذ محمود الخفيف ،
الأستاذ عمر البسوق ، الأستاذ محمد حسن ظاظا ، الأستاذ أحمد خاكي ، الأستاذ علي الطنطاوي ،
الأستاذ أنور المطار ، الأستاذ أحمد الطرابلسي ، الأستاذ الحوامي ، الأئمة أسماءهم ، الأئمة زينب
الحكيم ، الأئمة الزهرة ، الأئمة فلك طرزي ، الأستاذ محمد لطفي جمعة ، الأستاذ فليكس فارس ،
الدكتور بشر فارس ، الأستاذ محمود غنيم ، الأستاذ محمود حسن إسماعيل ، الأستاذ أحمد حسن الزيات .

ادفع من الآن لغاية آخر يناير ستين قرشاً

تكسب مجلة الرواية ومعهما كتاب متوسط الحجم ، أو كتاب كبير بالتخفيض ، أو مجموعة السنة الأولى
أو الثانية من مجلة الرواية بحيث يصبح اشتراك الرسالة مع هذه الهدايا عشرين قرشاً . والاشتراك في الخارج
هو مثله في الداخل ، ويزاد عليه ثلاثون قرشاً مصرياً فرق أجور البريد . وسنعلن عن كتب الهدايا في
الرسالة خلال شهر يناير — أما الاشتراك بدمدة التخفيض فهو ستون قرشاً للرسالة وثلاثون للرواية
في الداخل ، ومائة قرش للرسالة وخمسون في الخارج للرواية ويخصم في كل منها الطلاب ٢٥ ٪ .

تظهر في قوبها الجديد : بحروف جديدة ، وطبعه من

أخرى غير هاتين على الرؤوس...
ومع أن الشعب كان كمامة شحوب
العالم يدمن للتدخين ، ويتماطى
المجور ، إلا أن ضرائب الحكومة
من ذلك لم تكن تسد حاجات
الأمير ونفقات بلاطه وجيشه ،
لو لم تسغه ضريبة أخرى من
مصدر جديد هولبة «الروليت»

الشَّقِيُّ الْمَلِكُ

للفيلسوف الرومى « تولستوى »
بسلام الأديب فخرى شهاب السعيدى

ققد كان الناس يتقاطرون من أنحاء أوروبا ليقاسروا
هناك فى دار القمار، وسواء أرفع اللاعبين أم كانوا
من الخاسرين كان لصاحب القمار حصته المروقة من
المال . وكان يجتمع له بهذا مال كبير يكون النصيب
الأوفر منه للأمير... وتضخم أرباح الأمير من هذه
العبة مرجحه أن دار القمار هذه هى الوحيدة من
نوعها فى أرجاء أوروبا كلها؛ وإذ كان أسراء الألمان
قد نموا من إقامة أمثال هذه البيوت فى بلادهم
لما يقع فيها من حوادث الأجرام والأضرار الناتجة
عن خسارة بعض اللاعبين ومناصرتهم ومضاربتهم
وانتهائهم عند نزول الكارثة بهم إلى الاتجار
بالرساى ؛ وإذ كان أمير « موناكو » غير متقيد
ولا تابع لسلطة من تلقى يطبقها أسراء الألمان قدد
ألتفت دور القمار عند أولئك وبقيت دارة هذه الوحيدة
فى أوروبا التى لاقدرة لأحد أن يمرض لها بشئ ؛
وظل هو محتكر هذه الأرباح

وكذلك كان الناس يقدون على « موناكو »
ليقاسروا قنارة يمرضون وأخرى يربحون، أما الأمير
فليس له فى كلتا الحالتين سوى الربح... وعلى أن

كانت تقوم على شاطئ البحر الأبيض ، وقريبا
من الحدود الفرنسية الإيطالية مملكة صغيرة اسمها
«مملكة موناكو» ؛ ولعل لكثير من المدن أن تتثال
على هذه المملكة بوفرة نفوسها وازدهار سكانها ، فإن
أهالى هذه المملكة ما كانوا يتجاوزون سبعة آلاف ؛
وعلى أنه لو قسمت بينهم أراضى المملكة جماء لما أساب
للواطن الواحد منهم فدنا ؛ ومع ذلك كله ققد كان
لهذه المملكة ملك حقيقى له قصر وحاشية ووزراء ،
وله أسقف وجيش وقادة ؛

وعلى أن الجيش لم يكن بالجيش العرمرم الضخم
— إذ ما كان عدد أفرادها يزيد على الستين — فهو
مع ذلك جيش له خطره وأهميته فى المحافظة على كيان
البلاد... وكان للحكومة فى هذه المملكة ضرائب
على الشعب تتقاضاه لإها شأن بقية الحكومات ؛
نضريبة على التبغ ونضريبة على القمار ، ونضريبة

(*) أصل العنوان لم يكن بالإنكليزية كما أتبناه
وإنما كان مناه الحرق « مزرز جنا » (Too Dear)
غير أن سياق القصة ومناعها أجبرنا بهذا العنوان الذى لاراه
فى نظرنا عذافا لرأى واضح القصة . والقصة بند هنا مما
كتبه الفيلسوف من القصص الفرنسية (موبسان)

إذ لم يكن في الملكة مقصدة ولا كان بها جلال ؛
فبحث الوزراء المشكلة وقرروا أن يفاوضوا الحكومة
الفرنسية في أمر إعادتهم مقصدة . وجلاداً لتنفيذ
حكم الاعدام ، وطلبوا منها معرفة ما يقتضيه ذلك
من الأجور . ثم أرسلوا بالكتاب إلى رئيس الجمهورية
الفرنسية .

وبعد أسبوع ورد جواب الرئيس قائلاً « إن
تكاليف إرسال مقصدة وجلاد تبلغ ستة عشر ألفاً
من الفرنكات . » وعرض هذا على الأمير فنجب
من استعانة قطع رأس هذا الأثيم إلا بهذا المبلغ
الجسيم الذي لا تقوم بشيء منه حياته ؛ ثم طلب
التفتيش عن طريقة أرخص لا ترمي الأهلين
بضريبة جديدة يجبرون عليها ، وربما كان من ذلك
ثورة جامعة تندلع ألسنتها فتطغى على الأمن في البلاد ؛
... ودعى مجلس الوزراء للبحث في هذه المشكلة
من جديد ... وعندئذ قرر المجلس إرسال طلب
آخر إلى ملك إيطاليا : ذلك بأن حكومة فرنسا
جمهورية لا ترمي الود التبادل بين الملوك ؛ وليس
أمر ملك إيطاليا كذلك ، قائم — ولا شك —
سيرى حرمة الزمالة التي تربطه بالأمير فيسالح
معه . وعلى هذا فقد كتبت رسالة في هذا الغرض
وأرسلت ، فجاء الجواب : « إن من دواهي غبطة
الحكومة الإيطالية تجهيز جارتها بالمقصدة والجلاد
مقابل اثني عشر ألفاً من الفرنكات ضمنها تكاليف
الارسل والإعادة » وهذا الأجر وإن كان أقل من
سابقه إلا أن المجرم لا يستحق صرف هذا المبلغ

أمير (موناكو) كان علياً بالمثل القاتل : « ليس
من نتائج أعمال الزمالة والشرف تشييد شوامخ
القصور . » وعلى أنه كان طارفاً بأن اليسر ليس
من مشرفات الأعمال فإنه لم يجد بداً من إبقاء نظام
اليسر على وضعه ليسد حاجاته ، وليعيش عيشة
رضاه ؛ فكان يقيم الحفلات ويولم الولائم ، ويظهر
للناس بمظهر الأبهة التي يهدونها في قصور الملوك ..
وكان يتمتع المنح ، ويجزل الهبات ، ويشكل اللجان ،
ويشروع النظم وينشئ المحاكم ... وكان يمرض
الجيش ويطوف بأحباء الملكة ، ويضل ضل غيره
من الملوك ، ولكن في صورة مصفرة كنسبة مملكته
المصفرة إلى بقية الممالك !!



وكان أهل (موناكو) معروفين بالمسالة ولين
الريكة ، فليس بينهم مجرم ولا سفاخ ، حتى حدثت
منذ سنوات مضت جريمة قتل كانت الأولى في
تاريخ هذه الملكة ؛ فاجتمع لها القضاة في يوم مشهود
ليتناولوا في شؤون هذه القضية وفق أصول العدل
والإنصاف . وكان ذلك الحفل المريب يضم رجال
القانون من محامين وقضاة ومحلفين ومدعين طين .
وقد ظلوا يتدارسون نصوص القانون ، ويؤولونها ،
وينزهون في تفسيرها للذهاب حتى أصدروا حكم
الاعدام على ذلك القاتل وفق إحدى مواد القانون ؛
وحل القرار من بعد ذلك إلى الأمير ، فقرأه وأصدر
الأمر بالواقعة على ما برأه ؛
على أن مشكلة واحدة بقيت لتنفيذ الحكم ،

على تفويض النظر في القضية إلى لجنتين عليا ودنيا ،
وأخيراً تم القرار على الاستماتة عن حكم الاعدام
بالسجن المؤبد والأشغال الشاقة . وكان الأمير بهذا
يستطيع أن يرى الرمية رأفته ورقة قلبه ، كما أن
تلك الطريقة كانت أرخص المعونات جميعاً ، ووافق
الأمير على الحكم الأخير وأوشك للتنفيذ أن يتم
لولا أن قامت أزمة جديدة تلك هي أزمة إيجاد
سجن يقضى فيه هذا السجن حياته . على أنهم
أخيراً وقفوا إلى إيجاد غرفة لأقامته ووكلا به
سجناً يتولى أمر حراسته وإطعامه من مطبخ
القصر

ظل السجن في عهده تتمايز عليه الشهرة
حتى اكتملت عليه سنة تماماً ؛ ولكن بينما كان

عليه ، وتكليف الرمية بأن يدفع كل فرد منها
نرنكين :

وهكذا دعى المجلس ثالثة للاجتماع فتداول
أعضاؤه الأمر ، وتناقشوا في المصلحة لهم يمتدون
إلى طريقة رخيصة في قتل هذا المجرم . فقال
قائلهم : أولا يمكن تكليف أحد من الجنود بقطع
رقبة هذا الأثيم ؟ ولكن ذلك كيف اتفق إذ المهم
أن يموت ؛ فدعى ذلك قائد الجيش وألقى عليه
السؤال ، فجمع هذا جنده وسألهم : أي استطاعة
أحدكم تنفيذ المهمة ؟ غير أنهم لم يجيبوه ولم يرتضوا
ذلك منه ، وقالوا له : « إن ذلك ليس من شأننا
— نحن — ولا كان مما سبق أن درينا عليه »
هناك فكر الوزراء وتذاكروا فأجمعوا أمرهم

المجموعة الأولى للرواية

١٥٣٦ صفحة

فيها النص الكامل لكتاب اعترافات فني
المصراوسيه ، والأوديسة لهوميروس ، ومذكرات
نائب في الأركان لتوفيق الحكيم ، وثلاث مسرحيات
كبيرة و ١١٦ قصة من روائع القصص بين
موضوعة ومنقولة .

الثمن ٣٤ قرشاً مجلدة في جزئين

و ٢٤ قرشاً بدون تجليد

خلاف أجرة البريد

مجموعات الرسائل

تباع مجموعات الرسائل مجلدة بالفرنسية

٥٠ السنة الأولى في مجلد واحد

٧٠ كل من السنوات الثانية والثالثة والرابعة
والخامسة في مجلدين

وذلك علماً بأجرة البريد وقدرها خمسة قروش
في الداخل وعشرة قروش في السودان وعشرون
قرشاً في الخارج عن كل مجلد

حتى جاء موعد النداء واشتد بالسجين الجوع ، فخرج
بعد أن طال ارتقاها لحارسه حتى ينس منه — إلى
مطبخ القصر وأخذ طعامه منه وعاد إلى غرفته
وأغلق على نفسه الباب ، وعاد في اليوم التالي فكرر
ما صنع بالأمس في الوقت المين المحدود ، وهكذا
قبل السجين هذا العناء الجديد ، دون أن يخطر له
فكرة الحرب من هذا السجن على بال !

وإذا فما ترى الوزراء قاعلين ؟

هنا لك اجتماعوا ويبحثو للشككة من جديد فقرر
رأيهم أن يصارحوه عدم رغبتهم في بقائه أبداً ،
فاستدعاه (وزير العدل) إليه وسأله :

— ما بالك لم تهرب وليس عليك حارس بمنلك ؟
إذهب حيث شئت قلن يعني بذلك الأمير . فأجاب
الرجل : — لى أستطيع أن أقول إن الأمير
لا يمينه ، ولكن أين المادى الذى آوى إليه ؟
ولا حيلة لى فى الحصول على قوتى وقد وسمتمونى
بأشنع الصفات بأحكامكم التى أصدرتم على . وهؤلاء
الناس لى يأتعنونى بعد الآن على شىء . ذلك إلى أنى
اعتدت حياة الكسل والخلول فاعططت بالتدريج .
لقد أسأمت إلى حقاً ، فقد كنتم أصدرتم الحكم على
بالإعدام فلم تنفذوه ؟ ثم استمضتم من ذلك بحكم
الأشغال المؤبدة للشاقة وميتمت لذلك حارساً كان
يأتينى بطماى ، غير أنكم — بعد برهة من الزمن —
عزيتوه فاضطرت إلى الذهاب بنفسى إلى المطبخ
للحصول على ما يكفينى من الطعام . ثم إنكم —
بعد ذلك — تريدوننى على الفرار ! كلا يا سيدي

الأمير فحس ميزانية الدولة ويقبل فيها نظره لاحظ
أن فيها باباً جديداً من النفقة : تلك هى نفقات سجن
هذا المجرم اللقى ، ولم تكن هذه بالنفقات اليسيرة
البسيطة ، ولا كانت بالسلفة القليلة ، وإنما كانت شديدة
الكلفة نفقة الوطأة على ميزانية الدولة ! فقد كان
للمجرم هذا حارس يمتنه من الحرب ، ورجل غيره
يتولى أمر إطعامه ! وفى هذا السبيل صرفت سلفة
فرنك من ميزانية الدولة هذا العام ! والأدهى من
ذلك أن الرجل فى ميسة الشباب ، صحيح
البدن سافى ، ولربما امتد به العمر إلى خمسين من
السنين ! ولو حسب المرء للسلفة هذا الحساب لم يجددها
بالسولة التى كان يتصور ... وعلى ذلك فقد جمع
الأمير وزراءه وقال لهم : « إن عليكم أن تكتشفوا
طريقة غير هذه تكون أخف مؤونة وأقل منها
نفقة ، فمنه التى اتبتموها باهظة ! لا قبل
لنا بها ! »

وتداول الوزراء الأمر بينهم حتى اعتدى أحدهم
إلى فكرة فقال لآخوانه : « أيها السادة ، إن من
المقول — فى نظرى — أن تفصل الحارس
فتقتصد نفقاته . غير أن وزيراً آخر اعترض عليه
قائل : « إن الرجل سيهرب إن لم يجد من
يحرسه . » هنا لك رد عليه صاحبه : إن ذلك
ما يريدون إذ لا يجمعهم مهربه شيئاً !

وتعمى ذلك الاتفاق . فرفعوا إلى الأمير تقريراً
يشرحون له الأمر فوافقهم على ما يترأون . وفصل
الحارس عن عمله وظل جماعة الوزراء يرتقبون المآل

الفصول والغايات

للفيلسوف الشاعر الألب

أبي العلاء المعري

طرفة من روائع الأدب العربي في طريقته ،
وفي أسلوبه ، وفي معانيه . وهو الذي قال فيه
ناقذو أبي السلاء إنه عارض به القرآن . ظل
طول هذه القرون مقفوداً حتى طبع لأول مرة
في القاهرة وسدر منذ قليل

صححة وشرحه وطبعه الأستاذ

محمود حسن تازي

ثمنه ثلاثون قرشاً غير أجرة البريد
ويطلب بالجملة من إدارة مجلة الرسالة
ويباع في جميع الكنائس الشهيرة

رفائيل

شاعر الحب والجمال لأمريتين

مترجمة بقلم

أحمد حسن الزيات

تطلب من لجنة التأليف والترجمة والنشر
ومن إدارة « الرسالة »
الثمن ١٢ قرشاً

كل شيء يصح وليس إلى ما تريدوني عليه من سبيل
استنوا ما بدا لكم وافعلوا في ما حلا لكم غير
أن لن أؤذ بالفرار قط !

إذا فكيف ؟

واجتمع مجلس الوزراء يبحث المعضلة بحثاً
جديداً حاسماً ، ولكنهم احتاروا فيما يقررون ! وترددوا
في اختيار النهج الذي يرون اتباع السير عليه ...
إن الرجل لن يرحب البدار أبداً . وفكروا واحتالوا
فما وجدوا غير منح الرجل (مماشاً) يكفل لهم
الخلاص منه ! وأنشؤا الحل الأخير إلى الأمير
قائلين : إنه ليس من حل خير من هذا الذي
ارتأوه ، وهو أن يمنح الشقي مماشاً يقيم أذاه ،
ويبعد عنهم ؛ فأقر الأمير رأيهم سرعاً وتقرر
للمجرم الشقي مماشاً سنوياً قدره (٦٠٠) فرنك
فلما أخذ في ذلك رأيهم أجاب :

— أما الآن فقد طالب الفرار ! هل أن نلزموا
أنفسكم دفعه إلى بانتظام .

وهكذا حسمت المشكلة . وأخذ الشقي ثلث
جرايته مقدساً وغادر الملكة إلى مسيرة ربيع ساعة
بالقطار ! ونزل قرية ابتاع فيها أرضاً بالقرب من
حيود بلادته ووزعها شجراً بثمارها وغلاتها وعاش في
راحة واطمئنان . وكان كلما حان موعد مماشته
ذهب فاستلحه ثم انجبه إلى مائدة القمار فقامر عليها
بفرنكين أو ثلاثة مكثفياً بهذا القدر اليسير ورجع
إلى مهجره يستأنف حياة الدعة والراحة .

ولعل من حسن طالع أنه لم يرتكب جريمة
الأولى في قطر آخر ترخص فيه أعنان قطع الرقاب
وتقل فيه تكاليف الإبداع في أعماق السجون مدى
الحياة !
فخرى شهاب المصري

واللائى احترفن الرقص والثناء بمد
أن ذقن الهناء وتمرغن فى أحضان
النسيم ...

يارحمتاه لمن ... ! أكتب
عليهن الشقاء فى هذه الحافات
البأريسية الضاحكة للذة ، الفارقة

فى الفجور ... ! يجالسن السكارى والمريدين ،
ويعدثنهم عن أبناء حياتهن وأفاسيس بلادهن ،
وطرائف مناصراتهن ، عند ما كان الميش غصاً
والزمان غلاماً ... ! حتى إذا ما هرم الليل ، لمن
نشأوى من السكر متعبات من الكلام ، ليرتجفن
فوق فرش الحرير ... !

إن اعترافهن لمشجية ، ما كنت لأرتوى منها
أو أمل كنت أستمع من تلك الشفاء الرقيقة
أحاديث لثة تصور لى الامبراطورية الخالية ، فى
تصميمها ويؤسها ، وظلمها وجورها ، وتخلل لى أيام
الارهاب ولياليه الترفة بالحب ، الفضة بالهواء ...
لقد فقدن الكبرياء ... وصدف عنهن المزم ...
وما أحوجهن لى نديم يسألن ويستطلع دخال
قلوبهن ...

ليه بآريس ... ! كم سمعت فى زوايا شوارعك ...
أمام موائد الخمر التى غمرت بروائح التبغ والمطر ...
أحاديث للبؤساء ، وكلام للتساء ... التى ترقص
بين كلماتها أشباح القوة العابسة ، والظلم القاهر ،
والموت الريب

حنانيك قارئى ! ماذا تريد أن أسمحك ؟ أقصة
ذلك الأمير القوقازى ، الذى أحب الحرب وعشق
البطولة ... ومات بعيداً عن صهيل الخيل ... فى
أحضان جيبته ؟ أم قصة تلك الراقصة التى سرعتها
(١)

السجادة الذهبية

للصكا سب الفصصى جوزيف كسكل
للأديب صالاح الدين المجدد

كنت وأنا فى بسمة العمر ونضرة الشباب ،
أففى البالي بين أتباع القيصر من تملى عنهم الحظ
قتر كواموسكو غارين من صف الثورة وجور القادة ،
يحملون بين شفاف القلب لهفة على الحظ الآفل ،
وحينئذ لى الربيع الأهل ، وأسى لئلك العهد السعيد
ما أدرى ما الذى كان يجيب لى هذا الصعب
الذى سرعته الخمر ، وسبت عقله الشهوة ، وأنهكته
البلايا ... وإن كان يستهوئى منه لباسه القوقازى
الجميل ، الفخم بالألوان المشرقة ، الذى ينعكس جماله
على آتمس للشفاء الذهبية عند النوافى ، وضلال
النظرات فى الرجال ، ويضربى بشرته أنفامه المطربة ،
ورقصه الضاحك ، وحر كاه النوحشة ، التى كانت
تلك على أسرى ، وتدفعنى لى البقاء معه أبداً ...

لقد كنت أشعر ، كلما تمل فى خاطرى مصيرم
الباكى ، كأن دى قد نضب وغاض ، فأرتى لحالم ،
وأبقى لى جانبهم ، أسرى عنهم ما يشجيم مذ
هجرروا الأوطان . فأمضى وقد تنبه الليل ، هاتماً
على وجعى فى طرقات باريز الحاملة ، أستمع لى أنين
المذارى ومريدة الفتيات ...

لقد علمت من أفاسيصهم كل عجيب ، وسمعت
من أحاديثهم كل طلى ، ونظرت لى رعايتهم نظرة
الرحمة من خلل الحاج ... أولئك للشعر النوام

سهما فلت ، أن تحنى هذه الشفقة التي لا تبدو في نظراتك ، وتقيض من كنانك . إن عيشي لم ، ولكنه ناعم هنيء . آه لو رأيتي قبل عشر سنين ! إذن لأنكرتني ، ولما عرضتني . ربما ذلك على شعوري البيض الذهبية التي لم تبدل في . نعم . أما جسمي ووجهي فيا أسفا عليهما ، لقد تبدلا ... وغاض جمال وتوت فتنني . أواه ياسيدي أواه ! كنت أغنى وأنا طفلة غضة ، فإذا تبست ومالت ، وأعلى الكرى ، أيقظتني أمي بصفحة على وجهي ، وبجرعة من اللودكا وبلغافة من التبغ .

لقد حدثتك عن زوجي كثيراً حتى غدوت أخشى أن عمل . ولكن ماذا أفعل . أنا أسبه حب الرضعات للأطفال . أواه ، ما أشوقني إلى عهده ، لقد كان من أبناء الأشراف الذين ملكوا الثروة والجاه ، فتزوج من وأنا جاهلة غاملة .. حتى إذا ما فقد السلطان وأضاع الثروة جاء بيكي بين يدي يطلب الرحمة والفران .

لا شيء يدل عيش الفتاة كنظرات الرجل يسدوها إلى عينها فيغريها . لقد كانت نظراته حائلة ملؤها اللطف والحنان ... إنها لم تخفى لثري الحياة ، بل لتشهد أشياء أعذب وأحلى .. لتشهد الحب ولياليه .

لقد بدأ الحرم يدب إلى على الرغم من شبابه النض مدغابت هي تلك النظرات . لك الله يا زوجي ! لقد أوتقوه في السجن ، لأنه من أبناء الأشراف . ولأنه لم يعرف من الدنيا سوى الموسيقى وزوجته فيرا . كان يمزق أغاني وأرقص . إنه نبيل ياسيدي ، ومثل هذه الخلقة تكفيه ليودع في السجن .

كان أمل في إرجاع الحرية له واسماً سمة البحر

نظرات راسبوتين الذهبية ، وأغوتها جنته الزاهية ؟ أم قصة رئيس الوشاة عند القيصر ومضامراته اللامية ... ؟ ما أدري هم أحدثك ... وهل أستطيع يا ترى أن أكتب كل ذلك دون أن أقعده روعته وجاهه ... ؟ ما أدري ... ما أدري !

نيسات أنن يا غواني الحانات ... أنا أخفق عليك ... وأبكي لكن ... تدفن دائماً روادكن لأن يتجرعوا كؤوس الخمر وأكواب الشبانيا لتلذذهن بمرآهم ... ألا بلس العيش وبلس المعير ! إستمع إلى يا قاري ... لقد أطلت ...



كانت فيرا يتروفا جميلة جمال الورد الرقاق بالندی عند الصباح . أسأبها داء القلب أيام المسنة والارهاب في روسيا ، فاضطرها إلى الاخلاص للهدوء والراحة ... وكنا جلوساً حول مائدة رأسنا ، وأخذت تعمل كل ما أقتته مذ كانت بنت عشر وثلاث ، لتدخل الفرع إلى نفوسنا ، والطرب إلى رؤوسنا . وكان شيطانها يرحى لها ما يسر الغاظر ويهيج القلب ، فكانت تبسم بفهما وتغمز ببينا ، وترسل الفناء من فمها ... متدفقا حتى لتحبس أنه قطع من نفسها تجود بها وهي تمسحك وتلمو . وكان يفيض من وجهها حزن باليس جميل .

فيصمرها السحر ويحيط بها الفتنة وترسل من عينها نظرات كلها إغراء وحنان . ويحك جسمها بمركانه المايبة الرخوة فتزحف الأنثى ، وتسلب العقول ، وهي نشوى من الفرع ، سكرى من الفجر . فهذه لحظات نادرة . ولن تراء كل يوم .

قلت لي بصوت حزين :

— إنك ترى لي ياسيدي . ولن تستطيع ،

كنت في طريقى إلى المار ، وكان الليل قد أظلم ، وأوحشت الأزقة والشوارع ، واستولت عليها رهبة الموت ، فرأيت شبحاً هزلياً يقبضى حتى إذا ما كدت أصل إلى دارى ، هجم على .. وأمسك بيدي . لم أستطع أن أتبينه ... ولم أشعر بخوف أو وجل ... إنها امرأة ... ربما كانت فقيرة سقي طلب ما تأكل ... أو مجنونة أقعدتها الجوع مقلها وتلقشت بمنة ويسرة ، ثم قادتنى إلى ثغرة فى أحد الجدران تراكم فيها التلج ، ثم ضغطت على يدي وقالت بصوت متهدج :

— فبرا ... فبرا ... يا حسنأى ... هل تعرفينى ؟

فأربعينى صوتها الخسافت ، واعتدتى رجفة خفيفة ... إنها تكلمنى بلغة قبيلتى للتورية ، التى كنت أسمها وأنا بين المضارب والحمام لقد نسيت تلك اللثة ... ولم يبق منها فى رأسى إلا ذكريات ، فشمرت كأثر قبا من عمرى قد انحى ، وأن زوجى .. وأيامه النثر ، وليلاليه الطيبة ، وبذخه وترفه .. كل ذلك قد انتهى ، ونجحت عهد طفولتى إذ كنت نورة صغيرة لا ملجأ لى ولا مال .. أطبع للشيخ وتسيطر على النساء وحسنت العجز فى أدنى :

— فبرا ... ما بك ... أنا مارا .. محنتك .. مارا ... عمتى ... الآن فهمت ... بتلقد كانت موقدة النساء ، ونأحة على الأموات ، وخادمة فى المور ... يا لله ... إنها بلغت من الكبر حثياً ، وما تزال كما عرفتها يوم عرفت الدنيا .. لقد باتت مع أمى .. ثم سرتنى .. ثم هبات لى أسباب البئس بعد ذلك مع زوجى ...

المعيق . ولكنى شعرت بأننى وحيدة لا يرانى أحد وما كنت لأخاف على نفسى من شر أولئك البولشفيين . فلقد كانوا فى أوقات الارهاب يهاقنون علينا تنهات اللباب على الحلوى . تلك خلتهم ... إنهم يبدون المرأة . لقد استطاعوا أن يسيثوا إلى كل إنسان ، ولكنهم لم يسيثوا إلينا أبداً .

وبدأت أحس الجوع وأشعر بالبرد يا كل من جسمى ، ولكنى لم أبه لها ، فأنا ابنة قوم علمهم للشقاء والطواف حول الأرض المبر على الخطوب وكنت أنتقل بين الأندية والحانات أفقى للبال ، فأعطينى قليلاً من الحقيق والسك والبطاطس . ولم أطلب المزيد وحول آلاف النسوة يكيين من الجوع ويقضين من القتر .

ما أستطيع أن أصف لى إسادتى ما كانت عليه روسيا فى شتاء ١٩٢٠ . لقد كان الجوع بهلك الأجسام ويوهن القوى ، وكان شبح الموت يرقص فوق رأس كل إنسان ، فى تلك الشوارع المنطاة بالثلج التى لا تسمح فيها نائمة ولا حركة ولا ضحكة . كل شىء هادى فيها يمثل للدم والغناء . آه ! ما أدرى أترسم فى خيالك مدينة لا يتضحك فيها أحد أبداً وكان الارهاب قد بلغ أوجه ، فأصبحت مقادير الناس بين يدي أولئك ، كانوا يقتلون الحريات .. ويقتلون النفوس . وعصفت المصيبة فى زوهمهم فأضحت السجون مقابر والمقابر سجوناً . كانت موسكو آتشد جموده بالوحوش التبلدين الذين قدودوا الشهور ونسوا عذاب الضمير ! ..

بماذا أحدثك .. إستمع لى : كان ذلك بعد أن فقدت فاسيلى بأسبوعين .

وربّت على كفى وقالت :

— فيرا ... يا حسناى ... غداً فى الساعة
التاسمة ... سأنتظرك فى حربة تقف على مائة قدم
من دارك ... على جهة اليمين مما على الطريق ...
إياك ... أن تتركى الفرصة تمضى ... ستساعدين
زوجك ...

ثم تركنى واخفتت فى الظلام

وفى مساء اللند ... خرجت من دارى أمشى
وأنا أعد انطلقى ... وأعلن نفسى رجل أبتر منه
منه دراهمه بسد أن أسقيه العذاب ... إن حمقى
علتنى كيف أعذب الرجال

ووجدتها فى حربة حتيقة .. ففسدت إليها ..
ثم انطلق الحوذى فى طريقه لا يلتفت إلينا . وأخفتت
المجوز تكلمنى .. ثم لست صدرى وقالت :
— وهذا القراء الثام يا فيرا ... ألا تشعيرين
بنموته ؟

فارتشت من قولها ، وقلت لها :

— إلى أين تودينى يا عمناه .. إن لم تتكلمى
فسأرى بنفسى .. هيا .. هيا ..

فراحت تداعبنى وتمر يدها اليابسة المرحجة
على عتى البض .. ثم تحكت وقالت :

أأمكنك السمادة يا فيرا حتى غدوت ما ترفعين
طريق قبيلتك ؟ آه منكى يا سببا بالنور ...

فصبت .. وأغمضت عيني ، وأنست إلى صوت
الجبيلات .. فوق الناتج التجمد .. ثم وقفت العربة
ونزلت منها إلى صرايح طقولنى

ما أجهلك يا أرض قبيلتى !

لقد كنت قيثارة أوكرها النساء ... وكنت

لا ترفعين إلا الرح والنفاء ، وكان كل ما فيك يمثل
الحياة ويمد منى الفناء ... هنا أصوات عذبة
تشدو ... وهنا قيثات نواهد يرقصن ... وهناك
حلققات الأقاميس والسحر ... وإلى جانبها تهرق
أكواب الفودكا وكؤوس الخمر .. نعم كانت أرض
قبيلتى مرصاً للجمال والهو والشمر !

يا حسرتنا عليك يا أرض قبيلتى ! ... ماذا أرى
الآن فى جنباتك ؟ ... فارتكت التواني فأوحشت ،
واخفتت أنفامك فهجرت ، وتهدمت دورك ،
فأفقرت ... شد ما يميزن الرء يا سيدي عند ما يرى
وطنه تمدو عليه الموادى وترهقه الحن فيندو بياك
بلقماً ... إنه ليجزن ، لأنه قطع منا ، ولأننا قطع
منه . وبأيت شمرى هل يستطيع الرء أن يدع
قطعة من جسمه . ما أدرى إن كانت أيامك الزهر ،
يا أرض قبيلتى ، ستعود إليك ... وهبات أن أراك
كما تركتك ! ... لقد تفرقت حسانك بين جنات
استنبول وحانات برلين ، واخفتت رجالك فى مقابر
روسيا ، وكهوف باريس ... وتلاشت أنفامك بين
الأرض والماء ! ...

وقفت منهوكة من روعة الذكرى ... ثم قادنى
المجوز ، ومشم أمانتا الحوذى للتشكر . وكان
صوته يملك على امرئى ، ويدفنى نحوه . إنه صوت
يأس ... كأنه لا يبالى الدنيا . لقد نيمت أصوات
أولئك الذين كانوا يشدهون من أنفاننا الحزينة بين
الخيام ... وأسفيت إلى أصوات الذين عذبهم الثوذة ،
وأهات من فقدوا الثروة ، ولكنى لم أستمع قط
إلى صوت مثل صوت هذا الرجل أبداً

ودقت المجوز بيا حثيراً فدخلناه . ونزع
الحوذى رداءه ورماه ، ثم وقف أمامى وقال :

ولم يبق على إلا ضاع صوتك المسكر ... سأسكر
ياسيدتى حريتين في هذه الليلة ... من الفودكا ...
ومن صوتك المذبذب ؟

قلت له : ومن بينى ياسيدتى ؟

قال : أنا

وقام إلى ناي صنيرو وراح ينفخ فيه ... ورحل
أفنى طوال الليل ... حتى غل وسقط على الأرض
لا يحس ولا يرى

استيقظت صباح اللند ، وأما أحسب أن ما حدث
لى في هذا الكوخ النورى حلماً لولا حرارة النطاء
الناعم المصنوع من جلد الهدية البيضاء . وفكرت
فى المساعدة التى سأقدمها لروحى من هذا الكوخ
فلم أجد شيئاً ... أنا أفنى وأشرب وأطرب وهو
يئن فى سجنه .. وكيف يتاح لثل أنيتاسى أن يتخذ
قاسيلى ... إنه نبيل لو علم به الشيوعيون لما تركوه .
ثم قلت لنفسى : ويحك يا فيرا ... إنهم إن يملوا
بك يقولون فى السجن ولو إلى حين ... هلا فرت .
وتركت الكوخ سراً وفى النفس عزيم على ألا
أعود إليه ... ووجدت شقائى فى غرقى ... ولم
تمض ليال حتى رأيت العجوز تعود قتلح على أن
أذهب فى اللند إلى المحل المهود ... وصفتت نفسى
طرباً ... إن سوتة ليتوبنى أنا التى أغوى ...

وذعبت عشاء اليوم الثانى ... ففتنت له ...
ولكن ... مسكين ... إنى لأتمتله الآن يا سادتى ،
وأراه وكوب الشمبانيا أمامه ... مطرق الرأس ،
كاسف البصر ، سام الوجه ، تتساقط على وجنتيه
المصروع فتختلط مع نغمة الكأس ... لقد كان
حزيناً ... فسكت ... وقلت : أنيتاسى ... ما بك ؟

لو كنت أعرفك يا فيرا ... لا أنيت إليك ...
أنا أنيتاسى لوليس بروبوف

ياله من رجل فأثر ... فأثر حتى على نفسه ...
كان ميت القلب والنفس ... وكانت تبدو على وجهه
طلاوة الجمال وسحر الشباب . وكانت عيناه محيقتين
صافيتين ، وكان يمشى فى هذه الممار التى يحسبها
المرء كوخاً حثيراً ، عيشة راضية ناعمة ... لا يأكل
إلا ماله وطاب ، ولا يلبس إلا الثمين الفاخر ،
ولا يناصر إلا أهل الفتيات ... فقد كان من أبناء
الأشراف الذين يملكون أنهم إن عاشوا اليوم
فسيموتون غداً

وأعطانى على نزع ردائى الثمين ... ثم دفع باباً
خفياً فى الحائط وقال لى :

— أهلا بك يا فيرا ...

ودخلت إلى هو متسع كبير ، زين بالمقس
وبالحريز ، وفرش بأغفر الطنافس وأجل الأثاث . وكان
فى منتصفه مائدة حطت بأنواع الخمر وأطياب
الما كول ... قل أن تجدها عند أحد فى ذاك للششاء
القاسى ، وهذه للشبهة القاتلة . فدمعت ، وسال
لما بى ، وتلظ ففى ، والتفت لأسأله فتمنى من
الكلام ، ثم أجلسنى وجلس أنا بى ، وملأ كأسين
من الفودكا الذى لم أشربه منذ عامين ... وأخذت
أكل ... يا لحم الطرى ... والسمك المذيد ...
والفودكا اللطبة ، لقد أكلت كثيراً ياسيدتى ...
على مجل ... كنت لا أمضغ ولكنى أبتلع ابتلاعاً
فلما فرغت قال لى : أتدري يا فيرا لم أنيت بك ؟
قلت : لا أدرى ياسيدتى . قال : من أجل صوتك .
فأنا لا أريد أن أمضى عن الدنيا دون أن أمتع بكل
لذيت فيها . لقد جرفت كل فتيات موسكو وعاشرتن

ولكن ... كيف أموت دون أن أثار من هؤلاء
زوجي !

لقد هيا الله لي أسباب ثأري ... فقد كان
حارس السجن رجلاً خشناً غليظاً ، ولكنه كان
يميل إلى ... ويسمى كلات الحب ... وجلست إلى
جانبه ذات ليلة ... أستمع إلى أحاديثه ومغامراته
وجفاته علمت أنه قاتل زوجي ... فلم أظهر له ما يجب
له الرية في ... و ...

وأشمت فيرا لفاقة وأرسلت دغابها الأسود
إلى اللغضاء ... وهي تتأوه وتنتظر إلينا نظرات حزينة
قلت لها : « ثم ماذا فعلت »

— هه ... انتقمتم ... راودني عن نفسي ..
وكان سريره إلى جانب باب السجن فاضطجعت معه
فيه ... وقد نمل ... ثم أخرجت خنجرى الذى
أخذته ذات يوم من عمى ، وغرسته في عنقه ...
وجلست فوقه ... فاستنثات وصاح فلم يجبه إلا بالليل
اللبهم !

لم أستطع أن أزيل الدم الذى تسرب من عنقه
إلى صدرى وجسمى ... إذ سرت اللغائيج . وفردت
ولقد لحقوا بي يريدون أن يقتلوا ولكنهم لم يستطيعوا
إلى ذلك سيلاً .. وماذا أريد من الحياة .. أو أطمع
بعد ذلك ... لقد عرفت زوجي فأخلمت له ...
وثارت من قله ...

إني أعيش الآن يا سادة عيشة لا تلتاح لكثير
من النساء .. ولكنى لم أعرف طعم السعادة بعد أن
تولى زوجي ... إن الزوج هو كل شيء في حياة
المرأة ... فأذا غاب عنها ذلت ساداتها

لقد مضى وخلف لي زفرات أسمدتها كلها
مثلته غلاطرى ... ما أحسبها إلا أنها قاتلتني يوماً
من الأيام صومع الرب الرب

قال : أنمي بريك يا فيرا ... ولا تقاتلى ...
فصت أغنى ... وعاد بيكي ... حتى نمل ونمل

وما زلت أتردد على أيتامى ... حتى كانت النهاية
التي كنت أموت فيها ...

كنت معه ذات ليلة نشرب الفودكا ونثنى ...
وجفأة سمنا لطقاً وضجيجاً .. ثم فاجأنا البولشفيون
ورأوا هذا الكوخ الملوء باليوأيت ، للفروش
بالطناس . لقد كان صاحبي يشرب ... ثم على
حين بنته كسرت كأسه ... وسال ما فيها فوق
اللفطاء ...

مسكين يا صاحبي ... لقد دنا أجلك !

ودخلوا يسلون أسواتهم الوحشية وينادون :
« ها هو ذا ... أقتلوه ... أقتلوه ... الشعب يموت
وهو يشرب ... » واتخذوا عليه رشقونه بالسنة
حداد وبوسونه لكماً وضرباً . وهو صامت ساكت .
ثم جرد كبيرهم مدينة طويلة وغرب بها عنقه ،
فتدحرج رأسه فوق اللائدة ... واختلطت دماؤه
بالفودكا والشمبانيا ... وطفق التوحشون يشربون !
أما أنا ... فقد التفتوا حولي ... هذا يقبلنى ...
وهذا يلكنى ... وذلك يمس يدي ... ورابع يصب
الغرف فوق رأسى ... ثم ساقوني إلى السجن للنظير
الرهيب ...

بقيت في السجن أياماً لا أرى فيها أحداً ولا
أكل علفاً . وجاءت إلى « عمى ذات يوم تخبرني
بأن زوجي قد قتل في سجنه ، وأن جثته رميت في
الأزقة ، وقد عثر عليها مع جثة أيتامى

وقفت عند سماع ذلك شاردة الب زائفة السنين
ورحت أبكي ... وفكرت أن أقتل نفسي ولكن ..

البستيل

للكاتب الفرنسي فرنسوا كُوبِيَّة
بسم الأديب عادل الجحمال

نافذة منزلة ليبادل أى الحديث ، إذ أنه
كان يقطن نفس الشارع الذى كنا
نقطنه ... كان رجلاً ... وشاباً ...
حائراً على وسام من « كرميه » ...
فتزوجا . ونصكت الأمور فلم لم يسأ
بى ... كأنه قد أثار أى على ... كانوا
كلهم يحقدون على نير ما ذنب اقترفته ..
فكنت أخرج من المنزل إلى حى كليش

حيث تملت الوحدة والبكاء .

وقد زوج أى منصبه كما فقدت حى عملها ...
فاعتادت أن تخرج باحثة عن عمل لتعول زوجها ،
وبذلت فى ذلك مجهوداً كبيراً حتى ماتت فى
« الأمبواسير » .

واخبر وقت عينا الطفل بالمحور .. ثم تم قاتلاً :
« لقد كانت امرأة طيبة » ... ومنذ ذلك الحين
وأنا أعيش مع رائحة النافض والنهي السابق الذكر .
وصمت رهة ثم قال :

والآن ... هل تستجيبونى ؟؟

قال كل ذلك بطلاقة رجل مثقف مع أنه كان
من أبناء الشارع ... قصير القامة تلوو رأس
ينطيه شعر أسود . لم يقاطعه أحد ... ولم يسأله
أحد ... فقط أرسلوه إلى إصلاحية الأحداث .

لم يكن يجيد أى عمل يدوى ... والشئ الوحيد
الذى كان يتقنه هو الاستراحة على القاعد الخشبية .
ولكنه فوق ذلك كان مطيعاً وهادئاً هوداً طبيعياً .
وحين أكل السابعة عشرة من حياته نبذ مرة
أخرى ... وأبقى طريداً شريدان فى شوارع باريس ..
ولتاسته وجد كل رفاقه فى الإصلاحية يمتنون
منها غير مشرفة ... مليون بذلك نداء طبيعهم
الدينئة ... فيضمهم ... كان يحس الأحنية على
أبواب الأوبرا ... والبعض الآخر يتشاغل بتصيد

كان يبالغ الماشرة من عمره عند ما قبض عليه
للمرة الأولى بهمة التشرذ .
وتكلم حينئذ قائلاً للقضاة :

« إننى آدمى جين فرانسوا ليتريك ، عملت لمدة
سنة أشهر مع الرجل الذى كان يبنى ويصب على جبل
رفيع مشدود بين مصايح ميدان « الباستيل » ،
وكنت أردد منه المقاطع الأخيرة لكل أغنية كان
يلقها ، ثم كان على بعد ذلك أن ألدى قاتلاً :
« كل ذلك بشرة ستنيات ... إنه أجر ضئيل لسباع
تلك الأغاني الحديثة . وكان الرجل داعماً عملاً ...
فتعود أن يضربنى ... وذلك هربت منه قبض
على الجنود أمس مساء . وكنت قبل ذلك مع الرجل
الذى يبيع « النافض الريشية » . أما أى ... فنسالة
تدعى « إدبل » ... كانت تعيش فى وقت ما مع
رجل على أرض موغارتر . ولقد كانت امرأة نشيطة
تجبنى . فادخرت مبلغاً من المال كان نتيجة اشتغالها
مع عدة زبائن موفورى النعمة . وفى أيام الأحاد ...
كانت ترسلنى إلى فراشى فى ساعة مبكرة ... ثم
تذهب حى إلى أحد المرائض ... أما فى باقى أيام
الأسبوع ... فكانت ترسلنى إلى « مدرسة
الفرير » حيث تملت القراءة .

وتعود ضابط يدعى « دى فيل » أن يقف عند

من القماش يلوه سروال أبيض قصير . وعند
ما استطاع أن يتحصل على خمسة وعشرين سنتيا ..
جز شعره وراح يحترف الرقص في « مونبارناس »
ولكنه لم يفلح .. فاحترف البطالة ... ولكنه لم يهنأ
بحرفته الأخيرة ... إذ قبض عليه مع جمع من رفاقه
بتهمة سرقة المخمورين وحكم عليه بالسجن عامين في
« بوليس » حيث تعلم هناك كيف يسلك طريق
الاجرام — فلم يكذب بتقضى ستة شهور على قراره
حتى اعتقل ثانية في حادث سطو حكم عليه فيه بخمسة
أعوام قضى سبغها وشتاءها بمل تحت أشعة الشمس
صيفاً محتملاً ضربات السياط ، وبنام تحت برد الشتاء
القارس في المراء ... خمسة أعوام مررت أرسل
بدها إلى « فيرون » حيث اشتغل قليلا في أعمال
الملاحة . وعند ما صار متشردا لا يمكن إصلاحه ..
استطاع الافلات من أسره ورجع مرة أخرى إلى
باريس ، حاملا معه ما ادخره وكان مبلغا يقرب من
سنة وخمسين فرنكا . كان يتخفى نهاراً ، أما ليله
فكان يقضيه في زل امرأة عجوز ، قدم لها نفسه
على اعتبار أنه بحار قديم فقد أوداه في مركبه
للفريق ... وأومها أنه يبحث عن عمل ويرجو أن
تشكل مساعيه بالنجاح في وقت قريب

وقاده قضاء ذات يوم إلى حي « مونمارتر »
حيث ولد ... وفي تلك اللحظة حاجته ذكرى
بيدة .. ذكرى أجبرته على التريث أمام « مدرسة
الفرير » حيث تعلم القراءة . وفتح باب المدرسة
لحرارة الجو ... فكان من السهل على اللار في تلك
الآونة أن يرى فصول المدرسة كما رأها فرنسوا .
لم يشتر فيها شيء ، فما هو ذا النور الساطع يتلألأ
في المداخل .. وما هي ذي الأدراج تفصلها للمرات ..
ثم ... ما هي ذي الموائد المنظّمة ببطقة من الكتب
والأقلام ... و ... الخواطر التي طالما أشير عليها

ما ينفذ من القاذورات ، فلم يكذب بتقضى على خروجه
من منزل الإصلاح عدة شهور ... حتى قبض عليه
مرة أخرى بتهمة سرقة حذاء بل قديم من حانوت
إسكاف ... سرقة ما فكر في الاقدام عليها إلا بعد
أن أحس ببرودة الجو تمشي في عظامه ... وكانت
النتيجة قضاء عام في سجن « سانت بلاجي »
حيث أجبر على أن يترأس طزمة الثاثرين الأحداث .
وماش بغمرة المتجبين تلك اللفة من المسجونين ..
وجعلهم صغار السن يتشبهون في اللبس ويشكمون
بأسوات عالية ... وكأوا قد اعتادوا الاجتماع في
غرفة أكبرهم سناً ... وقد كان هذا فصلاً بين
الثلاثين ... قضى مظلما في السجن وبالأخص
منها سجن « سانت بلاجي » ... أما غرفته ...
فكانت أكبر غرفة في السجن ... ممتلئة جدرانها
بالرسوم الكاريكاتورية ... ومن نافذتها كان بإمكان
المستطلع أن يرى كل باريس بجانبا الشاحقة
وخوافها المظلمة ... كما كان باستطاعته أن يرى على
البعد خطا من التلال يبدو قريبا جداً من السماء
الزرقاء . وفي تلك الغرفة كان المسجونون الأحداث
يتناولون طعامهم .

واقضى عام ... وراح مرة أخرى بحوس خلال
باريس مراقباً من البوليس حيث أصبح من هؤلاء
الشبهوهين الذين يقبض عليهم بمجرد الشبهة فقط ..
ففر إلى أورشليم ولكنه استقبل هناك براجمات
الجراند وهي تتحدث من الفار « التيريك »
و « السجن التيريك » ... وأخيراً ... « المجرم
التيريك »

ومر طمان على خروجه من السجن ... يأكل
حيث كان ... ويقضي الليل في أحد الخنادق الحفيرة
إن لم يكن في المراء . كان يرتدى قبعة رمادية
مستورة فوق مؤخرة رأسه ... وفي قديمه حذاء

يحتاجون لمساعدتين يتقاضون أجراً قدره ثلاثة فرنكات يومياً ... ثلاثة فرنكات ... إنه أجر لم أحلم به يوماً من أيام حياتي ... سأنسى ... نعم لا بد أن أنسى .. والنسيان هو ما أنا في حاجة إليه .

وكان أميتا في تنفيذ فكرته التي اعتمدها ... فلم تكده تنقضي ثلاثة أشهر حتى أصبح رجلاً غير الرجل ، قلبه رئيس العمل الذي كان يسلم عنده برجه المفضل . وبعد أيام اقتضت تحت أشعة الشمس اللعائنة وسط الأوحال ، يميل تارة ويستقيم أخرى ليتناول آلات البناء من الرجل الواقف تحته فيوصلها إلى ذلك الذي استقر على قطعة من الخشب ذهب ليتناول غداءه في حانوت قريب ... منهموك القوى تؤله قدماءه ... بينما كانت يداه تتقدان وعيناه تسحان الدموع من تأثير حبيبات الرمال التي كانت تداعب أجفانه . ولكنه على رغم ذلك كان راضياً عن نفسه ، ممسكاً بما كسبه من تقود في متدليل استقر في يده . كان يخرج الآن دون خوف ، فقد كان قناع الجير الأبيض الطيبى خير غنم له عن عيون الرقباء حتى أنه حين مر برجل البوليس نظر إليه هذا الأخير نظرة كلها عطف ورثاء ، فنسى آلامه كلية ، فقد كان حراً طليقاً

وأخيراً ... أوه ... يا لله ... لقد وجد صديقاً كان حاملًا مثله يدعى « سافنيان » فلاحاً أتى إلى باريس بمعا في مؤخرتها « صرة » يكاد كنفه ينوء تحت ثقلها . أحبه حين فرنسوا لسذاجته وطيئته وأمانته ... أحبه لكل تلك الأشياء التي اعتقدها هو في زمن مضى . وكان سافنيان بطبيعته ضيقاً . يترك الأمور لتأخذ مجراها الطيبى فعمل حين على مساعدة مساعدة جديده ، وعاشا سوياً في منزل صغير مريح وأشركا معهما لحاجتهما دخيلاً

(٥)

إلى مواطن الحروب . ووجد فرنسوا نفسه دون وعي أو تفكير يقرأ ما قد كتب على السبورة الخشبية السوداء

« ستكون الراحة في المنام .. لهؤلاء الخاطئين المستغفرين ... وسيجدون فيها سعادة أكثر ألف مرة من هؤلاء الذين لا يجدون شيئاً يستغفرون منه »

لقد كانت إذ ذاك ساعة الغيب دون شك ، لأن المدرس كان قد ترك مقعده ... وجلس على حافة مائدة وقد التفت حوله جمع من الصبية يستمعون في شغف إلى قصة كان يرويها لهم . أي مظهر ظاهر يرى كان يشع من ذلك الوجه الشاب للتحى وهو في عباءة الطويلة السوداء ورجلة عنقه البيضاء التي تتناقض تماماً مع حذاءه الكبير وشمعه للشمث . وانتفى النفس المدرس من قصته فأعقبتها بضحكة هائلة ... أعقبها ضحكات تالتت من هؤلاء الذين كانوا ينصتون إليه

أي حياة سميذة كان يحياها هؤلاء المجدودون ! وهاجت فرنسوا في وقفته التامة ... ذكرى للكلمات التي لم يمس على قراءتها لها بضع دقائق فتمتم قائلاً لنفسه بمجنن « لو أنني لم أت متأخراً في النهاية ؟ ولو كان في الامكان أن أرجع ثانية كالآخرين فأكل خبزي الجاف بشهية وأملأ أجفاني بنوم لا تشوبه الأحلام ! وهز رأسه يأساً ولكنه سرعان ما أدرك قائلاً في عينية بريق خاطف :

« إنه لباسوس ماهر ذلك الذي يستطيع أن يستدل على "الآن" ... فلحيتي التي أزلتها هناك ... نبئت هنا أشد قوة وغزارة .. إن الإنسان يستطيع أن يخترق في مكان ما على الجبل ... أما من جهة العمل ... فمن السهل الحصول عليه ، إذ أن الأبنية تتعالى بسرعة هائلة ... ومن الطيبين أن البنائين

ساعماً يفكر أن تمالي إلى سمه قبل أن يدخل صوت غاضب مبر فيه صوت الرجل المعجوز الذى يشار كهما مسكنهما وصوت صاحب الدار وألحت عليه رغبة قوية لیتسمع حديثهما
وتكلم المعجوز قائلاً بنضب :

« نم ... إني واثق من أن أحداً قد اغتصب حقيقتي ونشل منها ثلاثة جنيات كنت أخفيها في صندوق صغير ، كما أننى متأكد من أن ذلك السارق لا يمكن إلا أن يكون أحد رفيقي الذين أطمعتهما . هذا إن لم تكن السارقة هي الخادمة ماريا ، والمسألة تختص بك تماماً كما تختص بى ... أظننت أنت صاحب التزل ؟ وأقسم أننى سأسوفك إلى المحكمة فوراً إن لم تدعى أقرب عن ذهبي في حقيقتيهما حالا آه يا ذهبي الضائع .. لقد كان هنا بالأسى وسأخبرك كيف كانوا حتى إذا عرفنا عليهم مستقبلاً فلا يكون لأى إنسان أى شك في صدق قولى . نم ... إني أعرف قطري الذهبية الثلاث ، وأنا أراها أمام عيني الآن تماماً كما أراك . كانت الأولى جديدة تحمل صورة الإمبراطور والثانية قديمة جداً . أما الثالثة فكان عليها أثر أسنان كانت تعتبر تقاوتها . إنهم سوف لا ينجحون على ... هل تعلم أننى في حاجة إلى قطعتين أخريين لأكمل باقى غن الأرض . هيا وتعال تبحت مئ في تلك الأشياء وإلا فسأكادى البوليس ... هيا .. وتكلم صاحب التزل قائلاً :

— حسن ... سأذهب لبحث فنهماً مع ماريا ولكننى ... وبعد أن أجبرتني أنت على ذلك ... سألقى السئولية على طائلك إن غضب البنادم »

كانت حياة جيم فرنسوا مملوءة بالثغاب والمفاجآت ... نم إنه تذكر جولات سافتيان اليليه ... ولكنه لم يكن يصدق أنه كان لسا . وتعالى

معجوزاً شجاعاً ... يسمى لادخار بعض المال حتى يمكنه أن يشتري قطعة من الأرض في وطنه . وكان جيم فرنسوا وسافتيان دائماً متحدين ، في أيام الطفلة كانا يتمشيان في ضواى باريس . ويتناولان غداءهما تحت شجرة في أحد فنادق الضاحية التى يكونان قد استقرتا بها . وتعلم فرنسوا من صديقه كل الأشياء التى يجيهاها عن القرية .. فعرف أسماء الأشجار والزهود والنباتات ، وأسمى كثيراً الآلاف من السمكات تصف حياة القرية ، كان منها « أغاريد الربيع ، وقصف الشتاء ، وصوت الطواحين على خافة المياه ... » وأخيراً ... اكتشف جيم فرنسوا في روحه ناحية حالة كان يجيهاها

لم يكن يزعمه إلا رغبة سافتيان الشديدة في معرفة شيء عن ماضيه ، في بعض الأحيان كانت تحرق من بين شفتيه بعض كلمات عن اللصوص والطريردين ، فكان يحس في نفسه بالآلم تشبه تلك التى تنتج عن جرح تفتح بعد أن كاد ينسل ، وخصوصاً بعد ما سأل عن أسرار المدينة الريح الخفية الغامضة عليه . كان يهرب من الاجابة إذ رأى فيها خطراً على صديقه الذى كانت أنوار الحانة تؤثر فيه تأثيراً كبيراً فتجذبه إليها بإطراد عجز عن صده . وعند ما أقبل الربيع ، ابتدأ سافتيان يتوجه منفرداً إلى المراتع بعد أن كان يهاب الدخول فيها . تجرأ ذات يوم ووج لباب إحدى الحانات الخارجه . ومن ذلك الحين ابتدأ فرانسوا يلبس التنير الذى طرأ على صديقه . فقد تبدلت عادته وتصرفاته ، وأصبح بليداً خمللاً ، شرباً ... لا يدفع ما عليه من ديون . فكان يتألم دون أن يشكم إذ لم يجد قائدة من نصائح سبق تكرارها له وحدث ذات مساء بينما كان ساعداً إلى خرفته

إلى أذنيه صوت المعجوز في نبراته الناضبة ... تخيل إليه أنه يستمع لمقات قلبه «هامى ذى.. هامى ذى .. قطعى المحبوبة .. انظر أيها المعجوز يا صاحب النزل .. إنها تماماً كما أخبرتك ... ويل للسارق ... إننى في انتظاره وسيكون السجن بانتظاره هو الآخر » وفي تلك اللحظة نسمع جين فرانسوا وقع خطوات سافتيان وهي تنتقل ببطء على درجات السلم متجهة إلى أعلى... بالله .. إنه ذاهب للملاقة حثفه .. يجب أن يتفقه ثم فتح باب الغرفة ودخلها وعلى وجهه سياء تعب شديد ... فرأى صاحب المنزل والخدمة قابعين في ركن من الغرفة ... بينما كان المعجوز راكماً على ركبته يقبل جنبهاه البهيمية ... وهتف قائلاً بصوت جهورى :

— ماذا تفعل ؟ .. إننى أخنث القنود من حقيقتك وخبايتها في حقبة زمبلى ... نعم إننى لص ولكننى لست بتذل — هيا واطلب البوليس فإن أحاول الهروب ... ولكننى أود أن أقول كلمة لسافتيان على انفراد ... ها هو ذا قد جاء

بوغت سافتيان حين اكتشفت جريحته فذهل ووقف بعيداً مضموم الذراعين . وأسرع فرانسوا ناحيته وجذبه إليه بقوة كما نأمر يريد أن يساقه ثم هس في أذنه «لا تسكلم» ثم ألقت ناحية الآخرين وتعم قائلاً: « اتركونى وحيداً معه ... ولقد أخبرتك أننى لن أحاول الهروب ... لكم أن تسجنونا ها هنا ... ولكن ... بعد أن تدعونا على انفراد »

وخرج الجميع فهلك سافتيان على الفراش دون أن يفهم شيئاً مما جرى . واقترب منه فرانسوا وأمسك يديه قائلاً :

انته إلى ... إننى متأكد من أنك سرقت تلك القطع البهيمية لشراء هدية لأحدى نتياتك ... وإن هذا ليكلفك ستة أشهر في السجن ... لا تثبت بعدما

أن ترشح إليه ثانية. ستكون طريد البوليس والقضاء. إننى أعلم ذلك تماماً فلقد مكثت سبعة أعوام في مدرسة الإصلاح ... وستة مثلاً في سانت بلاجي ثم ثلاثة أخرى في ييوس وأخيراً ... خمة في تولون . والآن ... لا تخف فلقد ربيت كل شيء وأخذتها على طاقى وتطم سافتيان بصوت فيه رنة الأمل « ... إن ذلك لمروع جداً » ولكن جين فرانسوا استمر قائلاً: عند ما يتوجه الأخ الأكبر للحرب فلا يحاول الأسفر البهاب ... إننى بدلائمك وهذا كل شيء إنك تهتم بي قليلاً ... أليس كذلك سافتيان ؟ ؟

إذا فكأن رجلاً ولا ترفض . إنهم كانوا سيأخذونى في تلك الأيام مرة أخرى لأننى هارب من اللقي ، إننى أقبل ذلك ولا أطلب منك شيئاً . . فقط ... أن تمدنى بأن لا تمود ... لذلك مرة أخرى . لقد أحببتك سافتيان ولقد بحثت صداقتك للسادة إلى قلبى بعد أن تفقدتها عبثاً قبل أن ألتلك . ولقد كنت حينئذ صادقاً وأميناً كما كنت أود أن أكون دائماً . قد كان يكون ذلك لو أنه قد كان لى أب مثلك وأم تعلمنى الصلاة . ولشئى الوحيد الذى آسف له في حياتى هو أننى لم أكن مفيداً لك . وأخيراً ... لانك يا صديقى وهيا لتماثنى إذ أننى أسمع وقع أقدام ثنية على الدرج ... إنهم هم مع الجنود وليس من المستحسن أن يعرفوا مبلغ صداقتنا

وجنب فرانسوا سافتيان إلى صدره ... وسرعان ما دافسه إلى الأمام في نفس اللحظة التى فتح فيها الباب . كانوا جميعهم : صاحب النزل والرجل المعجوز الذى أحضر رجال البوليس

وتقدم جين فرانسوا ليترك مآداً يديه للقيده وهو يتعم ضاحكاً : « أوه ... إنه الحظ السيئ أخيراً » وهو الآن في قاين ... يقضى بقية أيام حياته كجرم لا يمكن إصلاحه .

هارون المال

وقد سبى فلم يبق منه شيء .

وفي يوم من الأيام رأيت
« نورجهان » الجارية الحبشية تخرج
من المنزل لتشتري شيئاً من السوق
فتبعها وقد دعيت معرفتي بالصداقة التي
بينها وبين زينب إلى الوثوق بها فدنوت
منها وقلت : « سمعت يا جيهان ! ما لنا تسيرين
وحده بهذه السرعة في هذا الوقت ؟ »

قالت : « أنا ذاهبة لأشتري دواء للجارية
الكردية »

قلت : « ما لنا وهل زينب مريضة ؟ »
قالت : « مسكينة زينب ! إنها مريضة حزينة
وأنتم أيها الفرس في نهاية القسوة . إننا سود أرقاء
ولكن في قلوبنا رحمة »

قلت : « ما الذي فعلوه بزينب حتى استنكرت
من أفعالكم أعمال الفرس ؟ » فأخبرتني بأن سيدتها
سجنت زينب بسبب غيرتها منها في حجرة ضيقة
وحرم عليها الانتقال منها وعوملت معاملة قاسية
فقرت بالحمى واشتد بها المرض حتى أشرفت على
الموت، ولكن قوتها وشبابها تقابل على المرض فأبالت
منه، لكن السيدة ساءها ذلك فصارت تأمر بשרاء
المقايير الضارة بالصحة وتكرهها على تطايعها حتى
لا تتحسن سمحتها فيبدو جمالها . ثم وعدت الشاه رئيس
أطبائه بأن يزور منزله تشريعاً لقدره واعترافاً بمخدماه
فأرادت السيدة أن تظهر جواربها أمامه بمظهر يسره
وأمرت بأن تعالج زينب حتى تعود إلى ما كانت
عليه من الصحة والجمال لكي تكون في خدمة
الشاه بهذه الزيادة .

حاجي بابا أصمفهانى

للكاتب الانجليزى جيمز مور
بقلم الأستاذ عتيق الطيف النشار

الفصل السابع والعشرون

الشاه في ضيافة الطبيب

انتهت نتيجة التفكير إلى اللزم الصادق على
الخروج من خدمة الطبيب والرحيل من طهران .
لكن حاجي زينب تنلب على هذا اللزم فأثرت البقاء
في خدمته وقلت إنه ليس يعلم ولا يظن أنى أأمنه
في جبه ولا أنى أنا السبب في الاضطراب الذى
حدث اليوم في منزله والاهامة التى ألحقها به زوجته
ولكنه كان يعلم على كل حال أن رجلاً دخل منزله
في غيبته ولم يكن قبل مجئ زوجته يلقى أهمية على
ذلك بل كان على ما يظهر مسروراً لمرافقه هذه
الحقيقة لأنها تسهل عليه طريق الحب مع زينب
لكن رأيه قد تغير بلا شك بعد مجئ زوجته،
وحدث ما حدث وسيكون أشد رقابة على منزله
وستكون علاقته بزينب أشد خطراً لسهره من
جهة وسهر زوجته من جهة أخرى على حراسة
الفتاة مدفوعين بأشد دوافع النيرة

ظلت بعد عودتي أنظر كل يوم من النافذة
للى أرى زينب فلم أرها وخطر يبالى أنه لا بد أن
يكون قد حدث أمر من اثنين فاما أن تكون
مسجونة وإما أن تكون سائر الجوارى قد انتهن
هذه الفرصة فشغفن ما في نفوسهن من غل بقتلها .

به فكن عند الثقة التي وسمها فبك »

قال الطبيب : « إن الذي تقوله يا حامي بإصديق كله ولكنني بالرغم من ذلك فقير . وإذا راعيت الاعتبار التي ذكرتها فواجب علي أيضاً أن أراعي اعتباراتي المالية ، أفلا يصح الاكتفاء بفرش الطريق بالأزهار وأن أذبح ثوراً أو ثورين وأكسر فتاتي الشراب تحت أقدام جواده ؟ ألا يكون ذلك أجيباً ؟ »
قلت : « هذا مستحيل . وإذا قلت ذلك فإني تمرض نفسك لأشد الموان ، وتمكن أعدائك من أن يحموا الشاه على تجريدك من كل ما تملك حتى تصبح مملوكاً مثلي . ولا ضرورة إلى أن تفعل كما يفعل وزير المالية قافرش الأرض بالقطيفة ، والحديقة بالسجاجيد ، وغرف المنزل بالكشمير ؛ ولن تكون تكاليف ذلك باهظة »

فقال الطبيب : « إنني أقدر لك هذه النصيحة وقد أتبعتها ، وعندني شيلان زوجتي وهي كافية لفرش الغرفة التي سيجلس فيها جلالتك وسجاجيد المنزل تكفي لفرش الحديقة وسأشتري من القطيفة ما يكفي لفرش الطريق »

قلت : « ولكن تذكر أن جلالة الشاه سيدخل غرف الحرم في منزلك فيجب أن تكون مفروشة كلها بالكشيلان ، ويجب أن تظهر جواديك كلهم أمام جلالتك لباسات أغزر الثياب »

فقال الطبيب : « إذا كان الأمر كذلك فليهن أن يقترض الثياب والمصوغات من جاراهن »
لم أجبه على هذا القول لاعتقادي أن زوجته لن توافق عليه وأنها ستكون في مؤونة الرد عليه وهي قادرة على إكراهه على ما تريد
وعند ما تمت هذه الزيارة كان كل من في المنزل

وقد تبين لي بعد هذا اليوم صدق ما أخبرني به نورجهان وعلت أن الشاه لن يجمل هذه الزيارة طاعة بل سيزيد من تشريف طبيبه بأن يتناول المشاء عنده ، وكان الطبيب خائفاً مضطرباً وكان بعد هذه الزيارة نذير سوء على ماليته لأنه لن يخرج منها إلا مقلداً

وكان أول واجب عليه أن يفرش الطريق بين قصر الشاه وبين منزله بالسجاجيد وينطعم بالأزهار والرياحين وفقاً لتقاليد هذه البلاد

وكان في حيرة شديدة لأنه إن أظهر غناه تمرض في المستقبل للطعام ، وإن لم يظهره تمرض لاحتقار منافسيه . وفي مدة طويلة لا يفكر في استشارتي ولكنه عاد فذكر ما أبديته من الالكاء حين أرسلني في مهمته مع الطبيب الأجنبي فأرسل إلي وقال : « أشر على يا حامي بما ينبغي أن أفعل في هذه المشكلة الصعبة . إن جلالة الشاه سيزورني وسيزور وزير ماليته في يوم واحد . ووزير المالية كما تعلم أعني رجل في البلاد ويستحيل علي أن أأفاهه ، وقد علمت أنه سيجعل الأبطلة التي يفرشها في الطريق موشاة بالذهب ، وسيجعل على جانبي الطريق شيلاناً من الكشمير لينقى عليها جنود الشاه ، وأنت تعلم أن وزير المالية لم يمل هذا اللزم منذ الآن إلا لأنه يتعرج في الشيلان والأبطلة ويريد أن أشتري منه بعضها ولو فعلت ذلك لما بقي عندي من المال بقية »

قلت : « إنك لست من النفي في منزلة الوزير ولكنك رئيس الأطباء ومرتبك بين رجال القصر كرتبة الوزراء ، وفضلاً عن ذلك فإن زوجتك من نساء البلاط فيجب عليك من أجلها أن تبذل كل ما في وسعك ولو كان فيه إرهابك للماليتك . ولا شك في أن الشاه سيفضب إن لم تستقبله الاستقبال اللائق

على أقدامهم وفي وسطهم الشاه راكباً جواده
ووراءه فرقة من الجيش

وكان مسكر خان شاعر للشاه بين موطنى القصر
الذين راقوا جلالة في هذه الزيارة

وكان الطبيب احمد خان الذى شرفه الملك كل
هذا الشرف يمشى حافياً في اللوكب إعلناً لشكره
وخضوعه

ولما وصل اللوكب إلى البيت وقف الطبيب عند
بابه يستقبل الشاه، فلما نزل عن جواده قال الطبيب:
« إن أحقر فرد من رعاياك يا جلالة الشاه يبدي
خضوعه لك للوك ظلالاً على الأرض ويتوسل
إليك أن تتم النعم التى أسديتها إليه بأن تشرفه
بدخول منزله »

فأجاب الشاه : « الحمد لله الذى وهبنا خدماً
مخلصين مثلك يا ميرزا أحمد . لقد يرضت وجهك
أمامى وعلت منزلتك عندي فأحمد الله على أن ملكك
زار منزلك وقبل ضيافتك »

عند ذلك سجد الطبيب وقبل الأرض بين
قدمي الشاه وصاح الوزراء : « تقسم برأس الشاه
أن ميرزا أحمد عبد مخلص لجلالة مولاه وأنه لقمان
عصره في الطب والحكمة »

قال الطبيب : « كرم من أخلاقكم أن دعوتهمنى
لقمان عصرى ولست مثل لقمان وإنما رفيعى عن
مرتبته تشرفي بالوجود في ظل الشاه ملك الملوك .
من ذا الذى يستطيع منافسة الفرس وهم تحت حكمه ؟
وأى طبيب أجنبى يتنافس طبيب جلالته في حكمته
وعلمه ؟ »

دخل الشاه وهو يقول : « صدقت ، فإن فارس
قد اشتهرت منذ بدء تربيها إلى الآن بذكاء أهلها

في ثياب لائقة وقد تكلف الطبيب من النفقات
أصناف ما كان يقدره

الفصل الثامن والعشرون

هزيمة الشاه

في صباح اليوم الذي حدث فيه هذا الحادث
المظيم وهو اليوم الذي قرر المتجمعون أنه مبارك
يصلح لاتقبال جلالة الشاه لأداء الزيارة — في صباح
ذلك اليوم جلس الشاه على عرش وضع له في حديقة
منزل الطبيب وقد أقيمت فوقه مظلة من الأزهار
ودارت التوافير في وسط الأحواض المتنوعة من
المرمر واللقى حليت في ذلك اليوم بأزهار البرتقال
وناراه

ودبح الطبيب من الأغنام والماشية عدداً وافراً
جداً يكفي لإطعام نصف المدينة وصنع الحلويات مئات
من أصناف الحلوى ولفواكه المجففة والمثلجة
وكان ممن حضروا مع الشاه هذه الوجبة كل
وزرائه وكبار الموظفين في القصر والعلماء وفرقة
الموسيقى

وكان الطريق من القصر إلى منزل الطبيب
مفروشاً بالسجاد الفارسية والأزهار وقد بدأ
اللوكب بذهاب ميرزا أحمد إلى القصر ليعلن استمداه
لهذه الزيارة ؟ وعلى أثر ذلك تقدم بعض الجنود من
الفرقة الموسيقية ليخلوا الطريق وليمنوا بالنفخ في
أبواقهم أن اللوكب اللئكي سيمر ، وتقدم اللوكب
عدد كبير من الضباط بثيابهم الرسمية المحلاة بالذهب
ووراءهم رجل يحمل زجاجة الشاه الذهبية وآخر
يحمل ملبه التبغ وآخرون يحملون أشياء مماثلة
وبسدم الوزراء والعلماء ورجال البلاط سائرين

ولا يضع النساء تقاباً على وجوههن بل يرضن هذه الوجوه لكل من أراد كنساء قبالنا للتنقطة. قل لي يا ميرزا أحمد، فأنت طبيب وفيلسوف كيف اخضعت العناية الإلهية السليين دون غيرهم بالنساء الخاضعات للطبقات ؟ ثم اجسم ابتساماً الساخر وقال : « لقد سمعت أن زوجتك من أوفى النساء وأكثرهن خضوعاً » .

قال الطبيب : « لقد تخلى عطف ملك اللوك فتوافرت لدى كل أسباب السعادة والراحة ، وأنا وزوجتي وكل ما نملك من أرقاء الشاه . وكل ما أوتيت من نعمة فعي من إحسانك الذي أحال تقاضى إلى فضائل . أما سؤالك عن اختلاط نساء الأوربيين برجلهم فأقول والله أعلم إن الأوربيين لا يفضلون البهائم والوحوش في شيء ، فهم لذلك لا يعرفون الحجاب كما أن إناث البهائم مختلط بذكورها . والبهائم والوحوش لا تتوضأ ولا تعلى ولا تدرك للتجاسة في لحم الخنزير ، وكذلك الأوربيون . وقد علمت أن في كل بيت بأوربا حجرة خاصة تربي فيها الخنازير ، ولا بد أن تكون علاقة الزوجية علاقة ضئيفة جداً في تلك البلاد لأن كل امرأة فيها تقابل أى رجل » .

قال الشاه : « أحسنت يا ميرزا أحمد . ومن الواضح أن كل الناس ووحوش أو بهائم ماعداً نحن . ولكننا سمعنا يا ميرزا أحمد أنك جبلت منزلك هذا كالجنة . فأنه بالحور ، فهل هذا صحيح ؟ »

فسجد ميرزا أحمد وقال : « لك يا مولاي عبدك وما ملكك يداه ، وإن أسعد ساعة في حياتي هي التي يشرفني فيها جلالة الشاه بدخول منزل الحرم » .

وجلال ملوكها ، وليس في العالم ملوك يلبثوا من المظلة ما يلبثه ملوك فارس من عهد قبيز إلى عهدي . نعم إن في المهند حكماء ، وفي بلاد العرب خلفاء ، وفي بلاد الترك سلاطين ، وفي الصين قياصرة ، ولكنهم ليسوا مثلاً . أما بلاد الفرنجة فأننا عرفنا بعض أهلها في العهد الأخير ، ويقولون إن فيها ملوكاً عظاماً لم نسمع بأنحائهم »

قال أحد الوزراء : « في بلاد الفرنجة يا جلالة الشاه أم كثيرة إذا استثنينا منها انكثرا وفرنسا فان سائرهما لا يمدل شيئاً في الوجود . أما السكوفيون فانهم ليسوا أوربيين بل هم أقل من أن يكونوا عبيداً لأوربا »

ضحك الشاه ضحكة عالية وقال : « صدقت ، فهم أناس تحكمهم إمرأته يقال لها كاترينا وهي امرأة عجبية تأتمن على سياسة بلادها وزيراً مجنوناً يدعى بولس ، وقد بلغ من جنونه أنه أرسل جيشاً لينزو المهند كأن فارس أذنته بذلك . والروس يحلقون ذقونهم ويلبسون ثياباً ضيقة ويدعون أنفسهم من أجل ذلك أوربيين كما يربط المرء في ذراعيه جناحي أوزة ويدعي أنه ملك كريم »

قال الوزير : « تبارك الله ! من في ملوك الغرب يتكلم بالحكمة التي يتكلم بها جلالة الشاه ؟ »
فقال وزير آخر : « أسأل الله أن يديم مهنده ألف عام »

وقال وزير ثالث : « أسأل الله أن يديم له الصحة والمافية » واستمر الشاه يقول : « إننا نسمع أخباراً عجبية عن نساءهم فليس في بيوتهم مكان خاص بالسيدات بل هن يشتن مع الرجال كأنهن بمضهم

أمين لك الذى خصها فى الطبخ فوجدها خالية من السم . ولا يفض هذا الختام إلا أمام الشاه نفسه على اللامعة .

وكان الطعام أنواعاً من الحساء، فنوع من لحم الضأن وآخر من الطير وآخر من السمك ، وعلى ذلك طعام خاص مصنوع من الاوز والبرقال والسكر، ثم أنواع متعددة من السمك فى ألوان بعضها ذهبي والبيض فضي والبيض من أعلى أنواع الخبز المصنوع فى الصين ، ثم أنواع من اللحم بعضها مصنوع بالزبد والبيض وأصناف من الخضروات والبقول ، وجميعها بالحمى والأشربة المصنوعة من عصير الفواكه

ولما فرغ الشاه من طعامه انتقل إلى الترفة المجاورة ليشرب القهوة ويدخن . وأذن لأبنائه الأسماء والوزراء أن يتنذوا من فضلات طعامه . وفى أثناء تناول جلالتهم الغداء أمر بأن ينقل طبق من أطباق الطعام التى كانت أمامه إلى ميرزا أحمد الواقف بالباب وأذنه بأن يتقدم به فقد ذلك أكبر تشريف منه . ودفع للخادم الذى نقل إليه الطبق مبلغاً كبيراً من المال . وكذلك أكرم للشاه زوجة مفضيه بنقل بعض الأطباق إليها

وبعد أن تنادي الوزراء نقل الطعام إلى من هم دونهم فى المرتبة ، وفى هذه الأثناء زار للشاه مسكن الحرم مع مفضيه الطبيب . وقد كنت شديد الخوف والجزع فى أثناء هذه الزيارة . وزاد خوفاً حتى أدركنى اليأس حين علمت بعد ذلك أن الطبيب أهدى إلى الشاه جاريته الكردية زينب استمع لوفى عند ما سمعت هذا الخبر وعزمت على

قال الشاه : «سرى بأعيننا ما سألنا عنه؟ وإن نظرة من لك لتجلب الحظ . ثم فأخبر سيدات الحرم أن الشاه داخل لزيارتهم . وإذا كان فيهن مريضنة، أو من بنفسها رغبة لم تستطع إبداءها إلى الآن، أو جارية تحب إنساناً بعينه وتريد أن تزوج منه، أو زوجة تريد أن تتخلص من زوجها فلتقل ذلك للشاه » .

كان مسكر خان شاعر الملك ساكناً إلى هذه اللحظة، ويظهر أنه كان شارد البصر فى نظم أبيات؛ فلما نطق الشاه بما نطق به وقف الشاعر وأنشد أبياتاً امتدح فيها الشاه وقال إن نظرة منه تنال من المرض ما لا يتال منه الدواء وهنا فيها الطبيب زيارة الشاه وتكرمه إياه »

وكان كل الموجودين ينصتون إليه حتى انتهى منها فنهأ الشاه بمجودة شعره وقضه على الفردوسى ثم أمر كل الموجودين أن يبقوا فيه . ثم ابتعدت الحاشية وجرى الاستعداد للوليمة .

الفصل التاسع والعشرون

الرابع

لم يكن فى الترفة التى تندى فيها الشاه غير الخدم إلا أبناء الشاه الثلاثة . وقد كانوا واقفين فى طرف تلك الترفة وظهورهم للحائط والسيوف معلقة على جنوبهم ، وكان ميرزا أحمد واقفاً ياب تلك الترفة مستنداً لتلبية الأوامر . وكان القماش الذى غطيت به اللضدة موشى بالذهب كما كان العسل والابرقى اللذان لتسل يدى جلالتهم مصنوعين من الذهب. وجميعاً بالطعام فى أطباق مخنومة بالشمع الأحمر بخاتم

الحالة . وكنت شديد الشف بآن أحرف كيف وقع اختيار الشاه عليها وما هو رأيها الآن في مستقبلها ، ولكن السموع حالت بيني وبين كل الذي أردت أن أنطق به . ورأيت الفتاة لا تنظر إلى فراتنا والعين التي أنظر بها إليه قد شغلها الفرح بحسن مستقبلها حتى عما في هذا المستقبل من الأخطار . فلم أشأ أمام ما رأيته من فتورها أن أظهر لها حرارة حبي وأخبرتني أنه لما دخل الشاه مسكن الحرم استقبله المنيات بإنشاد قصيدة قالها شاعره في مدحه .

ولما جلس في البهو دخلت السيدة قبلت الأرض بين يديه فأعدي إليها جلالة عقداً من اللؤلؤ . ثم دخلنا فوقتنا صفاً أمام جلالاته

قالت زينب : « كنت آخر من في الصف . ونظر جلالاته إلينا ، فقابل به بعضنا بنظرة جريئة ، والبعض بنظرة خجل واضطراب ، وحملت إحداها في وجه الشاه فلم تقض من عينها . وكان ينقل بصره على رجل من واحدة إلى واحدة حتى إذا نظر إلى أطال نظراته وأخذ يتأمل . وقال للطبيب : « ما هذه الجيلة التي يحتويها منزلك يا ميرزا أحمد ؟ وحق تاج الشاه إنها من أجل من رأيت . أنت حسن البوق يا طبيب فوجه فتاتك كالقمر وجيدها كجد النزال ، ما شاء الله ! ما شاء الله ! »

فأحس الطبيب رأسه وقال : « جيل الله نفسي فذاك يا ملك الملوك . إن الجارية لا تستحق هذا الالتفات ولكنها وصاحبها لك ، فهل تشرفني بأن أسعها تحت أقدام عرشك ؟ »

قال الشاه : « مقبول » ثم أمر رئيس الخصيان أن يحملني بالقصر الملكي في فرقة المنيات »

قالت زينب : « ويستعجل أن أنسى يا حامي بابا

مقابلتها قبل الذهاب إلى القصر الملكي مهما كلفني ذلك ، وكان في مسكن الحرم كوة تطل على الطريق فقلت في نفسي إن زينب ستطل منها بلا ريب ساعة ذهاب الشاه . وكانت هذه الساعة قد دنت فذهبت ووقفت أمام تلك الكوة

وقد صدق ظني فانه ما كان يتحرك اللوكب حتى رفعت بصرى إلى تلك الكوة فرأيت زينب تطل منها وقد نظرت إلى ، وكان هذا كل ما أرجوه ، وتركته لها تدبير الجيلة للقائى

وكان موكب الملك وهو يمود إلى قصره كوكبه وهو آت منه . وكان حديث النساء في هذه الأثناء مناقشات حادة عمن نظر إليها الشاه أكثر مما نظر إلى غيرها ، وعمن نأت إعجابها . وكفى جيماً يظهرن بمظهر الحسد لزينب . وقالت إحداهن : « لست أعرف ما الذي أعجب الشاه منها فهي ليست جميلة » فقالت الأخرى : « إن خصرها تنحصر الفيل » وقالت ثالثة : « وقدمها تكف الجمل »

وقالت رابعة : « وهي زينة من بنات الشيطان » هذا ما سمعت للنساء يتحدثن به ثم لم أجد أسمع شيئاً . ولما اشتد سواد الليل ذهبت إلى النافذة التي في غرفة زينب أملاً أن أراها

الفصل الثلاثون

ماحي بابا يقصر حبيبته

شكوت إلى زينب سوء الحالة النفسية التي وصلت إليها ، فتمتمت إلى الخطر الذي ينتوي عليه هذا الحديث . وقالت : إن هذه آخر مقابلة لنا وإنها منذ الآن أصبحت من نساء القصر الملكي ، وإن نصيبها ونصيبى لن يكونا غير الموت إذا وجدنا بهذه

وأخبرتني بأن خصياً من قصر الشاه سيأتي في صباح اليوم التالي ليأخذها إلى الحام وأنهما بعد أن تلبس ثياباً جديدة ستنتقل إلى القصر لتتلم الرقص والفناء مع سائر ممتناته وراقصاته وهنا نوديت زينب فودعتني و تفرقتا وكلانا قليل الأمل في اللقاء .

الفصل الحادى والثلاثون

حاجى بابا يحلم العجب

بعد أن ذهبت زينب بقيت في مكانى وأطلقت للفكر عتاه وقلت : « أهكذا الدنيا ؟ لقد كنت في الشهرين الماضيين كأننى في حلم . كنت أظنها ونفسى كليلي ومجنونها ، وكنت أحسب قلبها يتحرق حباً كما يتحرق قلبي فإنا أنا غلبوع مضلل وإذا كئنان قالمنا الشاه تذهبان بحبي إلى الأبد وتضمنان حاجى بابا واسمه في عالم اللنديان وبجملان زينب ملكية كسائر الملكيات .

مضت على هذه البلية وأنا محموم ولت في الصباح مبهوراً مفعوماً فمزمت على أن أنزله خارج المدينة لأسلى نفسى . وفى أثناء الطريق وجدت زينب راكبة جواداً ومن حولها الخصيان . وقد كنت أنتظر أن ترمقني بنظرة ولكن خاب ظنى فإنا لم نلتق . فسررت وأنا مصمم على أن أطرد اسمها من خاطرى . ولكننى على غير إرادة منى غيرت اتجاهي فبدلاً من أن أسير إلى باب المدينة سررت وراءها حتى وصلت إلى باب القصر فوجدت الجنود مزدهجة عند بابه ووجدت دخولى مستحجلاً وإلا لدخلت مدفوعاً بدافع قوى مجهول .

وقد انتهت في هذا الموقف وتذكرت حياتي

تلك النظرات التي كانت تنظرها إلى السيدة ، فقد عبرت بها عن أقصى مواطن الغضب والحسد ، أما الشكرسية فقد كنت أحس أن نظراتها إلى تلمعني في صدرى أشد من طعنات الخنجر . أما وزجهان سديقى الوفية فقد بدا على وجهها السرور والارتياح لما أتيت لي من حسن المستقبل . وسجدت أمام الشاه ، فنظر إلى نظرة حلف وحشو

وبعد أن خرج جلالتة من المنزل لم يعد من فيه بظلم على لقب بنت الشيطان؛ بل صرن يقلن لي : « يا حبيبتي » و « يا رومى » و « يا نور عيني »

وصارت السيدة تقدم إلى التبع بنفسها وتدعوني إلى التذخين في رجليها، وصارت تضع يدها الحلوى في فمى . أما الحارية الشكرسية فإنا لم نلتق في آن ترانى ، وكانت تهرب كلما وقع نظرها على وعلى السيدة وهى تلاحظنى هذه الملاحظة . أما سائر من في المنزل من الرقيقات فصرن يلمعن بامنا فأخطب الشاه وبمنا أحبيه إن نادانى وكيف أسلك في القصر مع زوجته وسائر جواريه . وبجمل القول يا حاجى بابا أن زينب المسكينة المهملة وجدت نفسها موضع الاحترام والاحلال والاحباب .

كانت زينب تقول ذلك بلهجة طبيعية تدل على امتلاء قلبها بالسرور ، فلم أشأ تكثير صفوها بأن أنبهها إلى ما في هذا المستقبل الذى تتيهج به من الخافوف والأخطار فإن غلطة بسيطة تقع منها أمام الشاه لا تعاقب عليها عقاباً أهون من الموت . وتظاهرت بأننى أشاركها السرور لما ينتظرها من السعادة . وقلت لها إنه بالرغم من اضطرابنا إلى التفرق فإنى لا أزال أمل أن نجتمعنا الأيام فإنا بعد . ومن يدري كيف تجري الظروف وتتميز الأحوال

فحص الطبيب المريض ثم نظر إلى وقال :
« لقد كفنا الله شر الجدل فلا دواء حار ولا مرض
بارد . إن الرجل قد مات »

قلت : « إنا معشر الأطباء لا نملك تغيير
المخطوط ولا مد الأجل »

وبعد لحظات جرى بالأمر (الشيخ) فأمر بأن يدار
وجه الميت إلى القبلة وتربط قدماه ببعضهما إلى بعض .

وكذلك ربط وجهه بقطعة من القماش وضعت تحت
ذقنه وأحكمت عقدها في وسط رأسه . ثم نادى

بالشهادتين فكررهما سائر الموجودين . وفي هذا
الحين جاء أهل البيت فأخذوا ينوحون ويندبون

كما هي عادة السادة . ثم جرى بتسليم نفقت الجثة إلى منزلها
وبالسؤال وجدت أن الميت كان « نارا كشي » وهي

وظيفة تطلق على مساعدي الجلاّد وعدمه مائة
وخمسون ، وهم يذهبون مع الشاة في روحاه وغدواه

وينحون للناس عن الطريق ويؤدون واجبات
الحرس الملكي الخاص

وحدثني نفسي بأن أهل في تلك الوظيفة التي
خات بموتها لأنها خير من معاونة الطبيب في مزج

الأدوية والعقاقير . وذكرت أن الجلاّد مدين جميع
لميرزا أحمد وقد كان عنده منذ أيام قلائد وأقنعه بأن

يشتم أمام الشاة بأن التنبذ دواء ضروري للمحافظة
على صحة فالج شيخ العلماء لجلالته أن يتماطى التنبذ

بناء على هذا القسم

قلت في نفسي : « إذا أمكنني الحصول على تلك
الوظيفة فإن اتصالي بزيين يسود أكثر مما كان

ويقلب سوء حظي إلى سعادة غير متوقعة

الناضية واثقت نفسي إلى الاشتغال بمعمل ما . وبينما
أنا واقف أمام الباب إذ سقط جندي عن جواده .

وتصادف أن غيره من الجنود الموجودين معه
قد عرفوني لسبق رؤيتهم إياي في عبادة الطبيب فدفعوني

لإسعافه . ولم أكد أسمع هذه الدعوة حتى ظهرت
بمظهر الأطباء وسرت نحو المصاب فبدأ لي أنه

قد فقد الحياة .

وكان جندي في ذلك الوقت يسكب الماء على
صدره وآخر يفتح في وجهه دخان التبغ لكي

يفيق وكانت يده ورجليه . لكن عند ما لمست
ييدي هذا المصاب كفت سائر الأيدي عن لسه

وجسست نبضه وقلت كما اعتاد الأطباء أن يقولوا :
« إنه الآن في حالة شديدة الموت والحياة ينتازعاه »

فاستمد السامعون لأسوأ الأمرين ثم أمرت
بأن يهر المريض هزاً عنيفاً ليظهر هل هو أقرب إلى

الحياة أو الموت ، فصعد الجنود بأمرى وهزوه ولكن
بشير جدوى

وبينما نحن كذلك إذ حدث ما لم أكن أظنّه ،
وأقبل الطبيب الأجنبي وأبعدنا عن المريض وهو

يقول : « ماذا تفعلون ؟ يجب أن يحجم المريض الآن
ولا تظنّ بيش »

فتظاهرت بالمر وتسببت الجمل إلى هذا الطبيب
وقلت : ماذا تقول ؟ فحججه ! أهذا هو الطب

الجديد ؟ ألا تعرف أن الموت بارد وأن الدم حار ،
وأن أول مبدأ في الطب ألا تنال مرضاً بارداً بدواء

بارد ؟ أهيئنا أسراً أبرأ أبو الطب . إنك إن حججت
هنا المصاب فسيموت في الحال »

الفصل الثاني والثلاثون

ماجي بابا يصير مهوراً

في صباح اليوم التالي تقدمت إلى ميرزا أحد ورجوه أن يكلم الجلال في شأن لكي يعني في مكان « التناز كشي » الذي مات بالأمس . وألححت عليه ألا يهمل هذه الفرصة لأن الشاه سيذهب بعد أيام قليلة إلى قصره الصيفي وسيرافقه الطبيب كمادة ، فافان لم ألتحق بهذا العمل الآن فاني سأبقى مدة الصيف طافلاً

وكان الطبيب لا يزال يتألم من نفقات الولاية التي أقامها للشاه . وعزم على أن يقتصد في نفقات المنزل . وكنت أجدد الناس بأن يفرغ الطبيب على نفسه نفقات طعامه . فوعده بمساعدتي في هذا الأمر وقال إنه سيكلم الجلال في الصباح وسيخبرني بنتيجة المقابلة بعد صلاة الظهر في القصر الملكي

وبعد أن صليت الظهر ذهبت تواراً إلى القصر واستأذنت في الدخول إلى غرفة الجلال وهي واقعة أمام الباب الكبير . وكان أمام هذه الغرفة عدد كبير يظهر أنهم جميعاً كانوا يطلبون إصينهم بهذه الوظيفة ، وكان الجلال في غرفته يسل . وفي الغرفة أيضاً صديق عسكرخان شاعر الشاه ، وأمين القصر وكان الثاني يصف للأول حادث الأمس ويسرد عليه تاريخ التناز كشي

ولما فرغ الجلال من الصلاة قال للشاعر إن ما يقوله أمين القصر كذب بحت وإن الرواة لم تحدث على الصورة التي وصفها . ثم أخذ يقص هو القصة مصححاً لما قيل فكان أشد مبالغة وكذباً ، وكان مما قاله أن الرجل لم يمت إلا بناء على غلطة الطبيب

الأجنبي لأن الطبيب الفارسي (وهو بذلك يعني) كان قد أمد إليه الحياة بأن هزه هزات عنيفة ولكن الأجنبي الكافر قصده فأت اللعالم

وفي أثناء هذا الحديث دخل ميرزا أحد غرفة الجلال ومع هذا الجزء من الحديث فأبده ثم أشار إلى وقال : « هذا هو الذي أعاد الحياة إلى التناز كشي الذي كان سيظل حياً يبتنا إلى الآن لولا جهل الطبيب الأوروبي أو سوء نيته

عند ما قال ذلك أجمعت إلى الميون واشترأت الأعتاق ودميت لكي أقص القصة كما حدثت فلفقتها لكي تكون قريبة مما سمعت وتظاهرت بالعلم الواسع الذي استفدته من ميرزا أحد رئيس الأطباء وأكثرت من القول في مدحه والثناء عليه حتى بدا عليه الطرب وتملكه الزهو وكافأني على ذلك بمدحى عند الجلال وبتأكيد الوصية

فأظهر الجلال دهشته وقال : « لست أفهم كيف يطلب طبيب بارع مثل هذا أن يصير جلاًداً » فنظر إلى الشاعر ثم نظر إلى صديقه ميرزا أحد وقال : « لا مانع من ذلك ولا ضرر فيه فان كلا الرجلين من نوع واحد فان الموت بالمقابر لا يختلف شيئاً عن الموت بالسيف »

قال ميرزا أحد للشاعر : « أما وقد اخترت هذا الهج من الكلام فان الشراء حكمهم حكم الجلادين والأطباء كما تقول فهم يقتلون شهرة من يهجونهم »

وقال الجلال : « يظهر أن كليهما يريد مزاحمتنا فكونوا كما شئنا ولست أنازعكما في القدرة على القتل ولكن أتركنا الروح المسكينة . إنكما تستطيان رائحة الورد وليسنا نستطيع إلا رائحة البارود

أن أصف للقارئ شخصية الجلاد مرهاد خان (نازا كشي باشا) ونائبه . أما الأول فكان طويل القامة مريض الكففين كبير العظام يبلغ الخامسة والأربعين من العمر . ولكنه مع ذلك لا يزال محتفظاً بالشباب والقوة . وهو كبير عظام الوجه غليظ الحاجبين أسود الشعر كبير الحية طويل الشاربين كبير الكففين

وكانت تبدو على وجهه هيئة تثير الخوف في نفوس الأشرار . وكان الرجل منهمكا في مزاياه يسمح في بيته الشتاء وتدفق الطبول كل ليلة من الغروب إلى الشروق ويشرب النبيذ في الصباح وفي المساء ولا يزال بمداوة العلماء ويستخرج بهم وكان يحصى المشيخ والراقصين فما يجسر أحد من أهل المدينة على عداوة واحد منهم . وكان من أشهر الفرسان ويستعد كل إنسان رآه أنه كبير الشجاعة والاقدام ولكنه كان في الحقيقة جباناً . وإنما اعتاد أن يخفي جبنه بكثرة الادعاء والمفاخرة حتى ظنه الناس جلالاً من أبطال عصره

وكان نائبه رجلاً غليظاً فامظهر خشن . وكان يعرف أخلاق رئيسه فاعتاد أن يشلقه ويقول إنه ليس في إيران من يستحق أن يلقب بالرجل غير الشاه وجلاده .

وقد أدركت أن أقوى خلق في هو الحسد وخشيت أن يضع العراقيب أمني لأنني عينت في هذه الوظيفة دون أن أقدم هدية إليه أو أستعين بوساطته ، فحاولت أن أصرف عن نفسي أخاه بأن أغلقه كما يتلقى رئيسه وأدركت أنني على كل حال أطلق منه لساناً فصرت أقول إنه من صفوة الضباط وإن لديه الصفات التي تؤهله أن يكون جلاد المستقبل .

وهز أعطافك صوت الليل ولكن لا يطربنا غير صوت المدافع »

قال أمين القصر : « إن كل إنسان يعرف مزاياكم جيداً وقد قدر الشاه لكل منكم النزلة التي يستحقها على هذه المزايا والمواعب . ثم نظر إلى الطبيب والشاعر وقال : « ها هي ذى دولة روسيا تشاكس إيران ، فأبكا يستطيع إضمارها منزلتنا . هل تنفي العقابر أو الشعر عن الشيف والمدفع في قتال الروس ؟ »

فقال الجلاد : « بل ليس ذلك غير الجنود . ثم اعترته رعشة من الخوف الذي كان يحاول إخفاؤه وقال : « من هم الروس ؟ إن مثلهم كمثل البعوضة فان الانسان يتأذى منها ويشمر بالضايقة ولكنه ليس يسيه أن يقتلها ويربح نفسه من أظافها » ويظهر أنه أراد التخلّص من هذا الموضوع الذي لم يلائم مزاجه فالتفت إلى وقال : « لقد قبلت رجاء ميرزا أحمد وعينتك في الوظيفة الخالية على شرط أن تكون لديك شجاعة ورسم وقوة الأسد ونشاط النمر وأن يكون أحب الروائح عندك رائحة البارود وأشجى الأصوات صوت المدفع »

ثم أمرني أن أذهب إلي نائبه ليقبض أعمال الوظيفة ويخضع الاجراءات الرسمية لتسليمي وذهبت إلى هذا النائب فوجدته مشتتاً لا عداد للمدات لا تنتقل الشاه إلى مصيفه . ولما عرف أنني الذي عينت في وظيفة النازك كشي الذي مات أمر بتسليمي جواداً وأوصاني بالنأي والحرس على حياته ، وأمر بإعطائي كذلك ثوباً رسمياً وأخبرني أن راتبى السنوى هو ثلاثون طوماناً وقبل أن أتقدم خطوة في سياق القصة أريد

اتبعتها مع غيره فكنت كلما دخلت إلى مكانهما
ورأيتهما مهملتين أخذت أنأمل فيهما وأتكر في
وسيلة الحصول عليهما وأنا آسف على أني لم أرزق
من سمة الحيلة مثل ما رزقه المرويش صغر فأقال
ما أردت بشير نسب ولا إجماد خاطر .

وأخيراً بدت لي فكرة تفننيتها ونلت بهما كنت
أريد، وذلك بأن وضعت في الحقيبتين كلاباً حديثة
الولادة . فلما سمع عواء الكلاب في غرخته تشام .
وكان زواره مزدهجين إذ ذاك في غرخته فاختطفوا
في تلميل الصوت وتشاموا منه وصاروا يحشون
عن مصدره حتى أدركوا أن الكلاب في الحقيبتين
فلم يسع الطبيب غير أن يري بهما في الطريق
فأخذتهما .

وسرت على هذه الطريقة حتى توافرت لي ما أنا
في حاجة قليلة أو كثيرة إليه . ولما اقترب للوعد
الذي سيسافر فيه الشاه كنت على أتم استعداد
لذهاب معه .

الفصل الثالث والثلاثون

ماحي بابا في ماشية الشاه

أخيراً حصد المنجوع للوعد الذي يحسن أن
يسافر فيه جلالاته وهو اليوم الحادي والعشرون
من شهر ربيع الأول فانتقلنا إلى قصره في السلمانية
وهي تبعد تسعة فراسخ عن طهران

وكان مع جلالاته حرسه الخاص وفرقة من
المجاهة وأخرى من الفرسان ، وكان في حاشيته
الوزراء ورجال البلاط وبعض كبار الموظفين

وفي اليوم الذي سافرنا فيه خرج من المدينة
أكثر من ثلاثة أرباع أهلها لرؤية اللوكب اللذي
وتشيعه إلى خارج المدينة

فاستراح النائب لهذا القول وعدّه فالاً حسناً
وقال لي إنه إذا تولى في المستقبل عمل رئيسه فسوف
يرفع منزلي لما يتوسمه في وإنه يرى مؤهلان التي
أستحق بها الرقي . وكنت إلى ذلك الوقت لا أزال
مقيماً بمنزل الطبيب حتى جاء الوقت الذي سيسافر
فيه الشاه إلى مصيفه . ووجدت في وظيفتي الجديدة
تسهيلاً كبيراً في السوق فكلما أردت شراء شيء
وجدت من يقدمه لي بالنسيئة أو هدية .

وكنت في حاجة إلى أشياء أخرى لا يمكنني
الحصول عليها بهذه الطريقة فحصلت عليها بطريق
الحيلة، فمن أمثلة ذلك أنني كنت في حاجة إلى سرير
وما يلزمه من الفراش، فذهبت إلى أهل مريض كنا
نعالجه فأت وعرضهم فيه وقلت : إننا لم نقصر في
علاجه ولكن يظهر أن الله لم يمن عليه بالشفاء
بسبب هذا السرير لأن فراشه كان من الحرير والحرير
غير جائز الاستعمال للرجال ولأن مجلات هذا السرير
لم تكن متجهة نحو القبلة .

ولما كان أهل البيت على درجة كبيرة من البساطة
والسذاجة فقد اقتنعوا بهذا التلميل واستنقوا عن
السرير فأخذته

ومن أمثلة ذلك أني كنت في حاجة إلى امرأة
ووجدت أحد الرضى ينظر في حرأته ويتحسر على
نفسه لما أصابه من الهزال والشحوب بسبب المرض
فأقننته بأنه ليس به شيء مما يشكوه وأن وجهه
كالوردة الباندة ولكن السيب في المرأة . وصدق الرجل
قولي فرمى المرأة وأخذتها .

وكنت في حاجة إلى حقيبتين لأضع فيهما ثيابي
وكان عند ميرزا أحد حقيقتان في عيادته ولكنه
شديد البخل ولا تنطلي عليه مثل هذه الحيل التي

و كنت قد طلت في صباح يوم السفر أن زيب
 قتلت من قصر الشاه إلى قصر آخر خارج المدينة
 على سفح الجبال التي تحيط بها لتعلم فيه الرقص
 والثناء ، فلما سرنا بذلك القصر نظرت إليه وأسفت
 على حظ تلك الفتاة لما سوف تتعرض له من المخاطر
 وذكرت ما قالته لي « توجيهان » من أن
 الشاه أمر قبل سفره بأن تزد العناية بتعليم زيب
 حتى إذا ما عاد من مصيفه في أوائل الخريف
 استطاعت أن تنفي وأن ترقص أمامه

ولولا أنني في الموكب لما كنتيت بالالتفات
 إلى ذلك القصر بل ذهبت إليه ووقفت تحت نوافذه
 أقتظر اجتلاء طلعتها عند سنوح القوس

وبعد أن سار الموكب يوماً كاملاً وصلنا إلى
 الجملة التي كنا نريد الوصول إليها . ونسبت لنا
 انضمام على مقربة من مصيف الشاه . وكان من في
 الجملة خمسة من التناز كشيعة كنت عرفتهم في المدينة
 ولكن صداقتنا كانت في هذه الجملة الضيقة التي
 لا يزيد طولها على خمسة أمتار وعرضها على أربعة
 وكان لثأب الجلال الذي تقدم وصفه مساعد
 هو رئيسي المباشر واسمه « شمير على بك » ولا أجد
 بداً من أن أجعل له نصيباً في هذه القصة لأنه رفع
 منزلي ونوه بي في مجالس الكبراء والحكام

وكان هذا الرئيس من شيراز ، وعلى الرغم من
 الكراهية المتبادلة بين أهل مدينته وأهل مدينتي ،
 فقد توطدت بيننا المحبة إلى حد لم أكن أعتقد
 وكان هو البادي متطوعاً إذ لحق علي وجهي في يوم
 من أيام الحر الشديد أنني ظن أن ، وكان معه طاوونة
 فكسرها وأعطاني قبا منها ، ودعاني في يوم آخر
 لكي جواده لما علم أن لي دراية بمبادئ الطب ،

وكان الأجانب المقيمون فيها لشدة دهشتهم من
 هذه الحركة غير العادية يحسبون أهل البلاسيه أجرون
 منها . وقد قدم كل ميسور الحالة منهم ما استطاع
 أن يقدمه من الهدايا للشاه بمناسبة سفره ، فكنت
 ترى وراء الموكب عدداً كبيراً من الجمال والبغال على
 ظهورها المؤونة والأمتعة المهداة إلى جلالتهم من
 غلمى رعيته . وكنت تسمع هتافهم مقروناً بصوت
 الأجراس الملقة في رقاب الجمال

وفي صباح اليوم الذي حدث فيه للسفر اشتغل
 كل السقائين في طهران بحركة الكسكس والرش في
 الطريق الذي يسير فيه الموكب . وأمر الفلاحون
 الذين جاءوا كالعادة بتناجرهم إلى المدينة — بأن
 يسلكوا طريقاً آخر ، ولم يسمح لأية امرأة بأن تقف
 في الطريق أو تطل من النافذة في أثناء مرور الموكب
 خشية أن تقع عليها على جلالتهم فيصيبه سوء لأن
 النساء متهمات بالحدس في هذه البلاد

وقد وجدت في نفسي كفاية واقتداراً عجيبين
 في المحافظة على النظام فصرت أطرد الناس من أمام
 الموكب ضارباً إياهم بالسياط على الأوجه والرؤوس
 والظهور في غير ضف ولا خوف حتى أعجب بي
 سائر الجنود وتساءلوا أي شيطان هذا الذي جئ به
 لينضم إلى زمعتهم . ونظر إلى رئيسي نظرات تدل
 على الرضى . وكنت شديد الشف بآن أكل خطوة
 في هذا المركز الجديد لكي أندرج في سبيل الرقى
 إلى أعلى منه

وكان يتقدم الموكب جنود يلبسون ثياباً حمراء
 بالذهب ووراءهم فرقة الحرس الخاص ثم الوزراء
 والضباط بالأوسمة المرسمة والنباشين وفي وسطهم
 الشاه على ظهر جواده ، ووراءه فرقة المشاة ، ووراءها
 فرقة الجمالة

المورد الذي لا يمكن تقدير جسامته هو في الهدايا التي ترسل إلى الجلال بنظام من كل الوزراء والوجهاء والعطاء الذين يتوقعون أن يأمر الشاه بجلدهم في وقت من الأوقات فيشترون مودة الجلال بما يرسلونه إليه من الهدايا والهبات . وكثيراً ما تتمرد قرية أو قبيلة فيذهب الجلال على رأس فرقة لينفذ فيها إرادة الشاه ولا تسلم في هذه الحالة عما يجنيه من الربح ليرتك بعض الرؤوس ويأتي بالبيض ويلحرق جانباً من المزارع ويسفو عن الجانب الآخر .

قال لي مساعد الكاتب : « قبل أن أقبل على هذا كنت رقيق القلب أعرف معنى الرحمة وأقدرها وفي أول عهدي بتنفيذ الأحكام صرت لا أعرب الجلود على دعمي بل على الخشبة التي يربط عليها الساقان ولم يملني القسوة غير الحادث الذي سأذكره لك : » في يوم من الأيام غضب الشاه على أمين القصر فأمر بجلده وكلفني وأحد النازكشين بجلده أمام جلالته . وأمر على سبيل الاستئذان بأن تفرش سجادة تحت أمين القصر عند جلده

« فلما أردنا أن نزع عن المذنب حمايته وشالاه قبل أن نطرحه على الأرض لتنفيذ الحكم أمس في آذاننا بأنه سيدفع لكل واحد عشرة طومان إذا رحناه في تنفيذ الحكم فلم ننزع إليه وضريناه في أول الأمر بنصف لم نضرب أحداً قبله بمثل فصار يستنيت ويتأوه ويشير لنا بأصابعه أنه سيزيد المبلغ إلى عشرين ثم إلى ثلاثين ثم إلى خمسين ، ثم أشار بيده في النهاية بأنه سيقبل حكماً أيأ كان هذا الحكم تخففنا عنه

« ولا انتهت العقوبة اقلب السحابة الذي كان يديه ونحن نجلده إلى شح شديد . ولم يقبل أن

وأهدى إلى غليوناً وتبناً ، ثم أخذنا تبادل المولات حتى سارت علاقتنا علاقة الصديق بالصديق وكان شخير على بك يكررى بثلاثة أهول وهو طويل القامة جميل ذولحية سنيرة يضاوية ، له خصلتان جبلتان من الشعر تسدلان وراء أذنيه كأنهما عاتقان من اللعاب يطلان من ثيابا الكريمة . وقد استفاد من مدة خدمته تجارب كثيرة فلما دار بيننا الحديث عن وظائفنا أدهشني ذكؤه وعلمه وزاد اعترازي بهذا العمل الجديد

قال لي : « لا تحسب أن أحداً من موظفي حكومة الشاه يتد قليلاً أو كثيراً بالراتب الذي يبطاه بل كل ما يستد به أحدنا هو اعتداده على الانتفاع بالظروف التي يهيؤها له منصبه . وأنت ترى على سبيل المثال أن راتب الجلال لا يزيد على ألف طومان في العام ولكنه يتفق خمسة أضعاف هذا الرقم أوستة أضعافه وهو يتناوله بنظام في بعض الأشهر ولكن ربما مضت أشهر لا يتناول فيها درهما ، وليس في ذلك شيء مهم لأن اعتاده كما قلت لك على موارد أخرى فكثيراً ما يتغضب الشاه على بعض الكبراء أو الوزراء فيأمر بجلدهم وأنت تعرف أن قليلاً من القسوة في تنفيذ هذا الحكم قد يؤدي إلى القتل وأن الرأفة في تنفيذه تجعله عديم الأهمية . ومتى عرفت أنه لا يمر يوم واحد دون أن يجلد عظيم أو عظيمين أمام الشاه أمكنك أن تقدر ربح الجلال مما يدفعه له المحكوم عليهم لكي يخفف عنهم العقاب ، وينفذ الجلال أحكام القصاص بخلع الفرس واقتلاع العين فإذا لم يسط مكافأة قيمة اقتلع عين اللذين بالخناجر قتلهم بما يقطع من عروق الرأس وإذا أعطى المكافأة التي يرضاها جرح الأعين دون أن يفتني دورها . وفي ذلك مورد كبير للربح ولكن

ثم أخبرني أن مدينة سوار الواقعة بين السلطانية وبين حمدان لم ترسل الضريبة المفروضة عليها في هذا العام . وأرسل حاكما يستنر عن ذلك بأن أحد الأسماء ذهب إلى تلك المدينة من مدة قصيرة ليتلصق بالمسيد فأقام فيها بضعة أيام أخذ في خلالها هو وزوجه كل ما أنبتته المدينة وما ربحه أهلها ، وقد أمرت بأن أذهب لتحقيق هذا القول وآتي بالحاكم والشعوليين من رجه وترك لي الحرية في اختيار من أستصعبه مني ، فاخترتك لتلقي بك فاستمد للذهاب مني فاني ذاهب في صباح الند

سرت لاختياري حاجلا لأداء مهمة ، وكنت بطبيعة الحال لا أعرف الخطة التي رسمها شمعير بك ولكنني وقتت بالنظر لما سبق أن أخبرني به من أن خطته ستعود علي وعليه بالرجع العائلا وخشيت أن يكون حاكم المدينة قد صدق فيما قال وأن يكون الأمير قد غادره وأهل مدينته من الفقر بحيث لا نستطيع أن ننال شيئا منهم

على أنني استمدحت للسفر فقامت في الحال إلى جوادى فنظفت سرجه ولجامه ومسحت شكميته ولم أستطع الامتناع من مقارنة نفسي به وقلت : « إنك مثل أيها الجواد وستصبح في القدر حراً تفعل من الضرور ما بدا لك »

وخرجت في الصباح الباكر مع شمعير بك وقد فاني أن أذكر أن لقب « بك » عند الأيرانيين غيره عند الأتراك ، فالأيرانيون يطلقون هذا اللقب على كل جندي ولذلك كنت أنا أيضاً من حملة هذا اللقب على الرغم من أن راتبي الشهري لا يتجاوز ثلاثة طومانان

خرجت في الصباح الباكر مع شمعير بك

يدفع لنا أكثر مما عرضه أولاً . وقد كان يوده ألا يدفعه لولا خوفه من أن تعود الكرة

« ومنذ ذلك العهد أصبحت شديد القسوة على من أتولى عقابهم إلا إذا نلت منهم مقدما شيئا من المال »

سمعت أحاديث كثيرة رواها شمعير على بك على هذا النوال فتمرت أسرار المنة التي ازداد حبي لها وحرصي عليها وصرت لا أحمل بشيء سوى الكسب من أي طريق . ولما كان أُم طريق يتبل الكسب من هذه المنة هو القسوة فقد عزمت على أن أقتل من نفسي جذور الرحمة حتى أصير كأى سبع من سباع البرية وألا أعمر نفسي شعوراً غير القسوة والشر . ولما اعتدت ذلك صرت لأحب شيئاً غير قلبم الآذان وجذع الأنوف وفق الأعين . وهان على أن أعذب أقرب الأقرباء ولو كان فيهم أبى

الفصل الرابع والثلاثون

ذكرى الأوس

أخذت أوازن بين حالتي هذه في خدمة الشاه وبين حالتي وأنا في أسر التتركان فقلت في نفسي : « الفرق بين الحالتين أنني كنت أولاً من فريق المنلوين وأنى الآن من الفريق الغالب ، ولا أعرف لأى سبب من الأسباب أخذت في سبيل المفاضلة بين الحالتين

وبينا أنا كذلك إذ أقبل على شمعير على بك وقال : « يظهر أن الله يريد بك خيراً فقد تهيأت لنا فرصة ربما رفعتك إلى مستوى عال من الرق إن شاء الله »

قال العمدة : « إن الذي كتبته إليك ساعيدہ الآن ، وكل هؤلاء الموجودين بملون أنه صدق » وأشار إلى أهل القرية الذين جاءوا ليرجوا بنا ثم قال : « إنني أقسم ببيني أنني صادق وأسأل الله أن يعميني إن كنت كاذباً ، وأنت أيها السيد رجل يسيد النظر ورحيم الصدر واسع الفكر مسلم تحاف الله ، فساقص عليك الأمر وأترك لك حكمك »

قال شير بك : « قل وأنا خادم الشاه فملي تنفيذ حكمه واتباع رأيه وليس لأحد حكم ولا رأي » فقال العمدة : « كلنا خدع الشاه وعبيده ولكنك حاكم مطاع الأمر ، مسموع النصيحة ، مقبولة مشورتك فأتوسل إليك أن تسمع : منذ ثلاثة أشهر كانت أعواد القمح في هذه المزارع تبلغ المتر ارتفاعاً وكانت الأغنام كثيرة في المراعي لجأنا خادم وقال : إنه آت من قبل الأمير « حمير ميرزا » وإن سموه سيأتي في اليوم التالي لكي يتلقى بالسيد لأن في الوديان القرية منا وحوالا كثيرة وغزلاً وحيراً وحشية . وأبلغنا هذا الخادم أن الأمير يريد إخلاء منازل في المدينة له ولرجال حاشيته

فلما علم أهل المدينة بذلك استولى عليهم الفزع ولم نجد حيلة مع هذا الخادم ليصرف عنا شر هذه الزيارة وقد حاولنا أن نرشوه فلم يقبل الرشوة ، ولم يستأ إلّا أن نخلي المنازل والمدينة تجنباً للسوء ولجأنا إلى الجبال حتى تنصرف هذه الحنة ، وأنت تعرف النكبة التي تحبب بفلاحين مساكين كهؤلاء الذين ترام حين يضطرون إلى مفاداة المزارع وكل ما فيها والمنازل وما اشتملت عليه ، وأنت بلا شك تشمر بالرحمة لنا ويكاد قلبك يتفطر علينا حناناً وعطفاً » قال شير بك : « ما الذي تمنيه بذلك ؟ إن

وكننت قد اقترضت سلسلة وضمتها في حزامي ووعدت الذي أطرنها بأن أحضره له هدية ثمينة عند عودتي ويظهر أن جميع الجنود الإيرانيين كانوا يعرفون ما وراء هذه المعات من الكسب ولذلك رأيت ممن استمرت منه إقبالاً وثقة ورغبة في إقراضى كأنه واثق بأن لن أعود فقيراً كما ذهبت

قضيتا طول النهار في السير ونعنا ساعتين من الليل في قرية بالطريق ثم واصلنا السير ووصلنا إلى المدينة التي كنا نريدها في ساعة الفجر ، وكان النساء في هذا الوقت قد خرجن من بيوتهن لخدمة الأرض ولكن ينشدن الأناشيد كما ذهبن فلما رأيننا سكتن وغطين أوجهن وكنت أعنى أن يرى القراء وجهه شير على بك في هذه الحالة قد كان أخذ من أي عمل في الوجود في تخيل العظمة حتى غلب خوف منه على معرفتي به وحتى كنت أتخمد منه . وكانت الحجّة التي يتكلم بها لهجة المسيطر النافذ للكلمة وسأل من عمدة المدينة فأرشدنا النساء عنه ووجدناه رجلاً في ثياب بسيطة أشيب الشعر رفيع الحالة ، ولما رأنا سلم على شير بك خاضعاً متواضعاً ثم ساعدنا على النزول عن جواديتنا وأمر رجاله بأن يأخذوا الخاضعين ودنا إلى دخول منزله . وخلع يديه حنايتنا كمادة للضيف حين يريد إكرام ضيفه العظيم الخطر

وقد قابل شير بك كل هذا العمل بكبرياء بحية كأن الضيف لم يفضل غير ما هو واجب عليه سموه وبعد أن سعد شير بك أنفاساً من غلبته قال لهجة لنا كيد : « اعز يا عمدة أننا جئنا من قبل الشاه لنسلم كيف منتم للضريبة هذا العام ، فأجبنى جواباً صريحاً وبيض وجهك أمامي »

شيء وأنه لم يبق لنا غير رحمة الله وعطفكم .
 فوقف شير على بك مضيقاً وأمسك بلحية
 العمدة وقال : « ألا تخجل أبها الأشيء من التفوه
 بهذه الأكاذيب ؟ ألم تقل لي منذ لحظة إنكم حاتم
 على ظهور القنم والماشية ما اعتزتم به ثم تنسى
 قولك في الحال وتدعى أنه لم يبق لكم شيء . إذا
 كنت تظن بأعمدة أنك تستطيع الضحك على ذقوننا
 فانك غطلي وسنملك هول خطبك إن كنت لم تعلمه
 إلى الآن . أنت لا تعرف شير على بك ولا تعرف
 أننا من أناس ينأى أخدم بإحدى مقلتيه ويسهر
 بالأخرى . أنت إذا استطعت أن تجمع سائر الناس
 فليس في وسعك أن نخادعنا فاقطن إلى نفسك »
 قال العمدة : « أعوذ بالله أن أكون قد فكرت
 في خداعك أو خداع غيرك فاني آخر من يخطر
 الخداع بباله . إننا عبيد للشاه وكل ما في أيدينا فهو
 ملكه . ولكننا جرداً فلم يبق معنا شيء . ولست
 أسألك إلا أن تذهب إلى المزارع اقترها ببنيك ثم
 تأتى إلى المخازن فتري هل فيها شيء مدخر ؟ »
 فقال شير بك : « سواء أجردتم أم لم تجردوا
 وسواء أكلن لبيك قح أم لم يكن لبيك قح ليس
 أماناً غير طريق واحد وليس في فتاغير كلمة واحدة
 هي أن ما أسره الشاه يجب أن يتخذ ولا فتأني منا
 أنت ورجالك إلى السليمانية حيث تقابلون الشاه »
 بعد هذه الكلمة تناول العمدة مع رجاله همساً
 وهم واقفون في ركن من الرفقة وكنا في ذلك الوقت
 ندخن ونظرهم عدم البالأة ويندى من العظمة ما مضحك
 بيننا وبين أنفسنا من إيداه
 وأخيراً أعلنوا نتيجة مداولتهم وحاول العمدة
 أن يستلين قلبي وحاول رجل آخر غيره أن يستلين

واجبك يقضى بأن تسهروا على خدمة الأرض
 الملوكة للشاه لكي تستطيعوا دفع الضرائب .
 وأنتم هربتم من أرضه وأهملتموها ثم تزعمون أنكم
 تستحقون العطف والرحمة ؟ »
 فقال العمدة : « أتوسل إليك أن تصني إلى
 حديثي حتى أتمه . لقد حملنا على ظهور الأغنام
 والواشي كل ما استطعنا حمله من الحبوب لما انتقلنا
 إلى الجبال وسكننا في كهوف بها قرية من عبري
 النهر ولم تترك في المدينة غير ثلاث عجائز وغير القلط »
 قال لي شير بك : « هل تسمع بإحاجي بإبيك ؟
 إنهم يقولون إنهم أخذوا ما يستمرون به وتركوا
 عجائزهم للأمر . هل سمعت في حياتك شيئاً كهذا ؟
 ثم نظر إلى العمدة وقال : « استمر »
 فاستمر العمدة يقول : « وظلنا نرسل جواسيس
 بين حين وحين ليخبرونا عما فعله الأمير بالمزارع
 وقد أخبرونا أن الأمير لما علم بتركنا المدينة هاج
 وغضب أشد الغضب وأرسل إلى أتباعه ليكسروا
 أبواب المنازل عنوة فلم يجدوا مقاومة إلا من عجوز كان
 لا يزال عندها من القوة ما ساعدها على مناداة
 القرش ، وقد أبدت شجاعة عظيمة في تأنيهم
 وإسماهم ما يكرهون من قوارص الكلام »
 قال العمدة : « وقد سكن الأمير في منزلي
 وأرسل إلى أهل القرى المجاورة بأمرهم بأن يمشوا
 إليه بما يلزم جنوده من القمح . فأسلوا إليه وفودهم
 تلبسه خجلهم مما فعلنا وسخطهم علينا ؛ وبعثوا إليه
 مع هذه الوفود ما جنوه من مزارعنا ، وأقحموه أن
 هذه مزارعهم وأن الذي أرسلوه هدية منهم وأخذوا
 لأنفسهم سائر ما في المزارع
 فانت ترى يا رسول الشاه أننا جردنا من كل

عليه، وإذا اجتمع لدى أحدنا عشرون أو ثلاثون طومانًا دفننا تحت الأرض خوفًا عليها من رغائب النفس ومشتهاياها»

ثم دنا مني وهمس في أذني قائلاً: «يظهر يا أخي أنك ذكي فأرجو ألا تدعى النبأ . إن الرجل لا يلقى بنفسه بين غلاب الأسد إذا كان في وسعه أن يتجنب ذلك، فقل لي كم يرضى زميلك هذا (وأشار إلى شمبر بك) ، هل يرضى بخمسة طومانات وشالين من الكشمير؟»

قلت: «لا أظن ذلك يكفيه وأنا على كل حال أريد خدمتك راحة بك وإشفاقاً عليك فأجمل الطومانات عشرة وأجمل الشالين ثوبين كاملين وسأبذل جهدي معه لكي يقبل»

قال العمدة: «هذا كثير جداً وقرينا كلها لا تساوى هذه القيمة فأقنع بما عرضناه وستقدم إليك هدية ندمحك»

اشتد شوقى إلى معرفة هذه الهدية التي يمدنى بها ، ولكننى لم أظهر له أنه استخفى بهذا الوعد فقطعت حديثى معه وقلت لشمبر بك فيما بينى وبينه: إن قليلاً من التشدد سيجهلهم يزلون عند حكننا ويدفنون الطومانات العشرة والثوبين وإنه لا يتفق مع كرامة الجندى الفارسى أن يقبل من الأعداء أقل من المشرات

ثم قلت للعمدة: «إذا أنت لم تقبل وساطتى ولم تدعن لحكى فانك ستستحق ما يزل لك من أنواع العنف . ولا تنفك سمتك ونظرانك الهادئة» وبعد فترة استطالوا عادوا إلى الاجتماع بالركن الذى سبق لهم الاجتماع به . ثم تركهم العمدة يتحدثون وخرج وعاد بعد قليل يحمل لنا سلة من التفاح

قلب شمير بك، وقد أكد لى العمدة أننى أكل خلق الله، وأنهم أنه قد أحبنى هو وكل أهل القرية وأنهم جميعاً يستقدون أننى أنا الرجل الوحيد الذى يستطيع تذليل مصاعبهم

وكنت أظهر اللبات والوقار وأنا أسمع هذا الاطراء، ثم شجعت على التكلم فى التفصيلات فقال إنهم تشاوروا فيما بينهم واجتمعت كلهم على أنه من المستحيل أن يرسلوا ما ليس فى أيديهم وأن القليل الذى فى أيديهم لا يصح أن يرسل للشاه ولذلك فهم يرون إعطائنا ما يرضينا لكي نتولى الدفاع عنهم

قلت له: «هذا كلام مقول، ولكننى لست الرجل الوحيد الذى أرسل لهذه المهمة وإن استرضانى وزميل ليس يكفى لأن رئيسنا يجب أن يرضى كذلك وإذا لم يكن قسطه أوفر الأقساط كان جهودنا تذهب سدى ويضيق على أهل المدينة ما دفعوه»

قال: «لكن علينا أن نطير كل ما معنا واقسموه أنتم كارتدون . أما الضريبة فليس دفعها ممكناً بحال من الأحوال لأننا لم نعد نملك غير نسائنا وأطفالنا، ونظن أنه ليس للشاه رغبة فى أخذ ذلك بدلاً من الضريبة»

قلت: «مادم معكم مال كاف تستمدون لانفاقه فانكم بالنون كل رغبة فى نفوسكم . إنكم بالذال تستطيعون أن تشتروا التاج الذى على رأس الشاه . أما إذا لم تدفعوا ما يخلصكم من هذه الورطة فلا تنتظروا غير الجلاء»

قال العمدة: «اللال ! اللال ! ومن أين نأتى باللال ؟ إننا لا نكاد نكسب شيئاً من النقود الذهبية حتى يأخذنه نساءنا ويحملنه حلياً لمن شئناه وحرماً

جدودكم وآؤؤكم من بدم ؟ هل أردتم إهانتى
بتقديم هذه الهدية ؟ خذوها فى الحال وإلا اضطرت
إلى إيهامكم ماذا يفعل النازا كنى إذا غضب »
فهم المدة بأن يذعن لقولى ويأخذ الشالين
ولكن شير بك تدخل فى الأمر وقال : « أرى
هذين الشالين »

وخصهما وقال : إنهما جديدان ولا عيب فيهما
وقد قبلتهما وجعلتهما مع نصيبى وأنا أشكركم وأسأل
الله أن يثيبكم »

فنظر كل منهم إلى الآخر نظرة دهشة واستغرب
ولكن لم يمرؤ أحد منهم على التفوه بحرف . وضع
على "الجزء الذى كنت أنتظره لأن مسلك شير بك
أزمنى الصمت، وإذا كنت قد خسرت ما كنت أطمح
فيه من هدية فقد استندت تجربة عظيمة الأهمية
هى أن أعرف كيف أعامل أبناء وطنى بعد الآن وألا
أتق بمن أَدعوه سديقى .

(يتبع) هير اللطيف النشار

والخوخ ومائدة عليها طبق من السل وأخر من الجبن
وتوسل إلينا أن نشرفه بتناول الطعام فى منزله
ثم قال لشير بك بصوت خافت إنه يرجو قبول
خسة الطوماتات والشالين لأنه وأهل قريته أناس
فقراء إلى درجة تذوب لها القلوب الرحيمة مثل
قلب شير على بك

وانتفت وزيل على رفض الطعام وأمرناه بأن
يرفع الطعام من أمامنا ، فبدأ التآمر على القوم الفقراء
وكادت تنحدر من أعينهم المموج ، وحمل المدة
ما جاء به وهو مطاطىء الرأس ذلاً وخجلاً

وكنّا فى هذه الأثناء كلما فرغ الشليون عدنا
إلى ملكه واشتغلنا عن النظر إليهم بالتدخين ، وعاد
المدة بعد فترة استطلناها نحن أيضاً ، وسألنا هل
تقبل طعامه إذا أحضر عشرة الطوماتات والتوبين ؟
فاشار زميل إشارة للقبول وذهب المدة
وعاد سريعاً بالمال والتوبين والطعام ، فأخذ شير بك
ماتم الاتفاق معه عليه ، وبدأنا نأكل ، وانتظرت الهدية
التي ستدهشى ، فلم يقدم لى أحد هدية سوى أن
المدة أخذ يشير لى بحاجبيه وعينه فقلت له :
« أين الهدية وما مقدارها ؟ »

فقال : « انتظر قليلاً ففى آتية . إنها لم تنبأ
بعد »

وفى النهاية جاء بالشالين الذين رفضهما شير
بك فوضعهما أمامي وزاد عليهما كلات الطيفة راجياً
ألا أكرس خاطره وألا أرد هديته

ففضبت وقتل للرجال الذين كانوا لا يزالون
بالركن : ألا تعرفون أنها القوم السلوب الحياء أننى
جلاد وأننى أستطيع إحراقكم وإحراق آبائكم وأديتكم
من الأحزان ما ليس يحضر لكم يبال ؟ ماذا تريدون
بتقديم هذين الشالين القديمين لى بعد ما لبسهما

آلام فرتر

للشاعر الفيلسوف موه الأولانى

مترجمة بقلم

أحمد حسن الزيات

وهي قصة عالية تمد بحق من آمار الفن الخالد

تطلب من إدارة مجلة الرسالة

وعنها ١٥ قرشاً

فهرس المجلد الثاني من الرواية

—❦—

(العدد ٢٥)			الصفحة	القصة	الؤلف	للترجم
١	رجل البحر	أ. ه. ماتهود	٢١٩	هزعة	شكري محمد صياد	للترجم
٦	الرجل الذي صنع المميزات	ولز	٢٢٤	الجوسق البلبي	موياسان	كمال الحريري
(العدد ٢٩)						
١٧	الثائر الماذج	ليوتولسوي	٢٣٤	فني	ابراهيم عبدالقادر المازني	
٢٤	أعصاب	أنطون تشيكوف	٢٤٢	خزار إنك مراقب	جوزيف بلاكير	محمد لطفي جمعة
٢١	أول أبريل	نجيب محفوظ	٢٥٣	إولانما — و—	لويس جولنج	دريفي خشبة
٤٧	بسة الجبوكندا	ألفوس مكسلي		الحشاه والحبال		
(العدد ٢٦)						
٦٥	قتل	أرنولد بنت	٢٦٨	الصورة القصة	جيس ماجوفن	كامل محمود حبيب
٧٢	كيد سامرة	دريفي خشبة	٢٧٤	الغنية الباشقة	إميل زولا	صلاح الدين المنجد
٨٠	جنون لحظة	عبد الطيف النشار	٢٧٨	النافقة	بيير لويس	عن الدين عزوزي
٨٣	الوعظة الأخيرة	إدوار كاترمير	٢٨١	الأعمى الذي لم يصبها	أدون بو	نظمي خليل
٩٤	آلات ألوت الثلاث	تفسترن				
١٠٠	الفتان الأبيض	ستاكي أومونير				
١٠٧	الفلاح والتاجر	تاراشنودوي				
١١٢	ثورة الجبل	يقرب ببول				
١١٦	المختصر	موياسان				
(العدد ٢٧)						
١٢٢	صديق السلاب	أحمد حسن الزيات				
١٢٥	صت للهراجا أو ضية المنرد	ماري كورنلي				
١٣٧	العمال الهندسي	م. ل. هويكس				
١٥٢	يكن أن ملكا	طافور				
١٥٨	قصة صيف	استيدان زواج				
١٢٥	شمدانات الأسف	نورمان ماكتيل				
(العدد ٢٨)						
١٧٨	الدواء الذي يخلق المبرقة	ما كس بيرتون				
١٩١	إن عادت الحية	هنري بارنابيس				
٢٠٥	التسكري	نجيب محفوظ				
٢١٦	التحرير	طافور				
(العدد ٣٠)						
٢٦٨	الصورة القصة	جيس ماجوفن				
٢٧٤	الغنية الباشقة	إميل زولا				
٢٧٨	النافقة	بيير لويس				
٢٨١	الأعمى الذي لم يصبها	أدون بو				
(العدد ٣١)						
٢٩٠	بييرة	أحمد حسن الزيات				
٢٩٤	ليلة الوخاع	علي الطنطاوي				
٣٠٤	فاسينوكين	بلاك				
٢١٥	الحب والقتل	أرمان بيكي				
٣٢٦	رائعا	محمد محمد مصطفى				
٣٣١	النافقة	محمود خيرت بك				
٢٣٥	حاجي بابا في انكلترا	جيمز مور				
(العدد ٣٢)						
٣٤٦	الحام	ابراهيم عبدالقادر المازني				
٣٥١	الصفر	بوانتو				
٣٥٥	أمنية	عبد الحميد جودة السحار				
٣٥٨	شجر ألهال	رشاد نووي				
٣٦٤	مؤذن بغداد	محمد نهي				
٣٦٨	ملوتو	ماسوشيوسالريتاتو				
٣٧٣	يوم القاه	علي الطنطاوي				
٣٨٤	الزوجة للوروة	اسطفان بوياف				
٣٩٢	حاجي بابا في انكلترا	جيمز مور				

الصفحة	القصة	المؤلف	المترجم
٦٢٩	كلان لصا		عبد اللطيف النشار
٦٣١	عجوز الصوالتحركة . بلاسكوا يانيز		محمد محمود دوار
٦٤٩	جلوسون واحد شوب . كلوديك لافونسي		محمد لطفي حمة
٦٦٠	مواد كرمون	فرانسوا كويه	محمد كامل حجاج
٦٦٥	حاجي بابا في انكلترا	جيمز مور	عبد اللطيف النشار

(السد ٤٧)

٦٨٢	حرمة الغيور	اسيدار جودورف	محمد لطفي حمة
٦٩٢	ثروة لم تخطر على بال . بوكاتشو		محمد كامل حجاج
٦٩٤	الحب فوق الجبل		عبد اللطيف النشار
٦٩٦	هياتا للصاحبة لزوج	بول بورجيه	محمد افة الرياضي
٧٠٨	يد الهندى	لورير استودار	محمد المزاولى
٧١٦	تكت الامومة	نجيب محفوظ	
٧٢١	الجنونة	ماري بستوي	صلاح الدين النجده
٧٢٤	الكاس وطشة القنود	مصطفى صبحي	
٧٢٣	حاجي بابا في انكلترا	جيمز مور	عبد اللطيف النشار

(السد ٤٨)

٨٢٨	صرع تواركو	كورليان	محمد لطفي حمة
	القدس الفاسق		
٧٤٩	جبل النار	علي الطنطاوى	
٧٥٧	تجربة فاسية		عبد اللطيف النشار
٧٦١	حكمة الموت	نجيب محفوظ	
٧٦٧	سكرم	بول بورجيه	كمال الحريري
٧٧٧	الاول والآخر	جون جازرون	سامي الناصي

(السد ٤٩)

٧٩٤	المدل والاضطام	ريشارد وجي	محمد لطفي حمة
٨٠٠	هيكل عظمي	رايناثات تاجور	محمد كامل حجاج
٨٠٥	الحامد	سيبيوف	نصري عطالله سوس
٨٠٩	الآية للسكورة		عبد اللطيف النشار
٨١٦	موت الحب	نجيب محفوظ	
٨٢٣	مفارقت النشار	دون ماركينز	محمد محمود دوار
٨٣١	ذكرى حب	عبدالمجيد محمود المصيري	
٨٣٨	ابن تاراس بوليا	غوغول	ابراهيم زين الدين

(السد ٥٠)

٨٥٠	دير صهيبة	محمد بك خيرت	
٨٥٩	حل مات مسموماً	ليوكوز ياقوف	محمد لطفي حمة
٨٧٠	شهادتوجه العروس	تاجور	محمد كامل حجاج
٨٧٣	يوماً واحداً غيب	أرچند أكرم	عبد اللطيف أحمد

(السد ٤٢)

الصفحة	القصة	المؤلف	المترجم
٤٠٢	ميسي	إبراهيم عبدالقادر المازني	
٤٠٨	شجرة الكينزي السعورة	بوكاتشو	محمد كامل حجاج
٤١١	سوسن النورية	محمد بك خيرت	
٤١٩	ابن الحب	علي الطنطاوى	
٤٣١	الملك والدرويش	والفريد ستابلينز	محمد لطفي حمة
٤٣٧	غيرة	مولومون جستانر	محمد عبد الفتاح
٤٥١	حاجي بابا في انكلترا	جيمز مور	عبد اللطيف النشار

(السد ٤٣)

٤٥٨	البديل	محمد بك تيمور	
٤٦٥	قلب أم	اندرسن	صلاح الدين النجده
٤٦٩	لقد أحسرت للركبة	تودور دي باغيل	محمد عبد الفتاح
٤٧١	الولد	مولسان	علي الطنطاوى
٤٧٧	سر الحفية الصفراء	سيدريك ديمفوف	محمد لطفي حمة
٤٨٩	صلاح الدين	بوكاتشو	محمد كامل حجاج
٤٩٥	المرأة المدبرة	محمد مهي عبد اللطيف	
٤٩٧	حاجي بابا في انكلترا	جيمز مور	عبد اللطيف النشار

(السد ٤٤)

٥١٣	أهى مجنونة ؟	إبراهيم عبدالقادر المازني	
٥١٨	المرأة	كاثلون ميندي	محمد عبد الفتاح
٥٢٠	من ذكريات العراق	علي الطنطاوى	
٥٢٥	أجنحة الحب		عبد اللطيف النشار
٥٢٠	سرخسجة القارة المظلمة	توني سگراوس	محمد لطفي حمة
٥٢١	عواد كرمون	فرانسوا كويه	محمد كامل حجاج
٥٢٦	عن زوجة	نجيب محفوظ	
٥٥٣	حاجي بابا في انكلترا	جيمز مور	عبد اللطيف النشار

(السد ٤٥)

٥٧٠	تلاون ألف ديار	علي الطنطاوى	
٥٧٨	عواد كرمون	فرانسوا كويه	محمد كامل حجاج
٥٨١	أحزان الطفولة	نجيب محفوظ	
٥٨٥	الستيل	موريس مارتلك	محمد أمين
٥٩٥	الفتاة القروية	يوشكين	عن الدين مزوزي
٦٠٩	حاجي بابا في انكلترا	جيمز مور	عبد اللطيف النشار

(السد ٤٦)

٦٢٦	الفصل الأخير من الأساة	علي الطنطاوى	
-----	------------------------	--------------	--

الرسالة

مجلة أسبوعية للثقافة والفنون والآداب

مجلة الآداب الرفيعة والثقافة العالية

تصل الماضي بالحاضر وتربط الشرق بالغرب

على مدى وبصيرة

الرسالة : معبر باخلاص عن روح النهضة المصرية

الرسالة : تجمع على وحدة الثقافة أبناء البلاد العربية

الرسالة : تصور مظاهر العبقريّة للامة العربية

الرسالة : تسجل ظواهر التجديد في الآداب العربية

الرسالة : تحيي في النشء اماليب البلاغة العربية

بمجموعة أعدادها ديوان العرب المعترك ، وكتاب الشرق

الجديد ، وسجل الادب الحديث ، ودائرة مصارف طامة

الاشتراك المأجل ستون قرعاً ، والمال على ما يساهى جنباً مصرياً ، والبلاد العربية بنسب ٢٠ ٪

FIN

DU

DOCUMENT

المجلة

مجلة الأسبوعية للقصص والسير

تصدر مؤقثاً في أول كل شهر وفي نصفه

1938

Volume 2